

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

مركز الدراسات الإسلامية



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٤٣١٦



٠٠٥٠٥٢

التبيان في أقسام القرآن للإمام ابن القيم دراسة وتحقيق

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب

حمزة بن محمد علي آل ياسين عسيري

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور

أمين بن محمد باشا

العام الدراسي

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة البقرة

الحمد لله الذي هدانا لهذا

ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

والحمد لله رب العالمين

ملخص الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

عنوان البحث : كتاب التبيان في إيمان القرآن للإمام ابن القيم رحمه الله ، دراسة وتحقيق .

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وقسمين أحدهما للدراسة وآخر للتحقيق .

أولاً: المقدمة . وتشتمل على أسباب اختيار الموضوع ، وخطة البحث ، وبيان المنهج الذي سرت عليه في تحقيق هذا الكتاب .

ثانياً: القسم الأول: الدراسة وجعلتها في مقدمة وباين:

❖ أما المقدمة : فذكرت فيها العصر الذي عاش فيه المؤلف من الناحية السياسية والاجتماعية والعلمية ، لأن ذلك يعطي صورة واضحة عن سيرة هذا الإمام والعوامل المؤثرة في تكوينه العلمي .

الباب الأول : في ترجمة المؤلف وقد قسمتها إلى فصلين :

❖ الفصل الأول: في سيرته الشخصية .

❖ الفصل الثاني : في سيرته العلمية .

❖ الباب الثاني: في دراسة الكتاب .

❖ وجعلت هذا الباب في فصلين :

❖ الفصل الأول : التعريف بالكتاب .

❖ الفصل الثاني: دراسة النسخ الخطية للكتاب .

❖ ثالثاً: القسم الثاني: التحقيق :

حيث تحصل لدي تسع نسخ ، اخترت منها أربعاً ، واتخذت إحداها أصلاً وقارنت بين النسخ ، وأثبت الفروق ، ثم قمت بعزو الآيات ، وتخريج الأحاديث ، وتوثيق النصوص ، والتعليق على بعض المسائل الواردة في الكتاب .

❖ الخاتمة : وفيها ذكرت أهم نتائج البحث ، ولخصت أهم ما ورد في الكتاب .

ذيلت البحث بفهارس فنية : الآيات ، والأحاديث ، والآثار ، والشعر ، والكتب والفرق والبلدان الواردة في النص المحقق ، والأعلام ، والمراجع والمصادر ، ثم فهرس الموضوعات .

وأخيراً أسأل الله تعالى أن يرزقني الإخلاص في جميع أعمالي ، وأن يوفقني للسداد في القول والعمل ، والله ولي التوفيق .

والحمد لله رب العالمين .

عميد الكلية

المشرف

الباحث

د . عابد بن محمد السقياني

أ.د. أمين محمد عطية باشا

حمزة بن محمد حميري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستعديه ونستغفره . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(١) . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾^(٢) . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾^(٣) أما بعد :

فإن من أوجب الواجبات على من سلك طريق العلم الشرعي: العناية بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم دراسة وحفظاً وتعليماً وعملاً جمعاً بين العلم والعمل، لأنهم يؤمنون على ذلك كله، وقد جعلت الأمة ذلك أمانة في أعناق أهل العلم، وهم مسئولون أمام الله تعالى عنهم قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبَشَى مَا يَشْتَرُونَ ﴾^(٤) .

وإن مما أوتمنوا عليه هذا التراث العلمي الكبير، المتمثل في تلك المؤلفات الكثيرة النافعة في شتى مجالات العلوم المطبوعة منها والمخطوطة، وإن كان كثير من ذلك التراث لا يزال مخطوطاً، أو في حكم المخطوط حيث خرج عارياً عن التحقيق والتدقيق، فكان لزاماً على طلبة العلم الاهتمام بهذا التراث وإخراجه إخراجاً علمياً يليق بمكانة مؤلفيها ، وقوة تأليفها ، حتى لا يتصدى لإخراجها أديعاء العلم أو أعداء الأمة الذين نشطوا في فترة من الفترات لهذا العمل .

(١) سورة آل عمران (١٠٢) .

(٢) سورة النساء (١) .

(٣) سورة الأحزاب الآيات (٧٠-٧١) .

(٤) سورة آل عمران (١٨٧) .

ولما كان لازماً على طلاب الدراسات العليا لاستكمال متطلبات دراستهم أن يقدم الواحد منهم بحثاً علمياً سواء كان موضوعاً مختاراً أو مخطوطاً قيماً يقوم بدراسته وتحقيقه، أحسبت أن أضرب بسهم معهم، وأبحث لي عن كتاب قيم يستحق العناية والتحقيق، فجعلت أقلب فهارس المخطوطات، وقصدت بعض المكتبات في بلادنا المباركة، فظفرت بكتاب قيم، للإمام ابن القيم ألا وهو كتاب :

التبني في أقسام القرآن

فأحسبت أن أقوم بدارسة وتحقيق هذا الكتاب والعناية به تحقيقاً وتعليقاً، وإخراجه للناس مؤثقاً قدر الاستطاعة مع العلم بأن هذا الكتاب قد سبق له أن طبع عدة طبعات من أمثلها التي قام بإخراجها الشيخ محمد حامد الفقي عليه رحمة الله الذي كان له جهد مشكور في إخراج كتب علماء السلف أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما من علماء أهل السنة والجماعة، لكن الكتاب لا يزال بحاجة إلى مزيد من الخدمة، من إخراج للنص على أقرب صورة تركه عليها المؤلف، ودراسة لمؤلفه وتخريج لأحاديثه وآثاره وإلى توثيق نصوصه وترجمة أعلامه، والتعليق عليه بحسب ما يحتاجه المقام ولا أدعي أنني سأقوم بأفضل مما عمل وفعل الشيخ الفقي عليه رحمة الله

فهو بسبق حائز تفضيلاً مستوجباً ثنائى الجميلاً

أسباب اختيار الموضوع

إن الدافع الذي دفعني إلى اختيار هذا الكتاب — بعد توفيق الله تعالى ومنه وكرمه عدة أسباب منها:

أولاً : تعلق هذا الكتاب بأشرف العلوم وأعظم الكتب ، وهو علم (علوم القرآن) المتعلق بكتاب الله هذا الكتاب الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وشرف العلم — كما يقال بشرف المعلوم.

ثانياً: أن مؤلف هذا الكتاب هو الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، وهو من في علمه وفضله، بل وتبحره في علوم القرآن الكريم وغيره من علوم الشريعة، وكلامه الكثير في ثنايا كتبه حول آيات كثيرة من كتاب الله تعالى.

ثالثاً: سبق الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى إلى الحديث عن هذا الموضوع فلا اعلم — حسب معلوماتي القاصرة — أحداً قد سبق الإمام ابن القيم في كتابه هذا الموضوع بهذه الصورة وإفراده لها كتاباً مستقلاً.

رابعاً: إبداع الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه أخذ بلي وسحري وجعلني معلقاً به فلا أكاد أمل من قراءته، والاستمتاع بكتابه، والانتفاع بمعلوماته.

خامساً: المشاركة في إثراء المكتبة القرآنية بإخراج هذا الكتاب والعناية به وإعطائه حقه الذي يستحقه، والمكانة التي تليق به، مع علمي بضعف علمي، وقلة بضاعتي، ولكن حسبي أن أجتهد وأتوكل على الله راجياً منه التوفيق والسداد.

سادساً: البحث في هذا المجال هو استكمال لمسيري العلمية فإنني متخصص في القرآن وعلومه منذ الدراسة النظامية في مدراس تحفيظ القرآن الكريم ثم الدراسة في كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

خطة البحث

قسمت هذا البحث إلى مقدمة وقسمين أحدهما للدراسة وآخر للتحقيق.
أولاً: المقدمة.

وتشتمل على أسباب اختيار الموضوع، وخطة البحث، وبيان المنهج الذي سرت عليه في تحقيق هذا الكتاب.

ثانياً: القسم الأول: الدراسة وجعلتها في مقدمة وباين:

❖ أما المقدمة: فذكرت فيها العصر الذي عاش فيه المؤلف من الناحية السياسية والاجتماعية والعلمية، لأن ذلك يعطي صورة واضحة عن سيرة هذا الإمام والعوامل المؤثرة في تكوينه العلمي.

الباب الأول : في ترجمة المؤلف وقد قسمتها إلى فصلين:

الفصل الأول: في سيرته الشخصية

ويتناول هذا الفصل المباحث التالية:

المبحث الأول / اسمه ونسبه.

المبحث الثالث / أسرته.

المبحث الخامس / أوصافه الخلقية والخلقية.

المبحث السابع / وفاته.

المبحث الثاني / ولادته.

المبحث الرابع / نشأته.

المبحث السادس / أبنائه.

الفصل الثاني : في سيرته العلمية

المبحث الأول / دراساته وطلبه للعلم.

المبحث الثالث / مشايخه

المبحث الخامس / عقيدته ومذهبه

المبحث السابع / مصنفاته.

المبحث الثاني / رحلاته في طلب العلم

المبحث الرابع / ثقافته وعلمه.

المبحث السادس / مكانته وثناء العلماء عليه.

الباب الثاني: في دراسة الكتاب.

وجعلت هذا الباب في فصلين

الفصل الأول : التعريف بالكتاب.

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول / اسم الكتاب وموضوعه.

المبحث الثاني / توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف.

المبحث الثالث / منهج المؤلف في كتابه.

المبحث الرابع / أهمية الكتاب.

المبحث الخامس / المصادر التي أعتمد عليها المؤلف في كتابه.

الفصل الثاني: دراسة النسخ الخطية للكتاب.

ويتضمن هذا الفصل دراسة للنسخ الخطية من حيث:

- المصدر.
- عدد الأوراق.
- تاريخ النسخ.
- اسم الناسخ.
- مكانة النسخة وقيمتها.

القسم الثاني: التحقيق :

وقفت على إحدى عشرة نسخة خطية منها نسخ موجودة في بلادنا وأخرى خارج البلاد ، وقد حصلت منها على تسع نسخ خطية ، واثنان لم أستطع الحصول عليها رغم محاولاتي للحصول عليها . ولكن لم أتمكن من ذلك .

وقد اتبعت في تحقيقها المنهج التالي :

- (١) فحص النسخ التي تحصلت عليها والتميز بينها . حيث اخترت منها أربع نسخ خطية واطرحت الباقي ، وذلك لجودة النسخ المختارة ولقدمها .
- (٢) اعتماد نسخة من تلك النسخ لتكون أصلاً ، ثم مقارنة النسخ الأخرى بها وإثبات الفروق بينها .
- (٣) نسخ المخطوط وفقاً لقواعد الإملاء الحديثة.
- (٤) عزو الآيات إلى مواضعها في القرآن الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية.
- (٥) تخريج الأحاديث والآثار من كتب السنة المعتمدة ، مع بيان الحكم عليها إن أمكن ، وما لم أجده فيها تتبعته في مظانه من كتب التفسير وعلوم القرآن وغيرهما .
- (٦) التعريف بالأعلام ، والفرق والطوائف الواردة في النص.
- (٧) شرح الألفاظ المبهمة والغريبة.

(٨) توثيق المسائل وأقوال العلماء الواردة في هذا الكتاب من مصادرها إن أمكن ذلك .

(٩) التعليق على المسائل التي رأيت أنها بحاجة إلى مزيد إيضاح وبيان.

(١٠) عمل فهرس تفصيلية تخدم الكتاب وتعين على الوصول إلى المراد، من فهرس للآيات والأحاديث والآثار والقوافي والأعلام والأماكن والفرق الواردة في الكتاب، وإعداد فهرس آخر للمراجع والموضوعات.

وأحسب أني قد بذلت بحمد الله جهدي في خدمة الكتاب تصحيحاً وتوثيقاً وتحقيقاً

حسب طاقتي ومعرفتي بعد توفيق الله تعالى وعونه .

ولا يسعني في الختام إلا أن أشكر الله العلي القدير الذي وفقني لهذا العمل وأعاني على إتمامه ، امتثالاً لقوله تعالى : ﴿لَيْنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(١) فله الحمد والشكر كما أسبغ علي نعمه ظاهرة وباطنة ، وأثنى بالشكر لمن قرن الله سبحانه بهما الأمر بعبادته ، ولمن كانا سبباً في وجودي بعد الله ، ولمن سهرأ وتعبا علي ورياني ، ووجهاني إلى طريق الخير والبر والصلاح ، فاللهم اغفر لوالدي وارحمهما كما ربياني صغيراً ووفقني ليرهما في حياتهما وبعد مماتهما ، واجعلي قرة عين لهما ، وألبسهما تاج الكرامة يوم القيامة إنك على كل شيء قدير .

وأثنت بالشكر الجزيل والامتنان والتقدير لصاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور / عبدالباسط بن إبراهيم بلبول ، المشرف على هذه الرسالة الذي منحني من علمه وفضله ، وأكرمني بوقته وجزيل إحسانه ودماثة خلقه ولا أجد في هذا المقام خيراً من أن أقول له : جزاك الله خيراً على ما قدمت في سبيل العلم وخدمته ، وأسأل الله أن يجعل ذلك في موازين أعمالك يوم تلقى ربك . وأربع بالشكر أيضاً لفضيلة الأستاذ الدكتور أمين محمد عطية باشا الذي قبل الاشراف على هذه الرسالة فله مني الدعاء بأن يطيل الله في عمره ويحسن له في عمله ونيته ، وأن يفيد به العلم وأهله .

كما أشكر أيضاً صاحبي الفضيلة الشيخ الدكتور جلال الدين عجمو ، والشيخ الدكتور عبدالله بن سعاف اللحياني اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذه الرسالة وتقويمها حيث تكبدا مشاق

(١) سورة إبراهيم (٧)

قراءة هذا البحث فأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهما ، ويجزيهما خير الجزاء على ما يقدمانه للعلم وأهله .

كما لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الجزيل لهذه الجامعة المباركة التي هي معقل من معاقل العلم والمعرفة أسأل الله تعالى أن يبارك فيها ويعين القائمين عليها .

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ممثلة في مركز الدراسات الإسلامية الذي أتيحت لنا فيه هذه الفرصة الطيبة لإكمال الدراسة العالية ، كما أشكر القائمين عليه فضيلة الشيخ الدكتور / ستر الجعيد المدير السابق له ، وفضيلة الشيخ الدكتور / أحمد الحبيب مديره الآن .

والشكر أيضاً موصول لكل من قدم لي مساعدة وعوناً في هذا البحث بمشورة أو رأي أو إعارة كتاب أو مساعدة في المقارنة بين نسخ البحث ، وأخص من هؤلاء أخي ورفيق دربي الأخ الكريم الأستاذ / مشعل الحارثي والأخ الفاضل الكريم الشيخ / عادل النفيعي أسأل الله تعالى أن يبارك لهما في عمرهما وعلمهما وأهلتهما وولدهما ، كما أشكر أخي وشقيقي الأستاذ / عبدالله عسيري على ما بذل معي من جهد وتعاون أسأل الله له التوفيق في الدارين .

وبعد: فهذا جهد المقل في هذا البحث المبارك الذي أسأل الله تعالى أن يوفقني به إلى خدمة العلم والعلماء ، وأن يجعله عملاً صالحاً يقربني إليه ، فما كان فيه من صواب فمن الله وما كان فيه من خطأ وزلل فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريان . وأتمثل هنا قول صاحب هذا الكتاب عليه رحمة الله في أحد كتبه : " أن كل من كتب فـ : " قد نصب نفسه هدفاً لسهام الراسخين ، وغرضاً لألسنة الطاعنين ، فلقارته غنمه وعلى مؤلفه غرمه ، وهذه بضاعته تعرض عليك ، ومولته تهدى إليك ، فإن صادفت كفوّاً كريماً لها لن تُعدم منه إمساكاً معروفاً أو تسريحاً بإحسان ، وإن صادفت غيره فالله المستعان وعليه التكلان " . وأقول — أيضاً — كما قال : " وقد رضي من مهرها بدعوة خالصة إن وافقت قبولاً واستحساناً ، وبرّد جميل إن كان حظها استحقاقاً واستهجاناً ، والمنصف يهب خطأ المخطئ لإصابته ، وسيئاته لحسناته ، فهذه سنة الله في عباده جزاءً وثواباً ، ومن ذا الذي يكون قوله كله سديداً ، وعمله كله صواباً ؟ ، وهل ذلك إلا للمعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ، ونطقه وحي يوحى ، فما صح عنه فهو



نقل مصدق عن قائل معصوم ، وما جاء عن غيره فثبوت الأمرين منه معدوم ، فإن صح النقل لم يكن القائل معصوماً ، وإن لم يصح لم يكن وصوله إليه معلوماً ^(١) .

وهو المسؤول سبحانه أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، مدنياً من رضاه والفوز بجنات النعيم ، والله متولي سريرة العبد وكسبه ، وهو سبحانه عند لسان كل قائل وقلبه : { وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون } وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون } .

ورحم الله القائل :

إن تجد عيباً فسدّ الخلا *** جلّ من لاعيب فيه وعلا

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١) روضة المحبين ص (٤١ - ٤٢) .

القسم الأول : الدراسة

المقدمة

قبل البدء في ترجمة هذا الإمام الهمام ابن قيم الجوزية رحمه الله ، لا بد أن نلقي نظرة علي عصر هذا الإمام من ثلاث نواح ، من الناحية السياسية ، والناحية العلمية والاجتماعية ، فإن لكل منها تأثيراً في حياة ابن قيم الجوزية رحمه الله في علمه ، وفكره ، وسلوكه .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((.... السكينة في أهل الغنم ، والفخر والخيلاء في الفدارين^(١) أهل الوبر قبل مطلع الشمس)) رواه مسلم^(٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل ...)) رواه أحمد^(٣) فكما رأينا في الحديثين السابقين أن العوامل الخارجية لها تأثير في حياة الإنسان فرعاة الغنم اكتسبوا السكينة بسبب رعيهم ومجاورتهم للغنم ، ورعاة الإبل اكتسبوا الجفاء بسبب رعيهم ومجاورتهم للإبل التي تمتاز بالغلظة والشدة ، وكذلك من عاش في القرى والمدن ، وذلك كما يقول علماء الاجتماع ، الإنسان مدني بطبعه ، وكما قيل الإنسان ابن بيئته . فتبين مما سبق أن الإنسان يتأثر بما يدور حوله ، وفيما يلي عرض موجز للحالة السياسية والاجتماعية والعلمية في عصر الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله .

(١) الفدارين : جمع فدار ، من الفدير ، وهو الصوت الشديد فهم الذين تعلوا أصواتهم في إبلهم وخيولهم وحروثهم ونحو ذلك .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤٤٠/٢ و ٤٤٠) وصححه الألباني في السلسلة ج ٣ . برقم ١٢٧٢

أولاً : من الناحية السياسية

لقد أصيبت الأمة الإسلامية بأحداث غيرت مجرى التاريخ وأيقظتها من سباتها العميق . بدأ بالحروب الصليبية ثم هجمات التتار المغولية .

١- الحروب الصليبية (٤٩٠-٦٩٠)

هي الحملات المسلحة التي شنتها أوروبا النصرانية ضد الأمة الإسلامية وعلى الرغم من أنها انتهت قبل ولادة الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله بسنة إلا أنها تركت وراءها آثاراً في بلاد المسلمين وفي المسلمين أنفسهم فلا بد أن نلمح عنها بإيجاز .

أسبابها : وتنقسم إلى قسمين : قسم متعلق بالمسلمين ، وقسم متعلق بالنصارى .

الأسباب المتعلقة بالمسلمين :

١- ضعف الدولة الإسلامية وتفككها ، وكثرة الصراع على السلطة فمثلاً كانت مصر تن من مأساة الحكم الفاطمي الشيعي وتناقضاته وكثرة الفتن الداخلية والخارجية فبعد أن انتصر عليهم السلاجقة والسنين وأخذوا الشام منهم ، لم يبق معهم إلا مصر^(١) فكاتبوا الإفرنج ليستولوا على الشام فتآمر (المزدقاني) وهو شيعي إسماعيلي مع الصليبيين سنة ٥٢٣هـ على أن يسلم لهم دمشق ويسلموا له مدينة صور ونظمت الخطة على أن يقوم الإسماعيليون بمنع المقاومة ، وتسليم دمشق ، لكن كشف الله أمره فقتله صاحب دمشق ، وعلق رأسه على باب القلعة^(٢) .

أما بغداد فكانت الخلافة العباسية في حالة ضعف وتدهور شديد ، فقد كثرت الفتن الداخلية ، والخارجون على السلطان .

٢- كثرة الفرق المنحرفة عن الإسلام ومنهج أهل السنة والجماعة كالباطنية

الإسماعيلية والقرامطة وغيرهم من المعطلة الذين كانت لهم اليد الطولى في تخريب وزعزعة الجبهة الداخلية للدولة الإسلامية ، والتعاون مع الأعداء كما سبق .

(١) الكامل ، لابن الأثير ٩٤/١٠ . انظر تاريخ الخلفاء ، للسيوطي ص (١٤٧) .

(٢) خطط الشام (٤/٢) .

٣- حالة الترف واللهو التي كانت تعيشها الخلافة العباسية^(١)

الأسباب المتعلقة بالنصارى :

١- الحقد الدفين الذي ترعرع في قلوب النصارى طيلة خمسة قرون ، حين هزموا شر هزيمة وسقطت مملكتهم في معركة اليرموك سنة ١٣هـ .

٢- حب التوسع والاستعمار والطمع في الشرق الغني ، فقد كانت أوروبا حينذاك تعيش في جوع وفقر وتخلف في شتى المجالات^(٢).

٣- الدافع الديني ، فقد نظمت هذه الحرب باشراف الكنيسة الرومانية والبابوية لإنقاذ الأراضي المقدسة وقبر المسيح كما زعموا ، وقد اتخذت الصليب شعارا لها ، ولذا سميت ((الحروب الصليبية^(٣))).

وعموما فإن العداوة بيننا وبين أهل الكتاب لن تنتهي حتى يأتي وعد الله يقول الله عز وجل (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) الآية^(٤)

بدء الحملات الصليبية :

انطلقت الكتائب الصليبية بقيادة بطرس الناسك مختربة أوروبا الوسطى تقتل وتسلب حتى وصلت إلى القسطنطينية سنة ٤٨٩هـ فنقلهم الإمبراطور البيزنطي علي المراكب إلى الضفة الشرقية للبحر ، وعندما علم السلطان السلجوقي بتزولهم في آسيا الصغرى حتى هب لقتالهم قرب مدينة نيقية عاصمته وهزمهم هزيمة منكرة^(٥).

ثم بدأت الحملات الصليبية تتجمع في القسطنطينية ، وكانت الحملات الأولى من فرنسا وإيطاليا ، ثم انطلقوا جميعا ودخلوا نيقية بعد حصار دام خمسين يوما^(٦).

(١) البداية والنهاية ، لابن كثير ١٣/٢٠٠ .

(٢) الإسلام والحضارة العربية ١/٢٩٤

(٣) الإسلام والحضارة العربية ١/٢٩٢

(٤) سورة البقرة الآية)

(٥) الحروب الصليبية ، محمد العمروسي ص ٤٧

(٦) المرجع السابق ص ٤٨

قال ابن كثير رحمه الله : ((ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وفيها دخل ملك الإفرنج مدينة إنطاكية بعد حصار شديد ، بمواطأة بعض المستحفظين علي بعض الأبراج ، ثم صار الإفرنج إلى معرة النعمان وأخذوها بعد حصار ^(١))) .

ويقول رحمه الله : ((وفي سنة اثنين وتسعين وأربعمائة أخذت الإفرنج لعنهم الله بيت المقدس شرفه الله وكانوا نحو ألف ألف مقاتل وقتلوا في وسطه نحو ستين ألف قتيل من المسلمين وجاسوا خلال الديار ويتبروا ما علوا تنبيراً ^(٢))) .

وقد امتدت مملكتهم من شمال بيروت إلى جنوب عسقلان وشملت كل فلسطين وشرقي الأردن إلى خليج العقبة ^(٣) ولكنهم والله الحمد لم يهتئوا حتى قبض الله للمسلمين حكاماً أقوياء أمثال عماد الدين زنكي الذي استرد الرها سنة ٥٣٩هـ .

ثم بدأ صلاح الدين الأيوبي يجهز لدخول بيت المقدس أكبر معاقل الصليبيين وبدأت بينه وبينهم مناوشات حتى جاءت وقعة حطين سنة ٥٨٣هـ التي هزم فيها الصليبيون شر هزيمة فقتل منهم عشرة آلاف ، واسر ملك بيت المقدس ثم حاصرها مباشرة ودخلها في رجب من نفس العام سنة ٥٨٣هـ ^(٤)

وفي العشر الأخيرة من القرن السابع الهجري حين كان سلطان المسلمين في مصر ، وأمراؤهم في ديار الشام يطهرون البلاد من فلول الفرنجة وبقايا الحروب الصليبية . صادف ((فتح عكا في سنة تسعين وستمائة)) قبل مولد الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله بسنة ((حيث جاء البريد من القاهرة إلى دمشق لتجهيز آلات الحصار لعكا ، ونودي في دمشق : الغزاة في سبيل الله إلى عكا . وخرج العامة والمتطوعة يجرون في العجل ، حتى الفقهاء والمدرسين والصلحاء ... وركب السلطان الأشرف من الديار المصرية بعساكره قاصداً عكا ، فتوافت الجيوش هناك

(١) البداية والنهاية ، لابن كثير ١١٥/١٢

(٢) المرجع السابق ١٦٨، ١٦٩/١٢

(٣) راجع الحروب الصليبية ، محمد العمروسي ص ٥٦-٥٨

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ٣٣٢/١٢ ، الحروب الصليبية ص ٨٦

ونصبت عليها المجانيق من كل ناحية ، واجتهدوا غاية الاجتهاد في محاربتها والتضييق علي أهلها ، ثم زحف يوم الجمعة ودقت الكوسات عند طلوع الشمس ... ونصبت السناجق الإسلامية فولت الفرنج هارين في مراكب التجار ...))^(١) وهكذا استعاد المسلمون مدينة صور بعد بقائها في يد الفرنجة مائة واثنين وسبعين سنة ، وبعد سقوط عكا ((أرسل السلطان إلى صور فهدم أسوارها وعفا آثارها وقد كان لها في يد الفرنج من سنة ثمان عشرة وخمسمائة))^(٢) ، ((وأرسل السلطان الأشرف أمير الشام ونائب السلطنة فيها إلى صيدا ، لأنه كان قد مد بها إلى برج عصي ففتحها ... وبعثه إلى بيروت ليفتحها ... ففتحها في أقرب وقت ، وسلمت عثيلة ، وانطرطوس ، وجبيل ، ولم يبق بالسواحل معقل للفرنج إلا بأيدي المسلمين))^(٣).

هذه صورة موجزة على عجلة تبين فيها الصراع بين المسلمين والصليبيين في فترة من فترات التاريخ ، كانت بلا شك ذات تأثير على المسلمين ودولتهم ولكنها زرعت في نفوسهم حب هذا الدين العظيم والاستبسال في الذود عن حياضه ومعرفة النصارى الصليبيين وعقائدهم المحرفة عن كتب .

٢- هجمات التار المغولية :-

جاء التار من شمال الصين وهم قوم ينتسبون إلى منغوليا ، وهي هضبة تمتد في أواسط آسيا جنوب سيبيريا وشمال التبت ، وغرب منشوريا ، وشرق باكستان بين جبال التاي غرباً ، وجبال خنجان شرقاً^(٤).

وقد بدأت هجماتهم عندما فكر جنكيز خان بتوسيع إمبراطوريته فتطلع إلى العالم الإسلامي لما رأى الضعف السياسي ، والفرقة التي يعيشها المسلمون ، بالإضافة لما تحويه البلاد الإسلامية من خيرات وحضارة .

(١) البداية والنهاية ، لابن كثير ٣٣٩/١٣ - ٣٤٠

(٢) المرجع السابق . ٣٤٠/١٣

(٣) المرجع السابق . ٣٤٠/١٣

(٤) المغول في التاريخ ، فؤاد عبد المعطي الصياد ، حسن ٣٠ - ٣١

وكان استيلاء التتار على البلاد الإسلامية قد تم على مرحلتين :

الأولى : كانت بقيادة جنكيز خان مؤسس الدولة المغولية .

أما المرحلة الثانية : فتمت على يد هولاء حفيد جنكيز خان حيث أرسل إلى الخليفة المستعصم آخر خلفاء بني العباس يطلب منه المساعدة في مهاجمة الإسماعيلية في إيران لكنه رفض طلبه .

وبعد ما قضى على الإسماعيلية ، أرسل إلى الخليفة المستعصم رسالة ، يهدده فيها ويأمره بتسليم بغداد ، فلم يكثر الخليفة للأمر ، فقرر هولاء الزحف إلى بغداد^(١) وقد أشار عليه بذلك وهون له الأمر : وزير الخليفة المستعصم ابن العلقمي الرافضي ، لأجل حادثة نهب الكرخ وتخريب مشهد الإمام موسى الكاظم على يد أبي بكر ابن الخليفة المستعصم ، وما تبع ذلك من إهانة للشيعة ، فتأثر الوزير الشيعي الرافضي فأرسل أخاه ومملوكه إلى هولاء وسهل عليه المهمة^(٢) ، يقول عنه ابن كثير رحمه الله (المشؤوم على نفسه وعلى أهل بغداد ، فإنه لم يكن وزير صدق ، فإنه الذي أعان على المسلمين في قضية هولاء وجنوده قبحه الله وإياهم^(٣)) .

فحاصر هولاء بغداد حتى سقطت في يده سنة ٦٥٦ هـ ، وخرج الخليفة المستعصم بالعلماء وأعيان البلد والقضاة فسلم نفسه وعاصمته للمغول بلا قيد أو شرط بعد أن وعده هولاء بالأمان فغدر به وقتله ومن معه وخلعاً كثير من أهل السنة في بغداد واستبقى السحرة والشيعة والنصارى ، وأحرق المكتبات وخرب المدارس والمساجد^(٤) .

قال ابن كثير رحمه الله : ((وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الموقعة فقليل ثمانمائة ألف ، وقيل ألف ألف وثمانمائة ألف ، وقيل بلغت القتلى ألفي ألف نفس وقتل أكابر الدولة واحداً واحداً ، وقتل الخطباء والأئمة وحملة القرآن^(٥)) .

(١) العبر في خبر من غير ، للذهبي ، ٢٢٥/٥ - ٢٢٦

(٢) المرجع السابق . ٢٢٥/٥

(٣) البداية والنهاية ، لأبن كثير ، ١٦٤ ، ١٣

(٤) العبر في خبر من غير ، للذهبي ، ٢٢٥/٥

(٥) البداية والنهاية ، لأبن كثير ، ٢٠٣/١٣

وبعد سقوط بغداد توجه هولاء إلى الشام فسقطت حلب في يده سنة ٦٥٧هـ — ثم سقطت دمشق ثم استمر زحف الجيش المغولي نحو مصر والتقى جيش السلطان قطز بقيادته مع الجيش المغولي بقيادة ((كيتوبوقا)) في ((عين جالوت)) قرب الناصرة بفلسطين سنة ٦٥٨هـ — وقد نصر الله السلطان قطز المملوكي ووقع القائد المغولي في الأسر ، وأمر السلطان قطز بقطع رأسه ، وذبح كل مغولي كان بأرض المعركة ، ولحقت الفارين من المغول فرقة من الفرسان بقيادة الظاهر بيبرس فتابع فلولهم حتى تطهرت منهم كل أراضي الشام^(١) .

وقال ابن كثير أيضاً : ((وفي الثاني من صفر سنة سبعمائة عندما همّ التتار بدخول دمشق وهمّ سكانها بالفرار ، جمع ابن تيمية رحمه الله الجموع وحضهم على القتال ونهى عن الفرار وسافر إلى السلطان الناصر بمصر يستحثه على الدفاع عن الشام وقوى ابن تيمية رحمه الله عزيمته الأمراء ، وما زال هم حتى خرج بجنده إلى الشام وسبقهم ابن تيمية رحمه الله إلى دمشق التي استولى عليها الذعر ، وناداهم والي المدينة بالخروج للفرار ، ولكن أوقفهم ابن تيمية رحمه الله ونظم صفوفهم وطمأنهم بالنصر ، ولكن التتار أجلوا هجومهم على دمشق لما علموا بتنظيم الجيوش الإسلامية حتى جاؤوا بجمعهم سنة ٧٠٢هـ وعاد الخوف إلى دمشق ، فوقف ابن تيمية رحمه الله يحث الناس ويدبرهم ويجمع صفوفهم حتى ابتدأت موقعة ((شقحب)) في يوم السبت الأول من رمضان وتقدم ابن تيمية رحمه الله الجند بنفسه تحت لواء السلطان مع جيوش دمشق ومصر وكان يقول ويحلف بالله الذي لا إله إلا هو أنكم منصورون عليهم ، فيقول له الأمراء : قل إن شاء الله ، فيقول : إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً وأفنى الناس بالفطر مدة قتالهم وأفطر هو أيضاً وقاتلوا قتالاً عظيماً حتى نصرهم الله يوم الاثنين الرابع من رمضان في مرج الصفر^(٢) .

(١) النجوم الزاهرة ، لأبن تغري بردي ٧ / ٧٧ ، تاريخ الدولة المغولية ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٢) البداية والنهاية لأبن كثير ٢٤ / ٢٧ - (بتصرف)



هذه هي الحالة السياسية وهذا هو الجو الذي كان له تأثير في ابن قيم الجوزية رحمه الله
تجلى في شخصيته ومؤلفاته وسلوكه إذ ترك عنده عدة آثار :

الأول : جمع كلمة المسلمين على الكتاب والسنة.

الثاني : لجؤوه إلى الله ، واهتمامه بإصلاح القلوب.

الثالث : منابذة أهل الكتاب وأهل البدع ، وبيان عورهم وباطلهم والرد عليهم.

الرابع : إعجابه ووجهه لشيخ الإسلام ابن تيمية ورحمه الله الذي لازمه سائر حياته وهذا من وفائه رحمه الله.

ثانياً / من الناحية الاجتماعية :

يمكن تقسيم المجتمع في عصر الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله إلى ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى : طبقة ولاة الأمر وتنقسم هذه إلى قسمين من الحكام ، والعلماء والطبقة الثانية : التجار الذين يديرون دفة الاقتصاد.

والطبقة الثالثة : العامة الذين لا حول لهم ولا قوة إلا بالله وحده.

أولاً : ولاة الأمر:

(١) الحكام : وهم طبقة من الممالك بدأت سيادتهم على الشام بعد معركة عين جالوت وكان لهم اهتمام كبير في الترف والزينة والمراسم^(١).

غير أن المدة التي كانت في حياة الإمام ابن قيم الجوزية تميزت بنوع من الاستقرار النسبي ، إذ كان معظمها في حكم الناصر بن محمد بن قلاوون (٦٨٤هـ - ٧٤١هـ) وهو من أشهر سلاطين الممالك وأكثرهم قوة وأطولهم حكماً^(٢).

(٢) العلماء : فقد كان لهم كلمتهم وسلطانهم عند العامة وقد شاركوا الأمة في أحداثها السياسية ، فشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مثلاً شارك بنفسه في قتال التتار كما سبق في موقعة شقحب وغيرها .

((أما سلطان العلماء العز بن عبد السلام فمواقفه كثيرة مع الملك الصالح إسماعيل في الشام ، وقد اعترض عليه عندما هادن الصليبيين ، وسمح لهم بدخول دمشق^(٣))) .

وكذا كان لتلميذه الإمام ابن دقيق العيد موقف مع السلطان قطز عندما اعترض على جمع الأموال من الناس للحرب^(٤).

وكذلك النووي رحمه الله قال عنه ابن كثير رحمه الله ((وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر للملوك وغيرهم^(٥))) .

(١) حسن المحاضرة ، للسيوطي ، ٦٧/٢

(٢) شذرات الذهب ، لأبن العماد ، ٦ / ١٣٤ ((بتصرف)) .

(٣) طبقات الشافعية ، للسبكي ، ٨ / ٢١٠

(٤) المرجع السابق ٨ / ٢١١

(٥) البداية والنهاية ، لأبن كثير ١٣ / ٢٧٩

ولما كانت للعلماء مكانة عظيمة عند العامة كان السلاطين يهابونهم ويحلقونهم ويسمعون منهم الرأي والمشورة.

ثانياً : التجار :

وقد كانوا فكانوا يتمتعون بحرية تامة ومكانة عالية ، وقد ساعدتهم في ذلك التسهيلات التي منحت لهم من قبل السلاطين ، لأن السلاطين يحتاجون إلى تحريك النشاط التجاري لأنه عون لهم في سد حاجاتهم في الأسلحة والحروب فكانت مصر والشام أنشط المراكز التجارية.

ثالثاً : العامة :

فقد كانوا هم ميدان الصراع ومسرح الأحداث ، فقد ظهرت بينهم كثير من البدع والفتن ، وانتشر البغاء وعرف ما يسمى ((بضمان الغواني)) وهو مال تدفعه البغايا وتقر البغي اسمها عند امرأة تسمى الضامنة فلا يقدر أكبر من في مصر أن يمنعها من البغاء إلى أن أبطل ذلك الناصر محمد^(١)، وانتشرت ملابس غير ساترة للنساء بسبب الاستعمار واختلاطهم بالإفرنج^(٢) وظهر الطرب والأغاني ، وظهرت الحشيشة وبعض العادات المخالفة للشرع.

وقد كان لهذا كله أثر في ابن قيم الجوزية رحمه الله في علمه وسلوكه وحياته ، وقد ظهرت في الأمور التالية :

الأول : التحرر الفكري ، وسلامة المنهج وسلوكه ، وبعده عن الخرافات والبدع.
الثاني : محاربته للمعاصي كالأغاني وغيرها وهذا ظاهر في كتابه ((إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان)).

الثالث : الحيوية والمشاعر الفياضة بأحاسيس مجتمعه.

(١) بدائع الزهور ، لابن إياس ، ٢ / ١٥٠ ، ١ / ١٦٥

(٢) هذا كان في زمانهم ، فماذا نقول نحن في زماننا ؟ ! . . إلى الله المشتكى .

ثالثاً / من الناحية العلمية :

لقد شهد العهد المملوكي ازدهاراً واضحاً في الناحية العلمية ، فقد وجد السلاطين المماليك أنه لا بد لهم من الاستعانة بالعلماء لدعم حكمهم ، وإضفاء صفة شرعية على كيانهم وتصرفاتهم ، وتنظيم صلتهم بالعامّة على أساس أحكام الشريعة الإسلامية ، وإستمالة قلوب الرعية على أساس العقيدة الإسلامية.

كما أن العلماء قد هبوا لإحياء العلوم بعد أن فقدت الأمة الإسلامية كثيراً من علمائها ، وكتبهم يوم سقوط بغداد بأيدي التتار ، ومما شجع العلماء لإحياء العلم ونشره دعم السلاطين المماليك لهم ، ولذا ظهرت ثورة علمية قوية نجد آثارها إلى يومنا هذا .

وقد ظهرت هذه الثورة العلمية في عدة أمور منها :

أ/ المساجد والمدارس :

انتشرت المساجد والتي تعتبر أول دور العلم وكان من أشهرها :

- ١- الجامع الأزهر ، وقد تم بناؤه سنة ٣٦١هـ واستمر داراً للتعليم زمن الفاطميين والأيوبيين ، والمماليك^(١).
- ٢- جامع ابن طولون ، وقد تم بناؤه سنة ٣٦٦هـ بمصر.
- ٣- جامع الحاكم ، وقد تم بناؤه سنة ٣٩٣هـ بمصر.
- ٤- جامع عمرو بن العاص ، وقد تم بناؤه في عهد عمرو بن العاص ، وأعيد إعماره في عهد الناصر محمد بن قلاوون^(٢).

ومن أشهر المدارس في مصر:

- ١- المدرسة الصلاحية ، ويقال لها الناصرية ، أسسها السلطان الناصر صلاح الدين بن أيوب سنة ٥٧٢هـ .
- ٢- المدرسة الكاملية ، وأسست سنة ٦٣١هـ ، وتنسب للملك الكامل ، وقد وقفها على المشتغلين بالحديث ، ومن بعدهم على الفقهاء الشافعية ، ومن وليها ابن دقيق العيد ، والبدر بن جماعة^(١).

(١) ابن قم الجوزية ، لعبد العظيم شرف الدين . ص ٣٧

(٢) الخطط المقرية ، للمقرزي ، ٤ / ٢١ ، ٤ / ١٩٣

٣- المدرسة المنصورية ، وتنسب إلى الملك المنصور قلاوون^(٢) .

٤- المدرسة الناصرية ، تنسب لعادل زين كبتغا وقد تم بناؤها سنة ٧٠٣هـ^(٣)

ومن أشهر المدارس في الشام :

١- المدرسة الظاهرية ، وتنسب إلى الظاهر بيبرس ، وقد تم بناؤها سنة ٦٦٢هـ^(٤) .

٢- المدرسة الضيائية المحمدية ، وقد بناها الفقيه ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي المتوفى سنة ٦٤٣هـ وتقع بسفح جبل قاسيون .

٣- المدرسة الصدرية ، وقد أنشأها أسعد بن عثمان بن أسعد بن المنجا التتوخي صدر الدين الدمشقي ، المتوفى سنة ٦٥٧هـ أوقفها على الحنابلة^(٥) .

٤- المدرسة البدرية ، وقد بناها الأمير بدر الدين حسن بن الداية المعروف بلؤلؤ .

٥- المدرسة الجوزية ، وقد أنشأها الإمام يوسف عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن عبيد الله الجوزي القرشي ، البغدادي ، ابن الإمام المشهور ابن الجوزي رحمه الله وقد أوقفها على الحنابلة.

وهناك الكثير من المدارس التي ساهمت في نشر العلم وإخراج العلماء الإفاذ ولكن يكفي ما ذكر في هذه العجالة ، ومن أراد المزيد فعليه بمراجعة كتابي ((الدارس في تاريخ المدارس)) للشيخ محي الدين أبي المفاخر عبد القادر بن محمد النعيمي المتوفى سنة ٩٢٧هـ . وكتاب ((منادمة الأطلال ومسامرة الخيال)) للشيخ عبد القادر بدران المتوفى سنة ١٣٤٦هـ وهذه الكثرة في المساجد والمدارس دلالة واضحة على الثورة العلمية التي كانت في عصر الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله .

(١) ابن قيم الجوزية ، لعبد العظيم شرف . ص ٤٠

(٢) الخطط المقرية للمقريري . ٤ / ٢١٨ / ٢١٩

(٣) المرجع السابق . ٤ / ٢٢٢

(٤) الخطط المقرية للمقريري . ٤ / ٢١٨ ، ٢١٩

(٥) البداية والنهاية . لأبن كثير ، ١٣ ، ٢٠٥

ب/ الشخصيات العلمية :

وفي هذا العصر ظهرت موسوعات علمية كبيرة ، بيدي علماء موسوعيين أفذاذ خلفوا أمهات المؤلفات الإسلامية ، ومن هؤلاء :

- ١- شيخ الإسلام ابن تيمية ، المتوفى سنة ٧٢٨هـ رحمه الله .
- ٢- الإمام شمس الدين محمد بن كثير القرشي الدمشقي ، المتوفى سنة ٧٤٨هـ رحمه الله .
- ٣- الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ رحمه الله .
- ٤- الشيخ صلاح الدين خليل أيبك الصفدي ، المتوفى سنة ٧٦٤هـ . رحمه الله .
- ٥- الإمام القاسم بن محمد البرازلي ، المتوفى سنة ٧٣٩هـ رحمه الله .
- ٦- الإمام جمال المردواي يوسف بن محمد بن عبد الله المردواي المتوفى ٧٦٩هـ رحمه الله .
- ٧- الإمام ابن قاضي الجبل أحمد بن الحسين بن عبد الله ، المتوفى سنة ٧٧١هـ رحمه الله .
- ٨- الإمام اللغوي محمد بن كرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور ، المتوفى سنة ٧١١هـ .
- ٩- الإمام محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة الجماعيلي ، المتوفى سنة ٧٤٤هـ رحمه الله .
- ١٠- الإمام النحوي أبو محمد عبد الله بن هشام الأنصاري ، المتوفى سنة ٧٦١هـ .
- ١١- الإمام الفقيه الأصولي تقي الدين محمد بن علي بن دقيق العيد ، المتوفى سنة ٧٠٢هـ رحمه الله .
- ١٢- الإمام المحدث المزني يوسف جمال الدين بن زكي الدين بن عبد الرحمن القضاعي ثم الكلبي الدمشقي ، المتوفى سنة ٧٤٢هـ رحمه الله .

أما النساء فقد كان لهن نصيبهن في تلك الثورة العلمية فمنهن :

- ١- المسندة الحافظة ست العرب بنت محمد بن الفخر بن علي البخاري المتوفاة سنة ٧٦٧هـ .
 - ٢- الحافظة زينب بنت إسماعيل بن الجناز .
 - ٣- الشيخة الصالحة أم زينب فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح البغدادية ، المتوفاة سنة ٧١٤هـ — رحمه الله .
 - ٤- المسندة المحدثة فاطمة بنت جوهر البطائحي ، المتوفاة سنة ٧١١هـ رحمه الله وهي من شيوخ الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله كما سيأتي بإذن الله .
- وما سبق هم بعض الشخصيات العلمية التي أسهمت في نشر العلم ، وما ذكر ما هو إلا شيء يسير ، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق ، ولكن فيه دلالة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار أن ذلك العصر كان ذهبياً لما اشتمل عليه من هؤلاء الأعلام الأفذاذ.

وقد كان لهذه الثورة العلمية عدة آثار على الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله منها :

الأول : الاعتماد على أدلة الكتاب وصحيح السنة النبوية .

الثاني : السعة ، والشمول العلمي .

الثالث : الاهتمام بالتنظيم والتبويب في مصنفاته .

الرابع : حسن الترتيب ، وسهولة السياق .

الخامس : طول النفس ، والاستطراد في عرض المسائل .

الباب الأول : ترجمة المؤلف

وقد قسمتها إلى فصلين

الفصل الأول :

سيرته الشخصية

المبحث الأول : اسمه ونسبه :

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكى^(١) زين الدين الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية رحمه الله^(٢).

وقد اتفق المترجون على هذه التسمية ، والنسبة ، ماعدا ، الجد الثاني ((سعد)) والجد الثالث ، ((حريز)) .

وقد اختلف في جده الثاني ((سعد)) فهو عند السيوطي^(٣) ((سعيد)) ، وعند الألوسي^(٤) ((أسعد)) ولكن الصحيح أنه ((سعد)) لاتفاق جميع من ترجم له على ذلك من المتقدمين ، والمتأخرين المحققين.

أما جده الثالث ((حريز)) بمهملتين ثم الياء والزاي المعجمة^(٥) ، وجاء في البعض ((جرير)) كاسم الشاعر المشهور^(٦) ، وجاء ((حريز)) بالجيم المعجمة ثم الراء المهملة ثم الياء والزاي المعجمة^(٧).

(١) الدرر الكامنة ، لأبن حجر ، ٤٣٤/٢ .

(٢) انظر ذيل طبقات الحنابلة ، ٤٤٧/٢ ، شذرات الذهب ، ١٦٨/٦ ، الوافي بالوفيات ، ٧٠/٢ ، طبقات المفسرين ، ٩٠/٢ ، معجم المؤلفين ، ١٠٦/٩ الدرر الكامنة ، ٢١/٤ ، بغية الوعاة ، ٦٢/١ .

(٣) بغية الوعاة ٦٢/١

(٤) جلاء العينين ، ص ٣٠

(٥) الوافي بالوفيات ٢٧٠/٢ ، شذرات الذهب ، ١٦٨/٦

(٦) البدر الطالع ١٤٢/٢

(٧) ذيل طبقات الحنابلة ٤٤٧/٢ .

وعلى كل حال فإن الترجيح غير وارد لعدم المرجح المناسب، ولكن مال إلى القول ب ((حرير)) بمهملتين ثم الياء والزاي المعجمة، بعض المعاصرين^(١) ومنهم الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله في كتابه عن ابن القيم.

الزرعي: بضم الزاي المعجمة المشدد، نسه إلى زرع بضم الزاي، وتسمى الآن ((إزرع)) قرية بحوران.

ابن قيم الجوزية، وقيم الجوزية هو أبوه أبوبكر بن أيوب بن سعد الزرعي الحنبلي، يقول عنه ابن كثير رحمه الله: ((كان رجلاً صالحاً متعبداً قليل التكلف، وكان فاضلاً، وقد سمع شيئاً من دلائل النبوة عن الرشيد العامري، توفي فجأة ليلة الأحد التاسع عشر من ذي الحجة سنة ٧٢٣هـ بالمدرسة الجوزية، وكانت جنازته حافلة، وأثنى عليه الناس رحمه الله، وهو والد العلامة شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب المصنفات الكثيرة النافعة الكافية^(٢))).

وقد اشتهر والده بهذا اللقب لأنه كان قيماً على المدرسة الجوزية ((أي ناظراً)) عليها وقد تقدم الحديث عنها في مدراس الشام.

^(١) ابن قيم الجوزية، ليكر أبوزيد، ص ٨

^(٢) البداية والنهاية، ١٤ / ١١٤

المبحث الثاني : ولادته :

اتفقت كتب التاريخ والتراجم على أن تاريخ ولادة ابن قيم الجوزية رحمه الله سنة إحدى وتسعين وستمائة ، وقد حدد اليوم السابع من شهر صفر كل من الصفدي تلميذه^(١) ، وابن تغري بردي^(٢) ، والداوودي^(٣) ، والسيوطي^(٤) .

أما محل ولادته هل هو في (أزرع) أم في (دمشق) ؟ .

لم يذكر أحد ممن ترجم للإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله ذلك ، ولكن جرت عادة المؤرخين والمترجمين أنهم ينسبون الشخص المترجم له إلى محل ولادته ، ومسقط رأسه ، ثم إلى محل انتقاله واستقراره .

وقد ذكر العلامة بكر بن عبد الله أبوزيد حفظه الله في كتابه^(٥) (ابن قيم الجوزية حياته وآثاره) أن المراغي ذكر أنه ولد بدمشق في كتابه ((طبقات الأصوليين)) والله أعلم بالصواب .

(١) الوافي بالوفيات ، ٢ / ٢٧٠

(٢) المنهل الصافي ، ٣ / ٢٦١

(٣) طبقات المفسرين ، ٢ / ٩١

(٤) بغية الوعاة ، ١ / ٦٢

(٥) ابن قيم الجوزية ، ليكر أبوزيد ، ص ١٠

المبحث الثالث : أسرته :

الناظر في حال هذه الأسرة يرى أنها خدمت العلم وطلابه بأصولها وفروعها ، وحواشيها ، فقد نالت من العلم حظاً عظيماً بفضل الله ، كما أنها أسرة بر وصلاح وتقوى ، كما مر معنا قريباً قول ابن كثير رحمه الله في والده ((كان رجلاً صالحاً متعبداً قليل التكلف ، وكان فاضلاً^(١))) وكانت له اليد الطولى في علم الفرائض ، وقد أخذها عنه ابنه شمس الدين رحمه الله^(٢) أما حواشيه ، فأخوة زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي بكر ولد سنة ٦٣٩ هـ وقد شارك أخاه في أكثر شيوخه ، ومن تلامذته الحافظ ابن رجب ، توفي سنة ٧٦٩ هـ .

وأبن أخيه عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عبد الرحمن . كان من الأفاضل وقد اقتنى أكثر مكتبة عمه شمس الدين ، توفي سنة ٧٩٩ هـ .

أما فروعهم الذين اشتهروا بالعلم فهم شرف الدين عبد الله الذي أم الناس بالقرآن الكريم وهو ابن تسع سنين ، وبرهان الدين إبراهيم العلامة النحوي الفقيه ، وسيأتي ذكرهم في المبحث السادس بإذن الله تعالى .

في هذا الجو العلمي الرائع نشأ ابن قيم الجوزية رحمه الله في ربوع العلم تعلماً وتعليماً وقدوة ، فأخرج هذا الإمام الفذ المتقن المتفنن ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ ، وقد استفاد منه الخلق في حياته وبعد مماته إلى يومنا هذا ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

(١) البداية والنهاية ١٤ / ١١٤

(٢) المنهل الصافي ، لأبن تعزي بردي ، ٦١ / ٣

المبحث الرابع : نشأته :

نشأ ابن قيم الجوزية رحمه الله في بيئة خير وبر وصلاح ، وفي جو علمي كما تقدم معنا ، فقد كان أبوه رجلاً صالحاً ، فاضلاً عالماً ، بالإضافة إلى أنه كان قيماً على المدرسة الجوزية ، وأخوه كان عالماً فاضلاً كذلك ، ودمشق حينذاك كانت تزخر بالعلماء الجبال الأفذاذ ، والحركة العلمية في أوجها لا سيما في دمشق حاضرة العلم والعلماء .

هذا إلى ما وهبه الله جل وعلا من ذكاء مفرط وذهن وقاد ، واستعداد فطري للعلم والتعلم.

كل هذه الأسباب بعد توفيق الله سبحانه وتعالى أسهمت في تكوين ابن قيم الجوزية ورحمه الله علمياً في سن مبكرة ، يدل على ذلك حضوره لمجالس العلماء قبل سن السادسة من عمره تقريباً ، فيقول في كتابه المعطار (زاد المعاد) ((وهذه كانت حال شيخنا ورسوخه في علم التعبير ، وسمعت عليه عدة أجزاء ولم يتفق لي قراءة هذا العلم عليه لصغر السن وأحترام المنية له والله أعلم))^(١).

فنشأ منذ نعومة أظافره محباً للعلماء ومجالسهم ، كما كان شغوفاً باقتناء كتب العلم وكان لديه مكتبة عامرة ، ومن قرأ في شيء من كتبه علم كثرة كتبه ، وسعة اطلاعه^(٢) .

يقول عنه الحافظ ابن حجر رحمه الله : ((وكان مغرماً بجمع الكتب فحصل منها ما لا يحصى حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهرًا طويلاً سوى ما اصطفوه لأنفسهم^(٣))) .

(١) زاد المعاد ، ٣ / ٦١٦

(٢) انظر البداية والنهاية ١٤ / ٢٠٢ ، ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٤٤٨ .

(٣) الدرر الكامنة ٤ / ٢٢

ويقول عنه ابن كثير رحمه الله : ((واقتنى من الكتب ما لا يتهاى لغيره تحصيل عشر معشاره من كتب السلف والخلف^(١))) .

ويقول ابن العماد رحمه الله أن ابن أخيه عماد الدين إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي بكر ... قد اقتنى جملة منها فيقول : ((كان من الأفاضل واقتنى كتباً بنفسه وهي كتب عمه الشيخ شمس الدين ابن القيم ، وكان لا يخل بإعارتها^(٢))) .

كما كان رحمه الله ذا عبادة وزهد وورع ، وشغف بالذكر ، والاستغفار ، وكان يطيل الصلاة ويمد ركوعها وسجودها ، وكان إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار ويقول : هذه غدوتي لو لم أقعدها سقطت قواي ((كشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله)) ، وكان رحمه الله قد جمع إلى العلم الجهاد فكان من الذين لا يخافون في الله لومة لائم ، قائماً بالمعروف والنهي عن المنكر متحملاً في سبيل ذلك ما يلقاه من أذى .

فقد أنكر شد الرحيل لزيارة قبر إبراهيم الخليل عليه السلام فسجن وأودى^(٣) .

(١) البداية والنهاية ١٤ / ٢٠٢

(٢) شذرات الذهب ٦ / ٣٥٨

(٣) ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٤٤٨

المبحث الخامس : أوصافه الخلقية والخلقية :

أطبق جميع من ترجم للإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله على وصفه بحسن الخلق وطيب السريرة ، ولطف المعشر ، وحسن السمات ، والصلاح ، والعلم وكثرة التبعيد حتى أنه مع خصومه في معرض الرد عليهم تجده لطيفاً هادئاً ، ذا حجة مقنعة قوية في ادب وهدوء كما سبق .
يقول ابن كثير رحمه الله : (كان حسن القراءة والخلق ، كثير التودد ، لا يحسد أحداً ، ولا يؤذيه ولا يستعيبه ، ولا يحقد على أحد ، وبالجملة كان قليل النظر في مجموعته وأموره وأحواله والغالب عليه الخير والأخلاق الفاضلة .. ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه ، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جداً ، ويمد ركوعها وسجودها ، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان ، فلا يرجع ولا يترع عن ذلك رحمه الله^(١)) .

ويقول ابن رجب رحمه الله : ((وكان رحمه الله تعالى ذا عبادة وتجدد ، وطول صلاة إلى الغاية القصوى ، وتأله ولهج بالذكر ، وشغف بالمحبة والإنابة والاستغفار والافتقار إلى الله والانكسار له ، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته ، ولم أشاهد مثله في ذلك ، ولا رأيت أوسع منه علماً ، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه ، وليس هو المعصوم ولكن لم أر في معناه مثله ، وقد امتحن وأوذى وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة منفرداً عنه ، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ ، وكان في مدة حبسه مشغولاً بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكير ، ففتح عليه من ذلك خير كثير ، وحصل له جانب عظيم من الأذواق ، والمواجيد الصحيحة ، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف ، والدخول في غوامضهم وتصانيفه ممتلكه بذلك .

وحج مرات كثيرة ، وجاور بمكة وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة ، وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه^(٢)) .

(١) البداية والنهاية ١٤ / ٢٠٢

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٤٤٨

شهادتان دالتان على طيب نفسه ، وكرم أخلاقه ، من رجلين تتلمذا على يديه موثوق بعلمها ، وهذا هو الأثر الحقيقي للعلم وثمرته التي يحصدها أهله وإلا فما فائدة هذا العلم إن لم يكن هأثر على صاحبه في قربه وتقربه من الله .

ومما يدل على تواضعه وحسن خلقه ، ما ذكر عنه العلامة الصفدي في قصيدته الميمية^(١) وهي :

بُني أبي بكر كثير ذنوبه	فليس على من نال من عرضه إثم
بُني أبي بكر جهول بنفسه	جهول بأمر الله أنى له العلم
بُني أبي بكر غدا متصديراً	يعلم وهو ليس له علم
بُني أبي بكر غدا متمنياً	وصال المعالي والذنوب له هم
بُني أبي بكر يروم ترقياً	إلى جنة المأوي وليس له عزم
بُني أبي بكر يرى العزم في الذي	يزول ويفنى والذي تركه الغنم
بُني أبي بكر لقد خاب سعيه	إذا لم يكن في الصالحات له سهم
بُني أبي بكر وأمثاله غدى	بفتواهم هذى الخليفة تأثم
وليس لهم في العلم باع ولا تقى	ولا الزهد والدنيا لديهم هي الهـم
فوالله لو أن الصحابة شاهدوا	أفاضلهم قالوا هم الصم والبكم

ويقول رحمه الله في كتابه إعلام الموقعين بعد قوله تعالى (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة) فهذه بعض ما تضمنه هذا المثل بالعظيم الجليل من الأسرار والحكم ولعلها قطرة من بحر بسحب أذهاننا الواقفة ، وقلوبنا المخطئة وعلومنا القاصرة وأعمالنا التي توجب التوبة والاستغفار^(٢) .

فهذه سمة العلماء العاملين حيث يعترف بتقصيره وقله علمه مع فضله وسعة علمه وصلاحه وتقواه نحسبه كذلك.

(١) انظر الوافي بالوفيات ٢ / ٢٧١ ، نقلاً عن : ابن قيم الجوزية حياته وآثاره ، لبكر أبوزيد ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) إعلام الموقعين ١ / ١٧٥

المبحث السادس : أبناؤه :

سبق وأن عرفنا حال أسرة ابن قيم الجوزية رحمه الله ، وصلتها بالعلم والعلماء الوثيقة ، مما كان له أثر على أبنائه الذين كانوا في جو علمي بديع.

وهل ينبت الخَطَى إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل

ومن اشتهروا بالعلم من أبناء ابن قيم الجوزية رحمه الله :

١- عبد الله : شرف الدين أو جمال الدين عبد الله بن الإمام شمس الدين محمد ، وكانت ولادته سنة ٧٢٣هـ ووفاته سنة ٧٥٦هـ وكان مفرط الذكاء والحفظ ، حفظ سورة الأعراف في يومين وصلى بالقرآن سنة ٧٣١هـ أي وهو في التاسعة من عمره تقريباً . قال عنه ابن كثير رحمه الله (الشيخ الشاب الفاضل المحصل جمال الدين عبد الله بن العلامة شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي ، كانت لديه علوم جيدة وذهنه حاضر خارق أفق ودرس ، وأعاد ، وناظر وحج مرات عديدة 'وقد تولى التدريس بالمدرسة الصدرية بعد وفاة والده . وقال أيضاً : ((ومن العجائب والغرائب التي لم يتفق مثلها ، ولم يقع من نحو مائتي سنة أو أكثر ، أنه أبطل الوقيد بجامع في ليلة النصف من شعبان ، فلم يزد في وقيده فنديل واحد على عادة لياليه في سائر السنة والله الحمد والمنة^(٢))).

٢- إبراهيم : العلامة النحوي الفقيه المتقن برهان الدين إبراهيم بن شمس الدين وكانت ولادته سنة ٧١٦هـ ووفاته سنة ٧٦٧هـ أخذ عن والده ، وغيره وقد أفق ودرس بالمدرسة الصدرية واشتهر صيته ، وكان على طريقة أبيه ، وله في النحو اليد الطولى ، فشرح الفية بن مالك وسماه (إرشاد السالك إلى حل إلفية ابن مالك). وتولى الخطابة بجامع خليخان بالقروانة ، وكان مثيراً ترك مالا جزيلاً يقارب مائة ألف درهم رحمه الله^(٣) .

(١) البداية والنهاية ١٤ / ٢٥٣

(٢) البداية والنهاية ١٤ / ٢٤٧ .

(٣) المرجع السابق ١٤ / ٢٦٩ .



وله رسالة باسم (اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية) . قسم فيها اختياراته إلى أربعة أقسام وذكر في كل قسم جملة وافرة مختصرة من اختياراته فرحم الله الجميع .

المبحث السابع : وفاته :

لقد بذل وقدّم هذا الإمام الهمام طيلة عقود حياته ، فقد كان معلماً عاملاً ، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، لا يمل و لا يكل ، سائراً في طريقه إلى الله على ضوء الكتاب والسنة ، ومنهج السلف الصالح ، ولكن لكل سفينة مرسى ولكل حي وفاة وهذه سنة الله تعالى في خليقته .

لقد اتفقت مصادر الترجمة لهذا الإمام على أن وفاته كانت ليلة الخميس الثالث عشر من رجب سنة إحدى وخمسين وسبعمائة للهجرة قال ابن كثير رحمه الله : - ((وفي ليلة الخميس ثالث عشر رجب وقت آذان العشاء توفي صاحبنا الشيخ العلامة الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي إمام الجوزية وابن قيمها وصلى عليه بعد صلاة الظهر من الغد بالجامع الأموي ودفن عند والدته بمقابر الباب الصغير رحمه الله^(١))).

وقال ابن رجب رحمه الله : ((توفي رحمه الله وقت العشاء الآخر ليلة الخميس ثالث عشر من سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ، وصُلِّيَ عليه من الغد بالجامع عقيب الظهر ثم بجامع جراح ودفن بمقبرة الباب الصغير (سفح قاسيون) وشيعه خلق كثير ورثت له منامات كثيرة حسنة رضي الله عنه ، وكان قد رأى قبل موته بمدة الشيخ تقي الدين رحمه الله في النوم وسأله عن منزلته فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر ، ثم قال له ابن تيمية : وأنت كدت تلحق بنا ، ولكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة رحمه الله^(٢))).

(١) البداية والنهاية / ١٤ / ٢٤٦

(٢) ذيل طبقات الحنابلة : ٢ / ٤٥٠ - ٤٥١

الفصل الثاني في سيرته العلمية

المبحث الأول : دراسته وطلبه للعلم :

التأمل في كتب التاريخ والتراجم يلمس الجدية ، والنفس الأبية التي لا ترضى بالدون .
وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجساد

فقد تلقى وأشرب العلم وهو في سن مبكرة ، وبحث وحفظ وقرأ ، واختلط العلم بدمه ،
وقد تلقى عن الشيوخ الحنابلة وغيرهم .

يقول رحمه الله عن شيخه الشهاب العابر (وسمعت عليه عدة أجزاء ولم يتفق لي قراءة هذا
العلم عليه لصغر السن ، واخترام المنية له رحمه الله^(١)) وقد توفي شيخه العابر سنة ٦٩٧هـ —
فيكون قد بدأ السماع وطلب العلم وهو في السابعة من عمره ومن شيوخه أبو الفتح البعلبكي
المتوفى سنة ٧٠٩هـ .

وقد قرأ عليه عدداً من الكتب في النحو من بينها ألفية ابن مالك . والألفية ونحوها من
المطولات في العربية لا يدرسها إلا من تمكن في علم العربية ، وأصبح من المنتهين فيه ، أو المقارين
، وهذا يدل على أنه تمكن في علم النحو وغيره من العربية في سن التاسعة عشرة من عمره .

وهكذا شب هذا الإمام رحمه الله في هذا الرخاء العلمي ، حتى بلغ أشده في عاصمة بلاد
الشام دمشق منجم العلم والعلماء .

(١) زاد المعاد : ٣ / ٦١٦

المبحث الثاني : رحلاته في طلب العلم :

عاش ابن قيم الجوزية رحمه الله في كنف والده ، وبدء في التلمذ عليه لأنه حينذاك رأس علماء الحنابلة فهو قيم المدرسة الجوزية ، وكانت دمشق تزخر بالعلماء الأفذاذ الذين تضرب لهم أكباد الإبل من جميع أنحاء المعمورة .

كما أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله نزل دمشق ، وهو البحر المتلاطم قد ملئ علماً وحكمة وكفى به فلا عطر بعد عروس .

فلا غرابة حينئذ إذ لم يشتهر بالرحلة في طلب العلم فيكف يرحل وعنده النبع المتدفق من العلم والعلماء بدمشق.

ومع هذا نلمس في مصنفاته أنه ارتحل في طلب العلم ، وهذا أمر معهود معروف في حال العلماء لتلقي العلوم والإكثار من الشيوخ والسماع والتحري وابن قيم الجوزية رحمه الله من العلماء الكبار فلا بد أنه قد ارتحل فقد ذكر المقرئ في كتابه (السلوك لمعرفة دول الملوك) في ترجمته : (وقدم القاهرة غير مرة^(١)) وقد زار تبوك وألف بها رسالته المشهورة ((الرسالة التبوكية)) . ثامن محرم سنة ٧٣٣هـ ، وزار بيت المقدس بفلسطين يقول في كتابه بدائع الفوائد^(٢) عند ذكره لبيت من الشعر يمكن أن ينظم من نفس كلماته أربعون ألفاً وثلاثمائة وعشرون بيتاً ثم قال : ومثله لي قلته في القدس ثم ذكر البيت :

محب صبور غريب فقير وحيد ضعيف كتوم خول

ويقول في كتابه هداية الحيارى^(٣) ((وجرت لي مناظرة بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرئاسة)) .

وحج وجاور بمكة قال ابن رجب رحمه الله ((وحج مرات كثيرة ، وجاور بمكة ، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه^(٤))) . وقد يكون قد رحل إلى طرابلس فله كتاب سماه ((المسائل الطرابلسية)) .

والله أعلم بالصواب

(١) السلوك ، ٢ / ٨٤٣

(٢) بدائع الفوائد ٣ / ٢٤٥ . ويقصد ابن القيم بذلك أنه يساوي هذا العدد لقيمه وقوته وراجع البدائع لمعرفة مراده .

(٣) هداية الحيارى ص ٣٨٤

(٤) ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٤٤٩

المبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه :

أولاً/ شيوخه :

عاش ابن قيم الجوزية رحمه الله في فترة ذهبية ، وثورة علمية كثر فيها العلماء الأفذاذ والتأليف فنهل من وافر وعذب علمهم ، فتكونت هذه الشخصية العجيبة التي ملكت علماً وفهماً ، وهذا ذكر شيوخه مرتباً لهم على حروف المعجم وهم :

١- قيم الجوزية : والده أبو بكر ابن أيوب . ذكره في شيوخه الصفدي^(١) ، وابن تغري بردي^(٢) والشوكاني^(٣) .

٢- ابن عبد الدائم : أبو بكر أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي المتوفى سنة ٧١٨هـ : ذكره في شيوخه ابن رجب^(٤) والصفدي^(٥) وابن تغري^(٦) بردي^(٧) والذهبي^(٨) وابن العماد^(٩) وغيرهم .

٣- شيخ الإسلام ابن تيمية : أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام النميري المتوفى ٧٢٨هـ وقد لازمه أكثر من خمس عشرة سنة ، وأخذ عنه علوم كثيرة ، وتأثر به^(١٠) .

٤- الشهاب العابر : أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة النابلسي الحنبلي المتوفى سنة ٦٩٧هـ^(١١) .

٥- ابن الشيرازي : أبو نصر محمد بن عماد الدين الشيرازي ، وقال ابن العماد مسند الوقت شمس الدين أبو نصر محمد بن محمد الشيرازي الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٣هـ^(١٢) .

(١) الوافي بالوفيات ٢ / ٢٧٠

(٢) المنهل الصافي ٣ / ٦١

(٣) البدر الطالع ٢ / ١٤٣

(٤) ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٤٤٨

(٥) الوافي بالوفيات ٢ / ٢٧٠

(٦) المنهل الصافي ٣ / ٦١

(٧) المعر ٥ / ٩٨

(٨) شذرات الذهب ٦ / ٤٨

(٩) الوافي بالوفيات ٢ / ٢٧١ ، البداية والنهاية ١٤ / ١١٧

(١٠) ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٤٤٨ ، الوافي بالوفيات ٢ / ٢٧٠ ، المنهل الصافي ٣ / ٦١ ، شذرات الذهب ٦ / ١٦٧

(١١) الوافي بالوفيات ٢ / ٢٧١ طبقات المفسرين ٢ / ٩٠ ، بغية الوعاة ١ / ٦٢ ، شذرات الذهب ٦ / ٦٢ .

- ٦- المءء الءرفف : إسماعفل مءء الءفن بن مءء الفرفاء الءرفف شفء الءنابله بءمشف المءوف سنة ٧٢٩هـ^(١) ولفس هو ابن ءفمفة الءء صاءب المءرر))
- ٧- ابن مكءوم : إسماعفل الملقب بصءر الءفن والمكفف بأف الفءاء بن فوسف بن مكءوم القفسف الءمشفف الشافعف المءوف سنة ٧١٦هـ^(٢) .
- ٨- الكءال : أفوب زفن الءفن بن نعمة النابلسف ثم الءمشفف الكءال المءوف سنة ٧٣٠هـ^(٣)
- ٩- البهاء ابن عسائر : القسم بن المظفر بن النءم مءوء بن ءاء الأمناء عسائر المءوف سنة ٧٢٣هـ^(٤)
- ١٠- الءاكم : سلفمان ءقف الءفن أبو الفضل بن ءمزة بن أءء بن قءامة المقدسفف الءنبلف مسنء الشام وكبفر قضاؤها سمع من نءو مائة شفء وأءازه أكثر من سبعمائة شفء ءوف سنة ٧١٥هـ^(٥) .
- ١١- شرف الءفن ابن ءفمفة : عبء الله أبو مءء بن عبء الءلفم بن ءفمفة النمفرف أءو شفء الإسلام ابن ءفمفة رءم الله الءمفع ءوف سنة ٧٢٧هـ^(٦) .
- ١٢- الوءاع : علاء الءفن على بن المظفر بن إبراهفم بن عمر بن زفء الكنفف ، وفعرف بكاءب ابن وءاعة المقرئ المءء ءوف سنة ٧١٦هـ^(٧) .
- ١٣- المءعم : عفسف بن عبء الرءمن بن معالف بن أءء ، أبو مءء المقدسفف ثم الصاءف ، المءعم فف الأشءار ثم السمسار فف العقار مسنء الوقت . ءوف سنة ٧١٩هـ^(٨) .
- ١٤- بنت ءوهر : فاطمة أم مءء بنت الشفء إبراهفم بن مءوء بن ءوهر البطائءف البعلف المسنءة المءءة ءوفف سنة ٧١١هـ^(٩) .

(١) الوافف بالفوفاف ٢٧٠ / ٢ ، المنهل الصافف ٦١ / ٣ ، الءر الكامنة ٢١ / ٤

(٢) الوافف بالفوفاف ٢٧٠ / ٢ ، المنهل الصافف ٦١ / ٣ ، الءر الكامنة ٤١٠ / ١

(٣) الوافف بالفوفاف ٢٧٠ / ٢

(٤) شءراء الذهب ٦١ / ٦

(٥) ذفل طبقات الءنابله ٤٤٨ / ٢ ، طبقات المفسرفن ٩١ / ٢ ، الوافف بالفوفاف ٢٧٠ / ٢ ، الءر الكامنة ٢١ / ٤ .

(٦) الوافف بالفوفاف ٢٧٠ / ٢ ، المنهل الصافف ٦١ / ٣

(٧) شءراء الذهب ٣٩ / ٦ .

(٨) ذفل طبقات الءنابله ٤٤٨ / ٢ ، الوافف بالفوفاف ٢٧٠ / ٢ ، المنهل الصافف ٩١ / ٣ .

(٩) ذفل طبقات الءنابله ٤٤٨ / ٢ ، طبقات المفسرفن ٩١ / ٢ .

- ١٥ - مجد الدين التونسي : أبو بكر بن محمد بن قاسم التونسي الشافعي . شيخ النحاة والباحثين كان ديناً حنياً ذكياً ، توفي عن اثنتين وثمانين سنة^(١) .
- ١٦ - البدر ابن جماعة: محمد القاضي بدر الدين بن إبراهيم بن جماعة الكنائي الحموي الشافعي الإمام المشهور صاحب التصانيف توفي سنة ٧٣٣هـ^(٢) .
- ١٧ - ابو الفتح البعلبكي : محمد شمس الدين أبو عبد الله بن أبي الفتح البعلبكي الحنبلي الفقيه اللغوي النحوي المتوفى سنة ٧٠٩هـ^(٣) .
- ١٨ - الصفي الهندي محمد صفي الدين بن عبد الرحيم بن محمد الأموري الشافعي الفقيه الأصولي . توفي سنة ٧١٥هـ^(٤) .
- ١٩ - الزملكاني : محمد أبو المعالي كمال الدين بن علي بن عبد الواحد الأنصاري الشافعي ابن خطيب زملكا ، ولي قضاء حلب ، وكان متفنناً في علوم شتى توفي سنة ٧٢٧هـ^(٥) .
- ٢٠ - ابن مفلح : محمد شمس الدين أبو عبد الله بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي الحنبلي قال عنه ابن قيم الجوزية رحمه الله ((ما تحت قبة الفلك أعلم بمذهب الإمام أحمد من ابن مفلح)) . توفي سنة ٧٦٣هـ^(٦) .
- ٢١ - المزري : يوسف جمال الدين بن زكي الدين عبد الرحيم القضاعي ثم الكلبي الدمشقي الشافعي إمام المحدثين وخاتمة الحفاظ توفي سنة ٧٤٢هـ^(٧) .
- ٢٢ - ابن الفراء : مجد الدين إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الحراني الحنبلي شيخ الحنابلة بدمشق توفي سنة ٧٢٩هـ^(٨) .
- ٢٣ - أبو العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي . ذكره ابن القيم رحمه الله في كتابة شفاء العليل^(٩)

(١) شذرات الذهب ٤٧ / ٦ ، الوافي بالوفيات ٢ / ٢٧٠ ، الدرر الكامنة ٤ / ٢٢ بغية الوعاة ١ / ٦٢

(٢) البداية والنهاية ١٤ / ٢٦٦ ، شذرات الذهب ٦ / ١٠٥ ، الدرر الكامنة ٣ / ٣٦٧ الوافي بالوفيات ٢ / ٧٢ .

(٣) الوافي بالوفيات ٢ / ٢٧٠

(٤) الوافي بالوفيات ٢ / ٢٧٠ ، المنهل الصافي ٣ / ٦١ ، طبقات المفسرين ٢ / ٩١ ، البدر الطالع ٢ / ١٤٣

(٥) ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي لعوض الله حجازي ، ص ٤٣ .

(٦) البداية والنهاية ١٤ / ٢٩٤ ، الدرر الكامنة ٥ / ٣٠ .

(٧) البداية والنهاية ١٤ / ١٩١ ، شذرات الذهب ٦ / ١٣٦

(٨) الدرر الكامنة ١ / ٤٠٣

(٩) شفاء العليل ص ١٦ .

ثانياً / تلاميذه :

كان من الطبيعي بعد أن نهل من العلم في سن مبكرة، وتنوعت مشاريعه، ورسخت قدمه في العلم، أن يقصده طلاب العلم، ويضربوا له أكباد الإبل، وقد حصل ذلك بقول ابن رجب رحمه الله: "واخذ عنه العلم خلق كثير من حياة شيخه إلى أن مات و انتفعوا به، وكان الفضلاء يعظمونه، ويتلمذون له، كابن عبد الهادي وغيره"^(١).

وقد تخرج من تحت يديه طلاب متميزون، بل أئمة في العلم، أنتجوا أمهات الكتب التي أصبحت مراجع لأهل العلم من بعدهم، وسنذكر أشهر تلاميذه وهم:

- (١) البرهان ابن قيم الجوزية: ابنه برهان الدين إبراهيم، وتقدم ذكره.
- (٢) ابن كثير: إسماعيل عماد الدين أبو الفداء بن عمر بن كثير القرشي الشافعي. الإمام الحافظ المشهور المتوفى سنة ٧٧٤هـ^(٢)
- (٣) ابن رجب: عبدالرحمن زين العابدين أبو الفرج بن أحمد بن عبدالرحمن. الملقب بـ رجب الحنبلي. المتوفى سنة ٧٩٥هـ. صاحب التصانيف النافعة^(٣).
- (٤) شرف الدين ابن قيم الجوزية: ابنه عبدالله، وقد تقدم ذكره.
- (٥) السبكي: علي بن عبدالكافي بن علي بن تمام السبكي تقي الدين أبو الحسن. المتوفى سنة ٧٥٦هـ^(٤).
- (٦) الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان بن قليماز الذهبي التركماني الشافعي. الإمام الحافظ صاحب التصانيف الكثيرة النافعة. المتوفى سنة ٧٤٨هـ^(٥).
- (٧) ابن عبد الهادي: محمد شمس الدين أبو عبدالله بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي ثم الصالحي الحنبلي. الحافظ الناقد. المتوفى سنة ٧٤٤هـ^(٦).

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٤٤٩/٢

(٢) الدرر الكامنة ٣٧٣/١، شذرات الذهب ٣٣٩/٦

(٣) الدرر الكامنة ٤٢٨/٢، شذرات الذهب ٣٣٩/٦

(٤) الدرر الكامنة ١٣٤/٢

(٥) شذرات الذهب ١٥٣/٦

(٦) البداية والنهاية ٢١٠/١٤

- (٨) النابلسي: محمد شمس الدين أبو عبدالله بن عبدالقادر بن محي الدين عثمان النابلسي. الحنبلي المعروف بالحنّة. المتوفى سنة ٧٩٧هـ^(١).
- (٩) الغزي: محمد بن محمد بن الخضر الغزي الشافعي، ينتهي نسبه إلى الزبير بن العوام رضي الله عنه. توفي سنة ٨٠٨هـ^(٢).
- (١٠) الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب بن محمد محي الدين أبو الطاهر الفيروز آبادي. الشافعي صاحب القاموس. توفي سنة ٨١٧هـ^(٣).
- (١١) المقرئ: محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي المقرئ التلمساني. المتوفى سنة ٧٥٩هـ^(٤).
- (١٢) الصفدي: صلاح الدين خليل بن أليك بن عبدالله. أبو الصفا الصفدي الشافعي. المتوفى سنة ٧٦٤هـ^(٥).
- (١٣) القونوي: علاء الدين علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي الشافعي. فريد عصره توفي سنة ٧٢٩هـ^(٦).

(١) شذرات الذهب ٣٤٩/٦

(٢) شذرات الذهب ٧٩/٧ ، البدر الطالع ٢٥٤/٢

(٣) البدر الطالع ٢٨٠/٢

(٤) نفح الطيب ٢٥٤/٥

(٥) الوافي بالوفيات ٢٧٢/٢

(٦) الدرر الكامنة ٢٨-٢٧/٣ ، شذرات الذهب ٩٠/٦ ، بغية الوعاة ١٤٩/٢

المبحث الرابع : ثقافته وعلمه

استقر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في دمشق سنة ٧١٢هـ^(١). قادما من مصر، فالتقى به الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله وصحبه، ولازمه، ملازمة الظل وكان حيتذاً في ريعان شبابه وعنفوانه، وعمره إحدى وعشرون سنة تقريباً، وظل ملازماً لشيخه وفيّاً له طيلة حياته، حتى توفي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله سنة ٧٢٨هـ. فيكون قد لازم شيخه ستة عشر سنة ينهل من ذلك المورد العذب الزلال، فأثر ذلك في شخصية ابن قيم الجوزية رحمه الله وفي فكره، وعلمه، وتأليفه، فكان موسوعياً مشاركاً في شتى العلوم، لم يترك علماً نافعا إلا وشارك فيه بالبحث والتحقيق وتوسع فيه.

"قال القاضي برهان الدين الزرعي ما تحت أديم السماء أوسع علماً منه. وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة. وصنف تصانيف كثيرة في أنواع العلوم، وكان شديد المحبة للعلم وكتابته، ومطالعة، وتصنيفه، واقتناء كتبه"^(٢)

"وكان عارفاً بالتفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين وإليه فيه المنتهى، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه، وتفقه في الفقه الحنبلي وبرع وافق وبالعبية، وله فيها اليد الطولى، ويعلم الكلام وغير ذلك.. وعلماً بعلم السلوك وكلام أهل التصوف، وإشاراتهم. ودقائهم، له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى"^(٣).

ويقول ابن كثير رحمه: "سمع الحديث وأشتغل بالعلم، وبرع في علوم متعددة، لا سيما علم التفسير والحديث والأصول"^(٤) ويقول تلميذه الحافظ الذهبي: "عني بالحديث ومتونته ورجاله، وكان يشتغل بالفقه ويجيد تقريره، وفي النحو ويدريه، وفي الأصول"^(٥)

(١) البداية والنهاية ١٤/٦٧

(٢) شذرات الذهب ٥/١٦٨ - ١٦٩

(٣) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٤٨

(٤) البداية والنهاية ١٤/٢٤٦

(٥) انظر ابن القيم حياته وآثاره، بكر بن عبدالله أبو زيد . ص ٣٠

ويقول تلميذه الصفدي: "أشغل كثيرا، وناصر وأجتهد، وأكبّ على الطلب وصنف، وصار من الأئمة الكبار، في علم التفسير والحديث والأصول، فقها وكلاما والفروع والعربية، ولم يخلف الشيخ العلامة تقي الدين ابن تيمية مثله"^(١).

ويقول ابن ناصر الدين الدمشقي: وكان ذا فنون من العلوم وخاصة التفسير والأصول من المنطوق والمفهوم"^(٢).

تولي التدريس بالمدرسة الصدرية، والأمامة بالجوزية"^(٣).

ومما يدل على غزارة علمه وقوة حفظه أنه ألف كتابا في أسفاره: كتاب مفتاح دار السعادة، وكتاب روضة المحبين، وكتاب زاد المعاد، وكتاب تهذيب سنن أبي داود"^(٤). ولقد أمتاز أسلوبه في التأليف بالسلاسة والعذوبة وحسن السياق بحيث تشنف الآذان قراءة كلامه وتميل إليه القلوب.

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وكل تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف"^(٥).

ولقد استفاد أهل العلم من بعده من كتبه التي تميزت بالسعة والغزارة العلمية لأنه رحمه الله تميز بالاستطراد وبسط الكلام، فأصبح بعضهم يخرج رسائل مستقلة وهي من مباحث أحد كتبه رحمه الله.

وكان ماهرا في النظم يدل على ذلك كتاب "الكافية الشافية" المسماة بنونية ابن القيم رحمه الله، وقد جاء شعره في سهولة وعذوبة ودقة في التصوير، وكذلك أمتاز نثره، ومن يقرأ كتاب "روضة المحبين" يرى تمكنه جليا.

أما الخط فقد كان متقناً له رحمه الله يقول ابن كثير "وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا"^(٦).

(١) الوافي بالوفيات ٢٧١/٢

(٢) الرد الوافر ص ٣٥-٣٦

(٣) البداية والنهاية ٢٠٢/١٤

(٤) أنظر ابن القيم، لبكر أبو زيد ص ٣٦

(٥) الدر الكامنة ٢٢/٤

(٦) البداية والنهاية ٢٤٦/١٤

المبحث الخامس : عقيدته ومذهبه:

١. عقيدته : كان الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله وقع في بداية طلبه للعلم في تأويل بعض الصفات، ولم يتحرر سلفياً إلا بعد لقائه وملازمته لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وهذا ما يظهر من خلال أبيات في "الكافية والشافية" حيث يقول رحمه الله^(١):

يا قوم والله العظيم نصيحة	من مشفق وأخ لكم معوان
جربت هذا كلبه ووقعت في	تلك الشباك وكنت ذا طيران
حتى أتاح لي الإله بفضله	من ليس تجزيه يدي ولساني
ففي أتى من أرض حران فيها	أهلاً بمن قد جاء من حران
فالله يجزيه الذي هو أهله	من جنة المأوى من الرضوان
أخذت يداه يدي وسار فلم يرم	حتى أراي مطلع الإيمان

ويقول رحمه الله في موضع آخر:

يا طالب الحق المبين ومؤثراً	علم اليقين وحجة الإيمان
أسمع مقالة ناصح خبر الذي	عند الورى قد شبّ حتى الآن
ما زال مذ عقدت يداه إزاره	قد شدّ مئزره إلى الرحمن
وتخل الفتريات للعزمات أمر	ملازم لطبيعة الإنسان
وتولد النقصان من فتراته	أو ليس سائرنا بني النقصان
طاف المذاهب يتغني نوراً	ليهديه وينجيّه من النيران
وكأنه قد طاف يغني ظلمة	الليل البهيم ومذهب الحيران

(١) النونية ٦٨/٢ - ٧٤ مع شرح ابن عيسى.

والليل لا يزداد إلا قوة والصبح مقهوراً بذا السلطان

فأصبح رحمه الله بعد اتصاله بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله سلفياً، مقررًا لمنهج أهل السنة والجماعة، منابذاً لأهل البدع والأهواء. ولا أدل على صفاء عقيدته وكونها على منهج أهل السنة والجماعة من تلك المؤلفات العظيمة التي سطرها براءة فيبيان منهج أهل السنة والجماعة والرد على أهل الأهواء والبدع من مثل: الصواعق المرسلة، واجتماع الجيوش الإسلامية، وهداية الحيارى، وقصديته النووية الشهيرة، وما سطره في ثنايا كتبه مما يدل دلالة أكيدة لا يتطرق إليها شك واحتمال أنه كان على منهج أهل السنة والجماعة.

٢. مذهبه: وصف ابن قيم الجوزية رحمه الله كل من ترجم له بأنه حنبلي وهذه النسبة لها حظ من الصحة، فإن ابن قيم الجوزية رحمه الله، قد فتح عينيه وتفقه في بداية طلبه للعلم على المذهب الحنبلي، فأبوه كان قيما للمدرسة الجوزية التي كانت وقفا على الحنابلة، كما أن قريته "إزرع" كانت قرية الحنابلة، والمذهب الحنبلي سائد فيها، كل ذلك سبق ذكره، ولذلك جميع من ترجم له، وصف بأنه حنبلي، ولكن بعد اتصاله بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على وجه الخصوص وبغيره من العلماء الكبار، وبعد أن رسخت قدمه في العلم، أصبح مجتهدا، وإنما حظه من الوصف بالحنبلي إلا تبعاً لما أيده الدليل وليس التقليد، وقد أخذ طريقا وسطا فلم ينفو عن اتباع الأئمة الأربعة كمصطفى الظاهرية، ومن نحا نحوهم، ولم يغلو في تقليد المذهب كما يفعل متعصب المذاهب. بل تراه يحكي أقوال أصحاب المذاهب الأربعة ويستأنس بهم، ويورد المذهب الحنبلي وقد يخالفه إن كان ليس معه الدليل كما رجح كثيرا من المسائل المخالفة للمذهب.

٣. يقول رحمه الله في كتابه المعطار "إعلام الموقعين": وكثيرا ما ترد المسألة نعتقد فيها خلاف المذهب فلا يسعنا أن نفتي بخلاف ما نعتقده، فنحكي المذهب الراجح ومرجحه، ونقول هذا هو الصواب، وهو أولى أن يؤخذ به وبالله التوفيق^(١).

(١) إعلام الموقعين ١٧٧/٤

المبحث السادس : مكانته وثناء العلماء عليه

لقد برع الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله في شتى العلوم، وفاق أقرانه، وحصل ما لم يحصله غيره، وذلك بفضل الله أولاً ثم بجده واجتهاده، وجلده في طلب العلم ولقد قدر له أهل العلم هذا الفضل، فأثنوا عليه ثناءً عطرأً، حتى أن كل من ترجم له أثنى عليه حتى من خالفه .

فهذا ابن كثير رحمه الله يقول: " الشيخ الإمام العلامة"^(١)

وصفه الصفدي رحمه الله بقوله : "وأكبّ على الطلب وصنف وصار من الأئمة الكبار"^(٢)

ويقدم له ابن رجب رحمه الله بقوله : "الفقيه الأصولي المفسر النحوي العارف شمس الدين

أبو عبدالله بن قيم الجوزية. شيخنا"^(٣).

ويقول ابن العماد رحمه الله فيه : " الفقيه الحنبلي بل المجتهد المطلق، المفسر النحوي

الأصولي المتكلم"^(٤)

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله : " وكان جريء الجنان، واسع العلم ، عارفاً بالخلاف

ومذاهب السلف"^(٥).

ويقول فيه السخاوي رحمه الله: "العلامة الحجة المتقدم في سعة العلم ومعرفة الخلاف، وقوة

الجنان، ورئيس أصحاب ابن تيمية الإمام، بل هو حسنة من حسناته والمجمع عليه بين المخالف والموافق، وصاحب التصانيف السائرة، والمحاسن الجمّة وانتفع به الأئمة " ^(٦) .

ويقول فيه الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي: " هو العلامة شمس الدين الحنبلي،

أحد المحققين، علم المصنفين، نادرة المفسرين ، ابن قيم الجوزية وتلميذ ابن تيمية، له التصانيف الأنيفة.. فكان ذا فنون في العلوم، صاحب إدراك لسرائر المنطوق والمفهوم، وبرع في علم الحديث

بحيث انتهت إليه فيه الرئاسة"^(٧)

(١) البداية والنهاية ٢٤٦/١٤

(٢) الوافي بالوفيات ٢٧٠/٢

(٣) ذيل طبقات الحنابلة ٤٤٧/٢

(٤) شذرات الذهب ١٦٨/٦

(٥) الدرر الكامنة ٢١/٤

(٦) الضوء اللامع ٢٠٤/١١

(٧) أنظر الشهادة الذكية

ويقول فيه الشوكاني رحمه الله : " العلامة الكبير المجتهد المطلق المصنف المشهور برع في جميع العلوم وفاق الأقران واشتهر في الآفاق، وتبحر في معرفة مذاهب السلف"^(١)

ولقد استحق ابن قيم الجوزية رحمه الله هذا الثناء من هؤلاء الأئمة الكبار رحم الله الجميع.

المبحث السابع / مصنفاته :

- ترك الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تركة عظيمة من المؤلفات الكبار والصغار، فقد عرف بقلمه السيل، وأسلوبه الرائع، وخطة الجميل وقد اهتم المترجمون له بسرد كتبه، والبحث عنها. وهي كالتالي مرتبة على حروف المعجم كما ذكرها العلامة بكر بن عبدالله أبوزيد حفظه الله: ^(١)
١. الاجتهاد والتقليد: ذكره ابن القيم في "مفتاح دار السعادة" عند تفسير قوله تعالى "وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث" ^(٢)
٢. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية: ذكره في كتابه "الفوائد" عند تفسير قوله تعالى "الله نور السماوات والأرض" ^(٣). طبع قديماً عام ١٣١٤هـ بالهند.
٣. أحكام أهل الذمة: طبع للمرة الأولى في مجلدين بتحقيق / صبحي الصالح سنة ١٣٨١هـ.
٤. أسماء مؤلفات ابن تيمية: رسالة مطبوعة بتحقيق / صلاح الدين المنجد ^(٤).
٥. أصول التفسير: ذكره في "جلاء الأفهام" ^(٥)
٦. الإعلام باتساع طرق الأحكام: ذكره في "إغاثة اللهفان" ^(٦)
٧. إعلام الموقعين عن رب العالمين: طبع سنة ١٣٧٤هـ بمصر بتحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد.
٨. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: طبع سنة ١٣٧٥هـ بمصر بتحقيق / محمد حامد الفقي.
٩. إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان: رسالة مطبوعة بتحقيق / محمد جمال الدين القاسمي.
١٠. إقتضاء الذكر بحصول الخير ودفع الشر: ذكره الصفدي رحمه الله. ^(٧)

(١) ابن قيم الجوزية حياته وآثاره. ص ١١٩ - ١٩٦

(٢) مفتاح دار السعادة. ص ٦٢

(٣) الفوائد. ص ٦ وقد طبع هذا الكتاب عام ١٤٠٨هـ بتحقيق د. عبدالله بن عواد المعنق. رسالة دكتوراة في جامعة الإمام.

(٤) وقد ذكر أحد الباحثين أنه الرسالة منسوبة إلى الإمام ابن القيم وليست من تأليفه، وإنما من تأليف: (ابن رشيق) تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية كاتب مصنفات شيخ الإسلام والذي كان أبصر بخط الشيخ منه. انظر: قاعدة في الاستحسان ص (٩ - ١٢).

(٥) جلاء الأفهام ص ٨٣

(٦) إغاثة اللهفان ١١٩/٢

(٧) الوافي بالوافيات ٢٧١/٢

١١. الأماي المكية: ذكره في كتابه " بدائع الفوائد" عند تفسير قوله تعالى "ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان وضيآء وذكرآ للمتقين"^(١)
١٢. أمثال القرآن : ذكره ابن العماد^(٢) والداودي^(٣).
١٣. الإيجاز: ذكره حاجي خليفة.^(٤)
١٤. بدائع الفوائد: طبع عدة مرات.
١٥. بطلان الكيمياء : ذكره في كتابه "مفتاح دار السعادة" وذكره ابن العماد^(٥).
١٦. بيان الاستدلال على بطلان اشتراط محلل السباق والنضال: ذكره الصفدي^(٦)
١٧. التبيان في أقسام القرآن : وهو كتابنا المحقق في هذه الرسالة.
١٨. التحبير لما يحل ويحرم من لبس الحرير: ذكره في كتابه "زاد المعاد" عند كلامه على الحرير^(٧)
١٩. التحفة المكية : ذكره ابن العماد^(٨) والداودي^(٩)
٢٠. تحفة المودود في أحكام المولود: طبع سنة ١٣٩١هـ في دمشق بتحقيق / عبدالقادر الأرناؤوط.
٢١. تحفة النازلين بجوار رب العالمين: ذكره البغدادي^(١٠)، وأشار له في كتابه "مدارج السالكين"^(١١).
٢٢. تدبير الرئاسة في القواعد الحكيمة بالذكاء والقريحة : ذكره البغدادي^(١٢).
٢٣. التعليق على الأحكام: ذكر في مقدمة شرح النونية لابن عيسى.

(١) بدائع الفوائد ١٥/٢

(٢) شذرات الذهب ١٧٠/٦

(٣) طبقات المفسرين ٩٣/٢

(٤) كشف الظنون ٢٠٦/١

(٥) شذرات الذهب ١٦٩/٦

(٦) الوافي بالوفيات ٢٧١/٢

(٧) زاد المعاد ٨٨/٣

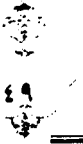
(٨) شذرات الذهب ١٦٨/٦

(٩) طبقات المفسرين ٩٣/٢

(١٠) هدية العارفين ١٥٨/٢

(١١) مدارج السالكين ٢٣٠/١

(١٢) إيضاح المكنون ٢٧١/١



٢٤. تفضيل مكة المكرمة على المدينة المنورة : ذكره ابن رجب^(١)، وابن العماد^(٢).
٢٥. تهذيب مختصر سنن أبي داود: طبع سنة ١٣٦٨هـ. عصر بتحقيق / محمد حامد الققي.
٢٦. الجامع بين السنن والآثار: ذكره في كتابه "بدائع الفوائد"^(٣).
٢٧. جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام: طبع مراراً.
٢٨. جوابات عابدي الصليب، وأن ما هم عليه دين الشيطان: ذكره ابن رجب^(٤) وابن العماد^(٥).
٢٩. الجواب الشافي لمن سأل عن ثمة الدعاء إذا كان ما قد قدر واقع : ذكره الشوكاني^(٦).
٣٠. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: طبع مراراً.
٣١. الحامل: أشار له في كتابه "تهذيب السنن"^(٧).
٣٢. الحاوي: ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري "الجزء الحادي عشر".
٣٣. حرمة السماع : ذكره حاجي خليفة^(٨).
٣٤. حكم تارك الصلاة : طبع مرارا
٣٥. حكم إغمام هلال رمضان : ذكره ابن رجب^(٩).
٣٦. حكم تفضيل بعض الأولاد على بعض في العطية : أشار له في "تهذيب السنن"^(١٠).
٣٧. الداء والدواء : طبع مراراً.
٣٨. دواء القلوب : ذكره العلامة بكر بن عبدالله أبو زيد عن الأستاذ عبدالله الجبوري.^(١١)
٣٩. رفع الأبرار في الصلاة على النبي المختار: ذكره البغدادي.^(١٢)

(١) ذيل طبقات الخنابلة ٤٥٠/٢

(٢) شذرات الذهب ١٦٨/٦

(٣) بدائع الفوائد ٦٨/٤

(٤) ذيل طبقات الخنابلة ٤٥٠/٢

(٥) شذرات الذهب ١٦٩/٦

(٦) البدر الطالع ١٤٤/٢

(٧) تهذيب السنن ١٠٩/٣

(٨) كشف الظنون ٦٥٠/١ ولعله كتاب : كشف العطاء . الآتي قريباً .

(٩) ذيل طبقات الخنابلة ٤٥٠/٢

(١٠) تهذيب السنن ١٩٣/٥

(١١) ابن القيم الحوزية ص ٣٢

(١٢) هدية العارفين ١٥٨/٢

٤٠. الرسالة الحلبية في الطريقة المحمدية: ذكره الصفدي^(١).
٤١. الرسالة الشافية في أحكام المعوذتين: ذكره الصفدي^(٢).
٤٢. رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه: مخطوط ذكره بكر بن عبدالله أبوزيد^(٣).
٤٣. الرسالة التبوكية: مطبوعة بمصر سنة ١٣٤٧هـ بتصحیح عبدالظاهر أبو السمح.
٤٤. رفع التريل: ذكره حاجي خليفة^(٤).
٤٥. رفع اليدين في الصلاة: ذكره ابن رجب^(٥)، والصفدي^(٦).
٤٦. روضة المحبين ونزهة المشتاقين: مطبوع بمصر سنة ١٣٧٥هـ بتحقيق أحمد عبيد.
٤٧. الروح: طبع مراراً.
٤٨. معرفة الروح والنفس: أشار له في كتابه "الروح"^(٧).
٤٩. زاد المسافرين إلى منازل السعداء في هدي خاتم الأنبياء: ذكره ابن رجب^(٨)، وابن العماد^(٩).
٥٠. زاد المعاد في هدي خير العباد: طبع مراراً، ومن أجود طبعاته ما طبع بتحقيق الأرناؤوط.
٥١. السنة والبدعة: ذكره أحمد عبيد في مقدمة كتاب "روضة المحبين".
٥٢. شرح أسماء الله الحسنى: ذكره ابن رجب^(١٠)، وابن العماد^(١١).
٥٣. شرح الأسماء الحسنى: ذكره ابن رجب^(١٢)، وابن العماد^(١٣).

(١) الوافي بالوفيات ٢٧٢/٢

(٢) الوافي بالوفيات ٢٧٢/٢

(٣) ابن قيم الجوزية حياته وآثاره ص ١٥٥، وقد طبع حديثاً.

(٤) كشف الظنون ٩٠٩/١

(٥) ذيل طبقات الحنابلة ١٥٠/٢

(٦) الوافي بالوفيات ٢٧٢/٢

(٧) الروح ص ١٨٩

(٨) ذيل طبقات الحنابلة ٤٥٠/٢

(٩) شذرات الذهب ١٦٩/٦

(١٠) ذيل طبقات الحنابلة ٤٤٩/٢

(١١) شذرات الذهب ١٦٩/٦

(١٢) ذيل طبقات الحنابلة ١٧٠/٢

(١٣) شذرات الحنابلة ١٧٠/٦

٥٤. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل : طبع مراراً، وكانت طبعته الأولى سنة ١٣٢٣هـ - بمصر ، بتصحيح / محمد بدر أبو فراس النعساني.

٥٥. الصبر والسكن : ذكره حاجي خليفة^(١).

٥٦. الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم : ذكره ابن رجب^(٢)، وابن العماد^(٣).

٥٧. الصواعق المتزلة على الجهمية والمعتلة : ذكره ابن رجب^(٤).

٥٨. الطاعون : ذكره ابن رجب^(٥).

٥٩. طب القلوب : ذكره الزركلي^(٦).

٦٠. طريق المهجرتين وباب السعادتين : طبع مراراً

٦١. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية : طبع مراراً

٦٢. طريقة البصائر إلى حديقة السرائر في نظم الكبائر ، ذكره العلامة بكر بن عبدالله أبو زيد ،

نقلاً عن عبدالله الجبوري في كتابه فهارس المكتبات العامة لأوقاف بغداد^(٧).

٦٣. طلاق الحائض : أشار له في تهذيب السنن^(٨)

٦٤. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين. طبع مراراً

٦٥. عقد الأحياء بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع إلى ربّ السماء: ذكره ابن رجب^(٩) وابن العماد^(١٠).

٦٦. الفتاوى : ذكره الألويسي^(١١).

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٤٥٠/٢

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٤٥٠/٢

(٣) شذرات الذهب ١٦٩/٦

(٤) ذيل طبقات الحنابلة ٤٥٠/٢

(٥) ذيل طبقات الحنابلة ٤٥٠/٢

(٦) الأعلام ٢٨٠/٦

(٧) ابن قيم الجوزية حياته وآثاره ص

(٨) تهذيب السنن ١١١/٣

(٩) ذيل طبقات الحنابلة ٤٤٩/٢

(١٠) شذرات الذهب ١٦٩/٦

(١١) جلاء العينين ص ٣٢

٦٧. الفتح القدسي: ذكره ابن رجب^(١)، وابن العماد^(٢).
٦٨. الفتح المكي: ذكره في كتابه "بدائع الفوائد"^(٣).
٦٩. الفتوحات القدسية: ذكره في كتابه "مفتاح دار السعادة"^(٤).
٧٠. الفرق بين الخلّة والمحبة ومناظرة الخليل لقومه: ذكره ابن رجب^(٥)، وابن العماد^(٦).
٧١. الفروسية: طبع مراراً وهو مختصر من كتاب "الفروسية الشرعية".
٧٢. الفروسية الشرعية: ذكره الصفدي^(٧)، وابن تغري بردي^(٨).
٧٣. فضل العلم وأهله: أشار له في كتابه "طريق المهجرتين" وذكره ابن رجب^(٩).
٧٤. فوائد في الكلام على حديث الغمامة، وحديث الغزاة والضب وغيره: مخطوط ذكره العلامة بكر بن عبدالله أبوزيد^(١٠).
٧٥. الفوائد: طبع مراراً.
٧٦. قرة عيون المحبين وروضة قلوب العارفين: ذكره البغدادي^(١١).
٧٧. الكافية الشافية في النحو: ذكره حاجي خليفة^(١٢).
٧٨. الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية: طبع مراراً.
٧٩. الكبائر: ذكره ابن رجب^(١٣)، وابن العماد^(١٤).

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٤٥٠/٢

(٢) شذرات الذهب ١٦٩/٦

(٣) بدائع الفوائد ١٨٦/٢

(٤) مفتاح دار السعادة ص ٣٠٧

(٥) ذيل طبقات الحنابلة ٤٥٠/٢

(٦) شذرات الذهب ١٦٨/٦

(٧) الوافي بالوفيات ٢٧٢/٢

(٨) المنهل الصافي ٦٢/٣

(٩) ذيل طبقات الحنابلة (٤٥٠/٢).

(١٠) ابن قيم الجوزية حياته وآثاره ص ١٧٨، وقد طبع الكتاب أخيراً عام ١٤١٦هـ عن دار ابن الجوزي.

(١١) هدية العارفين ١٥٨/٢

(١٢) كشف الظنون ١٣٦٩/٢

(١٣) ذيل طبقات الحنابلة ٤٥٠/٢

(١٤) شذرات الذهب ١٦٨/٦

٨٠. كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء: ذكره الصفدي^(١).
٨١. الكلم الطيب والعمل الصالح: طبع مرارا.
٨٢. اللوحة في الرد على ابن طلحة: ذكره المناوي^(٢).
٨٣. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: طبع مرارا.
٨٤. المسائل الطرابلسية: ذكره ابن رجب^(٣)، وابن العماد^(٤).
٨٥. معاني الأدوات والحروف: ذكره الصفدي^(٥)، وحاجي خليفة^(٦).
٨٦. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: طبع مرارا.
٨٧. مقتضى السياسة في شرح نكت الحماسة: ذكره البغدادي^(٧).
٨٨. المنار المنيف في الصحيح والضعيف: طبع مرارا.
٨٩. المورد الصافي والظل والوافي: أشار له في كتابه "طريق المحررين"^(٨)، وذكره البغدادي^(٩).
٩٠. مولد النبي صلى الله عليه وسلم: ذكره الشوكاني^(١٠)، وصديق القنوجي^(١١).
٩١. المهدي: ذكره حاجي خليفة^(١٢).
٩٢. المهذب: ذكره حاجي خليفة^(١٣).
٩٣. نقد المنقول والمحك المميز بين المقبول والمردود: ذكره ابن رجب^(١٤).

(١) الوافي بالوفيات ٢٧١/٢، وقد طبع هذا الكتاب طبعين إحداهما باسم: الكلام على مسألة السماع بتحقيق د/ راشد الحمد رسالة جامعية، والأخرى باسم: كشف الغطاء... بتحقيق / ربيع أحمد خلف.

(٢) فيض القدير ١١٦/١.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة ٤٤٩/٢.

(٤) شذرات الذهب ١٦٩/٦.

(٥) الوافي بالوفيات ٢٧١/٢.

(٦) كشف الظنون.

(٧) إيضاح المكنون ٤٢٢/١.

(٨) طريق المحررين ص ١٠٣.

(٩) هدية العارفين ١٥٩/٢.

(١٠) البدر الطالع ١٤٤/٢.

(١١) التاج المكلل ص ٤١٩.

(١٢) كشف الظنون ١٤٦٥/٢.

(١٣) كشف الظنون ١٩١٤/٢.

(١٤) ذيل طبقات الحنابلة ٤٥٠/٢.

٩٤. نكاح المحرم: ذكره ابن رجب^(١).

٩٥. نور المؤمن وحياته: ذكره ابن رجب^(٢)، وابن العماد^(٣).

٩٦. هداية الخيارى في أجوبة اليهود والنصارى: طبع مرارا.

وبهذا تم ثبت مؤلفات الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله .

والحمد لله الذي تشرعنا الصالحات

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٤٥٠/٢

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٤٥٠/٢

(٣) شذرات الذهب ١٦٨/٦



الباب الثاني داسة الكتاب

ويتكون هذا الباب من فصلين :

— الفصل الأول : التعريف بالكتاب

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : اسم الكتاب وموضوعه

أولاً / اسم الكتاب :

اشتهر هذا الكتاب بتسمية معروفة عند كثيرين من أهل العلم وهذه التسمية هي (التبيان في أقسام القرآن) بل قد طبع الكتاب بهذه التسمية .

وبعد النظر في الكتب التي ترجمت للإمام بن القيم ، وأيضاً للكتب التي تحدثت عن العلوم والمصنفات وجدت أن هذا الكتاب قد عرف بأكثر من تسمية عند العلماء ، وهذه التسميات هي :

— التبيان في أقسام القرآن .

— أقسام القرآن .

— إيمان القرآن .

وقد أشار الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى إلى هذه التسميات في كتابه (الداء والدواء) .

فقال رحمه الله :

(وقد ذكرنا وجه الاستدلال بذلك في كتاب (إيمان القرآن) عند قوله (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون) ^(١) ..

وفي طبعة أخرى :

(وقد ذكرنا معنى ذلك وسر الإقسام به في كتاب التبيان في أقسام القرآن) ^(٢) ..

وفي طبعة أخرى :

(وقد ذكرنا معنى ذلك وسر الإقسام به في كتاب أقسام القرآن) ... ^(٣)

فهذا الكلام من الإمام ابن القيم رحمه الله عن كتابه يدل على أنه سماه باسمه مصرحاً به تارة وأخرى مختصراً باسم (أقسام القرآن) ، وثالثة باسم (إيمان القرآن) فهذا يدل على أنه مسمى لكتاب واحد وليس لكتب متعددة كما وهم البعض فجعلها كتابين مثل : البغدادي في (هدية العارفين) ^(٤) فقد عدّه كتابين أحدهما باسم التبيان في أقسام القرآن ، والآخر (إيمان القرآن) .

وعندما قمت بجمع النسخ المخطوطة لهذا الكتاب وجدته قد سمي بعدة مسميات وهي :

— التبيان في أقسام القرآن ، كما في نسخة دار الكتب المصرية .

— التبيان في إيمان القرآن : كما في نسخة جامعة برنستون .

— أقسام القرآن والكلام على ذلك : كما في نسخة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ،

وكما في نسخ من مصورات جامعة الرياض .

^(١) الداء والدواء : ص (٥٦) طبعة دار ابن الجوزي وهي طبعة حديثة محققة على أصل خطي .

^(٢) الداء والدواء ص (٢٧١) طبعة دار المدني .

^(٣) الداء والدواء ص (٣٠٩) طبعة دار ابن الجوزي .

^(٤) هدية العارفين (١٨٥/٢)

وبعد النظر في المخطوطات أيضاً وجدت أن ابن القيم رحمه الله تعالى قد سمي كتابه في مقدمته والتي توجد في نسختين خطيتين فقط وهي ساقطة من النسخ الأخرى سماه (التبيان في أيمان القرآن) .

وبعد وقفة حيرة وتأمل من تعدد هذه التسميات ، اخترت ما سمي ابن القيم به كتابه في مقدمة كتابه وهذه التسمية هي :

(التبيان في أيمان القرآن)

وذلك للأسباب التالية :

- هذه التسمية هي التي اختارها الإمام رحمه الله لكتابه ويتضح ذلك من خلال مقدمته .
- هذه التسمية ثابتة في أقدم النسخ وهي نسخة دار الكتب المصرية وهي مكتوبة بعد وفاة المؤلف بستة عشر عاماً تقريباً ومثبت أيضاً على طرة نسخة جامعة برنستون أيضاً .
- يظهر لي والعلم عند الله تعالى — أن التسميات الموجودة على طرة كل مخطوطة مبنية على اجتهاد النساخ والدليل على ذلك هو اختلافها بين النسخ .
- هذا ما ترجح لدي واستنتجته مما بين يدي .

ثانياً / موضوع الكتاب :

أما موضوع الكتاب فكما هو واضح من التسمية فهو يتحدث عن القسم أو اليمين في القرآن الكريم حيث يذكر رحمه الله تعالى الآيات التي ورد فيها القسم ويبين المقسم والمقسم به

والمقسم عليه ويذكر جواب القسم بعد ذلك إن وجد وقد اقتصر المؤلف رحمه الله في كتابه على ذكر القسم الصريح ولم يتعرض لغير الصريح وكان يركز على الناحية الشرعية في القسم وإثبات المقسم عليه مع شيء من الاستطرادات المفيدة والطويلة أحياناً كما عند قوله تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) وإن كانت هذه الاستطرادات خارجة عن مقصود الكتاب .

المبحث الثاني توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف

هذا الكتاب ثابتة نسبه إلى ابن القيم بلا أدنى شك وذلك للأمور التالية :

أولاً : نسب هذا الكتاب إلى نفسه ابن القيم فقد أشار رحمه الله تعالى إلى أنه ألف كتاباً في

أقسام القرآن ، بل وأشار إلى بعض ما كتبه فيه كما تقدم عند الحديث عن تسمية الكتاب .

ثانياً : أغلب من ترجم للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى يذكر هذا الكتاب من ضمن

مؤلفاته وهذا يدل دلالة واضحة على شهرة الكتاب وصحة نسبه إليه .

ثالثاً : نقل بعض العلماء منه .

وممن وقفت عليه ممن نقل عن ابن القيم رحمه الله : الإمام السيوطي في كتابه الجامع

المانع : الإتيان في علوم القرآن في النوع السابع والستون (في أقسام القرآن)

حيث ذكر في البداية أن لابن القيم كتاباً أفردته بالتصنيف في هذا الموضوع وأنه في مجلد .

ثم بعد ذلك نقل منه عدة نقولات ، وبالمقارنة بين ما نقله وبين الكتاب الأصل نجد التطابق

وانظر الاتقان (٤/٤٦-٥١) .



المبحث الثالث منهج المؤلف في كتابه

لا شك أن الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى قد أبدع وأجاد في هذا الكتاب وليس بمستغرب هذا الأمر عليه فهو جبل راسخ من جبال العلم وكنيف ملئ علماً كما يقال ..
وعند قراءتي للكتاب استطعت أن أخلص إلى بعض النقاط التي تدل على ملامح منهجه الذي سلكه في كتابه :

أولاً : سلك المؤلف رحمه الله تعالى المسلك الاستقرائي للآيات التي ورد فيها القسم وأعطى خلاصة مفيدة عن القسم في القرآن .

✚ فبين أن الله سبحانه يقسم بأمر على أمور وقسمه سبحانه بذاته الموصوفة بصفاته وآياته المستلزمة لذاته وأقسامه ببعض مخلوقاته يدل على أنه من عظيم آياته .
✚ ثم بين المقسم عليه .

وهو :

- أ — قسمه على أصول الإيمان .
- ب — قسمه على التوحيد .
- ج — قسمه على أن القرآن حق .
- د — قسمه على أن الرسول حق .
- هـ — قسمه على الجزاء والوعد والوعيد .
- و — قسمه على حال الإنسان .

ثم تحدث عن جواب القسم وأنه قد يذكر تارة ، وأنه يحذف تارة أخرى لأنه قد علم بأنه يقسم على هذه الأمور (التوحيد والنبوة والمعاد) .

ثانياً : ذكر الآيات التي ورد فيها القسم على سبيل الاختصار ، مع بيان المقسم والمقسم عليه وجواب القسم إن كان مذكوراً أو محذوفاً .

ثالثاً : التفصيل بعد الإجمال حيث ذكر كل آية ورد فيها القسم ، بل ولم يكتف بذلك بل إنه فسر هذه الآيات وذكر أقوال السلف فيها بل ورجح غالباً في المعنى المراد من الآية .

رابعاً : الاستطراد في ذكر بعض الفوائد المتعلقة بالآيات حتى إنه أفرد للاستطراد فصلاً وبين معناه وذكر أنواعه ولعله رحمه الله قد أظهر في هذا الاستطراد الشخصية العلمية العارفة بكثير من الفنون والعلوم ويظهر ذلك جلياً في حديثه عن قوله تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) .

خامساً : كثرة الاستشهادات التي استشهد بها المؤلف على كثير من كلامه وهذه الاستشهادات :

١- إما بالآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية والتي تدل على علم واسع بالقرآن والسنة

٢- وإما بكلام السلف وهو كثيراً ما ينقل عنهم معاني الآيات والمراد بها .

٣- وإما بكلام أهل اللغة ، وأهل الشعر لأن العربية هي لغة القرآن .

سادساً : النقد والتمحيص لما يذكره من أقوال ، وبيان الصحيح من الضعيف ، سواء كان

في الكلام على الأحاديث والآثار المروية عن السلف ، أو في بعض اعتراضاته على أهل اللغة والعربية ، أو في كلامه في الأمور الطبية وعلم الأجسام وعلم النفس .

المبحث الرابع أهمية الكتاب

نزل القرآن الكريم بلغة العرب كما حدثنا بذلك منزله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَشَرِّيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (١) .

والعرب اتخذت أساليب في كلامها لأغراض وحكم عبروا عنها في أقوالهم الثرية منها والشعرية .

ومن الأساليب العربية الشائعة القسم و مما يؤكد هذا الكتاب الذي ألفه أبو إسحاق النحيرمي وهو كتاب : (أيمان العرب في الجاهلية) وهو كتاب مطبوع (٢) .

ولما لهذا الأسلوب العربي من قوة ، ولكون القرآن الكريم نزل بلغة العرب ألف العملاء المؤلفات التي تبرز هذا الأسلوب وتبينه أشد البيان ، ومن صال وجال في هذا الميدان فارس من فرسان العربية ، وعالم من علماء الشريعة ألا وهو الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى فألف كتابه الموسوم بـ (التبيان في أيمان القرآن) وحاز به قصب السبق على المتقدمين والمتأخرين إذا لم يصل إلينا من تلك الكتب إلا هذا الكتاب .

ولعل أهمية هذا الكتاب تبرز من النواحي التالية :

أولاً / كونه الكتاب الوحيد — حسب اطلاعي وعلمي — الذي وصل إلينا في هذا الموضوع ، وإن كان هناك من سبقه من المتقدمين في التأليف ومنهم : عبدالله بن ذكوان (٢٤٢هـ) من مشاهير القراء في كتابه : (أقسام القرآن وأجوبتها) ، ولم يصلنا هذا الكتاب ، وكذلك كتاب (الأيمان) لثعلب ، ولم يصل إلينا أيضاً (٣) .

ومن كتب فيه بعد الإمام ابن القيم من المتأخرين محمد بن طولون (٩٥٣هـ) في كتابه (خلاصة البيان في أيمان القرآن) ولم أطلع عليه (٤) .

(١) سورة الشعراء الآيات (١٩٢ - ١٩٥) .

(٢) أساليب القسم والشرط (١ / ص ب) .

(٣) انظر أساليب القسم والشرط في القرآن الكريم ، د. أحمد الهيبي (١ / ص ب) رسالة جامعية غير منشورة .

(٤) انظر القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية د. علي الحارثي (١ / ص ج) رسالة جامعية غير منشورة .

ومن كتب فيه أيضاً من المتأخرين جداً ، الشيخ حميد الدين عبد الحميد الفراهي الأنصاري الهندي (١٣٤٩ هـ) في كتابه (إمعان في أقسام القرآن) وهو مطبوع عدة طبعات^(١) ، وقد تكلم في كتابه هذا على معنى القسم والحلف والإيلاء ، واقتصر على ما يتعلق بالمقسم به من حيث التقديس والاستدلال وأنه خفي على كثير من العلماء ، وعرض نصوصاً من الإنجيل على سبيل المثال ، واقتصر على عرض بعض الآيات^(٢) .

ثانياً / عدم اقتصار الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى على أركان القسم فقط في حديثه على آيات القسم ، بل أفاض من علمه في تفسير الآيات التي عرض لها ، ذاكراً لاختلاف أوجه النظر في بعض الآيات ، ومرجحاً لما يراه الصواب من تلك الأقوال ، مع تدعيمه ذلك بالأدلة .

ثالثاً / أظهر الإمام ابن القيم — رحمه الله — في حديثه عن القسم ، بلاغة وفصاحة النص القرآني ، وما يتضمنه ذلك القسم من أحكام شرعية ، ودعم ذلك بما يشهد له من القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، ومن لغة العرب ، وكذلك من أقوال أهل العلم .

رابعاً / اقتصار المؤلف — رحمه الله تعالى — في كتابه على الكلام على القسم الصريح ، وإغفاله الحديث عن القسم غير الصريح ، ولعل ذلك لأن أكثر الأقسام غير الصريحة جاءت مقترنة بالشرط ، وهو إنما قصد في كتابه القسم الصريح ودلالاته فقط .

هذه بعض الأمور التي تدل على أهمية هذا الكتاب ، ولعل المتأمل لهذا الكتاب والقارئ فيه يجد أموراً أخرى .

(١) طبع هذا الكتاب عدة طبعات أولها : في المكتبة السلفية بالقاهرة ، سنة ١٣٤٩ هـ ، وآخرها : دار القلم في بيروت عام (١٤١٥ هـ) بعناية : د. عبيد الله الفراهي .

(٢) انظر : أساليب القسم والشرط (١ / ص ج) .

وقد اطلعت على رسائل جامعية في هذا الموضوع وهي :

- ١) آيات القسم في القرآن الكريم ، لأحمد كمال المهدي . جامعة الأزهر ١٣٨٨ هـ .
- ٢) أساليب القسم والشرط في القرآن الكريم . د. أحمد بن عبدالعزيز اللهيبي . جامعة الأزهر ١٣٩٥ هـ .
- ٣) أساليب القسم في اللغة العربية لكاسم فتحى الراوي الجامعة المستنصرية بغداد ١٣٩٧ هـ .
- ٤) أسلوب القسم في القرآن الكريم ، لهواطف يوسف الزبيدي ، جامعة الأزهر (بدون تاريخ) .
- ٥) القسم في القرآن الكريم ، لخالد سيفي جامعة أم القرى (١٤٠٢ - ١٤٠٣ هـ) .
- ٦) أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية . د. علي الحارثي . جامعة أم القرى (١٤١١ هـ) .

المبحث الخامس

مصادر المؤلف في كتابه

جمع الله سبحانه وتعالى للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى من الحفظ والذكاء وقوة الذاكرة وكثرة الاطلاع ، وجمع من الكتب ما لا يتوفر لغيره بل كان رحمه الله تعالى أيضاً جيد التصنيف حتى ولو كان بعيداً عن كتبه كما في كتابه الجميل الرائع (زاد المعاد) فقد ألفه في سفره .
وهكذا في كتابه الماتع (التبيان) فقد أبان فيه عن عالم متبحر في شتى العلوم ، وناقد بارع مطلع متمكن .

وها أنا ذا أشير هنا إلى المصادر التي اعتمد عليها الإمام ابن القيم في كتابه (التبيان) .

(١) القرآن الكريم والسنة النبوية .

فلا غنى لمؤلف وكاتب عنهما أبداً ، فمن أراد التسديد في كتابته فعليه بالاعتماد على هذين المصدرين فهما وحي صادق .

(٢) تفسير البسيط للإمام الواحدي .

حيث اعتمد عليه الإمام ابن القيم في تفسيره للآيات اعتماداً كبيراً ، ونقل عنه كثيراً ، وهذا الكتاب وهو كتاب الواحدي لم ير النور بعد حيث لا يظل حبيس الأرفف وهو كتاب قيم جداً ، ولا أدل على ذلك من نقل ابن القيم عنه كثيراً .

(٣) تفسير غريب القرآن ، وتأويل مشكل القرآن .

وكلاهما لابن قتيبة رحمه الله تعالى ، وقد نقل عنهما أيضاً الإمام ابن القيم في كتابه في مواضع عديدة .

(٤) الروايتين والوجهين ، للقاضي أبو يعلى الحنبلي رحمه الله تعالى .

وقد نقل عنه الإمام ابن القيم في موضع واحد ، وكلامه الذي نقله ابن القيم موجود أيضاً في كتاب آخر له وهو (إبطال التأويلات لآيات الصفات) وقد أشرت إلى ذلك في موضعه .

(٥) نقض الدارمي على بشر المريسي . للإمام عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله تعالى . وقد نقل عنه ابن القيم في مواضع .

(٦) التمهيد للإمام ابن عبد البر النمري القرطبي المالكي رحمه الله تعالى .

وقد نقل عنه الإمام ابن القيم في كلامه على كتاب النبي ﷺ إلى عمرو بن حزم .

(٧) تهذيب اللغة ، للإمام الأزهري رحمه الله تعالى .

وقد نقل عنه في مواضع كثيرة في بيان بعض المفردات وفي نقل بعض الأقوال المنسوبة إلى الليث ، وإلى المبرد .

(٨) الصحاح للجوهري رحمه الله تعالى .

وقد نقل عنه في عدة مواضع في بيان المراد ببعض المفردات .

(٩) كتب معاني القرآن ، مثل :

معاني القرآن للفراء ، ومعاني القرآن للنحاس ، ومعاني القرآن للأخفش ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج .

حيث نقل عنها في عدة مواضع وكان يعترض على كلام البعض ويوجه البعض الآخر ويرجح ما يراه الصواب ويبين ذلك بالأدلة والبراهين .

(١٠) مجاز القرآن لأبي عبيدة .

وإن كان لم يصرح باسم الكتاب وإنما ينقل قول أبي عبيدة وقد وجدت كثيراً من كلامه في هذا الكتاب ، ولعله أيضاً قد نقل عنه من كتب أخرى لعل بعضها غير موجود الآن .

(١١) الكشف للزمخشري .

وقد نقل عنه في مواضع ، وذكر أحياناً اعتراضات أبي حيان عليه في البحر المحيط ، وقد يرجح أحياناً ما كتبه الزمخشري ، وأحياناً ما كتبه أبو حيان مع أنه لم يصرح باسم أبي حيان إطلاقاً وإنما يذكره بقوله : " وقد اعترض عليه بعضهم " .

(١٢) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي .

حيث نقل عنه في مواضع في الكلام على بعض القراءات الواردة وتوجيهها .

(١٣) الرسالة للإمام الشافعي .

حيث نقل عنها في موضع واحد .

(١٤) نقولات كثيرة وإشارات إلى كلام شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه

الله تعالى . فقد كان يستأنس كثيراً بكلام شيخه بل وينقل عنه أحياناً ولا يشير إليه .

(١٥) نقله أيضاً وإشارته إلى بعض كتبه

مثل : روضة المحيين ، وإعلام الموقعين ، وزاد المعاد ، والصواعق المرسلات ، وهداية الحيارى ، وشفاء العليل ، وغيرها .

(١٦) في الأمور الطبية : استفاد ممن ألف في الطب قبله من مثل : علي بن

عبدالكريم الحموي (٧٢٠هـ) في كتابه : (الأحكام النبوية في الصناعة الطبية) ، والإمام الذهبي (٧٤٨هـ) في كتابه : (الطب النبوي)^(١) .

كما أنه أشار إلى صاحب القانون ، وإلى أبقراط وجالينوس وأرسطو وغيرهم .

هذا ما ظهر لي أثناء قراءتي لهذا الكتاب ودراسته ، ولعله يظهر أشياء أخرى للمتأمل

والمتفحص الدقيق .

هذه بعض ملامح منهج الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه ومصادره وموارده .

(١) أشار إلى ذلك أحمد البكري في كتابه (ابن القيم من آثاره العلمية) .

الفصل الثاني

دراسة النسخ الخطية للكتاب

عثر على نسخ كثيرة للكتاب منها ما استطعت الحصول عليه وهو الأكثر ومنه ما لم استطع الوصول إليه إما لبعده أو لصعوبة الحصول عليه مع أني قد بذلت في سبيل الحصول عليها ما أستطيع ولكن لم أجد سبيلاً لذلك .

وقفت على تسع نسخ خطية واثنان لم أستطع الوقوف عليها وإليك ذكر هذه النسخ على سبيل الإجمال ثم بعد ذلك أفصل في بيان وصفها :

- (١) نسخة دار الكتب المصرية ، ولها صورة ميكروفيلمية في الجامعة الإسلامية .
- (٢) نسخة جامعة برنستون ، ولها صورة ميكروفيلمية في مركز إحياء التراث بجامعة أم القرى .
- (٣) نسخة المكتبة المحمودية وهي محفوظة في مكتبة الملك عبد العزيز في المدينة النبوية .
- (٤) ست نسخ خطية محفوظة في جامعة الملك سعود (جامعة الرياض سابقاً) مصورة عن الإفتاء .

أما النسخ التي لم أستطع الحصول عليها وهي نسختان :

- (١) نسخة محفوظة بمكتبة برلين الغربية .
 - (٢) نسخة محفوظة في مكتبة شهيد علي باشا في تركيا .
- وبعد الإجمال يأتي التفصيل :

(١) نسخة دار الكتب المصرية :

وهذه النسخة موجودة في دار الكتب المصرية بالقاهرة وهي موجودة فيه برقم (٤٤٨٥) ، والكتاب فيه ضمن مجموع .

وعدد أوراق هذه النسخة (١٥٣) ورقة ، وقد كتبت هذه النسخة في عام (٧٦٧ هـ) أي بعد وفاة المؤلف بستة عشر عاماً فهي بذلك أقدم النسخ وأقربها إلى المؤلف ، أما ناسخها فهو أحمد بن عيسى القاسمي المقدسي .

ولهذه النسخة صرة ميكروفيلمية في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية برقم (٧١٦٩) .

وهذه النسخة هي أقدم النسخ ، وهي نسخة كاملة حيث يوجد فيها مقدمة الكتاب والتي هي ساقطة في أكثر النسخ ، وعليها حواشي وتصحيحات .

وقد اعتمدت هذه النسخة لتكون هي الأصل ورمزت لها بالأصل .

(٢) نسخة جامعة برنستون :

وهي نسخة موجودة في جامعة برنستون الأمريكية (مجموعة يهودا) وهي موجودة فيه برقم (٤٥٧٩) .

وعدد أوراق هذه النسخة : (٩٤) لوحة .

وهذه النسخة لها صورة ميكروفيلمية في مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى برقم (٧٣٧) .

وهي نسخة فيما يبدو أنها منقولة عن النسخة الأصل حيث بينهما توافق كبير جداً وفيها مقدمة المؤلف التي سقطت من كثير من النسخ ، وفيها سقط كبير عند الحديث حول قوله تعالى : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ .

وقد جعلت هذه النسخة هي إحدى النسخ المقابلة وذلك لوجود مقدمة المؤلف فيها ولكونها مطابقة تقريباً للنسخة الأصل حيث لم تحالفها إلا في الكلام حول قوله تعالى : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ فقد اختصر الكلام عليها وحذف الاستطراد الذي استطرده المؤلف في الكلام عليها .

(٣) نسخة المكتبة المحمودية :

وهي نسخة موجودة في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ، وهي موجودة فيها برقم (٨٨) ، وعدد أوراق هذه النسخة (١٥٩) ورقة ، وخطها نسخي جميل ، وتاريخ نسخها في القرن التاسع ، ولم يرد عليها اسم الناسخ الذي نسخها .

وهي نسخة جيدة ومصححة وعليها بلاغات ، وهذه النسخة كاملة لا ينقصها إلا مقدمة المؤلف التي سقطت في كثير من النسخ وقد اعتمدت هذه النسخة في المقابلة لجودتها وقرب عصرها من المؤلف ورمزت لهذه النسخة بالرمز (م) .

(٤) نسخة جامعة الرياض (الملك سعود حالياً) :

ومصدرها : المكتبة العامة السعودية بالرياض .

ورقمها : ٨٦/٥٢٣ .

وعدد أوراقها : (١٤٢) ورقة .

وتاريخ نسخها : في القرن الثالث عشر الهجري تقديراً ، وناسخها هو : محمد بن أحمد بن نصر الله بن فوزان بن نصر الله بن عيسى .

وهي نسخة جيدة ، بها آثار رطوبة خفيفة ، والورقة الأخيرة بها خروم . وجاء بآخرها أنه بلغ مقابلتها على الأصل ، وفي بعض الهوامش تصحيحات وبلغ مقابلتها سنة ١٢٤٨ هـ .

وقد اعتمدت هذه النسخة أيضاً للمقابلة وقد رمزت لها بالرمز (ق) .

وهذه النسخ السابقة هي التي اعتمدها للمقابلة مع الأصل ، واستبعدت النسخ الباقية وذلك لكونها متأخرة في الكتابة وهي متوافقة غالباً مع نسخة الرياض السابقة ، وأيضاً هناك نقص في بعضها ولذلك أعرضت عنها ، ولكني سأذكر نبذة عن كل نسخة من هذه النسخ :

٥) نسخة جامعة الرياض :

ومصدرها : المكتبة العامة السعودية بالرياض .

ورقمها : ٨٦/٤٤١ .

وعدد أوراقها : (١٤١) ورقة .

وتاريخ نسخها : القرن الثالث عشر الهجري تقديراً . وليس فيها اسم الناسخ .

وهي نسخة جيدة ، خطها نسخي حسن .

وبعد التأمل في هذه النسخة وجدتها لا تختلف عن النسخة السابقة بل لعلها منقولة عنها .

٦) نسخة جامعة الرياض :

ومصدرها : المكتبة العامة السعودية بالرياض .

ورقمها : ٨٦/٢٥٣ .

وعدد أوراقها : (١٢٢) ورقة .

وتاريخ نسخها : أوائل القرن الرابع عشر الهجري تقديراً ، وليس فيها اسم الناسخ .

وهي نسخة حسنة ناقصة الآخر ، بها آثار رطوبة طفيفة وخطها نسخي حسن .

٧) نسخة جامعة الرياض :

وهي من مخطوطات جامعة الرياض .

ورقمها : ١٦٨٧ .

وعدد أوراقها ك (٩٨) ورقة .

ولم يذكر عليها تاريخ النسخ ولا اسم الناسخ .

وهي نسخة حسنة وبها نقص من الآخر وفي الأثناء ، وبها آثار رطوبة وأطراف بعض

الأوراق غير متساوية ، وفي بعض الهوامش تصحيحات .

(٨) نسخة جامعة الرياض :

وهي من مخطوطات جامعة الرياض .

ورقمها : ٢٧٦١ .

وعدد أوراقها : (٦) ورقات فقط .

وتاريخ النسخ : القرن الثاني عشر الهجري تقديراً .

وبعد النظر في هذه النسخة والتأمل فيها تبين لي أنها ليست من نسخ الكتاب بل هي في

مجال آخر ومواضيع أخرى منها : أنواع الخطاب في القرآن ، وأنواع الأمثال في القرآن .

(٩) نسخة جامعة الرياض :

وهي موجودة في مكتبة جامعة الرياض .

وعنوان النسخة : كتاب أقسام القرآن والكلام على ذلك .

وتاريخ النسخ : القرن الثالث عشر الهجري تقديراً .

وهي نسخة ناقصة حيث انتهى الكلام فيها إلى فصل : والأقلام متفاوتة في الرتب . . .

هذه النسخة هي ملك للجوهرية بنت تركي بن عبدالله آل سعود وقد وقفت هذا الكتاب

لوجه الله طلباً للثواب . وذلك في عام (١٢٨١هـ) .

(١٠) النسخة المطبوعة :

وهي النسخة التي قام بطبعها الشيخ / محمد حامد الفقي عليه رحمة الله والذي كانت له

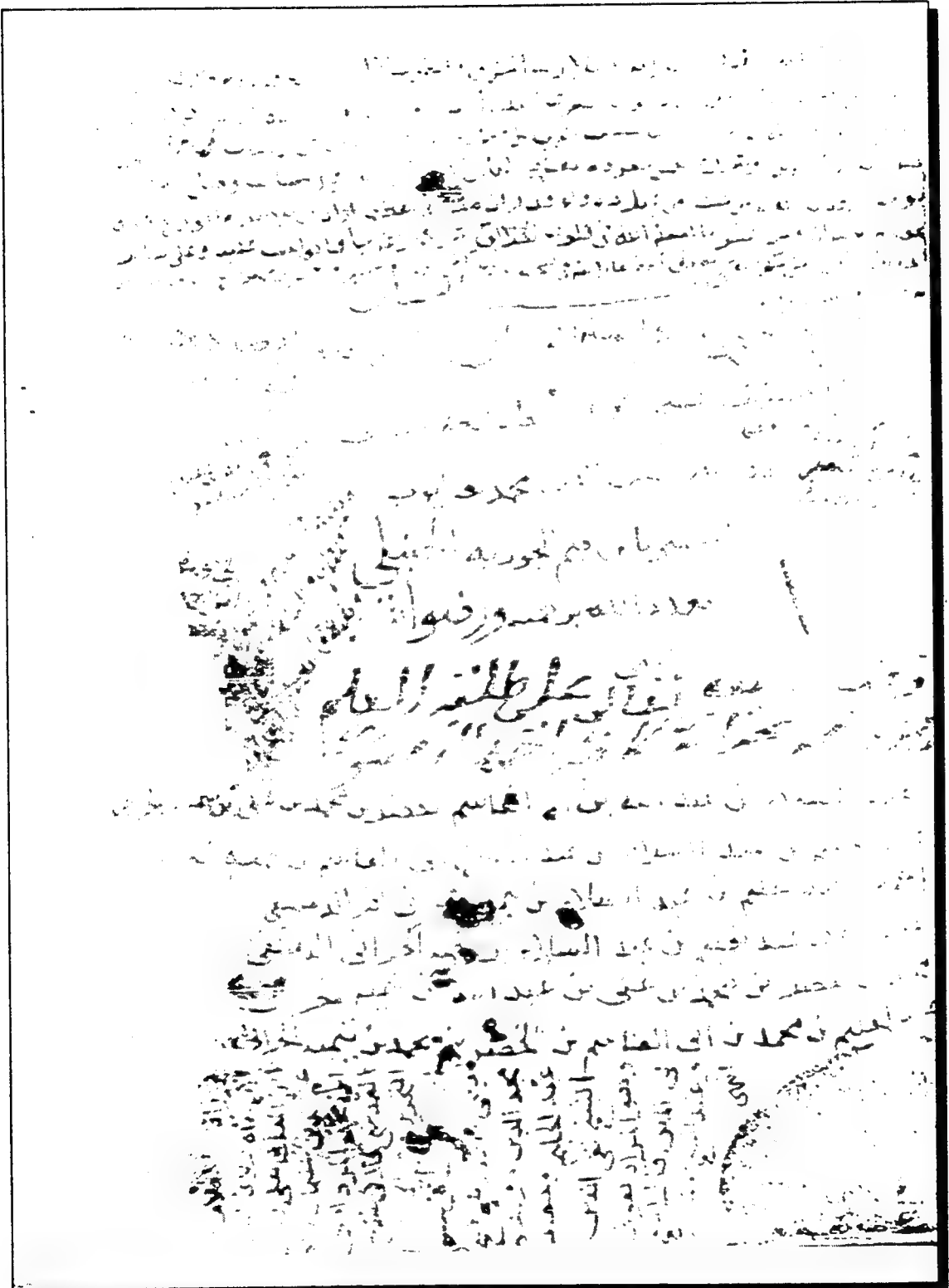
اليد الطولى في نشر كتب السلف وخصوصاً كتب شيخ الغسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم

رحمهما الله تعالى .

وهذه النسخة المطبوعة طبعت عام (١٣٥٢هـ) .

ولم أحصل على النسخة المطبوعة في ذلك العام ولكن حصلت على نسخة مصورة عنها
صورتها دار المعرفة في بيروت ، وتقع في (٤٣١) ص من القطع المتوسط .
وتبين لي بعد المقارنة أنه نسخها عن نسخة مقاربة لنسخة المحموية ونسخة جامعة الرياض
فإن بينها توافقاً كبيراً .
وقد رمزت لهذه النسخة بالمطبوعة .

من النسخ المعتمدة في التحقيق



صفحة الغلاف من النسخة (الأصل)

نسخة دار الكتب المصرية



هذا كتاب التام

في التمان البقران المسوط
برسم الله وذكروا فيه قريب
آخرة كنعنة كنعنة الارض
ورب كنعنة عند قورق
وحي اليك ربكم وما
تؤمنون وفي التمان
اقول لكم ما سمعتم
في هذه الدنيا
التي

التي هي في هذه الدنيا
في هذه الدنيا

فمن انتقا الحرج فالخرج صانع واللبس سرور
 وحوادي لا يلزم من انتقا الحرج حصوله مجرد
 انتقا بهاد قد يتنفي الحرج ويبقى القلب فارغا
 منه من الرضا والتسليم فتأمله وعند هذا
 علم ان الرب تبارك وتعالى أفتسم على انتقا ايمان
 أكثر الخلق وعند الامتحان يعلم مثل هذا ان هو
 اللبنة هل هي موجودة في قلب أكثر من بلدي السلام
 ام لا واسمى ثلث معاد وعليه التكاليف
 ولا حول ولا قوة الا بالله تعالى العظمة قسما
 بسويع الوكيل
 وللمسألة هذه وهي تسمى بساكنة والهمزة لم

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والحمد لله رب العالمين



التَّبَيَّنَاتِ

فِي
أَقْسَامِ الْقُرْآنِ

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

دار المعرفة
بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

Journal of Management Studies, 19(6), 707-728.

(۱) فصل

—

1. The first step is to identify the problem or question that needs to be answered. This involves understanding the context and the specific requirements of the task.

[illegible]

the 1990s, the number of people in the world who are under 15 years of age is expected to increase from 1.1 billion to 1.5 billion. The number of people aged 65 and over is expected to increase from 200 million to 400 million. The number of people aged 15 and over is expected to increase from 3.5 billion to 4.5 billion. The number of people aged 15 and over is expected to increase from 3.5 billion to 4.5 billion. The number of people aged 15 and over is expected to increase from 3.5 billion to 4.5 billion.

- ٣١ -

ذلك أيضا حتى يتضاف اليه مقابلة حكمه بالرضي والتسليم ، ورسم
 منعه ، ونقاء المعارضة والاعتراض ، فهذا هو الحكم الرضائي
 منعه ، ورسم من حكمه ، ولا يلزم من منعه الخراج الرضائي
 والتسليم ، ولا انقياد الرضا بحكمه ، ويتبقى الخراج عنه في حكمه ،
 ولكن لا ينفاد عليه ولا يرضى كل الرضى حكمه ، والتسليم أحسن من
 منعه الخراج ، والخراج مانع ، والتسليم أمر وجوب ، ولا يلزم من
 منعه الخراج منعه من الخراج ، لا قد يتبقى الخراج ويرى القابل
 وإن كان من الرضى به والتسليم له ، فلهذا

هذا ، هذا يعلم أن الرضا ليس له ، وإنما هو التسليم ، وهذا هو
 الحكم الحقيقي ، وبعد لا مجال تعلم هل هذه الأمة ، ولا غيرها ، جملة
 من يرضى أكثر من يرضى للإسلام أم لا ؟

فإن المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والله أعلم بالصواب ، وهذا هو الحق ، وعلى من شاء أن يتبعه .

والله أعلم بالصواب ، وهذا هو الحق ، وعلى من شاء أن يتبعه .

والله أعلم بالصواب ، وهذا هو الحق ، وعلى من شاء أن يتبعه .

النبأ

في إعفاء الفقر

(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين ، وقيوم السماوات والأرضين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بالكتاب المبين ، الفارق بين الغي والرشد ، والهدي والضلال ، والشك واليقين ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، صلاة دائمة بدوام السماوات والأرضين وبعد :

فهذا كتاب صغير الحجم ، كبير ^(٢) النفع فيما وقع في القرآن العزيز من الإيمان والأقسام والكلام عليها يمينا ^(٣) وارتباطها بالمقسم عليه وذكر أجوبة القسم المذكورة [و] المقدرة وأسرار هذه الأقسام ، فإن لها شأنًا عظيمًا يعرفه الواقف عليه في هذا الكتاب وسميته كتاب **التبيان في إيمان القرآن** والله المسئول أن ينفع به من قرأه وكتبه ونظر فيه وأن يجعله خالصاً لوجهه ^(٤) سبباً لمغفرته فما كان فيه ^(٥) من صواب فممن الله فضلاً ومنة ، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله [بريئان] ^(٦) منه ، فيا أيها القارئ لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه ولم يأل في معرفة المراد والله ولي التوفيق والسداد هو حسبنا ونعم الوكيل ^(٧) .

(١) زاد في (ب) رب يسر ، وفي (ق) والمطبوع : وبه أستعين .

(٢) في (ب) : كثير .

(٣) في هامش الأصل : أي من حيث إيمانين .

(٤) في (ب) زيادة : الكريم .

(٥) سقط من (ب) .

(٦) ما أثبتته من (ب) وفي الأصل : براءان .

(٧) هذه المقدمة برمتها ساقطة من (م) و (ق) والمطبوع .

ففي (م) : بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد وآله وسلم . فصل . . . الخ .

وفي (ق) : بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه أستعين . فصل . . . الخ .

وفي المطبوع : بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه أستعين . الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ، وعلى آله وصحبه . فصل . . . الخ .

﴿ فصل في أقسام القرآن ﴾^(١)

اعلم أن الله ^(٢) سبحانه يقسم بأمور على أمور وإنما يقسم بنفسه الموصوفة بصفاته أو آياته المستلزمة لذاته وصفاته ، وإقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته .

فالقسم إما على جملة خبرية — وهو الغالب — كقوله تعالى ^(٣) ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ ^(٤) .

وإما على جملة طلبية كقوله (عز وجل) ^(٥) : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) ﴾ ^(٦) . مع أن هذا القسم ^(٧) قد يراد به تحقيق المقسم عليه ، فيكون من باب الخبر ، وقد يراد به تحقيق المقسم .

والمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه ، فلا بد أن يكون مما يحسن فيه ذلك كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها . فأما الأمور المشهودة الظاهرة ^(٨) كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها .

وما أقسم عليه الرب (سبحانه) ^(٩) فهو من آياته / فيجوز أن يكون مقسماً به [١/٢] ولا ينعكس .

فهو سبحانه يذكر جواب القسم تارة وهو الغالب .
وتارة يحذفه ، كما يحذف جواب " لو " كثيراً .

(١) ساقط من الأصل و (ب) ومثبت في النسخ الأخرى وفي المطبوع .

(٢) في (م) و (ق) والمطبوع : وهو سبحانه يقسم . . . الخ .

(٣) قوله : (تعالى) ساقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(٤) سورة الذاريات آية (٢٣) .

(٥) الجملة الطلبية : هي التي تكون أمراً أو نهيّاً أو تمنياً أو ترجيحاً ، أو استفهاماً ، أما الخبرية : فما أخبرت عن شيء حصل أو لم يحصل . انظر : البلاغة الواضحة ص (١٣٩) و (١٧٠) .

(٦) قوله : (عز وجل) سقط من (م) و (ق) وفي المطبوع : كقوله تعالى .

(٧) سورة الحجر ، الآيتان (٩٢ - ٩٣) .

(٨) (القسم) ساقط من المطبوع .

(٩) في المطبوع : فأما الأمور الظاهرة المشهورة .

(١٠) قوله (سبحانه) ، وكذا : (تعالى) : سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

قوله (تعالى) (١) : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) ﴾ (٢) .

وقوله (تعالى) : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ﴾ (٣) .

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ ﴾ (٤) .

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ فُرِغُوا فَلَا فَوْتَ ﴾ (٥) .

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ ﴾ (٦) .

ومثل هذا حذفه من أحسن الكلام لأن المراد أنك لو رأيت ذلك لرأيت (٧) هولاً عظيماً ، فليس في ذكر الجواب زيادة على ما دل عليه الشرط ، وهذه عادة الناس في كلامهم إذا رأوا أموراً عجيبة وأرادوا أن يخبروا بها الغائب عنها ، يقول أحدهم : لو رأيت ما جرى يوم كذا بموضع كذا .

ومنه قوله تعالى (٨) : ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) ﴾ (٩) .

فالمعنى في أظهر الوجهين لو يرى الذين ظلموا في الدنيا إذ يرون العذاب في الآخرة ، والجواب محذوف ثم قال بعد ذلك (١٠) أن القوة لله جميعاً كما قال (١١) : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ فُرِغُوا فَلَا فَوْتَ ﴾ ، ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ ﴾ أي لو ترى ذلك الوقت وما فيه .

(١) قوله (سبحانه) ، وكذا : (تعالى) : سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(٢) سورة التكاثر آية (٥) .

(٣) سورة الرعد آية (٣١) . وقوله : (أو كلم به الموتى) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(٤) سورة الأنفال آية (٥٠) .

(٥) سورة سبأ آية (٥١) .

(٦) سورة الأنعام آية (٣٠) .

(٧) في (ب) طمس قوله : (لو رأيت ذلك لرأيت) .

(٨) قوله : (تعالى) سقط من (م) و (ق) .

(٩) سورة البقرة آية (١٦٥) .

(١٠) قوله : (بعد ذلك) سقط من المطبوع .

(١١) في المطبوع : زيادة (تعالى) .

وأما المقسم [عليه] ^(١) فإن الحالف قد يحلف على الشيء ، ثم يكرر القسم ولا يعيد عليه لأنه قد عرف ما يحلف ، فيقول : والله إن لي عليه ألف درهم ، ثم يقول : " ورب السماء " ^(٢) والأرض " والذي نفسي بيده وحق القرآن العظيم " ^(٣) ، ولا يعيد المقسم عليه لأنه قد عرف المراد ، والقسم لما كان يكثر في الكلام اختصر ، فصار فعل القسم يحذف ويكتفى بالباء ، ثم عوض من الباء الواو في الأسماء الظاهرة وبالتاء ^(٤) في اسم الله كقوله تعالى : ﴿ وتالله لأكيذن أصدانكم ﴾ ، وقد نقل : وترب ^(٥) الكعبة وأما الواو فكثير .



(١) زيادة من : (ق) . وهي ساقطة من الأصل وباقي النسخ . وفي المطبوع : (وأما المقسم) .
 (٢) في (م) زيادة : (ورب) .
 (٣) هذا قسم بغير الله تعالى ، والقسم بغير الله تعالى غير جائز وسيأتي الكلام عليه .
 (٤) في المطبوع : (والتاء . . .) .
 (٥) واو (وترب مثبته في الأصل و (ب) ، ساقطة من النسخ الأخرى .

﴿ فصل ﴾

{ ما يقسم الله عليه }

إذا عرف هذا فهو سبحانه يقسم على أصول الإيمان التي يجب على الخلق معرفتها^(١) :
وتارة يقسم على التوحيد ، وتارة يقسم على أن القرآن حق وتارة على أن الرسول حق ، وتارة
على الجزاء^(٢) والوعد والوعيد ، وتارة على حال الإنسان .

فالأول كقوله تعالى^(٣) : ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴾ إلى قوله ﴿ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾^(٤) ^(٥)
والثاني كقوله (تعالى) : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾^(٦) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَغْلَمُونَ عَظِيمٌ
(٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ^(٧) ^(٨) وقوله : ﴿ حم ﴾^(٩) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ^(١٠) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ
مُبَارَكَةٍ^(١١) ، و ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾^(١٢) ، إذا جعل ذلك جواب القسم كما هو الظاهر .
وإن قيل : بل الجواب محذوف كان كقوله (تعالى) : ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾^(١٣) ^(١٤)
فإنه هنا حذف الجواب ، ومن قال : إن الجواب هو قوله ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لِحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾
فقد أبعد النجعة^(١٥) .

والقسم على الرسول ﷺ كقوله ﴿ يس ﴾^(١٦) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ^(١٧) إِنَّكَ لَمِنَ
الْمُرْسَلِينَ^(١٨) ^(١٩) ، إذا قيل هو الجواب ، وإن قيل الجواب محذوف كان كما ذكر ،
ومنه (قوله تعالى) ^(٢٠) : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾^(٢١) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ
بِمَجْنُونٍ^(٢٢) ^(٢٣) .

- (١) في (ق) زيادة : (تارة بعد (معرفتها) فيصبح الكلام : (معرفتها تارة ، وتارة يقسم على التوحيد . .)
- (٢) في (م) زيادة (أن) بعد (على) .
- (٣) قوله : (تعالى) سقط من (م) و (ق) و المطبوع .
- (٤) سورة الصافات الآيات (١ - ٤) .
- (٥) سقطت هذه الآية من (ب) ، وفي المطبوع ذكر الآيات كاملة .
- (٦) سورة الواقعة الآيات (٧٥ - ٧٧) .
- (٧) سورة الدخان الآيات (١ - ٣) .
- (٨) سورة الزخرف آية (٣) ، وفي المطبوع ذكر الآيات من أول السورة .
- (٩) سورة (ص) آية (١) .
- (١٠) سيأتي الكلام قريباً على هذه الآية . ص
- (١١) سورة يس الآيات (١ - ٤) .
- (١٢) في (ق) : إذا بدل إذا .
- (١٣) قوله : (قوله تعالى) سقط من غير الأصل و (ب) .
- (١٤) سورة القلم الآيات من (١ - ٣) . وفي (م) و (ق) والمطبوع زيادة الإية (وإن لك لأجراً غير ممنون) .

ومنه : ﴿ وَالتَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) . . إلى آخر القصة ﴾ (١)

ومنه قوله (تعالى) (٢) : ﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِمَا تَبْصُرُونَ ، وَمَا لَا تَبْصُرُونَ ، إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولِ

كريم ، وما هو بقول شاعر . . . الآية ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِالْخُنُوسِ (١٥) الْجَوَارِي الْكُنُوسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَنَسَ (١٧)

وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) ﴾ (٤)

وأما القسم على الجزاء والوعد والوعيد ففي مثل قوله (تعالى) ° : ﴿ وَالذَّارِيَاتِ

ذُرُوءًا (١) ﴾ (٥) و ثم ذكر تفصيل الجزاء وذكر الجنة والنار ، وذكر إن في السماء رزقكم وما

توعدون^٦ ثم قال ﴿ فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (٢٣) ﴾ (٨) .

ومثل قوله (تعالى) (٩) : ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ غُرَفًا (١) ﴾ إلى قوله ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ

لَوَاقِعَ (٧) ﴾ (١٠) .

ومثل [قوله] (١١) : ﴿ وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) ﴾ إلى قوله ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ

لَوَاقِعَ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨) ﴾ (١٢)

(١) سورة النجم الآيتان (١-٢) . وفي (م) و المطبوع : زيادة الآية (وما ينطق عن الهوى) .

(٢) سقط من (م) و (ق) و المطبوع .

(٣) في (م) و (ق) و المطبوع : زيادة : (قليلاً ما تؤمنون) . الآيات من سورة الحاقة (٣٨-٤١) .

(٤) سورة التكويد الآيات (١٥-٢٠) . وقد سقطت هذه الآيات ما عدا الأخيرة من (م) و (ق) .

(٥) قوله : (قوله تعالى) سقط من غير الأصل و (ب) .

(٦) في (م) و (ق) : بدل (إلى آخر القسم) : إلى قوله (إنما توعدون لصادق « وإن الدين لواقع ») ، وفي المطبوع ذكر الآيات كاملة من سورة الذاريات (١-٦) .

(٧) في (م) و (ق) و المطبوع : (وذكر أن في السماء رزقهم وما يوعدون) .

(٨) سورة الذاريات آية (٢٣) .

(٩) قوله : (قوله تعالى) سقط من غير الأصل و (ب) .

(١٠) سورة المرسلات الآيات (١-٧) وفي المطبوع : ذكر الآيات كاملة .

(١١) زيادة من (ق) .

(١٢) سورة الطور الآيات (١-٨) و في المطبوع ذكر الآيات كاملة .

وقد أمر نبيه أن يقسم على الجزاء والمعاد في ثلاث آيات ، فقال تعالى : [١/٣] ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ . . الْآيَةُ ﴾ ^(١) ، [وقال تعالى] ^(٢) : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ ^(٣) / ، (وقال تعالى) ^(٤) : ﴿ وَيَسْتَنْبِئُكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ ^(٥) ، وهذا لأن المعاد إنما يعلمه عامة الناس بأخبار الأنبياء ، وإن كان من الناس من قد يعلمه بالنظر .

وقد تنازع النظار في ذلك ، فقالت طائفة : أنه لا يمكن علمه إلا بالسمع وهو الخير ، وهو قول من لا يرى تعليل الأفعال ، ويقول : لا ندري ما يفعل الله إلا بعادة أو خبر كما يقول جهم ^(٦) ومن اتبعه ، والأشعري ^(٧) وأتباعه ، وكثير من أهل الكلام والفقهاء ^(٨) والحديث من أتباع الأئمة الأربعة بخلاف العلم بالصانع (سبحانه) ^(٩) ، فإن الناس متفقون على أنه يعلم بالعقل وإن كان ذلك مما نهت عليه الرسل ^(١٠) ، وصفاته قد تعلم بالعقل وتعلم بالسمع أيضاً كما قد بسط في موضع آخر ^(١١) .

^(١) سورة التغابن آية (٧) . وفي المطبوع : عدم ذكر قوله (ثم لتنبؤن) .

^(٢) زيادة من (م) و (ق) و المطبوع .

^(٣) سورة سبأ آية (٣) .

^(٤) زيادة من (م) و (ق) و المطبوع .

^(٥) سورة يونس آية (٥٣) . وفي (م) و (ق) و المطبوع تكلمة الآية (وما أنتم بمعجزين) .

^(٦) في المطبوع زيادة : (ابن صفوان)

وجهم هو : جهم بن صفوان ، أبو محرز الراسي مولاهم ، السمرقندي ، الكاتب المتكلم ، الضال المبتدع ، رأس الجهمية ، هلك في رمان صغار التابعين وقد زرع شراً عظيماً ، قتله : سلم بن أحوز سنة ١٢٨ هـ . انظر : ميزان الاعتدال (٤٢٦/١) ، سمر أعلام النبلاء (٢٦/٦-٢٧) .

^(٧) الأشعري : هو علي بن اسماعيل بن اسحق ، أبو الحسن من نسل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مؤسس مذهب الأشاعرة ، كان معتزلياً ، ثم أشعرياً ، ثم رجع إلى مذهب أهل السنة والجماعة ، كما هو واضح من مؤلفاته مثل الإبانة في أصول الديانة توفي سنة ٣٢٤ هـ ببغداد ، انظر : تاريخ بغداد (٣٤٦/١١) الأعلام (٢٦٣/٤) .

^(٨) في المطبوع : أهل الكلام في الفقه بدل : والفقه .

^(٩) قوله : (سبحانه) سقط من (م) و (ق) و المطبوع .

^(١٠) في (م) و (ق) : (مما نهت الرسل عليه) .

^(١١) انظر تفصيل ذلك عند المؤلف في :

الصواعق المرسنة (١ / ٣٢٠) ، شفاء العليل (١ / ٢٢٥) .

وأما القسم على أحوال الإنسان فكقوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالتَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤) ﴾ (١) . . . إلى آخر السورة ﴿ . ولفظ السعي هو العمل ، لكن يراد به العمل الذي بهم به صاحبه (٢) ، ويجتهد فيه بحسب الإمكان ، فإن كان يفتقر إلى عدو بدنه عدا ، وإن كان يفتقر إلى جمع أعوانه جمع (٣) ، وإن كان يفتقر إلى تفرغ له وترك غيره فعل ذلك ، فلفظ السعي في القرآن جاء بهذا الاعتبار ليس هو مرادفاً للفظ العمل كما ظنه طائفة ، بل هو عمل مخصوص (٤) يهتم [به] (٥) صاحبه ويجتهد فيه ولهذا قال في الجمعة : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (٦) وهذه أحسن من قراءة من قرأ ﴿ فامضوا ﴾ (٧) .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : " إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها تمشون ، وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا " (٨) فلم يهتم عن السعي إلى الصلاة ، فإن الله تعالى أمر بالسعي إليها بل فهاهم أن يأتوها يسعون ، فنهاهم عن الإتيان المنتصف بسعي صاحبه ، والإتيان فعل البدن ، وسعيه عدو البدن / وهذا منهي عنه (٩) . [ب/٣]

(١) في (م) و (ق) : زيادة قوله تعالى (فأما من أعطى واتقى) الآية . ولفظ السعي . . . وفي المطبوع : ذكر الآيات كاملة إلى قوله : (. . . لشتى) .

(٢) في المطبوع : يهتم .

(٣) هكذا في الأصل و (ب) وفي غيره : (أعوان) .

(٤) في (ق) (ليس هو مراد اللفظ العمل) .

(٥) في (م) و (ق) : (بل هو عمل مخصوص بعمل بهم به) .

(٦) زيادة من (م) و (ق) و المطبوع .

(٧) سورة الجمعة آية (٩) .

(٨) في غير الأصل : (قراءة من قرأه) ، وفي (ب) و (ق) زيادة : (إلى ذكر الله) . وهي قراءة شاذة قرأ بها . قرأ بها : علي وعمر وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم ، وأبو العالية والسلمي ومسروق وطاوس وسالم بن عبد الله وطلحة رحمهم الله .

قال ابن حنبل : " في هذه القراءة تفسير للقراءة العامة " فاسعوا إلى ذكر الله " أي : فاقصدوا وتوجهوا ، وليس فيه دليل على الإسراع ، وإنما الغرض المضي إليها كقراءة من ذكرنا " .

انظر المختص لابن حنبل (٢ / ٣٢١ - ٣٢٢) .

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه في (١١) كتاب الجمعة ، (١٨) باب المشي إلى الجمعة ح (٩٠٨) ، ومسلم في صحيحه

في (٥) كتاب المساجد ، (٢٨) باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة والنهي عن إتيانها سعيًا ح (١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(١٠) انظر : فتح الباري (٢ / ٤٥٤) .

وأما السعي المأمور به في الآية فهو الذهاب إليها على وجه الاهتمام بها والتفرغ لها عن الأعمال الشاغلة من بيع وغيره ، والإقبال [بالقلب] ^(١) على السعي إليها ، وكذلك قوله (عز وجل) ^٢ في قصة فرعون لما قال له موسى : ﴿ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكَّى ﴾ (١٨) إلى قوله : ﴿ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴾ (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) ﴿ ^(٣) ، فهذا اهتمام واجتهاد في حشر رعيته ومناداته فيهم ، وكذلك قوله : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ﴾ ، هو عمل بهمة ، واجتهاد ، ومنه سمي الساعي على الصدقة والساعي على الأرملة واليتيم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ وهو العمل الذي يقصده صاحبه ويعتني به ليرتب عليه ثواب أو عقاب بخلاف المباحات المعتادة فإنها لم تدخل في هذا السعي .

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ﴾ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) . . . الآية وما بعدها ^(٤) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ ^(٥) ، وقوله عز وجل : ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا ﴾ ^(٦) .



(١) ساقطة من الأصل ومثبتة في باقي النسخ وفي المطبوع .

(٢) ساقطة من (م) و (ب) والمطبوع .

(٣) سورة النازعات الآيات (٢٣ - ١٨) . وفي المطبوع ذكر الآيات كاملة .

(٤) سورة الليل (١٠ - ٥) . في غير الأصل و (ب) تكلمة الآيات إلى قوله : (فسيسره للعسرى) .

(٥) سورة الإسراء آية (١٩) .

(٦) سورة المائدة آية (٣٣) . وفي غير الأصل و (ب) ذكر الآية من أولها .

﴿ فصل ﴾

{ الكلام على جواب القسم ، وحذفه }

وأقسم على صفة الإنسان بقوله (سبحانه)^(١) ، ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) ﴾^(٢) .

وأقسم على عاقبته ، وهو قسم على الجزاء في قوله : ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) ﴾ وإلى آخر السورة^(٣) . وفي قوله تعالى ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) ﴾ إلى قوله : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (٤) ﴾ .

وحذف جواب القسم لأنه قد علم أنه يقسم على هذه الأمور وهي متلازمة ، فمضى ثبت^(٥) أن الرسول حق ثبت القرآن والمعاد ، (ومتى ثبت أن القرآن حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به)^(٦) ، ومتى ثبت أن الوعد والوعيد حق ثبت صدقه وصدق الكتاب الذي جاء به .

والجواب يحذف تارة ولا يراد ذكره ، بل يراد تعظيم المقسم به ، وأنه مما يحلف به كقول^(٧) النبي ﷺ / : " من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت "^(٨) . ولكن هذا (في الغالب)^(٩) [١/٤] يذكر ومعه الفعل دون مجرد حرف القسم كقولك فلان يحلف بالله وحده ، وأنا أحلف بالخالق لا بالمخلوق ، ونحو ذلك فالنصراني يحلف بالصليب والمسيح ، وفلان أكذب ما يكون إذا حلف بالله .

(١) قوله (سبحانه) سقط من (م) و (ق) و المطبوع .

(٢) سورة العاديات الآيات (١ - ٦) . وفي المطبوع ذكر الآيات كاملة .

(٣) في جميع النسخ عدا الأصل و (ب) ذكر السورة كاملة .

(٤) في (م) و (ق) زيادة (وطور سين) ، وفي المطبوع : ذكر الآيات كاملة إلى (. . الصالحات) .

(٥) في (ب) بينت .

(٦) ما بين القوسين سقط من (ب) .

(٧) في (ب) : لقول .

(٨) أخرجه البخاري في (٨٣) كتاب الإيمان والنذور ، (٤) باب لا تحلفوا بأبائكم ح (٦٦٤٦) ، من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر ، وفيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال : (ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم . .) الحديث .

(٩) ومسلم في (٢٧) كتاب الإيمان ، (١) باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى ج : (١٦٤٦) بلفظ مقارب له .

(٩) ما بين القوسين سقط من (م) و (ق) و المطبوع .

وقد يكون هذا النوع ^(١) بحرف القسم مجردا كما في الحديث : "كانت أكثر عيّن رسول الله ﷺ : لا ومقلب القلوب " ^(٢) .

وكان بعض السلف إذا اجتهد في يمينه قال : والله الذي لا إله إلا هو .

وتارة يحذف الجواب وهو مراد إما لكونه قد ظهر وعرف إما بدلاله الحال كمن قيل له : كل فقال : لا والله الذي لا إله إلا هو ، أو بدلاله السياق ، وأكثر ما يكون هذا إذا كان في نفس المقسم به (ما يدل على المقسم عليه وهي طريقة القرآن ، فإن المقصود يحصل بذكر المقسم به) ^(٣) ، فيكون حذف المقسم عليه أبلغ ^(٤) وأوجز كمن أراد أن يقسم على أن الرسول حق فقال : والذي أرسل محمداً [ﷺ] ^(٥) بالهدى ودين الحق ، وأيده بالآيات البينات وأظهر دعوته ، وأعلى كلمته ، ونحو ذلك . . فلا يحتاج إلى ذكر الجواب استغناء عنه بما في القسم من الدلالة عليه .

وكمن أراد أن يقسم على التوحيد وصفات الرب ، ونعوت جلاله فقال : والله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو ^(٦) الرحمن الرحيم ، الأول الآخر الظاهر الباطن .

وكمن أراد أن يقسم على علوه فوق عرشه فقال : والذي استوى على عرشه فوق سماواته يصعد إليه الكلم الطيب وترفع إليه الأيدي ، وتعرج الملائكة والروح إليه ، ونحو ذلك ^(٧) . وكذلك من حلف لشخص أنه يحبه ويعظمه فقال : والذي ملأ قلبي محبتك وإجلالك ومهابتك ، ونظائر ذلك . لم يحتاج إلى ذكر الجواب ^(٨) ، وكان في المقسم به ما يدل على المقسم عليه فمن هذا قوله / تعالى ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ ^(٩) ، فإن في المقسم به من تعظيم القرآن ووصفه بأنه ذو الذكر المتضمن لتذكير العباد ما يحتاجون إليه ، وللشرف والقدر ما يدل

(١) قوله : (النوع) سقط من (ب) .

(٢) أخرجه البخاري في (٨٣) كتاب الإيمان والنذور ، (٣) باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم ح (٦٦٢٨) ، وفي

(٨٢) كتاب القدر ، (١٤) باب يحول بين المرء وقلبه ح (٦٦١٧) ، وفي (٩٧) كتاب التوحيد ، (١١) باب مقلب القلوب

ح (٧٣٩١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) ما بين القوسين سقط من (ب) .

(٤) في (ق) : (حذف القسم أبلغ) .

(٥) زيادة من (ب) .

(٦) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(٧) في (ب) : وتعرج إليه الملائكة والروح . وسقط قوله : (ونحو ذلك) .

(٨) في المطبوع : لم يحتاج إلى ذكر جواب القسم .

(٩) سورة ص آية (١) .

على المقسم عليه ، وهو كونه^(١) حقا من عند الله غير مفترى كما يقول الكافرون ، (وهذا معنى قول كثير من المفسرين متقدميهم وتأخريهم : أن الجواب محذوف تقديره إن القرآن لحق^(٢) ، وهذا مطرد في كل ما في شأنه ذلك .

وأما قول بعضهم أن الجواب قوله تعالى ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾^(٣) فاعترض بين القسم وجوابه بقوله ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾^(٤) فبعد لأن " كم " لا يتلقى بها القسم فلا تقول : والله كم أنفقت مالا ، وبالله كم أعتقت عبدا ، وهؤلاء لما لم يخف عليهم ذلك احتاجوا [إلى]^(٥) أن يقدرُوا لِمَا يتلقى بها الجواب أي لكم أهلكنا^(٦) .

وأبعد من هذا قول من قال : الجواب في قوله ﴿ إِنَّ كُلَّ إِذَا كَذَّبَ الرُّسُلَ ﴾^(٧) ، وأبعد من هذا قول من قال : الجواب في قوله [تعالى]^(٨) : ﴿ إِنَّ هَذَا لَرْزُقْنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾^(٩) . وأبعد منه قول من قال : الجواب قوله ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾^(١٠) . وأقرب ما قيل في الجواب [لفظاً]^(١١) ، وإن كان بعيداً معنى ما ذكر عن قتادة^(١٢) وغيره أنه في قوله [تعالى]^(١٣) : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾^(١٤) .

(١) في المطبوع : (وكونه) .

(٢) انظر على سبيل المثال : جامع البيان (١١٩/٢٣) ، زاد المسير (٩٩/٧) ، الجامع لأحكام القرآن (٩٥/١٥) ، فتح القدير (٤٨٠/٤) ، أضواء البيان (٩/٧) وغيرها .

(٣) سورة ص آية (٣) .

(٤) سورة ص آية (٢) .

(٥) ما بين القوسين سقط من الأصل و المطبوع ومثبت في باقي النسخ .

(٦) ومن قال بهذا القول : الفراء و ثعلب . انظر : معاني القرآن للفراء (٣٩٧/٢) ، والدر المنون (٣٤٥/٩) .

(٧) سورة ص آية (١٤) وقال به الأخفش . انظر : معاني القرآن للأخفش (٤٥٣/٢) .

(٨) زيادة من (ب) .

(٩) سورة ص آية (٥٤) . وانظر : الجامع لأحكام القرآن (٩٦/١٥) .

(١٠) سورة ص آية (٦٤) . ومن قال به : الزجاج انظر : معاني القرآن وإعرابه (٣١٩/٤) ، والكوفيون غير الفراء . انظر زاد

المسير (٦٩/٧) الدر المنون (٣٤٤/٩) .

(١١) زيادة من (م) و (ق) و المطبوع .

(١٢) قتادة هو : قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز السدوسي ، الحافظ العلاقة ، أبو الخطاب البصري ، الضريح الأكمه ، المفسر ،

ولد سنة (٦٠) هـ قال أحمد : قتادة عالم بالتفسير ، وباختلاف العلماء ، روى تفسيره عنه : شيان بن عبد الرحمن التميمي مولاهم

النحوي . توفي سنة (١١٧) هـ وقيل (١١٨) هـ .

انظر : سير أعلام النبلاء (٢٨٣-٢٦٩/٥) ، طبقات المفسرين للداودي (٤٨-٤٧/٢) .

(١٣) زيادة من (ب) .

(١٤) قوله : (في عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) سقط من (م) و (ق) و المطبوع .

كما قال تعالى : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ﴾^(١) .

وشرح صاحب النظم [هذا القول]^(٢) فقال : معنى (بل) تأكيد الخبر الذي بعده فصار كأن الشديدة في تثبيت ما بعدها قيل هاهنا بمنزلة (إن) لأنه يؤكد ما بعده من الخبر وإن كان له معنى سواه في نفي خبر متقدم فكأنه قال تعالى^(٣) : ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢) ﴾ ، كما يقول : والله إن زيدا لقائم .

قال : واحتج صاحب هذا القول بأن هذا النظم وإن لم يكن للعرب^(٤) فيه أصل ولا لها فيه رسم فيحتمل أن يكون نظماً أحدثه الله عز وجل لما بينا من احتمال (بل) بمعنى (أن) انتهى . وقال أبو القاسم الزجاجي^(٥) قال النحويون : إن بل تقع جواب القسم كما تقع إن ، لأن المراد بها تأكيد الخبر .

[١٥] وهذا / القول اختيار أبي حاتم^(٦) وحقاه الأخفش^(٧) عن الكوفيين .

(١) سورة ق الآيتان (٢-١) .

(٢) سقط من الأصل و (ب) .

(٣) في (م) و (ق) و المطبوع : (عز وجل) .

(٤) في المطبوع : العربية .

(٥) أبو القاسم الزجاجي : هو عبد الرحمن بن اسحق ، وينسب إلى شيوخه : إبراهيم الزجاج ملازمته إياه كثيراً . كان عالماً بالنحو والعربية ، صنف كتاب الحمل في النحو ، ومعاني الحروف وغيرها . و توفي بطبرية سنة (٣٤٠) هـ .

انظر : إنباء الرواة (١٦٠/٢) ، وبغية الوعاة (٧٧/٢) .

(٦) أبو حاتم : هو سهل بن محمد بن محمد بن عثمان السجستاني ، إمام أهل البصرة في النحو والقراءة و اللغة و العروض ، له عدة مؤلفات ، وهو شيخ المرد . توفي سنة (٢٥٠) هـ تقريباً . انظر : إنباء الرواة (٥٨-٦٤) ، وبغية الوعاة (١٠٦/١) .

(٧) انظر : القطع والانتاف للنحاس (٥٩٥/٢) .

(٨) الأخفش : هو سعيد بن مسعدة البلخي ثم البصري ، المعروف بالأخفش الأوسط ، أخذ عن الخليل بن أحمد ، و لزم سييويه حتى برع ، و هو من أئمة العربية . من مؤلفاته : معاني القرآن ، المقاييس في النحو وغيرها . توفي سنة (٢١٥) هـ وقيل (٢٢١) هـ وقيل (٢٢٥) هـ .

انظر : إنباء الرواة (٣٦-٤٣) ، طبقات المفسرين للداودي (١٩١/١) .

وقرره بعضهم بأن قال : أصل الكلام : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ ،
﴿ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ فلما قدم القسم ترك على حاله .

قال الأخفش وهذا يقوله الكوفيون ، وليس بجيد في العربية لو قلت : والله قام وأنت تريد
قام والله ، لم يحسن وقال النحاس^(١) : " هذا خطأ على مذهب النحويين لأنه إذا ابتدأ بالقسم
وكان الكلام معتمداً عليه لم يكن بد من الجواب ، وأجمعوا على^(٢) أنه لا يجوز والله قام عمرو
بمعنى قام عمرو والله ، لأن الكلام يعتمد على القسم "^(٣) .

وذكر الأخفش رسماً آخر في جواب القسم فقال : يجوز أن يكون لصاد معنى يقع عليه
القسم لا ندري نحن ما هو كأنه يقول الحق والله^(٤) ، قال أبو الحسن الواحدي^(٥) : وهذا الذي
قاله الأخفش صحيح المعنى على قول من يقول صاد الصادق الله أو صدق محمد ، وذكر الفراء
هذا الوجه أيضاً فقال : صاد جواب القسم ، وقال : هو كقولك : وجب والله ، وترك والله فهي
جواب لقوله : " والقرآن "^(٦) .

(١) النحاس : هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي ، أبو جعفر النحاس النحوي المصري كان من أهل
العلم بالفقه والقرآن ، سمع من الزجاج وأخذ عنه النحوله عدة تصانيف منها : معاني القرآن ، والناسخ والمنسوخ وغيرهما .
توفي سنة (٣٣٨) هـ .

انظر : إنباه الرواة (١٣٦-١٣٩) ، وبغية الوعاة (٣٦٢/١) .

(٢) زيادة من (ق) .

(٣) القطع والأنتاف (٥٩٥/٢) وما بعدها .

(٤) لم أجده في المعاني المطبوع .

(٥) أبو الحسن الواحدي : هو علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري ، المفسر ، النحوي ، الشافعي ، إمام علامة تصدر للتدريس
مدة ، من مؤلفاته : البسيط والوسيط ، والوجيز في التفسير ، وأسباب التزول وغيرها . توفي سنة (٤٦٨) هـ .

انظر : بغية الوعاة (١٤٥/٢) ، طبقات المفسرين للداودي (٣٩٦-٣٩٤/١) .

(٦) معاني القرآن للفراء (٣٩٦-٣٩٧/٢) .

[وذكر النحاس وغيره وجهاً آخر في الجواب وهو أنه محذوف تقديره : ﴿ وَالْقُرْآنِ ذِي

الذِّكْرِ ﴾ ^(١) ما لأمر كما يقوله هؤلاء الكفار ، ودل على المحذوف قوله تعالى : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا ^(٢) ، وهذا اختيار ابن جرير ^(٣) وهو مخرج من قول قتادة .

وشرحه الجرجاني ^(٤) فقال : بل رافع ^(٥) لخبر قبله ومثبت لخبر بعده ، فقد ظهر ما بعده ، وأضر ما قبله وما بعده دليل على ما قبله ، فالظاهر يدل على الباطن ، فإذا كان كذلك وجب أن يكون قوله : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ ، مخالف لهذا المضمر فكأنه قيل : ﴿ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ إن الذين كفروا يزعمون أنهم على الحق أو كل ما في هذا المعنى ، فهذه ستة / أوجه سوى ما بدأنا به في جواب القسم ^(٦) والله أعلم .

(١) ما بين العنقوتين سقط من الأصل .

(٢) القطع والأنتاف (٥٩٦/٢) ، ومعاني القرآن للنحاس (٧٦/٦) . وقد رجّحه بقوله : وهو أولى الأقوال ، لأن بل قد حلت محل الجواب فاستغنى بها عنه .

(٣) جامع البيان (١٩/٢٣) وقال : والصواب عندي ما قاله قتادة لأن (بل) دلت على التكذيب فمعنى الكلام : ما الأمر كما يقول هؤلاء الكافرون بل هم في عزة وشقاق .

وهو أيضاً ما رجّحه العلامة الشنقيطي في أضواء البيان و انتصر له وذكر الأدلة على ترجيحه . انظر : أضواء البيان (١٢-٩/٧) .

= وابن جرير : هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر المفسر المؤرخ ، إمام المفسرين ولد سنة (٢٢٤) هـ في أمل طبرستان واستوطن بغداد وتوفي بها وكان إماماً في فنون كثيرة منها : التفسير والقراءات والتاريخ وغيرها من مؤلفاته : جامع البيان ، تاريخ الأمم والملوك ، توفي سنة (٣١٠) هـ . انظر : طبقات المفسرين للداودي (١١٠/٢-١١٨) .

(٤) الجرجاني هو : الحسن بن يحيى بن نصر أبو علي الجرجاني ، كان يقطن جرجان بباب الخندق ، وله دة تصانيف ومنها : (نظر القرآن) نقل عنه الثعلبي ، والواحدي ، وقد ألف مكي بن أبي طالب كتاب انتخاب نظم القرآن للجرجاني وإصلاح غلطه . ولم يصلنا أحد الكتابين والله أعلم . انظر : الأنساب للسماعي (٨٠/٢) .

(٥) في تفسير البسيط للواحدي وعنه نقل ابن القيم : دافع بدل رافع (٧١٣/٢) .

(٦) انظر : القطع والأنتاف للنحاس (٥٩٦/٢) . وما بين القوسين نقله الإمام ابن القيم عن الواحدي في تفسيره البسيط ، مع تقديم وتأخير واختصار وتصرف .

انظر : البسيط (٧١٠-٧١٤/٢) تحقيق : محمد بن عبد الله الطيار ، رسالة جامعية غير منشورة .

ونظير هذا قوله تعالى : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا ﴾ وقيل [جواب]^(١)
 القسم ﴿ قَدْ عَلِمْنَا ﴾^(٢) ، وقال الفراء^(٣) : محذوف دل عليه ﴿ أَتَذَا مِتْنَا ﴾ أي : لتبعثن^(٤) وقيل :
 هو ﴿ بَلْ عَجِبُوا ﴾^(٥) ، كما تقدم بيانه .

(١) ما بين المعقوفين سقط من الأصل و (ب) .

(٢) سورة ق آية (٤) . وقد ذهب إلى هذا القول الأخفش كما في المعاني له (٤٨٣/٢) وأجازه الزجاج ، انظر :
 المعاني له (٤٢/٥) .

(٣) الفراء هو : أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء النحوي ، العلامة صاحب التصانيف قال عنه ابن الأنباري : (لو لم يكن لأهل
 بغداد والكوفة من النحاة إلا الكسائي والفراء لكفى) . من مؤلفاته : معاني القرآن وغيره . توفي سنة (٢٠٧) هـ .

انظر : تاريخ بغداد (١٤٩/١٤ - ١٥٥) ، إنباء الرواة (٩/٤ - ٢٣) .

(٤) معاني القرآن للفراء (٧٥/٣) ، ومعاني الزجاج (٤١/٥) .

(٥) وهو منسوب إلى أهل الكوفة . انظر : الدر المنصور (١٧/١٠) .

❦ فصل ❧

{القسم في سورة القيامة}

ومن ذلك قوله (تعالى) ^(١) : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ ^(٢) فقد تضمن هذا الإقسام ثبوت الجزاء (ومستحق الجزاء) ^(٣) ، وذلك يتضمن إثبات الرسالة والقرآن والمعاد ، وهو سبحانه يقسم على هذه الأمور الثلاثة ، ويقدرها أبلغ التقدير لحاجة النفوس إلى معرفتها والإيمان بها ، وأمر رسوله ﷺ أن يقسم عليها كما قال تعالى ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ ^(٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ ^(٥) ، وقال تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٧) ^(٦) .

وقد تقدم إقسامه عليها في ثلاث مواضع من كتابه لا رابع لها ^(٧) ، يأمر رسوله ^(٨) أن يقسم على ما أقسم عليه هو سبحانه من النبوة والقرآن والمعاد .

فأقسم سبحانه لعباده ، وأمر أصدق خلقه أن يقسم لهم ، وأقام البراهين القطعية على ثبوت ما أقسم عليه فأبى الظالمون إلا جحوداً وتكديباً .

واختلف في النفوس المقسم بها ههنا ، هل هي خاصة أو عامة ؟ على قولين : بناءً على الأقوال الثلاثة في اللوامة .

فقال ابن عباس ^(٩) : كل نفس تلوم نفسها يوم القيامة ، يلوم المحسن نفسه أن لا يكون

(١) قوله : (تعالى) سقط من (م) و (ق) و المطبوع .

(٢) سورة القيامة الآيتان (١ - ٢) .

(٣) سقط من (ب) .

(٤) سورة يونس آية (٥٣) .

(٥) سورة سبأ آية (٣) .

(٦) سورة التفاين آية (٧) .

(٧) هكذا في الأصل و (ب) و في باقي النسخ و المطبوع : فهذه ثلاثة مواضع لا رابع لها .

(٨) في (م) و (ق) و المطبوع : يأمر نبيه .

(٩) ابن عباس هو : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي أبو العباس ، ابن عم الرسول ﷺ ، دعا له الرسول ﷺ بأن يعلمه الله التأويل ويفقهه في الدين و هو حبر الأمة و ترجمان القرآن . توفي سنة (٦٨) هـ على الصحيح .

ازداد إحساناً ، ويلوم المسيء نفسه أن لا يكون رجع عن إساءته^(١) .

واختاره الفراء . قال : " ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها إن كانت

عملت خيراً قالت : هلا ازددت ، وإن كانت عملت سوءاً قالت : ليتني لم أفعل "^(٢) .

والقول الثاني : أنها خاصة / قال الحسن^(٣) هي النفس^(٤) المؤمنة ، فإن المؤمن والله ما [١/٦]

تراه إلا يلوم نفسه على كل حالة . لأنه يستقصرها في كل ما تفعل ، فيندم ويلوم نفسه ، وإن الفاجر يمضي قدماً ، لا يعاتب نفسه^(٥) .

والقول الثالث : أنها النفس الكافرة نفسها وحدها قاله قتادة^(٦) ومقاتل^(٧) هي النفس

الكافرة تلوم نفسها في الآخرة على ما فرطت في أمر الله^(٨) .

نظر : الإصانة (٣٢٢/٢) ، طبقات المفسرين للداودي (٢٣٩/١) .

(١) ذكر السيوطي في الدر المنثور (٢٤٣/٨) قولاً قريباً منه وذكر أنه قد خرّجه عبد بن حميد وابن المنذر . ومن نسب أيضاً إلى ابن

عباس : السمرقندي في بحر العلوم (٤٢٥/٣) ، والرازي في التفسير الكبير (٢٥١/٣٠) .

(٢) معاني القرآن (٢٠٨/٣) . وفي المعاني : زيادة : (ليتني قصرت) قبل قوله : (ليتني لم أفعل) .

(٣) هو الحسن بن يسار البصري تابعي ، ثقة فقيه فاضل مشهور ، ولد سنة (٢١) هـ و كان مولى لزيد بن ثابت و يقال : مولى لأبي

اليسر كعب بن عمرو السلمي . قيل : كلامه يشبه كلام الأنبياء له كتاب في التفسير . توفي سنة (١١٠) هـ .

انظر : غاية النهاية (٢٣٥/١) ، تهذيب التهذيب (٢٦٣/٢) .

(٤) قوله : (النفس) سقط من المطبوع .

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٤٣/٨) وذكر أنه خرّجه عبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس .

(٦) المروي عن قتادة أنها النفس الفاجرة كما روى ذلك عنه ابن جرير في تفسيره (١٧٥ / ٢٩) بسنده إلى قتادة . وإسناده حسن كما

قال صاحب التفسير الصحيح (٥٦٣/٤) .

(٧) مقاتل هو : مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني ، قال ابن المبارك : (ما أحسن تفسيره لو كان ثقة) ، اختلف في أمره :

فمنهم من وثقه ومنهم من نسبته إلى الكذب . من مصنفاته : التفسير الكبير ، ونوادر التفسير ، و نظائر القرآن .

توفي سنة (١٥٠) هـ .

تاريخ بغداد (١٦٠/١٣) ، سير أعلام النبلاء (٢٠١/٧ - ٢٠٢) طبقات المفسرين للداودي (٣٣٠/٢ - ٣٣١) .

(٨) أشار إلى قوله : البغوي في معالم التنزيل (٢٨٠/٨) ، والقرطبي في الجامع (٩٣/١٩) ، والشوكاني في فتح القدير (٣٨٧/٥) .

وقد حكى هذه الأقوال السابقة جميعها الواحدي في تفسيره البسيط (٣٤٤/١ - ٣٤٥) . ت . سورة الورثان . رسالة

جامعية غير منشورة .

وقد رحح الإمام الطبري رحمه الله تعالى أن جميع الأنفس تلوم نفسها حيث يقول : (وكل هذه الأقوال متقاربة المعنى والأشبه بظاهر

التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على ما فات) . جامع البيان (١٧٥/٢٩) .

قال شيخنا^(١) : والأظهر أن المراد نفس الإنسان مطلقاً ، فإن نفس كل إنسان لوامة كما أقسم بحس النفس في قوله : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) ﴿^(٢) . فإنه لا بد لكل إنسان أن يلوم نفسه أو غيره على أمر .

ثم هذا اللوم قد يكون محموداً وقد يكون مذموماً كما قال تعالى : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴾ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) ﴿^(٣) .

قال تعالى : ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾^(٤) فهذا لوم^(٥) غير محمود ، وفي الصحيحين في قصة احتجاج آدم وموسى : (أتلومني على أمر [قدره الله عليّ قبل أن أخلق . قال : فحج آدم موسى])^(٦) .

فهو سبحانه يقسم على صفة النفس اللوامة كقوله : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾^(٧) . وعلى جزائها كقوله : ﴿ فَوَرَبَّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(٨) ، وعلى تباين عملها كقوله : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ (٤) ﴿^(٩) ، وكل نفس لوامة ، فالنفس السعيدة تلوم على فعل الشر وترك الخير ، فتبادر إلى التوبة ، والنفس الشقية بالضد عن^(١٠) ذلك .

(١) هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وهو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ، عالم مشهور طبقت شهرته الآفاق . إمام أهل السنة والجماعة في زمانه و ما بعده صاحب التصانيف العجيبة ومنها : درء التعارض ، ومنهاج السنة وغيرها توفي سنة (٧٢٨) هـ . ذيل طبقات الحنابلة (٣٨٧/٢) ، البداية والنهاية (١٤٢/١٤) .

(٢) سورة الشمس الآيتان (٧-٨) .

(٣) سورة النجم الآيتان (٣٠-٣١) .

(٤) سورة المائدة آية (٥٤) .

(٥) في المطبوع : اللوم .

(٦) ما بين المعقوفين سقط من الأصل وهو مثبت في باقي النسخ ، وفي الأصل : (أتلومني على أمر . . .) الحديث .

والحديث أخرجه البخاري في صحيحه في (٨٢) كتاب القدر ، (١١) باب تحاج آدم وموسى عند الله ، ح (٦٦١٤)

وفي (٩٧) كتاب التوحيد ، (٣٧) باب ما جاء في قوله عز وجل ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ ح (٧٥١٥) .

ومسلم في صحيحه في (٤٦) كتاب القدر ، (٢) باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ح (٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وقد شرح الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى هذا الحديث شرحاً وافياً في كتابه القيم شفاء العليل (١/٨٨-٩٧) فليراجع .

(٧) سورة العاديات آية (٦) .

(٨) سورة الحجر آية (٩٢) .

(٩) سورة النبل آية (٤) .

(١٠) في (م) و (ق) و المطبوع : (من) بدل : (عن) .

و جمع سبحانه في القسم بين محل الجزاء وهو يوم القيامة ، ومحل الكسب وهو النفس اللوامة ، ونَبَّه سبحانه بكونها لوامة على شدة حاجتها وفاقتها وضرورتها إلى مَنْ يَعْرِفُهَا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ، ويدلها عليه ، ويرشدها إليه ، ويلهمها إياه ، فيجعلها مريدة للخير مؤثرة ^(١) له كارهة للشر مجافية له للتخلص من اللوم أو من سوء عاقبة ^(٢) ما تلوم عليه ، ولأنها متلومة مترددة لا [ب/٦] تثبت على حال واحدة ، فهي محتاجة إلى من يعرفها ما هو أنفع لها في معاشها ومعادها فتؤثره وتلوم نفسها عليه إذا فاتها فتتوب منه إن كانت سعيدة ولتقوم عليها حجة عدله فيكون لومها في القيامة لنفسها عليه لوماً بحق قد أعذر الله خالقها وفاطرها إليها فيه ، ففي ذكر صفة اللوم تنبيه على ضرورتها إلى التصديق بالرسالة والقرآن وأنها لا غنى لها عن ذلك ولا صلاح ولا فلاح بدونه البتة .

ولما كان يوم معادها هو محل ظهور هذا اللوم وترتب أثره عليه قرن بينهما في الذكر ^(٣) .



(١) في المطبوع : (مرشدة له) بدل (مؤثرة له) .

(٢) في المطبوع : (من شر ما تلوم عليه) بدل (من سوء عاقبة ماتلوم عليه) .

(٣) جواب القسم في هذه الآيات محذوف دلّ عليه قوله تعالى : (أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ) والتقدير : لتبعثن .

انظر : القطع والأنتاف (٧٧٣/٢) ، وقد نقله عن الواحدي في تفسيره البسيط (٣٤٥/١) ت . الورثان ، وانظر أيضاً :

الكشاف (٦٥٩ / ٤) ، والبحر المحيط (٣٨٤/٨) .

﴿ فصل ﴾

{ القسم في سورة الشمس }

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا (٢) ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) ﴾^(١) ، قال الزجاج^(٢) وغيره : جواب القسم : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) ﴾^(٣) ، ولما طال الكلام حسن حذف اللام من الجواب^(٤) .

وقد تضمن هذا القسم الإقسام بالخالق ، والمخلوق ، فأقسم بالسماء وبانيها ، والأرض وطاحيها والنفس ومسويها^(٥) .

وقد قيل ، إن ما مصدرية^(٦) ، فيكون الإقسام بنفس فعله تعالى فيكون قد أقسم بالمصنوع الدال عليه (سبحانه)^(٧) وبصنعة الدالة على كمال علمه وقدرته وحكمته وتوحيده ، ولما كانت حركة الشمس والقمر والليل والنهار أمراً يشهد الناس حدوثه شيئاً فشيئاً ، ويعلمون أن الحادث لا بد له من محدث كان العلم بذلك منزلاً منزلة ذكر المحدث له لفظاً فلم يذكر الفاعل في الإقسام الأربعة الأول .

(١) سورة الشمس الآيات (١ - ٨) . وفي (م) و (ق) و المطبوع ذكر الآيات كاملة .

(٢) الزجاج هو : إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج أبو اسحاق البغدادي النحوي ، لزم المرد وأخذ عنه ، كان من أهل الفصل والدين ، وله مؤلفات حسان منها : (معاني القرآن وإعرابه) وغيره . توفي سنة (٣١١) هـ وقيل (٣١٦) هـ .

انظر : انبأ الرواة (١٩٤/١) ، سير أعلام النبلاء (٣٦٠/١٤) .

(٣) سورة الشمس آية (٩) .

(٤) معاني القرآن للزجاج (٣٣١/٥) ، الدر المصون (٢٠/١١) .

(٥) بناءً على القول بأن ((ما)) موصولة بمعنى الذي . وإليه ذهب الحسن ومجاهد وأبو عبيدة واختاره ابن جرير . وهو أيضاً ما رجحه الرمخشري ، انظر : جامع البيان (٢٠٩/٣٠) ، والكشاف (٧٩٥/٤) ، والبحر (٤٧٩/٨) ، و الدر المصون (٢٠-١٨/١١) .

(٦) وإليه ذهب الزجاج والمرد . وهذا بناءً على أنها محتصة بغير العقلاء . انظر معاني القرآن للزجاج (٣٣٢/٥) ، و الدر المصون (١٩/١١) .

(٧) قوله : (سبحانه) سقط من (م) و (ق) و المطبوع .

وهذا يسلك^(١) طائفة من التظار الاستدلال بالزمان على الصانع وهو استدلال صحيح^(٢) وقد نبه عليه القرآن في غير موضع كقوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١٩٠) ﴿٣﴾ .

ولما كانت السماء والأرض ثابتين حتى ظنَّ أنهما قد يمتان ذكر مع الإقسام بهما بانيهما ومبدعهما ، وكذلك النفس فإن حدوثها غير مشهود حتى ظنَّ بعضهم قدمها ، فذكر مع الإقسام بها مسويها وفاطرها ، هذا مع ما في ذكر بناء السماء وطحو الأرض ، وتسوية النفس من الدلالة على الرحمة والحكمة / والعناية بالخلق ، فإن بناء السماء يدل على أنها كالقبة العالية على الأرض [١/٧] ، وجعلها سقفاً لهذا العالم ، والطَّحُو^(٤) هو مد الأرض وبسطها وتوسيعها ليستقر عليها الأنام^(٥) والحيوان ويمكن فيها البناء والغراس والزرع وهو متضمن لنضوب^(٦) الماء عنها وهو مما حير عقول الطبائعيين حيث كان مقتضى الطبيعة أن يغمرها كثرة الماء ، فبرز^(٧) جانب منها عن الماء^(٨) على خلاف مقتضى الطبيعة وكون هذا الجانب المعين دون غيره مع استواء الجوانب في الشكل الكروي ، يقتضي تخصيصاً فلم يجدوا بداً من أن يقولوا عناية الصانع اقتضت ذلك ، قلنا نعم^(٩) إذاً ، ولكن عناية من لا مشيئة له ولا إرادة ولا اختيار ولا علماً بمعين أصلاً كما يقولونه فيه محال ، فعنايته تقتضي ثبوت صفات^(١٠) كماله ونعوت جلاله وأنه الفَعَّال يفعل باختيار ما يريد .

وكذلك النفس أقسم بها وبمن سواها ، وألهمها فجورها وتقواها ، فإن من الناس من يقول : هي : هي قديمة لا مبدع لها ، ومنهم من يقول : بل^(١١) هي التي تبدع فجورها وتقواها ،

(١) في المطبوع : (سلك) بدل (يسلك) .

(٢) واو (وقد) ثابتة في الأصل فقط .

(٣) سورة آل عمران آية (١٩٠) .

(٤) انظر : المفردات في غريب القرآن ص (٣٠٢) .

(٥) قوله : (الأنام) سقط من (ق) .

(٦) نضب الماء بمعنى : غار في الأرض . القاموس المحيط ص (١٣٨) ، المعجم الوسيط (٩٢٧/٢) .

(٧) في (م) و (ق) و المطبوع : (فبروز) بدل (فبرز) .

(٨) في (ق) زيادة : (على آخر الماء) .

(٩) في (م) : (فنعيم إذا) بدل (نعم إذا) .

(١٠) قوله : (صفات) سقط من المطبوع .

(١١) قوله : (بل) سقط من (ق) .

فذكر سبحانه أنه هو الذي سواها وأبدعها ، وأنه هو الذي ألهمها الفجور والتقوى ، فأعلمنا أنه خالق نفوسنا وأعمالها .

وذكر لفظ التسوية^(١) كما ذكره في قوله (تعالى)^(٢) : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) ﴾^(٣) ، وفي قوله (عز وجل) : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) ﴾^(٤) إيذاناً بدخول البدن في لفظ النفس لقوله (تعالى) : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾^(٥) .

وقوله (تعالى) : ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾^(٦) ، ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾^(٧) ، ﴿ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾^(٨) ، ونظائره^(٩) وباجتماع الروح مع البدن تصير النفس فاجرة وتقية^(١٠) وإلا فالروح بدون البدن لا فجور لها .

وقوله (تعالى)^(١١) : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾^(١٢) ، الضمير المرفوع في زكاها عائد على (من) وكذلك هو في دساها ، والمعنى : قد أفلح من زكى نفسه ، وقد خاب من دساها ، هذا هو القول الصحيح . وهو نظير/ قوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) ﴾^(١٣) وهو سبحانه إذا ذكر

(١) تسوية الشيء : جعله سواءً ، إما في الرفع ، أو في الصعة ، المفردات في غريب القرآن ص (٢٥١) .

(٢) قوله : (تعالى - عز وجل) سقط من (م) و (ق) و المطبوع .

(٣) سورة الإنفطار الآيتان (٦-٧) .

(٤) سورة ص آية (٧٢) .

(٥) سورة الأعراف آية (١٨٩) .

(٦) سورة النور آية (٦١) .

(٧) سورة النساء آية (٢٩) .

(٨) سورة النور آية (١٢) . وفي (م) و (ق) و المطبوع : ابتداء الآية من أولها (ولولا إذا سمعتموه) .

(٩) قوله : (ونظائره) سقط من (ق) .

(١٠) في (م) و (ق) و المطبوع : (أو تقية) بدل (وتقية) .

(١١) قوله : (تعالى - عز وجل) سقط من (م) و (ق) و المطبوع .

(١٢) قوله : (قد أفلح من زكاها) قيل : هي جواب القسم ، والأصل لقد ، وإنما حذفت لطول الكلام .

وقيل : إنه ليس بجواب ، والجواب محذوف تقديره : لتبعثن ، وقيل : ليدمدن الله عليهم ، أي أهل مكة .

انظر : البسيط (٧٩٦/٢) ت . الورثان ، و معاني الزجاج (٣٣١/٥) ، والكشاف (٧٦٠/٤) ، والدر المصون (٢٠/١١) .

(١٣) سورة الأعلى آية (١٤) .

الفلاح علقه بفعل المفلح كقوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) ﴿ ١ ﴾ . . . إلى آخر الآيات . وقوله : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٥) ﴿ ٢ ﴾ ، بعد قوله : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٥١) ﴿ ٤ ﴾ ، ونظائره . قال الحسن : قد أفلح من زكى نفسه وحملها على طاعة الله ، وقد خاب من أهلكها وحملها على معصية الله (٥) ، وقاله قتادة (٦) .

وقال ابن قتيبة (٧) : يريد أفلح من زكى نفسه أي : أنماها (٨) وأعلاها بالطاعة والبر والصدقة (والكف عن المعاصي ، والتنافس في الدرجات) (٩) واصطناع المعروف ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ ، أي نقصها وأخفاها بترك عمل ذلك (١٠) البر وركوب المعاصي والفاجر أبداً خفي المكان زمن المروءة (١١) ، غامض الشخص ، ناكس الرأس ، فكأن النطف (١٢) بارتكاب الفواحش دس نفسه وقمعها . ومصطنع المعروف شهر نفسه ورفعها .

(١) سورة المؤمنون الآيتان (٢-١) .

(٢) سورة البقرة آية (٥) .

(٣) سورة البقرة آية (٣) . وفي (م) و (ف) و المطبوع : بداية الآيات بقوله (الذين يؤمنون . . . إلى قوله المفلحون) .

(٤) سورة النور آية (٥١) .

(٥) أخرجه عبد بن حميد عن الحسن . كما في الدر المنثور (٥٣٠/٨) .

(٦) أخرجه الطبري عن قتادة : (قد أفلح من زكاها) من عمل خيراً زكاها بطاعة الله ، وأخرج أيضاً عنه : (وقد خاب من دساها)

قال : أثمها وأفجرها . جامع البيان (٢١١-٢١٢ / ٣٠) ، وقد حسن إسنادهما صاحب التفسير الصحيح (٦٣٨/٤) .

(٧) ابن قتيبة : هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري و قيل : المروزي ، الشهير بابن قتيبة ، النحوي ، اللغوي ،

صنف التصانيف المفيدة في القرآن والحديث والأدب وغيرها قال الخطيب : كان ثقة ديناً فاضلاً . من مصنفاته (تأويل مشكل القرآن

(و تفسير غريب القرآن) وغيرهما . توفي سنة (٢٧٦) هـ .

انظر : تاريخ بغداد (١٧٠/١٠) ، شذرات الذهب (١٧٠ / ٢) .

(٨) في المطبوع : (نأماها) بدل : (أنماها) .

(٩) ثابت في الأصل و (ب) ساقط من البقية .

(١٠) ثابت في الأصل و (ب) ساقط من البقية

(١١) الزمن : مبتلى بلاءً بيناً . لسان العرب (٨٧/٦) . وفي البسيط (٨١١/٢) : زمر المروءة .

(١٢) النطف : معناه من أقم بريئة . لسان العرب (١٨٦/١٤) . وفي المطبوع : المتصف .

وكانت أجواد العرب تنزل الرِّبَا^(١) ، ويفاع^(٢) الأرض لتشهر أنفسها للمعتفين^(٣) ، وتوقد النيران في الليل للطارقين ، وكانت اللثام تنزل الأولاج^(٤) والأطراف^(٥) والأهضام^(٦) لتخفي (أنفسها)^(٧) وأما كنها على الطالبين ، فأولئك أعلوا أنفسهم وزكوها ، وهؤلاء أخفوا أنفسهم ودسوها وأنشد (في ذلك)^(٨) :

وبوات ببتك في معلم
كفيت العفاة طلاب القرى
رحيب المباءة والمسرح
ونبح الكلاب لمستبج^(٩)

وقال أبو العباس^(١٠) : سألت ابن الأعرابي^(١١) عن قوله (تعالى)^(١٢) : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) ﴾ . فقال : [دس معناه]^(١٣) دس نفسه مع الصالحين ، وليس منهم^(١٤) وعلى هذا

(١) الرِّبَا : مفردة الربوة وهي : كل ما ارتفع عن الأرض و ربا . لسان العرب (١٢٧/٥) .

(٢) ويفاع : المشرف من الأرض و الجبل . لسان العرب (٤٥٢/١٥) .

(٣) المعتفين : الأضياف و طلاب المعروف . لسان العرب (٢٥٩/٩) .

(٤) الأولاج : جمع وحة ، و هو موضع أو كهف يستتر فيه المارة من مطر أو غيره . لسان العرب (٣٩١/١٥) .

(٥) الأطراف : الساحة من الأرض . لسان العرب (١٤٨/٨) .

(٦) الأهضام : المنطم من الأرض . ومفرده : هضم و هضم . وقيل : هي أسافل الأودية . لسان العرب (١٠١/١٥) .

(٧) ثابت في الأصل و (ب) ساقط من البقية .

(٨) في (م) و (ق) والمطبوع : (أولئك) بدل (هؤلاء) .

(٩) انظر : تأويل مشكل القرآن ص (٣٤٤) و ما بعدها .

والبيان من المنقارب ، ذكرهما الجاحظ في كتابه (الحيوان) (٣٨١/١) و لم ينسبهما لأحد ، و كذا ابن قتيبة في تأويل المشكل ص (٣٤٤) ، و ذكرهما الريدي في تاج العروس و لم ينسبهما لأحد أيضاً (١٥٦/١) .

(١٠) أبو العباس : هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار ، أبو العباس النحوي ، الشيباني مولاهم ، الشهير بثعلب ، إمام أهل الكوفة ومقدمهم

في النحو و اللغة ، ولد سنة (٢٠٠) هـ و توفي سنة (٢٩١) هـ . إنباء الرواة (١٧٣/١ - ١٨٦) ،

بغية الوعاة (٣٩٦/١ - ٣٩٨) .

(١١) ابن الأعرابي : هو محمد بن زياد الأعرابي ، أبو عبد الله ، مولى العباس بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس ، ولد سنة (١٥٠) هـ وتوفي سنة (٢٣١) هـ .

انظر : إنباء الرواة (١٢٨/٣ - ١٣٧) ، بغية الوعاة (١٠٥/١) وما بعدها .

(١٢) ثابت في الأصل و (ب) ساقط من البقية .

(١٣) سقط من الأصل و (ق) و الاستدراك من البقية .

(١٤) انظر : تذيب اللغة للأزهري (٢٨١/١٢) ، و لسان العرب (٣٤٤/٤) .

[فاعني] ^(١) أخفى نفسه في الصالحين يري الناس أنه منهم وهو منطوي على غير ما ينطوي عليه الصالحون .

وقالت ^(٢) طائفة أخرى : الضمير يرجع إلى الله سبحانه ^(٣) . قال ابن عباس في رواية عطاء ^(٤) :

قد أفلحت نفس من زكاها الله فأصلحها ^(٥) ، وهذا قول مجاهد ^(٦) وعكرمة ^(٧) والكلبي ^(٨) وسعيد بن جبير ^(٩) ومقاتل . قالوا : سعدت نفس / وأفلحت نفس أصلحها الله وطهرها ووفقها [١/٨] للطاعة حتى عملت بها ^(١٠) وخابت وخسرت نفس أضلها الله وأغواها وأبطلها وأهلكها ^(١١) .

(١) سقط من الأصل .

(٢) في (م) و (ف) و المنطوي : وقال .

(٣) انظر : الوسيط لنواحيدي (٤٩٧/٤) ، زاد المسير (١٤١/٩) ، البحر المحيط (٤٨١/٨) ، الدر المنثور (٢١/١١) .

(٤) عطاء : هو عطاء بن أبي رباح أسلم القرشي مولاهم ، أبو محمد المكي ، ثقة فقيه عالم كثير الإرسال مشهور بالورع والفضل ، من أهل الفتيا ومن كبار التابعين . قال أحمد (ليس في المرسل أضعف من مرسل الحسن و عطاء ، كانا يأخذان عن كل أحد) . توفي سنة (١١٤) هـ .

انظر : ميران الاعتدال (٤٦٧/٣) ، غاية النهاية (٥١٣/١) .

(٥) ورد قوله من غير ذكر عطاء عنه في : الوسيط (٤٩٧/٤) ، وزاد المسير (١٤١/٩) ، والدر المنثور (٥٣١/٨) ، وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وورد معنى قول ابن عباس عند ابن جرير من طريق علي الوالي عنه انظر : جامع البيان (٢١١/٣٠) .

(٦) مجاهد : هو مجاهد بن حمر ، أبو الحجاج المكي مولى بني مخزوم ، قرأ على ابن العباس ، وصحب ابن عمر مدة كثيرة قال عنه قتادة : أعلم من بقي في التفسير مجاهد ، اختلف في سنة وفاته قيل (١٠١-١٠٢-١٠٣-١٠٤) هـ . طبقات المفسرين للأذنة ص (١١) . شذرات الذهب (٢٢٤/١) .

(٧) عكرمة : هو عكرمة بن عبد الله العلامة المفسر أبو عبد الله البربري ثم المدني مولى عبد الله بن عباس ، ثقة ثبت عالم بالتفسير ، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا يثبت عنه بدعة توفي سنة (١٠٤) هـ .

انظر : سير أعلام النبلاء (٣٦-١٢/٥) ، قذيب التهذيب (٢٧٣-٢٦٣/٧) .

(٨) الكلبي : هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي ، أبو النضر الكوفي ، العلامة الإخباري المفسر ، قال عنه الذهبي : (كان رأساً في الأنساب إلا أنه شيعي متروك الحديث) قال ابن العماد : (اجمعوا على تركه ، وقد اقم بالرفض والكذب) . من مؤلفاته : تفسير الأبي الذي نزل في أقوام بأعيانهم . توفي سنة (١٤٦) هـ .

انظر سير أعلام النبلاء (٢٤٨-٢٤٩/٦) ، وشذرات الذهب (٣٥٧/١) .

(٩) ابن جبير هو : سعيد بن جبير بن هشام الأسدي ، الفقيه المحدث المفسر ، أخذ العلم عن عبد الله بن العباس و عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قتله الحجاج سنة (٩٤) هـ . طبقات المفسرين للأذنة وي ص (١٠) ، الشذرات (١٩٨/١) .

(١٠) في الأصل و (ب) حتى عمل بها . والتصحيح من باقي النسخ .

١١ قول مجاهد و عكرمة و سعيد بن جبير : أخرجها ابن جرير في تفسيره (٢١١/٣٠) من طريقين :

قال أرباب هذا القول : قد أقسم الله تعالى بهذه الأشياء التي ذكرها ، لأنها تدل على وحدانيته وعلى فلاح من طهره وخساره^(١) من خذله حتى لا يظن أحد أنه هو الذي يتولى تطهير نفسه ، وإهلاكها بالمعصية من غير قدر سابق ، وقضاء متقدم^(٢) .

قالوا : وهذا أبلغ في التوحيد الذي سقت له هذه السورة ، قالوا : ويدل عليه قوله : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ (٨) ، قالوا : ويشهد له حديث نافع بن عمر^(٣) عن أبي مليكة^(٤) عن عائشة^(٥) [رضي الله عنها]^(٦) أنها قالت : انتبهت^(٧) ليلة فوجدت رسول الله ﷺ وهو يقول : " رَبِّ أَعْطِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكَّاهَا أَلْتَ وَلِيَّهَا وَمَوْلَاهَا " (٨) .

أحدهما : عن ابن حميد بسنده إلى مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير .

والثاني : عن أبي كريب بسنده إلى مجاهد وسعيد بن جبير ولم يذكر عكرمة .

وأما قول الكلبي : فقد عراه السيوطي في الدر المنثور (٥٣٠/٨) إلى عبد بن حميد .

(١) في (م) و (ق) : (خسار) بدل (خسارة) .

(٢) ما بين القوسين نقله ابن القيم عن الواحدي في تفسيره البسيط (٨٠٦/٢ - ٨١٢) ت. الورثان ، بتصرف .

(٣) نافع : هو نافع بن عمر بن عبد الله بن جميل الجمحي المكي ، كان محدث مكة ، حافظاً ثباتاً ، وأمّه أم ولد ، من كبار السابعة مات سنة (١٦٩) هـ .

تقريب التهذيب ص (٩٩٥) ، الشذرات (٣٥٧/١) .

(٤) ابن أبي مليكة : هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة - بالتصغير - ابن عبد الله بن جدعان . أدرك ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثقة فقيه ولي القضاء ، وإمامة المسجد الحرام مات سنة (١١٧) هـ . الشذرات (٢٦٧/١) ، التقريب ص (٥٢٤) .

(٥) عائشة : هي الصديقة بنت الصديق أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهم أجمعين ، أم المؤمنين ، كانت أحب نساء النبي صلى الله عليه وسلم إليه ، وهي فقيهة من فقهاء الصحابة ، ذكر الذهبي أن مسند عائشة يبلغ (٢٢١٠) . اتفق البخاري ومسلم على (١٧٤) حديثاً ، وانفرد البخاري بـ (٥٤) حديثاً ، ومسلم بـ (٦٩) حديثاً . توفيت سنة (٥٧) هـ كما رجح ذلك ابن حجر . سير أعلام النبلاء (٢٠١ - ١٣٥/٢) ، الإصابة في تمييز الصحابة (٤٣٨/٤ - ٤٥٠) .

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب) و المطبوع .

(٧) في المطبوع : زيادة (نفسي) بعد : (انتبهت) .

(٨) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٠٩/٦) من طريق نافع بن عمر بن صالح بن سعيد عن عائشة : أنها فقدت النبي صلى الله عليه وسلم من مضجعه ، فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول ... الحديث . أما هذه الرواية التي ذكرها ابن القيم فقد أخرجهما الواحدي في تفسيره البسيط (٨٠٩/٢) بسنده من طريق رواد بن الجراح عن نافع عن أبي مليكة عن عائشة به . وفيه انقطاع حيث أن رواد بن الجراح ليس من شيوخه نافع فرواد من التاسعة ونافع من كبار السابعة انظر : التقريب ص (٥٥٨) . والحديث له شاهد من حديث يزيد بن الأرقم عند مسلم ح (٢٧٢٢) وعند أحمد في المسند (٣٧١/٤) .

قالوا^(١) فهذا الدعاء هو تأويل الآية بدليل الحديث الآخر أن النبي ﷺ كان إذا قرأ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ (٩) وقف ثم قال : " اللهم آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، أُنْتَ وَلِيَّهَا وَمَوْلَاهَا ، وَزَكَّاهَا أُنْتَ خَيْرَ مَنْ زَكَّاهَا . . " ^(٢) .

قالوا : وفي هذا ما يبين أن الأمر كله له سبحانه ، وأنه^(٣) خالق النفس وهو ملهمها الفجور والتقوى ، وهو مزكّيها ومدسّيها ، فليس للعبد في الأمر شيء ولا هو مالك من [أمر] ^(٤) نفسه شيئاً .

قال أرباب القول الأول : هذا القول [و] ^(٥) إن كان جائزاً في العربية حملاً^(٦) للضمير المنصوب على معنى من ، وإن كان لفظها^(٧) مذكراً كما في قوله (عز وجل) ^(٨) : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ ، جمع الضمير إن كان لفظ (من) مفرداً حملاً على لفظها^(٩) ، فهذا إنما يحسن حيث لا يقع لبس في مفسر الضمائر ، وها هنا قد تقدم لفظ (من) والضمير المرفوع في (زكّاهَا) يستحقه لفظاً ومعنى ، فهو أولى به ، ثم يعود الضمير المنصوب على النفس التي هي أولى به لفظاً ومعنى ، فهذا هو النظم الطبيعي الذي يقتضيه سياق الكلام ووضعه .

(١) في الأصل و (ب) قال .

(٢) الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٦/١١) من حديث يحيى بن عثمان بن صالح عن أبيه عن أبي لهعة عن عمرو بن دينار وعطاء بن أبي رباح عن ابن عباس . قال صاحب الجمع : رواه الطبراني وإسناده حسن . مجمع الزوائد (١٣٨/٧) .

(٣) في (م) و (ق) و المطبوع : (فإنه هو خالق . .) .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (م) و (ق) و المطبوع .

(٥) يؤيد هذا ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي الأسود الدؤلي عن عمران بن حصين وفيه : أن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا : يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه شيء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر سبق ، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبت الحجة عليهم ؟ فقال : (لا ، بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم . و تصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ و نفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ﴾ .

صحيح مسلم في (٤٦) كتاب القدر (١) باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه و كتابة رزقه و أجله و عمله و شقاوته ح (٢٦٥٠)

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (م) و (ق) و المطبوع .

(٧) في المطبوع : (حاملاً) .

(٨) في (ب) : (و إن كان لفظاً مذكراً) .

(٩) قوله (عز وجل) سقط من (م) و (ق) و المطبوع .

(١٠) سورة يونس آية (٤٢) .

(١١) في المطبوع : نظمها .

وأما عود الضمير الذي يلي (من) على الموصول السابق ، وهو قوله : ﴿ وما سواها ﴾ ، وإخلاء جاره الملاصق له^(١) من عوده إليه ، ثم عود الضمير المنصوب وهو المؤنث^(٢) على ﴿ من ﴾ ولفظه يذكر^(٣) دون النفس المؤنثة ، فهذا يجوز لو لم يكن للكلام محمّلٌ غيره أحسن / منه ، فأما إذا كان سياق الكلام ونظمه يقتضي خلافه ولم تدع الضرورة إليه فالحمل عليه ممتنع .

قالوا : والقول الذي ذكرناه أرجح من جهة المعنى لوجوه :

أحدها : أن فيه إشارة إلى ما تقدّم من تعليق الفلاح على فعل العبد واختياره كما هي^(٤) طريقة القرآن .

الثاني : أن فيه زيادة فائدة وهي إثبات فعل العبد وكسبه وما يثاب ويعاقب عليه ، وفي قوله : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ ، إثبات القضاء والقدر السابق فتضمنت الآيتان هذين الأصلين العظيمين^(٥) وهما كثيراً ما يقتربان في القرآن كقوله : ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ (٥٤) فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ﴾^(٦) ، وقوله : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾^(٧) .

(١) في (م) : حاره الملاصق له وهو (من) من عوده عليه ، وفي (ق) : الملاصق له وهو من عوده ، وفي المطبوع : حاره الملاصق له وهو (من) ، ثم عود الضمير .

(٢) في (م) و (ق) والمطبوع : مؤنث .

(٣) في المطبوع : ولفظه مذكر .

(٤) في (ق) : في .

(٥) قال شارح الطحاوية : فقوله : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ إثبات للقدر بقوله : ﴿ فَأَلْهَمَهَا ﴾ وإثبات لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه ليعلم أنها هي الفاجرة والتقوى ، وقوله بعد ذلك : ﴿ قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها ﴾ إثبات أيضاً لفعل العبد .

شرح الطحاوية لأبن أبي العز (٦٤٤/٢) .

(٦) سورة المدثر الآيات (٥٤-٥٦) .

(٧) في (م) و (ق) والمطبوع : تكلمة الآية . سورة التكويم الآيتان (٢٨-٢٩) .

فتضمنت الآيتان الرد على القدرية^(١) والجبرية^(٢).

الثالث : أن قولنا يستلزم قولكم دون العكس فإن العبد إذا زكى نفسه ودسأها فإنما^(٣) يزكيها بعد تزكية الله لها بتوفيقه وإعانتة وإنما يدسها بعد تدسية الله لها بخذلانه والتخلية بينه وبين نفسه بخلاف ما إذا كان المعنى على القدر^(٤) المحض لم يبق للكسب وفعل العبد ههنا ذكر البتة .



(١) القدرية : هم الذين يخوضون في القدر ، و يذهبون إلى نفيه وإنكاره ، وأول القدرية هو معبد الجهني المقتول سنة (٨٠) هـ ، وتبعه على ذلك غيلان بن مسلم الدمشقي المقتول في عهد عبد الملك بن مروان و سميت القدرية بهذا الاسم لإنكارهم القدر ، يقول الجرجاني : (القدرية هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله) . انظر : الفرق بين الفرق (٩٤) ، التعريفات للجرجاني (١١٦) .

(٢) الجبرية : من الجبر ، وهو إسناد فعل العبد إلى الله تعالى . و الجبرية صنفان : الجبرية الخالصة : و هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً كجهنم بن صفوان وأصحابه ، و الجبرية المتوسطة : وهذه التي تثبت للعبد كسباً في الفعل كالأشعرية .

انظر : الملل والنحل للشهرستاني (٩٠/١) ، التعريفات للجرجاني (١٠١) .

(٣) في (ق) زيادة (هو) بعد (فإنما) .

(٤) في المطبوع : زيادة (السابق) بعد القدر .

﴿ فصل ٥ ﴾

{ الحكمة في تخصيص ثمود بالذكر دون غيرهم }

وذكر في هذه السورة ثمود دون غيرهم من الأمم المكذبة ، قال ^(١) شيخنا : والله أعلم هذا ^(٢) من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى ، فإنه لم يكن من ^(٣) الأمم المكذبة أخف ذنباً وعذاباً منهم إذ لم يذكر عنهم من الذنوب ما ذكر عن عاد ومدين ، وقوم لوط وغيرهم . . . ولهذا لما ذكرهم وعاداً قال : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ ^(٤) ، ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ ^(٥) .

وكذلك إذا ذكرهم مع الأمم المكذبة لم يذكر عنهم ما يذكر عن أولئك من التجبر والتكبر والأعمال السيئة كاللواط ، وبخس المكيال والميزان ، والفساد في الأرض .

كما في سورة هود والشعراء وغيرهما . . فكان في قوم لوط - مع الشرك - إتيان الفواحش ^(٦) التي لم يسبقوا إليها .

وفي [قوم] ^(٧) عاد - مع الشرك - التجبر والتكبر والتوسع في الدنيا ، وشدة البطش ، وقولهم ، من أشد منا قوة ؟ .

[١/٩]

وفي أصحاب مدين - مع الشرك - / الظلم في الأموال .

وفي قوم فرعون الفساد في الأرض والعلو .

وكان عذاب كل أمة بحسب ذنوبهم وجزائهم ، فعذبَتْ ^(٨) عاد بالريح الشديدة العاتية

^(١) مكذا في الأصل و (ب) ، وفي (م) و (ق) و المطبوع : فقال .

^(٢) في (م) و (ق) و المطبوع : هذا - والله أعلم - .

^(٣) في (م) و (ق) و المطبوع : (في) بدل (من) .

^(٤) سورة فصلت آية (١٥) .

^(٥) سورة فصلت آية (١٧) . وفي المطبوع ذكر الآية التي بين هاتين الآيتين .

^(٦) في (م) و (ق) و المطبوع : (الفاحشة) بدل (الفواحش) .

^(٧) ما بين المعقوفين زيادة من (م) و (ق) و المطبوع .

^(٨) في (م) و (ق) و المطبوع : (فعذب قوم عاد) .

التي لا يقوم لها شيء ، وعَذَّبَ قوم لوط بأنواع من العذاب لم يعَذَّبَ بها أُمَّةٌ غيرهم ، وَجَمَعَ^(١) لهم بين الهلاك والرحم بالحجارة من السماء وَطَمَسَ الأبصار ، وَقَلَّبَ ديارهم عليهم بأن جعل عاليها سافلها ، والخسف بهم إلى أسفل سافلين .

وعَذَّبَ قوم شعيب بالنار التي أحرقتهم وأحرقت تلك الأموال التي كسبوها^(٢) بالظلم والعدوان .

وَأَمَّا ثمود فأهلكهم^(٣) بالصيحة ، فماتوا في الحال ، فإذا كان هذا عذابه لهؤلاء وذنبهم مع الشرك عَقْرَ ناقة واحدة^(٤) جعلها الله لهم آية ، فمن انتهك محارم الله واستخف بأوامره ونواهيه ، وعَقَرَ عباده وسَفَكَ دماءهم ، كان أشدَّ عذاباً .

ومن اعتبر أحوال [العالم]^(٥) قديماً وحديثاً ، وما يعاقب به من سعى في الأرض بالفساد وسَفَكَ الدماءَ بغير حق ، وأقام الفتنَ واستهانَ بحرماتِ الله عِلِمَ أَنَّ النجاةَ في الدنيا والآخرة للذين آمنوا وكانوا يتقون^(٦) .

قلت : وقد يظهر في تخصيص ثمود بالذكر ههنا دون غيرهم معنى آخر وهو أَنَّهُمْ رَدُّوا الهدى بعدما تيقنوه وكانوا مستبصرين به ، قد ثلجت له صدورهم واستيقنته أنفسهم فاختاروا عليه العمى و الضلالة كما قال (تعالى)^(٧) : ﴿ وَأَمَّا ثُمُودُ فَبَدَّيْنَاهُمْ فَأَسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾^(٨) . أي موجبة لهم التبصّر واليقين ، وإن كان جميع الأمم المهلكة هذا شأنهم فإن الله لم يهلك أمة إلا بعد قيام الحجة عليها ، لكن

^(١) في المطبوع : (فَجَمَعَ) بدل (وَجَمَعَ) .

^(٢) في المطبوع : (اكتسبوها) .

^(٣) في المطبوع : (فأهلكوا) .

^(٤) في (م) و (ق) و المطبوع : (عقر الناقة التي جعلها . . .) .

^(٥) سقط من الأصل و (ب) و مثبت في باقي النسخ .

^(٦) مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ سورة فصلت آية (١٨) .

^(٧) سقط من (م) و (ق) و المطبوع .

^(٨) الإسراء الآية (٥٩) .



خَصَّتْ ثُمُودَ مِنْ ذَلِكَ : الْهُدَى وَالْبَصِيرَةَ بِمَزِيدٍ ، وَلِهَذَا لَمَّا قَرَأَهُمْ ^(١) بَعَادَ قَالَ : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ الْآيَةَ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَأَمَّا ثُمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا / الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ .

ولهذا أمكن عَاداً المَكَابِرَةَ ، وَأَنْ يَقُولُوا لِنَبِيِّهِمْ : ﴿ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ﴾ ^(٢) ، وَلَمْ يُمْكِنْ ذَلِكَ ثُمُودَ ، وَقَدْ رَأَوْا الْبَيِّنَةَ عَيَاناً ، وَصَارَتْ لَهُمْ بِمِثْلَةِ رُؤْيَا الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، فَردُّوا الْهُدَى بَعْدَ تَيَقُّنِهِ وَالْبَصِيرَةَ التَّامَّةَ بِهِ ^(٣) ، فَكَانَ فِي تَخْصِيصِهِم بِالذِّكْرِ تَحْذِيرٌ لِكُلِّ مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ وَلَمْ يَتَّبِعْهُ ، وَهَذَا دَاءُ أَكْثَرِ الْهَالِكِينَ وَهُوَ أَعَمُّ الْأَدْوَاءِ وَأَغْلَبُهَا عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَاللَّهُ (سُبْحَانَهُ) ^(٤) أَعْلَمُ .



(١) فِي (م) وَ (ق) وَالْمَطْبُوعُ : زِيَادَةُ (قَوْم) .

(٢) سُورَةُ هُودٍ آيَةُ (٥٣) .

(٣) قَوْلُهُ : (بِهِ) سَقَطَ مِنَ الْمَطْبُوعِ .

(٤) قَوْلُهُ : (سُبْحَانَهُ) سَقَطَ مِنْ (م) وَ (ق) وَالْمَطْبُوعِ .

❦ فصل ❦

{ القسم في سورة الفجر }

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرِ (٥) ﴾^(١) ، قيل جوابه قوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) ﴾^(٢) . وهذا ضعيف لوجهين :

أحدهما : طول الكلام والفصل بين القسم وجوابه يحمل كثيرة .

والثاني : أن^(٤) قوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) ﴾ . ذكر تقريراً^(٥) لعقوبة الله الأمم المذكورة ، وهي : عاد وثمود وفرعون فذكر عقوبتهم ثم قال مقررراً محذراً : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) ﴾ . فلا ترى تعلقه^(٧) بذلك دون القسم .

وأحسن من هذا أن يقال : إن الفجر والليالي^(٨) العشر زمن يتضمن أفعالاً معظمة ، (والعشر هو عشر ذي الحجة ، وهو يتضمن أفعالاً معظمة)^(٩) من المناسك وأمكنة معظمة وهي : محلّها وذلك من شعائر الله المتضمنة خضوع العبد لربه ، فإن الحج والنسك عبودية

(١) سورة الفجر الآيات (١ - ٥) .

(٢) سورة الفجر آية (١٤)

(٣) ومن قال بهذا القول : الزجاج في معانيه (٣٢١ / ٥) ، والواحد في الوسيط (٤٨١ / ٤) و البغوي في تفسيره (٤١٧ / ٨)
وقيل : إن جوابه محذوف تقديره : (لنحازين كل أحد بعمله) ، بدليل تعديده ما فعل بالقرون الخالية ، وقدره الزمخشري : (ليعذبن) ، وقدره أبو حيان : بما دلت عليه خاتمة السورة قبله أي : لإياهم إلينا وحسابهم علينا .

انظر : الكشف (٧٤٧ / ٤) ، البحر المحيط (٤٦٨ / ٨) ، والدر المصون (٧٧٧ / ١٠) .

(٤) سقط من (م) و (ق) و المطبوع .

(٥) في المطبوع : ذكر لتقرير عقوبة . . .

(٦) في (م) و (ق) : أفلا .

(٧) في (ق) : تعليقه .

(٨) في المطبوع : (إن الفجر في الليالي العشر . . .) .

(٩) ما بين القوسين سقط من (م) و (ق) و المطبوع .



مَحْضَةً لِّلَّهِ ، وَذَلْ وَخُضُوعٍ لِّعَظَمَتِهِ ، وَذَلِكَ ضِدَّ مَا وَصَفَ بِهِ عَادَاً وَثُمُودَ وَفِرْعَوْنَ مِنَ الْعَتَاوِ
وَالْتَكْبَرِ وَالتَّجَبُّرِ فَإِنَّ النِّسْكَ يَتَضَمَّنُ غَايَةَ الْخُضُوعِ لِّلَّهِ ، وَهَؤُلَاءِ الْأُمَمُ عَتَاوَا وَتَكَبَّرُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ .
وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ^(١) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ
[فِيهَا] ^(٢) أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا الْجِهَادُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ^(٣) إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مَنْ
ذَلِكَ بِشَيْءٍ " ^(٤) . فَالزَّمَانُ الْمُتَضَمِّنُ لِمِثْلِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ أَهْلٌ أَنْ يَقْسِمَ اللَّهُ ^(٥) عِزَّ وَجَلَّ بِهِ .

﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ / إِنْ أُرِيدَ / بِهِ جِنْسُ الْفَجْرِ ^(٦) كَمَا هُوَ ظَاهِرُ اللَّفْظِ فَإِنَّهُ يَتَضَمَّنُ وَقْتَ صَلَاةٍ [١/٨٠]
الصُّبْحِ الَّتِي هِيَ أَوَّلُ الصَّلَوَاتِ ، فَافْتَتَحَ الْقِسْمَ بِمَا يَتَضَمَّنُ أَوَّلَ الصَّلَوَاتِ ، وَخَتَمَهُ بِقَوْلِهِ :
﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَّ ﴾ الْمُتَضَمِّنِ لِآخِرِ الصَّلَوَاتِ .
وَإِنْ أُرِيدَ بِالْفَجْرِ فَجْرٌ مَخْصُوصٌ ^٨ فَهُوَ فَجْرُ يَوْمِ النَّحْرِ وَلَيْلَتِهِ الَّتِي هِيَ لَيْلَةُ عَرَفَةَ ،
فَتِلْكَ اللَّيْلَةُ مِنْ أَفْضَلِ لَيَالِي الْعَامِ ، " وَمَا رَأَى الشَّيْطَانُ فِي لَيْلَةِ أَدْحَرٍ وَلَا أَحْقَرٍ وَلَا أَغْيَظَ
مِنْهَا " ^(٩) .

(١) فِي الْمَطْبُوعِ زِيَادَةُ قَوْلِهِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) .

(٢) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنَ الْأَصْلِ وَ (ب) .

(٣) قَوْلُهُ : (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) سَقَطَ مِنْ (م) وَ (ق) .

(٤) قَوْلُهُ : (ثُمَّ) سَقَطَ مِنَ الْمَطْبُوعِ .

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (١٣) كِتَابِ الْعِيدِينَ ، (١١) بَابِ فَضْلِ الْعَمَلِ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ . ح (٩٦٩) وَلَفْظُهُ : (مَا الْعَمَلُ فِي
أَيَّامِ الْعَشْرِ أَفْضَلُ مِنَ الْعَمَلِ فِي هَذِهِ . قَالُوا : وَلَا الْجِهَادُ ؟ قَالَ : (وَلَا الْجِهَادُ ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِخَاطِرِ نَفْسِهِ وَمَالِهِ
فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ) .

(٦) فِي (م) وَ (ق) وَالْمَطْبُوعِ : (الرَّبِّ) بَدَلَ لَفْظِ الْجَلَالَةِ (اللَّهُ) .

(٧) كَمَا رَوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعُكْرَمَةُ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ وَالْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ . انْظُرْ : جَامِعُ الْبَيَانِ (١٦٨/٣٠) ،
وَتَفْسِيرُ الْبَسِيطِ (٧٣٣/٢ - ٧٣٤) ت. الْوَرِثَانُ ، النُّكْتُ وَالْعَيُونُ (٢٦٥/٦) وَمَعَالِمُ التَّنْزِيلِ (٤١٥/٨) ، زَادَ الْمَسِيرَ (١٠٣/٩)
(٨) وَهُوَ مَرْوِيٌّ أَيْضاً عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ رِوَايَةِ عَطَاءٍ ، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ وَالضَّحَّاكَ وَمُجَاهِدٍ . انْظُرْ : الْبَسِيطُ لِلْوَاهِدِيِّ (٧٣٤/٢) ،
مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ (٤١٥/٨) ، زَادَ الْمَسِيرَ (١٠٣/٩) ، الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ (٣٨-٣٩) .

(٩) جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ مَالِكٌ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ مَرْسُلاً ح (٩٥٤) ص (٢٩١) ، وَلَفْظُهُ عِنْدَهُ : " مَا رَأَى
الشَّيْطَانُ يَوْمًا هُوَ فِيهِ أَصْفَرٌ وَلَا أَدْحَرُ وَلَا أَحْقَرُ وَلَا أَغْيَظَ مِنْهُ فِي يَوْمٍ عَرَفَةَ . . . " الْحَدِيثُ . وَ عَنْ مَالِكٍ أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي
مُصَنَّفِهِ فِي كِتَابِ الْحَجِّ بَابِ فَضْلِ الْحَجِّ ح (٨٨٣٢) وَلَفْظُهُ عِنْدَهُ : " مَا يَوْمَ ابْلِيسَ فِيهِ أَدْحَرُ وَلَا أَوْهَقُ وَلَا هُوَ أَغْيَظُ مِنْ يَوْمٍ عَرَفَةَ " .
وَأَخْرَجَهُ ابْنُ نَافِعٍ فِي مَعْجَمِ الصَّحَابَةِ (١٠٧/٢) مِنْ حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عُلْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمِّ حَرَامٍ مُوَصَّلاً وَرَوَاهُ عَنْ

وذلك الفجر فجر يوم النحر ، الذي هو أفضل الأيام عند الله كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : " أفضل الأيام عند الله يوم النحر " ^(١) رواه أبو داود بإسناد صحيح . وهو آخر أيام العشر ، وهو يوم الحج الأكبر كما ثبت في صحيح البخاري وغيره ^(٢) ، وهو اليوم الذي أذن فيه مؤذن رسول الله ﷺ : " أن الله بريء من المشركين ورسوله ، وأن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان " ^(٣) . .

ولا خلاف أن المؤذن أذن بذلك في يوم النحر ، لا في ^(٤) يوم عرفة ، وذلك بأمر رسول الله ﷺ امتثالاً وتأويلاً للقرآن ^(٥) .

وعلى هذا قد ^(٦) تضمن المقسم المناسك والصلوات وهما المختصتان ^(٧) بعبادة الله والخضوع له ، والتواضع لعظمته ، ولهذا قال الخليل ^(٨) : ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي

مالك أيضاً يحيى بن بكر عند البيهقي في شعب الإيمان (٢٥) باب في المناسك ، فضل الوقوف بعرفات ح (٤٠٦٩) وقال البيهقي : أخبرناه أبو عبد الله الحافظ في موضوع آخر قال : وقد كتبه من حديث أبي الدرداء متصلاً . قال أبو علي الحافظ : أخبرناه عبد الله بن وهب الديوري . أحمد بن أيوب بن سويد عن أبيه عن إبراهيم بن أبي عبلة عن طلحة عن أبي الدرداء . انظر أيضاً / شعب الإيمان (٤٦١/٣) .

وقال ابن عبد البر : ومن هذا الحديث محفوظ من وجوه كثيرة . التمهيد (١١٦/١) .

(١) أخرجه أبو داود في (٧) كتاب المناسك ، (١٧) باب في الهدى إذا عطب قبل أن يبلغ ح (١٧٦٢) عن عبد الله بن قرط ولفظه : " إن أعظم الأيام عند الله يوم النحر . . .) ، وأحمد في المسند (٣٥٠/٤) ، والحاكم في المستدرک في (٤١) كتاب الأضاحي ، (١) باب أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر ، ح (٧٥٩٧) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، و البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الحج باب نحر الإبل قياماً غير معقولة ، أو معقولة اليسرى (٢٧٣/٥) ، وابن حبان في صحيحه في (٩) كتاب الصلاة ، (٣١) باب العيدين ح (٢٨١١) ، ولكن من طريق يحيى بن سعيد عن ثور عن راشد بن سعد ، عن عبد الله بن الحفي ، عن عبد الله بن قرط به . ولكم ورد عند البيهقي وابن حبان (أفضل) بدلاً من (أعظم) . والحديث إسناده صحيح .

(٢) كما أورده البخاري من قول حميد بن عبد الرحمن حيث يقول : (يوم النحر يوم الحج الأكبر) من أجل حديث أبي هريرة .

صحيح البخاري : (٦٥) كتاب التفسير (٩) سورة براءة ، (٤) باب (إلا الذين عاهدتم من المشركين) ح (٤٦٥٧) ومسلم في (١٥) كتاب الحج (٧٨) باب لا يحج البيت مشرك ح (١٣٤٧) .

(٣) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه أحدها : (٨) كتاب الصلاة ، (١٠) باب ما يستر من العورة ح (٣٦٩) ، ومسلم في (١٥) كتاب الحج ، (٧٨) باب لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، ويان يوم الحج الأكبر ح (١٣٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) قوله : (في) سقط من المطبوع .

(٥) في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا . ﴾ الآية . سورة التوبة آية (٢٨)

(٦) في المطبوع : (فقد) .

(٧) في المطبوع : (المختصان) .

(٨) في المطبوع : زيادة (عليه السلام) .

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ ^(١) ، وقيل لحاتم الرسل ^(٢) : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾ ^(٣) ، بخلاف حال المشركين المتكبرين الذين لا يعبدون الله وحده بل يشركون به ، ويستكبرون عن عبادته ، كحال من ذكر في هذه السورة ، من قوم عاد وثمود ، وفرعون .
وذكر سبحانه من جملة هذه الأقسام : (الشفع والوتر) ، إذ هذه الشعائر المعظمة منها شفع ، ومنها وتر في في الأمكنة ، والأزمنة ، والأعمال .
فالصفاء والمروة شفع ، والبيت وتر ، والجمرات وتر ومنى مزدلفة شفع [وعرفة وتر و أما الأعمال فالطواف وتر ، وركعتاه شفع] ^(٤) .

والطواف بين الصفا والمروة وتر ورمي الجمار وتر / ، كل ذلك سبع سبع ، وهو الأصل ، [١٠٠ ب]
فإن الله وتر ، يحب الوتر .

والصلوات ^(٥) منها شفع ومنها وتر ، والوتر يوتر الشفع فتكون كلها وترأ ، كما قال النبي ﷺ : " المغرب وتر النهار ، فأوتروا صلاة الليل " رواه أحمد ^(٦) . وفي الصحيح عنه ﷺ قال :
" صلاة الليل مثنى مثنى فإن خشيت الصبح فأوتر بواحدة ، توتر لك ما قد صليت " ^(٧) .
وأما الزمان فإن يوم عرفة وتر ، ويوم النحر شفع ، وهذا قول أكثر المفسرين ^(٨) .

(١) سورة الأنعام الآيتان (١٦٢-١٦٣) . وفي (م) و (ق) و المطبوع : من غير ذكر (لا شريك له) .

(٢) في المطبوع : زيادة (نَحْر) .

(٣) سورة الكوثر آية (٢) .

(٤) سقط من الأصل . ومثبت في باقي النسخ .

(٥) في المطبوع : والصلاة .

(٦) أخرجه الإمام في مواضع من مسنده من حديث ابن عمر ولفظه : (صلاة المغرب وتر صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل) .

انظر : مسند أحمد (٢ / ٣٠-٤١-٨٣-١٥٤) ، وأخرج أيضاً بلفظ آخر عن عائشة رضي الله عنها قالت : قد فرضت الصلاة ركعتين ركعتين . . . إلى أن قالت : إلا المغرب فإنها وتر النهار . . . الحديث المسند (٦ / ٢٤١-٢٦٥) . كما أخرجه بلفظ مقارب له مالك في الموطأ في (١) كتاب الصلاة (٧٣) الأمر بالوتر ، ح (٣٢٨) عن ابن عمر موقوفاً ولفظه : (صلاة المغرب وتر صلاة النهار) .

(٧) أخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه : أحدها : في (٨) كتاب الصلاة ، (٨٤) باب الحلق والجلوس في المسجد ح (٤٧٣) و مسلم في (٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٢٠) باب صلاة الليل مثنى مثنى و الوتر ركعة من آخر الليل ح (٧٤٩) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

(٨) انظر : معاني القرآن للفراء (٣ / ٢٥٩) ، معاني الزجاج (٥ / ٣٢١) ، جامع البيان (٣٠ / ١٧٠) ، زاد المسير (٩ / ١٠٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٠ / ٤٠) تفسير ابن كثير (٤ / ٥٠٥) وغيرها .

وروى مجاهد عن ابن عباس : والوتر آدم ، وشفع بزوجه حواء^(١) . وقال في رواية أخرى الشفع آدم وحواء الوتر الله وحده^(٢) .
وعنه رواية ثالثة : الشفع يوم النحر (والوتر ثلاثة أيام بعده^(٣)) . وقال ابن الزبير^(٤) :
الشفع يومان بعد يوم النحر^(٥) ، والوتر اليوم الثالث^(٦) .
وقال عمران بن حصين^(٧) وقادة^(٨) : الشفع والوتر هي الصلاة^(٩) ، وروى فيه حديثاً مرفوعاً^(١٠) .

- (١) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص (٥٢٦) ، البسيط للواحدي (٧٤٠/٢) ت. الورثان ، بحر العلوم للسمرقندي (٤٧٥/٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٤٠/٢٠) .
(٢) وهي رواية عطاء عنه كما في البسيط (٧٤٠/٢) ت. الورثان ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن (٤٠/٢٠) ، فتح القدير للشوكاني (٥٠٦/٥) .
(٣) كما هي رواية الكلبي عنه كما ذكره الواحدي في البسيط (٧٤٠/٢) ت. الورثان ، وذكره القرطبي في جامع منسوباً إلى عطاء . انظر : الجامع لأحكام القرآن (٤٠/٢٠) .
(٤) ابن الزبير : هو عبد الله بن الزبير بن العوام ، أبو بكر وأبو حبيب القرشي الأسدي ، المكي المدني ، كان أول مولود للمهاجرين في المدينة ، له صحبة وعدادة في صغار الصحابة ، كان كبيراً في العلم والشرف والجهاد والعبادة ، توفي في خلافة عبد الملك بن مروان قتلاً بيد الحجاج بن يوسف الثقفي سنة (٧٣) هـ .
انظر : أسد الغابة (٢٤٢/٣) ، الإصابة (٦٩/٤) .
(٥) ما بين القوسين سقط من المطبوع .
(٦) انظر : النكت والعيون (٢٦٦/٦) ، البسيط (٧٤٠/٢) ، معالم التنزيل (٤١٦/٨) زاد المسير (١٠٦/٩) .
(٧) عمران : هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف ، أبو نجيد الخزاعي ، أسلم يوم خيبر ، غزا عدة غزوات ، كان من علماء الصحابة و فقهاءهم . بعثه عمر إلى أهل البصرة ليفقههم . روى عنه : مطرف بن عبد الله بن الشخير ، والحسين وابن سيرين والشعبي ، وغيرهم . كانت الملائكة تسلم عليه . توفي سنة (٥٢) هـ بالبصرة في خلافة معاوية رضي الله عنهم أجمعين .
انظر : طبقات ابن سعد (٢٨٧/٤ - ٢٩١) ، الاستيعاب (١٢٠٨/٣) .
(٨) أخرج قول قتادة الطبري في تفسيره (١٧١/٣٠) ، وحسن إسناده صاحب التفسير الصحيح (٦٢٧/٤) ، وذكره البغوي في تفسيره (٤١٦/٨) ، ابن الجوزي في زاد المسير (١٠٦/٩) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٢/٨) وقال أخرجه بن حميد .
(٩) أخرج قول عمران : عبد الرزاق في تفسيره (٣٧٠/٢) ، وابن جرير في جامعه (١٧١/٣٠) وإسناده حسن كما قال ذلك .
د. حكمت بشير في التفسير الصحيح (٦٧١/٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٢/٨) إلى عبد بن حميد .
(١٠) وهو عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر فقال : ((هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر)) . والحديث أخرجه الترمذي في جامعه (٤٨) كتاب تفسير القرآن (٧٩) باب ومن سورة الفجر ، وقد ضعف إسناده الألباني رحمه الله كما في ضعيف سنن الترمذي (٦٦١) ، وقد أخرجه أيضاً أحمد في مسنده (٤٣٧/٤ - ٤٣٨ - ٤٤٢) ، والحاكم في مستدركه في (٢٨) كتاب التفسير باب تفسير سورة الفجر ح (٣٩٨٣) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، وأخرجه أيضاً ،

وقال عطية العوفي^(١) : الشفع : الخلق ، قال الله تعالى : ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) ﴾^(٢) ، والوتر هو الله^(٣) .

وهذا قول الحكم^(٤) ، قال : كل شيء شفع [والله وتر^(٥)] .

و قال أبو صالح^(٦) : خلق الله من كل زوجين اثنين^(٧) ، والله وتر واحد^(٨) ، وهذا قول مجاهد^(٩) ومسروق^(١٠) .

- ابن جرير في تفسيره (١٧٢/٣٠) ، وابن أبي حاتم كما نقله عنه ابن كثير (٥٠٦/٤) ، وفي اسناده عمران بن عصام لم يوثقه غير ابن حبان وقد قال ابن كثير : و عندي أن وقفه على عمران بن حصين أشبه والله أعلم .
- (١) العوفي : هو عطية بن سعد بن جنادة العوفي الكوفي ، أبو الحسن ، صدوق يخطئ كثيراً ، وقال ابن سعد : (كان ثقة) ، روى عن أبي سعيد ، روى عنه ابنه عمرو والحسن ، وكان شيعياً مدلساً مات سنة (١١١) هـ .
- انظر : طبقات ابن سعد (٣٨٢/٦) الكاشف (٢٦٩/٢) ، وتقريب التهذيب ص (٣٩٣) .
- (٢) سورة النبأ آية (٨) .
- (٣) عزاه إليه : الواحدي في البسيط (٧٣٩/٢) ت. الورثان ، والبغوي في تفسيره (٤١٦/٨) .
- (٤) الحكم : لعلة الحكم ابن أبان : و هو الحكم ابن أبان العدني أبو عيسى صدوق عابد وله أوهام ، وقال الذهبي : (ثقة صاحب سنة كان سيد أهل اليمن) ، روى عن طاووس و عكرمة و وهب بن منبه . روى عنه : ابنه إبراهيم و اسماعيل بن علي ، وسفيان بن عيينة مات سنة (١٥٤) هـ .
- انظر : الثقات لابن حبان (١٨٥/٦) ، الكاشف (٢٤٤/١) ، تقريب التهذيب ص (١٧٤) .
- (٥) نسبه إليه الواحدي في البسيط (٧٤١/٢) ت. الورثان .
- (٦) أبو صالح : باذام ويقال : باذان مولى أم هانئ بنت أبي طالب بن عبد المطلب ، تابعي روى عن علي ، وابن عباس وغيرهما ، و عنه : الأعمش و الثوري و اسماعيل بن أبي خالد . قال ابن معين : ليس به بأس ، وقال ابن القطان : لم أر أحداً من أصحابنا تركه وقال ابن حجر : ضعيف مدلس من الثالثة . و قد ذكر الذهبي أن أبا صالح باذام من طبقة أبي صالح السمان و لكنه توفي بعده بنحو من عشرين سنة و قد توفي السمان سنة (١٠١) هـ .
- انظر : طبقات ابن سعد (٣٠٢/٥) ، سير أعلام النبلاء (٣٧/٥-٣٨) ، تهذيب التهذيب (٤١٦-٤١٧) .
- (٧) ما بين المعقوفين سقط من الأصل و هو مثبت في (ب) و (م) و (ق) و المطبوع .
- (٨) عزاه إليه الواحدي في البسيط (٧٣٩/٢) ت. الورثان ، والبغوي في تفسيره (٤١٦/٨) .
- (٩) أخرجه الطبري بسنده إلى مجاهد جامع البيان (١٧١/٣٠) و إسناده صحيح كما قال صاحب التفسير الصحيح (٦٢٧/٤) ، و قد ذكره عنه أيضاً : الواحدي في البسيط (٧٤٢/٢) ، والبغوي في تفسيره (٤١٧/٨) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٠٦/٩) .
- (١٠) مسروق : هو مسروق بن الأجدع بن مالك أحمداً الوادعي ، أبو عائشة الكوفي ، روى عن أبي بكر و عمر و عثمان و علي و ابن مسعود و عائشة وغيرهم رضي الله عنهم ، روى عنه أبو وائل و الشعبي و إبراهيم النخعي وغيرهم وهو ثقة فقيه عابد مخضرم روى له الجماعة . توفي سنة (٦٣) هـ .
- انظر : سير أعلام النبلاء (٣ / ٢٦٥) ، تهذيب التهذيب (١٠٩/١٠-١١١) .

قال الحسن : الشفع والوتر العدد كله منه شفع و [منه] ^(١) وتر ^(٢) .

وقال ابن زيد ^(٣) : الشفع والوتر : الخلق كله منه شفع و [منه] ^(٤)

وتر ^(٥) ، وقال مقاتل ^(٦) : شفع الأيام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة بعده ^(٧) ، وهو يوم القيامة ^(٨) .

وذكرت أقوالٌ آخر هذه أصولها ومدارها كلها على قولين :

أحدهما : أن الشفع والوتر نوعا المخلوقات والمأمورات ^(٩) .

(١) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل و هو مثبت في جميع النسخ و في تفسيره البسيط (٧٤٢/٢) حيث نقله ابن القيم عنه ، وفي المطبوع : (العدد كله من شفع ووتر) .

(٢) أخرجه الطبري بسنده إلى الحسن ، جامع البيان (١٧٢/٣٠) . وذكر هذا القول أيضاً و نسبته إلى الحسن : الماوردي في النكت والعيون (٢٦٦/٦) ، والبغوي في تفسيره (٤١٧/٨) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٠٦/٩) ، والقرطبي في تفسيره (٤١/٢٠) ، والسيوطي في الدر المنثور (٥٠٢/٨) و عزاه إلى عبد بن حميد ، والشوكاني في فتح القدير (٥٠٦/٥)

(٣) ابن زيد : هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني ، أخو أسامة ، وعبد الله ، كان صاحب قرآن و تفسير ، جمع تفسيراً في مجلد و كتاباً في الناسخ و المنسوخ ، روى عن أبيه و ابن المذكور و أبي حازم ، وعنه ابن وهب و وكيع و عبد الرزاق وابن عيينة وغيرهم ضعفه يحيى بن معين و النسائي و ابن المديني وغيرهم ، توفي سنة (١٨٢) هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٣٤٩/٨) ، ميزان الاعتدال (٢٨٠-٢٧٨/٣) .

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل ، و هو مثبت في باقي النسخ و في البسيط حيث نقله عنه .

(٥) نسبته إلى ابن زيد : الواحد في البسيط (٧٤٢/٢) ، البغوي في معالم التنزيل (٤١٧/٨) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٠٦/٩) .

(٦) مقاتل هنا هو ابن حيان : و هو مقاتل بن حيان أبو بسطام البلخي ، الخراز ، الإمام العالم المحدث الثقة ، قيل أنه هرب أيام أبي مسلم الخراساني إلى كابل فدعا الناس إلى الإسلام فأسلم على يديه خلق كثير ، حكى أبو الفتح الأزدي أن وكيعاً كذبه ورد عليه الذهبي بقوله : (فإبن حيان صدوق قوي الحديث و الذي كذبه فأبن سليمان) ووثقه ابن معين . توفي قبل سنة (١٥٠) هـ . انظر : الجرح و التعديل (٣٥٣/٨) ، ميزان الاعتدال (١٧١/٤) .

(٧) انظر : البسيط (٧٤٢/٢) ، زاد المسير (١٠٦/٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٤١/٢٠) ، فتح القدير (٥٠٦/٥) قال ابن جرير (١٧٢/٣٠) بعد سرده الأقوال في الشفع والوتر :

" والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بالشفع والوتر ، ولم يخص نوعاً من الشفع ولا من الوتر دون نوع بغير ولا عقل ، وكل شفع ووتر فهو مما أقسم به مما قال أهل التأويل أنه داخل في قسمه هذا العموم قسمه بذلك " .

(٨) الأقوال السابقة كلها نقلها ابن القيم عن الواحد في تفسيره البسيط انظر : (٧٤٢-٧٣٩/٢) .

(٩) في (ب) و المطبوع : (نوعان للمخلوقات و المأمورات) .

والثاني : أن الوتر الخالق ، والشفع المخلوق ، وعلى هذا القول فيكون قد جمع في القسم بين الخالق والمخلوق ، فهو نظير ما تقدم في قوله : ﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا (١) ﴾ ، وفي قوله ^(١) : ﴿ وَشَاهِد وَمَشْهُود (٣) ﴾ ^(٢) ، وفي قوله ^(٣) : ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى (١) ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣) ﴾ ^(٤) ، وقال ههنا : ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَسْرِ (٤) ﴾ ^(٥) ، وفي سورة المدثر أقسم بالليل إذا أدبر ، وفي سورة التكوير أقسم بالليل إذا (عسعس) ^(٦) / وقد فسر بأقبل ، وفسر بأدبر فإن كان المراد إقباله فقد أقسم بأحوال الليل الثلاثة وهي حالة إقباله وحالة امتداده وسريانه وحالة إدباره ، وهي من آياته الدالة عليه سبحانه ^(٧) .

وعرف الفجر باللام إذ كل أحد يعرفه ، ونكر الليالي العشر لأنها إنما تعرف بالعلم ، وأيضاً : فإن في التنكير تعظيماً لها ^(٨) ، فإن التنكير يكون للتعظيم .

وفي تعريف الفجر ما يدل على شهرته ، وأنه الفجر الذي يعرفه كل أحد ولا يجهره . فلما تضمن هذا القسم تعظيم ^(٩) ما جاء به إبراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم كان في ذلك ما دل على المقسم عليه ، ولهذا عقب ^(١٠) القسم بقوله ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ (٥) ﴾ فإن عظمة هذا المقسم به يعرف بالنبوة ، وذلك يحتاج إلى حجر يحجر ^(١١)

(١) في (م) و (ق) و المطبوع : (ونظير ما ذكر في قوله) .

(٢) سورة الروج آية (٣) .

(٣) في (م) و (ق) و المطبوع : (ونظير ما ذكر في قوله) .

(٤) في (م) و (ق) و المطبوع : ذكر الآية الثانية : ﴿ والنهار إذا تجلى ﴾ .

(٥) سورة الفجر آية (٤) .

(٦) في الأصل : (غسق) . وفي باقي النسخ و المطبوع : (عسعس) . وهو الصواب .

(٧) قال ابن جرير في تفسيره (٧٩/٣٠) : (وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي قول من قال : معنى ذلك : إذا أدبر ، وذلك

لقوله : ﴿ والصبح إذا تنفس ﴾ فدل بذلك على أن القسم بالليل مدبراً ، وبالنهار مقبلاً ، والعرب تقول : عسعس الليل ، و سسعس

الليل إذا أدبر ، ولم يبق منه إلا اليسير . . .) .

(٨) في المطبوع : (فإن التنكير تعظيم لها) .

(٩) سقط من المطبوع .

(١٠) في المطبوع : (اعتبر) .

(١١) في المطبوع : (بحجر صاحبه)

صاحبة عن الغفلة واتباع الهوى ، ويحمله على اتباع الرسل لئلا يصيبه ما أصاب من كذب الرسل كعاد وفرعون وثمود .

ولما تضمن ذلك مدح الخاضعين والمتواضعين ذكر بعد ذلك^(١) حال المتكبرين^(٢) المتجبرين الطاغين ، ثم أخبر أنه صب عليهم سوط عذاب ، (أي سوطاً من عذاب)^(٣) ، ونكره إما للتعظيم ، وإما لأن يسيراً من عذابه استأصلهم وأهلكهم ، ولم يكن لهم^(٤) معه بقاء ولا ثبات .

ثم ذكر حال الموسع عليهم في الدنيا ، والمقتر عليهم ، وأخبر أن توسعته على من وسع عليه ، وإن كان إكراماً له في الدنيا فليس ذلك إكراماً على الحقيقة ، ولا يدل على أنه كريم عنده ، (ولا هو)^(٥) من أهل كرامته ومحبه ، وأن تقتيره على من قتر عليه لا يدل على إهانته له وسقوط منزلته عنده ، بل يوسع ابتلاء وامتحاناً ، ويقتّر ابتلاءً وامتحاناً ، فيبتلي بالنعم كما يبتلي بالمصائب ، وهو سبحانه يبتلي عبده بنعمة تجلب له أخرى ، وبنعمة تجلب له نقمة ، وبنعمة تجلب له أخرى ، وبنعمة تجلب له له نعمه^(٦) فهذا شأن نعمه ونقمه سبحانه .

[١١ / ب]

وتضمنت هذه السورة ذم من اغترّ بقوته وسلطانه وماله وهم هؤلاء الأمم الثلاثة : قوم عاد . اغتروا بقوتهم ، وثمود اغتروا بجناهم وعيونهم وزروعهم ، وبساتينهم ، وقوم فرعون اغتروا بالمال والرياسة ، فصارت عاقبتهم^(٧) ما قص الله علينا ، وهذا شأنه دائماً مع كل من اغترّ بشيء من ذلك ، لا بد أن يفسده عليه ويسلبه إياه .

(١) قوله : (بعد ذلك) سقط من المطبوع .

(٢) في المطبوع : (المستكبرين) .

(٣) ما بين القوسين سقط من المطبوع .

(٤) قوله : (لهم) سقط من المطبوع .

(٥) ما بين القوسين سقط من المطبوع .

(٦) في (م) : (يبتلي عبده بنعمة تجلب له نقمة ، و بنعمة تجلب له نقمة أخرى ، و بنعمة تجلب له) .

وفي (ق) : (يبتلي عبده بنعمة تجلب له نقمة أخرى ، و بنعمة تجلب له نقمة أخرى . .) .

وفي المطبوع : (وسبحانه هو يبتلي عبده بنعمة تجلب له نقمة ، و بنعمة تجلب له نقمة أخرى ، و بنعمة تجلب له نقمة أخرى ، و بنعمة تجلب له نقمة) .

(٧) في (م) و (ق) و المطبوع زيادة : (إلى) بعد عاقبتهم .



ثم ذَكَرَ سبحانه حال الإنسان في معاملته مع من^(١) هو أضعف منه كاليتيم والمسكين فلا يكرم هذا ، ولا يحض على إطعام هذا ، ثم ذكر حرص الإنسان^(٢) على جمع المال وحبه له وذلك هو الذي أوجب^(٣) عدم رحمته لليتيم والمسكين .

ثم ختم السورة بمدح النفس الطيبة ، وهي الخاشعة المتواضعة لربها وما تؤول إليه من كرامته ورحمته كما ذكر قبلها حال النفس الأماراة وما تؤول إليه من شدة عذابه ووثاقه .



(١) في (م) و (ق) والمطبوع : (لمن) بدل (مع من) .

(٢) في المطبوع : (ثم ذكر حرصه على جمع المال) .

(٣) في (م) و (ق) و المطبوع : زيادة : (له) بعد أوجب .



﴿ فصل ﴾

{ القسم في سورة البلد }

وأما سورة ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) ﴾^(١) ، فذكر فيها جواب القسم وهو قوله :
﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) ﴾^(٢) ، وفسر الكبد بالاستواء وانتصاب القامة .
قال ابن عباس في رواية مقسّم^(٣) عنه : مستقيم^(٤) منتصب على قدميه^(٥) ، وهذا قول أبي
صالح^(٦) والضحاك^(٧) وإبراهيم^(٨) وعكرمة^(٩) وعبدالله بن شداد^(١٠) .

(١) سورة البلد آية (١) .

(٢) سورة البلد آية (٤) .

(٣) مقسم : هو مقسم بن بجرة ، ويقال : ابن بجرة ، أبو القاسم ، روى عن ابن عباس ، ويقال له : مولى ابن عباس للزومة له ، صدوق و كان يرسل مات سنة (١٠١) هـ روى له الجماعة إلا مسلم . انظر : تقريب التهذيب ص (٥٤٥) .

(٤) في (م) و (ق) و المطبوع : (في رواية مقسم : منتصباً على قدميه) ، و في البسيط (٧٧٥/٢) : في رواية مقسم : قائماً على قدميه منتصباً .

(٥) أخرجه سعيد بن منصور و ابن المنذر و ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥١٩/٨) ، و عزاه إليه أيضاً في البسيط (٧٧٥/٢) و في البحر المحيط (٤٧٥/٨) و في تفسير ابن كثير (٥١٢/٤) .

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره بسنده (١٩٧/٣٠) . وذكر قوله أيضاً في : المحرر الوجيز (٣٠٤/١٦) ، البحر المحيط (٤٧٥/٨) .

(٧) الضحاك : هو الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني ، روى عن ابن عباس و ابن عمر و سعيد بن جببر ، روى عنه : مقاتل و عمر بن الرماح و قرة بن خالد . مات سنة (١٠٥) هـ .

انظر : طبقات ابن سعد (٣٠٠/٦) ، سير أعلام النبلاء (٥٩٨/٤) .

و أما قوله فقد أخرجه الطبري في تفسيره بسنده (١٩٧/٣٠) . وذكره أيضاً منسوباً إليه في : معالم التنزيل (٤٣٠/٨) ، زاد المسير (١٢٩/٩) ، البحر المحيط (٤٧٥/٨) ، تفسير ابن كثير (٥١٢/٤) ، المحرر الوجيز (٣٠٤/١٦) .

(٨) إبراهيم : هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي ، من أكابر التابعين صلاحاً و حفظاً للحديث ، كان إماماً مجتهداً ، وقد أجمع العلماء على توثيقه روى عن : مسروق و علقمة و غيرهما . و روى عنه جماعة منهم : الأعمش و سماك بن حرب و غيرهما مات سنة (٩٦) هـ مختفياً من الحجاج . انظر : طبقات ابن سعد (٢٧٠-٢٨٤) ، وفيات الأعيان (٢٦-٢٥/١) .

وقد أخرج قوله الطبري في تفسيره بسنده (١٩٧/٣٠) . وذكر قوله أيضاً مجاهد في تفسيره (٧٢٩/٢) ، و الواحدي في البسيط (٧٧٦/٢) ت. الورثان .

(٩) أخرج قوله الطبري في تفسيره بسنده (١٩٧/٣٠) . وذكر قوله أيضاً في : معالم التنزيل (٤٣٠/٨) ، و زاد المسير (١٢٩/٩) ، و تفسير ابن كثير (٥١٢/٤) .

(١٠) عبد الله بن شداد : لم يتبين لي من هو تحديداً فلعله : عبد الله بن شداد المدني أبو الحسن الأعرج ، كان من تجار واسط ، صدوق . انظر : الجرح والتعديل (٨٠/٥) ، تهذيب التهذيب (٦) .

قال المنذري^(١) : سمعت أبا طالب^(٢) يقول : الكبد الاستواء والاستقامة^(٣) .

وفسّر بالنصب هذا قول مجاهد^(٤) وسعيد ابن جبير^(٥) ، والحسن^(٦) ، ورواية عن علي وابن عباس^(٧) ، قال الحسن : لم يخلق الله خليقة^(٨) يكابد ما يكابد ابن آدم^(٩) ، وقال سعيد بن أبي الحسن^(١٠) :

= أو هو : عبد الله بن شداد الهادي الليثي ، أبو الوليد المدني ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من كبار التابعين الثقات مات مقتولاً بالكوفة سنة (٨١) هـ . انظر : الجرح والتعديل (٨٠/٥) ، سير أعلام النبلاء (٤٨٨/٣) . و الأثر أخرجه الطبري في تفسيره بسنده (١٩٧/٣٠) . وذكر قوله ونسبه إليه في : البسيط (٧٧٦/٢) ، المحرر الوجيز (٣٠٤/١٦) ، البحر المحيط (٤٧٥/٨)^(١) في المطبوع : قال المنذر .

والمنذري : هو أبو الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري الهروي ، نحوي لغوي ، شيخ الإمام الأزهري و لذا فقد نقل عنه كثيراً في كتابه تهذيب اللغة ، وكان المنذري موثقاً روايته ، ثبتاً فيما يؤخذ عنه توفي سنة (٣٢٩) هـ . من مصنفاته (نظم الجمان) وغيره . انظر : إنباه الرواة (٧٠/٣) ، بغية الوعاة (٧٢/١) .

^(٢) أبو طالب : هو المفضل بن سلمة بن عاصم ، لغوي أديب علامة له تصانيف في معاني القرآن والآداب أخذ عن ابن الأعرابي وغيره ، أخذ عنه الصولي وغيره و مات بعد التسعين و المائتين . انظر : سير أعلام النبلاء (٣٦٢/١٤) ، إنباه الرواة (٣١١-٣٠٥/٣) ، طبقات المفسرين للداودي (٣٢٩-٣٢٨/٢) .

^(٣) انظر : تهذيب اللغة (١٢٧/١٠) مادة (كبد) ، ولسان العرب (١٢/١٢) مادة (كبد) .

^(٤) أخرج هذا الأثر الطبري في تفسيره (١٩٧/٣٠) . وذكر قوله أيضاً في : البسيط (٧٧٧/٢) ، و زاد المسير (١٢٩/٩) ، و عزاه في الدر المنثور (٥١٩/٨) إلى الفريابي و عبد بن حميد و ابن المنذر و ابن أبي حاتم .

^(٥) نسبه إليه من قوله : الواحد في البسيط (٧٧٧/٢) و البغوي في معالم التنزيل (٤٣٠/٨) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٢٩/٩) ، ابن كثير في تفسيره (٥١٢/٤) ، و عزاه في الدر المنثور (٥١٩/٨) إلى سعيد بن منصور و عبد بن حميد . وأخرج الطبري في تفسيره هذا الأثر و جعله من رواية سعيد عن ابن عباس (١٩٧/٣٠) .

^(٦) أخرج هذا الأثر عن الحسن الطبري في تفسيره (١٩٦/٣٠) ، وذكر قوله أيضاً في زاد المسير (١٢٩/٩) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٠ /) .

^(٧) هكذا ورد في الأصل (ورواية عن علي و ابن عباس) و لم أجد فيما بين يدي من مصادر من نسبه إلى علي ، ولكن عند الطبري في تفسيره (١٩٦/٣٠) من رواية علي عن ابن عباس . وقد نسب إلى ابن عباس أيضاً في : البسيط (٧٧٧/٢) ، معالم التنزيل (٤٣٠/٨) ، و زاد المسير (١٢٩/٩) و الجامع لأحكام القرآن (٦٢ / ٢٠) .

^(٨) في المطبوع : (خلقاً) .

^(٩) أخرج هذا الأثر الطبري في تفسيره (١٩٧/٣٠) . وقد ذكر قوله أيضاً في : بحر العلوم (٤٨٠/٣) ، المحرر الوجيز (٤٨٤/٥) ، و عزاه في الدر المنثور إلى ابن المبارك في الزهد (ولم أره فيه) ، و عبد بن حميد و ابن أبي حاتم ، و فتح القدير (٥١٨/٥) .

^(١٠) سعيد بن أبي الحسن : هو سعيد بن يسار الأنصاري مولا لهم ، البصري ، أخو الحسن البصري ، روى عن ابن عباس ، وعنه أخوه الحسن ، ثقة مات قبل الحسن سنة (١٠٠) هـ . روى له الجماعة . انظر : التاريخ الكبير (٤٦٢/٣) ، الكاشف (٢٨٣/١) .

يكابد مصائب الدنيا ، وشدائد الآخرة^(١) ، وقال قتادة : يكابد أمر الدنيا والآخرة فلا تلقاه إلا في مشقة^(٢) .

وروى ابن جريج^(٣) عن عطاء عن ابن عباس قال : يعني حمله وولادته ورضاعه ، وفصاله^(٤) ونبت أسنانه وحياته ومعاشه وموته ، كل ذلك شدة^(٥) . قال مجاهد : ﴿ حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً ﴾ ، ومعيشته / في شدة فهو يكابد ذلك^(٦) .

[١/١٢]

وعلى هذا (الكبد^(٧) من مكابدة الأمر ، وهي معاناة شدته ومشقته ، والرجل يكابد الليل إذا قاسى هو له وصعوبته)^(٨) والكبد شدة الأمر ومنه تكبّد اللبن إذا غلظ واشتد . ومنه الكبد لأنها دم غليظ يشتد^(٩) ، وانتصاب القامة والاستواء من ذلك لأنه إنما يكون عن قوة وشدة ، فالإنسان مخلوق في شدة فكونه^(١٠) في الرحم^(١١) ثم في

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره (١٩٧/٣٠) . وقد ذكر عنه أيضاً في البسيط (٧٧٧/٢) والوسيط (٤٨٩/٤)

(٢) هذا الأثر عن قتادة أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٧٣/٢) ولفظه عنده : (يكابد أمر الدنيا وأمر الآخرة) ، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره (١٩٦/٣٠) من الطريق السابقة ، ومن طريق أخرى عن قتادة قال : (حين خلق في مشقة لا يلقى ابن آدم إلا مكابداً أمر الدنيا والآخرة) .

وقد ذكر الرواية الثانية أيضاً البغوي في معالم التنزيل (٤٣٠/٨) .

(٣) ابن جريج : هو أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشي المكي ، فقيه الحرم ، كان إمام أهل الحجاز في عصره ، روى عن أبيه وعن مجاهد والزهري وغيرهم ، وروى عنه : الأوزاعي ، والحمادان ، والسفيانان ، وغيرهم . قال ابن حجر : ثقة فقيه فاضل ، وكان يرسل ويدلس . توفي سنة (١٥٠) هـ .

انظر : تذكرة الحفاظ (١٦٩/١ - ١٧٠) ، تهذيب التهذيب (٤٠٢/٦) .

(٤) في حاشية (ب) : (وفطامه) .

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٩٧/٣٠) . بمعناه ولفظه عنده (في شدة معيشته ، وحمله وحياته ونبت أسنانه) .

وقد ذكر في : بحر العلوم (٤٨٠/٣) ، معالم التنزيل (٤٣٠/٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٦٢/٢٠) ، تفسير ابن كثير (٥١٢/٤) ، وقد عزاه في الدر المنثور (٥١٩/٨) إلى الفريابي وعبد بن حميد ، وابن المنذر وابن أبي حاتم . وأخرجه أيضاً الحاكم في المستدرک (٣٧١/٣) في (٢٨) كتاب التفسير ، تفسير سورة البلد ح (٣٩٨٨) وصححه ووافقه الذهبي .

(٦) سورة الأحقاف آية (١٥) ، وقد ذكر هذا القول ونسبه إليه : الواحدي في البسيط (٨٧/٢) ، وابن كثير في تفسيره (٥١٢/٤) ، وقد ورد مثله عن ابن جريج عند الماوردي في النكت والعيون (٢٧٦/٦) .

(٧) في المطبوع : (فالكبد) .

(٨) ما بين القوسين منقول عن الأزهري في تهذيب اللغة (١٢٧/١٠) مادة (كبد) ، وانظر : لسان العرب (١٢/١٢) مادة (كبد) ، وهو من قول الليث .

(٩) في (م) و (ق) والمطبوع : (يغلظ ويشتد) .

(١٠) في (م) و (ق) والمطبوع : (بكونه) .

(١١) الرَّحِمُ وَ الرَّحْمُ : بيت منبت الولد ووعاؤه في البطن ، لسان العرب (١٧٥/٥) مادة (رحم) .

القَمَاطُ^(١) والرِّبَاطُ^(٢) ثم هو على خطر عظيم عند بلوغه حال التكليف ومكابدة المعيشة ، والأمر والنهي ثم مكابدة الموت وما بعده في البرزخ وموقف القيامة ، ثم مكابدة العذاب والنار^(٣) ، ولا راحة له إلا في الجنة .

وفسر الكبد بشدة الخلق وإحكامه وقوته ومنه قول لبید^(٤) :

عيني هلا بكيت أربد ، إذ قمنا وقام الخصوم في كبد^(٥)

أي في شدة وعناء^(٦) ، وهذا يشبه قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴾^(٨) (قال ابن عباس : أي خلقهم^(٩) ، وقال أبو عبيدة^(١٠) : الأسر شدة الخلق ، يقال : فرس شديد الأسر ، قال^(١١) : وكل شيء شددته من قتب أو غيره فهو مأسور^(١٢) .

(١) القمط : شد كشد الصبي في المهد وفي غير المهد ، إذا ضم أعضاؤه إلى جسده ثم لفَّ عليه القمط ، والقمط : الخرقعة العظيمة التي تنفخها على الصبي ، ولا يكون القمط إلا شد اليدين والرجلين معاً . لسان العرب (٣٠٣/١١) مادة (قمط) .

(٢) الرباط : ماتشد به القربة والدابة وغيرهما . لسان العرب (١١٣/٥) مادة (ربط) .

(٣) في المطبوع : (في النار) .

(٤) لبید : هو لبید بن ربيعة بن عامر بن مالك أبو عقيل العامري أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية ، من أهل عالية نجد . أدرك دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ووفد عليه ، معدود في الصحابة ومن المؤلفين قلوبهم . سكن الكوفة وتوفي سنة (٤١) هـ ، وهو أحد أصحاب المعلقات . انظر : جمهرة أشعار العرب (٣٨٣-٣٤٧/١) .

(٥) في المطبوع : (يا عين) ، وفي البسيط (٧٨٠/٢) : (عين) .

و البيت من المنسرح ، وهو في ديوان لبید ص (١٦٠) ، بيت من قصيدة يرثي فيها أخاه ، مطلع هذه القصيدة :

ما إن تعري المنون من أحد لا والد مشفق ولا ولد

ومن ذكر هذا البيت ونسبه أيضاً للبيد : الأزهري في تهذيبه (١٢٧/١٠) ، وفي لسان العرب (١٢/١٢) ، وابن جني في الخصائص (٣١٨/٣) وغيرهم .

(٦) انظر : مجاز القرآن (٢٩٩/٢) ، تهذيب اللغة (١٢٧/١٠) مادة (كبد) .

(٧) ما بين القوسين نقله ابن القيم عن الواحدي في تفسيره بتصرف . انظر : البسيط للواحدي (٧٨٠-٧٧٥/٢) ت. الورثان

(٨) سورة الإنسان آية (٢٨) .

(٩) هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢٦/٢٩) .

وقد ذكر عنه أيضاً في : البسيط (٤٤٠/١) ، النكت والعيون (١٧٣/٦) ، زاد المسير (٤٤١/٩) .

(١٠) أبو عبيدة : هو معمر بن المثنى التيمي البصري ، من أئمة العلم بالأدب واللغة ، ولد بالبصرة سنة (١١٠) هـ و روى عن هشام بن عروة ، و رؤية بن العجاج وأبو عمرو بن العلاء المعري وغيرهم ، روى عنه : علي ابن المديني وأبو عبيد القاسم بن سلام والمازني وغيرهم ، وله تصانيف كثيرة منها مجاز القرآن ، ومعاني القرآن . توفي بالبصرة سنة (٢٠٩) هـ .

انظر : انباه الرواة (٢٧٦/٣) ، و فياتا الأعيان (٢٣٥-٢٤٣/٥) .

(١١) قوله : (قال) سقط من (ب) .

(١٢) انظر : مجاز القرآن (٢٨٠/٢) .

وقال المبرّد^(١) : الأسر القوي كلّها^(٢) ، وقال الليث^(٣) : الأسر قوة المفاصل والأوصال ،
وشدّ الله أسرَ فلان ، أي : قوَى خَلَقَه وكلّ شيئين^(٤) جمع طرفاهما فشدّ أحدهما بالآخر فقد
أسر^(٥) ، وقال الحسن : شددنا أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب^(٦) ، وقال مجاهد هو
الشرح^(٧) ، يعني موضع البول والغائط إذا خرج الأذى [تقبضا]^(٨) ^(٩).

والمقصود أنه سبحانه أقسم في سورة البلد على حال الإنسان ، وأقسم سبحانه بالبلد
الأمين وهو مكة أم القرى .

ثم أقسم بالوالد وما ولد ، وهو آدم وذريته ، في قول جمهور المفسرين ، وعلى هذا فقد
تضمّن القسم أصل المكان وأصل السكان ، فمرّجع البلاد إلى مكة ، ومرجع العباد إلى آدم .
وقوله : ﴿ وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾^(١٠) فيه قولان :

(١) المبرّد : هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، أبو العباس المبرّد ، أديب و نحوي ، لغوي بصري ، ولد سنة (٢٠٧) هـ ، وقرأ
كتاب سيبويه على الجرّميّ ، ثم على المازني و روى عنه جماعة منهم : نفطويه ، وأبو بكر الصولي ، و ابن درستويه وجماعة غيرهم
كثيرون . له تصانيف كثيرة منها : الكامل و المقتضب ، والمقصود والممدود ، ومعاني القرآن الكريم و غيرها توفي سنة (٢٨٠) هـ .
انظر : إنباه الرواة (٢٤١/٣ - ٢٥٣) ، الفهرست لابن النديم ص (٥٩ - ٦٠) .

(٢) انظر : الكامل للمبرّد (٩٦٤/٢) .

(٣) الليث : اختلف في اسم أبيه ف قيل : هو الليث بن نصر بن سيار ، كما حكاه القفطي ، و قيل : الليث بن مظفر هكذا سماه
الأزهري ، و قيل : الليث بن رافع بن نصر كما حكاه ياقوت . وهو خراساني ، لغوي ، نحوي ، صاحب الخليل بن أحمد ، قيل إنه
صنف كتاب العين و عنه أخذ الخليل و هذبه ، و قيل : بل هو أخذه عن الخليل و هذبه . قال ابن المعتز : كان من أكتب الناس في
زمانه بارعاً في الأدب بصيراً بالشعر و الغريب و النحو ، وكان كاتباً للبرامكة .

انظر : إنباه الرواة (٤٢/٣ - ٤٣) ، بغية الوعاة (٢٧٠/٢) ، معجم الأدباء (٨ / ١٣٢) ، تهذيب اللغة للأزهري (١٤/١) .

(٤) في المطبوع : (و كل شيء) .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (٦١/١٣) مادة (أسر) ، و لسان العرب (١ / ٣٥٦) مادة (الأسر) .

(٦) حكى قوله في : معالم التنزيل (٨ / ٢٩٩) ، وزاد المسير (٨ / ٤٤١) ، والجامع لأحكام القرآن (١٩ / ١٥١) .

(٧) انظر قوله في : معالم التنزيل (٨ / ٣٠٠) ، والجامع لأحكام القرآن (١٩ / ١٥١) .

(٨) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل : و أثبتته من المطبوع كما ترجح لي ، وفي (ب) يقبضا ، وفي (م) و (ق) : تقضياً ، وفي
تهذيب الأزهري (٦١/١٣) : (تقبضا) و ذكر أنه قول لابن الأعرابي .

(٩) ما بين القوسين نقله ابن القيم من الواحدي في البسيط (١ / ٤٤٠ - ٤٤٢) ت. الورثان .

(١٠) سورة البلد آية (٢) .

أحدهما : أنه من الإحلال وهو ضد الإحرام^(١) .

والثاني : أنه من الحلول وهو ضد الضعن^(٢) فإن أريد به المعنى / الأول فهو حال^(٣) [ب/١٢]

ساكن البلد بخلاف المحرم الذي يحجّ ويعتمر ويرجع ولأن أمنه^(٤) إنما تظهر به النعمة عند المحل^(٥) من الإحرام ، وإلا ففي حال الإحرام هم في أمان والحرمة هناك للفعل لا للمكان .

والمقصود إنما^(٦) هو ذكر حرمة المكان وهي إنما تظهر بحال الحلال الذي لم يتلبس بما يقتضي أمنه ، ولكن على هذا ففيه تنبيه فإنه إذا أقسم به وفيه الحلال ، فإذا كان فيه الحرام فهو أولى بالأمن والتعظيم^(٧) .

وكذلك إذا أريد المعنى الثاني : وهو الحلول فهو متضمن لهذا التعظيم مع تضمينه لأمر آخر^(٨) وهو إقسامه ببلده المشتمل على رسوله وعبدِه فهو خير البقاع ، وقد اشتمل على خير العباد فجعل بيته هدىً للناس ونبية إماماً وهادياً لهم وذلك من أعظم نعمه وإحسانه إلى خلقه ، كما هو من أعظم آياته ودلائل وحدانيته وربوبيته ، فمن اعتبر حال بيته وحال نبية وجد ذلك من أظهر أدلة التوحيد والربوبية .

وفي الآية قول ثالث : وهو أن المعنى وأنت مستحل قتلك وإخراجك من هذا البلد الأمين ، الذي يأمن فيه الطير والوحش والجاني ، وقد استحل قومك فيه حرمتك وهم لا يعضدون^(٩) به

(١) و هو مروي عن الليث . انظر : تهذيب اللغة (٤٢٧/٣) .

(٢) كما هو مروي عن الحسن البصري .

(٣) في المطبوع : (فهو حلال) .

(٤) في (ق) : (لأن أمنه) بدون واو .

(٥) هكذا في الأصل ، وفي غيره : الحل .

(٦) قوله : (إنما) سقط من المطبوع .

(٧) في (م) و (ق) و المطبوع : (أولى بالتعظيم و الأمن) .

(٨) في المطبوع : (أمراً آخر) .

(٩) العضد في اللغة : هو القطع . انظر القاموس المحيط ص (٢٩٩) .

شجرة ، ولا ينفرون به صيداً ، وهذا مروى عن شرحبيل بن سعد^(١) وعلى كل حال فهي جملة اعتراض في أثناء القسم ، موقعها من أحسن موقع وألطفه^(٢) ، فهذا القسم متضمن لتعظيم نبينه ورسوله .

ثم أنكر سبحانه على الإنسان ظنه وحسابه أنه لن يقدر عليه أحد^(٣) من خلقه في هذا الكبد والشدّة والقوّة التي يكابد بها الأمور ، فإن الذي خلقه لذلك أولى بالقدرة منه ، وأحق ، وكيف يقدر على^(٤) غيره من لم يكن^(٥) قادراً في نفسه فهذا برهان مستقل بنفسه مع أنه متضمن للجزاء الذي مناطه القدرة والعلم ، فنبّه على ذلك بقوله : ﴿ أَيْحَسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) ﴾^(٦) وبقوله : ﴿ أَيْحَسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) ﴾^(٧) ، فيحصى عليه ما عمل من خير وشر ، ولا يقدر عليه فيجازيه بما يستحقه .

(١) عزاه إلى شرحبيل من قوله في : البسيط (٧٧٣/٢) ، معالم التنزيل (٤٢٩/٨) ، المحرر الوجيز (٣٠٤/١٦) ، التفسير الكبير (١٦٣/٣١) ، الجامع لأحكام القرآن (٦١/٢٠) ، وعزاه في الدر المنثور (٥١٨/٨) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر . وشرحبيل هو : شرحبيل بن سعد ، أبو سعد الخطمي ، المدني مولى الأنصار . روى عن أبي هريرة وابن عباس وجابر ، وروى عنه : مالك بن أنس وعكرمة ومحمد بن اسحاق . مات سنة (١٢٣) هـ وقد قارب المئة وهو صدوق اختلط بآخرة . انظر : الجرح والتعديل (٣٣٨/٤) ، والثقات لابن حبان (٣٦٥/٤) .

(٢) هذه الجملة فيها وجهان :

الأول / أنها جملة اعتراضية على أحد معنيين :

أ) إما على معنى أنه تعالى أقسم بهذا البلد وما بعده على أن الإنسان خلق في كبد . واعتراض بينهما بهذه الجملة يعني : ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد كما يستحل الصيد في غير الحرم .

ب) وإما على معنى أنه أقسم ببلده على أن الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد . واعتراض بأن وعده فتح مكة تميماً للتسليّة فقال : وأنت حل به فيما تستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر . وهو ما ذهب إليه الزمخشري .

و الثاني / أن الجملة حالية أي : لا أقسم بهذا البلد وأنت حال به لعظم قدرك . وقيل : أي لا أقسم به وأنت مستحل فيه . أي : مستحل أذاك . وهو ما ذهب إليه أبو حيان وانتصر له وردّ على الزمخشري . قال أبو حيان : (وحمله على أن الجملة اعتراضية لا يتعين . وقد ذكرنا - أولاً - أنها جملة حالية ، وبيّنا موقعها ، وهي حال مقارنة لا مقدّرة ولا محكية) .

وقد حكى هذين القولين السمين الحلبي ومال إلى قول الزمخشري كما يفهم من كلامه حيث يقول : (. . . وقد ناقشه الشيخ بما لا يتجّه ، وردّ عليه قوله الإجماع على نزولها بمكة . . .) . انظر : الكشف للزمخشري (٧٥٤/٤) ، البحر المحيط لأبي حيان (٤٧٤/٨) ، الدر المصون للحلي (٦-٥/١١) .

(٣) قوله : (أحد) سقط من المطبوع .

(٤) (على) سقط من (ب) .

(٥) في (ق) : (ممن لم يكن) .

(٦) سورة البلد آية (٥) .

(٧) سورة البلد آية (٧) .

ثم أنكر سبحانه على الإنسان قوله : ﴿ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴾ (٦) ^(١) ، وهو / الكثير الذي [١/١٣] يلبد بعضه على ^(٢) فوق بعض ^(٣) ، فافتخر هذا الإنسان بإهلاكه وهو ^(٤) إنفاقه في غير وجهه ، إذ لو أنفقه في وجوهه التي أمر بإنفاقه فيها ووضعه مَوَاضِعَهُ ، لم يكن ذلك إهلاكاً له بل تقريباً به إلى الله (عز وجل) ^(٥) وتوصلاً به إلى رضا وثوابه ، وذلك ليس بإهلاك له ، فأنكر سبحانه افتخاره وتبجحہ بإنفاق المال في شهواته وأغراضه التي إنفاقه فيها إهلاك له .

ثم وبَّخه سبحانه ^(٦) بقوله : ﴿ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾ ، وأتى ههنا بلم الدالة على (المضي) ^(٧) في مقابلة قوله : ﴿ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴾ ، فإن ذلك في الماضي أفيحسب أن لم يره أحد فيما أنفقه وفيما أهلكه .

ثم ذكر سبحانه ^(٨) برهاناً مقررراً ^(٩) أنه [سبحانه] ^(١٠) أحق بالرؤية وأولى من هذا العبد الذي له عيان يبصر بهما ، فكيف يعطيه البصر من لا يراه ^(١١) ، وكيف يعطيه آلة البيان من الشفتين واللسان ، فينطق ويبين عن ما في نفسه ، ويأمر وينهى من لا يتكلم ولا يكلم ولا يخاطب ولا يأمر ولا ينهى ، وهل كمال المخلوق مستفاد إلا من خالقه ^(١٢) ؟ ومن (جعل) ^(١٣) غيره

(١) سورة البلد آية (٦) .

(٢) (على) ثابتة في الأصل ، ساقطة في البقية .

(٣) كما قال أبو عبيد انظر : مجاز القرآن (٢٩٩/٢) . وهو قول جميع المفسرين أن (اللبد) : هو الكثير المجتمع . وهو مروي عن ابن عباس و قتادة و مجاهد و ابن زيد و الحسن و السدي و غيرهم . انظر : جامع البيان (١٩٨/٣٠) ، معاني الزجاج (٣٢٨/٥) ، وتذيب اللغة (١٢٩/١٤) ، و ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (٥٢٨) ، و البسيط (٧٨٠/٢ - ٧٨١) ، ومعالم التنزيل (٨/٤٣٠) ، و الجامع لأحكام القرآن (٦٤/٢٠) وغيرهم .

(٤) في المطبوع : (بإهلاكه وإنفاقه) .

(٥) قوله : (عز وجل) سقط من (م) و (ق) و المطبوع .

(٦) سقط من المطبوع .

(٧) في (م) و (ق) و المطبوع : (المضي) وهو أصح ، وفي الأصل و (ب) : (المعنى) .

(٨) قوله : (سبحانه) سقط من (م) و (ق) و المطبوع .

(٩) في المطبوع : (مقدراً) .

(١٠) ما بين المعقوفتين زيادة من (م) و (ق) و المطبوع .

(١١) في المطبوع : (من لم يره) .

(١٢) في المطبوع : (إلا من كمال خالقه) .

(١٣) في الأصل : (حمل) و التصحيح من باقي النسخ .

عالماً بنجدي الخير والشر ، وهما طريقاهما^(١) أولى وأحق بالعلم منه ، ومن هداه إلى هذين الطريقين كيف يليق به أن يتركه سدى لا يعرفه ما يضره وما ينفعه في معاشه ومعاذه ، وهل النبوة والرسالة إلا لتكميل هدايته النجدين ؟ ، فدل هذا كله على إثبات الخالق وصفات كماله ، وصدق رسله ووعدده ووعيدده^(٢) .

وهذه أصول الإيمان التي اتفقت عليها جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم ، إذا تأمل الإنسان حاله وخلقه وجده من أعظم الأدلة على صحتها وثبوتها ، فتكفي الإنسان فكرته في نفسه وخلقه .

والرسل بعثوا مذكرين بما في الفطر والعقول مكملين له ، لتقوم على العبد حجة الله بفطرته ورسالته ، ومع هذا^(٣) فقامت عليه حجته ، ولم يقتحم العقبة التي بينه وبين ربه التي لا يصل إليه^(٤) حتى يقتحمها بالإحسان إلى خلقه بفك الرقبة وهو تخليصها من الرق ، ليخلصه الله / [ب/١٣] من رق نفسه ، ورق عدوه ، وإطعام^(٥) المسكين واليتيم في يوم المجاعة ، وبالإخلاص له سبحانه بالإيمان الذي هو خالص حقه عليه ، وهو تصديق خبره ، وطاعة أمره ابتغاء^(٦) وجهه وبنصحه^(٧) غيره بأن يوصيه بالصبر والرحمة ، ويقبل وصية من أوصاه بها فيكون صابراً رحيماً في نفسه ، معيناً لغيره على الصبر والرحمة ، (دالاً لغيره)^(٨) عليها فمن لم يقتحم هذه العقبة وهلك دولها هلك منقطعاً عن ربه غير واصل إليه ، بل محجوباً عنه .

والناس قسمان :

أ (ناج : وهم من قطع العقبة وصار وراءها .

(١) في المطبوع : زيادة (أليس) بعد (طريقاهما) .

(٢) قوله : (ووعيدده) سقط من (ب) و المطبوع .

(٣) قوله : (هذا) سقط من (ب) .

(٤) في المطبوع : (إليها) .

(٥) في (م) و (ق) و المطبوع : (وإطعام) .

(٦) في المطبوع : (و ابتغاء) .

(٧) في المطبوع : (و بنصيحة) .

(٨) سقط من (م) و (ق) و المطبوع .

ب (وهالكٌ : وهو من دون العقبة وهم أكثر الخلق ، ولا يقتحم العقبة إلا المضمرون^(١) ، فإنها عقبة كؤود شاقة ، لا يقطعها إلا خفيف الظهر ، وهم أصحاب الميمنة ، وهالك^(٢) دون العقبة الذين لم يصدقوا الخبر ولم يطيعوا الأمر ﴿ هُمْ^(٣) ﴾ أصحابُ المشأمة (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّوصَدَّةٌ (٢٠) ﴾^(٤) ، قد أطبقت عليهم فلا يستطيعون الخروج منها كما أطبقت عليهم أعمال الغي والاعتقادات الباطلة المنافية لما أخبرت به الرسل^(٥) ، فلم تخرج قلوبهم منها .

كذلك أطبقت عليهم هذه النار فلم تستطع أجسامهم الخروج منها . فتأمل هذه السورة على اختصارها وما اشتملت عليه من مطالب العلم والإيمان بالله^(٦) ، وبالله التوفيق .

وأيضاً فإن طريقة القرآن بذكر العلم والقدرة تهديداً وتخويفاً لترتب الجزاء عليهما ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا ﴾^(٧) .

وقال : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴾ إلى قوله : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾^(٨) .

وقال تعالى : ﴿ وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٩) .
وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠) ﴾^(١٠) ، وهذا كثير جداً في القرآن .

وليس المراد به مجرد الإخبار بالقدرة والعلم ، لكن الإخبار مع ذلك بما يترتب عليهما من الجزاء بالعدل ، فإنه إذا كان قادراً أمكن مجازاته ، وإذا كان عالماً أمكن ذلك بالقسط والعدل ومن

(١) المضمرون : الضمر : الهزال : ولحاق البطن ، وبالفتح : الرجل الهضم البطن : اللطيف الجسم . انظر : القاموس المحيط ص (٤٢٩)

(٢) في المطبوع : (و هالكون) .

(٣) في المطبوع : (فهم) .

(٤) سورة البلد الآيتان (٢٠-١٩) .

(٥) في (م) و (ق) : (لما أخبرت به رسله) .

(٦) قوله : (بالله) هكذا في الأصل و (ب) و سقط من الباقي .

(٧) سورة الأنعام آية (٦٥) .

(٨) في (ق) تقدم آيات العلق على الأنعام . والآيات في سورة العلق (٩-١٤) . و في المطبوع ذكر الآيات كاملة .

(٩) سورة التوبة آية (١٠٥) .

(١٠) سورة الزخرف آية (٨٠) .



لم يكن قادراً لم يمكن مجازاته ، وإذا كان عالماً قادراً لكنه غير عالم بتفاصيل الأعمال / ومقادير [١٤/ جزائها لم يجاز بالعدل ، والربّ تعالى موصوفٌ بكمال القدرة وكمال العلم ، فالجزء منه موقوفٌ على مجرد مشيئته ، وإرادته ، فحينئذٍ يجب على العاقل طلب النجاة منه بالإخلاص والإحسان ، وهو اقتحام العقبة المتضمن التوبة إلى الله تعالى والإحسان إلى خلقه .

وقال : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) ﴾^(١) ، وهو فعل ماضٍ ولم يكرر معه " لا " .

(أ) إما استعمالاً لإداة^(٢) " لا " كاستعمال " ما " .

(ب) وإما إجراءً لهذا الفعل مجرى الدعاء نحو : فلا سلم ، ولا عاش ، ونحو ذلك .

(ج) وإما لأنّ العقبة قد فسّرت بمجموع أمور ، فاقتحامها فعل كل واحد منها ، فأغنى ذلك عن تكريرها ، فكأنه قال : فلا فكُ رقة ، ولا أطعم ، ولا كان من الذين آمنوا^(٣) .

وقراءة من قرأ ﴿ فَكُ رَقَبَةً ﴾^(٤) ، بالفعل كأنها أرجح من قراءة من قرأها بالمصدر^(٥) ، لأن قوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴾ على حد قوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) ﴾^(٦) ، ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ﴾^(٧) ، ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١) ﴾^(٨) ، ونظائره . تعظيماً لشأن العقبة وتفخيماً لأمرها .

وهي جملة اعتراض بين المفسّر والمفسّر ، فإن قوله : ﴿ فَكُ رَقَبَةً (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾^(٩) ، تفسيراً لاقتحام العقبة ، وليس هو تفسيراً لنفس العقبة ، فإن العقبة مكان شاق كؤود ، يقتحمه^(١٠) الناس حتى يصلوا الجنة ، واقتحامه بفعل هذه الأمور .

(١) سورة البلد آية (١١) .

(٢) في الأصل : (استعمالاً (لا) كأداة (لا)) و التصحيح من (م) و (ق) و المطبوع .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء (٢٦٤ / ٣) ، و معاني الزجاج (٣٢٩ / ٥) ، و الحجة لأبي علي الفارسي (٤١٤ / ٦ - ٤١٥) ، الدر المنصون (٩ - ٨ / ١١) .

(٤) وهي قراءة : (ابن كثير و أبي عمرو و الكسائي) انظر : إرشاد المبتدي من (٦٣٦) .

(٥) القرآن متواترتان ، القراءة بالمصدر أو القراءة بالفعل فبأيهما قرأ القارئ فمصيب . انظر : جامع البيان (٢٠٣ / ٣٠) .

(٦) سورة الحاقة آية (٣) .

(٧) سورة الانفطار آية (١٧) .

(٨) سورة القارعة و الآيتان (١١ - ١٠) .

(٩) في الأصل و (ب) زيادة : (وعملوا الصالحات) وهو خطأ والتصويب من النسخ الأخرى . وفي المطبوع : ذكر الآية كاملة إلى (آمنوا . . .) .

(١٠) في (ق) : (وتقتحمه) .

فمن فعلها فقد اقتحم العقبة ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا ﴾^(١) ، وهذا عطف على قوله : ﴿ فَكُ رَقَبَةً ﴾ ، والأحسن تناسب هذه الجمل المعطوفة التي هي تفسير لما ذكر أولاً .

وأيضاً فإن من قرأها بالمصدر المضاف فلا بد له من تقدير وهو : ما يدريك ما اقتحام العقبة إن اقتحامها^(٢) فك رقة .

وأيضاً فمن قرأ بالفعل فقد طابق بين المفسر [وجميع ما فسره ، و من قرأ بالمصدر فقد طابق بين المفسر]^(٣) وبعض ما فسره ، فإن التفسير إن كان لقوله (اقتحم) ، طابقه بقوله : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ، وما بعده دون (فك رقة) وما يليه ، وإن كان لقوله : " العقبة " طابقه (فك رقة أو إطعام) دون قوله (ثم كان من الذين / آمنوا) وما بعده ، وإن كانت المطابقة حاصلة معني فحصولها لفظاً ومعنى أتم وأحسن^(٤) .

واختلف في هذه العقبة هل هي في الدنيا أو في الآخرة ؟ . فقالت طائفة : (العقبة ههنا مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والشيطان في أعمال البر ، وحكوا ذلك عن الحسن ومقاتل .

قال الحسن : عقبة والله شديدة مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه والشيطان^(٥) .

وقال مقاتل : هذا مثل ضربه الله يريد أن المعتق رقة والمطعم اليتيم والمسكين يقاحم نفسه وشيطانه مثل أن^(٦) يتكلف صعود العقبة ، فشبه المعتق رقة في شدته عليه بالملكف صعود العقبة^(٧) ، وهذا قول أبي عبيدة^(٨) .

(١) قوله : (و تواصوا) سقط من (م) و (ق) و المطبوع .

(٢) في (م) و (ق) و المطبوع : (واقتحامها) .

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل و هو في باقي النسخ .

(٤) انظر : جامع البيان (٢٠٣-٢٠٢/٣٠) ، معاني القرآن للفراء (٢٦٤-٢٦٥/٣) ، معاني القرآن وإعرابه (٣٢٩/٥) ، الحجة (٤١٤-٤١٥/٦) ، البسيط للواحد (٧٨٥-٧٨٦/٢) ، الدر المصون (١٠-٨/١١) .

(٥) ذكر قول الحسن وعزاه إليه : الواحد في البسيط (٧٨٦/٢) ، الماوردي في النكت والعيون (٢٧٨/٦) ، والزنجشيري في

الكشاف (٧٥٦/٤) ، والرازي في التفسير الكبير (١٨٥/٣١) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٦٨/٢٠-٦٩) .

(٦) في (م) و (ق) و المطبوع : (من) .

(٧) ذكر قول مقاتل في : البسيط (٧٨٦/٢) ، التفسير الكبير (١٨٥/٣١) .

(٨) انظر : مجاز القرآن (٢٩٩/٢) . وقد رجح هذا القول الواحد حيث يقول : (ما ذكرنا عن المفسرين في تفسير (العقبة) فغير

متوجه ههنا ، لأن من المعلوم أن هذا الإنسان وغيره لم يقتحموا عقبة جهنم ولا جاوزوها ، فإذا لا معنى لحملها على عقبة في الآخرة

وقالت طائفة : بل هي عقبة حقيقية يصعد بها الناس .

قال عطاء : هي عقبة جهنم^(١) ، وقال الكلبي : هي عقبة بين الجنة والنار^(٢) ، وهذا لعله^(٣) قول مقاتل إنها عقبة جهنم^(٤) ، وقال مجاهد^(٥) والضحاك^(٦) : هي الصراط يضرب على جهنم ، وهذا لعله قول الكلبي وقول هؤلاء أصحّ نظراً وأثراً ولغة . قال قتادة : إنها عقبة^(٧) شديدة فاقتموها بطاعة الله^(٨) ، وفي أثر معروف : " أن بين أيديكم عقبة كؤود لا يقتحمها إلا المخفون "^(٩) أو نحو هذا وأن سمي الله تعالى^(١٠) الإيمان به ، وفعل ما أمر به ، وترك ما نهى عقبة وكثيراً^(١١) ما يقع في كلام السلف الوصية بالتضمر^(١٢) لاقتحام العقبة .

، ولكن الصحيح أن ذكر العقبة مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس . . . البسيط (٧٨٦/٢) ، وقد رجحه أيضاً الرازي في تفسيره (١٨٥/٣١) ، وكذا الماوردي في النكت والعيون (٢٧١/٦) ، وكذلك القرطبي في تفسيره (٦٧-٦٦/٢٠) .

(١) ذكره عنه الواحدي كما في البسيط (٧٨٤/٢) ، والرازي في تفسيره (١٨٤/٣١) .

(٢) ذكر قول الكلبي في البسيط (٧٨٤/٢) ، التفسير الكبير (١٨٤/٣١) ، زاد المسير (١٣٤/٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٦٧/٢٠) ، فتح القدير (٥٢٠/٥) .

(٣) سقط من المطبوع .

(٤) لم أجد من ذكره وقد تقدم قول آخر له انظر ص (١٠١) .

(٥) ذكر قوله في : البسيط (٧٨٥/٢) ، ومعالم التنزيل (٤٣٢/٨) ، زاد المسير (١٣٤/٩) ، والجامع لأحكام القرآن (٦٧/٢٠) .

(٦) المراجع السابقة وانظر أيضاً : النكت والعيون (٢٧٨/٦) ، وتفسير الضحاك (٩٦٨/٢) .

(٧) هكذا فيما بين يدي من المخطوطات ، وعند الطبري والواحدي : (إنها قحمة . . .) . تفسير الطبري (٢٠١/٣٠) ، البسيط (٧٨٥/٢) .

(٨) أخرج هذا الأثر الطبري في تفسيره بسنده إلى قتادة (٢٠١/٣٠) . وقد ذكره أيضاً : الفارسي في الحجة (٤١٤/٦) ، والواحدي في البسيط (٧٨٥/٢) ، والشوكاني في فتح القدير (٥٢٠/٥) .

(٩) ما بين القوسين نقله ابن القيم عن الواحدي في تفسيره البسيط (٧٨٤/٢-٧٨٧) بتصرف .

(١٠) أخرجه الحاكم في مستدركه في (٥٣) كتاب الأهوال ، باب موت ابن وهب بسمع كتاب الأهوال ح (٨٧٥٣) ، والبزار في مسنده كما في كشف الأستار (٢٧٠/٤) في كتاب الزهد ، باب . ح (٣٦٩٦) وقال : لا نعلم رواه إلا أبو الدرداء ، ولا حدث به إلا أبو معاوية ، عن موسى ، وموسى ثقة حدث عنه الناس ، و هلال مشهور ، والاسناد صحيح . وقال الهيثمي في المجمع (٢٦٣/١٠) : رواه البزار و رجاله رجال الصحيح ، غير أسد بن موسى ، وموسى بن مسلم الصغير ، وهما ثقتان .

(١١) في المطبوع : (و أن الله سمي الإيمان به . . .) .

(١٢) في المطبوع : (فكثيراً) .

(١٣) في (م) و (ق) : بالتضمين . والتضمر : انضمام الجلد هـالاً . انظر : القاموس المحيط ص (٤٢٩) .



وقال بعض الصحابة : وقد حضره الموت فجعل يبكي ويقول : مالي لا أبكي وبين يدي عقبة^(١) أهبط منها إما إلى جنة وإما إلى نار ، فهذا القول أقرب إلى الحقيقة ، والآثار السلفية والمألوف من عادة القرآن [في]^(٢) استعماله ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾ في الأمور الغائبة العظيمة كما تقدم . والله أعلم .



^(١) في (م) و (ق) و المطبوع : زيادة (كؤود) .

^(٢) زيادة من (م) و (ق) و المطبوع .

فصل ١٤

{ القسم في سورة التين }

ومن ذلك إقسام الله سبحانه بـ ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ (١) ، فأقسم سبحانه بهذه الأمكنة الثلاثة العظيمة (٢) التي هي مظاهر أنبيائه ورسله وأصحاب الشرائع العظام والأمم الكبيرة ، فالتين والزيتون المراد به : نفس الشجرتين المعروفتين ومنبتهما هو أرض بيت المقدس (٣) ، فإنها أكثر البقاع زيتوناً وتيناً .

[١/١٥]

(وقد قال جماعة من المفسرين أنه سبحانه أقسم بهذين النوعين من الثمار لمكان العبرة فيهما ، فإن التين فاكهة مخلص من شوائب التنغيص (٤) ، لا عجم (٥) له ، وهو على مقدار اللقمة ، وهو فاكهة وقوت وغذاء وأدم ، ويدخل في الأدوية ، ومزاجه من أعدل الأمزجة ، وطبعه طبع الحياة ، الحرارة ، والرطوبة ، وشكله من أحسن الأشكال ، ويدخل أكله والنظر إليه في باب المرحات (٦) ، وله لذة يمتاز بها عن سائر الفواكه ، ويزيد في القوة ، ويوافق الباءة وينفع من البواسير (٧) والنقرس (٨) ، ويؤكل رطباً ويابساً .

(١) سورة التين الآيات (١-٣) .

(٢) في (م) و (ق) : (بهذه الأمكنة الثلاثة التي هي مظاهر أنبيائه العظيمة) .

(٣) بيت المقدس : مدينة مرتفعة على جبال يصعد إليها من كل مكان يقصدها القاصد من فلسطين ، وبها المسجد الأقصى وليس في بيت المقدس ماء جار سوى عيون لا ينفع المزروع بها ، وهي من أحصى بلاد فلسطين على مر الأوقات ، وفي سورها موضع يعرف بمحراب داود عليه السلام ، وهو بنية مرتفعة ارتفاعها نحو خمسين ذراعاً من الحجارة ، وبأعلى بناء كالحجر وهو المحراب . المسالك والممالك : للإصطخري (٥٦) .

(٤) التنغيص : مأخوذ من نغص بمعنى : لم تتم له هوائته ، وبأني بمعنى : التكدير أيضاً . انظر : لسان العرب (٢١٩/١٤) مادة (نغص) .

(٥) العجم : بالتحريك : التوى نوى التمر والنق ، الواحدة عجمة مثل : قصبة وقصب . : لسان العرب (٧١/٩) مادة (عجم) .

(٦) في (م) و (ق) و (المطبوع) : (المرحات) .

(٧) البواسير : مفردة الباسور ، وهو تضخم في أوردة المستقيم ، وعندما تتوسع هذه الأوردة تتحول إلى بواسير وهي علة تحدث في المقعدة وفي داخل الأنف أيضاً ، كما قاله الجوهري . ومن المسببات له : الإمساك ، والحمل ، والوقوف طويلاً تعالج حسب حالاتها . انظر : لسان العرب (٤٠٦/١) مادة (بسر) ، الموسوعة العربية العالمية (٢٠٧/٥) .

(٨) النقرس : مرض مزمن يؤدي إلى أورام شديدة في المفاصل ، وبأني نتيجة لفشل الجسم في أداء مهمته الطبيعية لتحليل أنواع من البروتين مما ينتج عنه زيادة في حمض اليوريك . وليس له علاج حتى الآن ولكن يمكن التخفيف منه بواسطة الحمية . انظر : الموسوعة العربية العالمية (٣٥٦/٢٥) .

وأما الزيتون ففيه من الآيات ما هو ظاهر لمن اعتبر ، فإن عوده يخرج ثمراً يعصر منه هذا الدهن الذي هو مادة النور ، وصبغ للأكلين وطيب ودواء ، وفيه من مصالح الخلق ما لا يخفى ، وشجره باق على مر السنين المتطاولة ، وورقه لا يسقط ^(١) .

وهذا الذي قالوه حق ، ولا ينافي أن يكون منبته مراداً ، فإن [منبت] ^(٢) هاتين الشجرتين حقيق بأن يكون من جملة البقاع الفاضلة الشريفة ، فيكون الإقسام به ^(٣) قد تناول الشجرتين ومنبتها ، وهو مظهر عبدالله ورسوله وكلمته وروحه عيسى بن مريم . كما أن طور سينين مظهر عبده ورسوله وكلمته ^(٤) موسى ، فإن الجبل الذي كلمه عليه وناجاه وأرسله إلى فرعون وقومه ^(٥) .

ثم أقسم بالبلد الأمين وهو مكة مظهر خاتم أنبيائه ورسله وسيد ولد آدم ، وترقى في هذا القسم من الفاضل إلى الأفضل ، فبدأ بموضع مظهر المسيح ، ثم ثنى بموضع مظهر الكليم ، ثم ختم بموضع مظهر عبده ورسوله وأكرم الخلق عليه .

ونظير هذا بعينه في التوراة التي أنزلها على موسى : جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير ، واستعلن من / جبال فاران " فمجيئه من طور سيناء بعثه لموسى بن عمران .

[١٥/ب]

وبدأ به على حكم الترتيب الواقع ، ثم ثنى بنبوة المسيح ، ثم ختم بنبوة محمد ﷺ ، وجعل نبوة موسى بمترلة مجيء الصبح ، ونبوة المسيح بعده بمترلة طلوع الشمس وإشراقها ، ونبوة محمد ﷺ بعدها ^(٦) بمترلة استعلائها وظهورها للعالم .

[ولما كان الغالب على بني إسرائيل حكم الحس ، ذكر ذلك مطابقاً للواقع] ^(٨) .

(١) ما بين القوسين أخذه بمعناه من البسيط (٨٦٧-٨٦٤/٢) .

(٢) سقط من الأصل ومثب في البقية .

(٣) (به) ساقطة في (م) و (ق) و المطبوع .

(٤) في (م) و (ق) و المطبوع (وكليمه) ولعله أصح .

(٥) اختلف في هذا الجبل على قولين :

أ) جبل بالشام كَلَّمَ الله عليه موسى و منه نودي فهو الطور . وهو مروي عن كعب الأحبار و الحسن وعكرمة .

ب) الطور هو جبل من غير تخصيص بأنه الذي كَلَّمَ الله عليه موسى . وهو مروي عن : ابن عباس و مجاهد و قتادة و مقاتل و الكلبي

انظر : جامع البيان (٣٠/٢٤٠-٢٤١) ، المحرر الوجيز (١٦/٣٣٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/١١٢) .

(٦) في (ق) زيادة : (وعليهم) .

(٧) في (م) و (ق) و المطبوع : (بعدهما) .

(٨) ما بين المعقوفتين زيادة من (م) و (ق) و المطبوع .

ولما كان الغالب على الأمة الكاملة حكم العقل ذكرها على الترتيب العقلي ، وأقسم بها على بداية الإنسان ونهايته ، فقال : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (١) ، أي في أحسن صورة وشكل واعتدال ، معتدل القامة مستوي الخلق (٢) كامل الصورة ، أحسن من كل حيوان سواه .

والتَّقْوِيم : تصيير الشيء على ما ينبغي أن يكون في التأليف والتعديل (٣) ، وذلك صنّعه سبحانه وتعالى في قبضة من تراب ، وصنعه بالمشاهدة في نقطة من ماء ، وذلك من أعظم الآيات الدالة على وجود قدرته (٤) وحكمته وعلمه ، وصفات كماله ، ولهذا يكررها كثيراً في القرآن لمكان العبرة بها والاستدلال بأقرب الطرق على وحدانيته ، وعلى المبدأ والمعاد .

وتضمّن إقسامه بتلك الأمكنة الثلاثة الدالة عليه وعلى علمه وحكمته وعنايته بخلقه بأن أرسل منها رسلاً ، أنزل عليهم كتبه ، ويعرّفون العباد برهم وحقوقه عليهم ، وينذروهم بأسه ونقمته ، ويدعوهم إلى كرامته وثوابه .

ثم لما كان الناس في إجابة هذه الدعوة فريقين منهم من أجاب ومنهم من أبى ، ذكّر حال الفريقين فذكر حال الأكثرين وهم المردودون إلى أسفل سافين ، والصحيح أنه النار ، قاله مجاهد (٦) والحسن (٧) وأبو العالية (٨) .

(١) سورة التين آية (٤) .

(٢) في المطبوع : (الخلق) .

(٣) قال في المفردات : (و تقويم الشيء : تنقيفه . . .) ، وذلك إشارة إلى ما خصّ به الإنسان من بين الحيوان من العقل والفهم ، وانتصاب القامة الدالة على استيلائه على كل ما في هذا العالم) . مفردات الراغب ص (٤١٨) .

(٤) في (م) و (ق) والمطبوع : (تبارك وتعالى) .

(٥) هكذا في الأصل ، وفي البقية : (على وجوده ، وقدرته . . .) .

(٦) قول مجاهد أخرجه ابن جرير في تفسيره بسنده (٢٤٥/٣٠) . وذكر أيضاً قوله : الواحد في البسيط (٨٧٣/٢) ، و المارودي في النكت والعيون (٣٠٢/٦) ، و البغوي في معالم التنزيل (٤٧٢/٨) ، وابن عطية في المحرر الوجيز (٣٣١/١٦) و غيرهم ، وعزاه في الدر المنثور (٥٥٥/٨) إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٧) قول الحسن أخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره بسنده (٢٤٥/٣) ، و إسناده حسن كما قال صاحب التفسير الصحيح (٦٤٩/٤) ، وعبد الرزاق بسنده (٣٨٢/٢) . وذكر أيضاً قوله في المراجع السابقة و انظر أيضاً : (زاد المسير (١٧٣/٩) ، والتفسير الكبير (١١/٣٢) ، و الجامع لأحكام القرآن (١١٥/٢٠) ، و البحر المحيط (٤٩٠/٨) ، وتفسير الحسن البصري (٤٣٠/٢) .

(٨) المروي عن أبي العالية : قال : في شرّ صورة ، في صورة خنزير . أخرجه الطبري بسنده في تفسيره (٢٤٥/٣٠) وذكر أيضاً قوله في المراجع السابقة ما عدا : التفسير الكبير ، وتفسير عبد الرزاق ، وتفسير الحسن .

قال علي بن أبي طالب ^(١) : ^(٢) هي النار بعضها أسفل من بعض ^(٣) .
وقالت طائفة منهم قتادة ^(٤) وعكرمة ^(٥) وعطاء ^(٦) والكلبي ^(٧) وإبراهيم ^(٨) : أنه أرذل العمر ، وهو مروي عن ابن عباس ^(٩) .

والصواب القول الأول لوجوه : (أحدها :) ^(١٠) أن أرذل العمر لا يسمّى أسفل سافلين لا في لغة ولا عرف ، وإنما أسفل سافلين هو سجين الذي هو مكان الفجار ، كما أن عليّين مكان الأبرار .

الثاني : أن المردودون إلى أرذل العمر بالنسبة إلى نوع الإنسان قليل جداً ، وأكثرهم يموت ولا يرد إلى أرذل العمر .

= وأبو العالية : هو رفيع بن مهران (أبو العالية الريامي البصري) ، الإمام المقرئ ، الحافظ المفسر ، من كبار التابعين ، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب ، ورأى أبا بكر الصديق ودخل عليه ، روى عن : عمر و أبي ، وروى عنه : عاصم الأحول و داوود بن أبي هند . مات سنة (٩٠) هـ وقيل غير ذلك . انظر : طبقات ابن سعد (١١٢/٧) ، الكاشف (٣١٢/١) .
^(١) عني : هو ابن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ، أبو الحسن ، أمير المؤمنين و رابع الخلفاء الراشدين ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم و زوج ابنته فاطمة رضي الله عنها ، ولد قبل الهجرة بعشر سنين ، و قتلته عبد الرحمن بن ملجم سنة (٤٠) هـ .

انظر : الرياض النضرة في مناقب العشرة (١٠٣/٣ - ٢٤١) ، الإصابة (٥٠١/٢ - ٥٠٣) .
^(٢) في (م) و (ق) و المطبوع : زيادة (رضي الله عنه) .

^(٣) ذكر قوله في : البسيط (٨٧٣/٢) ، و التفسير الكبير (١١/٣٢) .

^(٤) قول قتادة أخرجه عبد الرزاق في تفسيره بسنده (٣٨٢/٢) . وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره بسنده (٢٤٤/٣٠) وإسناده حسن كما قال صاحب التفسير الصحيح (٦٤٩/٤) و انظر أيضاً : المحرر الوجيز (٣٣١/١٦) ، زاد المسير (١٧٣/٩) .

^(٥) أخرج قوله الطبري في تفسيره بسنده (٢٤٤/٣٠) و ذكر أيضاً في البسيط (٨٧٢/٢) ، وزاد المسير (١٧٣/٩) ، والمحرر الوجيز (٣٣١/١٦) ، وعزاه في الدر المنثور (٥٥٨/٨) ، إلى عبد بن حميد و ابن أبي حاتم .

^(٦) لم أجد من نسب إليه قولاً ، سوى ما ذكره الواحدي في البسيط (٨٧٢/٢) أنه رواية عطاء عن ابن عباس ، ولم أجد هذه الرواية فيما بين يدي من مصادر .

^(٧) رواية الكلبي عند عبد الرزاق في تفسيره بسنده (٣٨٢/٢) . و عند الواحدي أن رواية الكلبي عن ابن عباس (٨٧٢/٢) ولم أعثر عليها عند غيره .

^(٨) أخرج قوله الطبري في تفسيره بسنده (٢٤٤/٣٠) وذكرها عنه أيضاً في : البسيط (٨٧٢/٢) ، وزاد المسير (٩/)

^(٩) روى عن ابن عباس من أكثر من طريق :

من طريق عكرمة عند الطبري بسنده (٢٤٤/٢) ، و عن طريق أبي رزين عند الطبري أيضاً بسنده (٢٤٤/٢) ، ومن طريق العوفي عند الطبري أيضاً بسنده (٢٤٤/٢) ، و عزاه في الدر المنثور من غير ذكر للطرق (٥٥٤/٨) إلى ابن أبي حاتم و ابن مردويه ، وسعيد بن منصور و عبد بن حميد ، وابن المنذر .

^(١٠) في الأصل و (ب) : منها ، وفي البقية (أحدها :) و هو ما أثبتته .

الثالث : أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يستوون وغيرهم في رد من طال عمره إلى أرذل العمر ، فليس ذلك مختصاً بالكفار حتى يستثني منهم المؤمنين .

الرابع : أن الله سبحانه لما أراد [ذلك] ^(١) لم يخصه بالكفار بل جعله لجنس بني آدم فقال (تعالى) ^(٢) : ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ ﴾ ^(٣) ، وجعلهم قسمين : قسم يتوفى ^(٤) قبل الكبر ، وقسم مردود إلى أرذل العمر ، ولم يسمه أسفل سافلين .

الخامس : أنه لا يحسنُ المقابلة بين أرذل العمر وبين أجر ^(٥) المؤمنين وهو سبحانه قابل بين جزاء هؤلاء ، وبين ^(٦) جزاء أهل الإيمان فجعل جزاء الكفار أسفل سافلين ، وجزاء المؤمنين أجراً غير ممنون .

السادس : أن قول من فسره بأرذل العمر يستلزم خلو الآية من ^(٧) جزاء الكفار وعاقبة أمرهم ، وتفسيرها ^(٨) بأمر محسوس ، فيكون قد ترك الإخبار عن المقصود والأهم ^(٩) ، وأخير بأمر ^(١٠) يعرف بالحس والمشاهدة ، وفي ذلك هضم لمعنى الآية ونقص ^(١١) بها عن المعنى اللائق بها .

السابع : أنه سبحانه ذكر حال الإنسان في مبدئه ومعاده ، فمبدؤه خلقه في أحسن تقويم ، ومعاده رده إلى أسفل سافلين ، أو إلى أجر غير ممنون ، وهذا موافق لطريقة القرآن وعادته في ذكر مبدأ العبد ومعاده ، فما لأرذل العمر وهذا المعنى المطلوب المقصود إثباته والاستدلال عليه .

الثامن : أن أرباب القول الأول مضطرون إلى مخالفة الحس أو ^(١٢) إخراج الكلام عن ظاهره ، والتكلف البعيد ^(١٣) ، فإنهم إن قالوا : أن الذي يرد إلى أرذل العمر هم الكفار دون المؤمنون

(١) سقط من الأصل واثبتته من البقية .

(٢) سقط من (م) و (ق) و المطبوع .

(٣) سورة الحج آية (٥) .

(٤) في (م) و (ق) و المطبوع : (وقسم متوفى) .

(٥) في المطبوع : جزاء .

(٦) سقط من (م) و (ق) و المطبوع .

(٧) في (م) زيادة (ذكر) بعد (عن) فتصبح العبارة : (عن ذكر جزاء الكفار . .) .

(٨) في المطبوع : (ويستلزم تفسيرها) .

(٩) في غير الأصل : (المقصود الأهم) بدون واو .

(١٠) في المطبوع : (وأخير عن أمر . . .) .

(١١) في (م) و (ق) و المطبوع : (وتقصير) بدل : (ونقص) .

(١٢) في (ق) و المطبوع : (وإخراج) .

(١٣) في (ق) : (التكليف البعيد له) ، وفي المطبوع : زيادة : (له) .

كأبروا الحس وإن قالوا^(١) : إن من النوعين من يرد إلى أرذل العمر احتاجوا إلى التكلف لصحة الاستثناء ، فمنهم من قدر ذلك بأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا تبطل أعمالهم إذا ردوا إلى أرذل العمر ، بل تجرى عليهم أعمالهم التي كانوا يعملونها في الصحة ، وهذا^(٢) وإن كان حقاً فإن الاستثناء إنما وقع من الرد لا من الأجر والعمل .

ولما علم أرباب هذا القول ما فيه من التكلف خص بعضهم الذين آمنوا / وعملوا

الصالحات بقرء القرآن خاصة . فقالوا : من قرأ القرآن لا يرد إلى أرذل العمر^(٣) وهذا ضعيف من [١٦/ب وجهين :

أحدهما : أن الاستثناء عام في المؤمنين ، قارئهم وأميهم .

الثاني^(٤) : أنهم لا دليل لهم على ما ادعوه ، وهذا لا يعلم بالحس ولا خبر يجب التسليم إليه^(٥) يقتضيه والله أعلم .

التاسع : أنه سبحانه ذكر نعمته على الإنسان بخلقه في أحسن تقويم ، وهذه النعمة توجب عليه أن يشكرها بالإيمان به ، وعبادته وحده لا شريك له ، فينقله وحده^(٦) من هذه الدار إلى أعلى عليين ، فإذا لم يؤمن بربه^(٧) وأشرك به وعصى رسله نقله منها إلى أسفل سافلين ، وبدله بعد هذه السورة التي هي في أحسن تقويم صورة من أقبح الصور في أسفل سافلين ، فتلك نعمته عليه ، وهذا عدله فيه وعقوبته على هوان^(٨) نعمته .

(١) في (ق) : (وقالوا) .

(٢) في المطبوع : (فهذا) .

(٣) ورد هذا القول عن عكرمة عن ابن عباس كما ذكر ذلك البغوي في معالم التنزيل (٤٧٣/٨) ، وورد أيضاً من قول عكرمة كما ذكر ذلك الواحدي في البسيط (٨٧٤ / ٢) ، والقرطبي في تفسيره (١١٦/٢٠) ، وابن كثير في تفسيره (٥٢٧/٤) ، وعزاه في الدر المنثور (٥٥٨/٨) إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٤) سقط من المطبوع وفيه : (وإنهم لا دليل لهم . . .) .

(٥) في (م) و (ق) والمطبوع : (له) .

(٦) في (م) و (ق) والمطبوع : (فينقله حينئذ من هذه الدار . . .) .

(٧) في المطبوع : (لم يؤمن به) .

(٨) في (م) و (ق) والمطبوع : (كفران) بدل : (هوان) .

العاشر : أن نظير هذه الآية قوله ^(١) : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥) ﴾ ^(٢) ، فالعذاب الأليم هو أسفل سافلين ^(٣) ، والمستنون هنا هم المستنون هناك ، والأجر [غير الممنون هنا هو المذكور هناك ، والله أعلم ^(٤) . وقوله (غير ممنون) أي ^(٥) : غير مقطوع ولا منقوص ، ولا مكدر عليهم ، هذا ^(٦) هو الصواب . وقالت طائفة : غير ممنون به عليهم بل هو جزاء أعمالهم ، ويذكر هذا عن عكرمة ^(٧) ومقاتل ^(٨) ، وهو قول كثير من القدرية ، قال هؤلاء : لأن ^(٩) المنة تكدر النعمة فتمام النعمة بأن يكون ^(١٠) غير ممنون بها على المنعم عليه ، وهذا القول خطأ قطعاً ، أتى [به] ^(١١) أربابه من تشبيه نعمة الله على عبده بإنعام المخلوق على المخلوق ، وهذا من أبطل الباطل ، فإن المنة التي تكدر النعمة هي منة المخلوق على المخلوق .

وأما منة الخالق على المخلوق فيها تمام النعمة ولذتها وطيبها ، فإنها منة حقيقية ^(١٢) ، قال تعالى : ﴿ يَمْنُونُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ﴾ ^(١٣) الآية .

(١) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (تعالى) .

(٢) في المطبوع خطأ (فلهم) .

(٣) سورة الانشقاق الآيتان (٢٥-٢٤) .

(٤) في (م) و (ق) : (السافلين) بالتعريف .

(٥) وقد رجح هذا القول جماعة منهم : شيخ الإسلام ابن تيمية انظر : التفسير الكبير (٢٨٤/٦-٢٨٧) وانتصر له وضعف غيره وبين سبب ضعفه . ومن رجحه أيضاً الحافظ ابن كثير حيث رد على الطبري الذي رجح القول الأول حيث يقول : " ولو كان هذا هو المراد ، لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك ، لأن المهرم قد يصيب بعضهم ، وإنما المراد ما ذكرناه كقوله تعالى : ﴿ والعصر . إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ . تفسير ابن كثير (٥٢٧ / ٤) .

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل .

(٧) في (ق) والمطبوع : (وهذا) .

(٨) قول عكرمة ذكره الواحد في تفسيره البسيط (٨٧٥/٢) .

(٩) قول مقاتل أيضاً ذكره الواحد في البسيط (٨٧٥/٢) .

(١٠) في المطبوع : (إن) .

(١١) في (ق) والمطبوع : (أن تكون) .

(١٢) زيادة من المطبوع .

(١٣) في (ق) والمطبوع : (حقيقة) .

(١٤) سورة الحجرات آية (١٧) وفي غير الأصل و (ب) إكمال الآية إلى آخرها .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١١٤) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ

الْعَظِيمِ (١١٥) ﴾^(١) . فكيف^(٢) تكون منته^(٣) عليهما نعمة الدنيا دون نعمة الآخرة .

وقال (تعالى) لموسى : ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧) ﴾^(٥) .

وقال أهل الجنة : ﴿ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾^(٦) .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾^(٧) الآية

وقال (تعالى)^(٨) : ﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ ﴾^(٩) .

وفي الصحيح : أن النبي ﷺ قال لما قال^(١٠) للأنصار : " ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي

؟ ألم أجدكم عالة فأغناكم الله بي ؟ " وجعلوا^(١١) يقولون له^(١٢) : " الله ورسوله أمِن " ^(١٣) ،

فهذا جواب العارفين بالله ورسوله .

وهل المنه^(١٤) إلا لله المنان^(١٥) بفضلته الذي جميع الخلق في منته^(١٦) .

(١) سورة الصافات الآيتان (١١٤ - ١١٥) .

(٢) في غير الأصل و (ب) (فتكون) .

(٣) في (م) و (ق) : (منه) ، وفي المطبوع : (منة) .

(٤) قوله : (تعالى) سقط من غير الأصل و (ب) .

(٥) سورة طه آية (٣٧) .

(٦) سورة الطور آية (٢٧) .

(٧) سورة آل عمران آية (١٦٤) . وفي (م) و (ق) زيادة : (يتلو عليهم آياته) .

(٨) قوله : (تعالى) سقط من غير الأصل و (ب) .

(٩) سورة القصص آية (٥) وفي غير الأصل و (ب) والمطبوع : تكملة الآية .

(١٠) سقط من المطبوع : (لما قال) .

(١١) في (م) و (ق) : (جعلوا) ، وفي المطبوع : (فجعلوا) .

(١٢) (له) ساقطة من (ق) .

(١٣) الحديث أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب المغازي ، (٥٦) باب غزوة الطائف ، ح (٤٣٣٠) ، ومسلم في (١٢) كتاب

الزكاة ، (٤٦) باب إعطاء المؤلف قلوبهم على الإسلام ، وتصير من قوي إيمانه ح (١٠٦١) من حديث عبدالله بن زيد رضي الله عنه

(١٤) في غير الأصل : زيادة (كل المنه) .

(١٥) في غير الأصل و (ب) : المان .

(١٦) في غير الأصل : (منته) .

وإنما قبحت منة المخلوقين لأنها منة ما ليس منه ، وهي منة يتأذى بها الممنون عليه ، وأما منة المنان ^(١) بفضلها التي ما طاب العيش إلا بمننته ، وكل نعمة منه في الدنيا والآخرة فهي منة يمن بها على من أنعم عليه ، فتلك لا يجوز نفيها ، وكيف يجوز أن يقال : أنه لا منة لله على الذين آمنوا وعملوا الصالحات في دخول الجنة ، وهل هذا إلا من أبطل الباطل ؟ .

فإن قيل : هذا القدر لا يخفى على من قال هذا القول من العلماء ، وليس مرادهم ما ذكر وإنما مرادهم أنه لا يمن عليهم به ، وإن كانت لله فيه المنة عليهم ، فإنه لا يمن عليهم به ، بل يقال لهم ^(٢) : هذا جزاء أعمالكم التي عملتموها في الدنيا ، وهذا أجركم ، فأنتم تستوفون أجور أعمالكم ، ولا ^(٣) فمن عليكم بما أعطيناكم .

قيل : وهذا أيضاً هو الباطل بعينه فإن ذلك الأجر ليست الأعمال ثمناً له ^(٤) ولا معاوضة عنه ، وقد قال أعلم الخلق بالله ^(٥) : " لن يدخل أحد ^(٦) منكم الجنة بعمله " قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : " ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل " ^(٧) ، فأخبر أن دخول الجنة برحمة الله وفضله ، وذلك محض منته عليه (وعلى سائر عبادته ، وكما أنه سبحانه المان بإرسال رسله وبالتوفيق لطاعتهم ^(٨) وبالإعانة عليها ، فهو المان بإعطاء الجزاء ، وذلك كله محض منته ^(٩) وفضله وجوده لا حق لا أحد عليه بحيث إذا وفاه ^(١٠) إياه لم يكن له عليه منة ، فإن كان في الدنيا باطل ^(١١) فهذا منة ^(١٢) .

(١) في (م) و (ق) : (المان) .

(٢) قوله : (لهم) ساقط من غير الأصل و (م) .

(٣) (الواو) ساقطة من غير الأصل .

(٤) تحرفت في (ق) إلى (بمثاله) .

(٥) في المطبوع زيادة صلى الله عليه وسلم .

(٦) في الأصل : (أحدهم) وهو خطأ .

(٧) أخرجه البخاري في (٨١) كتاب الرقاق ، (١٨) باب القصد والمداومة على العمل ح (٦٤٦٣) ، ومسلم في (٥٠) كتاب

صفات المنافقين وأحكامهم . (١٧) باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى ح (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٨) في المطبوع " (لطاعته) .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (ق) .

(١٠) في (ق) والمطبوع : (وفاه) .

(١١) في (م) و (ق) : (فباطل)

(١٢) في المطبوع : (فهذا ليس منه في شيء) .

فإن قيل : كيف تقولون هذا وقد أخبر رسوله عنه بأن حق العباد عليه إذا عبدوه وحده^(١) / أن لا يعذبهم^(٢) ، وقد أخبر عن نفسه أن حقاً عليه نصر المؤمنين^(٣) ؟ .
 قيل : لعمر الله ، وهذا^(٤) من أعظم منته^(٥) على عباده أن جعل على نفسه حقاً بحكم وعده الصادق ، أن يثيبهم ولا يعذبهم إذا عبدوه وحده^(٦) فهذا من تمام منته ، فإنه لو عذب أهل سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولكن منته اقتضت أن أحق على نفسه ثواب عابديه ، وإجابة سائليه^(٧) .

ما للعباد عليه حق واجب **كلا ولا سعي لديه ضائع**
إن عذبوا فبعد له أو نعموا **فبفضله وهو^(٨) الكريم الواسع**

وقوله سبحانه^٩ : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالْذِّينِ (٧) ﴾^(١٠) أصح القولين أن هذا خطاب للإنسان^(١١) ، أي : فما يكذبك بالجزاء والمعاد بعد هذا البيان وهذا البرهان ؟ فتقول : إنك لا تبعث ولا تحاسب ، ولو تفكرت^(١٢) في مبدأ خلقك وصورتك لعلمت أن الذي خلقك أقدر على

(١) في غير الأصل و (ب) : (إذا وحدوه) .

(٢) كما جاء ذلك في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري في (٥٦) كتاب الجهاد والسير ، (٤٦) باب اسم الفرس والحمار ح (٢٨٥٤) وانظر ح (٥٩٦٧-٦٢٦٧-٧٣٧٣) ، ومسلم في (١) كتاب الإيمان (١٠) باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ح (٣٠) وغيرهما .

(٣) كما في قوله تعالى : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ .

(٤) في المطبوع : (هذا) من غير واو .

(٥) في (م) و (ق) : (منته) .

(٦) في المطبوع : (ووحدوه) .

(٧) انظر : شفاء العليل (٢١٣/١ - ٢١٥) .

(٨) قوله (سبحانه) سقط من (ق) .

(٩) في غير الأصل و (ب) : (فهو) .

(١٠) سورة التين آية (٧) .

(١١) في (ق) : (للامتنان) .

(١٢) في (ق) : (ففكرت) .

إعادتك بعد موتك ونشأتك^(١) خلقاً جديداً (من خلقك الأول)^(٢) ، وأن ذلك لو أعياه وأعجزه لأعياه وأعجزه^(٣) خلقك الأول .

وأيضاً فإن الذي كمل خلقك في أحسن تقويم [بعد]^(٤) أن كنت نقطة من ماء مهين ، كيف يليق به أن يتركك سدىً ، لا يكمل ذاتك^(٥) بالأمر والنهي ، وبيان ما ينفعك ويضررك ، ولا يبعثك^(٦) لدار هي أكمل من هذه الدار^(٧) ، ويجعل هذه الدار طريقاً لك إليها ؟ . فحكمة أحكم الحاكمين تأبي ذلك ، وتقتضي خلافه .

قال منصور^(٨) : قلت لمجاهد . فما يكذبك بعد بالدين ؟ عني به محمداً ؟ فقال^(٩) : معاذ الله ، إنما عني به الإنسان^(١٠) .

وقال قتادة : الضمير للنبي ﷺ^(١١) ، واختاره الفراء^(١٢) ، وهذا موضع يحتاج إلى شرح وبيان^(١٣) .

(١) في غير الأصل و (ب) : (على أن يعيدك . . . وينشئك . . .) .

(٢) ما بين القوسين سقط من غير الأصل و (ب) .

(٣) في غير الأصل و (ب) : (لو أعجزه لأعجزه وأعياه) .

(٤) سقط من الأصل . والاستدراك من البقية .

(٥) في المطبوع : (ذلك) .

(٦) في غير الأصل و (ب) : (ولا تنقل لدار) .

(٧) قوله : (الدار) ساقط من غير الأصل و (ب) .

(٨) منصور هو : منصور بن المعتمر بن عبد الله بن ربيعة السلمى ، أبو عتاب الكوفي ثقة حافظ متقن مشهور بالتعبد والصلاح ، روى عن جماعة منهم : النخعي والحسن البصري ، وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم ، وروى عنه الأعمش والسفيانان ، وإسرائيل وأبو الأحوص وغيرهم . توفي سنة (١٣٢ هـ) وكان فيه تشيع قليل ولم يكن بغال . انظر : الجرح والتعديل (١٧٧/٨) ، التهذيب (٣١٢/١٠) .

(٩) في (ق) : (قال) .

(١٠) قول مجاهد : أخرجه ابن جرير في تفسيره بإسناده (٢٤٩/٣٠) .

وذكر عنه أيضاً في : البسيط (٨٧٧/٢) ، المحرر الوجيز (٣٣٢/١٦) تفسير ابن كثير (٥٢٧/٤) .

(١١) أخرج أثر قتادة بمعناه الطبري في تفسيره (٢٤٩/٣٠) وإسناده حسن كما قال صاحب التفسير الصحيح (٦٤٩/٤) .

(١٢) انظر : معاني القرآن للفراء (٢٧٧/٣) .

(١٣) الكلام الآتي بعد هذا نقله ابن القيم مع شيء من التصرف من شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية انظر التفسير الكبير (٢٨٧/٦ - ٢٩٤) .

يقال : كذب الرجل إذا قال الكذب ، وكذبت^(١) إذا نسبته إلى الكذب ولو اعتقدت صدقه وكذبت . إذا اعتقدت كذبه وإن كان صادقاً ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾^(٢) . وقال (تعالى)^(٣) : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾^(٤) . فالأول بمعنى : وإن نسبوك^(٥) إلى الكذب ، والثاني بمعنى لا يعتقدون أنك كاذب ، ولكنهم يعاندون ، ويدفعون الحق بعد معرفته جحوداً / وعناداً ، هذا أصل هذه اللفظة ، ويتعدى [١/١٨] الفعل إلى المخبر^(٦) بنفسه ، وإلى خبره بالباء أو بفي^(٧) ، فيقال : كذبت بكذا ، وكذبت فيه ، والأول أكثر استعمالاً ومنه قوله (تعالى)^(٨) : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾^(٩) ،^(١٠) ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾^(١١) .

إذا عرف هذا فقله : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ ﴾^(١٢) ، اختلف في " ما " هل هي بمعنى : أي شيء يكذبك ، أو بمعنى : من الذي يكذبك ، فمن جعلها بمعنى أي شيء ، تعين على قوله أن يكون الخطاب للإنسان ، أي : فأَي شيء يجعلك بعد هذا البيان مكذباً بالدين ؟ وقد وضحت لك دلائل الصدق والتصديق .

ومن جعلها بمعنى فمن الذي يكذبك جعل الخطاب للنبي ﷺ .

(١) في غير الأصل و (ب) زيادة : (أنا) فتصبح العبارة : (وكذبت أنا إذا . . .) .

(٢) سورة فاطر الآية (٤) وفي المطبوع : تكلمة الآية .

(٣) سقط من غير الأصل و (ب) .

(٤) سورة الأنعام آية (٣٣) .

(٥) في غير الأصل و (ب) : (ينسوك) .

(٦) في غير الأصل و (ب) : (الخير) .

(٧) في المطبوع : (و) بدل (أو) .

(٨) سقط من غير الأصل و (ب) .

(٩) سورة ق آية (٥) .

(١٠) في المطبوع زيادة : (وقوله) .

(١١) سورة الحديد آية (١٩) .

(١٢) في غير الأصل و (ب) : (فما يكذبك) .

قال الفراء : كأنه يقول من يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب بعد ما تبين له من خلق الإنسان ما وصفناه^(١) ، وقال قتادة : فمن يكذبك أيها الرسول بعد هذا بالدين^(٢) ؟ .

وعلى قول قتادة والفراء إشكال من وجهين :

أحدهما : إقامة " ما " مقام " من " وأمره سهل .

والثاني : أن الجار والمجرور يستدعي متعلقاً وهو يكذبك ، أي : فمن يكذبك بالدين ؟ فلا يخلوا إما أن يكون المعنى : فمن يجعلك كاذباً بالدين أو مكذبا به ؟ ، ولا يصح واحد منهما ، أما^(٣) الثاني والثالث فظاهر ، فإن كذبه ليس [معناه]^(٤) جعلته مكذباً أو مكذباً ، وإنما معناه نسبته إلى الكذب ، فالمعنى على هذا : فمن يجعلك^(٥) كاذباً بالدين (أو مكذباً به)^(٦) ، وهذا إنما يتعدى إليه بالباء الفعل المضاعف لا الثلاثي ، فلا يقال : كذب بكذا^(٧) ، وإنما يقال : كذب به .

وجواب هذا الإشكال أن قوله : كذب بكذا ، معناه : كذب المخبر به ، ثم حذفوا^(٨) المفعول^(٩) لظهور العلم به ، حتى كأنه نسي منسي^(١٠) وعدوا [الفعل]^(١١) إلى المخبر به . فإذا قيل : من يكذبك بكذا ، فهو بمعنى : كذبوك بكذا سواء ، أي : نسبوك إلى الكذب في الإخبار به بل الإشكال في قول مجاهد والجمهور ، فإن الخطاب إذا كان للإنسان وهو المكذب أي : فاعل التكذيب ، فكيف يقال له : ما يكذبك ؟ أي يجعل مكذباً^(١٢) ، والمعروف كذبه إذا جعله كاذباً لا مكذباً ، مثل : فسقه إذا جعله فاسقاً لا مفسقاً / لغيره .

(١) معاني القرآن للفراء (٢٧٧/٣) .

(٢) انظر قول قتادة في : البسيط (٨٧٧/٢) ، الجامع لأحكام القرآن (١١٦/٢٠) ، البحر المحيط (٤٩٠/٨) .

(٣) في (ق) : (وأما) .

(٤) سقط من الأصل .

(٥) بعد قوله (يجعلك) : زيادة (بعد) .

(٦) ما بين القوسين سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(٧) في (ق) : (كذبه بكذا) ، وفي المطبوع : (كذب بكذا) .

(٨) في المطبوع : (حذف) .

(٩) في الطبع : زياده (به) .

(١٠) قوله : (منسي) ساقط من المطبوع .

(١١) سقط من الأصل .

(١٢) هكذا في الأصل . وفي غير الأصل : (يجعلك) .

وجواب هذا الإشكال أن صدق وكذب بالتشديد يراد به معنيان :

أحدهما : النسبة وهي إنما تكون للمفعول كما ذكرتم .

الثاني : الداعي والحامل على ذلك وهو يكون للفاعل ، قال الكسائي^(١) : يقال : ما صدقك بكذا أو ما كذبك بكذا ، أي ما حملك على التصديق والتكذيب .

قلت : وهو نظير ما جرّأك^(٢) على هذا ؟ أي : ما^(٣) حملك على الاجترار عليه ، وما قدمك وما أخرك ؟ أي : ما دعاك وحملك على التقدم والتأخر^(٤) ؟ وهذا استعمال سائغ في العربية وبالله التوفيق .

ثم ختم السورة بقوله تعالى^(٥) : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ ؟ وهذا تقرير لمضمون السورة من إثبات النبوة والتوحيد ، والمعاد ، وحكمه يتضمن نصره لرسوله على من كذبه وجحد ما جاء به بالحجة والقدرة والظهور عليه ، وحكمه بين عباده في الدنيا بشعره ، وأمره ، وحكمه بينهم في الآخرة بثوابه وعقابه وأن أحكم الحاكمين لا يليق به تعطيل هذه الأحكام بعدما ظهرت حكمته في خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وبنقله^(٦) في أطوار التخليق حالاً بعد حال ، الى أكمل أحواله^(٧) ، فكيف يليق بأحكم الحاكمين أن لا يجازي المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته ؟ وهل ذلك إلا قدح في حكمه وحكمته ، فله ما أحصر لفظ هذه السورة وأعظم شأنها ، وأتم معناها .. والله أعلم .

(١) الكسائي : هو علي بن حمزة بن عبدالله بن بهمن بن فيروز الأسدي مولاهم ، الكوفي . المعروف بالكسائي أبو الحسن ، أحد القراء السبعة . كان إماماً في النحو واللغة والقراءات ، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة ، أخذ القراءة من حمزة وعيسى بن عمر الهمداني وابن أبي ليلى وغيرهم ، وأخذ العربية عن الخليل بن أحمد . قال الشافعي : من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي . قرأ عليه : أبو عمر الدوري وأبو الحارث الليثي وغيرهما . له عدة مؤلفات منها : معاني القرآن وكتاب القراءات . مات بالري سنة ١٨٩هـ انظر : معرفة القراء الكبار (١٠٠/١) ، غاية النهاية (٥٣٥/١) .

(٢) في المطبوع : (أجرأك) .

(٣) (ما) ساقطة من (ق) .

(٤) في المطبوع : (التقدم والتأخير) .

(٥) (تعالى) ساقطة من المطبوع .

(٦) في المطبوع : (ونقله) .

(٧) في المطبوع : (الأحوال) .



فصل ٥٤

{ القسم في سورة الليل }

ومن ذلك قسمه سبحانه^(١) ب ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) . الآيات ﴾^(٢) ، وقد تقدم ذكر المقسم عليه ، وأنه سعي الإنسان في الدنيا وجزاؤه في العقبى^(٣) . فهو سبحانه يقسم بالليل في^(٤) جميع أحواله ، إذا هو من آياته الدالة عليه ، فأقسم به في وقت^(٥) غشيانه ، وأتى به^(٦) بصيغة المضارع لأنه يغشى شيئاً بعد شيء .

وأما النهار فإنه إذا طلعت الشمس ظهر وتحلى وهلة واحدة ، ولهذا قال في سورة الشمس وضحاها : ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾^(٧) وأقسم به وقت سريانه كما تقدم ، وأقسم به وقت إدباره وأقسم / به إذا عَسَسَ ، فقليل معناه : أدبر^(٨) ، فيكون [١/١٩] (معناه)^(٩) مطابقاً لقوله ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴾^(١٠) . وقليل معناه : أقبل^(١١) ، فيكون كقوله : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾ .

(١) في غير الأصل و (ب) زيادة (وتعالى) .

(٢) سورة الليل الآيتان (١ - ٢) . وفي (م) و (ق) والمطبوع : ذكر الآية الثالثة أيضاً (وما خلق الذكر والأنثى) .

(٣) كما تقدم في ص () .

(٤) في (ق) : (وجميع) .

(٥) في (م) و (ق) والمطبوع : (فأقسم به وقت . . .) .

(٦) (به) سقط من المطبوع .

(٧) سورة الشمس الآيتان (٣ - ٤) .

(٨) وهو مروي عن جماعة منهم : ابن عباس وعلي رضي الله عنهما ، ومقاتل و مجاهد والضحاك و ابن زيد وغيرهم ، انظر : جامع

البيان (٧٨/٣٠) ، النكت والعيون (٢١٧/٦) ، المحرر الوجيز (٢٤٢/١٦) ، زاد المسير (١٩٢/٨) ، تفسير القرآن العظيم (٤/

٤٧٩) ، معالم التنزيل (٣٤٩/٨) ، الدر المنثور (٤٣٣/٨)

(٩) ما بين القوسين ساقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(١٠) سورة المدثر الآيتان (٣٣ - ٣٤) ، وسقط من الأصل (إذا) الأولى . وفي (م) و (ق) : (إذا دبر) وهي قراءة :

(١١) وهو مروي عن الحسن و مجاهد . انظر : المراجع السابقة . وأهل اللغة يذكرون القولين و يقولون إن هذه الكلمة من الأضداد ففيها

المتعنان . ومن ذهب إلى هذا القول أبو عبيدة و التوزي و أبو حاتم السجستاني و ابن الأنباري . انظر : مجاز القرآن (٢٧٨/٢) ،

الأضداد للتوزي ص (٩٩) ، الأضداد لأبي حاتم ص (١٦٦) ، الأضداد لأبن الأنباري ص (٣٢ - ٣٤) .

فيكون قد أقسم بإقبال الليل و النهار وعلى الأول يكون^(١) القسم واقعاً على انصرام الليل ومجيء الصبح^(٢) عقيبته ، وكلاهما من آيات ربوبيته .

ثم أقسم بخلق الذكر والأنثى ، وذلك يتضمن الإقسام بالحيوان كله على اختلاف أصنافه ، ذكره وأنثاه .

وقابل بين الذكر والأنثى ، كما قابل بين الليل والنهار ، وكل ذلك من آيات ربوبيته ، فإن إخراج الليل والنهار بواسطة الأجرام العلوية ، وإخراج الذكر والأنثى بواسطة الأجرام السفلية ، فأخرج من الأرض ذكور الحيوان وإناثه على اختلاف أنواعه ، كما أخرج من السماء الليل والنهار بواسطة الشمس فيها .

وأقسم سبحانه بزمان السعي و [هو]^(٣) الليل والنهار وبالساعي وهو الذكر والأنثى على اختلاف السعي كما اختلف الليل والنهار ، والذكر والأنثى وسعيه وزمانه يختلف^(٤) ، وذلك دليل على [اختلاف]^(٥) جزائه وثوابه ، وأنه سبحانه لا يسوي بين من اختلف [سعيه]^(٦) في الجزاء كما لم يسو بين الليل والنهار ، والذكر والأنثى .

ثم أخبر عن تفريقه بين عاقبة سعي المحسن ، وعاقبة سعي^(٧) المسيء ، فقال (تعالى)^(٨) : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) ﴾^(٩) فتضمنت الآيتان ذكر شرعه وقدره ، وذكر الأعمال وجزائها ، وحكمة القدر في تيسير هذا لليسر ، وهذا للعسر ، وأن العبد ميسر بأعماله لغاياتها ، ولا يظلم ربك أحداً .

(١) في (ق) : (لكون) بدل (يكون) .

(٢) في المطبوع : (النهار) .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل .

(٤) في (م) و (ق) و المطبوع : (مختلف) .

(٥) ما بين المعقوفين سقط من الأصل .

(٦) ما بين المعقوفين سقط من الأصل .

(٧) قوله : (سعي) : سقط من (ب) .

(٨) ساقط من (م) و (ق) و المطبوع .

(٩) سورة الليل الآيات (٥ - ١٠) .



وذكر للتيسير لليسرى ، (وأن العبد ميسر)^(١) ثلاثة أسباب :

أحدها : إعطاء العبد وحذف مفعول الفعل إرادة الإطلاق^(٢) والتعميم ، أي : أعطى ما [١٩/ب] أمر به وسمحت به نفسه وطبيعته^(٣) / ، وذلك يتناول إعطاؤه من نفسه الإيمان والطاعة والإخلاص ، والتوبة والشكر ، وإعطاؤه الإحسان والنفع بماله ولسانه ، وبدنه ، ونيته ، وقصده ، فتكون نفسه نفساً مطيعة باذلة لا لئيمة مانعة .

فالنفس المطيعة : هي النفاة^(٤) المحسنة التي طبعها الإحسان وإعطاء الخير اللازم والمتعدي ، فتعطى خيرها لنفسها ولغيرها ، فهي بمنزلة العين التي ينتفع الناس بشربهم منها ، وسقي دوابهم وأنعامهم وزروعهم ، فهم ينتفعون بها كيف شاءوا ، فهي ميسرة لذلك .

وهكذا الرجل المبارك ميسر للنفع حيث حل ، فجزاء هذا أن يسره [الله]^(٥) لليسرى كما كانت نفسه ميسرة للعطاء .

السبب الثاني : التقوى : وهي اجتناب ما نهى الله عنه وهذا من أعظم أسباب التيسير ، وضده من أسباب التعسير .

فالمتقي ميسر^(٦) عليه أمور دنياه وآخرته ، وتارك التقوى وإن يسرت عليه بعض أمور دنياه تعسر^(٧) عليه من أمور آخرته بحسب ما تركه من التقوى .

وأما تيسير ما تعسر عليه من أمور الدنيا فلو اتقى الله^(٨) لكان تيسيرها عليه أتم ، ولو قدر أنها لم تيسر^(٩) له فقد يسر الله له من الدنيا ما هو أنفع له مما^(١٠) ناله بغير التقوى .

(١) ثابتة في الأصل فقط و ساقطة في غيره .

(٢) في غير الأصل و (ب) : (إرادة للإطلاق) .

(٣) في (م) و (ق) والمطبوع : (ما أمر به وسمحت به طبيعته ، وطاوعته نفسه) .

(٤) في المطبوع : (النافعة) .

(٥) ما بين المعقوفين سقط من الأصل .

(٦) في المطبوع : (ميسرة) .

(٧) في (ق) : (انعكس) .

(٨) في (ب) : (زيادة) تعالى .

(٩) في (م) و (ق) والمطبوع : (لم تيسر) .

(١٠) في الأصل : (فما) والمثبت من النسخ الباقية .

فإن طيب العيش ونعيم القلب ، ولذة الروح وفرحها وابتهاجها من أعظم نعيم الدنيا ، وهو أجل من نعيم أرباب الدنيا بالشهوات واللذات ، ونعيم أهل التقوى بالطاعات والقربات أعظم وأجل . (قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) ﴾ . إلى قوله : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤) ﴾ ^(١) ، فأخبر أنه يسر على المتقي ^(٢) ما يسر على غيره . ويرزقه من حيث لا يحتسب ، وهذا أيضاً تيسير عليه لتقواه ، وأخبر تعالى أنه يكفر عن المتقي سيئاته ، ويعظم له أجراً ، وهذا تيسير عليه بإزالة ما يخشاه ، وإعطائه ما يحبه ويرضاه ^(٣) ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩) ﴾ ^(٤) ، وهذا تيسير بالفرقان المتضمن للنجاة والنصر والعلم [١/٢٠] والنور الفارق بين الحق والباطل ، وتكفير السيئات ومغفرة الذنوب ، وذلك غاية التيسير . وقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) ﴾ ^(٥) ، والفلاح غاية اليسر ، كما أن الشقاء غاية العسر .

وقال تعالى : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ ^(٦) الآية ، فضمن لهم سبحانه بالتقوى ثلاثة أمور :

أحدهما : أعطاهم نصيبين من رحمته نصيباً في الدنيا ونصيباً في الآخرة ، وقد يضاعف لهم نصيب الآخرة ، فيصير نصيبين .

الثاني : أعطاهم نوراً يمشون به في الظلمات .

الثالث : مغفرة ذنوبهم ، وهذا غاية التيسير . فقد جعل سبحانه التقوى سبباً لكل يسر ، وترك التقوى سبباً لكل عسر .

(١) سورة الطلاق الآيات (٢-٤) .

(٢) في الأصل : (التقوى) والتصويب من غيره .

(٣) هكذا في الأصل و (ب) أما في غيرهما فتذكر كل آية من آيات التقوى من سورة الطلاق و تعقب بالتعليق عليها .

(٤) سورة الأنفال آية (٢٩) . وآخر الآية (والله ذو الفضل العظيم) سقط من (م) و (ق) و المطبوع .

(٥) سورة آل عمران الآية (١٣٠) .

(٦) سورة الحديد آية (٢٨) . وفي (م) و (ق) و المطبوع : ذكر الآية كاملة من أولها إلى قوله (ويغفر لكم) .

السبب الثالث : التصديق بالحسنى ، وفسرت بلا إله إلا الله^(١) ، وفسرت بالجنة^(٢) ، وفسرت بالخلف^(٣) ، وهي أقوال السلف ، واليسرى صفة لموصوف محذوف ، أي : الحالة والخلة اليسرى ، وهي فعلى من اليسر ، والأقوال الثلاثة ترجع إلى أفضل الأعمال ، وأفضل الجزاء .

فمن فسرّها بلا إله إلا الله فقد فسرّها بمفرد يأتي بكل جمع ، فإن التصديق الحقيقي بلا إله إلا الله يستلزم التصديق بشعبها وفروعها كلها وجميع أصول الدين وفروعه^(٤) ن شعب هذه الكلمة فلا يكون العبد مصدّقاً بها حقيقة التصديق حتى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ولقائه ، ولا يكون مؤمناً بأن الله^(٥) إله العالمين حتى يؤمن بصفات جلاله ، ونعوت كماله ، ولا يكون مؤمناً بلا إله إلا هو^(٦) حتى يسلب خصائص الإلهية عن كل موجود سواه^(٧) ، ويسلبها عن اعتقاده وإرادته ، كما هي منفية في الحقيقة والخارج [فلا يعتقد مثلاً استقلال سوى الله تعالى بنفع ولا ضر ولا يعلق آماله بسوى مولاه ، رزقنا الله ذلك بفضلِهِ وكرمه]^(٨) .

ولا يكون مصدّقاً بها من نفي الصفات العلى^(٩) ، ولا من نفي كلامه وتكليمه ، ولا من نفي استواءه على عرشه وأنه يصعد^(١٠) إليه الكلم الطيب والعمل الصالح^(١١) ، وأنه رفع المسيح

(١) هذا القول مروى عن مجاهد وأبي عبد الرحمن السلمي والضحاك . انظر : جامع البيان (٢٢٠/٣٠) البسيط (٨٢١/٢) النكت والعيون (٢٨٧/٦) ، معالم التنزيل (٤٤٥/٨) ، المحرر الوجيز (٣١٧/١٦) ، زاد المسير (١٤٩/٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٨٣/٢٠) ، البحر المحيط (٤٨٣/٨) ، تفسير الضحاك (٩٧٣/٢) .

(٢) هذا القول مروى عن مجاهد . انظر : جامع البيان (٢٢٠/٣٠) .

(٣) هذا القول مروى عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد أيضاً . انظر : جامع البيان (٢٢٠/٣٠) ، والمراجع السابقة عدا النكت والعيون ، وتفسير الضحاك ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٣٥/٨) إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان وقد رجح الطبري هذا القول وقال : (وإنما قلت ذلك أولى الأقوال بالصواب في ذلك ، لأن الله ذكر قبله منفقاً أنفق طالباً بنفقتة الخلف منها ، فكان أولى المعاني به أن يكون الذي عقيبه الخير عن تصديقه بوعد الله إياه بالخلف ، إذ كانت نفقته على الوجه الذي يرضاه . . .) واستدل أيضاً بأن هذه الآيات نزلت في أبي بكر رضي الله عنه .

(٤) في (ب) و (م) و (ق) : (وجميع الدين أصوله وفروعه) .

(٥) في المطبوع : (بالله إله العالمين) .

(٦) في (ب) و (م) : (بأنه لا إله إلا هو) ، و في (ق) : (بأن لا إله إلا هو) ، وفي المطبوع : (بأن الله لا إله هو) .

(٧) في (م) و (ق) : (عن كل موجود من سواه) .

(٨) ما بين المعقوفين في هامش الأصل فقط .

(٩) في المطبوع : (العليا) .

(١٠) في غير الأصل و (ب) : (يرفع) .

(١١) في (ب) زيادة : (يرفعه) .

إليه ، وأسري برسوله صلى الله عليه وسلم^(١) إليه ، وأنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج^(٢) إليه ، إلى سائر ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم^(٣) .

ولا يكون مؤمناً بهذه الكلمة مصداقاً بها على / الحقيقة من نفى عموم خلقه لكل شيء ، وقدرته على كل شيء ، وعلمه بكل شيء ، وبعثه للأجساد^(٤) من القبور ليوم النشور .

[ب/٢٠]

ولا يكون مصداقاً بها من زعم أنه يترك خلقه سداً لم يأمرهم ولم ينههم على السنة رسله . وكذلك التصديق بها يقتضي الإذعان والإقرار بحقوقها ، وهي شرائع الإسلام التي هي تفصيل هذه الكلمة ، فالتصديق^(٥) بجميع أخباره ، وامثال أوامره ، واجتناب نواهيه هو تفصيل لا إله إلا الله .

فالمصدق بها على الحقيقة الذي يأتي بذلك كله ، وكذلك لم تحصل عصمة المال والدم على الإطلاق إلا بها وبالقيام بحقها^(٦) ، وكذلك لا تحصل النجاة من العذاب على الإطلاق إلا بها وبحقها ، فالعقوبة في الدنيا والآخرة على تركها أو ترك حقها .

ومن فسر الحسنى بالجنة فسرها بأعلى أنواع^(٧) الجزاء وكماله . ومن فسر بها بالخلف ذكر نوعاً من الجزاء فهذا جزاء دنيوي والجنة الجزاء في الآخرة ، فرجع التصديق بالحسنى إلى التصديق بالإيمان وجزائه ، والتحقيق أنها تتناول الأمرين .

وتأمل ما اشتملت عليه هذه الكلمات الثلاث^(٨) ، وهي الإعطاء والتقوى ، والتصديق بالحسنى ، من العلم والعمل وتضمنته من الهدى ودين الحق ، فإن النفس لها ثلاث قوى : قوة البذل والإعطاء ، وقوة الكف^(٩) والامتناع ، وقوة الفهم والإدراك^(١٠) ، ففيها قوة العلم والشعور

(١) زيادة من غير الأصل و (ب) .

(٢) في (ق) : (يرجع) .

(٣) زيادة من غير الأصل و (ب) .

(٤) في (م) و (ق) و المطبوع : (وبعثه الأجساد) .

(٥) في (م) و (ق) و المطبوع : (بالتصديق) .

(٦) في (م) و (ق) : (إلا بها وبحقها) .

(٧) في (ق) : (فسرها بأنواع) .

(٨) قوله : (الثلاث) سقط من (ق) .

(٩) في الأصل و (ب) : (عن) والتصويب من النسخ الأخرى .

(١٠) في (م) و (ق) و المطبوع : (قوة الإدراك والفهم) .

، وتبعها^(١) قوة الحب والإرادة وقوة البغض والنفرة ، فهذه القوى الثلاث عليها مدار صلاحها وسعادتها ، وبفسادها يكون فسادها وشقاؤها ، ففساد قوة العلم والشعور يوجب له التكذيب بالحسنى ، وفساد قوة الحب والإرادة يوجب [له]^(٢) ترك الإعطاء (والمنع)^(٣) ، وفساد قوة البغض والنفرة يوجب له ترك الاتقاء ، فإذا كَمَّل^(٤) قوة حبه وإرادته بإعطائه ما أمر به وقوة بغضه ونفرته باتقائه ما نهي عنه ، وقوة علمه وشعوره بتصديقه بكلمة الإسلام وحقوقها وجزائها ، فقد زكى نفسه وأعدّها لكل حالة يسر ، فصارت النفس بذلك ميسرة لليسرى .

ولما كان الدين يدور على ثلاث قواعد / : فعل المأمور ، وترك المحذور ، وتصديق الخبر . [١/٢١]
وإن شئت قلت : الدين طلب وخير .

والطلب نوعان : طلب فعل وطلب ترك ، فتضمنت^(٥) هذه الكلمات الثلاث مراتب الدين أجمعها .

فالإعطاء : فعل المأمور ، والتّقوى : ترك المحذور ، والتصديق بالحسنى : تصديق الخبر ، فانتظم ذلك الدين كله ، وأكمل الناس من كملت له هذه القوى الثلاث ، ودخول النقص بحسب نقصانها أو بعضها^(٦) .

فمن الناس من تكون قوة إعطائه وبذله أتم من قوة انكفائه وتركه ، فقوة الترك فيه أضعف من قوة الإعطاء (ومن الناس من تكون قوة الترك والانكاف فيه أتم من قوة الأعطاء)^(٧) .
ومن الناس من تكون قوة التصديق فيه أتم (من قوة الإعطاء والمنع ، فقوته العلمية الشعورية أتم من)^(٨) قوة الإرادية وبالعكس ، فيدخل النقص بحسب ما نقص من قوة^(٩) هذه القوى الثلاث ، ويفوته من التيسير لليسرى بحسب ما فاته منها .
ومن كملت له هذه القوى يسر لكل يسرى .

(١) في غير الأصل و (ب) : (وتبعها) .

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل ، مثبت في البقية .

(٣) سقط من (م) و (ق) و المطبوع .

(٤) هكذا في الأصل و (ب) و في غيرهما : (كملت) .

(٥) في (م) و (ق) : (تضمنت) ، وفي المطبوع : (فقد تضمنت) .

(٦) في الأصل : (بحسب نقصانها وبغضها) و هو خطأ و التصويب من النسخ الأخرى .

(٧) سقط من (ق) .

(٨) سقط من (ق) .

(٩) في (ب) و (م) : (ما نقص من نقص قوة . .) .

قال ابن عباس : ﴿ فَنَسِيرُهُ لِلْيَسْرِ ﴾ ^(١) ، هَيْئُهُ لِعَمَلِ الْخَيْرِ ، وَنَسِيرُهَا عَلَيْهِ ^(٢) ، وَقَالَ مِقَاتِلُ وَالْكَلْبِيُّ ^(٣) وَالْفَرَّاءُ : " نَسِيرُهُ لِلْعُودِ إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ " ^(٤) ، وَحَقِيقَةُ الْيَسْرِ : أَنَّهَا الْخَلَّةُ وَالْحَالَةُ السَّهْلَةُ النَّافِعَةُ الرَّافِعَةُ ^(٥) لَهُ ، وَهِيَ ضِدُّ الْعُسْرِ ، وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ تَيْسِيرَهُ لِلْخَيْرِ وَأَسْبَابَهُ فَيَجْرِي الْخَيْرُ وَيُسِيرُهُ عَلَى قَلْبِهِ وَنِيَّتِهِ ^(٦) وَلِسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ فَتَصِيرُ خِصَالُ الْخَيْرِ (وَأَسْبَابُهُ) ^(٨) مَيْسِرَةً عَلَيْهِ مَذَلَّةً لَهُ ، مَنَاقِدَةً لَا تَسْتَعْصِي عَلَيْهِ وَلَا تَسْتَصْعِبُ لِأَنَّهُ مَهْيَأٌ لَهَا ، مَيْسِرٌ لِفَعْلِهَا ^(٩) ، يَسْلُكُ سَبِيلَهَا ذَلَالًا ، وَتَنَقَادُ ^(١٠) لَهُ عِلْمًا وَعَمَلًا ، فَإِذَا خَالَطَتْهُ قَلْتُ (هَذَا) ^(١١) هُوَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ :

مَبَارَكُ الطَّلَعَةِ ^(١٢) مَيْمُونُهَا يَصْلُحُ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ﴾ ، فَعَطَّلَ قُوَّةَ الْإِرَادَةِ وَالْإِعْطَاءِ عَنْ فِعْلِ مَا أَمَرَ بِهِ ، ﴿ وَاسْتَعْنَى ﴾ بَتَرَكِ التَّقْوَى عَنْ رَبِّهِ فَعَطَّلَ قُوَّةَ الْإِنْكَفَافِ وَالتَّرَكُّ عَنْ فِعْلِ مَا نَهَى عَنْهُ ، ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾ فَعَطَّلَ قُوَّةَ الْعِلْمِ وَالشُّعُورِ عَنِ التَّصَدِيقِ بِالْإِيمَانِ وَجَزَائِهِ ، ﴿ فَسَيُسِّرُهُ لِلْعُسْرِ ﴾ قَالَ / عَطَاءٌ : سَوْفَ [ب/٢١] أَحُولُ بَيْنَ قَلْبِهِ وَبَيْنَ الْإِيمَانِ بِي وَبِرَسُولِي ^(١٣) .

قال مقاتل : تَعَسَّرَ ^(١٤) عَلَيْهِ أَنْ يُعْطَى خَيْرًا ^(١٥) ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : نَسِيرُهُ لِلشَّرِّ ^(١٦) .

(١) فِي الْمَطْبُوعِ : زِيَادَةٌ (أَيْ) .

(٢) وَرَدَ مَعْنَى قَوْلِهِ فِي : الْبَسِيطِ (٨٢٢/٢) ، وَالْبَكْتُ وَالْعِيُونَ (٢٨٨/٦) ، وَزَادَ الْمَسِيرَ (١٤٩/٩) ،

وَتَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ (٥١٨/٤) .

(٣) ذَكَرَهُ عَنْهُمَا وَنَسَبَهُ إِلَيْهِمَا الْوَاحِدِيُّ فِي الْبَسِيطِ (٨٢٢/٢) .

(٤) مَعَانِي الْقُرْآنِ (٢٧٠/٣) .

(٥) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ . وَفِي غَيْرِهِ : (الْوَاقِعَةُ) .

(٦) فِي (ب) وَ (م) وَالْمَطْبُوعُ : (وَيُسِرُّ) .

(٧) فِي (م) وَ (ق) : (بَدَنُهُ) ، وَفِي الْمَطْبُوعِ : (وَيدُهُ) .

(٨) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ سَقَطَ مِنْ (م) وَ (ق) وَالْمَطْبُوعُ .

(٩) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ . وَفِي غَيْرِهِ : (لِفَعْلِهَا) .

(١٠) فِي (ب) : (وَتَنَقَادُ) ، وَفِي (م) وَ (ق) وَالْمَطْبُوعُ : (وَتَنَقَادُ) .

(١١) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ سَقَطَ مِنْ (م) وَ (ق) وَالْمَطْبُوعُ .

(١٢) فِي (ق) : (الطَّلِيعَةُ) .

(١٣) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي الْبَسِيطِ (٨٢٣/٢) وَنَسَبَ إِلَى عَطَاءٍ ، وَلَمْ أَجِدْهُ عِنْدَ غَيْرِهِ ، وَلَكِنْ وَرَدَ بِمَعْنَى قَوْلِهِ مِنْ طَرِيقِ الضَّحَّاكِ عَنْ ابْنِ

عَبَّاسٍ . انْظُرْ : الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ (٨٤/٢٠) .

(١٤) فِي غَيْرِ الْأَصْلِ : (يَعْسُرُ) .

(١٥) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي الْبَسِيطِ (٨٢٣/٢) وَبَنَحُوهُ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٤٤٦/٨) ، وَفَتَحَ الْقَدِيرُ (٥٣٠/٥) .

(١٦) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ بِسَنَدِهِ (٢٢٤/٣٠) .

قال الواحدي : " وهذا هو القول لأنَّ الشرَّ يؤدي إلى العذاب ، فهو الخلَّة العسرى ، والخير يؤدي إلى اليسر والراحة في الجنة فهو الخلَّة اليسرى . يقول : سنيهته للشرِّ بأنَّ يجريه على يديه .

قال الفرَّاء : والعرب تقول : قد يسَّرت غنم فلان إذا تهيأت^(١) للولادة^(٢) ، وكذلك إذا ولدت وغزرت^٣ ألبانها أي : يسَّرت ذلك على أصحابها^٤ انتهى .

والتَّيسير للعسرى يكون بأمرين :

أحدهما : أن يحول بينه وبين أسباب الخير ، فيجري الشرُّ على قلبه ونيتته ولسانه وجوارحه والثاني : أن يحول بينه وبين الجزاء الأيسر كما حال بينه وبين أسبابه .

فإن قيل : كيف قابل اتقى باستغنى ؟ وهل يمكن العبد أن يستغني عن ربه طرفة عين ؟ ! .

قيل : هذا من أحسن المقابلة ، فإن المتقي لما استشعر فقره وفاقته ، وشدة حاجته إلى ربه اتقاه ولم يتعرض لسخطه وغضبه ومقته . بارتكاب ما نهاه عنه ، فإن من كان فقيراً شديداً الحاجة والضرورة إلى شخص فإنه يتقي غضبه وسخطه عليه غاية الاتقاء ، ويحاذر ما يكرهه غاية المجانبة ويعتمد فعل ما يحبه ويؤثره فقابل التقوى بالاستغناء تشنيعاً لحال تارك التقوى ، ومبالغة في ذمِّه بأن فعل فعل المستغني عن ربه لا فعل الفقير المضطر إليه الذي لا ملجأ له منه^(٦) إلا إليه ، ولا غنى له عن فضله وجوده وبره^(٧) طرفة عين .

فله (الحمد)^(٨) ما أحلى هذه المقابلة ، وما أجمع هاتين الآيتين للخيرات كلها وأسبابها ، وللشُّرور كلها وأسبابها .

فسبحان من تعرَّف إلى خواصِّ عبادِه بكلامه ، وتجلَّى لهم فيه فهم لا يطلبون أثراً بعد عين ولا يستبدلون الحق بالباطل ، والصدق بالمين .

(١) في معاني الفرَّاء : (إذا ولدت وتهيأت للولادة) .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء (٢٧١/٣) .

(٣) في البسيط : (وكثرت) .

(٤) في البسيط : (كأنها يسرت الأمر على أصحابها) .

(٥) البسيط (٨٢٤/٢) ت. الورثان .

(٦) قوله : (منه) سقط من المطبوع .

(٧) في (م) و (ق) زيادة : (ولطفه) بعد (وبره) .

(٨) مثبت في الأصل ساقط في غيره .

وقد تضمنت هاتان / الآيتان فصل الخطاب في مسألة القدر ، وإزالة كل لبس وإشكال [١/٢٢] فيها ، وذلك بين بحمد الله لمن وفق لفهمه ولهذا أجاب بهما النبي ﷺ لمن ^(١) أوردَ عليه السؤال الذي لا يزال الناس يلهجون به في القدر ، وأجاب بفصل الخطاب وإزالة الإشكال .

ففي الصحيحين من حديث علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ^(٢) عن النبي ﷺ أنه قال : " ما منكم من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة والنار " قيل يا رسول الله : أفلا ندع العمل ونتكل على كتابنا ^(٣) ؟ قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) ﴾ ^(٤) إلى قوله : ﴿ لِلْعُسْرَى ﴾ ^(٥) .

فقد تضمن هذا الحديث الرد على القدرية والجبرية ، وإثبات القدر والشرع وإثبات الكتاب الأول المتضمن لعلم الله سبحانه الأشياء قبل كونها ^(٦) ، وإثبات خلق الفعل الجزائي ، وهو يبطل أصول القدرية الذين يمنعون خلق الفعل مطلقاً ومن أقر منهم بخلق الفعل الجزائي ^(٧) دون الابتدائي ^(٨) هدم أصله ونقض قاعدته .

والنبي ﷺ أخبر بمثل ما أخبر به الرب تعالى أن العبد ميسر لما خلق له ، لا مجبور ، فالجبر لفظ بدعي ^(٩) ، والتيسير لفظ القرآن والسنة ، وفي الحديث دلالة على أن الصحابة كانوا أعلم الناس بأصول الدين ، فإنهم تلقوها عن أعلم الخلق بالله (عز وجل) ^(١٠) على الإطلاق ، وكانوا إذا استشكلوا شيئاً سألوه عنه ، وكان يجيبهم بما يزيل الإشكال ، ويبين الصواب ، فهم العارفون بأصول الدين حقاً ، لا أهل البدع والأهواء من المتكلمين ومن سلك سبيلهم .

(١) في المطبوع : (من) .

(٢) سقط من (ب) .

(٣) هكذا في الأصل و (ب) وفي غيرها : (الكتاب) .

(٤) في (م) و (ق) والمطبوع : إكمال الآية التي بعدها (فسنيسره لليسرى) .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه أحدها : في (٦٥) كتاب التفسير ، (٩٢) سورة (والليل إذا يغشى) ،

(٣) باب (فأما من أعطى واتقى) ح (٤٩٤٥) . وانظر : (١٣٦٢-٤٩٤٦-٤٩٤٧-٤٩٤٨-٦٢١٧-٦٦٠٥-٧٥٥٢) ،

ومسلم في (٤٦) كتاب القدر (١) باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته

ح (٢٦٤٧) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٦) انظر : شفاء العليل (١٢١-٧٩/١) .

(٧) في (ق) والمطبوع : (فعل الجزاء) .

(٨) في (م) و (ق) والمطبوع : (دون الابتداء) .

(٩) انظر كلاماً جليلاً لابن القيم عن الجبر في شفاء العليل (٣٨٥-٣٨٩) .

(١٠) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

وفي الحديث استدلال النبي ﷺ على مسائل أصول الدين بالقرآن وإرشاد^(١) الصحابة إلى^(٢) استنباطها منه خلافاً لمن زعم أن كلام الله ورسوله لا يفيد العلم بشيء من أصول الدين ، ولا يجوز أن تستفاد معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله منه وعبر عن^(٣) ذلك بقوله / : الأدلة [ب/٢٢] اللفظية لا تفيد اليقين .

وفي الحديث : بيان أن من الناس من خلق للسعادة ، ومنهم من خلق للشقاوة ، خلافاً لمن زعم أنهم كلهم خلقوا للسعادة ، ولكن اختاروا الشقاوة ولم يخلقوا لها . وفيه إثبات الأسباب وأن العبد ميسر للأسباب الموصلة له^(٤) إلى ما خلق له .

وفيه دليل على اشتقاق السنة من الكتاب ، ومطابقتها له ، فتأمل قوله^(٥) : " اعملوا فكل ميسر لما خلق له " ومطابقته لقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى (٥) ﴾^(٦) إلى آخر الآيتين ، كيف انتظم الشرع والقدر والسبب والمسبب .

وهذا الذي أرشد إليه النبي ﷺ هو الذي فطر الله عليه عباده ، بل الحيوان البهيم ، بل مصالح الدنيا وعمارتها بذلك فلو قال كل أحد : إن كان قدّر لي كذا وكذا . . فلا بدّ أن أناله وأن لم يقدر لي^٧ ، فلا سبيل إلى نيله فلا أسعى ولا أتحرّك ، لعد من السفهاء الجهال ، ولم يمكنه طرد ذلك أبداً وإن أتى به في أمر معين فهل يمكنه أن يطرده^(٨) في مصالحه جميعها من طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه ومنكحه ، وهروبه مما يضاد بقاءه وينافي مصالحه ، أم يجد نفسه غير منفكة البتة عن قول النبي ﷺ : " اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له " .

(١) في (م) و (ق) و المطبوع : (وإرشاده) .

(٢) في (ق) : (على) ، وفي المطبوع : (لا استنباطها) .

(٣) (عن) : سقط من (ب) .

(٤) (له) : سقط من (ب) .

(٥) في المطبوع : (قوله ﷺ) .

(٦) في (ب) : زيادة الآية (و صدّق بالحسن) .

(٧) (لي) : سقط من المطبوع .

(٨) في (م) و (ق) و المطبوع : (يطرد ذلك) .

فإذا كان هذا في مصالح الدنيا وأسباب منافعها ، فما الموجب لتعطيله في مصالح الآخرة ، وأسباب السعادة والفلاح^(١) ، ورب الدنيا والآخرة واحد ، فكيف يعطل ذلك في شرع الرب وأمره ونهيهِ ، ويستعمل في إرادة العبد وأغراضه وشهواته ؟ وهل هذا إلا محض الظلم والجهل ؟ والإنسان ظلوم جهول ، ظلوم لنفسه ، جهول بربه ، فهذا الذي أرشد إليه النبي ﷺ ، وتلا عنده هاتين الآيتين موافق لما جعله الله في عقول العقلاء ، وركب^(٢) عليه فطر الخلائق حتى الحيوان / [١/٢٣] البهيم ، وأرسل به جميع رسله ، وأنزل به [جميع] ^(٣) كتبه .

ولو أتكل العبد على القدر ولم يعمل لتعطلت الشرائع وتعطلت مصالح العالم ، وفسد أمر الدنيا والدين ، وإنما يستروح إلى ذلك معطلوا الشرائع ومن خلع ربة^(٤) الأوامر والنواهي من عنقه ، وذلك ميراث من إخوانهم المشركين الذين دفعوا أمر الله ونهيهِ وعارضوا شرعه بقضائه وقدره ، كما حكى الله^(٥) ذلك عنهم في غير موضع من كتابه ، كقوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا ﴾^(٦) الآية . . وما بعدها .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(٧) الآية . .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبْدْنَا هُمْ ﴾^(٨) الآية . .

وقوله تعالى^(٩) : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ ؟ ﴾^(١٠) الآية .

(١) في المطبوع : زيادة (فيها) .

(٢) في نسخة (ق) : اضطراب في العبارة هنا .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل ، وهو مثبت في جميع النسخ .

(٤) في (ب) : (ربة) .

(٥) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (سبحانه) .

(٦) سورة الأنعام آية (١٤٨) ، وفي (ب) : زيادة (من شيء) ، وفي (م) و (ق) والمطبوع : تكملة الآية وذكر الآية التي بعدها .

(٧) سورة النحل آية (٣٥) ، وفي (م) و (ق) والمطبوع : تكملة الآية .

(٨) سورة الزخرف الآية (٢٠) . وفي (م) و (ق) والمطبوع : تكملة الآية .

(٩) في (م) و (ق) والمطبوع : (قال تعالى) .

(١٠) سورة يس آية (٤٧) . وفي (م) و (ق) والمطبوع : تكملة الآية .

فإن قيل : فالإعطاء والتقوى والتّصديق بالحسنى هو من اليسرى ، بل هي أصل اليسرى ، فمن^(١) يسرّها للعبد أولاً وكذلك أضدادها ؟ .

قيل : الله سبحانه هو الذي يسرّ للعبد أسباب الخير والشر ، وخلق خلقه قسمين : أهل السعادة فيسرهم لليسرى ، وأهل الشقاوة فيسرهم للعسرى ، وأستعمل هؤلاء في الأسباب التي خلقوا لغاياتها لا يصلحون لسواها ، وحكمته الباهرة تأبى أن يضع عقوبته في موضع لا تصلح له ، كما تأبى أن يضع كرامته وثوابه في محل لا يصلح له^(٢) ولا يليق به^(٣) ، بل حكمة آحاد خلقه تأبى ذلك ومن / جعل محل المسك والرجيع واحداً فهو أسفه^(٤) السفهاء .

فإن قيل : فلم جعل الله^(٥) هذا لا يليق به إلا الكرامة ، وهذا لا يليق به إلا الإهانة ؟ قيل : هذا سؤال جاهل لا يستحق الجواب ، كأنه يقول : لم خلق الله كذا وكذا ؟ فإن قيل : وعلى هذا ، فهل لهذا الجاهل من جواب لعله يشفى من جهله ؟ قيل : نعم ، شأن الربوبية خلق الأشياء و أضدادها ، وخلق الملزومات ولوازمها ، وذلك هو محض الكمال ، فالعلو لازم وملزوم للسفل ، والليل لازم وملزوم للنهار ، وكمال هذا الوجود بالحر والبرد ، والصحو والغيم .

ومن لوازم الطبيعة الحيوانية الصحة والمرض ، واختلاف الإرادات والمرادات ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع^(٦) ، ولولا خلق المضادات^(٧) لما عرف كمال القدرة والمشئمة والحكمة ، ولما ظهرت أحكام الأسماء والصفات ، فظهور^(٨) أحكامها وآثارها لا بد منه ، إذ هو مقتضى الكمال المقدس والملك التام .

(١) في (م) و (ق) والمطبوع : (من يسرها) .

(٢) في المطبوع : (لهما) .

(٣) في المطبوع : (بهما) .

(٤) في (م) و (ق) والمطبوع : (فهو من أسفه) .

(٥) لفظ الجلالة مثبت في الأصل ساقط من غيره .

(٦) في (م) و (ق) والمطبوع : (بدون ملزومه ممتنع) .

(٧) في (م) و (ق) والمطبوع : (المتضادات) .

(٨) هكذا في الأصل وفي غيره : (وظهور) .

وإذا أعطيت اسم الملك حقه ولن تستطيع علمت أن (الخلق)^(١) والأمر والثواب والعقاب والعطاء^(٢) والحرمان أمر لازم لصفة الملك ، وأن صفة الملك تقتضي^(٣) ذلك ولا بد ، وأن تعطل^(٤) هذه الصفة أمر ممتنع ، فالملك الحق يقتضي إرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وأمر العباد ونهيهم ، وثوابهم وعقابهم ، وإكرام من يستحق الإكرام ، وإهانة من يستحق الإهانة ، كما تستلزم^(٥) حياة الملك وعلمه وإرادته وقدرته وسمعه وبصره ، وكلامه ورحمته ورضاه وغضبه ، واستواءه على سرير ملكه يدبر أمر عباده ، وهذه الإشارة تكفي اللبيب في مثل هذا الموضع ، ويطلع منها على رياض مؤنقة^(٦) وكنوز من المعرفة وبالله التوفيق . /

[١/٢٤]



(١) في الأصل تحرفت إلى : (الحق) والتصويب من النسخ الأخرى .

(٢) قوله : (العطاء) سقط من (ب) .

(٣) في (م) : (يقتضي) .

(٤) في المطبوع : (تعطيل) .

(٥) في الأصل و (ب) : (يستلزم) ، و في غيرهما : (تستلزم) وهو ما أثبتته .

(٦) في المطبوع : (على أرض مؤنقة) .

﴿ فصل ﴾

{ تفسير قوله تعالى { إن علينا للهدى } }

ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (١٣) ﴾ (١) (قيل معناه : إن علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال (٢) .

قال قتاده : على الله البيان بيان حلاله وحرامه ، وطاعته ومعصيته (٣) ، اختاره أبو إسحاق (٤) ، وهو قول مقاتل (٥) وجماعة ، وهذا المعنى حق ولكن مراد الآية شيء آخر .

وقيل المعنى : إن علينا للهدى والإضلال ، قال (٦) ابن عباس (٧) في رواية عطاء : يريد : أرشد أوليائي إلى العمل بطاعتي ، وأحول بين أعدائي وبين أن يعملوا بطاعتي (٨) .

قال الفراء : فترك ذكر الإضلال كما قال " سرايل تقيكم الحر " أي (٩) : والبرد (١٠) ، وهذا أضعف من القول الأول ، وإن كان معناه صحيحاً ، فليس هو معنى الآية .

وقيل (١١) : المعنى من سلك الهدى فعلى الله سبيله لقوله (١٢) تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ وهذا قول مجاهد (١٣) ، وهو أصح الأقوال في الآية .

(١) سورة الليل الآيتان (١٢-١٣) .

(٢) الوسيط للواحد (٥/٤٠٠) ، معاني القرآن للزجاج (٥/٣٣٦) .

(٣) أخرج هذا الأثر الطبري في تفسيره بسنده (٣٠/٢٢٦) وإسناده حسن كما قال صاحب التفسير الصحيح (٤/٦٤١) . وقد ورد أيضاً في : البسيط (٢/٨٢٥) ، النكت والعيون (٦/٢٨٩) ، معالم التنزيل (٨/٤٤٧) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٨٦) ، تفسير ابن كثير (٤/٥٢٠) ، وعزاه في الدر المنثور (٨/٥٣٧) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) يعني الزجاج . انظر : معاني القرآن وإعرابه (٥/٣٣٦) .

(٥) نسبه إليه الواحدي في تفسيره البسيط (٢/٨٢٥) . ولم أجده معزواً إلى مقاتل عند غيره .

(٦) في (م) و (ق) : (وقال) .

(٧) في (م) و (ق) زيادة : (رضي الله عنه) ، وفي المطبوع : (رضي الله عنهما) .

(٨) قول ابن عباس ورد في تفسير البسيط (٢/٨٢٦) ، و التفسير الكبير للرازي (٣١/٢٠٣) .

(٩) قوله : (أي) سقط من (ق) .

(١٠) انظر : معاني القرآن للفراء (٣/٢٧١) .

(١١) في (م) و (ق) : (قيل) بدون واو .

(١٢) في غير الأصل و (ب) : (كقوله) .

(١٣) لم أجده هذا القول منسوباً إلى مجاهد إلا هنا . ويذكره المفسرون نقلاً عن الفراء وهو في معانيه (٣/٢٧١) وقد نسبه ابن جرير إلى قول بعض أهل العربية و يقصد به الفراء فقد نقله عنه نصاً انظر : جامع البيان (٣٠/٢٢٦) .

قال الواحدي : " علينا الهدى ^(١) : أي أن الهدى يوصل صاحبه إلى الله وإلى ثوابه وجنته " ^(٢) وهذا المعنى في القرآن في ثلاثة مواضع : ههنا ، وفي النحل في ^(٣) قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ ^(٤) وفي الحجر : ^(٥) قال : ﴿ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ ^(٦) وهو معنى شريف جليل ، يدل على أن سالك طريق الهدى يوصله طريقه إلى الله (عز وجل) ^(٧) ، ولا بد .

فالهدى ^(٨) هو الصراط المستقيم ، فمن سلكه أوصله إلى الله تعالى ، فذكر الطريق والغاية ، فالطريق الهدى والغاية الوصول إلى الله (عز وجل) ^(٩) ، فهذه أشرف الوسائل ، وغايتها أعلى الغايات .

ولما كان مطلوب السالك إلى الله تحصيل مصالح دنياه وآخرته ، لم يتم له هذا المطلوب إلا بتوحيد طلبه والمطلوب منه ، فأعلمه سبحانه أن سواه لا يملك من الدنيا والآخرة شيئاً ، وأن الدنيا والآخرة جميعاً له وحده ، فإذا تيقن العبد ذلك اجتمع طلبه ومطلوبه على من يملك الدنيا والآخرة وحده / .

[٢٤ ب]

فتضمنت الآيتان أربعة أمور : هي المطالب العالية : ذكر أعلى الغايات وهو الوصول إلى الله سبحانه ، وأقرب الطرق والوسائل إليه ، وهي طريقة الهدى وتوحيد الطريق ، فلا تعدل عنها إلى غيرها ، وتوحيد المطلوب وهو الحق فلا تعدل عنه إلى غيره ، فاقبض هذه الأمور من مشكاة هذه الكلمات فإن هذا ^(١٠) غاية العلم والفهم وبالله التوفيق .

(١) في المطبوع : (علينا للهدى) .

(٢) البسيط (٨٢٥/٢) .

(٣) قوله : (في) سقط من (ب) .

(٤) سورة النحل آية (٩) .

(٥) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (في قوله) .

(٦) سورة الحجر آية (٤١) .

(٧) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(٨) في المطبوع : (والهدى) .

(٩) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(١٠) قوله : (هذا) سقط من (م) .

والهدى التام يتضمن توحيد الطلب وتوحيد المطلوب^(١) وتوحيد الطريق الموصلة والانقطاع . وتختلف الوصول يقع من الشركة في هذه الأمور أو في بعضها ، فالشركة في المطلوب تنافي التوحيد الإخلاص ، والشركة في الطلب تنافي الصدق والعزيمة ، والشركة في الطريق تنافي اتباع الأمر ، فالأول : يوقع في الشرك والرياء .
والثاني : يوقع في المعصية والبطالة .
والثالث : يوقع في البدعة ومفارقة السنة ، فتأمله .

فتوحيد المطلوب يعصم من الشرك ، وتوحيد الطلب يعصم من المعصية ، وتوحيد الطريق يعصم من البدعة . والشيطان إنما ينصب فخه بهذه الطرق الثلاثة .

ولما أقام سبحانه الدليل وأثار السبيل ، وأوضح الحجة وبين المحجة ، أندر عباده عذابه الذي أعده لمن كذب خبره وتولى عن طاعته ، وجعل هذا الصنف من الناس هم أشقاهم ، كما جعل أسعدهم أهل التقوى والإحسان والإخلاص ، فهذا الصنف هو الذي تجنب عذابه كما قال^(٢) ﴿ وَسُجِّنَبَهَا الْأَتَقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) ﴾^(٣) .

فهذا المتقي المحسن ، ولا^(٤) يفعل ذلك إلا ابتغاء وجه ربه ، فهو مخلص في تقواه وإحسانه . وفي الآية إرشاد^(٥) إلى أن صاحب التقوى لا ينبغي له أن يتحمل مَنَ الخلق ونعمهم ، وإن حمل منها شيئاً بادر إلى جزائهم عليه ، لئلا يبقى^(٦) لأحد من الخلق عليه نعمة تجزى ، فيكون بعد ذلك عمله كله لله وحده ، ليس جزاء للمخلوق^(٧) على نعمته .

ونبه بقوله : ﴿ تجزى ﴾^(٨) / على أن نعمة الإسلام التي لرسول الله ﷺ على هذا الأتقى [١/٢٥]

لا تجزى ، فإن كل ذي نعمة يمكن جزاء نعمته إلا نعمة الإسلام ، فإنها لا يمكن جزاؤها من المنعم

(١) في غير الأصل : (توحيد المطلوب وتوحيد الطلب) .

(٢) في (ب) : زيادة : (تعالى) .

(٣) سورة الليل الآيتان (١٧ - ١٨) .

(٤) الواو ساقطة من المطبوع .

(٥) في المطبوع : (الإرشاد) .

(٦) في المطبوع : (يتبقى) .

(٧) في المطبوع : (ليس للمخلوق جزاء) .

(٨) سورة الليل آية (١٩) .

بها عليه^(١) ، وهذا يدل على أن الصَّدِّيق^(٢) أول وأولى من ذكر في هذه الآية ، وأنه أحق الأمة بها ، فإن علياً رضي الله عنه تربى في بيت رسول الله ﷺ ، فلرسول الله ﷺ عنده نعمة غير نعمة الإسلام يمكن أن تجزى .

ونبه سبحانه بقوله : ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾^(٣) على أن من ليس لمخلوق عليه نعمة تجزى لا يفعل ما يفعله إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، بخلاف من تطوق بنعم^(٤) المخلوقين ومنتهم^(٥) فإنه مضطر إلى أن يفعل لأجلهم ، ويترك لأجلهم ، ولهذا كان من كمال الإخلاص أن لا يجعل العبد عليه منة لأحد من الناس لتكون معاملته كلها لله ، ابتغاء وجهه ، وطلب مرضاته^(٦) ، وكما أن هذه الغاية أعلى الغايات ، وهذا المطلوب أشرف المطالب ، فهذه الطريق — أقصد الطرق إليه — وأقربها وأقومها ، وبالله التوفيق .



(١) في (م) و (ق) والمطبوع : (فإنها لا يمكن المنعم بها عليه أن يجزي بها) .

(٢) في المطبوع : زيادة : (رضي الله عنه) .

(٣) سورة الليل آية (٢٠) .

(٤) في (م) و (ق) والمطبوع : (من تطوق نعم) .

(٥) في غير الأصل : (ومنتهم) .

(٦) في (ق) : (وطلب رضاه) .

﴿ فصل ﴾

{ القسم في سورة الضحى }

ومن ذلك إقسامه سبحانه بـ ﴿ وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) ﴾^(١) على إنعامه على رسوله ﷺ وإكرامه له وإعطائه ما يرضيه ، وذلك متضمن لتصديقه له ، فهو يقسم^(٢) على صحة نبوته ، وعلى جزائه في الآخرة ، فهو قسمٌ على النبوة والمعاد ، وأقسم بآيتين عظيمتين من آياته دالتين على ربوبيته وحكمته ورحمته ، وهما الليل والنهار .

فتأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل للمقسم عليه وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه [عنه حتى قال أعداؤه : ودع محمداً ربه . فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل ، على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه]^(٣) واحتجابه .
وأيضاً فإن الذي فَلَقَ^(٤) ظلمة الليل عن ضوء النهار هو الذي فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحي والنبوة ، فهذان للحس وهذان للعقل .

وأيضاً ، فإن الذي اقتضت رحمته أن لا يترك عباده في ظلمة الليل سَرْمَداً^(٥) / بل هداهم [ب/٢٥] بضوء النهار إلى مصالحهم ومعاشهم ، لا يليق به أن يتركهم في ظلمة الجهل والغي ، بل يهديهم بنور الوحي والنبوة إلى مصالحهم في دنياهم وآخرتهم^(٦) .
فتأمل حسن ارتباط المقسم به بالمقسم عليه ، وتأمل هذه الجزالة^(٧) والرونق^(٨) الذي على هذه الألفاظ ، والجلالة التي على معانيها .

(١) سورة الضحى الآيتان (١-٢) وفي الأصول : (أقسم بالضحى . . .) .

(٢) في غير الأصل : (قسم) .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل ، واستدركته من باقي النسخ .

(٤) في المطبوع : (فإن فلق ظلمة الليل) .

(٥) (سَرْمَداً) تعني : الدائم ومنه قوله تعالى : ﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سَرْمَداً ﴾ . انظر : المفردات ص (٢٣١) .

(٦) في غير الأصل و (ب) : (إلى مصالح دنياهم وآخرتهم . . .) .

(٧) اللفظ الجزل : خلاف الركبك ، والكلام الجزل : القوي الشديد . لسان العرب (٢٧٦/٢) مادة (جزل) .

(٨) الرونق : الصفاء والحسن والبهاء . انظر : القاموس المحيط ص (٨٨٨) ، المعجم الوسيط (٣٧٦/١) .

ونفى سبحانه أن يكون ودع نبيه أو قلاه ، فالتوديع : الترك^(١) ، والقلي : البغض^(٢) ، فما تركه منذ اعتنى به وأكرمه ، ولا أبغضه منذ أحبه ، وأطلق سبحانه أن الآخرة خير له من الأولى ، وهذا يعم كل (أحواله ، وأن كل)^(٣) حالة يرقيه إليها هي خير له مما قبلها ، كما أن السدار الآخرة خير له مما قبلها . ثم وعده بما تقر به عينه ، وتفرح به نفسه ، وينشرح به صدره ، وهو أن يعطيه فيرضيه^(٤) ، وهذا يعم ما يعطيه من القرآن والهدى ، والنصر ، وكثرة الأتباع ، ورفع ذكره وإعلاء كلمته ، وما يعطيه بعد مماته وما يعطيه في موقف القيامة وما يعطيه في الجنة .

وأما ما يغتر به الجهال من أنه لا يرضى (أن يبقى)^(٥) واحد من أمته في النار ، أو لا يرضى أن يدخل أحد من أمته النار ، فهذا من غرور الشيطان لهم ولعبه بهم ، فإنه صلوات الله وسلامه عليه يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى ، وهو سبحانه يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة (والمنافقين من هذه الأمة وغيرها)^(٦) ثم يجد لرسوله حداً يشفع فيهم ، ورسوله أعرف به وبحقه من أن يقول : لا أَرْضَى أن يدخل أحد من أمتي النار أو^(٧) يدعه فيها بل ربه تبارك وتعالى يأذن له فيشفع فيمن شاء الله أن يشفع فيه ، ولا يشفع في غير من أذن له^(٨) ورضيه تعالى^(٩) .

ثم ذكره سبحانه بنعمه عليه^(١٠) من إيوائه بعد يتمه ، وهدايته بعد إضلاله^(١١) ، وإغنائه بعد الفقر ، فكان محتاجاً إلى من يؤويه ويهديه ويغنيه ، فأواه ربه وهداه وأغناه .

فأمره سبحانه أن يقابل هذه النعم الثلاث^(١٢) بما يليق بها من الشكر ، فنهاه أن يقهر اليتيم وأن ينهر السائل وأن يكتم النعمة ، بل يحدث بها ، فأوصاه سبحانه باليتامى والفقراء والمتعلمين .

(١) انظر : المفردات ص (٥١٧) .

(٢) انظر : المفردات ص (٤١٢) .

(٣) سقط من المطبوع .

(٤) في غير الأصل : (فيرضى) .

(٥) ما بين القوسين ثابت في الأصل ، ساقط في غيره من النسخ .

(٦) ما بين القوسين ثابت في الأصل ، ساقط في غيره من النسخ .

(٧) في (م) و (ق) والمطبوع : (أن) بدل (أو) .

(٨) في المطبوع : زيادة (فيه) بعد (له) .

(٩) سقط من غير الأصل و (ب) .

(١٠) في (م) و (ق) والمطبوع : (ثم ذكر سبحانه نعمه عليه) .

(١١) في غير الأصل : (بعد الضلالة) .

(١٢) في الأصل و (ب) : (الثلاثة) وهو خطأ لغة فإن العدد من ثلاثة إلى تسعة يخالف المعدود تذكيراً وتأنيثاً .

قال / مجاهد^(١) ومقاتل^(٢) : لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيماً .

وقال الفرّاء : لا تقهره على ماله^(٣) فتذهب حقه لضعفه^(٤) ، وكذلك كانت العرب تفعل في أمر اليتامى تأخذ أموالهم وتظلمهم ، فغلظ الخطاب في أمر اليتيم ، وكذلك من لا ناصر له يغلظ في أمره ، وهو نهي لجميع المكلفين^(٥) .

﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) ﴾^(٦) أكثر المفسرين^(٧) : هو سائل المعروف والصدقة لا تنهره إذا سألك فقد كنت فقيراً ، فإما أن تطعمه ، وإما أن ترده رداً ليناً^(٨) .

وقال الحسن : أما أنه ليس بالسائل الذي يأتيك ولكن طالب العلم^(٩) ، وهذا قول يحيى بن آدم^(١٠) قال : إذا جاءك طالب العلم فلا تنهره^(١١) ، والتحقيق أن الآية تتناول النوعين .

وقوله (تعالى)^(١٢) : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) ﴾^(١٣)

قال مجاهد : بالقرآن^(١٤) .

(١) قول مجاهد أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣٣/٣٠) .

وقد ذكره أيضاً في : البسيط (٨٤٦/٢) ، النكت والعيون (٢٩٥/٦) ، معالم التنزيل (٤٥٧/٨) ، زاد المسير (١٦٠/٩) ، الجامع لأحكام القرآن (١٠٠/٢٠) ، البحر المحيط (٤٨٦/٨) ، فتح القدير (٥٣٨/٥) .

(٢) ذكر هذا القول ونسبه إلى مقاتل الواحدي في البسيط (٨٤٦/٢) ولم أجد عند غيره .

(٣) هذا من كلام الزجاج انظر معاني القرآن وإعرابه (٣٤٠/٥) .

(٤) هذا كلام الفرّاء كما في المعاني (٢٧٤/٣) .

(٥) هذا من كلام الواحدي . انظر : البسيط (٨٤٦/٢) .

(٦) سورة الضحى آية (١٠) .

(٧) في (م) و (ق) والمطبوع : (قال أكثر المفسرين) .

(٨) انظر : البسيط (٨٤٧/٢) ، معالم التنزيل (٤٥٨/٨) ، معاني القرآن للفرّاء (٢٧٥/٣) ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٤٠/٥) ، النكت والعيون (٢٩٥/٦) ، تفسير ابن كثير (٤/٤١٢) ، فتح القدير (٥٣٨/٥) .

(٩) كلام الحسن ذكره في : البسيط (٨٤٧/٢) ، معالم التنزيل (٤٥٨/٨) ، المحرر الوجيز (٣٢٣/١٦) ، التفسير الكبير (٢٢٠/٣٢) ، البحر المحيط (٤٨٧/٨) .

(١٠) يحيى : هو يحيى بن آدم بن سليمان القرشي ، أبو زكريا الكوفي ، مولى خالد بن خالد بن عقبة بن أبي معيط ، روى عن إبراهيم

الرؤاسي ، وعنه الإمام أحمد بن حنبل ، وهو ثقة كثير الحديث ، توفي سنة (٢٠٣) هـ ، روى له جماعة .

انظر : السابق واللاحق للخطيب البغدادي ص (١٣٧) ، تهذيب التهذيب (١٧٥/١١) .

(١١) انظر كلامه في : البسيط (٨٤٨/٢) ، زاد المسير (١٦٠/٩) .

(١٢) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(١٣) سورة الضحى آية (١١) .

(١٤) ذكر قوله في : البسيط (٨٤٨/٢) ، معالم التنزيل (٤٥٨/٨) ، المحرر الوجيز (٣٢٣/١٦) ، التفسير الكبير (٢٢١/٣٢) ، الجامع لأحكام القرآن (١٠٢/٢٠) ، وعزاه في الدر المنثور (٥٤٥/٨) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وفتح القدير (٥٢٨/٥) .

قال الكلبي : يعني ^(١) أظهرها ، والقرآن أعظم ما أنعم الله به عليه ، فأمره أن يقرئه ويعلمه ^(٢) .

وروى أبو بشر ^(٣) عن مجاهد : حدث بالنبوة التي أعطاك الله ^(٤) ، وقال الزجاج : وبلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي آتاك وهي أجل النعم ^(٥) .
وقال مقاتل : اشكر هذه النعم ^(٦) التي ذكرت في هذه السورة ^(٧) ، والتحقيق : أن النعم تعم هذا كله ، فأمر أن لا ينهر سائل المعروف والعلم ، وأن يحدث بنعم الله عليه في الدنيا والدين .



^(١) في المطبوع : (بمعنى) .

^(٢) ذكر بمعناه في : معالم التنزيل (٤٥٨/٨) ، فتح القدير (٥٣٨/٥) .

^(٣) أبو بشر : هو جعفر بن إياس بن أبي وحيفة الشكري ، أبو بشر الواسطي بصري الأصل ، روى عن مجاهد بن جبر ، وعنه أيوب السخيتاني ، من أثبت الناس في سعيد بن جبير ، وضعفه شعبة في روايته عن حبيب بن سالم ومجاهد . مات سنة (١٢٥) هـ وقيل (١٢٦) هـ وقيل غير ذلك . روى له الجماعة .

انظر : الطبقات الكبرى (٢٥٣/٧) ، تهذيب التهذيب (٨٣/٢) .

^(٤) أخرج هذا الأثر الطبري في تفسيره بسنده (٣٣٣/٣٠) .

وذكر أيضاً في : البسيط (٨٤٨/٢) ، معالم التنزيل (٤٥٨/٨) ، زاد المسير (١٦٠/٩) ، التفسير الكبير (٢٢١/٣١) ، الجامع لأحكام القرآن (١٠٢/٢٠) ، تفسير ابن كثير (٤/٥٢٤) ، وعزاه في الدر المنثور (٥٤٥/٨) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر ، فتح القدير (٥٣٨/٥) .

^(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣٤٠/٥) .

^(٦) في المطبوع : (النعمة) .

^(٧) ذكر هذا القول عنه الواحدي في البسيط (٨٤٩/٢) ، وانظر : معالم التنزيل (٤٥٨/٨) ، زاد المسير (١٦٠/٩) ، فتح القدير (٥٣٨/٥) .

﴿ فصل ﴾

{ القسم في سورة العاديات }

ومن ذلك إقسامه سبحانه بـ ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ (١). ﴿ (١) الآية وما بعدها (٢) ، وقد اختلف الصحابة ومن بعدهم في ذلك : فقال علي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود (٣) هي : إبل الحاج تعدو من عرفة إلى مزدلفة ومن مزدلفة إلى منى (٤) . وهذا اختيار محمد بن كعب (٥) وأبي (٦) صالح (٧) وجماعة من المفسرين .

(١) سورة العاديات آية (١) في الأصول : (بالعاديات ضبْحاً) .
(٢) في (م) و (ق) والمطبوع : ذكر الآيات إلى قوله تعالى : ﴿ فَاغْلِرَاتِ صَبْحًا ﴾ .
(٣) ابن مسعود : هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، أبو عبد الرحمن من أكابر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو من أهل مكة ومن السابقين إلى الإسلام وأول من جهر بقراءة القرآن بحمكة تلقى من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة ، نظر إليه عمر يوماً فقال : (وعاء ملئ علماً) توفي سنة (٣٢) هـ رضي الله عنه وأرضاه .
انظر : سير أعلام النبلاء (٤٦١/١ - ٥٠٠) ، الإصابة (٣٦٠/٢ - ٣٦٢) .
(٤) أخرج قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه الطبري في تفسيره بسنده (٢٧٢/٣٠ - ٢٧٣) .
وقد ذكر أيضاً في : البسيط (٩٢٤/٢) ، النكت والعيون (٣٢٣/٦) ، معالم التنزيل (٥٠٧/٨) ، المحرر الوجيز (٣٥٢/١٦) ، زاد المسير (٢٠٦/٩) ، التفسير الكبير (٦٣/٣٢) ، البحر المحيط (٥٠٣/٨) ، تفسير ابن كثير (٥٤١/٤) .
أما قول ابن مسعود فقد أخرجه الطبري أيضاً في تفسيره بسنده (٢٧٣/٣٠) وحسن أسناده ابن حجر في الفتح (٥٩٩/٨) وذكره أيضاً أصحاب المراجع السابقة عدا : المحرر الوجيز .
(٥) محمد بن كعب : هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد ، أبو حمزة القرظي ، المدني ، نزل الكوفة وقضى بها مدة ، روى عن : أبي أيوب الأنصاري وأبي هريرة و معاوية ، روى عنه : أخوه عثمان ، ويزيد بن الهاد ، وأبو جعفر الخطمي . مات سنة (١٢٠) هـ .
انظر : الجرح والتعديل (٦٧/٨) ، الثقات لابن حبان (٣٥١/٥) وقوله هذا ذكره الواحد في البسيط (٩٢٤/٢) ، والبغوي في معالم التنزيل (٥٠٧/٨) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٠٦/٩) ، والرازي في تفسيره الكبير (٦٣/٣٢) ، وابن حبان في البحر (٥٠٣/٨) ، وعزاه في الدر المنثور (٦٠٣/٨) إلى عبد بن حميد ، والشوكاني في فتح القدير (٥٦٦/٥) .
(٦) في غير الأصل و (ب) : (أبو صالح) .
(٧) قول أبي صالح ذكر في المراجع السابقة عدا التفسير الكبير .

وقال عبدالله بن عباس : هي خيل الغزاة^(١) وهذا قول أصحاب ابن عباس^(٢) والحسن^(٣) وجماعة واختاره الفراء^(٤) والزجاج^(٥) .

قال أصحاب قول^(٦) الإبل : السورة مكية ، ولم يكن ثمَّ جهاد ولا خيل تجاهد وإنما أقسم بما يعرفونه (ويألفونه)^(٧) وهي إبل الحاج إذا عدت من عرفة إلى مزدلفة ، فهي عاديات ، والضبح والضبع : مد الناقة ضبعها في السير ، يقال : ضبحت وضبعت بمعنى^(٨) ، وانشد أبو عبيدة وقد اختار / هذا القول^(٩) :

[ب/٢٦]

فكان لكم أجري جميعاً وأضبحت بي البازل الوجناء في الآل تضبح^(١٠)

قالوا : فهي تعدو ضبحاً فتوري بأخفافها النار من حَكِّ الأحجار بعضها ببعض ، فتشير النقع وهو الغبار بعدوها ، فتتوسط جَمْعاً وهو^(١١) المزدلفة .

(١) قول ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه عبد الرزاق في تفسيره بسنده (٣٩٠/٢) والحاكم في المستدرک في کتاب التفسير - تفسير سورة العاديات ح (٤٠٢٠) وابن جرير في تفسيره بسنده (٢٧١/٣٠) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وذكر أيضاً في : معاني القرآن للفراء (٢٨٤/٣) ، بحر العلوم (٥٠٢/٣) ، البسيط (٩٢٢/٢) ، النكت والعيون (٣٢٣/٦) ، معالم التنزيل (٥٠٧/٨) ، المحرر الوجيز (٣٥٣/١٦) ، زاد المسير (٢٠٧/٩) التفسير الكبير (٦٤/٣٢) ، تفسير ابن كثير (٥٤١/٤) ، وعزاه في الدر المنثور (٦٠٠/٨) إلى عبد بن حميد .

(٢) كما هو مروي عن عطاء و مجاهد وعكرمة وأبي العالية .

انظر : جامع البيان (٢٧١/٣٠) وغيره .

(٣) قول الحسن ذكر في : البسيط (٩٢٣/٢) ، النكت والعيون (٣٢٣/٦) / معالم التنزيل (٥٠٧/٨) ، زاد المسير (٢٠٧/٩) ، وانظر تفسير الحسن البصري (٤٣٣/٢) .

(٤) انظر : معاني القرآن (٢٨٤/٣) .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه (٣٥٣/٥) .

(٦) قوله : (قول) ثابتة في الأصل و (ب) وساقطة في غيرهما .

(٧) في الأصل رسمت هكذا (بالنوبة) والتصويب من غيره .

(٨) انظر : تمذيب اللغة للأزهري (٢١٩/٤) مادة (ضبح) .

(٩) انظر : مجاز القرآن (٣٠٧/٢) وليس فيه ذكر البيت .

(١٠) البيت من الطويل . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص (٣٥٣) ، وفي تاج العروس (٣٨٧/٢١) مادة (ضبع) والرواية فيهما :

فكان لكم أجري جميعاً وأضبحت بي البازل الوجناء في الآل تضبع

وقد نقل ابن القيم هذا الكلام عن الواحدي في البسيط (٩٢٥/٢) والرواية فيه كما هو هنا .

(١١) في المطبوع : (وهي) .

قال أصحاب قول^(١) الخيل^(٢) المعروف في اللغة أن الضبح أصوات أنفاس الخيل إذا عدون ، والمعنى : (والعاديات تضبح ضبحاً أو)^(٣) والعاديات ضابحة ، فتكون ضبحاً مصدر على الأول ، وحالاً على الثاني^(٤) .

قالوا : والخيل هي التي تضبح في عدوها ضبحاً وهو صوت يسمع من [أجوافها ليس بالصهيل ولا الحمحمة ، ولكنه صوت أنفاسها في أجوافها من]^(٥) شدة العدو .

قال^(٦) الجرجاني : (كلا القولين قد جاء في التفسير إلا أن السياق يدل على أنها الخيل ، وهو قوله تعالى : ﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾ ، والإبراء لا يكون إلا للحافر لصلابته ، وأما الخف ففيه لين واسترخاء انتهى .

قالوا : والضبح في الخيل أظهر منه في الإبل والإبراء لسنابك الخيل أبين منه لأخف الإبل ، قالوا : والنقع هو الغبار ، وإثارة الخيل بعدوها له أظهر من إثارة أخفاف الإبل لأنها لصلابة حوافرها وسنابكها تثير من الغبار بعدوها ما لا يثيره أخفاف الإبل ، والضمير في به يعود على المكان الذي تعدوا فيه .

قالوا : وأعظم ما يثير الغبار عند الإغارة إذا توسطت الخيل جمع العدو ولكثرة حركتها واضطرابها في ذلك المكان . وأما حمل الآية على إثارة الغبار في الغالب واذي محسر عند الإغارة فليس بالبين ولا يثور هناك غبار في الغالب لصلابة المكان .

قالوا : وأما قولكم : أنه لم يكن بمكة حين نزل الآية جهاد ولا خيل مجاهدين ، فهذا لا يلزم لأنه سبحانه أقسم بما يعرفونه من شأن الخيل إذا كانت في الغزو وإغارة ، فإثارة النقع وتوسطت جمع العدو ، وهذا أمر معروف .

وذكر خيل المجاهدين أحق ما دخل في هذا الوصف وذكره على وجه التمثيل لا الاختصاص ، فإن هذا شأن خيل المقاتلة وأشرف أنواع هذا الخيل خيل المجاهدين ، والقسم إنما

(١) قوله : (قول) ثابتة في الأصل و (ب) ساقطة في غيرهما .

(٢) انظر كلاماً قريباً من هذا في كتاب الخيل لأبي عبيدة ص (٢٦٦) .

(٣) ما بين القوسين سقط من المطبوع .

(٤) انظر : الدر المصون (١١ / ٨١ - ٨٣) .

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل واثبتته بقية النسخ

(٦) في المطبوع : (وقال) .

وقع لما تضمنه شأن هذه العاديات من الآيات البينات من خلق هذا الحيوان الذي من هو أكرم الحيوان البهيم وأشرفه ، وهو الذي يحصل به الغزو والضفر والنصر على الأعداء ، فتعدو طالبة للعدو وهاربة منه فيثير عدوها الغبار لشدة ، وتوري حوافرها وسنابكها النار من الأحجار لشدة عدوها ، فتدرك الغارة التي طلبتها حتى تتوسط جمع الأعداء .

فهذه من أعظم آيات الرب تعالى وأدلة قدرته وحكمته ، فذكرهم بنعمته عليهم من خلق هذا الحيوان الذي ينتصرون به على أعداءهم ويدركون به ثأرهم .

كما ذكرهم سبحانه في خلق الإبل التي أثقالهم من بلد إلى بلد ، فالإبل أخص بحمل الأثقال ، والخيل أخص بنصرة الرجال ، فذكرهم بنعمه بهذا ، وهذا وخص الإغارة بالضبح لأن العدو لم ينتشروا إذ ذاك ولم يفارقوا محلتهم ، وأصحاب الإغارة حاملون مستريحون ينصرون مواقع الغارة والعدو لم يأخذوا هبتهم ، بل هي في غرتهم وغفلتهم ، ولهذا كان النبي ﷺ إذا أراد الإغارة صبر حتى يطلع الفجر ، فإن سمع مؤذناً أمسك وإلا أغار .

ولما علم أصحاب الإبل أن أخفافهم أبعد شيء من وري النار تأولوا الآية على وجوه بعيدة . فقال محمد بن كعب (القرظي) ^(١) : هم الحاج إذا أوقدوا نيرانهم ليلة المزدلفة ^(٢) ، وعلى هذا [فيكون] ^(٣) التقدير فالجماعات الموريات وهذا خلاف الظاهر ، وإنما الموريات هي العاديات وهي المغيرات .

وروى سعيد بن جبیر عن ابن عباس ^(٤) : هم الذين يغيرون فيورون بالليل نيرانهم لطعامهم وحاجتهم ^(٥) كأنه أخذه من قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ (٧١) ^(٦) وهذا إن أريد به

(١) ما بين القوسين ثابت في الأصل . وساقط في غيره .

(٢) ذكر هذا القول ونسبه إليه : الواحدي في البسيط (٩٢٧/٢) ، وفي النكت والعيون (٣٢٤/٦) ، وفي معالم التنزيل (٥٠٧/٨) ، وزاد المسير (٢٠٨/٩) .

^٣ من غير الأصل و (ب) : زيادة " فيكون " .

(٤) في (ق) زيادة : " قال " .

(٥) أخرج هذا الأثر بمعناه الطبري في تفسيره (٢٧٥/٣٠) .

وذكر أيضاً في : البسيط (٩٢٧/٢) ، معالم التنزيل (٥٠٨/٨) ، زاد المسير (٢٠٨/٩) ، التفسير الكبير (٦٥/٣٢) ، البحر المحيط (٥٠٤/٨) .

(٦) سورة الواقعة آية (٧١) .

التمثيل . وإن الآية تدل عليه فصحيح وإن أريد به اختصاص الموريات (به) ^(١) فليس كذلك ، لأن الموريات هي العاديات بعينها ، ولهذا عطفها عليها بالفاء التي للسبب ^(٢) فإنها / عدت فأورت . [ب/٢٧] وقال قتادة : الموريات هي الحيل توري نار العداوة بين المقتلين ^(٣) ، وهذا ليس بشيء ، وهو بعيد من معنى الآية وسياقها ، وأضعف منه قول عكرمة : هي الألسنة توري نار العداوة بعظم ^(٤) ما تتكلم به ^(٥) ، وأضعف منه ما ذكر عن مجاهد : هي أفكار الرجال ، توري نار المكر والخديعة في الحرب ^(٦) .

وهذه الأقوال :

- ١- إن أريد بها أن اللفظ دل عليها ، وأنها هي المراد فغلط .
- ٢- وإن أريد أنها أخذت من طريق الإشارة والقياس فأمرها قريب .

وتفسير الناس يدور ^(٧) على ثلاثة أصول :

- أ/ تفسير على اللفظ ، وهو الذي ينحو إليه المتأخرون .
- ب/ وتفسير على المعنى . وهو الذي يذكره السلف .
- ج/ وتفسير على الإشارة (والقياس) ^(٨) ، وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم

(١) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(٢) في (م) و (ق) والمطبوع : (للتسبب) .

(٣) أخرج هذا الأثر بمعناه الطبري بسنده في تفسيره (٢٧٤/٣٠) .

وورد أيضاً في : البسيط (٩٢٧/٢) ، النكت والعيون (٣٢٤/٦) ، معالم التنزيل (٥٠٨/٨) ، المحرر الوجيز (٣٥٣/١٦) .

(٤) في (م) و (ق) والمطبوع " (بعظم) .

(٥) أخرج هذا الأثر الطبري بسنده في تفسيره (٢٧٤/٣٠) .

وورد هذا القول أيضاً في : البسيط (٩٢٧/٢) ، النكت والعيون (٣٢٤/٦) . المحرر الوجيز (٣٥٣/١٦) ، معالم التنزيل (٥٠٨/٨) ، زاد المسير (٢٠٨/٩) ، التفسير الكبير (٦٢/٣٢) وغيرها .

(٦) أخرج هذا الأثر باختصار عن مجاهد الطبري في تفسيره (٢٧٤/٣٠) .

وورد أيضاً في البسيط (٩٢٧/٢) ، النكت والعيون (٣٢٤/٦) ، معالم التنزيل (٥٠٨/٨) ، المحرر الوجيز (٣٥٣/١٦) ، زاد المسير (٢٠٨/٩) ، البحر المحيط (٥٠٤/٨) ، تفسير ابن كثير (٥٤٢/٤) وغيرها .

(٧) في (ق) : (يدل) .

(٨) سقط من (ق) .

وهذا لا بأس به بأربع شرائط :

• أن لا يناقض معنى الآية .

• وأن يكون معنى صحيحاً في نفسه .

• وأن يكون في اللفظ إشعار به .

• وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم .

فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطاً حسناً . وأضعف من ذلك كله قول ابن جريج : « فالموريات قدحاً » يعني فالمنجحات أمراً^(١) ، يريد البالغين بنجحهم^(٢) ، فما طلبوه ، وعطف قوله : فأثرن ووسطن^(٣) وهما فعلاان على العاديات والموريات لما فيه من معنى الفعل ، وكان ذكر^(٤) الفعل في أثرن ، ووسطن أحسن من ذكر الاسم ، لأنه سبحانه قسم أفعالهن إلى قسمين : وسيلة وغاية ، فالوسيلة : هي العدو وما يتبعه من الإيراء والإغارة ، والغاية^(٥) : هي توسط الجمع وما يتبعه من إثارة النقع ، فهنّ عاديات موريات مغيرات حتى يتوسطن الجمع^(٦) ويثرن النقع ، فالأول : شأنهن الذي أعددن له ، والثاني : فعلهن الذي انتهين إليه والله أعلم .



(١) ذكره الواحدي في البسيط (٩٢٧/٢) .

(٢) في (ق) : (بنجحهم) ، وفي المطبوع : (بنجحهم) ، وفي البسيط للواحدي (٩٢٧/٢) : (بنجحهم) .

(٣) في غير الأصل و (ب) : (فوسطن) .

(٤) في الأصل : (ذلك) ، وهو تصحيف والتصحيح من بقية النسخ .

(٥) في (ق) : (والغارة) .

(٦) في (ق) : (يتوسطن العدد) .

﴿ فصل ٥ ﴾^(١)

{ بيان المقسم عليه في سورة العاديات }

فهذا شأن القسم وأما شأن المقسم عليه فهو حال / الإنسان وهو كون الإنسان كنوداً [١/٢٨] بشهادته على نفسه أو شهاده ربه عليه ، وكونه بخيلاً لحبه المال ، والكنود : الكفور للنعمة ، وفعله كند يكند كنوداً ، مثل : كفر يكفر كفوراً ، والأرض الكنود التي لا تنبت شيئاً ، وامرأة (كنود)^(٢) كند أي كفور للمعاشرة ، وأصل اللفظة منع الحق والخير ، ورجل كنود : إذا كان مانعاً لما عليه من الحق^(٣) ، وعبارات المفسرين تدور على هذا المعنى .

قال ابن عباس رضي الله عنهما وأصحابه رحمهم الله تعالى^(٤) : هو الكفور^(٥) ، قيل^(٦) هو البخيل الذي يمنع رفته^(٧) ، ويبيع عبده ولا يعطي في النائبة^(٨) ، وقال الحسن : هو اللوام لربه يعد المصائب وينسى النعم^(٩) ،

(١) ما بين المعقوتين ساقط من الأصل و (ب) ومثبت في البقية .

(٢) هكذا في الأصل وهي ساقطة في غيره . وجاء في المطبوعة : (كندی) ولم أجد هذه اللفظة في كتب اللغة .

(٣) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (١٢٢/١٠) ، لسان العرب (١٦٤/١٢) . وغيرها .

(٤) زيادة من غير الأصل و (ب) .

(٥) أخرج هذا الأثر الطبري بسنده في تفسيره (٢٧٧/٣٠) وورد أيضاً في البسيط (٩٣٣/٢) ، معالم التنزيل (٥٠٩/٨) زاد المسير

(٢١٠/٩) التفسير الكبير (٦٤/٣٢) ، البحر المحيط (٥٠٥/٨) وعزه في الدر المنثور (٦٠٢/٨) إلى الطيالسي وعبد بن حميد

وسعيد بن منصور وغيرهما .

وهو مروي أيضاً عن عكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (وصله الفريابي عن مجاهد بهذا ، وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس مثله ويقال : إنه بلسان قريش

الكفور ، ولسان كنانة : البخيل ، ولسان كندة : العاصي) انظر : الفتح (٥٩٩/٨) .

(٦) قيل (ساقطة في غير الأصل و (ب) وفي المطبوع : (وقيل) .

(٧) الرشد : بالكسر : العطاء والصلة ، والرشد بالفتح : المصدر رفته : اعطاه وأعانه . لسان العرب (٢٦٤/٥)

(٨) النائبة : المصيبة ، وجمعها نواب ، والنائبة النازلة . انظر لسان العرب (٣١٨/١٤) .

(٩) هذا الأثر مروي عن أبي أمامة موقوفاً ومرفوعاً بمعناه ، أما المرفوع فأخرجه الطبري في تفسيره بسنده (٢٧٨/٣٠) وأما الموقوف :

فأخرجه أيضاً الطبري في تفسيره بسنده (٢٧٨/٣٠) ، وقد أخرجه أيضاً البخاري في الأدب المفرد ح (١٦٠) وضعفه الألباني كما

في ضعيف الأدب المفرد ص (٣٥) .

(١٠) هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره بسنده (٢٧٨/٣٠) .

وذكر هذا القول أيضاً في : بحر العلوم (٣٤٥/٣) ، البسيط (٩٣٣/٢) ، المحرر الوجيز (٣٥٤/١٦) تفسير الحسن (٤٣٣/٢)

(قال محمود الوراق ^(١) في ذلك :

يا أيها الظالم في فعله
إلى متى أنت وحتى متى
والظلم مردود على من ظلم
تشكو المصائب وتتسى النعم ^(٢)

وأما قوله (تعالى) : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ فقال ابن عباس : يريد وإن ربه على ذلك لشهيد ^(٣) .

وقيل : إن الإنسان لشهيد على ذلك ^(٤) ، أن أنكره بلسانه شهيد عليه به حاله ، ويؤيد هذا القول اتساق ^(٥) الضمائر فإن قوله : " وإنه لحب الخير لشديد " للإنسان ، فافتتح الخبر عن الإنسان بكونه كنوداً ، ثم ثناه [بكونه] ^(٦) شهيداً على ذلك ، ثم ختمه بكونه بخيلاً بماله لحبه إياه ، ويؤيد قول ابن عباس (رضي الله عنه) ^(٧) أنه أتى بعلى فقال : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ أي مطلع عالم به ، كقوله (تعالى) : ﴿ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٤٦) ^(٨) ، ولو أريد شهادة الإنسان لأتى بالباء ، فقيل : وإنه بذلك لشهيد ، كما قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَغْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ ﴾ ^(٩) . فلو أراد شهادة الإنسان لقال : وإنه على نفسه لشهيد ، فإن كنوده هو المشهود به ، ونفسه هي المشهود عليها .

ثم قال (تعالى) ^(١٠) : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ والخير هاهنا : المال باتفاق المفسرين ، والشديد : البخيل ، (والمعنى : وإنه لبخيل من) ^(١١) أجل حب المال ، فحب المال هو الذي حمله على البخل ، هذا قول الأكثرين .

(١) محمود الوراق : هو محمود بن حسن الوراق ، شاعر ، أكثر شعره في المواعظ والحكم . روى عنه ابن أبي الدنيا ، وفي (الكامل) للميرد تنف من شعره ، توفي نحوه (٢٢٥) هـ انظر : الأعلام للزركلي (١٦٧/٧) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من غير الأصل و (ب) .

(٣) ذكر هذا القول أيضاً عنه : الواحدي في البسيط بمعناه (٩٣٦/٢) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٢١٠/٩) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٥٠٥/٨) ، وذكره البغوي عن أكثر المفسرين (٥٠٩/٨) .

(٤) انظر ما قبله .

(٥) في المطبوع : (سياق) .

(٦) سقط من الأصل و (ب) .

(٧) سقط من الأصل و (ب) .

(٨) سورة يونس آية (٤٦) .

(٩) سورة التوبة آية (١٧) .

(١٠) سقط من الأصل و (ب) .

(١١) ما بين القوسين سقط من المطبوع .

وقال ابن قتيبة : بل المعنى أنه شديد الحب للخير^(١) ، فتكون اللام في قوله : ﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ ، متعلقة بقوله ﴿لَشَدِيدٍ﴾ على حد تعلق قولك : إنه لزيد لضارب ، ومنعت طائفة من النحاة أن يعمل ما بعد اللام ، فيما قبلها ، وهذه الآيات حجة على الجواز ، فإن قوله : ﴿لِرَبِّهِ﴾ معمول الكنود ، وقوله : ﴿عَلَى ذَلِكَ﴾ معمول ﴿لَشَهِيدٍ﴾ ، ولا وجه للتكلف البارد في تقدير عامل مقدم محذوف يفسره هذا المذكور ، فالحق جوار إني لزيد لضارب ، فوصف سبحانه الإنسان بكفران نعم ربه وبخله بما آتاه من الخير ، فلا هو شكور لنعم الله^(٢) ، ولا محسن إلى خلق الله ، بل بخيل بشكر الله ، بخيل بمال الله^(٣) ، وهذا ضد المؤمن الكريم فإنه مخلص لربه محسن إلى خلقه ، فالمؤمن له الإخلاص والإحسان ، والفاجر له الكفر والبخل .

وقد ذم الله سبحانه هذين الخلقين المهلكين في غير موضع من كتابه كقوله (تعالى) : ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥)﴾ إلى آخرها^(٤) . (فلا إخلاص ولا إحسان)^(٥) ، وكذلك قوله [تعالى]^(٦) : ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. الَّذِينَ يَخْلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ﴾ الآية^(٧) ، فاختيال الإنسان وفخره من كفره وكنوده ، وهذا ضد قوله (تعالى) : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣)﴾^(٨) ، وقوله (تعالى) : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٩) .

وكذلك ذكر الخلقين الذميين في قوله عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إلى قوله : ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾^(١٠) / ، وما تقدم في سورة الليل في ذم^(١١) المستغني البخيل ، ومدح المعطي المصدق بالحسنى .

(١) انظر : تأويل مشكل القرآن ص (٢٠٠) . وقد ذكره في موضع النقد لا الإقرار حيث حكى أن بعضهم عده من المقلوب في القرآن الكريم واعترض على جواز ذلك في القرآن .

(٢) في المطبوع : (للنعم) .

(٣) في (م) و (ق) والمطبوع : (إلى خلقه — بشكره — بماله) .

(٤) في غير الأصل و (ب) إكمال الآيات إلى آخر السورة . سورة الماعون الآيتان (٤ ، ٥) .

(٥) في المطبوع : (الرياء ضد الإخلاص ، ومنع الماعون ضد الإحسان) .

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل و (ب) .

(٧) سورة الحديد الآيتان (٢٣-٢٤) وفي غير الأصل و (ب) ذكر آيتي النساء مع تكملتها إلى آخرها .

(٨) سورة البقرة آية (٣) .

(٩) سورة النساء آية (٣٦) .

(١٠) سورة النساء الآيتان (٣٨-٣٩) . وفي غير الأصل و (ب) : ونظيره (وماذا عليهم لو آمنوا . . وأنفقوا مما رزقهم الله) .

(١١) في غير الأصل : (من ذم) .

ونظيره ذم الهمزة اللزمة الذي جمع مالا وعدده^(١) ، فإن الهمز واللمز من الفخر والكبر وجمع المال وتعيده من البخل ، وذلك مناف لسر الصلاة والزكاة ومقصودهما . ثم خوف سبحانه الإنسان الذي هذا وصفه حين يبعثر ما في القبور أي : يثار ويخرج ويحصل ما في الصدور ، أي : ميز وجمع وبين وأظهر ونحو ذلك .

وجمع سبحانه بين القبور والصدور كما جمع بينهما النبي ﷺ في قوله : " مَلَأَ اللَّهُ أَجْوَافَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا " ^(٢) فإن الإنسان يوارى صدره ما فيه من الخير والشر ، ويوارى قبره جسمه ، فيخرج الرب جسمه من قبره وسره من صدره ، فيصير جسمه بارزاً على الأرض وسره بادياً على وجهه كما قال تعالى : ﴿ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ ﴾ ^(٣) ، وقال تعالى : ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ﴾ ^(٤) .



(١) في غير الأصل و (ب) : ونظيره قوله : (ويل لكل همزة لمزة . الذي جمع مالا وعدده) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في (٦٥) كتاب التفسير (١) سورة البقرة (٤٢) باب (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى)

ح (٤٥٣٣) ، ومسلم في (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٣٦) باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ح (

٦٢٨) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٣) سورة الرحمن آية (٤١) .

(٤) سورة القلم آية (١٦) .

﴿ فصل ﴾ (١)

ومفعول العلم أن وما عملت فيه وكسرت لمكان اللام^(١) ، وقيد سبحانه كونه خبيراً بهم ذلك اليوم وهو خبير بهم في كل وقت إيداناً بالجزاء ، وأنه يجازيهم في ذلك اليوم بما يعلمه منهم فذكر العلم والمراد لازمه والله أعلم^(٢) .



(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل و (ب) .
 (٢) انظر : الدر المصون (٩٠/١١) وما بعدها .
 (٣) في المطبوع : (والله سبحانه وتعالى أعلم) .

﴿ فصل ﴾

{ القسم في سورة العصر }

ومن ذلك إقسامه سبحانه^(١) بالعصر على حال الإنسان في الآخرة ، وهذه السورة على غاية اختصارها لها شأن عظيم ، حتى قال الشافعي^(٢) (رحمه الله)^(٣) : لو فكر الناس كلهم فيها لكفتهم والعصر المقسم به ، قيل : هو الوقت^(٤) الذي يلي المغرب من النهار . وقيل : هو آخر ساعاته^(٥) ، وقيل : المراد صلاة العصر .

وأكثر المفسرين على أنه الدهر^(٦) ، وهذا هو الراجح ، وتسمية الدهر عصراً أمر معروف في لغتهم قال :

ولن يلبث^(٧) العصران يوم وليلة إذا طلبا أن يدركا ما تيمما^(٨) / [ب/٢٩]

ويوم وليلة بدل من العصران فأقسم سبحانه بالعصر لمكان العبرة والآية فيه ، فإن مرور الليل والنهار على تقدير قدرة العزيز العليم منتظم لمصالح العالم على أكمل ترتيب ونظام وتعاقبهما

(١) قوله : (سبحانه) سقط من المطبوع .

(٢) الشافعي : هو محمد بن إدريس الشافعي المظلي ، الإمام العلامة ناصر السنة ، ومجدد المائة الثانية ومؤسس علم أصول الفقه . كان إماماً ثقة عابداً فارساً رامياً شاعراً ، أحد الأئمة الأربعة ، من مصنفاته : (الأم) في الفقه و (الرسالة) في أصول الفقه توفي سنة (٢٠٤) هـ .

انظر : سير أعلام النبلاء (١٠/٩٩) ، شذرات الذهب (٢/٩-١١) .

(٣) زيادة من غير الأصل و (ب) .

(٤) في المطبوع : (أول الوقت) .

(٥) في (م) و (ب) والمطبوع : (آخر ساعة من ساعاته) .

(٦) انظر على سبيل المثال : جامع البيان (٣٠/٢٨٩) ، البسيط (٢/٩٥٩) ، النكت والعيون (٦/٣٣٣) معالم التنزيل (٨/٥٢٥) ، المحرر الوجيز (٥/٥٢٠) ، زاد المسير (٩/٢٢٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/١٧٨) وغيرها .

(٧) في حاشية الأصل ، و (ب) : رواية أخرى للبيت : (يرح) .

(٨) البيت من الطويل ، قائله : حميد بن ثور الهلالي كما في ديوانه ص (٩٠) ، والرواية في الديوان : (ولا يلبث العصران . .) وهو من قصيدة طويلة مطلعها :

وويحاً لمن لم ألق منهما ويحما

ألا هيما مما لقيت وهيما

وقد ذكره صاحب إصلاح المنطق ص (٣٩٤) .

واعتداهما تارة وأخذ أحدهما من صاحبه تارة واختلافهما في الضوء والظلام والحر والبرد وانتشار الحيوان وسكونه ، وانقسام العصر إلى القرون والسنين والأشهر والأيام والساعات وما دونها آية من آيات الرب تعالى ، وبرهان من براهين قدرته وحكمته .

فأقسم بالعصر الذي هو زمان أفعال الإنسان ومحلها على عاقبة تلك الأفعال وجزائها ، ونبه بالمبدأ وهو خلق الزمان والفاعلين وأفعالهم على المعاد ، وأن قدرته كما لم تقصر عن المبدأ لم تقصر عن المعاد وأن حكمته التي اقتضت خلق الزمان وخلق الفاعلين وأفعالهم ، وجعلها قسمين خيراً وشرّاً ، تأبى أن يسوي بينهم ، وأن لا يجازي المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، وأن يجعل النوعين راجحين أو خاسرين بل الإنسان من حيث هو إنسان خاسر إلا من رحمه الله فهداه ووفقه للإيمان والعمل الصالح في نفسه ، وأمر غيره به ، وهذا نظير رده الإنسان إلى أسفل سافلين واستثنائه^(١) الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هؤلاء المردودين .

وتأمل حكمة القرآن لما قال : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) ﴾ ضيق^(٢) الاستثناء وخصصه فقال : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾^(٣) ولما قال : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ وسع الاستثناء وعممه فقال : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ولم يقل : ﴿ وَتَوَاصَوْا ﴾ فإن التواصي هو أمر الغير بالإيمان والعمل الصالح ، وهو قدر زائد على مجرد فعله فمن لم يكن كذلك فقد خسر هذا الربح / فصار في خسر ، ولا يلزم أن يكون في أسفل سافلين ، فإن الإنسان قد يقوم بما يجب عليه ولا يأمر غيره ، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرتبة زائدة وقد يكون^(٤) فرضاً على الأعيان وقد يكون فرضاً على الكفاية وقد يكون مستحباً^(٥) .

والتواصي بالحق يدخل فيه الحق الذي يجب والحق الذي يستحب والصبر يدخل فيه الصبر الذي يجب ، والصبر الذي يستحب ، فهؤلاء إذا تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر حصل لهم من

(١) في المطبوع : (واستثناء) .

(٢) في المطبوع : (فإنه ضيق) .

(٣) سورة العصر آية (٣) .

(٤) في غير الأصل : (تكون) بالتاء .

(٥) في المطبوع : (مستحبة) .

الربح ما خسره أولئك الذين قاموا بما يجب عليهم من^(١) أنفسهم ، ولم يأمرؤا غيرهم به وإن كان أولئك لم يكونوا من الذين خسروا أنفسهم وأهليهم ، فمطلق الخسار شيء والخسار المطلق شيء وهو سبحانه إنما قال : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ ﴾ ، ومن ربح في سلعة وخسر في غيرها قد يطلق عليه أنه في خسر ، وأنه ذو خسر ، كما قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما : " لقد فرطنا في قراريط كثيرة"^(٢) . فهذا نوع تفريط ، وهو نوع خسر بالنسبة إلى من حصل ربح ذلك . ولما قال في سورة التين^(٣) : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ قال : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ فقسم الناس^(٤) في هذين القسمين فقط .

ولما كان الإنسان له قوتان قوة العلم ، وقوة العمل ، وله حالتان : حالة يأتمر فيها بأمر غيره وحالة يأمر فيها غيره استثنى سبحانه من كمل قوته العلمية بالإيمان ، وقوته العملية بالعمل الصالح ، وانقاد لأمر غيره له بذلك ، وأمر غيره (به)^(٥) من الإنسان الذي هو في خسر . فإن العبد له حالتان : حالة كمال في نفسه ، وحالة تكميل لغيره ، وكماله وتكميله موقوف على أمرين : علم بالحق ، وصبر عليه .

انتضمت هذه الآية جميع مراتب الكمال الإنساني من العلم النافع والعمل الصالح ، والإحسان إلى نفسه بذلك ، وإلى أخيه به ، وانقياده وقبوله لمن يأمره بذلك .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ إرشاد إلى منصب الإمامة في الدين [٣٠/ب] كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾^(٦) فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين .

والصبر نوعان : نوع بالمقدور كالمصائب ، ونوع بالمشروع وهذا النوع أيضاً نوعان : صبر على الأوامر ، وصبر على المناهي^(٧) ، فذاك صبر على الإرادة والفعل ، وهذا صبر عن الإرادة والفعل^(٨) .

(١) في غير الأصل (في) .

(٢) هذا الكلام قاله ابن عمر رضي الله عنهما بعدما سمع حديث (من تبع جنازة فله قيراط) ، انظر كلامه هذا عند البخاري في (٢٣) كتاب الجنائز (٥٧) باب فضل اتباع الجنائز ح (١٣٢٤) وعند مسلم أيضاً في (١١) كتاب الجنائز ، (١٧) باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها ح (٩٤٥) .

(٣) في غير الأصل و (ب) : (والتين) .

(٤) في المطبوع : (إلى) .

(٥) سقط من الأصل .

(٦) سورة السجدة آية (٢٤)

(٧) في غير الأصل : (النواهي) .

(٨) انظر في تفصيل ذلك : عدة الصابرين لابن القيم ص / (٥٥-٥٩) .

فأما النوع الأول من الصبر : فمشارك بين المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، ولا يثاب عليه لمجرده ، إن لم يقترن به إيمان واحتساب ، كما^(١) قال النبي صلى الله عليه وسلم في حق ابنته (مرها فتلصبر ولتحتسب)^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾^(٣) وقال تعالى : ﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا ﴾^(٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا ﴾^(٥) ، فالصبر بدون الإيمان والتقوى بمثالة قوة البدن الخالي عن الإيمان والتقوى ، وعلى حسب اليقين بالمشروع ، يكون الصبر على المقدور .

وقال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾^(٦) ، فأمره أن يصبر ولا يتشبه بالذين لا يقين عندهم في عدم الصبر ، فإنهم لعدم يقينهم عدم صبرهم وخفوا واستخفوا قومهم ، ولو حصل لهم اليقين^(٨) لما خفوا واستخفوا قومهم . فمن قل يقينه قل صبره ، ومن قل صبره خف واستخف ، فالمؤمن الصابر رزين مآن ذو عقل ولب^(٩) ، ومن لا يقين له ولا صبر خفيف طائش تلعب به الأهواء والشهوات كما تلعب الرياح بالشيء الخفيف والله المستعان^(١٠) .



(١) سقط من غير الأصل و (ب) قوله : (كما) .

(٢) كما أخرج ذلك البخاري في صحيحه في (٢٣) كتاب الجنائز . (٣٢) باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الميت يعذب ببكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته ح (١٢٨٤) . ومسلم في صحيحه في (١٠) كتاب الجنائز ، (٦) باب البكاء على الميت ح (٩٢٣) ، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما .

(٣) سورة هود آية (١١) .

(٤) سورة آل عمران الآية (١٢٥) .

(٥) سورة آل عمران الآية (١٢٠) .

(٦) في (م) و (ق) : (قال) بدون واو .

(٧) سورة الروم الآية (٦٠) .

(٨) في (م) و (ق) : زيادة : (والحق) ، وفي المطبوع : (اليقين والحق لصبروا وما خفوا ولا استخفوا) .

(٩) في غير الأصل : (ذو لب وعقل) .

(١٠) في (ق) : (والله أعلم والله المستعان) .

﴿ فصل ﴾

{ القسم في سورة البروج }

ومن ذلك إقسامه سبحانه بـ ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَهِيدِ مَشْهُودِ (٣) ﴾^(١) وقد فسرت البروج : بالبروج التي تترها الشمس والقمر والسيارة ، وفسرت بالنجوم أو نوع منها ، وفسرت بالقصور العظام^(٢) ، وكل ذلك من آيات قدرته وشواهد وحدانيته وأدلة ربوبيته ، فإن السماء كرة متشابهة الأجزاء ، والشكل الكروي لا يتميز منه جانب / عن جانب بطول ولا قصر ولا وضع بل هو متساوي الجوانب فجعل هذه البروج في هذه الكرة على اختلاف صورها ، وأشكالها ومقاديرها ليستحيل أن توجد^(٣) بغير فاعل ، ويستحيل أن يكون فاعله غير قادر ولا عالم ولا مريد ولا حي ولا حكيم ولا مبين للمفعول ، وهذا ونحوه مما هدم قواعد الطبائية والملاحدة والفلاسفة الذين لا يثبتون للعالم رباً مبانياً له قادراً فاعلاً بالاختيار عالماً بتفاصيله حكيماً مدبراً له .

فبروج السماء : هي منازلها أو منازل السيارة التي فيها من أعظم آياته سبحانه فلهذا أقسم بها مع السماء ، ثم أقسم باليوم الموعود وهو يوم القيامة وهو المقسم به وعليه ، كما أن القرآن يقسم به وعليه ، ودل على وقوع اليوم الموعود باتفاق جميع الرسل عليه ، وبما عرف عباده من حكمته وعزته التي تأبى أن يتركهم سدى ويخلقهم عبثاً . وبغير ذلك من الآيات والبراهين التي يستدل بها سبحانه على إمكانه تارة ، وعلى وقوعه تارة ، وعلى تزيهه عما يقول أعداؤه من أنه لا يأتي به تارة والإقسام^(٤) به عند من آمن بالله كالإقسام بالسماء وغيرها من الموجودات المشاهدة بالعيان .

(١) سورة البروج الآيات (١ - ٣) وفي الأصول : (بـ السماء ذات البروج . .)

(٢) وهناك تفسير رابع وهو : السماء ذات الرمل والماء .

وانظر هذه التفاسير في : الطبري (١٢٧/٣٠) ، الدر المنثور (٤٦٢/٨) .

(٣) في (ق) : (يوجد) .

(٤) في غير الأصل : (فالإقسام) .

ثم أقسم سبحانه بالشاهد والمشهود ، مطلقين غير معينين وأعم المعاني فيه أنه المدرك والمدرك ، والعالم والمعلوم ، والرائي والمرئي ، وهذا أليق المعاني به ، وما عداه من الأقوال ، ذكرت على وجه التمثيل لا على وجه التخصيص^(١).

فإن قيل : فما وجه الارتباط بين هذه الأمور الثلاثة المقسم بها . قيل : هي بحمد الله في غاية الارتباط ، والإقسام بها متناول لكل موجود في الدنيا والآخرة ، وكل منها آية مستقلة دالة على ربوبيته وإلهيته ، فأقسم بالعالم العلوي وهو السماء وما فيها من البروج التي هي أعظم الأمكنة وأوسعها ، ثم أقسم بأعظم الأيام وأجلها قدراً الذي هو مظهر ملكه وأمره ونهيه وثوابه وعقابه ومجمع أوليائه وأعدائه ، والحكم بينهم بعلمه وعدله ، ثم أقسم بما هو أعظم^(٢) من ذلك وهو الشاهد والمشهود .

وناسب هذا القسم ذكر أصحاب الأخدود الذين عذبوا / أوليائه وهم شهود على ما [ب/٣١] يفعلون بهم ، والملائكة شهود عليهم بذلك والأنبياء وجوارحهم تشهد به عليهم .

وأيضاً فالشاهد هو : المطلع والرقيب والمخير ، والمشهود هو المطلع عليه المخير به المشاهد^(٣) ، فمن نوع الخليفة إلى شاهد ومشهود — وهو أقدر القادرين — كما نوعها إلى مرئي لنا وغير مرئي . كما قال (تعالى) : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) ﴾^(٤) ، وكما^(٥) نوعها إلى أرض وسماء وليل ونهار وذكر وأنثى ، وهذا التنويع والاختلاف من آياته سبحانه كذلك نوعها إلى شاهد ومشهود وفيه سر آخر وهو أن من المخلوقات ما هو مشهود ، ومنها ما هو شاهد عليه^(٦) ، ولا يتم نظام العالم إلا بذلك ، فكيف يكون المخلوق شاهداً رقيباً حفيظاً على غيره ، ولا يكون الخالق تبارك وتعالى شاهداً على عباده مطلعاً عليهم رقيباً .

(١) انظر هذه التفاسير في جامع البيان (١٢٨/٣٠ - ١٣٠) ، البسيط (٦٦٢/٢ - ٦٦٥) ، الدر المنثور (٤٦٣/٨ - ٤٦٥) وغيرها .

(٢) في غير الأصل : (أعم) .

(٣) في (ق) : (للمشاهد) .

(٤) سورة الحاقة الآيتان (٣٨ - ٣٩) .

(٥) في المطبوع : (كما) من غير واو .

(٦) في المطبوع : (من المخلوقات ما هو مشهود عليه) .

وأيضاً فإن ذلك يتضمن القسم بملائكته وأنبيائه ورسله فإنهم شاهدون على العباد فيكون من باب إيجاد^(١) المقسم به والمقسم عليه ، كما أقسم باليوم الموعود وهو المقسم به وعليه ، وأيضاً فيوم القيامة مشهود كما قال تعالى : ﴿ ذَلِكِ يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ ﴾^(٢) يشهده الله وملائكته والإنس والجن والوحش فالشاهد^(٣) من آياته والمشهود من آياته .

أيضاً^(٤) فكلامه مشهود كما قال تعالى : ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾^(٥) يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ، والمشهود^(٦) من أعظم آياته وكذلك الشاهد ، فكل ما وقع عليه اسم شاهد ومشهود فهو داخل في هذا القسم فلا وجه لتخصيصه ببعض^(٧) الأنواع أو الأعيان إلا على سبيل التمثيل .

وأيضاً : فكتاب الأبرار في عليين . يشهده المقربون فالكتاب مشهود والمقربون شاهدون والأحسن أن يكون هذا القسم مستغنياً عن الجواب^(٨) لأن القصد التنبيه على المقسم به وأنه من آيات الرب العظيمة ويعد أن يكون الجواب : ﴿ قَتَلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾ (لأن ذلك دعاء وطلب ، ولكنه سبحانه ذكر حال أعدائه وأوليائه فذكر أصحاب الأخدود)^(٩) الذين فتنوا أوليائه وعذبوهم بالنار ذات الوقود ، ثم وصف حالهم القبيحة بأنهم قعدوا^(١٠) على جانب الأخدود

[١/٣٢]

(١) في (م) و (ق) والمطبوع : (اتحاد) .

(٢) سورة هود الآية (١٠٣)

(٣) قوله : (فالشاهد) سقط من المطبوع .

(٤) في غير الأصل زيادة واو (وأيضاً) .

(٥) سورة الإسراء الآية (٧٨) .

(٦) في غير الأصل و (ب) : (فالمشهود) .

(٧) في (م) و (ق) : (بعض) .

(٨) اختلف في جواب القسم على أقوال منها :

— قيل إنه قوله تعالى : (قتل أصحاب الأخدود) واختلف في (قتل) :

هل هي من باب الخير أو الدعاء ؟ فمن قال إنها من باب الخير جعله جواباً ، ومن قال إنه من باب الدعاء فلا يكون جواباً .

— وقيل : إنه قوله : (ان الذين فتنوا)

— وقيل : قوله : (ان بطش ربك لشديد) .

— وقيل : إنه مقدر ، دل عليه (قتل أصحاب الأخدود) فكأنه قال أقسم بهذه الأشياء إن كفار قريش ملعونون كما لعن

أصحاب الأخدود ، وقيل : التقدير : (لتبعثن) .

انظر معاني القراء للقرآن (٢٥٣/٣) ، الطبري (١٣٥/٣) ، الدر المصون (٧٤٣/١٠ - ٧٤٤) .

(٩) ما بين القوسين سقط من المطبوع .

(١٠) في (م) و (ق) والمطبوع : (قعود) .

/ شـاهدين على^(١) ما يجري على عباد الله
(تعالى)^(٢) وأوليائه عياناً ، ولا تأخذهم بهم رافة ولا رحمة ولم يعيوا عليهم ذنباً^(٣) سوى إيمانهم
بالله العزيز الحميد الذي له ملك السماوات والأرض ، وهذا الوصف يقتضي إكرامهم
وتعظيمهم ومحبتهم ، فعاملوهم بضد ما يقتضي أن يعاملوا به .

وهذا شأن أعداء الله دائماً ، ينقمون على أوليائه ما ينبغي أن يحبوا ويكرموا لأجله كما
قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن
قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (٥٩) ﴿٤﴾ .

وكذلك اللوطية^(٥) نقموا من عباد الله تزهيمهم عن مثل فعلهم فقالوا : ﴿ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ
قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ (٨٢) ﴿٦﴾ .

وكذلك أهل الإشراك : ينقمون من الموحدين تجريدهم التوحيد وإخلاص الدعوة
والعبودية لله وحده .

وكذلك أهل البدع : ينقمون من أهل السنة تجريد متابعتها ، وترك ما خالفها .

وكذلك المعطلة^(٧) : ينقمون من أهل الإثبات إثباتهم لله صفات كماله ونعوت جلاله
(وعلوه على مخلوقاته ، ويعادونهم على ذلك ويرمونهم لأجله بالعظائم)^(٨) .

(١) سقط من غير الأصل و (ب) .

(٢) سقط من الأصل و (ب) .

(٣) في المطبوع : (ديناً) .

(٤) سورة المائدة آية (٥٩) .

(٥) الذين يعملون عمل قوم لوط وهو (إثبات الذكران) والعياذ بالله .

(٦) سورة الأعراف الآية (٨٢) .

(٧) المعطلة : هم الذين جحدوا صفات الله تعالى ، وأنكروا قيامها بذاته ، ونفوا ما دلت عليه من صفات الكمال ويندرج تحت هذا
الاسم فرق كثيرة ، والتعطيل نوعان :

(١) تعطيل كلي : كتعطيل الجهمية الذين أنكروا الصفات وغلاهم ينكرون الأسماء أيضاً .

(٢) تعطيل جزئي : كتعطيل الأشعرية الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض وأول من قال بالتعطيل الجعد بن درهم ، وتلقاه
عنه الجهم بن صفوان كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله . .

انظر : الملل والنحل للشهرستاني (١ / ٨٦ - ٩٤) ، مجموع الفتاوى (٢٠ / ٥) وغيرهما .

(٨) سقط من المطبوع .

وكذلك الرافضة^(١): ينقمون على أهل السنة محبتهم للصحابة [جميعهم]^(٢) وترضيهم عنهم وولايتهم إياهم ، وتقدم من قدمه رسول الله ﷺ منهم ، وتريلهم منازلهم التي أنزلهم الله ورسوله بها .

وكذلك أهل الرأي المحدث^(٣): ينقمون على أهل الحديث وحرب الرسول أخذهم بحديثه ، وتركهم ما خالفهم^(٤) ، وكل هؤلاء لهم نصيب (من هذه الآية)^(٥) وفيهم شبه من أصحاب الأخدود وبينهم نسب قريب أو بعيد .

ثم أخبر سبحانه^(٦) أنما أعد لهم عذاب جهنم وعذاب الحريق حيث لم يتوبوا ، وأنهم لو تابوا بعد أن فتنوا المؤمنين^(٧) وعذبوهم بالنار لغفر لهم ولم يعذبهم ، وهذا غاية الكرم والجود . قال الحسن : انظروا إلى هذا الكرم والجود يقتلون أولياءه ويفتنوهم وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة^(٨) . انظروا إلى كرم الرب تعالى يدعوهم إلى التوبة وقد فتنوا أولياءه وحرقوهم^(٩) بالنار فلا يأس العبد من مغفرته وعفوه ولو كان منه ما كان . فلا عداوة لله أعظم^(١٠) من / هذه العداوة ، ولا أكفر ممن حرق بالنار من آمن به [وعبده]^(١١) وحده ومع هذا فلو تابوا لم يعذبهم وأحقهم بأوليائه .

(١) الرافضة : طائفة من طوائف الشيعة وهم عدة فرق إنما سمو رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر ، وهم مجمعون على أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه ، وأظهر ذلك وأعلنه وإن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم لما نص عليه الرسول عليه الصلاة والسلام وغير ذلك من الأباطيل التي ادعوها .

انظر مقالات الإسلاميين للأشعري (١٦-٣١) ، الفرق بين الفرق للبيهقي (٢٢-٤٩) .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من الأصل .

(٣) أهل الرأي المحدث : الذين تركوا حديث النبي صلى الله عليه وسلم وخصوصاً الأحاديث منه . وانصرفوا إلى أقوال الرجال وقدموها على حديثه صلى الله عليه وسلم .

(٤) في غير الأصل : (خالفه) .

(٥) سقط من غير الأصل و (ب) .

(٦) المطبوع (أنه) بدل (أنما) .

(٧) في (م) و (ق) والمطبوع : (أولياءه) بدل (المؤمنين) .

(٨) ذكر هذا القول ونسبه إلى الحسن ابن كثير في تفسيره (٤٩٦/٤) ، وانظر : تفسير الحسن البصري (٢/٤١٠) .

(٩) في المطبوع : (فحرقوهم) .

(١٠) في المطبوع : (فلا عداوة أعظم) .

(١١) سقط من الأصل ، وأثبتته من البقية . وفي المطبوع : (من آمن بالله وحده ، وعبده وحده) .

ثم ذكر سبحانه جزاء أوليائه المؤمنين ، ثم ذكر شدة [بطشه]^(١) وأنه لا يعجزه شيء فإنه هو المبدئ المعيد ، ومن كان كذلك فلا أشد من بطشه وهو مع ذلك الغفور الودود يغفر لمن تاب إليه ويوده ويحبّه ، فهو سبحانه الموصوف بشدة البطش وهو مع ذلك الغفور الودود ، والودود المتودد إلى عباده بنعمه ، الذي يود من تاب إليه وأقبل عليه ، (وهو المودود)^(٢) أي : المحبوب ، قال البخاري في صحيحه : [الودود]^(٣) (الحبيب)^(٤).

والتحقيق أن اللفظ يدل على الأمرين : على كونه واداً^(٥) لأوليائه مودوداً لهم ، فأحدهما بالوضع ، والآخر باللزم فهو الحبيب المحب لأوليائه يحبهم ويحبونه . قال شعيب^(٦) : ﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَذُودٌ ﴾ (٩٠)^(٧).

وما أطف اقتران اسم الودود بالرحيم وبالغفور ، فإن الرجل قد يغفر لمن أساء إليه^(٨) ولا يحبه ، وكذلك قد يرحم من لا يحبه^(٩) ، والرب تعالى يغفر لعبده إذا تاب إليه ويرحمه ويحبّه مع ذلك فإنه يحب التوابين ، وإذا تاب إليه عبده أحبه ولو كان منه ما كان .

ثم قال (تعالى) : ﴿ ذُو الْعَرْشِ ﴾ فأضاف العرش إلى نفسه كما تضاف إليه الأشياء العظيمة الشريفة ، وهذا يدل على عظمة العرش وقربه منه سبحانه واختصاصه به ، بل يدل على غاية القرب والاختصاص كما يضيف إلى نفسه (بذو) صفاته القائمة به كقوله (تعالى) : ﴿ ذُو الْقُوَّةِ ﴾^(١٠) (و)^(١١) ﴿ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (٢٧)^(١٢) ويقال : ذو العزة وذو الملك وذو الرحمة ، ونظائر ذلك فلو كان حظ العرش منه حظ الأرض السابعة لكان لا فرق (بين)^(١٣) أن يقال : ذو العرش ، وذو الأرض .

(١) سقط من الأصل .

(٢) في غير الأصل و (ب) : (وهو الودود أيضاً) .

(٣) سقط من الأصل .

(٤) ذكره البخاري في صحيحه في (٦٥) كتاب التفسير ، (٨٥) سورة البروج من كلام ابن عباس رضي الله عنهما وذكره أيضاً في (٩٧) كتاب التوحيد (٢٢) باب (وكان عرشه على الماء) .

(٥) في (م) : (وداً) .

(٦) في غير الأصل و (ب) : (وقال) وفي المطبوع زيادة : (عليه السلام) .

(٧) سورة هود الآية (٩٠) .

(٨) قوله : (إليه) سقط من (م) و (ق) .

(٩) في المطبوع : (من لا يحب) .

(١٠) سورة الذاريات الآية (٥٨) .

(١١) سقط من (م) و (ق) والمطبوع

(١٢) سورة الرحمن الآية (٢٧) .

(١٣) سقط من (م) والمطبوع .

ثم وصف نفسه بالمجيد ، وهو المتضمن لكثرة صفات كماله وسعتها وعدم إحصاء الخلق لها وسعة أفعاله / وكثرة خيره ودوامه ، وأما من ليس له صفات كمال ولا أفعال حميدة فليس له من المجد شيء والمخلوق إنما يصير مجيداً بأوصافه وأفعاله فكيف يكون الرب تبارك وتعالى مجيداً وهو معطل عن الأوصاف والأفعال ؟ ! ، تعالى الله عما يقول الظالمون^(١) علواً كبيراً ، بل [هو]^(٢) المجيد الفعال لما يريد .

والمجد^(٣) في لغة العرب : كثرة أوصاف الكمال وكثرة أفعال الخير وأحسن ما قرن اسم المجيد إلى الحميد كما قالت الملائكة لبيت الخليل^(٤) ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾^(٥) ، وكما شرع لنا في آخر الصلاة بأن نثني على الرب تعالى بأنه حميد مجيد^(٦) ، وشرع في آخر الركعة عند الاعتدال أن نقول بعد^(٧) (ربنا ولك الحمد ، أهل الثناء والمجد)^(٨) فالحمد والمجد على الإطلاق لله الحميد المجيد .

فالمجيد : الحبيب المستحق لجميع صفات الكمال . والحميد^(٩) العظيم الواسع القادر الغني ذو الجلال والإكرام .

ومن قرأ (المجيد) بالكسر^(١٠) فهو صفة لعرشه سبحانه ، (و)^(١١) إذا كان عرشه مجيداً فهو سبحانه أحق بالمجد ، وقد استشكل هذه القراءة بعض الناس^(١٢) وقال لم يسمع في صفات الخلق مجيد ، ثم خرجها على أحد وجهين :

(١) في غير الأصل : (المعطلون) .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من غير الأصل .

(٣) في (ق) : والمجيد . وانظر : لسان العرب (٢٨ / ١٣) .

(٤) في المطبوع : زيادة (عليه السلام) .

(٥) سورة هود الآية (٧٣) .

(٦) كما جاء ذلك في صحيح مسلم في (٤) كتاب الصلاة ، (١٧) باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد ح (٤٠٥) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه

(٧) في (ق) : أن يقول : (ربنا . .) ، وفي المطبوع : أن نقول : (ربنا . .) . [٣٣ / ب]

(٨) كما جاء ذلك في الحديث الذي أخرجه مسلم في (٤) كتاب الصلاة ، (٤٠) باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع

ح (٤٧٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ولفظه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع قال :

(ربنا لك الحمد ، ملء السماوات والأرض ، وملء الأرض ، وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد . .) الحديث ، وأخرجه

أيضاً بعده من رواية ابن عباس رضي الله عنهما إلا أنه قال : (اللهم ربنا لك الحمد . .) ح (٤٧٨) .

(٩) في (ب) : (فالحميد — والحميد) وفي (م) و (ق) والمطبوع : (فالحميد — والمجيد) .

(١٠) انظر في توجيه القرائتين :

معاني القرآن للفراء (٢٤٥ / ٣) ، معاني الأخفش (٧٣٦ / ٢) ، معاني الزجاج (٣٠٨ / ٥) ، الكشف لمكي (٣٩٦ / ٢) ، الموضح

لابن أبي مريم (١٣٥٦ / ٣) ، الدر المصون (٧٤٨ / ١٠) .

إما على الجواز ، وإما أن يكون صفة لربك^(٣) ، وهذا من قلة بضاعة هذا القائل فإن الله سبحانه وصف عرشه بالكرم وهو نظير المجد ووصفه بالعظمة فوصفه بمجد مطابق لوصفه بالعظمة والكرم بل هو أحق المخلوقات أن يوصف بذلك لسعته وحسنه وبهاء منظره ، فإنه أوسع شيء في المخلوقات وأجله وأجمعه لصفات الحسن وبها المنظر وعلو القدر والرتبة والذات ولا يقدر قدر عظمتة وحسنه وبهاء منظره إلا الله (تعالى) ومجده مستفاد من مجد خالقه ومبدعه . والسموات السبع والأرضون السبع في الكرسي الذي بين يديه كحلقة ملقاة في جنب فلاة والكرسي فيه — كذلك —^(٤) كتلك الحلقة في الفلاة^(٥) قال ابن عباس : (السموات السبع / والأرضون السبع في العرش كسبعة دراهم جعلن في ترس)^(٦) فكيف لا يكون مجيداً وهذا شأنه فهو عظيم كريم مجيد ، وأما تكلف هذا المتكلف جره على الجوار^(٧) أو أنه صفة لربك فتكلف شديد وخروج عن المؤلف في اللغة من غير حاجة إلى ذلك .

وقوله (تعالى) : ﴿ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٦) ﴾ دليل على أمور :
أحدها : أنه سبحانه يفعل بإراداته ومشيئته .

(١) الواو ساقطة من (ق) .
(٢) الذي استشكل القراءة هو : أبو علي الفارسي .
(٣) انظر : الحجة للقراء السبعة للفارسي (٣٩٣/٦ - ٣٩٥) .
(٤) سقط من غير الأصل .
(٥) كما ورد في الحديث : (ما السموات السبع في الكرسي — وفي لفظ : مع الكرسي — إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي ، كفضل الفلاة على الحلقة) .
الحديث أخرجه : ابن أبي شيبة في كتاب العرش رقم (٥٨) ، والدارمي في رده على المريسي (٤٢٤/١) ، وابن جرير في تفسيره (٢٩٦/٥) طبعة شاكر ، وأبو الشيخ في العظمة (٦٤٨/٢) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٩٩/٢ - ٣٠٢) وغيرهم وفي أسانيدنا مقال . وقد صححه الشيخ الألباني في الصحيحة وتحدث عن طريقه تراجع السلسلة الصحيحة (١٧٣/١ - ١٧٦) .
(٦) المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما : (ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم) كما أخرج ذلك ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسيره (١٧/٢٤) وغيره ، وأما الرواية التي ذكرها المؤلف فالذي يظهر — والعلم عند الله — أنها من رواية عبدالرحمن بن زبد بن أسلم بن أبيه كما أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨-٧/٣) وللحديث تكملة ، أخرجه محمد بن أبي شيبة في العرش (٥٨) وفي إسناده إسماعيل بن مسلم المكي وهو متروك ، وفيه أيضاً : المختار بن غسان مجهول لا يعرف بمرح ولا تعديل ، وأخرجه أيضاً أبو الشيخ في العظمة (٩) (ذكر عرش الرب تبارك وتعالى وكرسيه ، وعظم خلقهما ، وعلو الرب تبارك وتعالى فوق عرشه ح (٢٢٠) ، وكذلك ذكره الذهبي في العلو (٨٤٩/١) ح (٢٧٩) وقال عنه : " هذا مرسل ، وعبدالرحمن ضعف " .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (١ / ٢٣٦) وقد أورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٧٥ / ١) وقال عنه : (أول الحديث مرسل) .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله كما في إبطال التنديد ص (١٧٠) : " رواه أصبغ بن الفرج بهذا الطريق واللفظ ، وهو مرسل ، وعبدالرحمن بن زيد ضعيف " .

(٧) في (ب) : (على الجواز) ، وفي (م) و (ق) : (إلى الجواز) وفي المطبوع : (إلى الجوار) .

(٨) سورة البروج الآية (١٦) .

الثاني : أنه^(١) لم يزل كذلك لأنه ساق ذلك (في)^(٢) معرض المدح والثناء على نفسه وأن ذلك من كماله سبحانه فلا يجوز أن يكون عادماً لهذا الكمال في وقت من الأوقات وقد قال (سبحانه) : ﴿ أَقْمَنَ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾^(٣) وما كان من أوصاف كماله ونعوت جلاله لم يكن حادثاً بعد أن لم يكن .

الثالث : أنه إذا أراد شيئاً فعله، فإن (ما) موصولة عامة أي يفعل كل ما يريد أن يفعله وهذا في إرادته المتعلقة بفعله وإما إرادته المتعلقة بفعل العبد فتلك لها شأن آخر فإن أراد فعل العبد ولم يرد من نفسه أن يعينه [عليه]^(٤) ويجعله فاعلاً لم يوجد الفعل وإن أراده حتى يريد^(٥) من نفسه أن يجعله فاعلاً وهذه هي النكتة التي خفيت على القدرية [و]^(٦) الجبرية وخطبوا في مسألة القدر لغفلتهم عنها .

فإن هنا إرادتان^(٧) : إرادة أن يفعل العبد، وإرادة أن يجعله الرب فاعلاً وليس^(٨) متلازمتين وإن لزم من الثانية الأولى من غير عكس ، فمتى أراد من نفسه أن يعين عبده وأن يخلق له أسباب الفعل فقد أراد فعله وقد يريد فعله ولا يريد من نفسه أن يخلق له أسباب الفعل فلا يوجد الفعل . فإن اعتاص عليك فهم هذا الموضع وأشكل عليك فانظر إلى قول النبي ﷺ ، حاكياً عن ربه قوله للعبد يوم القيامة (قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب أهلك : أن لا تشرك بي شيئاً) . (فأبيت إلا الشرك)^(٩) فأخبر سبحانه أنه أراد من المشرك أن لا يشرك به شيئاً^(١٠) ولم يقع هذا المراد لأنه لم يرد من / نفسه إعانته عليه وتوفيقه له .

[١/٣٤]

الرابع : أن فعله سبحانه وإرادته متلازمتان^(١١) فما أراد أن يفعله فعله ، وما فعله فقد أراده بخلاف المخلوق ، فإنه يريد ما لا يفعل ، وقد يفعل ما لا يريد فما ثم فعال لما يريد إلا الله وحده .

(١) في المطبوع : (لأنه) .

(٢) سقط من الأصل

(٣) في غير الأصل و (ب) (تكملة الآية إلى آخرها .

(٤) سقط من الأصل .

(٥) في غير الأصل : (يريد) .

(٦) سقط من الأصل و (ب) .

(٧) في المطبوع : (إرادتين) .

(٨) في المطبوع : (وليستا) .

(٩) أخرجه البخاري في (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء (١) باب كيف خلق آدم وذريته ح (٣٣٤) ، ومسلم في (٥٠) كتاب

صفة المنافقين وأحكامهم (١٠) باب طلب الكافر الفداء بماء الأرض ذهباً ، ح (٢٨٠٥) ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(١٠) ما بين القوسين سقط من المطبوع .

(١١) في غير الأصل : (متلازمان) .

الخامس : إثبات إرادات متعددة بحسب الأفعال ، وأن كل فعل له إرادة تخصه وهذا هو المعقول في الفطر ، وهو الذي يعقله الناس من الإرادة ، فشأنه تعالى أن ^(١) يريد على الدوام ، ويفعل ما يريد .

السادس : أن كل ما صبح ^(٢) أن يتعلق به إرادته جاز فعله ، فإذا أراد أن يزل كل ليلة إلى سماء الدنيا ، وأن يجيء يوم القيامة لفصل القضاء ، وأن يري نفسه لعباده ، وأن يتجلى لهم كيف شاء ، وأن يخاطبهم ويضحك إليهم وغير ذلك مما يريد سبحانه لم يمتنع عليه فعله ، فإنه فعال لما يريد ، وإنما يتوقف ^(٣) صحة ذلك على إخبار الصادق به ، فإذا أخبر به وجب التصديق به ، وكان رده رداً لكماله الذي أخبر به عن نفسه وهذا عين الباطل ، وكذلك إذا أمكن إرادته سبحانه محو ما شاء وإثبات ما شاء أمكن فعله ، وكانت تلك الإرادة والفعل من مقتضيات كماله المقدس .

وقد اشتملت هذه السورة على اختصارها من التوحيد على وصفه سبحانه بالعزة المتضمنة للقدرة والقوة وعدم النظر ، والحمد المتضمن لصفات الكمال ، والتزيه عن أضدادها مع محبته وإلاهيته وملك ^(٤) السماوات والأرض المتضمن لكمال غناه ، وسعة ملكه وشهادته على كل شيء المتضمن لعموم اطلاعه على ظواهر الأمور وبواطنها ، وإحاطة بصره بمرئياتها ، وسمعه بمسموعاتها وعلمه بمعلوماتها ، ووصفه / بشدة البطش المتضمن لكمال القدرة والقوة ^[٣٤/ب] والعزة ^(٥) وتفرد بالإبداء والإعادة (المتضمن لتوحيد ربوبيته وتصرفه في المخلوقات بالإبداء والإعادة) ^(٦) وانقيادها لقدرته فلا يستعصي عليه منها شيء ، ووصفه بالمغفرة المتضمن لكمال جوده وإحسانه وغناه ورحمته ووصفه بالودود المتضمن لكونه حبيباً إلى عباده محباً لهم .

(١) في (م) و (ق) والمطبوع : (أنه) .

(٢) في المطبوع : (صلح) .

(٣) في (ب) والمطبوع : (تتوقف) .

(٤) في (م) و (ق) والمطبوع : (وملكه) .

(٥) في غير الأصل : (لكمال القوة والعزة والقدرة) .

(٦) ما بين القوسين سقط من (ق) .

ووصفه بأنه ذو العرش الذي لا يقدر قدره سواه ، وأنه^(١) عرشه المختص به الذي^(٢) لا يليق بغيره أن^(٣) يستوي عليه ، ووصفه بالمجد المتضمن لسعة العلم والقدرة الملك والغنى ، والجود والإحسان والكرم ، وكونه فعالاً لما يريد المتضمن لحياته وعلمه^(٤) وقدرته ومشئته وحكمته ، وغير ذلك من أوصاف كماله .

فهذه السورة كتاب مستقل في أصول الدين تكفي من فهمها . فالحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ، وتبارك الذي نزل الفرقان على عبده .

ثم ختمها بذكر فعله وعقوبته بمن أشرك به ، وكذب رسله ، تحذيراً لعباده من سلوك سبيلهم وأن من فعل فعلهم ، فعل به كما فعل بهم ، ثم أخبر عن أعدائه بأنهم مكذبون بتوحيده ورسالاته مع كونهم في قبضته وهو محيط بهم ، ولا أسوأ حالاً من^(٥) عادى من هو في قبضته ، ومن هو قادر عليه من كل وجه ، وبكل اعتبار فقال تعالى : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) ﴾^(٦) فهل أعجب^(٧) ممن كفر بمن هو محيط به ، آخذ^(٨) بناصيته قادر عليه !!؟

ثم وصف كلامه بأنه مجيد ، وهو أحق بالمجد من كل كلام ، كما أن المتكلم به له المجد كله ، فهو المجيد ، وكلامه مجيد ، وعرشه مجيد ، قال ابن عباس^(٩) : (قرآن مجيد) كريم لأن كلام الرب ليس هو كما يقول الكافرون شعر وكهانة وسحر^(١٠) .

(١) في غير الأصل و (ب) : (وأن) .

(٢) قوله : (الذي) سقط من المطبوع .

(٣) في (ق) : (وأن) .

(٤) قوله : (وعلمه) سقط من (ق) .

(٥) في (ب) : (بمن) .

(٦) سورة البروج الآيتان (١٩ - ٢٠) .

(٧) في المطبوع : (فهذا أعجب أعجب) .

(٨) في غير الأصل و (ب) : (وآخذ) . س

(٩) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة : (رضي الله عنه) .

(١٠) ذكره ونسبه إلى ابن عباس الواحدي في الوسيط (٤٦٣/٤) وكذا في البسيط (٦٧٨/٢) وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧٩/٩) ولم ينسبه لأحد .

وقد تقدم أن المجد السعة وكثرة الخير ، وكثرة خير القرآن لا يعلمها / إلا من تكلم به . [١/٣٥]
 وقوله : ﴿ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ (٢٢) ^(١) أكثر القراء على الجر ^(٢) صفة للوح وفيه إشارة إلى
 أن الشياطين لا يمكنهم التزل به ، لأن محله محفوظ أن يصلوا إليه وهو في نفسه محفوظ أن تقدر
 الشياطين ^(٣) على الزيادة فيه والنقصان ، فوصفه سبحانه بأنه محفوظ في قوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا
 الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ، ووصف محله بالحفظ في هذه السورة .
 فالله سبحانه حفظ محله ، وحفظه ^(٤) من الزيادة والنقصان والتبديل ، وحفظ معانيه من
 التحريف ، كما حفظ ألفاظه من التبديل ، وأقام له من يحفظ حروفه من الزيادة والنقصان ومعانيه
 من التحريف والتغيير .



(١) سورة البروج الآية (٢٢) .

(٢) قرأ نافع (في لوح محفوظ) بالرفع صفة لقرآن ، والباقون بالخفض صفة للوح . انظر إرشاد المبتدي ص (٦٢٨) النشر (٣٦٢/٢)

(٣) في (م) و (ق) والمطبوع : (يقدر الشيطان) .

(٤) في (ب) : (وحفظ) .

﴿ فصل ١٠ ﴾^(١)

{ المقسم عليه في سورة الطارق }

والمقسم عليه هاهنا حال النفس الإنسانية والاعتناء بها وإقامة الحفظه عليها وأنها لم تترك سدى بل قد أرصد عليها أعمالها ويحصيها فأقسم سبحانه بأنه^(٢) ما من نفس إلا عليها حافظ [من الملائكة]^(٣) يحفظ عملها وقولها^(٤)، ويحصي ما تكسب من خير أو شر .

واختلف القراء في " لما " فشدها بعضهم ، وخففها بعضهم^٥ فمن قرأها بالتشديد جعلها بمعنى (إلا) ، وهي تكون بمعنى (إلا) في موضعين :

أحدهما : بعد (أن) المخففة مثل هذا الموضع ، أو المثقلة مثل قوله : ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لِيُؤْفِقَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ﴾^٦ .

والثاني : في باب القسم . نحو : سألتك بالله لما فعلت^(٧) .

قال أبو علي الفارسي^(٨) : (من خفف كانت إن^(٩) عنده هي المخففة من الثقيلة واللام في خبرها هي الفارقة بين أن النافية والمخففة^(١٠) و " ما " زائدة وإن هي التي تلقى^(١١) بها القسم كما

(١) ما بين المعقوفين سقط من الأصل و (ب) ومثبت في البقية .

(٢) في (م) ، (ق) والمطبوع : (أنه) .

(٣) زيادة من غير الأصل و (ب) .

(٤) في (ب) : (يحفظ عليها أعمالها ويحصيها ويحصي . . .) .

(٥) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي وأبو جعفر بالتخفيف ، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمة بالتخفيف .

(٦) سورة هود آية (١١١) .

(٧) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣١١/٥) .

(٨) الفارسي : هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي ، صاحب التصانيف ، قال الذهبي : مصنفاته كثيرة نافعة وكان فيه اعتزال . من مؤلفاته : (الحجة للقراء السبعة) وهو كبير و (الإيضاح) ، و (التكملة) وغيرها . توفي سنة (٣٧٧) هـ .

انظر : تاريخ بغداد (٢٧٥/٧ - ٢٧٦) ، سر أعلام النبلاء (٣٧٩/١٦ - ٣٨٠) .

(٩) سقطت من المطبوع .

(١٠) في غير الأصل : (والخفيفة) .

(١١) في (م) و (ق) : (يلقي) ، وفي المطبوع : (يتلقى) .

يتلقى بالمشقة ومن قرأها مشددة^(١) كانت (إن) عنده نافية بمعنى (ما) ، و (لما) في معنى^(٢) (إلا)

قال سيويه^(٣) عن الخليل^(٤) : في قولهم : نشدتك بالله لما فعلت ، قال : المعنى إلا^(٥) فعلت^(٦) .

ثم نبه سبحانه الإنسان على دليل المعاد بما يشاهده من حال مبدئه على طريقة القرآن في الاستدلال على المعاد بالمبدأ فقال : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) ﴾^(٧) أي : فلينظر نظر الفكر والاستدلال ليعلم أن الذي ابتداء خلقه^(٨) من نطفة قادر على إعادته .

ثم أخبر سبحانه أنه ﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) ﴾^(٩) والدفق : صب الماء يقال : دفقت الماء فهو مدفوق ودافق ومندفق ، فالمدفوق الذي وقع عليه فعلك كالمكسور والمضروب ، والمندفق المطاوع لفعل الفاعل تقول : دفقته فاندفق كما تقول : كسرتة فانكسر والدافق :

◆ قيل إنه فاعل بمعنى مفعول ، كقوله^(١٠) : سبر كاتم وعيشة راضية .

◆ وقيل : هو على النسب لا على الفعل أي : ذي دفق وذات (رضى)^(١١) ولم يرد

الجريان / على الفعل . [١/٣٦]

◆ وقيل : — وهو الصواب — أنه اسم فاعل على بابه ، ولا يلزم من ذلك أن يكون

هو فاعل الدفق ، فإن اسم الفاعل هو من قام به الفعل سواء فعله هو أو غيره كما

يقال : ماء جارٍ ، ورجل ميت ، وإن لم يفعل الموت بل لما قام به^(١٢) الموت ونسب

(١) في (ق) : (بالمشددة) .

(٢) في (ق) : (بمعنى) .

(٣) سيويه : عمرو بن عثمان بن قنبر ، أبو بشر ، سيويه الفارسي ثم البصري ، إمام النحو توفي سنة (١٨٠) هـ بغية الوعاة (٢٢٩/٢)

(٤) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري الإمام صاحب العربية ، ومنشء علم العروض ، أحد الأعلام ، كان رأساً في لسان العرب ، ديناً ورعاً ، كان مفرطاً في الذكاء له كتاب العين مات سنة بضع وستين ومائة وقيل غير ذلك .

انظر : إشارة التعيين ص (١١٤) ، البلغة في تراجم أئمة اللغة ص (٩٩) .

(٥) انظر : حروف المعاني للزجاجي ص (١١) .

(٦) هذا الكلام موجود في الحجة للفارسي (٣٩٧/٦) وقد نقله بنصه .

(٧) سورة الطارق الآية (٥) .

(٨) في المطبوع : (ابتداء أول خلقه) .

(٩) سورة الطارق الآية (٦) . وفي غير الأصل و (ب) : (أنه خلق من ماء دافق) .

(١٠) في (م) و (ق) والمطبوع : (كقولهم) .

(١١) (رضى) سقط من غير الأصل و (ب) .

(١٢) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (من) بعد (به) .

إليه على جهة الفعل . وهذا غير منكر في لغة أمة من الأمم فضلاً عن أوسع اللغات وأفصحها^(١).

وأما العيشة الراضية : فالوصف بها أحسن من الوصف بالمرضية فإنها اللاتقة بهم فشبه ذلك برضاها بهم كما رضوا بها ، كأنها رضيت بهم ورضوا بها ، وهذا أبلغ من مجرد كونها مرضية فقط فتأمل^(٢). وإذا كانوا يقولون : الوقت الحاضر والساعة الراهنة ، وإن لم يفعلوا ذلك فكيف يمتنع أن يقولوا : ماء دافق وعيشة راضية ؟ .

ونبه سبحانه بكونه دافقاً على أنه ضعيف غير متماسك ثم ذكر محله الذي يخرج منه وهو بين الصلب والترائب قال ابن عباس : يريد^(٣) صلب الرجل وترائب المرأة وهو موضع القلادة من صدرها ، والولد يخلق من المائتين جميعاً^(٤).

وقيل : صلب الرجل وترائب ، وهي صدره^(٥)، فيخرج من صلبه وصدره وهذه الآية الدالة على قدرة الخالق سبحانه نظير إخراج اللبن الخالص من بين الفرث والدم .

ثم ذكر (سبحانه) الأمر المستدل عليه وهو^(٦) المعاد بقوله : ﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾^(٧) أي : على رجعه إليه يوم القيامة كما هو قادر على خلقه من ما هذا شأنه . هذا هو الصحيح في معنى الآية^(٨) وفيها قولان ضعيفان : أحدهما : قول مجاهد : إنه على رد الماء في الإحليل لقادر^(٩).

(١) انظر : تذيب اللغة للأزهري (٣٩/٩) وما بعدها ، ومعاني الفراء (٢٥٥/٣) ومعاني الزجاج (٣١١/٥) .

(٢) في (ف) : (فتأملها) .

(٣) قوله (يريد) سقط من المطبوع .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤٩٨/٤) ، وعزاه في الدر المنثور (٤٧٥/٨) إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٥) وهو مروي عن جماعة منهم : عكرمة وسعيد بن جبير ، وابن زيد ومجاهد .

انظر جامع البيان (١٤٣/٣٠ - ١٤٤) ، النكت والعيون (٢٤٧/٦) ، معالم التنزيل (٣٩٤/٨) الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٠) وغيرها .

(٦) لفظ (وهو) سقط من المطبوع .

(٧) سورة الطارق الآية (٨) .

(٨) كما هو مروي عن ابن عباس وقتادة والحسن ومقاتل ، واختاره الفراء والزجاج .

انظر : جامع البيان (١٤٦/٣٠) ، معالم التنزيل (٤٩٣/٨) ، زاد المسير (٨٣/٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٠) ومعاني الفراء (٢٥٥/٣) ، ومعاني الزجاج (٣١٢/٥) وغيرها .

(٩) أخرج قول مجاهد الطبري في تفسيره بسنده - (١٤٥/٣٠) .

والثاني : قول عكرمة والضحاك : وإنه^(١) على رد الماء في الصلب لقادر^(٢). وفيها قول ثالث : قال مقاتل : إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب ومن الشباب إلى الصبا ، (ومن الصبا إلى)^(٣) النطفة^(٤).

والقول [الصواب]^(٥) هو الأول لوجوه :

أحدها : أنه هو المعهود من طريقة القرآن من الاستدلال بالمبدأ على المعاد .

الثاني : أن / ذلك أدل على المطلوب من القدرة على رد الماء في الإحليل .

الثالث : أنه لم يأت في القرآن لهذا المعنى^(٦) نظير في موضع واحد ، ولا أنكره أحد حتى يقيم سبحانه الدليل عليه .

الرابع : أنه قيد الفعل بالظرف وهو قوله : ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾^(٧) وهو يوم القيامة أي : أن الله قادر على رجعه إليه حياً في ذلك اليوم .

الخامس : أن الضمير في ﴿ رَجَعِهِ ﴾ هو الضمير في قوله : ﴿ فَمَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾^(٨) وهذا للإنسان قطعاً لا للماء .

السادس : أنه لا ذكر للإحليل حتى يتعين كون الراجع^(٩) إليه : فلو قال قائل : على رجعه إلى الفرج الذي صب فيه لم يكن فرق بينه وبين هذا القول ، ولم يكن أولى منه .

وورد قوله أيضاً في : البسيط (٦٨٧/٢) ، النكت والعيون (٢٤٧/٦) معالم التنزيل (٣٩٤/٨) ، زاد المسير (٨٤/٩) ، وعزاه في الدر المنثور (٤٧٦/٨) إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(١) قوله (وإنه) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(٢) لقادر (سقط من (ق) .

(٣) أخرج القولين الطبري في تفسيره بسنده (١٤٥/٣٠ - ١٤٦) .

وانظر أيضاً المراجع السابقة .

(٤) ما بين القوسين سقط من المطبوع .

(٥) ورد ذكره في البسيط (٦٨٨/٢) ومعالم التنزيل (٣٩٣/٨) ، وفتح القدير (٤٨٩/٥) وغيرها .

(٦) بياض بالأصل ، وباقي النسخ : (والقول هو الأول) ، في المطبوع : (والقول الصواب) .

(٧) في غير الأصل و (ب) : (إنه لم يأت لهذا المعنى في القرآن) .

(٨) سورة الطارق الآية (٩) .

(٩) سورة الطارق الآية (١٠) .

(١٠) في (م) و (ق) : (الرجوع) ، وفي المطبوع : (المرجع) .

السابع : إن رد الماء إلى الإحليل أو الصلب بعد خروجه منه غير معروف ولا هو أمر معتاد جرت به القدرة وإن كان مقدوراً للرب تعالى ، ولكن هو لم يخبر به^(١) ، ولم تجربه العادة ، ولا هو مما تكلم الناس فيه نفيّاً أو إثباتاً . ومثل هذا لا يقرره الرب (تعالى) ولا يستدل عليه^(٢) على منكره . وهو سبحانه إنما يستدل على أمر واقع ولا بد ، إما قد وقع ووجد أو^(٣) سيقع .

فإن قيل : فقد قال تعالى : ﴿ أَيُخَسِّبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) ﴿^(٤) أي : نجعلها كخف البعير^(٥) قيل : هذه أيضاً فيها قولان : أحدهما : هذا .

والثاني وهو الأرجح أن تسوية بنانه إعادتها كما كانت بعدما فرقها البلى في التراب^(٦) .

الثامن : أنه سبحانه دعا الإنسان إلى النظر فيما خلق منه ليرده نظره عن تكذيبه — بما أخبر به وهو لم يخبر بقدرة خالقه على رد الماء في إحليله بعد مفارقتها له ، حتى يدعوه إلى النظر فيما خلق منه ليستنتج^(٧) منه صحة إمكان رد الماء .

التاسع : أنه لا ارتباط بين النظر في مبدأ خلقه ورد الماء في الإحليل بعد خروجه ولا / [١/٣٧] تلازم بينهما حتى يجعل أحدهما دليلاً على إمكان الآخر ، بخلاف الارتباط الذي بين المبدأ والمعاد ، والخلق الأول والخلق الثاني ، والنشأة الأولى والنشأة الثانية ، فإنه ارتباط من وجوه عديدة ، ويلزم من إمكان أحدهما إمكان الآخر ، ومن وقوعه صحة وقوع الآخر فحسن الاستدلال بأحدهما على الآخر .

العاشر : أنه سبحانه نبه بقوله : ﴿ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ (٤) . على أنه قد وكل به من يحفظ عليه عمله ويحصى ، فلا يضيع منه شيء ، ثم نبه بقوله (عز وجل) : ﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ (٨) ﴿ على بعثه لجزائه على العمل الذي حفظ وأحصى عليه . فذكر شأن مبدأ

(١) في (م) و (ق) : (لم يخبره) ، وفي المطبوع : (لم يخبره) .

(٢) في (م) و (ق) : زيادة (وبينه) ، وفي المطبوع : (وبينه) .

(٣) في (ق) : (وإما سيقع) .

(٤) سورة القيامة الآيتان (٣ - ٤) .

(٥) انظر : جامع البيان (١٧٥/٢٩ - ١٧٦) ، تفسير مقاتل (٢١٧/ب) ، النكت والعيون (١٥٢/٦) الجامع لأحكام القرآن (٩٤/١٩) وغيرها .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعراجه للزجاج (٢٥١/٥) .

(٧) في (م) و (ق) والمطبوع : (ليستنتج) .

عمله ونهايته فمبدؤه محفوظ عليه ، ونهايته الجزاء عليه . ونبه على هذا بقوله : ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ (٩) أي : تختبر (١) . وقال مقاتل : تظهر وتبدو (٢) . وبلوت الشيء إذا اختبرته ليظهر لك باطنه وما خفي منه والسرائر : جمع سريرة وهي : سرائر الله التي بينه وبين عبده في ظاهره وباطنه (٣) فالإيمان من السرائر ، وشرائعه من السرائر ، فتختبر ذلك اليوم حتى يظهر خيرها من شرها ، وموداها من مضيعها ، وما كان لله مما لم يكن له .

قال عبدالله بن عمر (٤) : يبدي الله يوم القيامة كل سر ، فيكون زيناً في الوجوه شيئاً فيها (٥) .

والمعنى : يختبر السرائر بإظهارها (٦) وإظهار مقتضياتها من الثواب والعقاب . والحمد والذم . وفي التعبير عن الأعمال بالسر لطيفة وهي (٧) : أن الأعمال نتائج السرائر الباطنة ، فمن كانت سريرته صالحة كان عمله صالحاً ، فتبدو سريرته على وجهه نوراً وإشراقاً وحسناً (٨) ، ومن كنت سريرته فاسدة كان عمله تابعاً / لسريرته لا اعتبار بصورته ، فتبدوا سريرته على وجهه سواداً [ب/٣٧] وظلمة و شيئاً ، وإن كان الذي يبدو عليه في الدنيا إنما هو عمله لا سريرته ، فيوم القيامة تبدو عليه سريرته ويكون الحكم والظهور لها .

(وفي الحديث : " اتقوا هذه السرائر ، فإنه ما أسر امرؤ سريرة إلا ألبسه رداء سريرته " (٩) .

(١) وهو مروي عن قتادة وسفيان انظر : تفسر الطبري (١٤٧/٣٠) ، البسيط للواحد (٦٨٩/٢) ، معالم التنزيل (٣٩٤/٨) .

(٢) قول مقاتل في تفسيره (٢٣٦/ب) ، وذكره عنه أيضاً الواحدي في البسيط (٦٨٩/٢) والبغوي في تفسيره (٣٤٩/٨) .

(٣) في المطبوع : زيادة (لله) .

(٤) في غير الأصل و (ب) : زيادة (رضي الله عنهما) .

(٥) ورد ذكره في البسيط (٦٨٩/٢) ، ومعالم التنزيل (٣٩٤/٨) ، والتفسير الكبير للرازي (٧٥ / ٣١) .

(٦) في الأصل : تكررت كلمة : (إظهارها) .

(٧) في غير الأصل و (ب) : (وهو) .

(٨) في غير الأصل : (وحياء) بدل (وحسناً) .

(٩) الحديث أخرجه الطبري في تفسيره بسنده (٣٦٧/١٢ - ٣٦٨) طبعة شاكر وضعف الشيخ أحمد شاكر هذا الحديث لضعف سليمان بن أرقم .

وفيما كتب بعض السلف إلى بعض : من أصلح سريره أصلح الله علانيته^(١).
وقال بعضهم : من كانت سريره خيراً من علانيته فهو الفضل ، ومن استوت سريره
وعلانيته فهو العدل ، ومن كانت علانيته خيراً من سريره فهو الجور .
ومن دعاء ابن عمر : اللهم اجعل سريرتي خيراً من علانيتي ، واجعل علانيتي سالحة^(٢) .
ومن دعاء علي بن الحسين : اللهم إني أعوذ بك أن يحسن في لوامع العيون علانيتي ،
ويقبح في خفيات العيون سريرتي^(٣) (٤) . قال الشاعر :
وإن^(٥) لها في مضمرة القلب والحشا سريرة حب يوم تبلى السرائر^(٦)

ثم أخبر سبحانه عن حال الإنسان في يوم القيامة أنه^(٧) غير ممتنع من عذاب الله لا بقوة منه
ولا بقوة من خارج وهو الناصر ، فإن العبد إذا وقع في شدة فإما أن يدفعها بقوته أو بقوة^(٨) من
ينصره وكلاهما معدوم في حقه ، ونظيره قوله سبحانه : ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنْهَا
يُصْحَبُونَ﴾ (٤٣) (٩) .

وقد أورد ابن كثير هذا الحديث في تفسيره أيضاً (٤ / ٤١٣) وضعفه ، وقد أخرج هذا الحديث أيضاً البخاري في الأدب المفرد في
(١٨٦) باب ذبح الحمام ح (١٣٠١) وضعف إسناده الألباني كما في ضعيف الأدب المفرد ص (١١٧-١١٨) لسببين أحدهما :
لأن في إسناده يوسف بن عبدة لين الحديث ، والآخر : لكون الحسن البصري مدلساً .

(١) يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره ، وقد ذكر أيضاً : ابن أبي شيبة في مصنفه في
كتاب الزهد برقم (٣٤٩٨٨) (١٦٢/٧) ، وأبو لغيم في الحلية في ترجمة عون بن عبد الله بن عتبة (٢٤٧/٤) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الدعاء ، (١٣٥) باب ما أمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب أن يدعو به
ح (٢٩٨٢٤) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفي إسناده ضعف فيه راوٍ لم يسم . المصنف (١٠٤/٦) .

(٣) دعاء علي بن الحسين ذكره ابن الجوزي في صفوة الصفوة (٩٤/٢) ، ولفظه فيه : (اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لوامع العيون
علانيتي وتقبح سريرتي ، اللهم كما أسأت وأحسنست إليفاذا أعدت فعد علي) .

(٤) ما بين القوسين مثبت في الأصل ، ومستدرك في حاشية (ب) ، وساقط في (م) و (ق) والمطبوع .

(٥) في المطبوع : (فإن) .

(٦) البيت من الطويل ، وهو للأخوص بن محمد الأنصاري .

انظر ديوانه ص (٨٢) . وفي لسان العرب : (سيقى لها) بدلاً من : (فإن لها) ، و (سريرة ود) بدلاً من :
(سريرة حب) .

(٧) في (ق) : (وأنه) .

(٨) في المطبوع : (أو قوة) .

(٩) سورة الأنبياء الآية (٤٣) .

ثم أقسم سبحانه بـ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾^(١) فأقسم بالسماء ورجعها بالمطر ، والأرض وصدعها بالنبات ، [قال الفراء : تبدأ بالمطر ثم ترجع به في كل عام^(٢) .

وقال أبو إسحاق : الرجع المطر [^(٣) لأنه يجيء ويرجع ويتكرر^(٤) وكذا^(٥) قال ابن عباس^(٦) : تبدي بالمطر ثم ترجع به في كل عام^(٧) .

والتحقيق أن هذا على وجه التمثيل ورجع السماء هو : إعطاء الخير الذي يكون من جهتها حالاً بعد حال على مرور الأزمان يرجعه رجعاً أي تعطيه مرة بعد مرة^(٨) ، والخير كله من قبل السماء يجيء ، ولما كان أظهر الخير المشهود بالعيان المطر فسر الرجع به ، وحسن تفسيره به مقابلته بصدع الأرض [عن النبات ، وفسر الصدع بالنبات ، لأنه يصدع الأرض]^(٩) أي يشققها .

فأقسم سبحانه بالسماء ذات المطر ، والأرض ذات النبات ، وكل من^(١٠) ذلك آية من آيات الله تعالى الدالة على ربوبيته .

[١/٣٨]

وأقسم على كون القرآن / حقاً وصدقاً فقال (تعالى) : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤)﴾^(١١) .

كما أقسم في أول السورة على حال الإنسان في مبدئه ومعاده ، والقول الفصل هو الذي يفصل به^(١٢) بين الحق والباطل^(١٣) فيميز هذا من هذا ويفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه ومصيب

(١) سورة الطارق الآيتان (١١-١٢) .

(٢) معاني القرآن للفراء (٢٥٥/٣) .

(٣) ما بين المعقوفين سقط من الأصل .

(٤) معاني القرآن وإعراجه (٣١٢/٥) .

(٥) في (م) و (ق) والمطبوع : (وكذلك) .

(٦) في غير الأصل و (ب) : زيادة (رضي الله عنهما) .

(٧) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره بإسناده (٣٦٥/٢) وأخرجه الطبري أيضاً في تفسيره بسنده (١٤٨/٣٠) وقد أخرجه أيضاً الحاكم

في المستدرک في (٢٨) كتاب التفسير ، تفسير سورة الطارق ح (٣٩٧٥) ، وأبو الشيخ في العظمة في (٢٤) ذكر المطر ونزوله ح (٧٤٦) ، وعراه في الدر المنثور (٨ / ٢٨٩) إل الفريابي وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه وابن المنذر وابن الحاكم وابن مردويه . وقد

صحح إسناده الحاكم ومرفقه الذهبي ، وصحح إسناده أيضاً الحافظ ابن حجر . الفتح (٨ / ٣٦٥) .

(٨) انظر : البسيط (٦٩١/٢) ، التفسير الكبير (١٢٠/٣١) .

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل .

(١٠) (من) ساقطة من (ق) .

(١١) سورة الطارق الآيتان (١٣-١٤) .

(١٢) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

الفصل الذي ينفصل عنده المراد ويتميز من غيره كما يقال^(٢): أصاب الفصل وأصاب المحسن^(٣) إذا أصاب بكلامه نفس المعنى ومنه فصل الخطاب^(٤).

وأيضاً فالقول الفصل : الفصل^(٥) ببيان المعنى ضد الإجمال فكون^(٦) القرآن فصلاً يتضمن هذه المعاني كلها ويتضمن كونه حقاً ليس بالباطل وهداً ليس بالهزل ولما كان الهزل هو الذي لا حقيقة له . وهو الباطل واللعب قابل بين الفصل والهزل .

وإنما يكيد المكذوبون ويتحيلون^(٧) ويخادعون لرده ، لا^(٨) يردونه بحجة والله يكيدهم كما يكيدون دينه ورسوله وعباده . وكيده سبحانه استدراجهم من حيث لا يعلمون والإملاء لهم حتى يأخذهم على غرة كما قال تعالى : ﴿ وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (١٨٣) ﴿^(٩) فالإنسان إذا أراد أن يكيد غيره يظهر له إكرامه وإحسانه إليه فيأخذه حتى يطمئن إليه فيأخذه كما يفعل الملوك فإذا فعل أعداء الله ذلك^(١٠) بأوليائه ودينه كان كيد الله لهم حسناً لا قبح فيه فيعطيه ويعافيهم وهو يستدرجهم حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذهم بغتة .

ثم قال (سبحانه)^(١١) : ﴿ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْمُ لَهُمْ رُؤُودًا ﴾ (١٧) ﴿^(١٢) أي أنظرهم قليلاً ولا تستعجل لهم والرب تعالى هو الذي يمهلهم وإنما خرج الخطاب للرسول ﷺ^(١٣) على جهة التهديد والوعيد لهم أو على معنى انتظر لهم قليلاً .

(١) انظر : جامع البيان (١٤٩/٣٠) ، معاني القرآن للزجاج (٣١٣/٥) ، البسيط (٦٩٣/٢) .

(٢) في المطبوع : (قال) .

(٣) في غير الأصل و (ب) : (المرء) . ولعله هو الأصوب .

(٤) في (ب) والمطبوع : (المعنى المراد . .) ، وفي (م) : (المعنى المراد من فصل الخطاب) ، وفي (ق) : (المعنى المراد منه ، ومنه فصل الخطاب) .

(٥) سقط من غير الأصل و (ب) .

(٦) في (ق) : (فيكون) .

(٧) في (م) والمطبوع : (يحيلون) .

(٨) في غير الأصل و (ب) : (ولا يردونه) .

(٩) سورة الأعراف الآية (١٨٣) .

(١٠) في غير الأصل و (ب) : (فإذا فعل ذلك أعداء الله) .

(١١) في . ب : (تعالى) وهي ساقطة في البقية .

(١٢) سورة الطارق الآية (١٧) .

(١٣) قوله : (صلى الله عليه وسلم) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

ورويداً في كلامهم يكون اسم فعل فينصب بها الاسم نحو رويداً زيداً ، أي خله وأمهله وارفق به .

الثاني : أن يكون مصدراً مضافاً إلى المفعول نحو : رويد زيد ، أي : إمهال زيد نحو : (ضرب الرقاب) .

الثالث : أن يكون نعتاً منصوباً نحو قولك : ساروا رويداً تقول العرب : ضعه رويداً أي وضعاً رويداً وفي حديث عائشة في خروج النبي ﷺ / بالليل من عندها إلى البقيع : " فخرج رويداً وأجاف الباب رويداً " (١) .

ويجوز في هذا الوجه وجهان :

أحدهما : أن يكون حالاً .

والثاني : نعتاً (٢) لمصدر محذوف .

فإن أظهرت المنعوت (٣) تعين الوجه الثاني .

ورويداً في (٤) الآية هو من هذا النوع الثالث والله أعلم .



(١) جزء من حديث طويل . أخرجه مسلم في (١١) كتاب الجنائز ، (٣٥) باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها ح (٩٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة : (أن يكون) .

(٣) في الأصل (النعوت) .

(٤) في المطبوع : زيادة (هذه) . وانظر في إعراب (أمهلهم رويداً) الدر المصون (٧٥٧/١٠) .

﴿ فصل ٥٤ ﴾

{ القسم في سورة الانشقاق }

ومن ذلك إقسامه تعالى^(١) ﴿بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨)﴾ فأقسم بثلاثة أشياء متعلقة بالليل .

أحدها^(٢) : الشفق وهو في اللغة الحمرة بعد غروب الشمس إلى وقت صلاة العشاء الآخرة وكذلك هو في الشرع .

قال الفراء^(٤)، والليث^(٥) والزجاج^(٦) وغيرهم : الشفق الحمرة في السماء وأصل موضع الحرف لركة الشيء : ومنه قولهم^(٧) : شيء شفق لا تماسك له لركته ومنه الشفقة وهي الرقة وأشفق عليه إذا رق له .

وأهل اللغة يقولون : الشفق بقية ضوء الشمس وحمرة ما ولهذا كان الصحيح أن الشفق الذي يدخل وقت العشاء الآخرة بغيوبته هو الحمرة ، فإن الحمرة لما كانت بقية ضوء الشمس جعل بقاؤها حداً لوقت المغرب فإذا ذهبت الحمرة بعدت الشمس عن الأفق فدخل وقت العشاء^(٨) .

(١) سقط من المطبوع .

(٢) سورة الانشقاق الآيات (١٦ - ١٨) .

(٣) تحرفت في الأصل إلى (أحدهما) .

(٤) معاني القرآن (٢٥١ / ٣) .

(٥) تهذيب اللغة للأزهري (٣٣٢ / ٨) .

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣٠٥ / ٥) .

(٧) سقط من غير الأصل و (ب) .

(٨) انظر : المغني (٣٨٢ / ١) ، والمجموع شرح المذهب (٤٣ - ٤٢ / ٣) . وعزة إلى أكثر أهل العلم وقال : (والذي ينبغي أن يعتمد أن المعروف عند العرب أن الشفق الحمرة ، وذلك مشهور في شعرهم ونثرهم .

وأما البياض فإنه يمتد وقته ويطول^(١) لبته ويكون حاصلاً مع بعد الشمس عن الأفق^(٢) ولهذا صح عن ابن عمر^(٣) أنه قال : الشفق الحمرة^(٤) والعرب تقول : ثوب مصوغ كأنه الشفق إذا احمر ، حكاه الفراء^(٥) قال^(٦) الكلبي : الشفق الحمرة يكون في المغرب^(٧) وكذلك قال مقاتل : هو الذي يكون بعد غروب الشمس في الأفق قبل الظلمة^(٨).

وقال عكرمة : هو بقية النهار^(٩) وهذا يحتمل أن يريد به أن تلك الحمرة بقية ضوء الشمس التي هي آية النهار وقال مجاهد : هو النهار كله^(١٠) وهذا ضعيف جداً وكأنه لما رآه قابله بالليل وما وسق ظن أنه النهار وهذا ليس بلازم .

الثاني : قسمه بالليل وما وسق أي وما ضم وحوى وجمع^(١١) . والليل آية وما ضمه وحواه

آية أخرى والقمر آية واتساقه آية أخرى والشفق يتضمن إدبار النهار وهو آية وإقبال / الليل وهو [١/٣٩] آية أخرى فإن هذا إذا أدبر خلفه الآخر يتعاقبان لمصالح الخلق فإدبار النهار آية وإقبال الليل آية (وما حواه آية)^(١٢) (وتعقب أحدهما الآخر آية)^(١٣) والشفق الذي هو متضمن^(١٤) للأمرين آية والليل آية وما حواه آية واللال آية وتزايد كل ليلة آية واتساقه وهو امتلاؤه نوراً — آية ثم أخذه في النقص آية .

(١) في المطبوع : (يطول) .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء (٢٥١/٣) ، تهذيب اللغة (٣٣٢/٨) ، البسيط (٦٥٢/٢) .

(٣) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (رضي الله عنهما) .

(٤) قول ابن عمر أخرجه عبدالرزاق في تفسيره بسنده (٣٩٥/٢) .

وورد ذكره أيضاً في الجامع لأحكام القرآن (٢٧٥/١٩) ، وتفسير ابن كثير (٤٨٩/٤) .

(٥) معاني القرآن (٢٥١/٣) .

(٦) في غير الأصل و (ب) زيادة (وكذلك) .

(٧) حكاه الواحدي في البسيط (٦٥١/٢) ، وذكره أيضاً الرازي في تفسيره (٩٩/٣١) .

(٨) تفسر مقاتل : (٢٣٤/ب) : بمعنى ولفظه عنده (هو الحمرة إلى أن تغيب) .

(٩) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢٣٧/٦) ، والبغوي في معالم التنزيل (٣٧٥/٨) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٦٦/٩) .

(١٠) أخرج قوله ابن جرير في تفسيره بسنده (١١٩/٣٠) . وورد أيضاً في بحر العلوم (٤٦١/٣) ، معالم التنزيل (٣٧٥/٨) زاد

المسير (٦٦/٩) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٦/١٩) وغيرها .

(١١) هذا القول مروى عن جماعة منهم ابن عباس ومجاهد والحسن ومسروق وأبو صالح ، واختاره الفراء والزجاج . انظر : جامع البيان

(١٢٠/٣٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٢٦/١٩) ، تفسر ابن كثير (٤٨٩/٤) معاني الفراء (٢٥١/٣) معاني الزجاج (٣٠٥/٥)

(١٢) سقط من غير الأصل .

(١٣) سقط من الأصل .

(١٤) في (ق) : (يتضمن) .

وهذه وأمثالها آيات دالة على ربوبيته مستلزمة للعلم بصفات كماله ولهذا شرع عند إقبال الليل وإدبار النهار ذكر الرب تعالى بصلاة المغرب في الحديث : " اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعائك^(١) وحضور صلواتك^(٢) " (٣).

كما شرع ذكر الله بصلاة الفجر عند إدبار الليل وإقبال النهار ولهذا يقسم سبحانه بهذين الوقتين كقوله (عز وجل) : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ^(٤) (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ^(٥) (٣٤) ﴾ وهو يقابل إقسامه بالشفق ونظيره إقسامه بـ ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَفَ^(٦) (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ^(٧) (١٨) ﴾ .

ولما كان الرب تعالى^(٧) يحدث عند كل واحدة من طرفي إقبال الليل والنهار وإدبارهما ما يحدثه ، ويث من خلقه ما شاء فينشر الأرواح (الشيطانية عند إقبال الليل وينشر الأرواح^(٨)) الإنسانية عند إقبال النهار فيحدث هذا الانتشار في العالم أثره شرع سبحانه في هذين الوقتين هاتين الصلاتين العظيمتين مع ما في ذلك من ذكره عند هاتين الآيتين المتعاقبتين وعند انصرام أحدهما واتصال الأخرى بهما^(٩) ، مع ما بينهما من التضاد والاختلاف ، وانتقال الحيوان عند ذلك من حال

(١) في المطبوع : (دعائك) .

(٢) في المطبوع : زيادة (اغفر لي) .

(٣) أخرجه أبو داود في (٢) كتاب الصلاة (٣٩) باب ما يقول عند أذان المغرب ح (٥٣١) والترمذي في (٤٩) كتاب الدعوات (١٢٧) باب دعاء أم سلمة ح (٣٥٨٩) ، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٩٩) باب ما يقول إذا سمع أذان المغرب ح (٦٤٩) ، والحاكم في مستدركه في (٤) كتاب الصلاة ، (٢٨٦) الدعاء عند أذان المغرب ح (٧٤١) ، وأبو يعلى في مسنده ح (٦٨٦٠) ، والطبراني في المعجم الكبير ح (٦٨٠-٦٨١) (٣٠٣/٢٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

(٤) هكذا في الأصل و (ب) و (ق) وهي قراءة ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي وشعبة وأبو جعفر ، وفي الباقي (إذا أدبر) انظر (إرشاد المبتدئ) ص (٦١٠) ، والتذكرة (٦٠٤/٢) .

(٥) سورة المدثر الآيتان (٣٣ - ٣٤) .

(٦) سورة التكويم الآيتان (١٧-١٨) .

(٧) في غير الأصل و (ب) : (تبارك وتعالى) .

(٨) سقط من الأصل .

(٩) في (م) و (ق) والمطبوع : (بها) .



إلى حال ، ومن حكم إلى حكم وذلك مبدأ ومعاد يومي ، مشهود للخلقة كل يوم وليلة فالحيوان والنبات في مبدأ ومعاد ، وزمان العالم في المبدأ^(١) ، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١٩) ﴿٢﴾.



(١) هذا في الأصل ، وفي غيره : (مبدأ) .
(٢) سورة العنكبوت الآية (١٩) .

❦ فصل ❦

{ جواب القسم }

وقوله (تعالى) : ﴿ لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (١٩) ﴾ ^(١) الظاهر أنه جواب القسم ، ويجوز

أن يكون من القسم المحذوف جوابه ، ولتركبن وما بعده مستأنف ^(٢) / وقرئ " لتركبن بضم الباء [ب/٣٩] للجمع (ولتركبن) بفتحها ^(٣) فمن فتحها فالخطاب عنده للإنسان أي لتركبن أيها الإنسان وقيل هو النبي ﷺ خاصة . وقيل ليست التاء ^(٤) للخطاب ولكنها للغيبة أي لتركبن السماء طبقاً بعد ^(٥) طبق ومن ضمها فالخطاب للجماعة ليس إلا . فمن جعل الكناية للسماء قال : المعنى لتركبن السماء حالاً بعد حال من حالاتها التي وصفها الله تعالى من الانشقاق والانفطار والطي . وكونها كالمهل مرة وكالدهان مرة ومورانها وتفتحها وغير ذلك من حالاتها وهذا قول عبدالله بن مسعود ^(٦) ودل على السماء ذكر الشفق والقمر وعلى هذا فيكون قسماً على المعاد وتغيير العالم . ومن قال الخطاب للنبي ﷺ فله ثلاث معان :

أ/ لتركبن سماء بعد سماء حتى تنتهي إلى حيث يصعدك الله هو ^(٧) قول ابن عباس في رواية مجاهد ^(٨) وقول مسروق ^(٩) والشعبي ^(١٠) .

(١) سورة الانشقاق الآية (١٩) .

(٢) نظر : التفسير الكبير (١٠٠/٣١ - ١٠١) ، الدر المنثور (٧٤٠ - ٧٣٧/١٠) .

(٣) وهي قراءة (ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف) انظر إرشاد المبتدي للقلانسي ص (٦٢٧) والتذكرة لأبي الحسن (٦٢١/٢) .

(٤) تعرفت في (م) و (ق) إلى (الباء) .

(٥) في (م) و (ق) والمطبوع : (عن) .

(٦) أخرجه قوله الطبري في تفسيره بسنده (١٢٤/٣٠) .

وورد ذكره أيضاً في : النكت والعيون (٢٣٨/٦) ، المحرر الوجيز (٢٦٦/١٦) ، زاد المسير (٦٧/٩) ، ونسبه في الدر المنثور (٨/) إلى عبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي .

(٧) في غير الأصل : (هذا) بدل (هو) .

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره بسنده (١٢٤/٣٠) .

وذكر أيضاً في : البسيط (٦٥٥/٢) ، ومعالم التنزيل (٣٧٥/٨) ، وزاد المسير (٦٧/٩) وغيرها .

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره بسنده (١٢٤/٣٠) .

(١٠) أخرجه أيضاً الطبري في تفسيره بسنده (١٢٤/٣٠) وذكر أيضاً في : النكت والعيون (٢٣٨/٦) ، زاد المسير (٦٧/٩)

الجامع لأحكام القرآن (٢٧٨/١٩) وغيرها .

قالوا : والسماء طبق ، ولهذا يقال للسموات السبع الطباق .

والمعنى الثاني : لتصعدن درجة بعد درجة ومتزلة بعد متزلة ورتبة بعد رتبة حتى تنتهي إلى محل القرب والزلزلى من الله^(١).

والمعنى الثالث : لتركن حالاً بعد حال من الأحوال المختلفة التي نقل الله فيها رسوله ﷺ من الهجرة والجهاد ونصره على عدوه وإدالة العدو عليه تارة وغناه وفقره وغير ذلك من حالاته التي تنقل فيها إلى أن بلغ ما بلغه (الله)^(٢) إياه.

ومن قال الخطاب للإنسان أو لجملة الناس فالمعنى واحد وهو تنقل الإنسان حالاً بعد حال من حين كونه نطفة إلى مستقره من الجنة أو النار فكم بين هاتين^٣ من الأطباق والأحوال للإنسان وأقوال المفسرين كلها تدور على هذا قال ابن عباس^٤ : لتصيرن الأمور حالاً بعد حال^(٥).

وقيل : لتركن أيها الإنسان حالاً بعد حال من النطفة إلى العلقة إلى / المضغة إلى كونه [١/٤٠] حياً ، إلى خروجه إلى هذه الدار ثم ركوبه طبق التمييز بين ما ينفعه ويضره ثم ركوبه بعد ذلك طبقاً آخر وهو طبق البلوغ ، ثم ركوبه طبق الأشد ، ثم طبق الشيخوخة ، ثم طبق الهرم ، ثم ركوبه طبق الموت وشأنه ثم ركوبه [طبق]^(٦) ما بعده^(٧) في البرزخ وركوبه في أثناء هذه الأحوال أطباقاً

(١) وهذا القول مروى عن عمر وابن مسعود وابن عباس والشعبي .

انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٧٨/١٩) .

(٢) سقط من المطبوع .

(٣) في غير الأصل : (هاذين) .

(٤) في (م) و (ق) : زيادة (رضي الله عنه) ، وفي المطبوع : (رضي الله عنهما) .

(٥) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٧٩/٣) في كتاب التفسير ، سورة إذا السماء انشقت ح (٢٢٨٢) ، قال الهيثمي : رواه

البزار وفيه جابر الجعفي وهو ضعيف : مجمع الزوائد (١٣٥/٧) . وكذلك أخرجه الفراء بإسناده في معاني القرآن (٢٥٢/٣) .

(٦) سقط من الأصل . وفي المطبوع : (ثم ركوبه طبق ما بعد الموت في البرزخ) .

(٧) في (م) و (ق) : (ما بعد) .

عديدة لا يزال يتنقل فيها حالاً بعد حال إلى دار القرار فذلك آخر أطباقه التي يعلمها العباد ثم يفعل الله سبحانه بعد ذلك ما يشاء^(١).

واختار أبو عبيد^(٢) قراءة الضم وقال : نعى بالناس أشبه منه بالنبي ﷺ ، فإنه ذكر قبل الآية من يؤتى كتابه بيمينه وشماله ثم ذكر بعدها قوله : ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . فذكر كونهم طبقاً بعد طبق .

قال الواحدي : (وهذا قول أكثر المفسرين ، قالوا : لتركبن حالاً بعد حال ومترلاً بعد مترل وأمرأ بعد أمر)^(٣).

قال سعيد بن جبير ، وابن زيد : لتكونن في الآخرة بعد الأولى ولتصيرن أغنياء بعد الفقر وفقراً بعد الغنى^(٤) ، وقال عطاء : شدة بعد شدة^(٥) ، وقال أبو عبيدة : لتركبن سنة من كان قبلكم في التكذيب والاختلاف على الرسل^(٦).

وأنت إذا تأملت هذا المقسم عليه^(٧) وجدته من أعظم الآيات الدالة على الربوبية ، وتغيير الله سبحانه العالم^(٨) ، وتصريفه له كيف أراد ونقله إياه من حال إلى حال ، وهذا محال أن يكون بنفسه من غير فاعل مدبر له ومحال أن يكون فاعله غير قادر ولاحي ولا مدبر^(٩) ولا حلیم ولا عليم فكلاهما في الامتناع سواء .

(١) انظر : التفسير الكبير (١٠٠/٣١ - ١٠١) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٧٩/١٩ - ٢٨٠) .

(٢) في (م) و (ق) : (أبو عبيد) وفي الأصل و (ب) المطبوع : (أبو عبيدة) والتصحيح من البسيط (٦٥٦/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٧٨/١٩) .

(٣) تفسير البسيط (٦٥٦/٢) ، والوسيط (٤٥٥/٤) .

(٤) قول سعيد ذكره الواحدي في البسيط (٦٥٧/٢) ، والماوردي في النكت والعيون (٢٣٨/٦) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٦٨/٩) ، أما قول ابن زيد فأخرجه الطبري في تفسيره بإسناده (١٢٤/٣٠) وذكره أيضاً صاحب البحر المحيط (٤٤٨/٨) وابن كثير في تفسيره (٤٩٠/٤) معناه ، وغيرهم .

(٥) نسبه إليه الواحدي في تفسيره البسيط (٦٥٧/٢) .

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٩٢/٢) .

(٧) في غير الأصل : (المقسم به والمقسم عليه) .

(٨) في المطبوع : (للعالم) .

(٩) في غير الأصل : (ولا مريد) .

فالمقسم به وعليه من أعظم الأدلة على ربوبيته وتوحيده . وصفات كماله وصدقه ، وصدق رسله وعلى المعاد . ولهذا عقب ذلك بقوله ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٠) ﴿ (١) إنكاراً على من لم يؤمن بعد ظهور هذه الآيات المستلزمة . أتم استلزام وأنكر عليهم عدم خضوعهم وسجودهم للقرآن المشتمل على ذلك ، بأفصح عبارة وأبينها وأجزها . فالمعنى أشرف معنى والعبارة اشرف عبارة : غاية الحق بغاية البيان والفصاحة .

بل الذين يكذبون (٢) ولا يصدقون بالحق جحوداً / وعناداً والله أعلم (٣) بما يضمرون في [ب/٤٠] صدورهم ويكتُمونه ، وما يسرونه من أعمالهم وما يجمعونه فيجازيهم عليه بعلمه وعدله ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ (٦) ﴿ (٤) .



(١) سورة الانشقاق الآية (٢٠) .

(٢) في غير الأصل : ذكر الآية (بل الذين كفروا يكذبون) .

(٣) في المطبوع : ذكر الآية (والله أعلم بما يوعون) .

(٤) سورة النين الآية (٦) . وقد أثبت الآية على هذا النحو كما في الأصول ، والأولى إثبات آية الانشقاق ، لأن الحديث عن هذه السورة .

﴿ فصل ﴾

{ القسم في سورة التكويد }

ومن ذلك إقسامه سبحانه^(١) ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُسِ (١٥) الْجَوَارِي الْكُنُسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَنَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) ﴾^(٢) ، أقسم سبحانه بالنجوم في أحوالها الثلاث : في^(٣) طلوعها ، وجريانها ، وغروبها ، هذا قول علي^(٤) وابن عباس^(٥) وعامة المفسرين وهو الصواب .
والخنس : جمع خانس ، والخنوس : الانقباض ، والاختفاء ومنه سمي الشيطان خناساً لانقباضه وانكماشه حين يذكر العبد ربه^(٦) ، ومنه قول أبي هريرة (فانخنست منه)^(٧) .
والكنس : جمع كانس وهو الداخل في كناسة أي في بيته ومنه تكنست المرأة إذا دخلت في هودجها ومنه كنست الأطباء إذا آوت إلى أكناسها^(٨) .
والجوارى جمع جارية ، كفاشية وغواش^(٩) قال علي بن أبي طالب^(١٠) : النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل^(١١) وهو^(١٢) قول مقاتل^(١) وعطاء^(٢) وقتادة^(٣) وغيرهم .

(١) في غير الأصل : (ومن ذلك قوله سبحانه : فلا أقسم . .) .

(٢) سورة التكويد الآيات (١٥-١٨) .

(٣) في غير الأصل : (من) .

(٤) أخرج قوله الطبري في تفسيره بسنده (٧٤/٣٠) .

وورد ذكره أيضاً في : البسيط (٥٨٣/١) ، زاد المسير (٤٢/٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٣٦/١٩) وغيرها .

(٥) أخرج أبو الشيخ في العظمة بسند رجاله ثقات عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل (فلا أقسم بالخنس) قال : الخنس نجوم يقطعن الحجرة كما تجري الفرس (الجوارى الكنس) يتوارين . العظمة (١٢١٢/٤) ح (٦٨٢) . وقد نسب إليه أيضاً القرطبي في تفسيره (٢٣٦/١٩) ، وابن كثير في تفسيره (٤٧٩/٤) ، وعزاه في الدر المنثور (٤٣١/٨) إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة (٦) انظر : تهذيب اللغة (١٧٣/٧) .

(٧) سقط هذا الحديث من المطبوع . وهو جزء من حديث يرويه أبو هريرة رضي الله عنه ، أخرجه البخاري في (٥) كتاب الغسل ، (٢٣) باب عرق الجنب ، وأن المسلم لا ينحس ح (٢٨٣) .

(٨) انظر : التهذيب (٦٤-٦٣/١٠) .

(٩) انظر لسان العرب (/) .

(١٠) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (رضي الله عنه) .

(١١) قول علي رضي الله عنه أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧٥-٧٤/٣٠) .

وورد ذكره أيضاً في : معالم التنزيل (٣٤٩/٨) ، زاد المسير (٤٢/٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٣٧/١٩) وعزاه في الدر المنثور (٤٣١/٨) إلى سعيد بن منصور والفريري وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه (١٢) في غير الأصل : (وهذا) .

قالوا : الكواكب تخنس بالنهار فتختفي فلا^(٤) ترى وتكنس في وقت غروبها .
ومعنى تخنس : على هذا القول تتأخر عن البصر وتتوارى عنه بإخفاء النهار لها . وفيه قول
آخر وهو أن خنوسها رجوعها ، وهي حركتها الشرقية^(٥) فإن لها حركتين حركة بفللكها^(٦) وحركة
بنفسها راجعة^(٧) . وعلى هذا فهو قسم بنوع من الكواكب وهي السيارة وهذا قول الفراء^(٨) وفيه
قول ثالث : وهو أن خنوسها وكنوسها اختفاؤها وقعت مغيبها ، فتغيب في مواضعها التي تغيب
فيها ، وهذا قول الزجاج^(٩) .

ولما كان للنجوم ظهور واختفاء^(١٠) وحال جريان ، وحال غروب ، أقسم سبحانه بها في
أحوالها كلها ، ونبه بخنوسها على حال ظهورها لأن الخنوس هو الاختفاء بعد الظهور ولا يقال لما
لم يزل^(١١) مختفياً أنه قد خنس فذكر سبحانه جرياتها وغروبها صريحاً وخنوسها وظهورها واكتفى
من ذكر طلوعها بجرياتها الذي مبدؤه الطلوع فالطلوع أول جرياتها .

فتضمن القسم طلوعها وغروبها وظهورها^(١٢) واختفاءها وذلك من آياته ودلائل ربوبيته
وليس / قول من فسرهما بالظباء^(١٣) وبقر الوحش^(١٤) بالظاهر لوجوه ، أحدها : أن هذه الأحوال في [١/٤١]

الكواكب السيارة أعظم آية وعبرة .

الثاني : (أن)^(١٥) اشتراك أهل الأرض في معرفتها^(١٦) بالمشاهدة والعيان .

(١) ورد ذكره في البسيط (٥٨٣/١) ، وزاد المسير (٤٢/٩) .

(٢) لم أجد من ذكر هذا القول عنه .

(٣) قول قتادة أخرجه الطبري في تفسيره (٧٥/٣٠) .

وورد ذكره أيضاً في البسيط (٥٨٣/١) ، معالم التنزيل (٣٤٩/٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٣٦/١٩) ، تفسير ابن كثير

(٤٧٨ : ٤) وعزاه في الدر المنثور (٤٣٢/٨) إلى عبد بن حميد .

(٤) في غير الأصل : (ولا ترى) .

(٥) في غير الأصل و (ب) : (الشرقية) .

(٦) في المطبوع : (بفعلها) .

(٧) في (م) و (ق) والمطبوع : (وحركة بنفسها ، فخنوسها حركتها بنفسها راجعة) .

(٨) انظر : معاني القرآن للفراء (٢٤٢/٣) .

(٩) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٩٢/٥) .

(١٠) في (ب) : (حال ظهور واختفاء) ، وفي (م) و (ق) والمطبوع : (حال ظهور وحال اختفاء) . .

(١١) في المطبوع : (لم يزل) .

(١٢) في المطبوع : (جرياتها) بدل : (ظهورها) .

(١٣) كما هو قول سعيد بن جبير رحمه الله ذكره في معالم التنزيل (٣٤٩/٨) وزاد المسير (٤٢/٩) وغيرهما .

(١٤) كما هو قول عبد الله بن مسعود وإبراهيم النخعي كما في جامع البيان (٧٥/٣٠) ، والنكت والعيون (٢١٧/٦) وغيرهما .

(١٥) سقط من غير الأصل و (ب) .

(١٦) في (م) و (ق) والمطبوع : (معرفته) .

الثالث : أن البقر والظباء ليست لها حالة تختفي فيها عن العيان مطلقاً بل لا تزال ظاهرة في الفلوات .

الرابع : أن الذين فسروا الآية بذلك قالوا من خنوسها من الاختفاء . قال الواحدي : "هو من الخنس في الأنف ، وهو تأخر الأرنبة ، وقصر القصبة ، والبقر والظباء أنوفهن خنس والبقرة خنساء ، والظبي أخنس" ^(١) ومنه سميت الخنساء لخنس أنفها .

ومعلوم أن هذا أمر خفي يحتاج إلى تأمل فأكثر الناس لا يعرفونه وآيات الرب التي يقسم بها لا تكون إلا ظاهرة جلية يشترك في معرفتها الخلائق فليس الخنس في أنف البقرة والظباء بأعظم من الاستواء والاعتدال في أنف ابن آدم فالآية فيه أظهر ^(٢) .

الخامس : أن كنوسها في أكتنها ليس بأعظم من دخول الطير وسائر الحيوان ^(٣) في أكتنه التي ^(٤) يأوي (فيها) ^(٥) ولا أظهر منه حتى تعين ^(٦) للقسم .

السادس : أنه لو كان جمعاً للظباء لقال الخنس بالتسكين لأنه جمع أخنس ، فهو كأحمر وحر ، ولو أريد به جمع بقرة خنساء لكان على وزن (فعل) ^(٧) أيضاً كحمرء وحر فلما جاء جمعه على (فُعْل) — بالتشديد — استحال أن يكون جمعاً لواحد من الظباء والبقر وتعين أن يكون جمعاً لخنس ، كشاهد وشهد وصائم وصوم وقائم وقوم ونظائرهما .

السابع : أنه ^(٨) ليس بالبين إقسام الله تعالى ^(٩) بالبقر والغزلان وليس هذا عرف القرآن ولا عادته وإنما يقسم سبحانه من كل جنس بأعلاه كما أنه لما أقسم بالنفوس أقسم بأعلاها وهي النفس الإنسانية ولما أقسم بكلامه أقسم بأشرفه وأجله وهو القرآن ولما أقسم بالعلويات أقسم

(١) تفسر البسيط (٥٨٥/١) .

(٢) رجح ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى عموم القول فكل ما كانت صفة الخنوس أحياناً والجري أحياناً فهو داخل في عموم الآية انظر جامع البيان (٧٧/٣٠) ورجح الواحدي ، وكذا القرطبي والشوكاني القول بأنها النجوم لذكر الليل والصبح بعدها . انظر : البسيط (٥٨٥/١) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٣٧/١٩) ، فتح القدير (٤٥٢/٥) .

(٣) في المطبوع : (الحيوانات) .

(٤) في (م) و (ق) والمطبوع : (في بيته الذي) .

(٥) زيادة من (ب) ، وفي (م) و (ق) والمطبوع : (فيه) .

(٦) في المطبوع : (يتعين) .

(٧) في المطبوع (فعلاء) .

(٨) سقط من (ق) .

(٩) في (ب) (إقسام الله) وفي (م) و (ق) والمطبوع : (إقسام الرب تعالى) .

بأشرفها وهو السماء وشمسها وقمرها ونجومها ولما أقسم بالزمان أقسم بأشرفه وهو الليالي العشر وإذا أراد سبحانه أن يقسم بغير / ذلك درجة في العموم كقوله (عز وجل) ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) ﴾ (١) وفوسه ﴿ وَالذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴾ في قراءة رسول الله ﷺ (٢) ونحو ذلك .

الثامن : أن اقتران القسم بالليل والصبح يدل على أنها النجوم وإلا فليس باللائق اقتران البقر والغزلان والليل والصبح في قسم واحد ، وهذا احتج أبو إسحاق على أنها النجوم فقال : (هذا أليق بذكر النجوم منه بذكر الوحش) (٣) .

التاسع : أنه لو أراد ذلك سبحانه لنبه (٤) وذكر ما يدل عليه كما أنه لما أراد بالجواري السفر قال : " ومن آياته الجوار في البحر " وهنا ليس في اللفظ ولا في السياق ما يدل على أنها البقر والظباء وفيه ما يدل على أنها النجوم من الوجوه التي ذكرناها (٥) وغيرها .

العاشر : أن الارتباط الذي بين النجوم التي هي هداية السالكين ، (وزينة للسماء) (٦) ورجوم للشياطين وبين المقسم عليه وهو القرآن الذي هو هدى للعالمين وزينة للقلوب وداحض لشبهات الشياطين أعظم من الارتباط الذي بين البقر والظباء [والقرآن] (٧) والله تعالى أعلم .

(١) سورة الحاقة الآيتان (٣٨-٣٩) .

(٢) كما أخرج ذلك البخاري في صحيحه في (٦٥) كتاب التفسير (٩٢) سورة (والليل إذا يغشى) ح (٤٩٤٤) : (قدم أصحاب عبدالله على أبي الدرداء ، فطلبهم فوجدتهم ، فقال : أيكم يقرأ على قراءة عبدالله ؟ قال : كلنا . قال : فأيكم يحفظ ؟ وأشاروا إلى علقمة ، قال : كيف سمعته يقرأ : (والليل إذا يغشى) قال علقمة : (والذكر والأنثى) قال : أشهد أني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هكذا ، وهؤلاء يريدوني على أن أقرأ (وما خلق الذكر والأنثى) والله لا أتابعهم) .

قال الخافض ابن حجر رحمه الله معنقاً : (قوله : " وهؤلاء " أي أهل الشام ، " يريدوني على أن أقرأ وما خلق الذكر والأنثى والله لا أتابعهم " ، هذا أبين من الرواية التي قبلها حيث قال : " وهؤلاء يأبون علي " ثم هذه القراءة لم تنقل إلا عن ذكر هنا ، ومن عداهم قرءوا " وما خلق الذكر والأنثى " وعليها استقر الأمر مع قوة إسناد ذلك إلى أبي الدرداء ومن ذكر معه ، ولعل هذا مما نسخت تلاوته ولم يبلغ النسخ أبا الدرداء ومن ذكر معه ، والعجب من نقل الحفاظ من الكوفيين هذه القراءة عن علقمة وابن مسعود وإليهما تنتهي القراءة بالكوفة ، ثم لم يقرأ بها أحد منهم ، وكذا أهل الشام حملوا القراءة عن أبي الدرداء ولم يقرأ أحد منهم بهذا ، فهذا مما يقوي أن التلاوة بها نسخت) .

فتح الباري (٥٧٨/٨) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٩١/٥) بتصرف .

(٤) في غير الأصل و (ب) : (لينه) .

(٥) في (ق) : (ذكرنا) .

(٦) سقط من المطبوع .

(٧) سقط من الأصل وأثبتته من البقية .



﴿ فصل ﴾

واختلف في عسعة الليل : هل هي إقباله أم إدباره ؟

فالأكثر : على أن عسعس بمعنى : رآى وذهب وأدبر . هذا قول علي^(١) وابن عباس^(٢) وأصحابه^(٣) .

وقال الحسن : أقبل بظلامه^(٤) وهو إحدى الروايتين عن مجاهد^(٥) . فمن رجع الإقبال قال : أقسم الله سبحانه^(٦) بإقبال الليل وإقبال النهار فقوله (عز وجل) : ﴿ وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ مقابل : ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا عَسَّسَ ﴾ .

قالوا : ولهذا أقسم تعالى^(٧) بـ ﴿ اللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ﴾ (١) وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ﴾ وبالضحى قالوا : فعشيان الليل نظير عسعسته ، وتجلى النهار نظير تنفس الصبح إذ هو مبدؤه وأوله . ومن رجع أنه إدباره : احتج بقوله تعالى : ﴿ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴾ (٣٢) وَاللَّيْلُ إِذَا أَذْبَرَ^(٣٣) وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ ﴾ فأقسم سبحانه^(٨) بإدبار الليل وإسفار الصبح وذلك نظير عسعة الليل وتنفس الصبح .

(١) أخرج قوله الطبري في تفسيره بسنده (٧٨/٣٠) .

وورد ذكره في البسيط (٥٨٧/١) ، والنكت والعيون (٢١٧/٦) ، وتفسيره ابن كثير (٤٧٩/٤) .

(٢) أخرج قوله الطبري في تفسيره بسنده (٧٨/٣٠) .

وذكره أيضاً في : البسيط (٥٨٦/١) ، والنكت والعيون (٢١٧/٦) ، زاد المسير (٤٢/٩) وغيرها .

(٣) مثل عطاء ، والكلبي ، والضحاك ومجاهد .

انظر : جامع البيان (٧٨/٣٠) ، البسيط (٥٨٦/١) ، النكت والعيون (٢١٧/٦) ، المحرر الوجيز (٤٤٤/٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٣٨/١٩) ، الدر المنثور (٤٣٣/٨) .

(٤) أخرج قوله الطبري في تفسيره بسنده (٧٨/٣٠) .

وورد ذكره في : البسيط (٥٨٧/١) ، معالم التنزيل (٣٤٩/٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٣٨/١٩) ، تفسير ابن كثير (٤٧٩/٤) تفسير الحسن البصري (٢٠٤/٢) .

(٥) أخرج قوله الطبري في تفسيره بسنده (٨٧/٣٠) وفيه : (واللَّيْلُ إِذَا عَسَّسَ) قال : إقباله ، ويقال : إدباره .

وانظر : الدر المنثور (٤٣٣/٨) وعزاه إلى عبد بن حميد .

(٦) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة : (وتعالى) .

(٧) في (ق) : (سبحانه وتعالى ، وفي المطبوع : (أقسم الله بالليل . .) .

(٨) سقط من غير الأصل و (ب) .

قالوا : والأحسن أن يكون القسم بانصرام الليل وإقبال النهار عقيبه^(١) من غير فصل فهذا أعظم / في الدلالة والعبرة ، بخلاف إقبال الليل وإقبال النهار فإنه لم يعرف القسم في القرآن بهما ، [١/٤٢] ولأن بينهما زمن طويل . فالآية في انصرام هذا ونحيء الآخر عقيبه بغير فصل أبلغ . فذكر سبحانه حالة ضعف هذا وإدباره وحالة قوة هذا وتنفسه وإقباله يطرد ظلمة الليل بتنفسه ، فكلما تنفس هرب الليل وأدبر بين يديه . وهذا هو القول^(٢) .^(٣)



(١) في (م) و (ق) والمطبوع : (فإنه عقيبه) .

(٢) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة : (والله أعلم) .

(٣) انظر : جامع البيان (٧٩/٣٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٣٨/١٩) .

﴿ فصل ٤٠ ﴾

{ بيان المقسم عليه }

ثم ذكر سبحانه المقسم عليه وهو القرآن . وأخبر أنه قول رسول كريم وهو ههنا جبريل قطعاً لأنه ذكر صفته بعد ذلك بما يعينه به وأما الرسول الكريم في الحاقة^(١) فهو محمد ﷺ لأنه نفى بعده أن يكون قول من زعم أعداؤه^(٢) أنه قوله فقال (تعالى) : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) ﴾^(٣) فأضافه إلى الرسول الملكي تارة وإلى البشري تارة وإضافته إلى كل واحد من الرسولين إضافة تبليغ لا إضافة إنشاء من عنده وإلا تناقضت النسبتان ولفظ الرسول يدل على ذلك .

فإن الرسول هو الذين يبلغ كلام من أرسله وهذا صريح في أنه كلام من أرسل جبريل ومحمداً ﷺ وأن كلا منهما بلغه عن الله ، فهو قوله مبلغاً ، وقول الله الذي تكلم به حقاً ، فلا راحة لمن أنكر أن يكون الله (تعالى) متكلماً بالقرآن ، وهو كلامه حقاً في هاتين الآيتين بل هما من أظهر الأدلة على كونه كلام الرب تعالى ، وأنه ليس للرسولين الكريمين منه إلا التبليغ ، فجبريل سمعه من الله ومحمد ﷺ^(٤) سمعه من جبريل ، ووصف رسوله الملكي في هذه السورة بأنه كريم قوي مكين عند الرب [تعالى]^(٥) ، مطاع في السماوات ، أمين ، فهذه خمس صفات تتضمن تزكية سند القرآن ، وأنه سماع محمد من جبريل ، وسماع جبريل من رب العالمين ، فناهيك بهذا السند علواً وجلالة : قول الله سبحانه بنفسه تزكيته الصفة الأولى^(٦) : كون الرسول الذي جاء [به]^(٧) إلى محمد ﷺ^(٨) كريماً ، ليس كما يقول أعداؤه أن الذي جاء به شيطان ، فإن الشيطان خبيث مخبث ، لئيم قبيح المنظر ، عديم الخير ، باطنه أقبح من ظاهره وظاهره أشنع من

(١) في قوله تعالى : ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ آية (٣٠) .

(٢) في المطبوع : (من أعدائه) .

(٣) سورة الحاقة الآيتان (٤١ - ٤٢) .

(٤) سقط من الأصل و (ب) ، وأثبتته من البقية .

(٥) سقط من الأصل و (ب) ، وأثبتته من البقية .

(٦) في الأصل و (ب) : (الأول) .

(٧) سقط من الأصل .

(٨) سقط من الأصل و (ب) ، وأثبتته من البقية .

باطنه ، وليس فيه ولا عنده / خير فهو أبعد شيء عن^(١) الكرم ، والرسول الذي ألقى القرآن إلى محمد (صلى الله عليه وسلم)^(٢) كرم جميل المنظر هي السورة كثير الخير ، طيب مطيب ، معلم الطيبين ، كل^(٣) خير في الأرض من هدى وعلم ومعرفة وإيمان وبر^(٤) فهو مما أجراه ربه على يديه ، وهذا غاية الكرم الصوري والمعنوي .

الوصف الثاني : أنه ذو قوة كما قال في موضع آخر : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾^(٥) وفي ذلك تنبيه على أمور :

أحدها : أنه بقوته يمنع الشياطين أن تدنوا منه وأن ينالوا منه شيئاً أو يزيدوا^(٦) فيه وينقصوا منه ، بل إذا رآه الشيطان هرب منه ولم يقربه .

الثاني : أنه موال لهذا الرسول الذي كذبتموه ، ومعاضد له ، موادد له وناصر كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾^(٧) (٤) ومن كان هذا القوي وليه ، ومن أنصاره وأعوانه ، ومعلمه فهو المهدي المنصور ، والله هاديه وناصره .

الثالث : أن من عادى هذا الرسول فقد عادى صاحبه ووليه جبريل ، ومن عادى ذا^(٨) القوة والشدة فهو عرضة للهلاك .

الرابع : أنه قادر على تنفيذ ما أمر به لقوته ، فلا يعجز عن ذلك ، مؤد له كما أمر به لأمانته فهو القوي الأمين (وأحدكم إذا انتدب غيره في أمر من الأمور لرسالة أو ولاية أو وكالة أو غيرها ، فإنما ينتدب لها القوي عليه الأمين)^(٩) على فعله وإن كان ذلك الأمر من أهم الأمور

(١) في (ق) : (من) .

(٢) سقط من الأصل و (ب) ، وأثبت من البقية .

(٣) في المطبوع : (وكل) .

(٤) سقط من (ق) .

(٥) سورة النجم الآية (٥) .

(٦) في (م) و (ق) والمطبوع : (وأن يزيدوا) .

(٧) سورة التحريم الآية (٤) .

(٨) في (م) و (ق) : (ذو) .

(٩) ما بين المعقوفين سقط من الأصل .

عنده انتدب له قوياً أميناً معظماً ذا مكانة عنده مطاعاً في الناس كما وصف^(١) عبده جبريل بهذه الصفات وهذا يدل على عظمة شأن المرسل والرسول والرسالة والمرسل إليه حيث انتدب له الكريم القوي المكين عنده المطاع في الملأ الأعلى ، الأمين حق الأمين فإن الملوك لا ترسل في مهماتها إلا الأشراف ذوي الأقدار والرتب العالية وقوله (عز وجل) ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ (٢٠) أي : له مكانة ووجاهة عنده ، وهو أقرب الملائكة إليه .

وفي قوله : ﴿ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ ﴾ إشارة إلى علو منزلة جبريل ، إذ كان قريباً من ذي العرش سبحانه وفي قوله : ﴿ مُطَاعٌ ثُمَّ ﴾^(٣) إشارة إلى أن جنوده وأعوانه / يطيعونه إذا نذبهم [١/٤٣] لنصر صاحبه وخليفه محمد ﷺ ، وفيه إشارة أيضاً إلى أن هذا الذي تكذبونه وتعادونه سيصير مطاعاً في الأرض ، كما أن جبريل مطاع في السماء ، وأن كلاً من الرسولين مطاع في محله وقومه ، وفيه تعظيم له بأنه بمنزلة الملوك المطاعين في قومهم ، فلم ينتدب لهذا الأمر العظيم إلا مثل هذا الملك المطاع .

وفي وصفه بالأمانة^(٤) إشارة إلى حفظ^(٥) ما حملة وأدائه له على وجهه . ثم نزه رسوله البشري وزكاه عن ما يقول فيه أعداؤه فقال (تعالى) : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ (٢٢) ﴿^(٦) وهذا أمر يعلمونه ولا يشكون فيه وإن قالوا بألستهم خلافة فهم يعلمون أنهم كاذبون .

ثم أخبر عن رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل ، وهذا يتضمن أنه ملك موجود في الخارج يرى بالعيان ويدركه البصر ، لا كما تقول المتفلسفة ومن قلدهم أنه العقل الفعال ، وأنه ليس مما يدرك بالبصر وحقيقته عندهم : أنه خيال موجود في الأذهان لا في الأعيان ، وهذا مما خالفوا به جميع الرسل وأتباعهم ، وخرجوا به عن جميع الملل .

ولهذا كان تقرير رؤية النبي ﷺ لجبريل أهم من تقرير رؤيته لربه تعالى ، فإن رؤيته لجبريل هي أصل الإيمان الذي لا يتم إلا باعتقادها ومن أنكرها كفر قطعاً .

(١) في المطبوع : (كما وصف الله عبده) .

(٢) سورة التكوين الآية (٢٠) .

(٣) سورة التكوين الآية (٢١) . وفي المطبوع إكماله الآية (أمين) .

(٤) تعرفت في (ق) إلى : (الأمان) .

(٥) في (م) و (ق) والمطبوع : (حفظه) .

(٦) في المطبوع : (إنهم كانوا كاذبين) .

وأما رؤيته لربه (تعالى) ^(١) فغايتها أن تكون مسألة نزاع لا يكفر جاحدها بالاتفاق ، وقد صرح جماعة من الصحابة بأنه لم يره ، وحكى عثمان بن سعيد الدارمي ^(٢) [اتفاق] ^(٣) الصحابة على ذلك ^(٤) فنحن إلى تقرير رؤيته لجبريل أحوج منا إلى تقرير رؤيته لربه تعالى ، وإن كانت رؤية الرب تعالى أعظم من رؤية جبريل ومن دونه ، فإن النبوة لا تتوقف على ثبوتها عليها البتة .

ثم نزه رسوله / كليهما ، أحدهما بطريق النطق ، والثاني بطريق اللزوم عما يضاد مقصود [ب/٤٣] الرسالة من الكتمان الذي هو الضنة والبخل ، والتبديل والتغيير الذي يوجب التهمة فقال : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينَ ﴾ ^(٥) فإن الرسالة لا يتم مقصودها إلا بأمرين : أداؤها من غير كتمان ، وأداؤها على وجهها من غير زيادة ولا نقصان .

والقراءتان كالأيتين فتضمنت إحداهما ^(٦) وهي قراءة الضاد ^(٧) تزيهه عن البخل فإن الضنين البخل يقال ضننت به أضن ^(٨) ، بوزن بخلت به أبخل ومعناه ، ومنه قول جميل بن معمر :
أجود بمضنون التلاد وإنني لسرك ^(٩) عن سألني لضمنين ^(١٠)

قال ابن عباس ^(١١) : ليس ببخيل بما أنزل الله (عز وجل) ^(١٢) وقال مجاهد : لا يضمن عليهم بما يعلم ^(١٣) .

(١) سقط من (ب) .

(٢) الدارمي هو عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني أبو سعيد ، الإمام العلامة كان قدماً في عيون المتدعة ، حسن الشاطرة ، أكثر الترحال في طلب الحديث وصنف عدة مصنفات منها : " المسند " ، ورده على بشر المرسى وغيرهما توفي سنة (٢٨٠) هـ .

انظر : تذكرة الحفاظ (٦٢١/٢) ، شذرات الذهب (١٧٦/٢) .

(٣) سقط من الأصل .

(٤) انظر : نقض الدارمي على المريسي (٧٣٨/٢) .

(٥) سورة التكويد الآية (٢٤) .

(٦) هكذا في الأصل و (م) ، وفي غيرها : (أحدها) .

(٧) وهي قراءة : (نافع وابن عامر وعاصم وحمزة وروح وخلف وأبو جعفر) انظر إرشاد المبتدي للقلانسي ص (٦٢٣) والتذكرة لأبي الحسن (٦١٧/٢) .

(٨) في (ق) : (أضن) .

(٩) في غير الأصل : (بسرك) .

(١٠) لم أحده في ديوانه .

(١١) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة : (رضي الله عنهما) .

(١٢) انظر الدر المنثور (٤٣٥/٨) وعزاه إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وابن حرير ولم أحدها عنده في تفسيره .

(١٣) اخرج هذه الرواية الطبري في تفسيره بسنده (٨٢/٣٠) . وهي أيضاً في تفسيره (٧٠٩/٢) ، وعزاه في الدر المنثور (٤٣٥/٨) إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

وأجمع المفسرون على أن الغيب ههنا القرآن والوحي وقال الفراء : (يقول تعالى يأتيه غيب السماء وهو منفوس فيه فلا يضمن به عليكم)^(١) وهذا معنى حسن جداً فإن عادة النفوس الشح بالشيء النفيس ولا سيما عمن لا يعرف سره ويذمه ويذم من هو من^(٢) عنده ومع هذا فهذا الرسول لا يخل عليكم بالوحي الذي هو أنفوس شيء وأجله .

وقال أبو علي الفارسي : المعنى يأتيه الغيب فيبينه ويخبر به ويظهره ولا يكتمه كما يكتُم الكاهن ما عنده ويخفيه حتى يأخذ عليه حلواناً^(٣) .

وفيه معنى آخر : وهو أنه على ثقة من الغيب الذي يخبر به فلا يخاف أن ينتقض ، ويظهر الأمر بخلاف ما أخبر به كما يقع للكهان وغيرهم ممن يخبر بالغيب فإن كذبهم أضعاف صدقهم وإذا أخبر أحدهم بخبر لم يكن على ثقة منه ، بل هو خائف من ظهور كذبه ، فإقدام هذا الرسول على الإخبار بهذا الغيب العظيم الذي هو أعظم الغيب واثقاً به مقيماً عليه مبدئاً له في كل مجمع ومعيداً منادياً به على صدقه ، مستحلياً^(٤) به لأعدائه من أعظم الأدلة على صدقه .

وأما قراءة من قرأ " بظنين " بالطاء^(٥) فمعناه المتهم ، يقال : ظننت زيداً بمعنى / اتهمته . [١/٤٤]
وليس من الظن الذي هو الشعور والإدراك ، فإن ذلك يتعدى إلى مفعولين^(٦) ، ومنه ما أنشد أبو عبيدة^(٧) :

أما وكتاب الله لا عن شناعة هجرت ولكن المحب ظنين^(٨)

(١) معاني القرآن للفراء (٢٤٢/٣) .

(٢) سقطت (من) من غير الأصل .

(٣) الحجة لأبي عل الفارسي (٣٨١/٦) بتصرف يسير جداً .

(٤) في المطبوع : (مجلباً على) .

(٥) وهي قراءة : (ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس) انظر إرشاد المبتدي للفلاسي ص (٦٢٣) والتذكرة لأبي الحسن (٦١٧/٢) .

(٦) انظر : الحجة للفارسي (٣٨٠-٣٨١/٦) .

(٧) لم أحده في (محاز القرآن) .

(٨) البيت في اللسان : فلا ويمين الله لا عن جنابة .. هجرت ولكن الظنين ظنين .

وفي الكامل (٢٣/١) : (. . . ما عن جنابة .. بدل : لا عن جنابة .

وقد نسب ابن بري إلى نزار بن تيسة كما في اللسان . وقال في الكامل : ومن ذلك قول الشاعر أحسبه عبدالرحمن بن حسان .

ونقنه عنه الأزهر في التهذيب (٣٦٤/١٤) .

والمنعنى : وما هذا الرسول على القرآن بمتهم ، بل هو أمين لا يزيد فيه ولا ينقص^(١) ، وهذا يدل على أن الضمير يرجع إلى محمد ﷺ لأنه قد تقدم وصف الرسول الملكي بالأمانة ثم قال : " وما صاحبكم بمجنون " ثم قال : " وما هو " أي : وما صاحبكم بمتهم ولا بخيل .

واختار أبو عبيدة^(٢) قراءة الظاء لمعنيين :

أحدهما : أن الكفار لم يخلوه : وإنما أتهموه . فنفي التهمة أولى من نفي البخل .

الثاني : أنه قال " على الغيب " ولو كان المراد البخل لقاله : بالغيب ، لأنه يقال فلان ضنين بكذا ، وقل ما يقال : على كذا .

قلت : ويرجح أنه وصفه بما وصف به رسوله الملكي من الأمانة فنفي عنه التهمة ، كما وصف جبريل بأنه أمين .

ويرجح أيضاً : أنه سبحانه نفى أقسام الكذب كلها عما جاء به من^(٣) الغيب ، فإن ذلك لو كان كذباً ، فإما أن يكون منه ، أو ممن علمه ، وإن كان منه فإما أن يكون تعمده أو لم يتعمده ، فإن كان من معلمه فليس هو بشيطان^(٤) رجيم ، وإن كان منه مع التعمد فهو المتهم ضد الأمين ، وإن كان من^(٥) غير تعمد فهو المجنون ، فنفي سبحانه عن رسوله ذلك كله ، وزكى سند القرآن أعظم التزكية فلهذا قال سبحانه : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ (٢٥) ^(٦) أي ليس بتعليم^٧ الشيطان ولا يقدر عليه ولا يحسن منه ، كما قال^(٨) : ﴿ وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴾ (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) ^(٩) فنفي فعلهم^(١٠) وابتغاءهم منهم وقدرتهم عليه . وكل من له أدنى خيرة بأحوال الشياطين والمجانين والمتهمين وأحوال الرسل يعلم

(١) كما هو مروي عن ابن زيد بكلام نحوه عند الطبري في تفسيره (٨٢ / ٣٠) .

(٢) في (م) و (ق) : (أبو عبيد) .

(٣) في (ق) و (م) : (عن) .

(٤) في (ق) : (شيطان) .

(٥) في (ب) و (م) والمطبوع : (عن) وفي (ق) ساقطة .

(٦) سورة النكوير الآية (٢٥) .

(٧) في (م) و (ق) والمطبوع : (تعليم) .

(٨) في غير الأصل و (ب) : زيادة (تعالى) .

(٩) سورة الشعراء الآيتان (٢١٠ - ٢١١) .

(١٠) في المطبوع : (فعله) .

علماً لا يمارى فيه ولا يشك بل علماً ضرورياً كسائر الضروريات منافاة أحدهما / للآخر ومضادته له ، كمنافاة أحد الضدين لصاحبه ، بل ظهور المنافاة بين الأمرين للعقل أبين من ظهور المنافاة بين النور والظلمة للبصر .

ولهذا وبخ سبحانه من كفر بعد ظهور هذا الفرق المبين بين دعوة الرسل^(١) ودعوة الشيطان فقال (تعالى) : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) ﴾^(٢) قال أبو إسحاق : " المعنى فأين طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بينت لكم " ^(٣) .

قلت : هذا من أحسن الإلزام وأبينه أن يبين للسامع الحق ثم يقول له : أيش تقول خلاف هذا ؟ ! وأين تذهب خلاف هذا ؟ ! .

قال تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠) ﴾^(٤) وقال (تعالى) : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦) ﴾^(٥) ، فالأمر منحصر في الحق والباطل والهدى والضلال ، فإذا عدلتم عن الهدى والحق فأين العدل^(٦) وأين المذهب ؟ .

ونظير هذا قوله سبحانه^(٧) : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) ﴾^(٨) أي : إن أعرضتم عن الإيمان بالقرآن والرسول وطاعته فليس إلا الفساد في الأرض بالشرك^(٩) والمعاصي وقطيعة الرحم .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ (٥) ﴾^(١٠) لما تركوا الحق وعدلوا عنه مرج عليهم أمرهم والتبس فلا يدرون ما يقولون وما يفعلون بل لا

(١) في (ب) و (م) : (دعوة الرسول ودعوى الشياطين) ، وفي (ق) والمطبوع : (دعوة الرسل ودعوة الشياطين) .

(٢) سورة التكوين الآية (٢٦) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢٩٣/٥) .

(٤) سورة المرسلات الآية (٥٠) .

(٥) سورة الحاثية الآية (٦) .

(٦) في المطبوع : (العدل) .

(٧) سقط من المطبوع .

(٨) سورة محمد الآية (٢٢) .

(٩) في المطبوع : (والشرك) .

(١٠) سورة ق الآية (٥) .

يقولون شيئاً إلا كان (باطلاً ، ولا يفعلون شيئاً إلا كان ضائعاً)^(١) غير نافع لهم ، وهذا شأن كل من خرج عن الطريق (المستقيم في قوله وفعله ، وهو بمنزلة من خرج عن الطريق)^(٢) الموصول المقصود^(٣).

ونظيره قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾^(٤) وقد كشف هذا المعنى كل الكشف بقوله غر وجل : ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّا تُصْرِفُونَ ﴾^(٥) (٣٢) .



(١) سقط من (ق) .

(٢) سقط من المطبوع .

(٣) في غير الأصل و (ب) : (إلى المقصود) .

(٤) سورة القصص الآية (٥٠) .

(٥) سورة يونس الآية (٣٢) .

﴿ فصل ٥٠ ﴾^(١)

{ وصف القرآن ، ومعنى كونه ذكراً }

ثم أخبر تعالى عن القرآن بأنه ذكر للعالمين^(٢)، وفي موضع آخر تذكرة للمؤمنين^(٣) [وفي موضع آخر ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقومه^(٤) وفي موضع آخر ذكر مطلق^(٥)]^(٦) وفي موضع آخر : ذكر مبارك^(٧)، وفي موضع آخر : وصفه بأنه ذو الذكر^(٨).

ويجمع هذه المواضع يتيين^(٩) المراد من كونه ذكراً عاماً وخاصاً وكونه ذا ذكر فإنه يذكر

العباد بمصالحهم في معاشهم ومعادهم ، ويذكر^(١٠) بالمبدأ والمعاد ، ويذكرهم / بالرب تعالى [١/٤٥] وأسمائه وصفاته وأفعاله وحقوقه على عباده ، ويذكرهم بالخير ليقتصدوه وبالشر ليحذروه ، ويذكرهم بنفوسهم وأحوالها وآفاتهما وما تكمل به ، ويذكرهم بعدوهم وما يريد منهم وبما إذا يخترزون من كيده ، ومن أي الأبواب والطرق يأتي إليهم ، ويذكرهم بفاقتهم وحاجتهم إلى ربه^(١١) وأنهم مضطرون إليه لا يستغنون عنه نفساً واحداً ، ويذكرهم بنعمه عليهم ويدعوهم بها إلى نعم أخرى أكبر منها ، ويذكرهم باسمه وشدة بطشه وانتقامه ممن عصى أمره وكذب رسله ، ويذكرهم بثوابه وعقابه ، ولهذا يأمر سبحانه عباده أن يذكروا ما في كتابه كما قال (تعالى) :

(١) سقط من الأصل .

(٢) في قوله تعالى : ﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ هنا في التكويد .

(٣) في قوله تعالى : ﴿ ولكن ذكرى لعلهم يتقون ﴾ في سورة الأنعام .

(٤) في قوله تعالى : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾ في سورة الزخرف .

(٥) في قوله تعالى : ﴿ إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ﴾ في سورة يس .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل .

(٧) في قوله تعالى : ﴿ وهذا ذكر مبارك أنزلناه . . ﴾ في سورة الأنبياء .

(٨) في قوله تعالى : ﴿ ص . القرآن ذي الذكر ﴾ في سورة ص .

(٩) في (ب) و (ق) والمطبوع : (ويجمع هذه المواضع يتيين . .) .

(١٠) في غير الأصل : (ويذكرهم) .

(١١) في (م) و (ق) والمطبوع : (إليه) بدل : (إلى ربه) .

﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٦٣) ^(١) وإذا كان كذلك فأحق وأولى وأول من ^(٢) كان ذكراً ^(٣) له من أنزل عليه ، ثم لقومه ، ثم لجميع العالمين وحيث خص به المتقين فلأنهم الذين انتفعوا بذكره ^(٤) ، وأما وصفه بأنه ذو الذكر فلأنه مشتمل على الذكر فهو صاحب الذكر وفيه ^(٥) الذكر فهو ذكر وفيه الذكر كما أنه هدى وفيه الهدى ، وشفاء وفيه الشفاء ، ورحمة وفيه الرحمة .

وقوله سبحانه : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ (٢٨) ^(٦) بدل من العالمين وهو بدل بعض من كل ، وهذا من أحسن ما يستدل به على أن البدل في قوة ذكر عاملين مقصودين ، فإنه جهة كونه ذكراً للعالمين كلهم ، غير جهة كونه ذكراً لأهل الاستقامة فإنه ذكر للعموم بالصلاحية والقوة ، وذكر لأهل الاستقامة بالحصول والنفع . فكما أن البدل أخص من المبدل منه ، فالعامل المقدر فيه أخص من العامل الملفوظ في المبدل منه ولا بد من هذا فتأمله ^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ (٢٨) ^(٨) رد على الجبرية القائلين بأن العبد لا مشيئة له ، وأن مشيئته مجرد علامة على حصول الفعل لا ارتباط بينهما ^(٩) وبينه إلا مجرد اقتران عادي من غير أن يكون سبباً فيه .

وقوله (تعالى) : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ ^(١٠) رد على القدرية القائلين / بأن [ب/٤٥] مشيئة العبد مستقلة بإيجاد الفعل من غير توقف على مشيئة الله (عز وجل) ^(١١) ، بل متى شاء

(١) سورة البقرة الآية (٦٣) .

(٢) في المطبوع و (ق) : (ظن) .

(٣) في المطبوع : (ذاكر له) .

(٤) في (ق) : (ظن) .

(٥) في المطبوع : (ومنه) .

(٦) سورة التكويد الآية (٢٨) .

(٧) انظر في هذه المسألة : أسرار العربية لابن الأنباري (٣٠٠-٣٠١) شرح التصريح على التوضيح (١٥٥/٢) .

(٨) في (م) و (ق) والمطبوع : (لمن شاء منكم) بدون تكملة الآية .

(٩) في غير الأصل و (ب) : (بينها) .

(١٠) سورة التكويد الآية (٢٩) .

(١١) سقط من (ب) و (م) و (ق) والمطبوع .

العبد الفعل وجد ، ويستحيل عندهم تعلق مشيئة الله عز وجل بفعل العبد ، بل هو يفعله بدون مشيئة الله (تعالى)^(١).

فالآيتان مبطلتان لقول الطائفتين ، فإن قال الجبري : هو سبحانه لم يقل إن الفعل واقع بمشيئة العبد ، بل أخبر أن الاستقامة تحصل عند المشيئة ، ونحن قائلون بذلك ، وقال القدري : قوله (عز وجل) : ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ المشيئة^(٢) مختلفة . فمشيئة العبد هي الموجبة للفعل التي بها يقع ومشيئة الله لفعله هو أمره له به ونحن لا ننكر ذلك .
فالجواب : أن هذا من تحريف الطائفتين :

أما الجبري فيقال له : اقتران الفعل عندك بمشيئة العبد بمثالة اقترانه بكونه وشكله وسائر أعراضه التي لا تأثير لها في الفعل فإن نسبة جميع أعراضه إلى الفعل في عدم التأثير نسبة إرادته^(٣) عندك والاقتران حاصل بجميع أعراضه فما الذي أوجب تخصيص المشيئة ؟ وهل سوى الله سبحانه في فطر الناس أو عقولهم أو شرائعهم ، بين نسبة المشيئة والإرادة إلى الفعل ، ونسبة سائر أعراض الحي إذ كان^(٤) إلا مجرد الاقتران عادة ؟ والاقتران العادي حاصل مع الجميع .

وأما القدري : فتحريفه أشد ، لأنه حمل المشيئة على الأمر وقال : المعنى وما تشاءون إلا أن يأمر^(٥) الله ، وهذا باطل قطعاً ، فإن المشيئة في القرآن لم تستعمل في ذلك ، وإنما استعملت في مشيئة التكوين كقوله (تعالى) : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾^(٦) وقوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَوْا ﴾^(٧) وقوله : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾^(٨) وقوله : ﴿ أَفَلَمْ يَكُنْ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾^(٩) ونظائر ذلك مما لا يصح^(١٠) حمل المشيئة على الأمر البتة

(١) سقط من (ب) و (م) و (ق) والمطبوع .

(٢) سقط من المطبوع .

(٣) في (م) و (ق) والمطبوع : (إرداية) .

(٤) في (م) و (ق) والمطبوع : (إذ كان عندك) .

(٥) في المطبوع : (إلا بأمر الله) .

(٦) سورة الأنعام الآية (١١٢) .

(٧) سورة البقرة الآية (٢٥٣) .

(٨) سورة السجدة الآية (١٣) .

(٩) سورة الرعد الآية (٣١) .

والذي دلت عليه الآية مع سائر أدلة التوحيد وأدلة العقل الصريح أن مشيئة العباد من جملة الكائنات التي لا / توجد إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى فما لم يشأ لم يكن البتة كما أن ما شاء [١/٤٦] كان ولا بد ، ولكن هاهنا أمر يجب التنبيه عليه وهو أن مشيئة الله سبحانه تارة تتعلق بفعله ، وتارة تتعلق بفعل العبد ، فتعلقها بفعله سبحانه هو أن يشاء من نفسه إعانة عبده وتوفيقه وهيئته للفعل فهذه المشيئة تستلزم فعل العبد ومشيئته ، ولا يكفي في وقوع الفعل مشيئة الله لمشيئة عبده دون أن يشاء فعله ، فإنه سبحانه قد يشاء من عبده المشيئة وحدها فيشاء العبد الفعل ويريده ولا يفعله لأنه لم يشأ من نفسه (سبحانه) إعانته عليه وتوفيقه هل ، وقد دل على هذا وهذا^(٢) قوله تعالى^(٣) : ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) ﴾ وقوله : ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾^(٥) .

وهاتان الآيتان متضمنتان إثبات الشرع والقدر ، والأسباب والمسببات ، وفعل العبد واستناده إلى فعل الرب ، ولكل منهما عبودية يختص^(٦) بها .

فعبودية الآية الأولى : الاجتهاد واستفراغ الوسع والاختيار والسعي .

وعبودية الثانية الاستعانة بالله والتوكل عليه واللجأ إليه واستئصال التوفيق والعون منه ، والعلم بأن العبد لا يمكنه أن يشاء ولا يفعل حتى يجعله الله كذلك . وقوله : ﴿ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ينتظم ذلك كله ويتضمنه ، فمن عطل أحد الأمرين فقد جحد كمال الربوبية وعطلها .

وبالله التوفيق



(١) في غير الأصل : (مما لا يصح فيه حمل . . .) .

(٢) سقط من المطبوع .

(٣) سقط من (م) و (ق) .

(٤) سورة النكوير الآية (٢٩) . وفي المطبوع بداية الآية من أولها .

(٥) سورة المدثر الآية (٥٦) .

(٦) في المطبوع : (مختص) .

﴿ فصل ﴾

{ القسم في سورة النازعات }

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) ﴾ ^(١) فهذه خمسة أمور وهي صفات الملائكة . فأقسم سبحانه بالملائكة الفاعلة لهذه الأفعال إذ ذاك ^(٢) من أعظم آياته ، وحذف مفعول الترع والنشط لأنه لو ذكر ما ترع وتنشط لأوهم التقييد ، ولأن القسم على نفس الأفعال الصادرة من هؤلاء الفاعلين فلم يتعلق الغرض بذكر المفعول كقوله (تعالى) : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى (٥) ﴾ ^(٣) ونظائره / .

[٤٦/ب]

فكان نفس الترع هو المقصود لآعين المتروع ، وأكثر المفسرين على أنها ^(٤) التي ترع أرواح بني آدم من أجسامهم وهم جماعة كقوله (تعالى) : ﴿ تَوَفَّنَهُ رُسُلُنَا ﴾ ^(٥) وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ ^(٦) ، وأما قوله (عز وجل) : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ ^(٧) ^(٨) ، فإما أن يكون واحداً وله أعوان ، وإما أن يكون المراد الجنس لا الوحدة ^(٩) كقوله (تعالى) : ﴿ وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهُ ﴾ ^(١٠) وقوله (تعالى) : ﴿ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ ^(١١) والترع هو اجتذاب الشيء بقوة والإغراق

(١) سورة النازعات الآيات (١ - ٥) .

(٢) في (م) و (ق) والمطبوع : (ذلك) .

(٣) سورة الليل الآية (٥) .

(٤) في غير الأصل و (ب) : زيادة (الملائكة) .

(٥) سورة الأنعام الآية (٦١) .

(٦) سورة النساء الآية (٩٧) .

(٧) سورة السجدة الآية (١١) .

(٨) في المطبوع : زيادة : (الذي وكل بكم) .

(٩) في (ق) : (كالوحدة) .

(١٠) سورة النحر الآية (١٢) .

(١١) سورة النحل الآية (١٨) .

في الترع أن يجتذبه إلى آخره ، ومنه إغراق الترع في جذب القوش^(١) أن^(٢) يبلغ بها نهاية^(٣) المد ، فيقال : أغرق في الترع ، ثم صار مثلاً لكل من بالغ في فعل حتى وصل إلى آخره ، والغرق اسم مصدر أقيم مقامه كالعطاء والكلام أقيم مقام الإعطاء والتكلم^(٤) .
واختلف الناس هل^(٥) النازعات متعدياً ولازماً^(٦) ؟ فعلى القول الذي حكيناه يكون متعدياً ، وهذا قول علي^(٧) ومسروق^(٨) ومقاتل^(٩) وأبي صالح^(١٠) وعطية عن ابن عباس^(١١) .
وقال ابن مسعود : هي أنفوس الكفار^(١٢) وهو قول قتادة^(١٣) والسدي^(١٤) وعطاء عن ابن عباس^(١٥) وعلى هذا فهو فعل^(١٦) لازم ، وغرقاً على هذا معناه : نزعاً شديداً أبلغ ما يكون وأشدّه^(١٧) .

(١) هكذا في الأصل ، وفي (م) و (ف) : (القوس) ، وفي المطبوع (القوة) .

(٢) في المطبوع : (بأن) .

(٣) في غير الأصل : (غاية) .

(٤) انظر : لسان العرب (٥٧/١٠) .

(٥) في (ب) و (م) و (ف) : (على) .

(٦) في المطبوع : (أو لازم) .

(٧) انظر : زاد المسير (١٤/٩) ، الدر المنثور (٤٠٣/٨) وعزاه إلى سعيد بن منصور ، وابن المنذر .

(٨) انظر : جامع البيان (٢٧/٣٠) ، النكت والعيون (١٩٢/٦) ، تفسير ابن كثير (٤٦٦/٤) وغيرها .

(٩) انظر : النكت والعيون (١٩٢/٦) ، معالم التنزيل (٣٢٣/٨) .

(١٠) انظر تفسير ابن كثير (٤٦٦/٤) ، الدر المنثور (٤٠٤/٨) وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(١١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٧/٣٠) . وورد ذكره أيضاً في : بحر العلوم (٤٤٣/٣) ، النكت والعيون (١٩٢/٦)

معالم التنزيل (٣٢٣/٨) ، المحرر الوجيز (٢١٨/١٦) ، زاد المسير (١٤/٩) وغيرها .

(١٢) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤٠٤/٨) .

وورد ذكره أيضاً في النكت والعيون (١٩٢/٦) ، زاد المسير (١٤/٩) ، الجامع لأحكام القرآن (١٩٠/١٩) .

(١٣) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره بإسناده (٣٤٥/٢) .

وورد ذكره أيضاً في : المراجع السابقة .

(١٤) أخرجه قوله الطبري في تفسيره بإسناده (٢٨/٣٠) .

وكذا أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤٠٤/٨) .

(١٥) نسبته إليه الواحدي في البسيط (٥٠٤/١) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٩٠/١٩) من غير ذكر الطريق إلى ابن عباس

، وابن كثير في تفسيره (٤٦٦/٤) .

(١٦) في (ف) : (قول لازم) .

(١٧) البسيط (٥٠٤/١) .

وفي هذا القول ضعف من وجوه :

أحدها : أن عطف ما بعده عليه يدل على أنها الملائكة فهي الساجحات والمدبرات والنازعات .

الثاني : أن الإقسام بنفوس الكفار خاصة ليس بالبين ، ولا في اللفظ ما يدل عليه .

الثالث : أن الترع مشترك بين نفوس بني آدم ، والإغراق لا يختص بالكافر .

وقال الحسن : النازعات هي النجوم تترع من الشرق إلى المغرب وغرقاً هو غروبها قال : تترع من هاهنا ، وتغرق هنا^(١) . واختاره الأخفش^(٢) وأبو عبيدة^(٣) .

وقال مجاهد : هي شدائد الموت وأهواله^(٤) تترع الأرواح نزعاً شديداً^(٥) .

وقال عطاء^(٦) وعكرمة^(٧) : هي القسي ، والنازعات على هذا القول بمعنى النشب أي ذوات

الترع التي يترع بها الرامي ، فهو النازع .

قلت : النازعات اسم فاعل من نزع ، ويقال : نزع كذا ، إذا اجتذبه بقوة ، ونزع عنه :

إذا خلّاه وتركه بعد ملابسته ونزع إليه : إذا ذهب إليه ومال إليه ، وهذا إنما يوصف به النفوس

التي لها حركة / إرادية للميل إلى الشيء أو الميل عنه ، وأحق ما صدق عليه هذا الوصف : الملائكة [١/٤٧]

، لأن هذه القوة فيه أكمل ، وموضع (الآية)^(٨) فيها أعظم ، فهي التي تغرق في الترع إذا طلبت ما

تترعه أو تترع إليه ، والنفوس الإنسانية أيضاً لها هذه القوة^(٩) والنجوم أيضاً تترع من أفق إلى أفق ،

فالترع حركة شديدة سواء كانت من ملك أو نفس إنسانية أو نجم .

(١) في غير الأصل : (هنا) .

(٢) لم أحده في المعاني ولكن ورد ذكر قوله في المحرر الوجيز (٢١٨/١٦) ، وزاد المسير (١٤/٩) ، والجامع لأحكام القرآن (١٩١/١٩) .

(٣) انظر : مجاز القرآن (٢٨٤/٢) . وتصحف اسم (أبي عبيدة) في المطبوع إلى (أبي عبيد) .

(٤) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة : (التي) .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٨/٣٠) مختصراً .

وورد ذكره أيضاً في النكت والعيون (١٩٢/٦) ، البسيط (٥٠٤/١) ، معالم التنزيل (٣٢٣/٨) ، الجامع لأحكام القرآن (١٩١/١٩) ، تفسير الحسن البصري (٣٩٣/٢) .

(٦) انظر قوله في : جامع البيان (٩٢٨/٣٠) النكت والعيون (١٩٢/٦) ، معالم التنزيل (٣٢٤/٨) ، زاد المسير (١٥/٩) وغيرها

(٧) انظر معالم التنزيل (٢٢٤/٨) ، زاد المسير (١٥/٩) ، الجامع لأحكام القرآن (١٩١/١٩) وغيرها .

(٨) سقط من الأصل والاستدراك من البقية .

(٩) وهو قول ابن مسعود كما تقدم .

والنفوس تترع إلى أوطانها وإلى مآلفها ، وعند الموت تترع إلى ربها والمنايا تترع النفوس .
والقسي تترع بالسهم ، والملائكة تترع من مكان إلى مكان ، وتترع ما وكلت بترعه ،
واخيل تترع من^(١) أعنتها نزعاً تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها ، فالصفة واقعة على كل من له هذه
الحركة التي هي آية من آيات الله تعالى^(٢) ، فإنه هو الذي خلقها وخلق محلها وخلق القوة والنفوس
التي بها تتحرك ، ومن ذكر صورة من هذه الصور فإنما أراد التمثيل ، وإن كانت الملائكة أحق من
تناوله هذا الوصف .

فأقسم بطوائف الملائكة وأصنافهم :

النازعات : التي تترع الأرواح من الأجساد .

والناشطات : التي تنشطها أي تخرجها بسرعة وخفة ، من قولهم : نشط الدلو من البئر إذا
أخرجها ، وأنا أنشط لكذا^(٣) أي : أحف له وأسرع^(٤) .

والساجحات : التي تسبح في الهواء في طريق ممرها إلى ما أمرت به ، كما يسبح الطير
في الهواء^(٥) .

فالسابقات : التي تسبق وتسرع إلى ما أمرت به ، لا تبطئ عنه ولا تتأخر .

فالمديرات : (التي تدبر)^(٦) أمور العباد التي أمرها وبها تدبرها وهذا أولى الأقوال^(٧) .

وقد روي عن ابن عباس : أن النازعات الملائكة (التي)^(٨) تترع نفوس الكفار بشدة
وعنف ، والناشطات الملائكة التي تنشط أرواح المؤمنين بيسر وسهولة^(٩) .

(١) في غير الأصل : (في أعنتها) .

(٢) (في غير الأصل : (من آيات الرب تعالى) .

(٣) في المطبوع : (بكذا) .

(٤) انظر : تذيب اللغة للأزهري (٣١٤-٣١٥) مادة (نشط) .

(٥) ورد عن مجاهد وأبي صالح نحوه .

انظر : الجامع لأحكام القرآن (١٩٣/١٩) ، الدر المنثور (٤٠٤/٨) .

(٦) سقط من المطبوع .

(٧) ذكر الفخر الرازي رأياً له بعيداً وهو أنها الأرواح ، وأما قد تدبر أمر الإنسان في المنامات . وهو قول ضعيف لا يستند إلى دليل ،
والذي يشهد له النص أنها الملائكة ، كما في قوله تعالى : (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر) ، وكما وصف الله تعالى
ملائكته بقوله : (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) .

انظر : التفسير الكبير (٣٧/٣١) ، أضواء البيان (التمه ٢٤/٩) .

(٨) سقط من غير الأصل .

(٩) انظر : النكت والعيون (١٩٢/٦) ، معالم التنزيل (٢٢٣/٨) ، زاد المسير (١٥-١٤/٩) . وغيرها .

واختار الفراء هذا القول فقال : هي الملائكة تنشط نفس المؤمن فتقبضها وترفع نفس الكافر^(١).

قال الواحدي : إنما اختار ذلك لما بين النشاط والترع من الفرق في الشدة واللين، فالترع : الجذب بشدة ، والنشط : الجذب برفق [ولين]^(٢) ، ولأن الناشطات هي النفوس التي تنشط لما أمرت به ، والملائكة أحق الخلق بذلك ، ونفوس المؤمنين ناشطة لما أمرت / به .

وقيل : الساجحات : هي النجوم^(٣) تسبح في الفلك كما قال تعالى : ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٤٠)^(٤) ، وقيل : هي السفن تسبح في الماء^(٥) ، وقيل : هي نفوس المؤمنين تسبح بعد المفارقة صاعدة إلى ربها^(٦).

قلت : والصحيح أنها الملائكة ، والسياق يدل عليه .

وأما السفن والنجوم فإنما تسمى حارية وجوار كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ ﴾^(٧) وقال (تعالى) : ﴿ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾^(٨) وقال تعالى : ﴿ الْجَوَارِي الْكُنُوسِ ﴾ (١٦)^(٩) ولم يسمها ساجحات وإن أطلق عليها فعل السباحة كقوله (تعالى) : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٣٣)^(١٠) ويدل عليه ذكره السابقات بعدها ، والمديرات بالفاء ، وذكره الثلاثة الأول بالواو لأن السبق والتدبير مسبب عن المذكور قبله فإنها نزع وتشتت وسبحت ، فسبقت إلى ما أمرت به فدبرته ، ولو كان^(١١) الساجحات هي السفن أو النجوم أو النفوس الآدمية لما عطف عليها فعل السبق والتدبير بالفاء^(١٢) فتأمله .

(١) انظر : معاني القرآن للفراء (١٣٠/٣) .

(٢) ما بي المعقوفتين سقط من الأصل و (ب) وهو في غيرهما من النسخ وفي البسيط للواحدي (٥٠٨/١) .

(٣) كما روي ذلك عن الحسن ، انظر : الدر المنثور (٤٠٥/٨) وعزاه إلى ابن المنذر ، تفسير الحسن البصري (٢٣٩٣) .

(٤) سورة يس الآية (٤٠) .

(٥) انظر : جامع البيان (٣٠/٣٠) وهو مروي عن عطاء .

(٦) انظر : الدر المنثور (٤٠٤/٨) وقد عزاه إلى جوير في تفسيره .

(٧) في المطبوع : تكملة الآية . سورة الشورى الآية (٣٢) .

(٨) سورة الحاقة الآية (١١) .

(٩) سورة التكويد الآية (١٦) .

(١٠) سورة الأنبياء الآية (٣٣) .

(١١) في المطبوع : (كانت) .

(١٢) انظر : البسيط (٥١٠/١) ، فتح القدير (٤٣١/٥) .

قال مسروق^(١) ومقاتل^(٢) والكلبي^(٣): ﴿فالسابقات سبقاً﴾ هم^(٤) الملائكة . قال مجاهد^(٥) وأبو روق^(٦): سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح والإيمان والتصديق . وقال مقاتل^(٧): تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة .

وقال الفراء والزجاج: هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء إذا^(٨) كانت الشياطين تسترق السمع^(٩) . وهذا القول خطأ لا يخفى فساده إذ يقتضي الإشراك بين الملائكة والشياطين في إلقائهم الوحي ، وأن الملائكة تسبقهم^(١٠) إلى الأنبياء وهذا ليس بصحيح فإن الوحي الذي تأتي به الملائكة إلى الأنبياء لا تسترقه الشياطين ، وهم معزولون عن سماعه ، وإن استرقوا بعض ما يسمعون من ملائكة السماء الدنيا من أمور الحوادث فالله سبحانه صان وحيه إلى أنبيائه أن تسترق الشياطين شيئاً منه وعزلهم عن سماعه .

ولو أن قائل هذا القول فسر السابقات بالملائكة التي تسبق الشياطين بالرحم بالشهب قبل إلقائه الكلمة التي استرقها لكان له وجه ، فإن الشيطان يدر مسرعاً بإلقاء ما استرقه^(١١) إلى وليه فتسبقه الملائكة في نزوله بالشهب الثواقب فتهلكه ، وربما ألقى الكلمة قبل إدراك الشهاب له .

وفسرت السابقات سبقاً : بالأنفس / السابقات إلى طاعة الله (تعالى) ومرضاته^(١٢) . [١/٤٨]

(١) انظر قوله في: النكت والعيون (١٩٣/٦) ، زاد المسير (١٥/٩) ، الجامع لأحكام القرآن ، (١٩٣/١٩) تفسير ابن كثير (٤٦٦/٤) .

(٢) انظر : تفسير مقاتل (٢٢٦/ب) وانظر أيضاً : معالم التنزيل (٣٢٤/٨) ، الجامع لأحكام القرآن (١٩٣/١٩) .
(٣) انظر : البسيط (٥٠٩/١) .

(٤) في (م و ق) والطبوع : (هي) .

(٥) انظر : معالم التنزيل (٣٢٤/٨) ، الجامع لأحكام القرآن (١٩٣/١٩) .

(٦) انظر : البسيط (٥٠٩/١) ، زاد المسير (١٧/٩) .

(٧) هو ابن حيان ، انظر قوله في : معالم التنزيل (٣٢٥/٨) ، الجامع لأحكام القرآن (١٩٣/١٩) .

(٨) في الأصل : (إذا) وفي الباقي (إذ) .

(٩) انظر : معاني القرآن للفراء (٢٣٠/٣) والعبارة له ، ومعاني الزجاج (٢٧٨/٥) .

(١٠) في غير الأصل : زيادة (به) .

(١١) في المطبوع : (بإلقائه إلى وليه) .

(١٢) كما هو مروي عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما .

انظر : البسيط (٥١٠/١) ، معالم التنزيل (٣٢٥/٨) ، زاد المسير (١٥/٩) .

وأما " المديرات أمراً " أجمعوا على أنها الملائكة (ثم) ^(١) قال مقاتل : هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت يدبرون أمر الله تعالى في الأرض وهم ﴿ المقسمات أمراً ﴾ ^(٢) .

قال عبدالرحمن بن سابط ^(٣) : جبريل موكل بالرياح وبالحبوب ، وميكائيل موكل بالقطر والنبات ، وملك الموت موكل بقبض الأنفس ، وإسرافيل يتزل بالأمر عليهم ^(٤) .

وقال ابن عباس : هم الملائكة وكلهم الله (تعالى) بأمور عرفهم العمل بها والوقوف عليها ، بعضهم لبني آدم يحفظون و يكتبون ، وبعضهم وكلوا بالأمطار والنبات والخسف والمسح والرياح ، والسحاب ^(٥) إنتهى .

(وقد أخبر النبي ﷺ أن للرجال ملك يختص بشأنها) ^(٦) ، وأخبر أن الله (تعالى) وكل بالرحم ملكاً ^(٧) ، وللرؤيا ملك موكل بها ، وللجنة ملائكة موكلون بعمارها ، وعمل آلائها ، وأوانيتها وغراسها ، وفرشها ، وغمارها ، وأرائكها ، وللنار ملائكة موكلون ^(٨) بعمل ما فيها وإيقادها وغير ذلك .

فالدنيا وما فيها ، والجنة والنار والموت وأحكام البرزخ ^(٩) قد وكل الله بذلك كله ملائكة يدبرون ما شاء الله من ذلك ، ولهذا كان الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الذي لا يتم إلا به .

(١) سقط من المطبوع .

(٢) تفسير مقاتل (٢٢٧ / ١) .

(٣) في المطبوع : (سابط) . وعبدالرحمن ابن سابط ، ويقال : عبدالرحمن بن عبدالله بن سابط الجمحي روى عنه : أبي بكر وعمر ، روى عنه : عمرو بن مرة وعلقمة بن مرثد والليث بن سعد . مات بمكة سنة (١١٧) هـ . انظر : الجرح والتعديل (٢٤٩ / ٥) ، الكاشف (١٦٥ / ٢) .

(٤) انظر : معالم التنزيل (٣٢٥ / ٨) ، زاد المسير (١٦ / ٩) ، ونسبه في الدر المنثور (٤٠٥ / ٨) إلى عبد بن حميد وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في شعب الإيمان .

(٥) انظر : الدر المنثور (٤٠٥ / ٨) بكلام مقارب له ، ونسبه إلى ابن أبي الدنيا في (ذكر الموت) .

(٦) ما بين القوسين سقط من المطبوع .

(٧) كما ورد ذلك في عدة أحاديث منها ما أخرجه مسلم في صحيحه في (٤٦) كتاب القدر (١) باب كيفية خلق آدمي . . ح (٢٦٤٥) من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري : (إن ملكاً موكل بالرحم . . الحديث .

(٨) في غير الأصل : (موكلة) .

(٩) في غير الأصل والمطبوع : زيادة (وأحكامه) .

وأما من قال إنها النجوم فليس هذا من أقوال أهل الإسلام ولم يجعل الله (تعالى) للنجوم تدبير شئ من الخلق ، بل هي مدبرة مسخرة كما قال تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ﴾^(١) فالله سبحانه هو المدير بملائكته لأمر العالم العلوي والسفلي .

قال الجرجاني : وذكر السابقات والمدبرات بالفاء وما قبلها بالواو ، لأن ما قبلها اقسام مستأنفة ، وهذان القسمان منشآن عن الذي قبلها كأنه قال : فاللاقي يسبحن فسبقن ، كما تقول : قام فذهب . أوجب الفاء أن القيام كان سبباً للذهاب ، (ولو قلت : قام وذهب لم يجعل القيام سبباً للذهاب)^(٢).

واعترض عليه الواحدي فقال : " هذا غير / مطرد في هذه^(٣) الآية لأنه يبعد أن يجعل السبق سبباً للتدبير مع أن السابقات ليست الملائكة في قول المفسرين " ^(٤) . قلت : و^(٥) الملائكة داخلون في السابقات قطعاً ، وأما اختصاص السابقات بالملائكة فهذا محتمل^(٦) وأما قوله : يبعد أن يكون السبق سبباً للتدبير فليس كما زعم بل السبق المبادرة إلى تنفيذ ما يؤمر به الملك فهو سبب للفعل الذي أمر به وهو التدبير مع أن الفاء دالة على التعقيب ، وأن التدبير يتعقب السبق^(٧) بلا تراخ بخلاف الأقسام الثلاثة (الأول)^(٨) والله أعلم . (وسيأتي مزيد بيان لهذا قريباً إن شاء الله تعالى)^(٩).

(١) سورة النحل الآية (١٢) .

(٢) ما بين القوسين سقط من (ق) . وانظر : البسيط (٥١٠/١ - ٥١١) ، فتح القدير (٤٣١/٥) بنحوه .

(٣) سقط من (ق) .

(٤) البسيط (٥١٢/١) .

(٥) سقطت الواو من غير الأصل .

(٦) في (ق) : (يَحْتَمِل) .

(٧) تعرفت في (ق) إلى : (السبب) .

(٨) ما بين القوسين سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(٩) سقط من المطبوع .

وجواب القسم محذوف يدل عليه السياق ، وهو النعت^(١) المستلزم لصدق الرسول وثبوت القرآن ، أو أنه من القسم الذي أريد به التنبيه على الدلالة ، والعبرة بالمقسم به دون أن يراد به مقسماً عليه بعينه ، وهذا القسم يتضمن الجواب المقسم عليه وإن لم يذكر لفظاً ولعل هذا مراد من قال : أنه محذوف للعلم به لكن هذا الوجه ألطف مسلكاً ، فإن المقسم به إذا كان دالاً على المقسم عليه مستلزماً له^(٢) استغنى عن ذكره بذكره وهذا غير كونه محذوفاً لدلالة ما بعده عليه فتأمل .

ولعل هذا قول من قال : إنه إنما أقسم برب هذه الأشياء وحذف المضاف فإن هذا معناه صحيح لكن على غير الوجه الذي قدره ، فإن إقسامه سبحانه بهذه الأشياء لظهور دلالتها على ربوبيته [ووحديته وعلمه وقدرته وحكمته ، فالإقسام بها في الحقيقة إقسام بربوبيته]^(٣) وصفات كماله فتأمل .

ثم قرر سبحانه بعد هذا القسم أمر المعاد ونبوة موسى ﷺ^(٤) المستلزمة لنبوة محمد ﷺ إذ من المحال أن يكون موسى نبي / ومحمد ليس نبياً ، مع أن كل ما يثبت نبوة موسى فلمحمد [١/٤٩] نظيره ، أو أعظم منه ، وقرر سبحانه تكليمه لموسى بندائه له بنفسه فقال (تعالى) ﴿ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ ﴾^(٥) فأثبت النداء المستلزم للكلام والتكليم ، وفي موضع آخر أثبت الإيحاء والنداء ، فالإيحاء نوعا التكليم ، ومحال ثبوت النوع بدون الجنس .

ثم أمره أن يخاطبه بالين خطاب فيقول له : ﴿ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩) ﴾^(٦) ففي هذا من لطف الخطاب ولينه وجوه :

(١) في (م) و (ق) والمطبوع : (البعث) .

(٢) سقط من غير الأصل .

(٣) ما بين المعقوفين سقط من الأصل .

(٤) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(٥) سورة النازعات الآية (١٦) .

(٦) سورة النازعات الآيتان (١٨ - ١٩) .

أحدها : إخراج الكلام مخرج العرض ، ولم يخرج مخرج الأمر والإلزام وهو أطف .
ونظيره قول إبراهيم (عليه السلام) ^(١) لضيغه المكرمين ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ (٢٧) ^(٢) ، ولم يقل
كلوا .

الثاني : قوله ﴿ إِلَى أَنْ تَزْكَى ﴾ ، و التزكى النماء والظهور والبركة والزيادة فعرض عليه
أمراً يقبله كل عاقل ولايرده إلا كل أحمق جاهل .

الثالث : قوله ﴿ تَزْكَى ﴾ ولم يقل أزكيك ، فأضاف التزكية إلى نفسه وعلى هذا يخاطب
الملك .

الرابع : قوله ﴿ وَأَهْدِيكَ ﴾ أي أكون دليلاً لك وهادياً بين يديك فنسب الهداية إليه ،
والتزكي إلى المخاطب ، أي : أكون دليلاً لك وهادياً فتزكى أنت كما تقول للرجل هل لك إي
أذلك على كثر تأخذ منه ما شئت وهذا أحسن من قوله ﴿ أعطيك ﴾ .

الخامس : قوله ﴿ إِلَى رَبِّكَ ﴾ فإن في هذا ما يوجب قبول ما دل ^(٤) عليه وهو أنه يدعوه
ويوصله إلى ربه فاطره وخالقه الذي أوجده ورباه بنعمه جنيئاً وصغيراً وكبيراً ، وآتاه الملك وهذا
نوع من خطاب الاستعطاف والإلزام كما يقول لمن خرج عن طاعة سيده : ألا تطيع سيدك
ومولاك ، ومالكك ، وتقول للولد ألا تطيع والدك ^(٥) الذي رباك .

السادس : قوله " فتخشى " أي إذا أهتديت ^(٦) إليه وعرفته خشيته لأن من عرف الله خافه ،
ومن لم يعرفه / لم يخفه فخشيته تعالى مقرونة بمعرفته ، وعلى قدر المعرفة تكون الخشية . [٤٩/ب]

السابع : أن في قوله ﴿ هَلْ لَكَ ﴾ فائدة لطيفة ^(٧) وهي أن المعنى : هل لك في ذلك حاجة أو إرب
، ومعلوم أن كل عاقل يبادر إلى قبول ذلك ، لأن الداعي إنما يدعوه إلى حاجته ومصلحته لا إلى

(١) سقط من غير الأصل .

(٢) قوله : (المكرمين) سقط من (ق) .

(٣) سورة الذاريات الآية (٢٧) .

(٤) في (ب) و (م) : (ما دله) .

(٥) في غير الأصل : (أباك) .

(٦) في (م) و (ق) : (هديت) .

(٧) هنا بياض في (ق) .

حاجة الداعي فكأنه يقول : الحاجة لك وأنت المتزكي ، وأنا الدليل لك والمرشد لك إلى أعظم مصالحك ، فقابل هذا بغاية الكفر والعناد وادعى أنه رب العباد هذا وهو يعلم أنه ليس بالذي خلق فسوى ، ولا قدر فهدى . فكذب الخير وعصى الأمر ﴿ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴾ (٢٢) ﴿^(١) بالخديعة والمكر ، فحشر جنوده فأجابوه ثم نادى فيهم بأنه ربهم الأعلى ، واستخفهم^(٢) فأطاعوه ، فبطش به جبار السماوات والأرض بطشة عزيز مقتدر ، وأخذته نكال الآخرة والأولى ليعتبر بذلك من يعتبر ، فاعتبر بذلك من خشي ربه من المؤمنين وحق القول على الكافرين .

ثم أقام سبحانه حجته على العالمين بخلق ما هو أشد منهم وأكبر وأعظم وأعلى وأرفع وهو خلق السماء وبنائها ورفع سمكها وتسويتها واطلام ليلها وإخراج ضحاها وخلق الأرض ومدها وبسطها وهداها لما يراد منها ، فأخرج منها شراب الحيوان وأقواقهم وأرسي الجبال فجعلها رواسي للأرض لتلا تميد بأهلها وأودعها من المنافع ما تتم به مصالح الحيوان الناطق والبهيم ، فمن قدر [على]^(٣) ذلك كله كيف يعجز عن إعادتك خلقاً جديداً .

فتأمل دلالة المقسم به المذكور في أول السورة على المعاد والتوحيد وصدق الرسل كدلالة هذا [الدليل]^(٤) المذكور وإذا كان هذا هو المقصود لم يكن محتاجاً إلى جواب والله أعلم^(٥) .



(١) سورة النازعات الآية (٢٢) .

(٢) في (ق) : (فاستخفهم) .

(٣) سقط من الأصل .

(٤) تحرفت في الأصل إلى (الليل) .

(٥) في (ب) : (والله تعالى أعلم) .

﴿ فصل ﴾

{ القسم في سورة المرسلات }

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ غُرَفًا ﴾ (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعَ (٧) ﴿ (١)
فسرت المرسلات بالملائكة وهو قول أبي هريرة (٢) وابن عباس في رواية مقاتل (٣) وجماعة (٤).
وفسرت بالرياح وهو قول ابن مسعود (٥) وإحدى الروائتين عن ابن عباس (٦) وقول قتادة (٧).
وفسرت بالسحاب ، وهو قول الحسن (٨).
وفسرت بالأنبياء وهو رواية عطاء عن ابن عباس (٩).

قلت : الله سبحانه يرسل الملائكة ويرسل الأنبياء ويرسل الرياح ويرسل السحاب. فيسوقه حيث يشاء ، ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فارساله واقع على ذلك كله (١٠) وهو نوعان :
١ - إرسال دين يحبه ويرضاه كإرسال رسله وأنبيائه .

(١) سورة المرسلات الآيات (١ - ٧) .

(٢) هذا الأثر أخرجه الحاكم في المستدرك في (٢٨) كتاب التفسير : تفسير سورة المرسلات رقم (٣٩٤١) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد ذكر هذا القول في : النكت والعيون (١٧٥/٦) ، زاد المسير (٤٤٤/٨) ، وعزاه في الدر المنثور إلى ابن أبي حاتم (٣٨١/٨) .

(٣) ذكره في الدر المنثور (٣٨٢/٨) وعزاه إلى ابن المنذر .

(٤) وهو مروي أيضاً عن مقاتل ومسروق وأبي صالح .

نظر : تفسير مقاتل (٢٢٣/١) ، جامع البيان (٢٢٩/٢٩) ، تفسير ابن كثير (٤٥٨/٤) ، الدر المنثور (٣٨٢/٨) .

(٥) هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره من عدة طرق (٢٢٨/٢٩) .

وذكر أيضاً في : زاد المسير (٤٤٤/٨) . وعزاه في الدر المنثور (٣٨٢/٨) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٦) هذا الأثر أيضاً أخرجه الطبري في تفسيره بإسناده (٢٢٨/٢٩) من رواية العوفي عنه .

وورد ذكره أيضاً في زاد المسير (٤٤٤/٨) تفسير ابن كثير (٤٥٩/٤) .

(٧) أخرجه عبدالرزاق بإسناده في تفسيره (٣٤٠/٢) ، وكذا الطبري في تفسيره بإسناده (٢٢٩/٢٩) .

وورد ذكره في : معالم التنزيل (٣٠٣/٨) ، زاد المسير (٤٤٤/٨) وعزاه في الدر المنثور (٣٨٢/٨) إلى عبد بن حميد .

(٨) لم أجد من ذكره .

(٩) ذكر هذا القول القرطبي في تفسيره (١٩٤/١٩) وأبو حيان في البحر المحيط (٤٠٣/٨) ، وذكره أيضاً : ابن الجوزي في زاد

المسير (٤٤٤/٨) ونسبه إلى أبي صالح ، وذكره أيضاً من غير نسبة الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢٦٥/٥) .

(١٠) رجح الطبري في تفسيره عموم الآية حيث يقول :

٢- وإرسال كون وهو نوعان :

نوع يحبه ويرضاه كإرسال ملائكته في تدبير أمر خلقه
ونوع لا يحبه بل يسخطه ويغضبه كإرسال الشياطين^(١) على الكفار .
فالإرسال^(٢) المقسم به هنا : مقيد بالعرف ،

أ) فإما أن يكون ضد المنكر^(٣) فهو إرسال رسله من الملائكة ، ولا يدخل في ذلك إرسال الرياح ولا الصواعق ولا الشياطين ، وأما إرسال الأنبياء فلو أريد لقال " والمرسلين " وليس بالفصيح تسمية الأنبياء مرسلات ، وتكلف الجماعات المرسلات خلاف المعهود من استعمال اللفظ فلم يطلق في القرآن جمع ذلك إلا جمع تذكير ، لا جمع تأنيث ، وأيضاً فاقتران اللفظة بما بعدها من الأقسام لا يناسب تفسيرها بالأنبياء ، وأيضاً فإن الرسل مقسم عليهم في القرآن لا مقسم بهم كقوله (تعالى) ﴿ تَاللّٰهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾^(٤) وقوله (تعالى) ﴿ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾^(٥) .

ب- وإن كان العرف من الشائع^(٦) كعرف الفرس وعرف الديك ، والناس إلى فلان

عرف واحد^(٧) ، أي : سابقون في قصده والتوجه إليه جاز أن تكون المرسلات الرياح ، ويؤيده [٥٠/ب] عطف العاصفات عليه والناشرات / .

وجاز أن تكون الملائكة ، وجاز أن تعم النوعين لوقع الإرسال عرفاً عليهما ، ويؤيده أن الرياح موكل بها الملائكة^(٨) تسوقها وتصرفها ويؤيد كونها الرياح عطف العاصفات عليها بفاء التعقيب والتسبيب فكأنها أرسلت فعصفت .

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بالمرسلات عرفاً ، وقد ترسل عرفاً الملائكة ، وترسل كذلك الرياح ، ولا دلالة تدل على أن المعنى بذلك أحد الحزبين دون الآخر ، وقد عم حل ثناؤه بإقسامه بكل ما كانت صفته ما وصف ، فكل من كان في صفته كذلك ، فداخل في قسمه ذلك ملكاً أو ربحاً ، أو رسولاً من بني آدم مرسلأ .

انظر : جامع البيان (٢٢٩/٢٩) .

(١) في المطبوع : (الشيطان) .

(٢) في (ق) : (إرسال) .

(٣) كما هو مروي عن مقاتل والكلبي .

انظر : تفسير مقاتل (٢٢٣/أ) ، والسيط للواحد (٤٤٦/١) .

(٤) سورة النحل الآية (٦٣) .

(٥) سورة البقرة الآية (٢٥٢) .

(٦) في غير الأصل و (ب) : (التابع) .

(٧) انظر : معاني القرآن للفراء (٤٤٥/١) .

(٨) في غير الأصل : (ملائكة) .

ومن جعل المرسلات الملائكة^(١) قال : هي تعصف في مضيها مسرعة كما تعصف الرياح ،
والأكثر على أنها الرياح^(٢).

وفيها قول ثالث: أنها تعصف بروح الكافر ، يقال : عصف بالشئ إذا أباده وأهلكه قال
الأعشى:

تعصف بالذراع^(٣) والحاسر^(٤).

حكاه أبو إسحاق^(٥) وهو قول متكلف فإن المقسم به لابد أن يكون آية ظاهرة تدل على
الربوبية ، وأما الأمور الغائبة التي يؤمن بها فإنها يقسم عليها ، وإنما يقسم سبحانه بملائكته وكتابه
لظهور شأنهما ولقيام الأدلة والأعلام الظاهرة الدالة على ثبوتها^(٦).

وأما الناشرات نشرأ : فهو استئناف قسم آخر ولهذا أتى به بالواو وما قبله معطوف على
القسم الأول بالفاء .

قال ابن مسعود^(٧) والحسن^(٨) ومجاهد^(٩) وقتادة^(١٠) : هي الرياح تأتي بالمطر ويدل على صحة
قولهم قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾^(١١) يعني : أنها تنشر
السحاب نشرأ وهو ضد الطي .

(١) كما هو قول ابن عباس في رواية الكلبي ، وأبي هريرة وأبي صالح كما تقدم .

(٢) كما هو قول علي بن أبي طالب وابن مسعود ومجاهد وأبي صالح وقتادة .

انظر : جامع البيان (٢٣٠/٢٩) ، معالم التنزيل (٣٠٣/٨) ، زاد المسير (٤٤٤/٨) ، وغيرها .

(٣) هكذا في الأصل ، وفي غيره : (بالدارع) .

(٤) ديوان الأعشى .

(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه (٢٦٥/٥) .

(٦) في غير الأصل : (ثبوتها) .

(٧) قول ابن مسعود أخرجه الطبري في تفسيره بإسناده (٢٣٠/٢٩) .

وقد ورد ذكره أيضاً في : النكت والعيون (١٧٦/٦) ، زاد المسير (٤٤٥/٨) ، البحر المحيط (٤٠٤/٨) ، الدر المنثور

(٣٨١/٨) وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٨) أورده البغوي في معالم التنزيل (٣٠٣/٨) ، وكذا أبو حبان في البحر المحيط (٤٠٤/٨) ،

(٩) قول مجاهد أخرجه الطبري في تفسيره بإسناده (٢٣٠/٢٩) .

وقد ورد ذكره أيضاً في : الجامع لأحكام القرآن (١٥٥/١٩) ، البحر المحيط (٤٠٤/٨) . وعزاه في الدر المنثور إلى ابن جرير

(٣٨٢/٨) .

(١٠) قول قتادة أخرجه عبد الرزاق في تفسيره بإسناده (٣٤٠/٢) وكذلك الطبري في تفسيره (٢٣٠/٢٩) ، وعزاه في الدر المنثور

(٣٨٢/٨) إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .

(١١) سورة الأعراف الآية (٥٧) . (ونشرأ) فيها عدة قراءات :

قرأ عاصم " بشرأ " بالياء وضمها وسكون الشين .

وقال مقاتل : وهي الملائكة تنشر كتب بني آدم وصحائف أعمالهم^(١). وقاله مسروق^(٢) وعطاء عن ابن عباس^(٣).

وقالت طائفة : هي الملائكة تنشر أجنحتها في الجو عند صعودها ونزولها^(٤).

وقيل : تنشر أوامر الله في السماء والأرض^(٥).

وقيل : تنشر النفوس فتحيتها بالإيمان^(٦).

وقال أبو صالح. هي الأمطار تنشر الأرض أي تحييها^(٧).

قلت : ويجوز أن تكون الناشرات لا زماً لا مفعول له ولا يكون المراد انهن ينشرن^(٨) كذا

فإنه يقال : نشر الميت (أي)^(٩) حيي وأنشره الله إذا أحياه فيكون المراد بها : الأنفس التي حيت

بالعرف الذي أرسلت به الرسالة : والأشباح والأرواح^(١٠) / والبقاع التي حيت بالرياح المرسلات [١/٥١]

فإن الرياح سبب لنشور الأبدان والنبات ، والوحي سبب لنشور الأرواح وحياتها.

لكن هنا أمر ينبغي التفطن له وهو أنه سبحانه جعل الاقسام في هذه السورة نوعين وفصل

أحدهما من الآخر وجعل العاصفات معطوفاً على المرسلات بفاء التعقيب فصارا كأنهما نوع واحد

ثم جعل الناشرات كأنه قسم مبتدأ فأتى فيه بالواو ثم عطف عليه الفارقات والملقيات (بالفاء

فأوهم هذا أن الفارقات والملقيات^(١١) مرتبط بالناشرات وأن العاصفات مرتبط بالمرسلات .

وفراً حمرة والكسائي وحلف " نشرأ " بنون مفتوحة وسكون الشين .

وفراً الباقون بالنون وضمها وضم الشين وهم أهل الحجاز والبصرة : انظر : إرشاد المبني للقلانسسي ص (٣٣٠) والتذكرة لأبي الحسن (٣٤٢/٢) .

(١) ورد في تفسير مقاتل (٢٢٣/١) قوله : " وأما قوله : (والناشرات نشرأ) وهي أعمال بني آدم تنشر يوم القيامة " .

وانظر : معالم التنزيل للبغوي (٣٠٣/٨) .

(٢) ذكره الواحدي في البسيط (٤٤٨/١) .

(٣) ذكره الواحدي في البسيط (٤٤٨/١) .

(٤) انظر : التفسير الكبير (٢٣٤/٣٠) ، وفتح القدير (٤١٢/٥) .

(٥) انظر : التفسير الكبير (٢٣٤/٣٠) .

(٦) لم أجد من ذكره سوى ابن القيم رحمه الله .

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره بإسناده (٢٣١/٢٩) ، وورد ذكره أيضاً في النكت والعيون (١٧٦/٦) ، الجامع لأحكام القرآن (١٥٥/١٩) الدر المنثور (٣٨٢/٨) وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ في العظمة — ولم أحده — وابن المنذر .

(٨) في غير الأصل و (ب) : (نشرن) .

(٩) سقط من المطبوع .

(١٠) في غير الأصل : (أو الأشباح أو الأرواح) .

(١١) سقط من الأصل .

وقد اختلف في الفارقات : فالأكثر^(١) على أنها الملائكة^(٢)، ويدل عليه عطف الملقيات ذكراً عليها بالفاء وهي الملائكة بالاتفاق . وعلى هذا فيكون القسم بالملائكة التي نشرت اجنحتها عند النزول ففرقت بين الحق والباطل فألقت الذكر على الرسل إغذاراً وإنذاراً . ومن جعل الناشرات الرياح جعل الفارقات صفة لها وقال : هي تفرق السحاب ههنا وههنا^(٣)، ولكن يأبى ذلك عطف الملقيات بالفاء عليها .

ومن قال : الفارقات أي القرآن يفرق بين الحق والباطل^(٤)، فقله يلتئم مع كون الناشرات الملائكة أكثر من الثمامة إذا قيل إنها الرياح .

ومن قال : هي جماعات الرسل^(٥) فإن أراد الرسل من الملائكة فظاهر ، وإن أراد الرسل من البشر فقد تقدم بيان ضعف هذا القول .

ويظهر والله أعلم بما أراد من كلامه : أن القسم في هذه السورة^(٦) وقع على النوعين : الرياح والملائكة ، ووجه المناسبة : أن حياة الأرض والنبات وأبدان الحيوان بالرياح ، فإنها من روح الله وقد جعلها الله نشوراً ، وحياة القلوب والأرواح بالملائكة ، فبهذين النوعين يحصل نوعا الحياة ، ولهذا والله أعلم فصل أحد النوعين [من الآخر]^(٧) بالواو ، وجعل ما هو تابع لكل نوع بعده بالفاء^(٨) .

(١) في (م) و (ق) : (والأكثر) .

(٢) وهذا قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد والضحاك وأبي صالح انظر : جامع البيان (٢٣٢/٢٩) ، النكت والعيون (١٧٦/٦) ، معالم التنزيل (٣٠٣/٨) وغيرها .

(٣) كما هو مروي عن مجاهد .

انظر : النكت والعيون (١٧٦/٦) ، معالم التنزيل (٣٠٣/٨) ، زاد المسير (٤٤٥/٨) الجامع لأحكام القرآن (١٥٥/١٩) وغيرها .

(٤) كما هو قول قتادة والحسن .

انظر : جامع البيان (٢٣٢/٢٩) ، معالم التنزيل (٣٠٣/٨) ، المحرر الوجيز (١٩٩/١٦) زاد المسير (٤٤٦/٨) ، تفسير الحسن البصري (٣٨٦/٢) وغيرها .

(٥) كما حكاه الزجاج في معانية (٢٦٥/٥) .

(٦) في المطبوع : (الآية) .

(٧) سقط من الأصل و (ب) .

(٨) قال الطبري رحمه الله تعالى : " وأولى الأقوال بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بالناشرات نشراً ، ولم يخص شيئاً من ذلك دون شيء ، فالرياح تنشر السحاب ، والمطر ينشر الأرض ، والملائكة تنشر الكتب ، ولا دلالة من وجه يجب التسليم له على أن المراد من ذلك بعض دون بعض ، فذلك على كل ما كان ناشراً " . (٢٣١/٢٩) .

وتأمل كيف وقع القسم في هذه السورة على المعاد والحياة الدائمة الباقية وحال السعداء والأشقياء فيها ، وقررها بالحياة الأولى في قوله (تعالى) ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ (٢٠) ^(١) فذكر فيها المبدأ والمعاد / وأخلص السورة لذلك ، فحسن الإقسام بما يحصل به نوعا الحياة [٥١/ب] المشاهدة ، وهو الرياح والملائكة ، فكان في القسم بذلك أئين دليل ، وأظهر أنه على صحة ما أقسم عليه وتضمنته السورة ولهذا كان المكذب بعد ذلك في غاية الجحود والعناد والكفر والتكذيب فاستحق الويل بعد الويل فتضاعف عليه الويل كما تضاعف منه الكفر والتكذيب ^(٢) فلا أحسن من هذا التكرار في هذا الموضع ، ولا أعظم ^(٣) موقعا ، فإنه تكرر عشر مرات ، ولم يذكر إلا في اثر دليل أو مدلول عليه عقيب ما يوجب التصديق ، وما يجب التصديق به ، فتأمل ^(٤) .



(١) سورة المرسلات الآية (٢٠) .

(٢) سقط من (ق) . قوله (والتكذيب) .

(٣) في المطبوع : (أعظم منه موقعا) .

(٤) جواب القسم قوله تعالى : (إنما توعدون لواقع) .

انظر : معالم التنزيل (٣٠٤/٨) ، زاد المسير (٤٤٦/٨ - ٤٤٧) ، الجامع لأحكام القرآن (١٥٦/١٩) تفسير بن كثير (٤٥٩/٤) .

فصل ٥٤

{ الكلام على سورة القيامة }

ومن ذلك قوله تعالى ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢)﴾^(١) .
وقد تقدم ذكر هذين القسمين^(٢) ومناسبة الجمع بينهما في الذكر ، وكون الجواب غير
مذكور وأنه يجوز أن يكون مما حذف لدلالة السياق عليه والعلم به ويجوز أن يكون من القسم
المقصود به (التنبيه على دلالة المقسم به ، وكونه آية ، ولم يقصد)^(٣) مقسماً عليه معنياً . فكأنه
يقول : أذكر يوم القيامة والنفس اللوامة مقسماً بهما لكونهما^(٤) من آياتنا وأدلة ربوبيتنا .
ثم انكر على الإنسان بعد هذه الآية حسباناً وظنه أن الله لا يجمع عظامه بعد ما فرقها البلى
ثم أخبر سبحانه عن قدرته على (جمع بنانه وهي العظام الصغار ونبه بقدرته على جمع هذه العظام
مع صغرها ودقتها على قدرته على^(٥) جمع غيرها من عظامه وعلى هذا فيكون سبحانه قد أحسج
على فعله لما انكره أعداؤه بقدرته عليه فأخبر^(٦) عن فعله فإنه^(٧) لا يلزم من القدرة وقوع المقدور .
والمعنى : بل نجتمعها قادرين على تسوية بنانه^(٨) ، ودل على هذا الفعل^(٩) المحذوف قوله " بلى
" فإنها حرف إيجاب لما تقدم من النفي فلهذا استغنى^(١٠) عن ذكر الفعل بذكر الحرف الدال
عليه^(١١) فدللت الآية على الفعل وذكرت القدرة لا بطلال قول المكذبين .

(١) سورة القيامة الآيتان (١ - ٢) .

(٢) انظر ص .

(٣) سقط من الأصل .

(٤) في الأصل : (لكونها) .

(٥) سقط من المطبوع .

(٦) في غير الأصل و (ب) : (وأخبر) .

(٧) في (م) و (ق) و (المطبوع) : (بأنه) .

(٨) انظر : البسيط للواحد (٣٤٦ / ١) .

(٩) في المطبوع : (المعنى) .

(١٠) في (م) و (ق) و (المطبوع) : (يستغني) .

(١١) انظر : الدر المصون (١٠ / ٥٦٥) .

وفي ذكر البنان لطيفة أخرى وهي أنها أطرافه ، وآخر ما يتم به خلقه فمن قدر على جمع أطرافه وآخر ما يتم به خلقه مع دقتها وصغرها / ولطافتها فهو على مادون ذلك أقدر . فالقوم لما [١/٥٢] استبعدوا جمع العظام بعد الفناء والارمام ، قيل : إنا نجمع ونسوي أكثر منها تفرقاً وأدقها اجزاء ، وآخر أطراف البدن وهي (عظام)^(١) الأنامل ومفاصلها .

وقالت طائفة : المعنى نحن قادرين^(٢) على أن نسوي أصابع يديه ورجليه ونجعلها مستوية^(٣) شيئاً واحداً كخف البعير وحافر الحمار لا نفرق بينهما^(٤) ، ولا يمكنه أن يعمل بها شيئاً مما يعمل بأصابعه المفرقة ذات المفاصل والأنامل من فنون الأعمال والبسط والقبض والتأني لما يريد من الحوائج وهذا قول ابن عباس^(٥) وكثير من المفسرين^(٦) والمعنى على هذا القول : إنا في الدنيا قادرين على أن نجعل عظام بنانه مجموعة دون تفرق ، فكيف لا تقدر على جمعها بعد تفرقها .

فهذا وجه من الاستدلال غير الأول وهو استدلال بقدرته سبحانه على جمع العظام التي فرقها ولم يجمعها ، والأول استدلال بقدرته على جمع عظامه بعد تفريقها وهما وجهان حسنان وكل منهما له الترجيح من وجه فيرجح الأول أنه هو المقصود ، وهو الذي انكره الكفار ، وهو أجري على نسق الكلام واطرد^(٧) ولأن الكلام لم يسبق لجمع العظام وتفريقها في الدنيا وإنما سبق لجمعها في الآخرة بعد تفرقها بالموت ، ويرجع القول الثاني ولعله قول جمهور المفسرين^(٨) حتى فهم^(٩) من لم يذكر غيره أنه استدلال بآية ظاهرة مشهورة^(١٠) وهي تفريق البنان مع انتظامها في كف

(١) سقط من الأصل .

(٢) هكذا في الأصل وفي غيرها : (قادرين) .

(٣) في (ق) : (متساوية) .

(٤) في (م) و (ق) : (بينها) .

(٥) قول ابن عباس أخرجه الطبري في تفسيره بإسناده (١٧٥/٢٩) ، وعبدالرزاق في تفسيره أيضاً بإسناده (٣٣٣/٣) .

(٦) من هؤلاء : قتادة وعكرمة والحسن ومقاتل .

انظر تفسير مقاتل (٢١٧/ب) ، جامع البيان (١٧٥/٢٩) ، تفسير عبدالرزاق (٣٣٣/٢) ، النكت والعيون (١٥٢/٦) الجامع

لأحكام القرآن (٩٤/١٩) ، تفسير الحسن البصري (٣٧٨/٢) .

(٧) في المطبوع : (وأطرده) .

(٨) انظر : البسيط (٣٤٧/١) ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩٤/١٩) .

(٩) في المطبوع : (حتى إن فهم) .

كف واحد وارتباط بعضها ببعض فهي متفرقة في عضو واحد يقبض منها واحدة ويسط أخرى ، ويحرك واحدة والآخري ساكنة ويعمل بواحدة والآخري معطلة وكلها في كف واحد قد جمعها ساعد واحد فلو شاء سبحانه لسواها فجعلها صفحة^(٢) واحدة كباطن الكف ففادت^(٣) هذه المنافع والمصالح التي حصلت بتفريقها ففي هذا أعظم الأدلة على قدرته سبحانه على جمع عظامه بعد الموت .

ثم أخبر سبحانه عن سوء حال الإنسان وإصراره على المعصية والفجور وأنه لا يرعوى ولا يخاف يوماً يجمع الله فيه / عظامه ويبعثه حياً ، بل هو مريد للفجور ما عاش فيفجر في الحال [ب/٥٢] ويريد الفجور في غد وما بعده وهذا ضد الذي يخاف الله والدار الآخرة فهذا لا يندم على ما مضى منه ولا يقلع في الحال ولا يعزم في المستقبل على الترك بل هو عازم على الاستمرار وهذا ضد حال^(٤) التائب المنيب .

ثم نبه سبحانه على الحامل له على ذلك وهو استبعاده ليوم القيامة وليس هذا استبعاداً لزمه مع إقراره بوقوعه ، بل هو استبعاد لوقوعه كما حكى عنه في موضع آخر قوله (تعالى) ﴿ ذَلِكْ رَجَعٌ بَعِيدٌ ﴾^(٥) أي بعيد وقوعه ليس المراد أنه واقع بعيد زمنه . هذا قول جماعة من المفسرين منهم ابن عباس وأصحابه . قال ابن عباس : يقدم الذنب ويؤخر التوبة^(٦) .

وقال قتادة ، وعكرمة : قدماً قدماً في معاصي الله لا يترع عن فجوره^(٧) .

وفي الآية قول آخر ، وهو أن المعنى بل يريد (الإنسان)^(٨) ليكذب بما أمامه من البعث ويوم القيامة .

(١) في (ب) و (ق) : (مشهودة) .

(٢) في المطبوع : (صفة) .

(٣) في المطبوع : (ففاته) .

(٤) كلمة (حال) سقط من (ق) والمطبوع .

(٥) سورة ق آية (٣) .

(٦) ذكره في البسيط (٣٤٩/١) ، تأويل مشكل القرآن (٣٤٦) ، بحر العلوم (٤٢٥/٣) .

(٧) أخرج قوله الطبري في تفسيره بإسناده (١٧٧/٢٩) .

وورد ذكره أيضاً في البسيط (٣٤٩/١) ، معالم التنزيل (٢٨١/٨) ، المحرر الوجيز (١٧٣/١٦) .

وهذا قول ابن زيد^(٢)، واختيار ابن قتيبة^(٣) وأبي اسحق^(٤) قال هؤلاء : ودليل ذلك قوله (تعالى) ﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٦) ﴿٥﴾ .

ويرجح هذا القول لفظه " بل " فإنها تعطي أن الإنسان لم يؤمن بيوم القيامة مع هذا البيان والحجة بل هو مرید للتكذيب به .

ويرجحه^(٦) أيضاً أن السياق كله في ذم المكذب بيوم القيامة لا في ذم العاصي والفاجر ، وأيضاً فإن ما قبل الآية وما بعدها يدل على المراد ، فإنه (تعالى) قال : ﴿ أَيُخَسِّبُ الْإِنْسَانُ أَنْ تُجْمَعَ عِظَامُهُ ﴾ (٣) ﴿ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ (٤) ﴿ . فأنكر سبحانه على^(٧) حسبانته أن الله لا يجمع عظامه ، ثم قرر قدرته على ذلك ثم أنكر عليه إرداته^(٨) التكذيب بيوم القيامة ، [فالأول :]^(٩) حسباناً منه أن الله^(١٠) لا يحياه بعد موته والثاني : تكذيب منه بيوم القيامة^(١١) وأنه يريد أن يكذب بما وضع وبأن دليل وقوعه وثبوته فهو مرید للتكذيب به .

ثم أخرج عن تصريحه بالتكذيب فقال (عز وجل) : ﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ فالأول

: إرادة التكذيب ، والثاني : نطق بالتكذيب وتكلم به وهذا قول / قوي كما ترى لكن ينبغي [١/٥٣] إفراغ هذه الألفاظ في قوالب هذا المعنى فإن لفظة " يفجر أمامه " تدل على عمل الفجور لا على

(١) سقط من الأصل .

(٢) أخرج قوله الطبري في تفسيره بإسناده (١٧٨/٢٩) .

وورد ذكره أيضاً في البسيط (٣٥٠/١) ، النكت والعيون (١٥٢/٦) .

معالم التنزيل (٢٨١/٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٩٤/١٩) .

(٣) انظر : تأويل مشكل القرآن ص : (٣٤٧) .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه (٢٥٢/٥) .

(٥) سورة القيامة الآية (٦) .

(٦) سقط من (ق) .

(٧) في (ق) والمطبوع : (عليه) .

(٨) في المطبوع (إرادة) .

(٩) سقط من الأصل و (ب) .

(١٠) سقط من المطبوع .

(١١) في (م) و (ق) والمطبوع : (البعث) بدلاً من (القيامة) .

التكذيب وحذف الموصول مع ما جره وإبقاء الصلة خلاف الأصل فإن أصحاب هذا القول قالوا تقديره ليكفر بما أمامه ، وهذا المعنى صحيح لكن دلالة هذا اللفظ عليه ليست بالبيّنة .

والجواب ^(١) : أن الأمر كذلك [لكن] ^(٢) الفعل إذا ضمن معنى آخر لم يلزم إعطاء حكمه من جميع الوجوه بل من جلاله هذه اللغة العظيمة الشأن وجزالتها أن يذكر المتكلم فعلاً وتضمنه ^(٣) معنى (فعل) ^(٤) آخر ويجرى على المضمن أحكامه لفظاً وأحكام الفعل الآخر معنى فيكون في قوة ذكر الفعلين مع غاية الاختصار . ومن تدبر هذا وجده كثيراً في كلام الله تعالى .

فلفظة ^(٥) " يفجر " اقتضت " أمامه " بلا واسطة حرف ولا اسم موصول فأعطت ^(٦) ما اقتضته لفظاً واقتضى ما تضمنته من الفعل ^(٧) ذكر الحرف والموصول فأعطيته معنى . فهذا وجه هذا القول لفظاً ومعنى والله أعلم .

ثم أخبر سبحانه عن حال هذا الإنسان إذا شاهد اليوم الذي كذب به فقال (تعالى) : ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ^(٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ ^(٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ^(٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ^(١٠) ۝ ^(٨) . فيبرق أي يشرقه لما يشاهده من العجائب التي كان يكذب بها وخسف القمر ذهب ضوؤه وانمحي .

وجمع الشمس والقمر ولم يجتمعا قبل ذلك بل يجمعهما الذي يجمع عظام الإنسان بعد ما فرقها البلى ومزقها .

ويجمع للإنسان يومئذ جميع عمله الذي قدمه وآخره من خير أو شر . ويجمع ذلك من جمع القرآن في صدر رسول الله ﷺ .

(١) في المطبوع : (فالجواب) .

(٢) سقط من الأصل .

(٣) في المطبوع : (وما يضمنه) ، وفي الباقي : (تضمنه) .

(٤) سقط من الأصل .

(٥) في المطبوع : (فلفظ) .

(٦) في (م) و (ق) والمطبوع : (فأعطيت) .

(٧) في المطبوع : (ما تضمنه الفعل من ذكر) .

(٨) سورة القيامة الآيات (٧ - ١٠) .

(٩) في المطبوع : (فبرق) .

ويجمع المؤمنين في دار الكرامة فيكرم وجوههم بالنظر إليه ويجمع المكذبين في دار الهوان وهو قادر على ذلك كله كما جمع خلق الإنسان من نقطة من مني عني ثم جعله علقة مجتمعمة الأجزاء بعد ما كانت نقطة متفرقة في جميع بدن الإنسان .

وكما يجمع بين الإنسان / وبين ملك الموت ويجمع بين الساق والساق إما ساقا الميت [٥٣/ب] وإما^(١) ساقا^(٢) من يجهز بدنه من البشر ومن يجهز روحه من الملائكة .
أو يجمع عليه شدائد الدنيا والآخرة .

فكيف ينكر^(٣) هذا الإنسان أن يجمع بينه وبين عمله وجزائه ، وأن يجمع مع بني جنسه ليوم الجمع وأن يجمع عليه بين أمر الله ونهيه وعبوديته فلا يترك سدى مهملأ معطلاً لا يؤمر ولا ينهى ولا يثاب ولا يعاقب فلا يجمع عليه ذلك .

فما أجمع هذه السورة لمعاني الجمع ، والضم . وقد افتتحت بالقسم بيوم القيامة الذي يجمع الله فيه بين الأولين والآخرين . وبالنفس اللوامة التي اجتمع فيها همومها وعزومها^(٤) وإراداتها واعتقاداتها .

وتضمنت ذكر المبدأ والمعاد ، والقيامة الصغرى والكبرى وأحوال الناس في المعاد وانقسام وجوههم إلى ناظرة منعمة وباسرة معذبة وتضمنت وصف الروح بأنها جسم تنتقل من مكان إلى مكان .

فتجمع من تفريق البدن حتى تبلغ " التراقي " ويقول الحاضرون ﴿ مَنْ رَاقٍ ﴾^(٥) أي من يرقى من هذه العلة التي أعيت على الحاضرين أي التمسوا له من يرقيه ، والرقية آخر الطب^(٦) . أو

(١) في غير الأصل : (أو) .

(٢) في (المطبوع) : (ساق في الموضعين) .

(٣) في المطبوع : (أنكر) .

(٤) في المطبوع : (وغمومها) .

(٥) سورة القيامة الآية (٢٧) .

(٦) كما هو مروي عن عكرمة والضحاك وابن زيد وقتادة وغيرهم .

انظر : جامع البيان (٢٩/١٩٤-١٩٥) ، البسيط (١/٣٨٠) ، التفسير الكبير (٣٠/٢٠٤) ، الجامع لأحكام القرآن (١٩/١١١) وغيرها .

قيل^(١): من يرقى بها ويصعد ، أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب^(٢)؟ فعلى الأول تكون من رقى يرقى كرمى يرمى وعلى الثاني من رقى يرقى كشقى يشقى ومصدره الرقى ومصدر الأول الرقية . والقول الأول أظهر لوجوه أحدها : أنه ليس كل ميت يقول حاضروه : من يرقى بروحه ؟ وهذا إنما يقوله من يؤمن برقى الملائكة بروح الميت وأنهم ملائكة رحمة وملائكة عذاب بخلاف التماس الرقية وهي الدعاء فإنه قلما يخلو منه المحتضر .

الثاني : أن الروح إنما يرقى بها الملك بعد مفارقتها وحينئذ يقال من يرقى بها . وأما قبل المفارقة فطلب الرقية للمريض من الحاضرين أنسب من طلب علم من يرقى به إلى الله عز وجل .

الثالث : أن فاعل الرقية يمكن العلم به فيحسن السؤال عنه ويفيد السامع وأما الرقسي إلى

الله (تعالى) / فلا يمكن العلم بتعيينه حتى يسأل عنه ، و " من " إنما يسأل بها عن تعيين ما يمكن [١/٥٤] السائل أن يصل إلى العلم بتعيينه .

الرابع : إن مثل هذا السؤال إنما يراد به تحضيض وإثارة همهم إلى فعل ما يقع بعد " من " كقوله (تعالى) : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾^(٣) ، أو يراد به إنكار فعل ما يذكر بعدها كقوله (تعالى) : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾^(٤) . وفعل الرقسي إلى الله لا يحسن فيه واحد من الأمرين هنا بخلاف فاعل الرقية فإنه يحسن فيه الأول .

الخامس : أن هذا خرج على عادة العرب وغيرهم في طلب الرقية لمن وصل إلى^(٥) تلك الحال فحكى الله سبحانه ما جرت (به)^(٦) عادتهم بقوله وحذف فاعل القول لأنه ليس الغرض

(١) في المطبوع : (وقيل) .

(٢) كما هو مروي عن ابن عباس وأبي الجوزاء وأبي العالية .

انظر المراجع السابقة إضافة إلى الدر المنثور (٣٦٢-٣٦١/٨) .

(٣) سورة البقرة الآية (٢٤٥) .

(٤) سورة البقرة الآية (٢٥٥) .

(٥) في غير الأصل : (إلى مثل تلك) .

(٦) سقط من غير الأصل و (ب) .

متعلقاً بالقائل بل بالقول ولم تجر عادة المخاطبين بأن يقولوا من يرقى بروحه فكان حمل الكلام على ما ألف وجرت العادة بقوله أولى ، إذ هو تذكير لهم بما يشاهدونه ويسمعونه .

السادس : أنه لو أراد^(١) هذا المعنى لكان وجه الكلام أن يقال من هو الراقى ومن الراقى ؟ لا وجه للكلام غير ذلك كما يقال من هو القائل منكما كذا وكذا وفي^(٢) الحديث " من القائل (كلمة^(٣)) كذا " ^(٤) .

السابع : أن كلمة " من " إنما يسأل بها عن التعيين كما يقال من ذا الذي فعل كذا ، ومن ذا الذي قاله فيعلم أن فاعلاً وقائلاً فعل وقال ولا يعلم تعيينه فيسأل عن تعيينه بمن تارة وبأي تارة وهم لم يسألوا عن تعيين الملك الراقى بالروح إلى الله .

فإن قيل بل علموا أن ملك الرحمة والعذاب صاعد بروحه ولم يعلموا تعيينه فسألوا عن تعيين أحدهما . قيل هم يعلمون أن تعيينه غير ممكن فكيف يسألون عن تعيين ما لا سبيل للسامع إلى تعيينه ولا إلى الكلمة بالعلم به .

الثامن : أن الآية إنما سقت لبيان يأسه من نفسه ويأس الحاضرين معه وتحقق أسباب الموت ، وأنه قد حضر ولم يبق شيء ينجح فيه ولا مخلص منه بل هو / قد ظن أنه مفارق لا محالة [٥٤/ب] والحاضرون^(٥) قد علموا أنه لم يبق لأسباب الحياة المعتادة تأثير في بقائه فطلبوا أسباباً خارجة عن المقدور تستجلب الرقى^(٦) والدعوات فقالوا من راق أي من يرقى هذا العليل من أسباب الهلاك والرقية عندهم كانت مستعملة حيث لا يجدي الدواء .

التاسع : أن مثل هذا إنما يراد به النفي والاستبعاد ، وهو أحد التقديرين في الآية ، أي : لا أحد يرقى من هذه العلة بعدما وصل صاحبها إلى هذا الحال ، فهو استبعاد لنفع^(٧) الرقية لا طلب

(١) في غير الأصل : (أريد) .

(٢) سقطت الواو من (م) و (ب) .

(٣) سقط من الأصل .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، (٢٧) باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة ح (٦٠١)

من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما .

(٥) في المطبوع : (فالحاضرون) .

(٦) في المطبوع : (تستجلب بالرقى) .

(٧) في المطبوع : (لنفي) .

لوجود الرافي كقوله (تعالى) : ﴿ قَالَ مَنْ يُغِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (٧٨) ^(١) أي : لا أحد يحياها وقد صارت إلى هذه الحال : فإن أريد بها هذا ^(٢) المعنى استحال أن يكون من الرقي ^(٣) ، وإن أريد بها الطلب استحال أيضاً أن يكون منه ، وقد بينا أنها في مثل هذا إنما تستعمل للطلب والإنكار ^(٤) . وحيث فنقول في الوجه العاشر أنها : إما (أن) ^(٥) يراد بها ^(٦) الطلب ، أو الاستبعاد ، والطلب إما أن يراد به طلب الفعل أو طلب التعيين ، ولا سبيل إلى حمل واحدة من هذه المعاني على الرقي لما بيناه . والله أعلم .



(١) سورة يس الآية (٧٨) .

(٢) في (م) : (هذا) .

(٣) في الأصل : (الرافي) ولعله تصحيف .

(٤) في غير الأصل : (أو للإنكار) .

(٥) يابض في الأصل ، وفي (ب) والبقية (أن) .

(٦) سقط من (م) .

﴿ فصل ﴾

ومن أسرار هذه السورة أنه سبحانه جمع فيها لأوليائه بين جمال الظاهر والباطن : فزين وجوههم بالنظرة ، وبواطنهم بالنظر إليه ، فلا أجمل لبواطنهم ، ولا أنعم ولا أحلى من النظر إليه ، ولا أجمل لظواهرهم من نظرة الوجه ، وهي إشراقه وتحسينه وبهجته . وهذا كما قال في موضع آخر : ﴿ وَلَقَاهُمْ نَضْرَةٌ وَسُرُورًا (١١) ﴾ (١) .

ونظيره قوله (تعالى) : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سِوَاتِكُمْ ﴾ (٢) فهذا جمال الظاهر وزينته ثم قال : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ (٣) فهذا جمال الباطن وزينته ونظيره قوله (عز وجل) : ﴿ إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ (٦) ﴾ (٤) فهذا جمال ظاهرها ثم قال : ﴿ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٧) ﴾ (٥) فهذا جمال باطنها ونظيره قوله عن امرأة العزيز بعد أن قالت لـ يوسف : ﴿ اخْرُجْ عَلَيْنَهُنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) ﴾ (٦) قال فذلكن الذي لمتنني فيه (٦) (فهذا جمال الظاهر ، ثم [١/٥٥] وصفته بجمال باطنه وعفته) ﴿ وَلَقَدْ رَاودَتْهُ / عَنْ نَفْسِهِ فِاسْتَعْصَمَ ﴾ (٨) ، فذكرها لها هو (٩) تمام وصفها لمحاسنه ، وأنه في غاية المحاسن ظاهرا وباطنا .

وينظر إلى هذا المعنى ويناسبه قوله (تعالى) ﴿ إِنْ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) ﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى (١١٩) ﴿ (١٠) فقابل بين الجوع والعري ، لأن الجوع ذل الباطن ، والعري ذل الظاهر ، وقابل بين الظمأ وهو حر الباطن والضحى وهو حر الظاهر بالبروز للشمس .

(١) سورة الإنسان الآية (١١) .

(٢) سورة الأعراف الآية (٢٦) وفي غير الأصل (وريشاً) .

(٣) سورة الأعراف الآية (٢٦) .

(٤) سورة الصافات الآية (٦) .

(٥) سورة الصافات الآية (٧) . وقد تحرفت في الأصل إلى (وحفظناها) .

(٦) سورة يوسف الآيتان (٣١-٣٢) .

(٧) ما بين القوسين سقط من المطبوع .

(٨) سورة يوسف الآية (٣٢) .

(٩) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (من) .

(١٠) سورة طه الآيتان (١١٨-١١٩) .

وقريب من هذا قوله (عز وجل) : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ ^(١) ذكر الزاد الظاهر الحسي ، والزاد الباطن المعنوي فهذا زاد سفر الدنيا ، وهذا زاد ^(٢) سفر الآخرة .

ويلم به قول هود : ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾ ^(٣) فالأول : قوة الظاهر ^(٤) المنفصلة عنهم ، والثاني : الباطنة المتصلة بهم .

ويشبهه قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ ^(٥) فنفي عنهم الدافعين : الدافع من نفسه وقواه ، والدافع من خارج وهو الناصر .



(١) سورة البقرة الآية (١٩٧) .

(٢) في الأصل و (ب) : (أراد) وفي البقية (زاد) .

(٣) سورة هود الآية (٥٢) .

(٤) في (م) و (ف) والمطبوع : (الظاهرة) .

(٥) سورة الطارق الآية (١٠) .

﴿ فصل ﴾

ومن أسرارها : أنها تضمنت إثبات قدرة الرب (تعالى) ^(١) على ما علم أنه لا يكون ولا يفعله وهذا على أحد القولين في قوله (تعالى) : ﴿ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَاءَهُ ﴾ (٤) فأخبر أنه (تعالى) قادر عليه ولم يفعله ولم يرده .

وأصرح من هذا قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ ﴾ (١٨) ^(٢) وهذا أيضا على أحد القولين أي : تغور العيون في الأرض فلا يقدر على الماء وقال ابن عباس : يريد أنه يستغيض ^(٣) فيذهب ^(٤) . فلا يكون من هذا الباب بل يكون من باب القدرة على ما سيفعله .

وأصرح من هذين الموضعين قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ ^(٥) وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال عند نزول هذه الآية : " أعوذ بوجهك " ^(٦) ، ولكن قد ثبت عنه عليه السلام ^(٧) أنه لا بد أن يقع في أمته خسف ^(٨) . ولكن لا يكون عاما وهذا عذاب من تحت الأرجل .

وروي عنه ^(٩) أنه كائن في الأمة قذف أيضا ^(١٠) وهو عذاب من فوق . فيكون هذا من باب

الإخبار بقدرته على ما سيفعله ، وإن أريد به القدرة / على عذاب الاستئصال فهو من القدرة [٥٥/ب] على ما لا يريده .

(١) سقط من المطبوع .

(٢) سورة المؤمنون الآية (١٨) .

(٣) في (م) و (ق) و (والمطبوع :) سيغض .

(٤) لم أعتد إلى مصدره .

(٥) سورة الأنعام الآية (٦٥) .

(٦) أخرجه البخاري في (٦٥) كتاب التفسير (٦) سورة الأنعام ، باب ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ ﴾ الآية ح (٤٦٢٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٧) في (م) و (ق) والمطبوع : (صلى الله عليه وسلم) .

(٨) أخرج ذلك مسلم في (٥٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة ، (١٣) باب في الآيات التي تكون قبل الساعة ح (٢٩٠١) من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري ، عند ذكر علامات الساعة ومنها : (خسف بالشرق وآخر بالمغرب ، وثالث بجزيرة العرب) .

(٩) كما أخرج ذلك أبو داود في سننه في (٣٥) كتاب السنة ، (٦) باب في لزوم السنة ح (٤٥٩٥) ، والترمذي في (٣٣) كتاب القدر (١٦) باب . ح (٢١٥٢) ، وابن ماجه في (٣٦) كتاب الفتن . (٢٩) باب الخسوف . ح (٤٠٦٠ - ٤٠٦١ - ٤٠٦٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(١٠) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

وقد صرح سبحانه بأنه لو شاء لفعل ما لم يفعله في غير موضع من كتابه كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾^(١) وقال (تعالى) : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾^(٢) ونظائره .

وهذا مما لا خلاف^(٣) فيه بين أهل السنة ، وبه يبين فساد قول من قال : إن القدرة لا تكون إلا مع الفعل لا قبله وان الصواب التفصيل بين القدرة الموجبة والمصححة فنفي القدرة عن الفاعل قبل الملابس مطلقا خطأ والله أعلم .



(١) سورة يونس الآية (٩٩) .

(٢) سورة السجدة الآية (١٣) .

(٣) في المطبوع : (خفاء) .

﴿ فصل ﴾

ومن أسرارها : أنها تضمنت التائي والثبيت^(١) في تلقي العلم ، وأن لا يحمل السامع شدة محبته وحرصه وطلبه على مبادرة المعلم ، بالأخذ قبل فراغه من كلامه ، بل من آداب الرب التي أدب بها نبيه ﷺ أمره بترك الاستعجال على تلقي الوحي ، بل يصبر إلى أن يفرغ جبريل من قراءته ، ثم يقرأه بعد فراغه عليه فهكذا ينبغي لطالب العلم ولسامعه أن يصبر على معلمه حتى يقضي كلامه ، ثم يعيده عليه أو يسأله عما أشكل عليه منه ، ولا يبادره قبل فراغه .

وقد ذكر الله تعالى هذا المعنى في ثلاثة مواضع من كتابه هذا أحدها .

والثاني : قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ . ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾ ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾^(٢) ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ .

والثالث : قوله (تعالى) : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾^(٣) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى^(٤) ﴾ (٧) ﴿ فضمن لرسوله أنه لا ينسى ما أقرأه إياه وهذا يتناول حال القراءة وما بعدها .

وقد ذم الله سبحانه في هذه السورة من يؤثر العاجلة (على الآجلة)^(٤) ، وهذا لاستعجاله بما يفنى وإثاره على ما يبقى ، ورتب كل ذم ووعيده في هذه السورة على هذا الاستعجال ومحبة العاجلة على الآجلة ، فأرادته أن يفجر أمامه هو من استعجاله وحب العاجلة ، وتكذيبه ،

وتكذيبه بيوم القيامة من فرط حبه العاجلة وإثاره لها واستعجاله نصيبه وتمتعه به قبل أوانه ولولا/ [١/٥٦] حب العاجلة وطلب الاستعجال لتمتع به في الآجلة أكمل ما يكون .

وكذلك تكذيبه وتولييه وتركه الصلاة هو من استعجاله ومحبة العاجلة .

والرب سبحانه وصف نفسه بضد ذلك فلم يعجل على عبده بل أمهله إلى أن بلغت الروح التراقي وأيقن بالموت وهو إلى هذه الحال مستمر على التكذيب والتولي ، فالرب تعالى لا يعاجله بل يمهل ويحدث له الذكر شيئاً بعد شيء ، ويصرف له الآيات ويضرب له الأمثال وينبهه على

(١) هكذا في الأصل ، وفي غيره : (التبت) .

(٢) سورة طه الآية (١١٤) .

(٣) سورة الأعلى الآيتان (٦ - ٧) .

(٤) سقط من (ق) .

مبدئه من كونه نطفة من مني يميني ثم علقه ثم خلقاً سوياً فلم يعجل عليه بالخلق وهلة واحدة ، ولا بالعقوبة إذ كذب خبره وعصى أمره ، بل كان خلقه وأمره وجزاؤه بعد تمهل وتدرّج وأناسة ، ولهذا ذم الإنسان بالعجلة بقوله (تعالى) : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ (١١) ﴿^(١) وقال تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ (٣٧) ﴿^(٢) .



(١) سورة الإسراء الآية (١١) .

(٢) سورة الأنبياء الآية (٣٧) .

﴿ فصل ﴾

ومن أسرارها^(١): إثبات النبوة والمعاد يعلم بالعقل ، وهذا أحد القولين لأصحابنا وغيرهم وهو الصواب . فإن الله سبحانه أنكر على من حسب أنه يترك سدى فلا يؤمر ولا ينهى ، ولا يثاب ولا يعاقب ، ولم ينف سبحانه ذلك بطريق الخير المجرد بل نفاه نفي ما لا يليق نسبته إليه ، ونفي منكر على من حكمه به وظنه .

ثم استدل سبحانه على فساد ذلك وبين أن خلقه الإنسان في هذه الأطوار وتنقله فيها طوراً بعد طور حتى يبلغ نهايته يأبى أن يتركه سدى ، وأنه تتره^(٢) عن ذلك كما تتره^(٣) عن العبث والعيب والنقص .

وهذه طريقة القرآن في غير موضع ، كما قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿^(٣) فجعل كمال ملكه ، وكونه سبحانه الحق وكونه لا إله إلا هو وكونه رب العرش المستلزم لربوبيته لكل ما دونه مبطلاً لذلك الظن الباطل (والحكم)^(٤) الكاذب وإنكار هذا الحسبان عليهم مثل إنكاره عليهم حسبانهم أنه لا يسمع سرهم ونجواهم / وحسبان أنه لا يراهم ولا يقدر عليهم [٥٦/ب] ، وحسبان أنه يسوي بني أوليائه وبين أعدائه في محياهم ومماقم وغير ذلك مما هو متره عن تتره^(٥) عن سائر العيوب والنقائص وأن نسبة ذلك إليه^(٦) كنسبة ما يتعالى عنه مما لا يليق به من اتخاذ الولد والشريك ونحو ذلك مما ينكره سبحانه على من حسبه أشد الإنكار فدل على أن ذلك قبيح ممتنع نسبته إليه كما يمتنع أن ينسب إليه سائر ما ينافي كماله المقدس ، ولو كان نفي تركه سدى إنما يعلم بالسمع المجرد لم يقل بعد ذلك ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً ﴾ إلى آخره ، مما^(٧) يدل على أن تعطيل أسمائه وصفاته ممتنع ، وكذلك تعطيل موجبها ومقتضاها فإن ملكه الحق يستلزم أمره ونهيه

(١) في غير الأصل و (ب) زيادة (أن) .

(٢) في (م) و (ق) والمطبوع : (بتره) .

(٣) سورة المؤمنون الآيتان (١١٥ - ١١٦) .

(٤) سقط من الأصل .

(٥) في غير الأصل : (تترهه) .

(٦) سقط من (ق) والمطبوع .

(٧) في (م) و (ق) والمطبوع : (ومما) .

وثوابه وعقابه ، وكذلك يستلزم إرسال رسله وإنزال كتبه وبعث العباد ليوم يجزي فيه المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، فمن أنكر ذلك فقد أنكر حقيقة ملكه ولم يثبت له الملك الحق ، ولذلك كان منكر البعث كافراً بربه وإن زعم أنه يقر بصانع^(١) ، فلم يؤمن بالملك الحق الموصوف بصفات الجلال المستحق^(٢) لنعوت الكمال ، كما أن المعطل لكلامه وعلوه على (خلقه)^(٣) لم يؤمن به سبحانه ، فإنه آمن برب لا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى ولا يصعد إليه قول ولا عمل ولا يتزل من عنده (أمر)^(٤) ولا نهي ، ولا ترفع إليه الأيدي . ومعلوم أن هذا الذي أقر به^(٥) رب مقدر في ذهنه ليس هو رب العالمين وإله المرسلين .

وكذلك إذا اعتبرت اسمه الحي وجدته مقتضياً لصفات كماله من علمه وسمعه وبصره وقدرته وإرادته ورحمته وفعله ما يشاء واسمه القيوم ، ومقتض لتدبيره أمر العالم العلوي والسفلي وقيامه بمصالحه وحفظه له .

فمن أنكر صفات كماله لم يؤمن بأنه الحي القيوم ، وإن أقر بذلك أُلحِد في أسمائه وعطل حقائقها حيث لم يمكنه تعطيل ألفاظها وبالله التوفيق .



(١) في غير الأصل : زيادة (العالم) .

(٢) في المطبوع : (والمستحق) .

(٣) في الأصل : (على عرشه) وفوق كلمة (عرشه) ، (خلقه) وفي باقي النسخ (خلقه) .

(٤) تحرفت في الأصل إلى (ملك) والتصويب من البيقية .

(٥) في (م) و (ق) والمطبوع : (آمن به) بدل : (أقر به) .

﴿ فصل ٥٤ ﴾

{ القسم في سورة المدثر }

ومن ذلك قوله (تعالى) (١): ﴿ كَلَّا وَالْقَمَرَ (٣٢) وَاللَّيْلَ إِذَا أَذْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لِإِخْدَى / الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ (٢).

[١/٥٧]

أقسم سبحانه بالقمر الذي هو آية الليل وفيه من الآيات الباهرة الدالة على ربوبية خالقه وبارئه ، وحكمته وعنايته بخلقه ما هو معلوم بالمشاهدة . وهو سبحانه أقسم بالسماء وما فيها مما لا تراه من الملائكة وما فيها مما تراه من الشمس والقمر والنجوم ، وما يحدث بسبب حركات الشمس والقمر من الليل والنهار ، وكل من ذلك آية من آياته الدالة على ربوبيته (٣).

ومن تدبر أمر هذين النيرين العظيمين وجدهما من أعظم الآيات في خلقهما وجرمهما ونورهما ، وحركتهما على نهج واحد لا ينيان ولا يفتران دائبين . ولا يقع في حركتهما اختلاف بالبطء (٤) والسرعة ، والرجوع والاستقامة ، والانخفاض والارتفاع ، ولا يجري أحدهما في تلك صاحبه ولا يدخل عليه في سلطانه ، ولا تدرك الشمس والقمر ، ولا يجيء الليل قبل انقضاء النهار ، بل لكل حركة مقدرة ، ونهج معين لا يشركه فيه الآخر كما أن له تأثيراً ومنفعة لا يشركه فيها الآخر .

وذلك مما يدل من له أدنى عقل على أنه بتسخير مسخر ، وأمر آمر ، وتدبير مدبر ، بهرت حكمته العقول ، وأحاط علمه بكل دقيق وجليل ، وفوق (٥) ما علمه الناس من الحكم الذي فيه خلقهما ما لا تصل إليه عقولهم ولا تنتهي إلى مبادئها أو هامهم ، فغايتنا الاعتراف بجلال خالقهما وكمال حكمته ولطف تدبيره ، وأن نقول ما قاله أولوا الأبواب قبلنا : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) ﴾ (٦) .

(١) زيادة من (ب) والمطبوع ، وفي (م) و (ق) (سبحانه) .

(٢) سورة المدثر الآيات (٣٢-٣٧) .

(٣) في غير الأصل : (ودلالته من دلائل ربوبيته) .

(٤) في (ق) : (وبالبطء) .

(٥) في المطبوع : (وفرق) بدل : (وفوق) .

(٦) سورة آل عمران الآية (١٩٠) .



ولو أن العبد وصف له جرم أسود مستدير عظيم الخلق ، يبدو فيه النور كخيطة متسخن ، ثم يتزايد كل ليلة حتى يتكامل نوره فيصير أضوا (شيء) ^(١) وأحسنه وأجمله ، ثم يأخذ في النقصان حتى يعود إلى حاله الأول ، فيحصل بسبب ذلك معرفة الأشهر والسنين ، وحساب / آجال العالم [ب/٥٧] من مواقيت حجهم وصلاتهم ، ومواقيت أجاراتهم ^(٢) ومدائناهم التي لا تقوم مصالحهم ومعاملاتهم إلا بها . فمصالح الدنيا والدين متعلقة بالأهله .

وقد ذكر سبحانه ذلك في ثلاث آيات من كتابه :

أحدها : قوله (عز وجل) : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ ^(٣) .

والثانية : قوله (عز وجل) : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّ وَالْحِسَابِ ﴾ ^(٤) . الآية ^(٥) .

والثالثة : قوله (تعالى) : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ ^(٦) الآية ^(٧) .

فلولا ما يحدثه الله سبحانه في آية الليل من زيادة ضوئها ونقصانه لم يعلم ميقات الحج والصوم والعدد ومدة الرضاع ومدة الحمل ، والإجارة ^(٨) ، ومدة آجال المعاملات ^(٩) .

فإن قيل : كان يمكن علم ^(١٠) هذا بحركة الشمس وبالأيام ^(١١) التي تحفظ بطلوع الشمس وغروبها ، كما يعرف أهل الكتاين مواقيت صيامهم ، وأعيادهم بحساب الشمس .

(١) سقط من الأصل .

(٢) في (م) و (ق) والمطبوع : (أجارهم) .

(٣) سورة البقرة الآية (١٨٩) .

(٤) سورة يونس الآية (٥) .

(٥) في (م) و (ق) والمطبوع : تكلمة الآية .

(٦) سورة الإسراء الآية (١٢) .

(٧) في (م) و (ق) والمطبوع : تكلمة الآية .

(٨) في غير الأصل : (ومدة الإجارة) .

(٩) تحرفت في المطبوع إلى (الحملات) .

(١٠) سقط من المطبوع .

(١١) في المطبوع : (والأيام) .

قيل : هذا وإن كان ممكناً إلا أنه يعسر ضبطه ولا يقف عليه إلا الآحاد من الناس . ولا ريب أن معرفة أوائل الشهور وأواسطها وأواخرها بالقمر أمر يشترك فيه الناس وهو أسهل من معرفة ذلك بحساب الشمس وأقل اضطراباً واختلافاً ، ولا يحتاج إلى تكلف حساب ، وتقليد من لا يعرفه من الناس لمن يعرفه ، فالحكمة الباهرة التي في تقدير السنين والشهور بسير القمر أظهر وأبلغ^(١) وأصلح اختلافاً من تقديرها بسير الشمس فالرب جل جلاله دبر الأهلّة بهذا التدبير العجيب لمنافع خلقه في مصالح دينهم ودنياهم ، مع ما يتصل بذلك^(٢) من الاستدلال به على وحدانيته^(٣) وكمال علمه وحكمته^(٤) وتدبيره ، فشهادة الخلق بتغيير الأجرام الفلكية ، وقيام أدلة الحدوث والخلق عليها . فهي آيات ناطقة بلسان الحال على تكذيب الدهرية^(٥) وزنادقة / [١/٥٨] الفلاسفة^(٦) والملاحدة^(٧) والقائلين بأنها أزلية أبدية لا يتطرق إليها التغيير ولا يمكن عدها . فإذا تأمل البصير القمر مثلاً وافتقاره إلى محل يقوم به ، وسيره دائماً لا يتغير^(٨) ، مسير ، مسخر ، (مدبر)^(٩) ، وهبوطه تارة وارتفاعه تارة ، وأفوله تارة ، وظهوره تارة ، وذهاب نوره

(١) في غير الأصل : (وأنفع) .

(٢) في المطبوع : (به) بدل (بذلك) .

(٣) في المطبوع : (على وحدانية الرب) .

(٤) في (م) و (ق) والمطبوع : (كمال حكمته وعلمه) .

(٥) الدهرية : هم الذين ينكرون الربوبية ، ويحيلون الأمر والنهي والرسالة من الله تعالى ، ويقولون : هذا مستحيل في العقول ، ويقولون بقدوم العالم ، وينكرون الثواب والعقاب ، ولا يفرقون بين الحلال والحرام ، وينفون أن يكون في العالم دليل على صانع ومصنوع ، وخالق ومخلوق ، وينسبون النوازل التي تنزل بهم إلى الدهر ، وينكرون المعاد والجزاء والحساب .

انظر : الفصل في الملل والنحل (٤٧/١) ، الملل والنحل للشهرستاني (٦١/٢) .

(٦) الزنادقة : جمع زنديق وهو القائل ببقاء الدهر ، فارسي معرب ، والزنديق لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق ، وقد ذكر شيخ الإسلام أن لفظ الزنادقة لا يوجد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا في القرآن وهو لفظ أعجمي معرب أخذ من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام وعرب ، وقد تكلم به السلف والأئمة في توبة الزنديق ونحو ذلك .

انظر : بغية المرئاد ص (٣٣٨) .

أما الفلسفة : فهي كلمة يونانية تعني (محبة الحكماء) ، والفيلسوف هو (فيلا) و (سوف) وفيلا هو المحب و (سوف) هو الحكمة أي (محبة الحكمة) .

انظر : الملل والنحل للشهرستاني (١٢٢/٢) .

(٧) الملاحدة : جمع ملحد ، والإلحاد في اللغة الميل والعدول ، والإلحاد مذهب من ينكر وجود الله ، وقد يطلق على المشكك الذي يتظاهر بالامتناع دون عقيدة . انظر : المعجم الفلسفي ص (٢٠) .

(٨) في المطبوع : (لا يغير) .

(٩) سقط من الأصل .

شيئاً فشيئاً ثم عوده إليه كذلك ، وذهاب ضوءه جملة واحدة حتى يعود قطعة مظلمة بالكسوف علم قطعاً أنه مخلوق ومربوب مسخر تحت أمر خالق قاهر مسخر له كما يشاء .

وعلم أن الرب سبحانه لم يخلق هذا باطلاً ، وأن هذه الحركة فيه لا بد أن تنتهي إلى الانقطاع والسكون ، وأن هذا الضوء والنور لا بد أن ينتهي إلى ضده ، وأن هذا السلطان لا بد أن ينتهي إلى العزل . وسيجمع بينهما جامع المتفرقان بعد أن يكونا (مجتمعين)^(١) ويذهب بهما حيث شاء ، ويرى المشركون^(٢) من عبدتهما حال آلهتهم التي عبدوها من دونه ، كما يرى عباد الكواكب انتشارها ، وعباد السماء انفطارها ، وعباد الشمس تكويرها ، وعباد الأصنام إهانتها وإلقاءها في النار أحقر شيء وأذله وأصغره ، كما أرى عباد العجل في الدنيا حاله ، ومبارد عبادته تسحقه وتمحقه ، والريح تمزقه وتذروه وتنسقه في اليم ، وكما أرى عباد^(٣) الأصنام في الدنيا صورها مكسرة مخردة ملقاة بالأمكنة القدرة ومعاول الموحدين قد هشتت منها تلك الوجوه وكسرت تلك الرؤوس وقطعت تلك الأيدي والأرجل التي كانت لا يوصل إليها بغير التقبيل والاستلام .

وهذه سنته^(٤) التي لا تبدل ، وعادته التي لا تحول : أنه يرى عابد غيره حال معبوده في الدنيا والآخرة ، وإن كان المعبود غير راض بعبادته^(٥) أراه تبريه منه ، ومعاداته له أحوج ما يكون إليه ، ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾^(٦) ، (ويعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين)^(٧) .

**تأمل سطور الكائنات فإنها
وقد خط فيها لو تأملت خطها**
**من الملك الأعلى إليك رسائل
ألا كل شيء ما خلا الله باطل**

ولو شاء تعالى لأبقى القمر على حالة واحدة لا تتغير وجعل التغير^(٨) في الشمس ولو شاء لغيرهما معاً ، ولو شاء لأبقاهما معاً على حالة واحدة . ولكن يرى عباد آياته في أنواع تصاريدها

(١) بياض بالأصل ، وفي باقي النسخ : (مجتمعين) .

(٢) في غير الأصل : (ويرى المشركين) .

(٣) سقط من المطبوع .

(٤) في المطبوع : (سنة الله) .

(٥) في غير الأصل و (ب) : (بعبادته غيره) .

(٦) سورة الأنفال الآية (٤٢) .

(٧) كما في سورة النحل الآية (٣٩) في قوله : ﴿ ويعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ﴾ .

(٨) في (م) و (ق) والمطبوع : (التغير) .



ليدهم على أنه الله الذي لا إله إلا هو الملك الحق المبين الفعال لما يريد ، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ
تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٥٤) .^(١)

وأما تأثير القمر في ترطيب أبدان الحيوان والنبات وفي المياه وجزر البحر ومدّه ، وبحرانات
الأمراض ، وتنقلها من حال إلى حال وغير ذلك من المنافع ، فأمر ظاهر .



^(١) سورة الأعراف الآية (٥٤) .

❦ فصل ❧

وأما إقسامه سبحانه بالليل ﴿إِذَا أَدْبَرَ﴾ ، فلما في إدباره وإقبال النهار من أيين الدلالات الظاهرة على المبدأ أو المعاد ، فإنه مبدأ ومعاد يومي مشهود بالعيان ، بينا^(١) الحيوان في سكون الليل وقد هدأت حركاتهم ، وسكنت أصواتهم ، ونامت عيونهم ، وصاروا إخوان الأموات ، إذ أقبل من النهار داعيه ، وأسمع الخلائق مناديه ، فانتشرت منهم الحركات ، وارتفعت منهم الأصوات حتى كأنهم قاموا أحياء من القبور يقول قائلهم : " الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور " ^(٢) فهو معاد جديد ، أبدأه وأعاده الذي يبدئ ويعيد ، فمن ذهب بالليل وجاء بالنهار سوى الواحد القهار ؟ .

فمن تأمل حال الليل إذا عسفس وأدبر ، والصبح إذا أسفر وتنفس^(٣) فهزم جيوش الظلام بنفسه ، وأضاء أفق العالم بقبسه ، وفل كئيب المواقب بعساكره ، وأضحك نواحي الأرض بتباشيره وبشائره فيألهما آيتان شاهدتان بوحدانية منشئهما وكمال ربوبيته ، وعظيم^(٤) قدرته وحكمته ، فتبارك الذي جعل طلوع الشمس وغروبها مقيماً لسلطان الليل والنهار / فلولا [١/٥٩] طلوعها لبطل أمر العالم كله فكيف كان الناس يسعون في معاشهم^(٥) ، ويتصرفون في أمورهم والدنيا مظلمة عليهم ، وكيف كانت قنبيهم الحياة مع فقد لذة النور وروحه ؟ وأي ثمار ونبات وحيوان كان يوجد ؟ وكيف كانت تتم مصالح أبدان الحيوان والنبات ؟ .

ولولا غروبها لم يكن للناس هدوء ولا قرار مع عظم حاجتهم إلى الهدوء لراحة أبدانهم ، وجموم^(٦) حواسهم ، فلولا^(٧) جثوم هذا الليل عليهم بظلمته لما^(٨) هداؤا ولا قروا ولا سكنوا ، بل جعله أحكم الحاكمين سكناً ولباساً ، كما جعل النهار ضياءً ، ومعاشاً .

(١) في (م) والمطبوع : (بينما) .

(٢) كما أخرج ذلك البخاري في صحيحه في (٨٠) كتاب الدعوات ، (٧) باب ما يقول إذا نام ح (٦٣١٢) من حديث حذيفة رضي الله عنه ، وكذا أخرجه مسلم من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في (٤٨) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (١٧) باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ح (٢٧١١) .

(٣) في غير الأصل : (إذا تنفس وأسفر) .

(٤) في (م) و (ق) والمطبوع : (وعظم) .

(٥) في (م) و (ق) والمطبوع : (معاشهم) .

(٦) في الأصل و (ب) : (جموم) من غير واو

(٧) في الأصل : (لولا) .

(٨) في غير الأصل و (ب) : (ما هداؤا) .

ولولا الليل وبرده لاحتقرت أبدان النبات والحيوان من (دوام) ^(١) شروق الشمس عليها ، وكان يحترق ما عليها من نبات وحيوان فاقتضت حكمة أحكم الحاكمين أن جعلها سراجاً يطلع على العالم في وقت حاجتهم إليه ، ويغيب في وقت استغنائهم عنه ، فطلوعه لمصلحتهم ، وغيبته لمصلحتهم ، وصار النور والظلمة على تضادهما متعاونين متظاهرين على مصلحة هذا العالم وقوامه . فلو جعل الله سبحانه النهار سرمداً إلى يوم القيامة والليل ^(٢) سرمداً إلى يوم القيامة لفاتت مصالح العالم ، واشتدت الضرورة إلى تغيير ذلك وإزالته بضده .

وتأمل حكمته سبحانه في ارتفاع الشمس وانخفاضها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة ، وما في ذلك من مصالح الخلق . ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد منها مواد الثمار ويكف ^(٣) الهواء فينشأ منه السحاب وينعقد ^(٤) فيحدث المطر الذي به حياة الأرض ، ونماء أبدان الحيوان والنبات ، وحصول الأفعال والقوى ، وحركات الطبائع .

وفي الصيف يحرم ^(٥) الهواء فتتنضج الثمار وتشتد الجيوب ويجف وجه الأرض فيتهيأ للعمل . وفي الخريف : يصفو الهواء ، وتبرد الحرارة ، ويمتد الليل ، وتستريح الأرض والشجر للحمل والنبات مرة ثانية ، بمرتلة راحة الحامل بين الحملين ففي هذه الأزمنة مبدأ ومعاد مشهود وشاهد بالمبدأ والمعاد الغيبي .

والمقصود أن / بحركة هذين النيرين تتم مصالح العالم ، وبذلك يظهر الزمان ، فإن الزمان [هـ/ب] مقدار الحركة فالسنة الشمسية مقدار سير ^(٦) الشمس من نقطة الحمل إلى مثلها ، والسنة القمرية مقدرة بسير القمر وهو أقرب إلى الضبط ، واشتراك الناس في العلم به وقدر أحكم الحاكمين تنقلهما في منازلهما لما في ذلك من تمام الحكمة ولطف التدبير .

فإن الشمس لو كانت تطلع وتغرب في موضع واحد لا تتعداه ، لما وصل ضوءها وشعاعها إلى كثير من الجهات ، فكان نفعها يفقد هناك فجعل الله سبحانه طلوعها دولاً بين الأرض لينال

(١) سقط من الأصل .

(٢) في (م) و (ق) : (أو الليل) .

(٣) في المطبوع : (ويكف) .

(٤) في غير الأصل والمطبوع : (ويتعقد) .

(٥) في (م) و (ب) و (ق) : (يخدم) .

(٦) في (م) و (ق) : (مسير) .

نفعها وتأثيرها البقاع فلا يبقى^(١) من المواضع التي يمكن أن يطلع عليها إلا آخذ بقسطه من نفعها . واقتضى هذا التدبير المحكم أن وقع مقدار الليل والنهار على أربعة وعشرين ساعة ، ويأخذ كل واحد من صاحبه^(٢) ، ومنتهى كل منها إذا امتد خمس عشرة ساعة فلو زاد مقدار (النهار)^(٣) على ذلك إلى خمسين ساعة مثلاً أو أكثر لاختل نظام العالم وفسد أكثر الحيوان والنبات ، ولو نقص مقداره عن ذلك لاختل النظام أيضاً ، وتعطلت المصالح . ولو استويا دائماً لما اختلفت فصول السنة التي باختلافها مصالح العباد والحيوان ، فكان في هذا التقدير والتدبير المحكم من الآيات والمصالح والمنافع ما يشهد بأن ذلك من تقدير العزيز العليم . ولهذا يذكر سبحانه هذا التقدير ويضيفه إلى عزته وعلمه كما قال (تعالى) : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلَمُونَ ﴾ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) ﴿^(٤) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ﴾ إلى قوله : ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (١٢) ﴿^(٥) . وقال تعالى : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (٩٦) ﴿^(٦) .

فهذه ثلاثة مواضع يذكر فيها أن تقدير حركات الشمس والقمر والأجرام العلوية وما نشأ^(٧) عنها كان من مقتضى عزته وعلمه ، وأنه قدره بهاتين الصفتين . وفي هذا تكذيب لأعداء الله الملاحدة الذين / ينفون قدرته واختياره وعلمه بالمغيبات .



(١) في غير الأصل : (فلا يبقى موضع من المواضع) .

(٢) في غير الأصل : (كل منهما من صاحبه) .

(٣) في الأصل (الليل) وفي البقية (النهار) .

(٤) سورة يس الآيتان (٣٧-٣٨) .

(٥) سورة فصلت الآيات (٩-١٢) . وفي غير الأصل ذكر الآيات كاملة .

(٦) سورة الأنعام الآية (٩٦) .

(٧) في (ق) والمطبوع : (ينشأ) .

﴿ فصل ﴾

وأقسم سبحانه بهذه الأشياء الثلاثة وهي القمر والليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر على المعاد لما في المقسم^(١) به من الدلالة على ثبوت المقسم عليه ، فإنه يتضمن كمال قدرته وحكمته وعنايته بخلقه ، وإبداء الخلق وإعادته كما هو مشهود في إبداء النهار والليل وإعادتهما وفي إبداء النور وإعادته في القمر ، وفي إبداء الزمان وإعادته الذي هو حاصل بسير الشمس والقمر ، وإبداء الحيوان والنبات وإعادتهما ، وإبداء فصول السنة وإعادتهما ، وإبداء ما يحدث في تلك الفصول وإعادته ، فكل ذلك دليل ظاهر على المبدأ والمعاد الذي أخبرت به رسله^(٢) كلهم عنه ، فصرف سبحانه الآيات الدالة على صدقه ، وصدق رسله ونوعها ، وجعلها للفظر تارة ، (وللعقول تارة)^(٣) ، وللسمع تارة ، وللمشاهدة تارة ، فجعلها آفاقية ونفسية ، ومنقولة ومعقولة ، ومشهودة بالعيان ومذكورة بالجنان ، فأبى الظالمون إلا كفوراً^(٤) ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً ﴾ (٣) ﴿^(٥) .

ولما أقام الحجة ، وبين المحجة ، ارتقى كل نفس بكسبها ، وواخذها بذنبها ، واستثنى من أولئك من قبل هداه ، واتبع رضاه ن وهم أصحاب اليمين الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ، وسلوكوا غير سبيل المجرمين ، الذين ليسوا من المصلين ولا من مطعمي المساكين ، وهم / من أهل الخوض مع الخائضين المكذبين بيوم الدين ، فهذه أربع صفات أخرجتهم من زمرة المفلحين وأدخلتهم في جملة الهالكين :

الأولى : ترك الصلاة ، وهي عمود الإخلاص للمعبود .

(١) في (ق) والمطبوع : (القسم) .

(٢) في المطبوع : (الرسل) .

(٣) سقط من المطبوع .

(٤) كما في قوله تعالى (فأبى أكثر الناس إلا كفوراً) سورة الإسراء الآية (٨٩) .

(٥) سورة الفرقان الآية (٣) .

(٦) في المطبوع : (وأخذها) .

الثانية : ترك إطعام المسكين الذي هو أهم مراتب الإحسان للعبيد .

فلا إخلاص للخالق ، ولا إحسان للمخلوق كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَءَوْنَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧) ﴾^(١) ، وقال (تعالى) : ﴿ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (٥٤) ﴾^(٢) ، وهذا ضد ما وصف به أصحاب اليمين بقوله (عز وجل) : ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) ﴾^(٣) وقال (تعالى) : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) ﴾^(٤) . وقرن سبحانه بين هذين الأصلين في غير موضع من كتابه :

فأمر بهما تارة^(٥) ، وأثنى على فاعلهما تارة^(٦) ، وتوعد بالويل والعقاب تاركهما تارة^(٧) ، فإن مدار النجاة عليهما ولا فلاح لمن أحل بهما .

الصفة الثالثة والرابعة : الخوض بالباطل ، والتكذيب بالحق (فاجتمع لهم عدم الإخلاص والإحسان ، والخوض بالباطل والتكذيب بالحق)^(٨) ، واجتمع لأصحاب اليمين الإخلاص ، والإحسان ، والتصديق بالحق ، والتكلم به ، فاستقام إخلاصهم وإحسانهم ، وبقينهم وكلامهم . واستبدل أصحاب الشمال بالإخلاص شركاً ، وبالإحسان إساءة ، وباليقين شكاً وتكديماً ، وبالكلام النافع خوضاً في الباطل ، فلذلك لم تنفعهم شفاعة الشافعين ، أي : لم يكن^(٩) من يشفع فيهم ، لا أن شفاعة تقع فيهم ولا تنفع ، وهذا لما أعرضوا عن التذكرة ولم يرفعوا بها رأساً وجفلوا عند^(١٠) سماعها / كما تجفل حمرة الوحش من الأسد ، أو الرماة .

[١/٦١]

^(١) سورة الماعون الآيتان (٧-٦) .

^(٢) سورة التوبة الآية (٥٤) .

^(٣) سورة الأنفال الآية (٣) .

^(٤) سورة السجدة (الآية ١٦)

^(٥) في قوله تعالى : (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ، وادعوه خوفاً وطمعاً) سورة الأعراف الآية (٥٦) .

^(٦) كما في قوله تعالى : (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة يورجو رحمة ربه) سورة الزمر (٩) .

(٧)

^(٨) سقط من (ق) .

^(٩) في غير الأصل : (لم يكن لهم) .

^(١٠) في غير الأصل و (ب) : (عن) .

ثم ختم السورة بأنه جمع فيها بين شرعه وقدره ، وإقامة الحجة عليهم بإثبات المشيئة لهم
وبيان مقتضى التوحيد والربوبية ، أن ^(١) ذلك إليه لا إليهم ، فالأول: عدله ، والثاني : فضله ،
فالأول: يوجب السعي والطلب والحرص على ما ينجيهم ، كما يفعلون ذلك في مصالح دنياهم
بل أشد ، والثاني : يوجب الاستعانة والتوكل والتفويض والرغبة إلى من ذلك بيده
ليسهله ^(٢) ويوفقهم له ، والله المستعان وعليه التكلان .



^(١) في المطبوع : (وأن) .

^(٢) في المطبوع : (ليسهل لهم) .

﴿ فصل ٥٤ ﴾

{ القسم في سورة الحاقة }

ومن ذلك قوله (تعالى) ^(١): ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) ﴾ ^(٢) إلى آخرها .

قال مقاتل : (بما تبصرون من الخلق وما لا تبصرون منه) ^(٣) .

قال قتادة : " أقسم بالأشياء كلها ما ^(٤) يبصر منها وما لا يبصر ^(٥) .

وقال الكلبي : ما يبصرون من شيء وما لا يبصرون من ^(٦) شيء .

وهذا أعم قسم وقع في القرآن ، فإنه يعم العلويات والسفليات ، والدنيا والآخرة ، وما يرى وما لا يرى ، ويدخل في ذلك الملائكة كلهم والجن والأنس ، والعرش والكرسي ، وكل مخلوق ، وذلك كله ^(٧) من آيات قدرته وربوبيته ، وهو سبحانه يصرف الأقسام كما يصرف الآيات ، ففي ضمن هذا القسم أن كل ما يرى وما لا يرى آية ودليل على صدق رسوله ، وإن ما جاء به هو من عند الله ، وهو كلامه لا كلام شاعر ولا مجنون ولا كاهن . ومن تأمل المخلوقات ما يراه منها وما لا يراه ، واعتبر ما جاء به الرسول بها ، ونقل فكرته في مجاري / الخلق والأمر ظهر [ب/٦١] له أن هذا القرآن من عند الله ، وأنه كلام الله ^(٨) ، وهو أصدق الكلام ، وأنه حق ثابت .

كما أن سائر المخلوقات ^(٩) ما يرى منها وما لا يرى حق ^(١٠) . كما قال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (٢٣) ﴾ ^(١١) أي أن كان نطقكم حقيقة وهو أمر

^(١) سقط من المطبوع .

^(٢) سورة الحاقة الآيات (٣٨ - ٤٠) .

^(٣) أنظر : البسيط (١ / ١٠٩) .

^(٤) في غير الأصل و (ب) : (بما) .

^(٥) أنظر : معالم التنزيل (٨ / ٢١٤) .

^(٦) في (م) و (ق) : (ما تبصرون - ما لا تبصرون) . وفي المطبوع : (تبصرون من شيء ، وما لا تبصرون) . وأنظر : البسيط (١ / ١٠٩) .

^(٧) في المطبوع : (وكل ذلك) .

^(٨) في غير الأصل : (وأنه كلامه) .

^(٩) في غير الأصل : (الموجودات) .

^(١٠) في (ق) : زيادة : (ثابت) .

^(١١) سور الذاريات الآية (٢٣) .

موجود لا تمارون فيه ولا تشكون فهكذا ما أخبرتكم به من التوحيد والمعاد والنبوة حق ، كما في الحديث : " إنه لحق كما أنك ههنا " ^(١) فكأنه سبحانه يقول : إن القرآن حق كما أن ما شاهدوه من الخلق وما لا يشاهدونه حق موجود ، بل لو فكرتم فيما تبصرون وفيما لا تبصرون لدللكم ذلك على أن القرآن حق ، ويكفي ^(٢) الإنسان من جميع ما يبصره وما لا يبصره ^(٣) نفسه ^(٤) ، ومبدأ خلقه ونشأته ، وما يشاهده من أحواله ظاهراً وباطناً ، ففي ذلك أبين دلالة على وحدانية الرب ، وثبوت صفاته ، وصدق ما أخبر به رسوله ﷺ ، ومن لم يباشر قلبه ذلك حقيقة لم يخالط بشاشة الإيمان قلبه ^(٥) .

ثم ذكر سبحانه المقسم عليه فقال : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ وهذا رسوله البشري محمد ﷺ ، وفي إضافته إليه باسم الرسالة أبين دلالة ^(٦) أنه كلام المرسل (له حقيقة ، وكلام رسوله تبليغاً ، إذ حقيقة الرسول من يبلغ كلام المرسل) ^(٧) فمن أنكر أن يكون الله قد تكلم بالقرآن فقد

^(١) في غير الأصل : (أنه لحق مثل ما أنك ههنا) وهذه جزء العبارة من حديث أخرجه أبو داود في سننه (٣٢) كتاب الملاحم ، (٣) باب أمارات الملاحم ح (٤٢٩٤) ، وابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الفتن ، (٢) ما ذكر في فتنة الدجال ح (٣٧٤٧٧) ، وخطيب البغدادي في تاريخه (٢٢٣/١٠) في ترجمة عبدالرحمن بن ثابت الشامي ، من حديث معاذ بن جبل ري الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عمران بيت المقدس خراب يثر ، وخراب يثر خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ، وفتح القسطنطينية خروج الدجال) ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه أو منكبه ثم قال : (إن هذا لحق كما أنت ههنا ، أو : كما أنك قاعد) يعني معاذ بن جبل . وقد حسنه الألباني رحمه الله كما في صحيح أبي داود (٨١٠/٣) ، وفي تخريجه للمشكاة (١٤٩٤/٣) .

^(٢) في (ق) : (يلقي) .

^(٣) في (م) و (ق) : (تبصره - لا تبصره)

^(٤) في المطبوع : (بعينه) .

^(٥) إشارة إلى حديث أبي سفيان مع هرقل عندما سأله هرقل عن المسلمين هل يرتد أحدهم عن دينه ؟ فقال : لا ، فقال له : (وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب) .

أنظر ما أخرجه البخاري في صحيحه في (١) كتاب بدء الخلق (٦) باب ح (٧) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما .

^(٦) في (ب) والمطبوع : (أبين دليل) ، ، وفي (م) و (ق) : (أبين ذلك) .

^(٧) سقط من المطبوع

أنكر حقيقة الرسالة ، ولو كانت إضافته إليه إضافة إنشاء وابتداء لم يكن رسولاً ، ولناقض ذلك إضافته إلى رسوله الملكي في سورة التكويد^(١).

ثم بين سبحانه كذب أعدائه وبتهم في نسبة كلام رب العالمين^(٢) إلى غيره ، وأنه لم يتكلم به بل قاله من تلقاء نفسه ، كما بين كذب من قال : ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) ﴾^(٣) . فمن زعم أنه قول البشر فقد كفر وسيصله^(٤) سقر .

ثم أخبر سبحانه أنه تنزيل من رب العالمين ، وذلك يتضمن أموراً :

أحدهما : أن الله تعالى^(٥) فوق خلقه كلهم ، وأن القرآن نزل من عنده .

الثاني : أنه كلامه تكلم به حقيقة ، لقوله : ﴿ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) ﴾^(٦) ولو كان

غيره هو المتكلم به لكان من ذلك الغير ونظير هذا قوله (تعالى) : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾^(٧) ، ونظيره قوله : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾^(٨) .

ونظيره قوله (تعالى) : ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾^(٩) ، وقوله :

﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾^(١٠) وما كان من الله فليس بمخلوق ، ولا ينتقض هذا بأن

الرزق والمطر وما في السماوات والأرض جميعاً منه وهو مخلوق ؟ لأن ذلك كله أعيان قائمة بأنفسها ، وصفات وأفعال لتلك الأعيان ، فإضافتها إلى الله سبحانه وأنها منه إضافة خلق ، كإضافة بيته وعبدته وناقته وروحه وبابه إليه ، بخلاف كلامه فإنه لا بد أن يقوم بمتكلم ؟ إذ كلام

^(١) كما في قوله تعالى : (إنه لقول رسول كريم . ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم أمين) التكويد الآيات (١٩ - ٢١) انظر :

تفسير ابن كثير (٤١٧ / ٤) .

^(٢) في غير الأصل : (في نسبة كلامه تعالى إلى غيره) .

^(٣) سورة المدثر الآية (٢٥) .

^(٤) في غير الأصل : (وسيصله الله سقر) .

^(٥) في غير الأصل : (أنه تعالى) .

^(٦) سورة الواقعة الآية (٨٠) .

^(٧) سورة السجدة الآية (١٣) .

^(٨) سورة النحل الآية (١٠٢)

^(٩) سورة الزمر الآية (١)

^(١٠) سقط من (م) و (ق) و (ب) .

^(١١) سورة فصلت الآية (٤٢) .

من غير متكلم كسمع من غير سامع ، وبصر من غير مبصر ، وذلك عين المحال ، فإذا أضيف إلى الرب كان بمنزلة إضافة سمعه وبصره وحياته وقدرته وعلمه ومشئته إليه .

ومن زعم أن هذه إضافة مخلوق إلى خالق فقد زعم أن الله (تعالى) ^(١) لا سمع له ولا بصر ولا حياة ولا قدرة ولا مشيئة تقوم به ، وهذا هو التعطيل الذي هو شر من الإشراك .

وإن زعم أن إضافة السمع والبصر ^(٢) والحياة والقدرة إضافة صفة إلى موصوف وإضافة الكلام إليه إضافة ^(٣) لمخلوق إلى خالق فقد تناقض وخرج عن موجب العقل والفطرة والشرع ولغات الأمم بين متماثلين حقيقة وعقلاً وشرعاً وفطرة ولغة .

وتأمل كيف أضافه سبحانه إلى الرسول ^(٤) بلفظ القول وأضافه إلى نفسه بلفظ الكلام

في قوله (عز وجل) : ﴿ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ ^(٥) / فإن الرسول يقول للمرسل إليه ما أمر بقوله ، فيقول : قلت له كذا وكذا ، وقلت له : ما أمرتني أن أقوله ، كما قال المسيح : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ ^(٦) والمرسل يقول للرسول : قل لهم كذا وكذا ، كما قاله سبحانه وتعالى ^(٧) : ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ ^(٨) ، ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِيَ يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ^(٩) و ^(١٠) ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ ^(١١) ونظائره .

فإذا بلغ الرسول ذلك صح أن يقال : قال الرسول كذا (وكذا) ^(١٢) ، وهذا قول الرسول أي قاله مبلغاً ، وهذا قوله مبلغاً عن مرسله .

^(١) سقط من غير الأصل .

^(٢) في غير الأصل : زيادة (والعلم) .

^(٣) في المطبوع : (فإضافة) .

^(٤) سقط من غير الأصل و (ب) .

^(٥) سورة التوبة الآية (٦) .

^(٦) سورة المائدة الآية (١١٧) .

^(٧) في غير الأصل : (كما قال تعالى) .

^(٨) سورة إبراهيم الآية (٣١) .

^(٩) سورة الإسراء الآية (٥٣) .

^(١٠) سقط من غير الأصل و (ب) .

^(١١) سورة النور الآية (٣٠) .

^(١٢) سقط من المطبوع .



ولم^(١) يجيء في شيء من ذلك تكلم لهم بكذا بكذا ، ولا تكلم الرسول بكذا وكذا ، ولا أنه لكلام رسول كريم ، ولا في موضع واحد ، بل قيل للصديق وقد تلى آية هذا كلامك وكلام صاحبك . فقال : ليس بكلامي ولا كلام صاحبي هذا كلام الله .



^(١) في المطبوع : (ولا) .

﴿ فصل ﴾

الأمر الثالث : مما^(١) تضمنه قوله : ﴿ تَزِيلُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أن ربوبيته الكاملة لخلقه تأبى أن يتركهم سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يرشدهم إلى ما ينفعهم ، ويحذرهم مما^(٢) يضرهم ، بل يتركهم هملاً بمنزلة الأنعام السائمة ، فمن زعم ذلك فلم يقدر رب العالمين حقَّ^(٣) قدره ، ونسبه إلى ما لا يليق به^(٤) ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾^(٥) .
ثم أقام سبحانه البرهان القاطع على صدق رسوله ﷺ^(٦) وأنه لم يتقوّل عليه فيما قاله ، وأنه لو تقوّل عليه لما أقره ولعاجله بالإهلاك ، فإن كمال علمه وقدرته وحكمته تأبى أن يقر من تقول عليه وافترى عليه وأضل عباده واستباح دماء من كذبه وحريمهم وأموالهم وأظهر في الأرض الفساد والجور والكذب ، وخلاف الحق ، فكيف يليق بأحكام الحاكمين / وأرحم الراحمين وأقدر [١/٦٣] القادرين أن يقره على ذلك ؟ .

بل كيف يليق به أن يؤيده ، وينصره ، ويعليه ، ويظهره ، ويظفره بأهل الحق يسفك دماءهم ويستبيح أموالهم وأولادهم ونساءهم قائلاً : إن الله أمرني بذلك وأباحه لي ؟ !
بل كيف يليق به أن يصدقه بأنواع التصديق كلها ، فيصدقه بإقراره وبالآيات المستلزمة لصدقه التي دلالتها على التصديق كدلالة التصديق بالقول وأظهر ، ثم يصدقه بأنواعها كلها على اختلافها ، فكل آية على انفرادها مصدقة له ثم يحصل باجتماع تلك الآيات تصديق فوق تصديق كل آية بمفردها ، ثم يعجز الخلق عن معارضته ثم يصدقه بكلامه وقوله ، ثم يقيم الدلالة القاطعة على أن هذا قوله وكلامه ، فيشهد له بإقراره وفعله وقوله ، فمن أعظم المحال وأبطل الباطل وأبين البهتان أن يجوز على أحكم الحاكمين ورب العالمين أن يفعل ذلك بالكاذب المفترى عليه الذي هو شر الخلق على الإطلاق ، فمن جوز على الله أن يفعل هذا بشر خلقه وأكذبهم (على الإطلاق)^(٧)

^(١) في غير الأصل (وب) : (ما) .

^(٢) في المطبوع : (ما يضرهم) .

^(٣) سقط من المطبوع .

^(٤) في المطبوع : زيادة (تعالى) .

^(٥) سورة المؤمنون الآية (١١٦) .

^(٦) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

^(٧) سقط من غير الأصل .

فما آمن بالله قط^(١)، ولا عرف الله، ولا علم أنه رب العالمين^(٢)، ولا يجوز^(٣) نسبة ذلك إلى من له مسكة من عقل وحكمة وحجي، ومن فعل ذلك فقد أزرى بنفسه ونادى على جهله.

وأذكر في هذا مناظرة جرت لي مع بعض علماء اليهود، قلت له بعد أن أفضى^(٤) في نبوة النبي ﷺ إلى أن قلت له: إنكار نبوته يتضمن القدح في رب العالمين، وتنقصه أقبح^(٥) التنقص فكان الكلام معكم في الرسول والكلام الآن في / تزيه الرب تعالى، فقال: كيف يقول مثلك^(٦) هذا الكلام؟.

فقلت له: بيانه علي، فاسمع الآن، أنتم تزعمون أنه لم يكن رسولاً، وإنما كان ملكاً قاهراً قهر الناس بسيفه حتى دانوا له، ومكث ثلاثاً وعشرين سنة يكذب على الله، ويقول: أوحى إلي. ولم يوح إليه شيء، وأمرني ولم يأمره بشيء^(٧)، ونهاني ولم ينهه، وقال الله كذا، ولم يقل ذلك، وأجل كذا وحرّم كذا وأوجب كذا وكره كذا ولم يحل ذلك ولا حرمه ولا أوجه، بل^(٨) فعل ذلك من تلقاء نفسه كاذباً مفترياً على الله وعلى أنبيائه وعلى رسله وعلى ملائكته^(٩)، ثم مكث من ذلك ثلاث عشرة سنة يستعرض^(١٠) عباده يسفك دمائهم، ويأخذ أموالهم، ويسترق نساءهم وأبناءهم، ولا ذنب لهم إلا الرد عليه ومخالفته، وهو في ذلك كله يقول: الله أمرني بذلك، ولم يأمره، ومع ذلك فهو ساع في تبديل أديان الرسل ونسخ شرائعهم، وحل نوااميسهم، فهذه حاله عندكم فلا يخلوا إما أن يكون الرب تعالى عالماً بذلك مطلعاً عليه من حاله يراه ويشاهده، أم لا.

(١) في غير الأصل و (ب) : (قطعاً) .

(٢) في غير الأصل : (ولا هذا هو رب العالمين) .

(٣) في غير الأصل : (ولا يجوز) .

(٤) في المطبوع : (أفضى) .

(٥) في غير الأصل : (بأقبح) .

(٦) في (ق) والمطبوع : (كيف تقول مثل هذا الكلام ؟) .

(٧) سقط من غير الأصل .

(٨) زيادة (هو) في المطبوع .

(٩) في غير الأصل : (وملائكته) .

(١٠) في (ق) : (يتعرض) .

فإن قلتم إن ذلك جميع غائب عن الله لم يعلم به قدحتم في الرب تعالى ، ونسبتموه إلى الجهل المفرط ، إذ لم يعلم ^(١) ويطلع على هذا الحادث العظيم ^(٢) ، ولا رآه .

وإن قلتم : بل كان ذلك كله بعلمه وإطلاعه ومشاهدته ، قيل لكم : فهل كان قادراً على أن يغير ذلك ويأخذ على يده ويحول بينه وبينه ، أم لا ؟ .

فإن قلتم ليس قادراً على ذلك نسبتموه إلى العجز المنافي للربوبية ، وكان هذا الإنسان هو وأتباعه أقدر منه على تنفيذ إراداتهم .

وإن قلتم : بل كان قادراً ولكن مكنته ونصره وسلطه على الخلق ولم ينصر أوليائه وأتباع

رسله نسبتموه إلى أعظم السفه والظلم والإخلال بالحكمة ، وهذا لو كان مخلياً بينه وبين ما فعله / [١/٦٤] فكيف وهو في ذلك كله ناصر ومؤيده ، ومجيب دعواته ، ومهلك من خالفه وكذبه ، ومصدقه بأنواع التصديق ومظهر الآيات على يديه التي لو اجتمع أهل الأرض كلهم على أن يأتوا بواحدة منها لما أمكنهم ، ولعجزوا عن ذلك ، وكل وقت من الأوقات يحدث له من أسباب النصر والتمكين والظهور والعلو وكثرة الأتباع أمراً خارجاً عن العادة ، فظهر أن من أنكر كونه رسولاً نبياً فقد سب الله (تعالى) وقدح فيه ونسبه إلى الجهل أو العجز أو السفه ^(٣) .

قلت له : ولا ينتقض هذا بالملوك الظلمة الذين مكنتهم في ^(٤) الأرض وقتاً ما ثم قطع دابرهم ، وأبطل سنتهم ، وحى آثارهم وجورهم ، فإن أولئك لم يبدو شيئاً من ذلك ، ولم يعيدوا ^(٥) ، ولا ظهرت على أيديهم الآيات ، ولا صدقهم الرب تعالى بإقراره ولا بفعله ولا بقوله ، بل أمرهم كان بالضد من أمر الرسول ، كفرعون ونمرود وأضرابهما .

ولا ينتقض هذا بمن ادعى النبوة من الكذابين ؛ فإن حالة ضدّ حال الرسول من كل وجه ، بل حالهم من أظهر الأدلة على صدق الرسول . ومن حكمة الله سبحانه أن أخرج مثل هؤلاء إلى

^(١) سقط من (م) .

^(٢) في غير الأصل : زيادة (ولا علمه) .

^(٣) في غير الأصل و (ب) : (والعجز والسفه) .

^(٤) في المطبوع : زيادة (الله) .

^(٥) في (ب) : (فإن أولئك لم يعيدوا شيئاً من هذا ولا أيدوا ونصروا) وفي (ق) والمطبوع : (فإن أولئك لم يعيدوا شيئاً من هذا ولا أيدوا ونصروا) .

الوجود ليعلم حال الكذابين وحال الصادقين ، وكان ظهورهم من أيّن الأدلة على صدق الرسل ، والفرق بين هؤلاء وبينهم ، فبضدها تتبين الأشياء ، والضدّ يظهر حسنه الضد ، فمعرفة أدلة الباطل وشبهه من أنواع أدلة الحق وبراهينه .

فلما سمع ذلك قال : معاذ الله لا نقول إنه ملك ظالم ، بل نبي كريم من اتبعه فهو من السعداء ، وكذلك من اتبع موسى فهو كمن اتبع محمداً .

قلت له : بطل كل ما تموهون به^(١) ، فإنكم إذا قررتم أنه نبي صادق فلا بد من تصديقه في جميع ما أخبر به ، وقد علم أتباعه وأعداؤه بالضرورة / أنه دعا الناس كلهم إلى الإيمان به ، [٦٤/ب] وأخبر أن من لم يؤمن به فهو كافر مخلد في النار ، وقاتل من لم يؤمن به من أهل الكتاب ، وأسجل عليهم بالكفر ، واستباح أموالهم ودماءهم ونساءهم وأبنائهم . فإن كان ذلك عدواناً منه وجوراً لم يكن نبياً ، وعاد الأمر إلى القدرح في الرب تعالى ، وإن كان ذلك بأمر الله ووحيه لم تسع مخالفته وترك أتباعه ، ولزم تصديقه فيما أخبر به ، وطاعته فيما أمر .

وقد أرشد سبحانه إلى هذا المسلك في غير موضع من كتابه فقال^(٢) : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) ﴾^(٣) .

يقول سبحانه لو تقول علينا قولاً واحداً من تلقاء نفسه لم نقله ، ولم نوحه إليه لما أقرناه ، ولأخذنا بيمينه ثم أهلكناه هذا أحد القولين .

قال ابن قتيبة في هذا قولان :

أحدهما : أن اليمين ههنا^(٤) القوة والقدرة . وأقام اليمين مقام القوة ؟ لأن قوة كل شيء في ميامنه^(٥) .

قلت : وعلى هذا تكون اليمين من صفة الأخذ . قال وهذا قول ابن عباس في اليمين^(٦) ، قال : ولأهل اللغة في هذا مذهب آخر وهو أن الكلام ورد على ما اعتاده الناس من الأخذ بيد من

^(١) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (بعد هذا) .

^(٢) في (ب) : زيادة (تعالى) .

^(٣) سورة الحاقة الآيات (٤٤ - ٤٧) .

^(٤) سقط من المطبوع .

^(٥) تأويل مشكل القرآن ص (١٥٤) .

^(٦) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (١٠٤ / ١٦) والبغوي في معالم التنزيل (٢١٤ / ٨) والقرطبي في تفسيره (٢٧٥ / ١٨) ونسبه في الدر المنثور إلى عبد بن حميد وابن المنذر (٢٧٦ / ٨) .

يعاقب ، وهو قولهم : إذا أرادوا عقوبة رجل خذ بيده ، وأكثر ما يقوله السلطان والحاكم بعد وجوب الحكم : خذ بيده ، واسفع بيده فكأنه قال : لو كذب علينا في شيء مما يليق به^(١) إليكم عنا لأخذنا بيده ، ثم عاقبناه بقطع الوتين ، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن^(٢) . انتهى^(٣) .
فقد أخبر سبحانه أنه لو تقول عليه شيئاً من الأقاويل لما أقره ولعاجله بالأخذ والعقوبة ، فإن كذباً على الله ليس ككذب على غيره ؟ ولا يليق به أن يقر الكاذب عليه فضلاً عن أن ينصره ويؤيده ويصدقه .

وقوله (تعالى) ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦)﴾^(٤) [الوتين^(٥)] : نياط القلب ، وهو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب ، إذا انقطع بطلت القوى ومات / صاحبه^(٦) ، هذا قول [١/٦٥] جميع أهل اللغة .

قال ابن قتيبة : ولم يرد أنا نقطع ذلك العرق بعينه ولكنه أراد لو كذب علينا لامتنأه أو قتلناه فكان كمن قطع وتينه قال ومثله قوله ﷺ " مازالت أكلة خير تُعَادِي وهذا أوان انقطاع أهري^(٧) " .

والأهري عرق يتصل بالقلب فإذا انقطع مات صاحبه فكأنه قال : فهذا أوان قتلي السم ، فكنت كمن انقطع أهري^(٨) ثم قال سبحانه^(٩) : ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧)﴾^(١٠) أي لا يحجزه مني أحد ولا يمنعني .

^(١) في المنطوق : (مما بلغ) ، وفي (ق) : بياض .

^(٢) تفسير الحسن هو قوله : (لقطعنا يده اليمنى) كما في النكت والعيون (٨٦/٦) والتفسير الكبير (١٠٥/٣٠) والجامع لأحكام القرآن (٢٧٦/١٨) .

^(٣) أنظر : تأويل المشكل من (١٥٤ - ١٥٥) .

^(٤) سورة الحاقة الآية (٤٦) .

^(٥) سقط من الأصل .

^(٦) أنظر : تفسير غريب القرآن ص (٤١٧) . وأنظر أيضاً : تهذيب اللغة للأزهري (٣٢٤/١٤) مادة (وتين) ، الصحاح (٢٢١١/٦) النهاية في غريب الحديث والأثر (١٤٩/٥) .

^(٧) أخرجه البخاري معلقاً في (٦٤) كتاب المغازي (٨٣) باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته ح (٤٤٢٨) . ولفظه : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه : (يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير فهذا أوان وجدت انقطاع أهري من ذلك السم) . قال الحافظ أبو حجر رحمه الله : (قد وصله البزار والحاكم والإسماعيلي من طريق عنبسة بن خالد عن يونس بهذا الإسناد : وقال البزار : تفر به عنبسة عن يونس أي : بوصله ، وإلا فقد رواه موسى بن عقبة في المغازي عن الزهري لكنه أرسله . أنظر تعلق التعليل (١٦٢/٤) وما بعدها) .

^(٨) تأويل مشكل القرآن ص (١٥٥ - ١٥٦) .

^(٩) في غير الأصل : (تعالى) .

^(١٠) سورة الحاقة الآية (٤٧) .



الموضع الثاني : قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأُ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٢٤) ^(١) وفي معنى الآية قولان للناس ^(٢) .

أحدهما قول مجاهد ^(٣) ومقاتل ^(٤) : " إن يشأ الله يربط على قلبك " بالصبر على أذاهم حتى لا يشق عليك .

والثاني قول قتادة : إن يشأ الله ينسبك القرآن ونقطع عنك الوحي ^(٥) .

وهذا هو القول دون الأول لوجوه :

أحدها : أن هذا خرج جواباً لهم وتكديماً لقولهم : أن محمداً كذب على الله وافتري عليه هذا القرآن .

فأجابهم بأحسن جواب وهو أن الله سبحانه ^(٦) قادر لا يعجزه شيء فلو كان كما تقولون لحتم على قلبه فلا يمكنه أن يأتي بشيء منه بل يصير القلب كالشيء المختوم عليه فلا يوصل إلى ما فيه فيعود المعنى إلى أنه لو افتراه عليّ لم يمكنه ولم اقره ^(٧) ومعلوم أن مثل هذا الكلام لا يصدر من قلب مختوم عليه فإن فيه من علوم الأولين والآخرين وعلم المبدأ والمعاد والدنيا والآخرة والعلم الذي لا يعلمه إلا الله والبيان التام والجزالة والفصاحة والجلالة والأخبار بالغيوب مالا ^(٨) يمكن من ختم على قلبه أن يأتي بمثله ^(٩) ولا يبعضه فلولاً أي انزلته على قلبه ويسرته بلسانه لما يمكنه أن يأتيكم بشيء منه فإين / هذا من ^(١٠) المعنى إلى المعنى الذي ذكره الآخرون ؟

[٦٥/ب]

^(١) سورة الشورى الآية (٢٤) .

^(٢) في غير الأصل : (للناس قولان) .

^(٣) قول مجاهد ذكره البغوي في معالم التنزيل (١٩٢ / ٧) وابن عطية في المحرر الوجيز (٢٢٠ / ١٤) والرازي في تفسيره (٢٧ / ١٤٤) والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٨ / ١٦) دار الكتب .

^(٤) قول مقاتل ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢٠٢ / ٥) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٨٦ / ٧) والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٨ / ١٦) .

^(٥) قول قتادة أخرجه الطبري في تفسيره بإسناده (٢٥ / ٢٧) والمحرر الوجيز (١٤ / ٢١٩) وورد ذكره أيضاً في : النكت والعيون (٢٠٢ / ٥) ، ومعالم التنزيل (٧ / ١٩٢) والجامع لأحكام القرآن (١٨ / ١٦) ، ونسبه في الدر المنثور (٨ / ٣٥٠) : إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن جرير .

^(٦) في (م) و (ق) والمطبوع : (تعالى) .

^(٧) في الأصل : (يقره) وفي غيره (أقره) ولعله هو الصواب .

^(٨) في غير الأصل و (ب) : (ما لم) .

^(٩) في غير الأصل و (ب) : (أن يأتي به ولا يبعضه) .

^(١٠) سقط من غير الأصل .

وكيف يلتئم معنا حكاية قولهم ؟ وكيف يتضمن الرد عليهم ؟

الوجه الثاني : إن مجرد الربط على قلبه بالصبر على أذاهم يصدر من الحق والمبطل فلا يدل ذلك على التمييز بينهما ولا يكون فيه رد لقولهم فإن الصبر على أذى المكذب لا يدل بمجرده على صدق المخبر

الثالث : أن الربط على قلب العبد بالصبر لا يقال له ختم على قلبه ، ولا يعرف هذا في عرف المخاطب ولا لغة العرب . ولا هو المعهود في القرآن ، بل المعهود استعمال الختم على القلب في شأن الكفار في جميع موارد اللفظة^(١) في القرآن كقوله (تعالى) : ﴿ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾^(٢) ونظائره وما ربطه على قلب العبد بالصبر فكقوله (تعالى) : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٣) وقوله (تعالى) : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا ﴾^(٤) والانسان يسوغ له في الدعاء أن يقول : " اللهم أربط على قلبي " ولا يحسن أن يقول " اللهم اختم على قلبي " .

الرابع : أنه سبحانه حيث يحكي قولهم^(٥) " أنه افتراه " لا يجيبهم على هذا الجواب بل يجيبهم بأنه لو افتراه لم يملكو له من الله شيئا ، بل كان يأخذه ولا يقدرّون على تخليصه كقوله (تعالى) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾^(٦) وتارة يجيبهم بالمطالبة بمعارضته بمثله ، أو شيء منه ، وتارة بإقامة الأدلة القاطعة على أنه الحق ، وأنهم هم الكاذبون المفترون ، وهذا هو الذي يحسن في جواب^(٧) السؤال لا مجرد الصبر .

الخامس : إن هذه الآية نظير ما نحن فيه ، وأنه لو شاء لما أقرّه ولا مكّنه وتفسير القرآن بالقرآن من أبلغ التفاسير .

^(١) في المطبوع : (اللفظ) .

^(٢) سورة الجاثية الآية (٢٣) .

^(٣) سورة الكهف الآية (١٤) .

^(٤) سورة القصص الآية (١٠) .

^(٥) في المطبوع : (أقوالهم) .

^(٦) سورة الأحقاف الآية (٨) .

^(٧) في غير الأصل زيادة : (هذا) بعد (جواب) .

السادس : أنه لا دلالة في سياق الآية على الصبر / بوجه ما: لا بالمطابقة و لا التضمن ، [١/٦٦]
ولا اللزوم . فمن أين يعلم أنه أراد ذلك ؟

ولم يتم^(١) هذا المعنى في غير هذا الموضع فيحمل عليه ، بخلاف كونه يحول بينه وبينه ولا يمكنه من الافتراء علي فقد ذكره في مواضع .

السابع : أنه سبحانه أخبر أنه لو شاء لما تلاه عليهم ولا أدراهم به وإن ذلك إنما هو بمشيئته وإذنه وعلمه ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ^(٢) ... ﴾^(٣) . فهذا من أبلغ الحجج وأظهرها أي هذا الكلام ليس من قبلي ولا من عندي ولا أقدر أن افتريه على الله . ولو كان ذلك مقدور إلي لكان مقدروا لمن هو من أهل العلم و الكتابة ومخالطة الناس والتعلم منهم ، ولكن الله بعثني به ، ولو شاء سبحانه لم يترله ولم يسره بلساني ، فلم يدعني أتله عليكم ولا اعلمكم به البتة لا على لساني ولا لسان غيري ، ولكنه أوحاه إلي وأذن لي في تلاوته عليكم وأدراكم به بعد أن لم تكونوا دارين به فلو كان كذباً وافتراء على الله كما تقولون لأمكن غيري أن يتلوه عليكم وتدرّون به من جهته ، لان الكذب لا يعجز عنه البشر ، وانتم لم تدرّوا بهذا ولم تسمعوه إلا مني ، ولم تسمعوه من بشر غيري .

ثم أجاب عن سؤال مقدر^(٤) وهو أنه تعلمه من غيره أو افتراه من تلقاء نفسه فقال : ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ ﴾^(٥) تعلمون حالي ولا يخفى عليكم سيري ومدخلي ومخرجي وصدقي وأمانتي ، ومن هذا لم اتمكن من قول شيء منه البتة ، ولا كان لي علم به ولا ببعضه ، ثم أتيتكم به وهلة من غير تعمّل^(٦) ولا تعلم ولا معاناة للأسباب التي اتمكن بها منه ولا من بعضه وهذا من أظهر الأدلة وابين البراهين أنه من عند الله أوحاه / إلي وانزله عليّ ولو شاء^(٧) ما فعل فلم يمكنني من

^(١) في (م) و (ق) والمطبوع : (ولم يستمر) .

^(٢) سورة يونس الآية (١٦) .

^(٣) مكذبا في الأصل ، وفي غيره لم يذكر (فقد لبث فيكم) .

^(٤) في (ب) و (م) : (مقرر)

^(٥) سورة يونس الآية (١٦) .

^(٦) تعمل بمعنى : تعني من غير تعمل أي : من غير تعني . اللسان (٤٠١/٩) .

^(٧) في (م) و (ق) والمطبوع : (فلو)

تلاوته (ولا مكنكم من العلم به) ^(١)، بل مكنتي من تلاوته ومكنكم من العلم به ، فلم تكونوا عالمين به ولا ببعضه ، ولم أكن قبل أن يوحى إليّ تالياً له ولا لبعضه فتأمل صحة هذا الدليل وحسن تأليفه وظهور دلالاته .

ومن هذا قوله سبحانه : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ ^(٢) وهذا هو المناسب لقوله (تعالى) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ ^(٣) ولقوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ﴾ ^(٤) فهو ^(٥) برهان مستقل مذكور في القرآن على وجوه متعددة . والله أعلم .

الثامن : أن مثل هذا التركيب إنما جاء في القرآن للنفي لا للإثبات ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ ^(٦) وقوله (عز وجل) ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ﴾ ^(٧) وقوله (تعالى) ﴿ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنَ الرِّيحَ ... ﴾ ^(٨) الآية ^(٩) .
وقوله تعالى ﴿ إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾ ^(١٠) ونظائره لم يأت إلا فيما كان ما بعد فعل المشيئة منفياً .

التاسع : أن الختم على القلب لا يستلزم الصبر ، بل قد يختم على قلب العبد ويسلبه صبره ، بل إذا ختم على القلب زال الصبر وضعف بخلاف الربط على القلب فإنه يستلزم الصبر كما قال تعالى : ﴿ وَيُنَزِّلُ ^(١١) عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ

^(١) سقط من (ق)

^(٢) سورة الإسراء الآية (٨٦) .

^(٣) سورة الشورى الآية (٢٤) . و (م) والمطبوع : تكلمة الآية .

^(٤) سورة الحاقة (٤٤ - ٤٥) .

^(٥) في المطبوع : (وبرهان) .

^(٦) سورة لإسراء الآية (٨٦) .

^(٧) سورة النساء الآية (١٣٣) .

^(٨) سورة الشورى الآية (٣٣) .

^(٩) في (م) و (ق) والمطبوع زيادة (فيظللن رواكدا على ظهره) .

^(١٠) سورة سبأ الآية (٩) .

^(١١) في الأصل : (وتنزل) .

عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١) ﴿١﴾ ومعنى الربط في اللغة الشدُّ . ولهذا يُقال لكل من صبر على أمر ربط قلبه ، كأنه حبس قلبه عن الاضطراب ، ومنه يقال : هو رابط الجأش ، وقد ظن الواحدي (٢) أن على زائد ، والمعنى يربط قلوبكم ، وليس كما ظن ، بل بين ربط الشيء والربط عليه فرق ظاهر فإنه يقال : ربط الفرس والدابة ، ولا يقال : / ربط عليها .

فإذا أحاط الرباط بالشيء وعمّه (كلّه) (٣) قيل : ربط عليه ، كأنه أحاط عليه بالرباط ، فلهذا قيل : ربط على قلبه ، وكان أحسن من أن يقال ربط قلبه (٤) .

والمقصود أن هذا الربط معه يكون الصبر أشد واثبت بخلاف الختم .

العاشر : أن الختم هو شد القلب حتى لا يشعر ولا يفهم ، فهو مانع يمنع العلم والتصديق ، والنبي ﷺ . كان يعلم قول أعدائه أنه افترى القرآن . ويشعر به ، فلم يجعل الله على قلبه مانعاً من شعوره بذلك وعلمه به .

فإن (٥) قيل : الأمر كذلك ، ولكن جعل الله على قلبه مانعاً من التأذي بقولهم . قيل : هذا أولى أن لا يسمي ختماً ، وقد (٦) يؤذيه قولهم ويحزنه كما قال تعالى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُّكَ الَّذِي يَقُولُونَ ﴾ (٧) وكان وصول هذا الأذى إليه من كرامة الله له ، فإنه لم يؤذ نبي ما أؤذي فالقول في الآية هو قول قتادة ، والله أعلم .

ثم أخبر سبحانه أن القرآن تذكرة للمتقين ، يتذكر به المتقي فيصبر ما ينفعه فيأتيه ، وما يضره فيجتنبه ، ويتذكر به أسماء الرب تعالى وصفاته وأفعاله فيؤمن ، ويتذكر به ثوابه وعقابه ووعدته (٨) ووعيده وامره ونهيه وآياته في أوليائه وأعدائه ، ونفسه وما يزيكها ويظهرها ويعليها ، وما يدسيها ويخفيها ويحقرها ويتذكر (٩) به علم المبدأ والمعاد ، والجنة والنار ، وعلم الخير والشر . فهو التذكرة على الحقيقة ، تذكرة حجة للعالمين ، ومنفعة وهداية للمتعلمين .

(١) سورة الأنفال الآية (١١) .

(٢) حيث يقول في تفسيره : ((ويشبه أن يكون (على) ههنا صلة ، والمعنى : وليربط قلوبكم بالصبر ، وما أوقع فيها من اليقين فتثبت ولا تضطرب)) . أنظر البسيط (١٥٤/١) . ت / إبراهيم الحسن . رسالة غير منشورة .

(٣) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(٤) انظر : زاد المسير (٣٢٨/٣) ، التفسير الكبير (١٠٨/١٥ - ١٠٩) ، روح المعاني (١٧٧-١٧٦/٥) .

(٥) في المطبوع : (فإذا) .

(٦) فني غير الأصل : (وقد كان يؤذيه) .

(٧) سورة الأنعام الآية (٣٣) .

(٨) في (م) و (ق) المطبوع ساقطة .

(٩) في (م) و (ق) المطبوع : (يذكر) .

ثم قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴾ (٤٩) ﴿^(١) لا يخفون^(٢) علينا فنجازيهم بتكذيبهم .

ثم أخبر سبحانه أن رسوله وكلامه حسرة على الكافرين .
إذا عاينوا حقيقة ما أخبر^(٣) كان تكذيبهم عليهم من أعظم الحسرات ، حين لا ينفعهم التحسر .

وهكذا كل من كذب بحق وصدق بباطل ، فإنه إذا انكشف له حقيقة / ما كذب به [٦٧/ب] وصدق به كان تكذيبه وتصديقه حسرة عليه ، كمن فرط فيما ينفعه وقت تحصيله حتى إذا اشتدت حاجته إليه وعان فوز المحصلين صار تفريطه حسرة عليه .
ثم أخبر سبحانه أن القرآن والرسول حق اليقين . فقل : هو من باب اضافة الموصوف إلى صفته ، أي الحق اليقين نحو مسجد الجامع ، وصلاة الاولى ، وهذا موضع يحتاج إلى تحقيق ، فنقول وبالله التوفيق ذكر الله سبحانه في كتابه مراتب اليقين وهي ثلاثة : حق اليقين ، وعلم اليقين ، وعين اليقين كما قال تعالى : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوْهَا غَيْرَ الْيَقِينِ (٧) ﴾^(٤)

فهذه ثلاث مراتب لليقين ،

أولها : علمه وهو التصديق التام به بحيث لا يعرض له شك ولا شبهة تقدح في تصديقه ،
كعلم اليقين بالجنة مثلاً ، وتيقنهم أنها دار المتقين ، ومقر المؤمنين . فهذه مرتبة العلم كتيقنهم أن الرسل أخبروا بها عن الله ، وتيقنهم صدق المخبر .

المرتبة الثانية : عين اليقين وهي مرتبة الرؤية والمشاهدة ، كما قال تعالى : " ثم لترونها عين اليقين " وبين هذه المرتبة والتي قبلها فرق ما بين العلم والمشاهدة ، فاليقين للسمع ، وعين اليقين للبصر ، وفي المسند للإمام أحمد مرفوعاً " ليس المخبر^(٥) كالمعاين^(٦) وهذه المرتبة هي التي

^(١) سورة الحاقة الآية (٤٩) .

^(٢) في المطبوع : زيادة (أي :) .

^(٣) في غير الأصل : زيادة (به) .

^(٤) سورة التكاثر الآيات (٧ - ٥) .

^(٥) في (ق) والمطبوع : (الخير) .

^(٦) أخرجه أحمد في مسنده (١ / ٢١٥) .

سألها إبراهيم الخليل أن يريه الله كيف يحيي الموتى ليحصل له مع علم اليقين عين اليقين ، فكأن سؤاله زيادة لنفسه ، وطمأنينة لقلبه ، فيسكن القلب عند المعاناة ويطمئن لقطع المسافة التي بين الخبر والعيان . وعلى هذه المسافة اطلق النبي ﷺ لفظ الشك حيث قال : " نحن أحق بالشك من إبراهيم ^(١) " ومعاذ الله أن يكون هناك شك منه ولا من إبراهيم وإنما هو عين بعد علم ، وشهود بعد خبر ، ومعاناة بعد سماع

المرتبة الثالثة / : مرتبة حق اليقين ، وهي مباشرة الشيء بالاحساس به كما إذا دخلوا [١/٦٨]

الجنة وتمتعوا بما فيها فهم في الدنيا في مرتبة علم اليقين ، وفي الموقف حين تزلف وتقرّب منهم حتى يعاينوها في مرتبة عين اليقين ، وإذا دخلوها وباشروا نعيمها في مرتبة حق اليقين ، ومباشرة المعلوم تارة يكون بالحواس الظاهرة ، وتارة يكون بالقلب ، فلهذا قال : ﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴾ فإن القلب يباشر الإيمان به ويخالطه كما يباشر بالحواس الظاهرة ^(٢) ما يتعلق بها ، فحينئذ تخالط بشاشته ^(٣) القلوب ويبقى لها حق اليقين ^(٤) ، وهذه أعلى مراتب الإيمان ، وهي الصديقية التي تتفاوت فيها مراتب المؤمنين .

وقد ضرب بعض العلماء للمراتب الثلاث ^(٥) مثلاً فقال : " إذا قال لك من تجزم بصدقه : عندي غسل أريد أن أطعمك منه فصدقته كان ذلك علم اليقين ، فإذا أحضره بين يديك صار ذلك عين اليقين ، فإذا ذقته صار ذلك حق اليقين .

وعلى هذا فليست هذه الإضافة من باب إضافة الموصوف إلى صفته ، بل من باب ^(٦) إضافة الجنس إلى نوعه ، فإلى العلم والعين والحق أعم من كونها يقيناً فأضيف العام إلى الخاص ، مثل بعض المتاع ، وكل الدراهم ، ولما كان المضاف والمضاف إليه في هذا الباب يصدقان على ذات واحدة بخلاف قولك : دار عمر ، وثوب زيد ظن من ظن أنها من إضافة الموصوف إلى صفته ، وليس

^(١) أخرجه البخاري في (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء ، (١١) باب قول الله عز وجل (ونبيهم عن ضيف إبراهيم ..) (وإذا قال إبراهيم رب أربي كيف يحيي الموتى) ح (٣٣٧٢) ، ومسلم في (٩١) كتاب الإيمان ، (٦٩) باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة ح (١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

^(٢) سقط من غير الأصل

^(٣) في (م) : (بشاشة) .

^(٤) في (م) و (ق) و (ب) : (يقين) .

^(٥) في (م) و (ق) والمطبوع : (الثلاثة) .

^(٦) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .



كذلك بل هي من باب إضافة الجنس إلى نوعه ، كثوب خز ، وخاتم فضة ، فالمضاف إليه قد يكون مغايراً لمضاف ، ولا يصدقان على ذات واحدة .

وقد يجانسه فيصدقان على مسمى واحد ، والله أعلم .

ثم ختم السورة بقوله (تعالى) : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (٥٢) ^(١) وهي جديرة بهذه

الحقاقة لما تضمنته من الاخبار عن عظمة الرب / تعالى وجلاله ، وذكر عظمة ملكه وجريان [٦٨/ب]

حكمه بالعدل على عباده في الدنيا والآخرة ، وذكر عظمته تعالى في ارسال رسوله ، وإنزال كتابه ، وأنه تعالى أعظم وأجل وأكبر عند أهل سمواته والمؤمنين من عباده من أن يقر كذباً منقولاً عنه مفترياً عليه يبدل دينه ، وينسخ شرائعه ، ويقتل عباده ، ويخبر عنه بما لا حقيقه له ، وهو سبحانه مع ذلك يؤيده وينصره ، ويجيب دعواته ، ويأخذ أعداءه ، ويرفع قدره ، ويعلي ذكره .

فهو سبحانه العظيم الذي تأبى عظمته أن يفعل ذلك بمن أتى بأقبح أنواع الكذب والظلم فسبحان ربنا العظيم وتعالى عما ينسبه إليه الجاهلون علواً كبيراً .



^(١) سورة الحاقة الآية (٥٢) .

﴿ فصل ﴾

{ القسم في سورة المَعَارِجِ }

ومن ذلك قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴾ (٤٠) عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ (خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) ^(١) (٤١) .

أقسم سبحانه برَبِّ المشارِق والمغارب ، وهي إمَّا مشارِق النجوم ومغارِها ، أو مشارِق الشمس ومغارِها . ، وإن كل موضع من الجهة مشرق ومغرب ، فلذلك ^(٢) جمع في موضع وأفرد في موضع وثني في موضع آخر ، فقال (تعالى) : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ (١٧) ^(٣) .
فقليل : هما مشرقا الصيف والشتاء .

وجاء في كل موضع ما يناسبه ، فجاء في سورة الرحمن ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ (١٧) ، لأنها سورة ذكرت فيها المزدوجات فذكر فيها الخلق والتعليم ، والشمس والقمر ، والنجم ، والشجر ، والسماء والأرض ، والحب والثمر ، والجن والأنس ، ومادة أبي البشر ، ومادة أبي الجن ، والبحرين ، والجنة ، والنار ، وقسم الجنة إلى جنتين عاليتين ، وجنتين دونهما ، وأخبر أن في كل جنة عينين ، فناسب كل المناسبة أن يذكر المشرقين والمغربين .

وأما سورة (سأل / سائل) فإنه أقسم سبحانه على عموم قدرته وكما لها ، وصحة تعلقها [١/٦٩] بإعادتهم بعد العدم ، فذكر المشارِق والمغارب بلفظ الجمع ، إذ هو أدلُّ على المقسم عليه سواء أريد مشارِق النجوم ومغارِها ، أو مشارِق الشمس ومغارِها ، أو كل جزء ومن جهتي المشرق والمغرب ، فكل ذلك آية ودلالة على قدرته تعالى على أن يبدل أمثال هؤلاء المكبين وينشئهم فيما لا يعلمون ، فيأتي بهم في نشأة أخرى ، كما تأتي الشمس كل يوم من مطلع ، وتذهب في مغرب ^(٤) .

^(١) سقط من (ب) .

^(٢) سورة المَعَارِجِ الآيتان (٤٠ - ٤١) .

^(٣) في المطبوع : (فكذلك) .

^(٤) سورة الرحمن الآية (١٧) .

^(٥) في المطبوع : (ويذهب في المغرب) .

وأما في سورة المزمل فذكر المشرق والمغرب بلفظ الإفراد^(١) لما كان المقصود ذكر ربوبيته ووحدانيته ، وأنه كما^(٢) تفرد بربوبية المشرق والمغرب وحده فكذلك يجب أن يفرد بالربوبية والتوكل عليه وحده ، فليس للمشرق والمغرب ربٌّ سواه ، فكذلك ينبغي ألا يتخذ إله ولا وكيل سواه ، وكذلك قال موسى لفرعون حين سأله : ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٣) ^(٣) فقال : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(٤) وفي ربوبيته سبحانه للمشارك والمغرب تنبيه على ربوبية السموات وما حوته من الشمس والقمر والنجوم ، وربوبيته ما بين الجهتين ، وربوبية الليل والنهار وما تضمنناه .

ثم قال : ﴿ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴾ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ أَي القادرون^(٥) على أن نذهب بهم ، ونأتي بأطوع لنا منهم وخيراً منهم ، كما قال (تعالى) : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ إي لا يفوتني ذلك إذا أردت ولا يمتنع مني^(٦) ، وعبر عن هذا المعنى بقوله : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ لأن المغلوب يسبقه الغالب إلى ما يريد فيفوز عليه ، ولهذا عدّى (بعلي) دون (إلى) كما في قوله : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ (٦٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ^(٧) فإنه لما ضمنه معنى مغلوبين / ومقهورين عداه بعلي بخلاف سبقته إليه ، فإنه فرق بين سبقته عليه وسبقته إليه [٦٩/ب] فالأول : بمعنى غلبته وقهرته عليه ، والثاني : بمعنى وصلت إليه قبله .



^(١) في قوله تعالى : (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً) .

^(٢) في المطبوع : (كما أنه) .

^(٣) سورة الشعراء الآية (٢٣) .

^(٤) سور الشعراء الآية (٢٨) .

^(٥) في غير الأصل : (لقادرون) .

^(٦) أنظر : البسيط (١ / ٣٩٢) . ت / فاضل المحوي . رسالة غير منشورة .

^(٧) سورة الواقعة الآيتان (٦٠ - ٦١) .

﴿ فصل ﴾

{ قدرته سبحانه على تبديل الخلق }

وقد وقع الاخبار عن قدرته سبحانه على تبديل غيره في مواضع من القرآن ففي قدرته على تبديلهم بخير منهم وفي بعضها تبديل امثالهم وفي بعضها استبداله قوماً غيرهم ثم لا يكونوا امثالهم^(١) ، فهذه ثلاثة أمور يجب معرفة ما بينها من الجمع والفرق ، فحيث وقع التبديل بخير منهم فهو اخبار عن قدرته على أن يذهب بهم ، ويأتي بأطوع وأتقى له منهم في الدنيا ، وكذلك قوله : ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾^(٢) يعني : بل يكونوا خيراً منكم . قال مجاهد : يستبدل بهم من شاء من عباده فيجعلهم خيراً من هؤلاء فلم يتولوا بحمد الله ، ولم يستبدل بهم^(٣) .

وأما ذكره تبديل امثالهم ففي سورة الواقعة وسورة الانسان فقال في سورة^(٤) الواقعة : ﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ (٦٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) ﴿^(٥) وقال في سورة الانسان : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾ (٢٨) ﴿^(٦)

قال كثير من المفسرين : المعنى أنا إذا أردنا أن نخلق خلقاً غيركم لم يسبقنا سابق ، ولم يفتنا ذلك .

وفي قوله : ﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾ (٢٨) ﴿ إذا شئنا أهلكتهم وأتينا بأشباههم فجعلناهم بدلاً منهم^(٧) . قال المهدوي : قوماً موافقين لهم في الخلق مخالفين لهم في العمل^(٨) . ولم يذكر الواحدي ولا ابن الجوزي غير هذا القول^(٩) .

^(١) في (ب) : (أمثالكم) .

^(٢) سورة محمد الآية (٣٨) .

^(٣) أنظر : تفسير مجاهد (٢ / ٦٠٠) . وورد ذكره أيضاً في : زاد المسير (٧ / ٤١٦) ، الجامع لأحكام القرآن (١٦ / ١٧٠) . وعزاه في الدر المنثور (٧ / ٥٠٦) إلى عبد بن حميد .

^(٤) سقط من غير الأصل .

^(٥) سورة الواقعة الآيتان (٦٠ - ٦١) .

^(٦) سورة الانسان الآية (٢٨) .

^(٧) الوسيط (٤ / ٤٠٦) .

^(٨) لم أهتم إلى مصدره .

^(٩) أنظر : الوسيط (٤ / ٤٠٦) ، البسيط (١ ، ٤٤٢) ، زاد المسير (٨ / ٤٤١) .

وعلى هذا فتكون هذه الآيات نظير قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ﴾^(١) فيكون استدلاله بقدرته^(٢) على إذهابهم / والأتیان بأمثالهم على إتيانه بهم أنفسهم إذا ماتوا .

ثم استدل سبحانه بالنشأة الأولى ، فذكرهم بها فقال (تعالى) : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٦٢)^(٣) فنبههم بما علموه وعاینوه على صدق ما أخبرهم به رسله من النشأة الثانية .

والذي عندي في معنى هاتين الايتين وهما آية الواقعة والانسان أن المراد بتبديل أمثالهم الخلق الجديد والنشأة الآخرة التي وعدوا بها به .

وقد وفق الزمخشري^(٤) بفهم هذا من سورة الانسان فقال : وبدلنا أمثالهم في شدة الاسر يعني : النشأة الآخرة ثم قال : وقيل : بدلنا غيرهم ممن يطيع ، وحقه أن يأتي بأن لا بإذا ، كقوله : ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾^(٥)

قلت : وإتيانه بإذا التي لا تكون إلا للمحقق الوقوع يدل على تحقيق وقوع هذا التبديل ، وإنه واقع لاحالة وذلك هو النشأة الاخرى التي استدل على امكانها بقوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ ﴾ واستدل على المثل بالمثل^(٦) ، وعلى ما أنكروه بما عاینوه وشاهدوه ، وكونهم أمثالهم هو أنشأوهم خلقاً جديداً بعينه فهم هم بأعيانهم ، وهم أمثالهم فهم أنفسهم يعادون فإذا قلت للمعاد : هذا هو الأول بعينه صدقت ، وإن قلت : هو مثله صدقت ، فهو معاد وهو مثل الأول .

^(١) سورة النساء الآية (١٣٣) .

^(٢) في (م) و (ق) والمطبوع : (استدلالاً بقدرته) .

^(٣) سورة الواقعة الآية (٦٢) .

^(٤) الزمخشري : هو محمود بن عمر بن محمد ، الخوارزمي الزمخشري الملقب ب : (جار الله) ، الإمام الكبير في التفسير والحديث والأدب والنحو وعلم البيان وهو أحد رؤوس المعتزلة ، له مؤلفات منها : (الكشاف) ، و (أساس البلاغة) و (المفصل في النحو) وغيرها ولد سنة ٤٦٧ هـ وتوفي سنة ٥٣٨ هـ . أنظر : طبقات المفسرين للسيوطي ص / (١٢٠) ، لسان الميزان (٦ / ٤) .

^(٥) سورة محمد الآية (٣٨) وقد اعترض الرازي على الزمخشري حيث يقول : " واعلم أن هذا الكلام كأنه طعن في لفظ القرآن وهو ضعيف ، لأن كل واحد من إن وإذا حرف شرط ، إلا أن حرف (إن) لا يستعمل فيما يكون معلوم الوقوع ، أما حرف إذا فإنه يستعمل فيما كان معلوم الوقوع . . الخ ، أنظر : التفسير الكبير (٣٠ / ٢٣١) .

^(٦) في المطبوع : (استدلال بالمثل على المثل) .

وقد أوضح سبحانه هذا بقوله : ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (١٥) .^(١)

فهذا الخلق الجديد هو المتضمن لكونهم أمثالهم ، وقد سماه الله سبحانه وتعالى إعادة ، والمعاد مثل المبتدأ ، وسماه نشأة أخرى وهي مثل الأولى وسماه خلقاً جديداً وهو مثل الخلق الأول ، كما قال (تعالى) : ﴿ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (١٥) .

وسماهم أمثلاً وهم هم . فتطابقت ألفاظ القرآن وصدق بعضها بعضاً^(٢) ، وبهذا تزول إشكالات أوردها من لم يفهم المعاد الذي / أخبرت به الرسل عن الله — عز وجل — .

[ب/٧٠]

ولا يفهم من هذا القول ما قاله بعض المتأخرين : أنهم غيرهم من كل وجه ، فهذا خطأ قطعاً — معاذ الله من اعتقاده — بل هم أمثالهم وهم أعيانهم ، وإذا فهمت الحقائق فلا يناقش في العبارة إلا ضيق العطن ، صغير العقل ، ضعيف العلم .

وتأمل قوله (سبحانه)^(٣) في الواقعة : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ^(٤) كيف ذكر مبدأ النشأة وآخرها مستدلاً بها على النشأة الثانية (الأولى)^(٥) بقوله : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ (٦٠) عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَالُكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) ﴾^(٦) .

فإنكم إذا علمتم النشأة الأولى في بطون أمهاتكم ، ومبدأها مما تمنون ، ولن تغلب على ان نشئكم نشأة ثانية فيما لاتعلمونه ، فإذا أنتم إما^(٧) أمثال ما كنتم في الدنيا في صوركم وهيئاتكم ، وهذا من كمال قدرة الرب [تعالى]^(٨) ومشئته ، لو تذكرتم أحوال النشأة الأولى لذلك ذلك على قدرة منشئها على النشأة التي كذبتكم بها ، فأى استدلال وإرشاد أحسن من هذا ، وأقرب إلى العقل والفهم ، وأبعد من كل شبهة وشك ؟

^(١) سورة (ق) الآية (١٥) .

^(٢) في (ب) و (م) (وبين بعضها بعضاً) ، وفي المطبوع (فصدق بعضها بعضاً ، وبين بعضها بعضاً) .

^(٣) في (ب) : (عز وجل) ، وفي (م) و (ق) : بدون ، وفي المطبوع : (تعالى) .

^(٤) سورة الواقعة الآيات (٥٨ - ٦٠) .

^(٥) سقط من المطبوع .

^(٦) سورة الواقعة الآيتان (٦٠ - ٦١) .

^(٧) سقط من غير الأصل و (ب) .

^(٨) زيادة من غير الأصل .



وليس بعد هذا البيان والاستدلال إلا الكفر بالله وما جاءت به رسله أو الايمان .
 وقال (تعالى) في سورة الانسان : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴾ فهذه النشأة الاولى ،
 ثم قال : ﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾ فهذه النشأة الاخرى ، ونظير هذا : ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ
 الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى (٤٧) ﴾^(١) ،
 وهذا في القرآن كثير جداً ، يقرن بين النشأتين مذكراً للفطرة والعقول بأحدهما على الاخرى .
 والله أعلم^(٢) .



^(١) سورة النجم الآيات (٤٥ - ٤٧) .

^(٢) في (م) و (ق) والمطبوع : (وبالله التوفيق) بدل : (والله أعلم) .

﴿ فصل ﴾

فلما أقام عليهم الحجة وقطع المذرة قال (تعالى) : ﴿ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي / يُوعَدُونَ (٤٢) ﴾^(١) وهذا تهديد شديد يتضمن اترك هؤلاء الذين قامت [١/٧١] عليهم حجتي فلم يقبلوها ولم يخافوا بأسى ولا صدقوا رسالاتي في خوضهم بالباطل ولعبهم ، فالخوض بالباطل ضدّ التكلم بالحق ، واللعب ضدّ السعي الذي يعود نفعه على ساعيه ، فالأول ضد العلم النافع ، والثاني ضد العمل الصالح ، فلا تكلم بالحق ولا عمل بالصواب ، وهذا شأن كل من أعرض عما جاء به الرسول لا بد له من هذيه الأمرين .

ثم ذكر — سبحانه — حالهم عند خروجهم من القبور فقال : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) ﴾^(٢) أي يسرعون ، والنصب العلم والاية التيتصب فيؤموها ، فهذا من ألطف التشبيه وأحسنه فإن الناس يقومون من قبورهم مهطعين إلى الداعي يؤمون الصوت ، لا يعرجون عنه يمنة ولا يسرة . كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ﴾^(٣) أي يقبلون من كل أوب إلى صوته وناحيته ، لا يعوجون عنه .

قال الفراء : وهذا كما تقول : دعوتني^(٤) دعوة لا عوج لك عنها^(٥) .

وقال الزجاج : المعنى لا عوج لهم عن دعائه ، أي لا يقدرّون إلا على اتباعه وقصده^(٦) .

فإن قلت : إذا كان المعنى لا عوج له عن دعوته فكيف قال : لا عوج له ؟

قيل : قال طائفة اللام بمعنى عن أي لا عوج عنه ، وقالت طائفة : المعنى : لا عوج لهم عن دعائه ، كما قال الزجاج . وفي القولين تكلف ظاهر .

ولما كانت الدعوة تسمع الجميع لا تعوج عنه ، وكلهم يؤم الصوت الداعي ، ويتبعه

لا يعوج عنه ، كان مجي اللام منتظماً للمعنيين ودالاً عليهما ، والمعنى / لا عوج لدعائه لا في [١/٧١] ب

^(١) سورة الماعراج الآية (٤٢) .

^(٢) سورة الماعراج الآية (٤٣) .

^(٣) سورة طه الآية (١٠٨) .

^(٤) في المطبوع : (دعوتك) .

^(٥) معاني القرآن للفراء (٢ / ١٩٢) .

^(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٣٧٧) .

اسماعهم إياه ولا في اجابتهم له ثم قال تعالى : ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ ^(١) فوصفهم بذل الظاهر وهو خشوع الأبصار وذل الباطن وهوما يرهقهم من الذل الذي خشعت عنه ابصارهم .

وقريب من هذا قوله عز وجل : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) ^(٢) ونظيره قوله (تعالى) : ﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ﴾ ^(٣).

و ضد هذا قوله تعالى ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴾ (١١٨) ^(٤) . فنفى الجوع الذي هو ذل الباطن ، والعرى الذي هو ذل الظاهر ، وضده أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَلَقَاهُمْ نَصْرَةٌ وَسُرُورًا ﴾ (١١) ^(٥) فالنصرة عز الظاهر وجماله ، والسرور عز الباطن وجماله ، ومثله ايضاً قوله (تعالى) : ﴿ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَخُلُوعًا أُسَورٌ مِنْ فَضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (٢١) ^(٦) فجمع بين زينة الظاهر والباطن ، ومثله قوله (تعالى) ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ ^(٧) فجمع بين زينة الظاهر والباطن .

ومثله ايضاً قوله (تعالى) : ﴿ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴾ (٦) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٧) ^(٨) فزین ظاهرها بالنجوم ، وباطنها بالحفظ من كل شيطان رجيم ، ومثله ايضاً قوله (تعالى) : ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ ^(٩) وقريب منه قوله

^(١) سورة المعارج الآية (٤٤) .

^(٢) سورة القيامة الآيتان (٢٤ - ٢٥) .

^(٣) سورة يونس الآية (٢٧) .

^(٤) سورة طه الآية (١١٨) .

^(٥) سورة الإنسان الآية (١١) .

^(٦) سورة الإنسان الآية (٣١) .

^(٧) سورة الأعراف الآية (٢٦) .

^(٨) سورة الصافات الآيتان (٦ - ٧) وفي الأصل : (ولقد زيننا ... وحفظناها) وهو خطأ

^(٩) سورة عاfer الآية (٦٤) .

تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ ^(١) (فجمع لهم بين الزادين) ^(٢) ، ومنه : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ^(٣) فجمع لهؤلاء بين جمال الظاهر والباطن ، ولأولئك بين تسويد الظاهر والباطن .

ومنه / قول امرأة العزيز : ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ ^(٤) فوصفت ظاهره بالجمال وباطنه بالعفة ، فوصفته بجمال الظاهر والباطن ، فكأنها قالت : هذا ظاهره وباطنه أحسن من ظاهره ، وهذا كله يدل على ارتباط الظاهر بالباطن قدراً وشرعاً . والله أعلم بالصواب .



^(١) سورة البقرة الآية (١٩٧) .

^(٢) سقط من المطبوع .

^(٣) سورة آل عمران الآيتان (١٠٦ - ١٠٧) .

^(٤) سورة يوسف الآية (٣٢) .

❦ فصل ❧

{ القسم في سورة القلم }

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) ﴿ (١) والصحيح أن (ن و ق و ص) من حروف الهجاء التي يفتح الرب (تعالى) (٢) بها بعض السور وهي أحادية وثنائية وثلاثية ، ورباعية ، وخماسية ، ولم تجاوز الخمسة ، ولم يذكر قط في أول سورة إلا وعقبها بذكر القرآن إما مقسماً به ، وإما مخبراً عنه ، خلا (٣) سورة أو سورتين ، سورة كهيعص و (ن) ، كقوله تعالى : ﴿ الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ (٤) ﴿ الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ (٥) ﴿ المص (١) كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ ﴾ (٦) ﴿ المراتك آياتُ الْكِتَابِ ﴾ (٧) ، وهكذا إلى آخرها (٨) .

ففي هذا تنبيه على شرف هذه الحروف ، وعظم قدرها ، وجلالتها . إذ هي مباني كلامه وكتبه التي تكلم سبحانه بها وانزلها على رسله ، وهدى بها عباده ، وعرفهم نفسه واسماءه وصفاته وافعاله وامره ونهيه ووعدده ووعيده وعرفهم بها الخير والشر والحسن والقبيح وقدرهم على التكلم بها بحيث يبلغون بها أقصى ما في انفسهم بأسهل طريق وأقله كلفة ومشقة وأوصله إلى المقصود وأدله عليه .

وهذا من أعظم نعمه عليه كما هو من أعظم آياته . ولهذا عاب سبحانه على من عبد إلهاً لا يتكلم ، وامتن على عباده بأن قدرهم على البيان بها بالكلام ، فكان في ذكر هذه الحروف التنبيه على كمال ربوبيته ، وكمال / إحسانه وإنعامه ، فهي أولى أن يقسم بها من الليل والنهار ، [٧٢/ب]

(١) سورة القلم الآيتان (٢-١) .

(٢) في (م) و (ق) والمطبوع : (سبحانه) بدل (تعالى) .

(٣) في غير الأصل : (ما خلا) .

(٤) سورة البقرة الآيتان (٢-١) .

(٥) سورة آل عمران الآيات (٣-١) .

(٦) سورة الأعراف الآيتان (٢-١) .

(٧) سورة الرعد الآية (١) .

(٨) في (م) و (ق) والمطبوع : (إلى آخره) .

والشمس والقمر ، والسماء والنجوم ، وغيرها من المخلوقات فهي دالة أظهر دلالة على وحدانيته وقدرته وحكمته وكماله وكلامه وصدق رسله .

وقد جمع سبحانه بين الأمرين ، أعني القرآن ونطق الإنسان ، وجعل تعليمها من تمام نعمته وامتنانه . كما قال تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)﴾ (١) فهذه الحروف علم القرآن ، وبها علم البيان وبها فضل الانسان على سائر أنواع الحيوان ، وبها أنزل كتبه ، وبها أرسل رسله ، وبها جمعت العلوم وحفظت ، وبها انتظمت مصالح العباد في المعاش والمعاد وبها تميز (٢) الحق من الباطل ، والصحيح من الفاسد ، وبها جمعت أسباب (٣) العلوم ، وبها أمكن تنقلها في الازدهان ، وكم جلب بها من نعمة ، ودفع بها من نقمة ، واقلت بها من عثرة ، وأقيمت بها من حرمة ، وهدى بها من ضلال ، واقيم بها من حق ، وهدم بها من باطل ؟ فأياته سبحانه في تعليم البيان كآياته في خلق الانسان

لولا عجائب صنع الله ما ثبتت تلك الفضائل في لحم ولا عصب

فسبحان من هذا صنعه في هواه يخرج من قصبة الرئة ، فينضم في الحلقوم ثم ينفرش في أقصى الحلق ووسطه وآخره وأعلاه واسفله وعلى وسط اللسان واطرافه ، وبين الشنايا وفي الشفتين والخيشوم ، فيسمع له عند كل مقطع من تلك المقاطع صوت غير صوت المقطع المجاور له فإذا هو حروف فاهم سبحانه الانسان نظم بعضها إلى بعض فإذا هي كلمات قائمة بأنفسها ثم ألهمهم تأليف تلك الكلمات بعضها إلى بعض ، فإذا هي كلام دالٌّ على انواع المعاني أمراً ونهياً وخبراً واستخباراً ونهياً وإثباتاً وإقراراً وإنكاراً وتكذيباً وإيجاباً واستحباباً وسؤالاً وجواباً ، إلى غير ذلك [١/٧٣] من أنواع الخطاب : نظمه ، ونشره ، ووجيزه ومطوله ، على اختلاف لغات الخلائق .

كل ذلك صنعه تبارك وتعالى في هواه مجرد خارج من باطن الانسان إلى ظاهره ، وجارٍ (٤) في مجارٍ قد هيئت وأعدت لتقطيعه وتفصيله ، ثم تأليفه وتوصيله فتبارك الله رب العالمين واحسن الخالقين فهذا شأن الحرف المخلوق .

(١) سورة الرحمن الآيات (١-٤)

(٢) في (م) و (ق) والمطبوع : (يتميز) .

(٣) في (م) و (ق) والمطبوع : (أشتات) .

(٤) سقط من المطبوع .



وأما الحرف الذي تكون به المخلوقات فشأنه أعلى وأجلّ ، وإذا كان هذا شأن الحروف فحقيق أن تفتح بها السور ، كما افتتحت بالاقسام ، لما فيها من آيات الربوبية وأدلة الوجدانية . فهي دالة على كمال قدرته سبحانه وكمال علمه ، وكمال حكمته وكمال رحمته وعنايته بخلقه ولطفه واحسانه .

وإذا أعطيت الاستدلال بما حقه استدلت بها على المبدأ والمعاد ، والخلق والأمر ، والتوحيد والرسالة ، فهي من أظهر [أدلة] ^(١) شهادة أن لا إله إلا الله ، وإن محمدا عبده ورسوله ، وأن القرآن كلام الله تكلم به حقاً وأنزله على رسوله وحياً ، وبلغه كما أوحى إليه صدقاً ، ولا تحمل الفكرة في كل صورة افتتحت بهذه الحروف ، واشتمالها على آيات هذه المطالب ، وتقريرها . وبالله التوفيق .



^(١) سقط من الأصل .



﴿ فصل ﴾

{ السر في الإقسام بالقلم }

ثم أقسم سبحانه بالقلم وما يسطرون ، فأقسم بالكتاب وآله ، وهو القلم الذي هو إحدى آياته وأول مخلوقاته الذي جرى بها قدره وشرعه وكتب به الوحي ، وقيل^(١) به الدين ، وأثبت به الشريعة ، وحُفظت به العلوم ، وقامت به مصالح العباد في المعاش والمعاد ، خاطرت به الممالك وأمنت به السبل والمسالك .

وأقام في الناس أبلغ خطيب ، وأفصحه ، وأنفعه لهم ، وأنصحهم ، وواعظاً فتشفي مواعظه القلوب من السقم ، وطيباً يري بإذى بارئه من أنواع الألم ، يكسر العساكر العظيمة على أنه الضعيف الوحيد ، ويخاف سطوته/ وبأسه ذو البأس الشديد .

[٧٣/ب]

وبالأقلام تدبر الأقاليم ، وتساس الممالك ، والقلم لسان الضمير يناجيه بما استتر عن الأسماع ، فينسج حلل المعاني في الطرفين ، فتعود أحسن من الوشي المرقوم ، ويدعها^(٢) حكمه فتصير موارد الفهوم ، والأقلام نظام للأفهام .

وكما أن اللسان بريد القلب ، فالقلم بريد اللسان ، ويولد الحروف المسموعة عن اللسان ، كتولد الحروف المكتوبة عن القلم .

والقلم بريد القلب ورسوله وترجمانه ولسانه الصامت .



^(١) في غير الأصل : (وقيد) .

^(٢) في الأصل و (ب) : ويدعها .

﴿ فصل ﴾

{ قلم القدر }

والأقلام متفاوتة في الرتب فأعلاها واجلّها قدراً قلم القدر السابق ، الذي كتب الله به مقادير الخلائق ، كما في سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن أول ما خلق الله القلم . فقال له : اكتب . فقال : رب^(١) . وما أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة " ^(٢) .

واختلف العلماء هل القلم أول المخلوقات أو العرش ؟ على قولين ذكرها الحافظ أبو العلاء الهمداني^(٣) أصحها أن العرش قبل القلم ، لما ثبت في الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : " قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء " فهذا صريح في أن التقدير وقع بعد خلق العرش ، والتقدير وقع عند أول خلق القلم ، لحديث عبادة هذا .

^(١) في غير الأصل : (قال : يارب) .

^(٢) أخرجه أبو داود في (٣٥) كتاب السنة ، (١٧) باب في القدر ، ح (٤٦٦٨) ، والترمذي في (٣٣) كتاب القدر (١٧) باب ح (٢١٥٥) وقال : حديث غريب من هذا الوجه ، والفريري كتاب القدر ح (٤٢٥) ، والأجري في الشريعة في (٣٧) باب الإيمان بما جري به القلم مما يكون أبداً ح (٣٤٦ - ٣٤٧) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، في سياق ما فسر من الآيات في كتاب الله عز وجل ((وما روي في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إثبات القدر ، وابن بطه في الإبانة الكبرى في (٨) باب الإيمان بأن الله عز وجل خلق القلم . ح (١٣٦٢) وابن أبي عاصم في السنة ح () جميعهم من حديث عبادة بن الصامت . والحديث صحيح بمجموع طرقه كما قال الشيخ الألباني رحمه الله : الحديث صحيح بلا ريب . انظر ترجمته للمشكاة (٣٤ / ١) .

^(٣) أبو العلاء الهمداني : هو الحافظ العلامة المقرئ شيخ الإسلام الحسن بن أحمد بن محمد بن سهل العطار تقي الدين شيخ همدان ، حافظ متفنن ومقرئ فاضل ، يعرف القراءات والحديث . من شيوخه : ابن البناء الخليلي ، وابن عساكر وأبو العز القلانسي ومحمد بن أبي يعلى الفراء وغيرهم ، من مؤلفاته : غاية الاختصار ، فتا وجوابها في الاعتقاد ودم الاختلاف ، زاد المسير وغيرها ، توفي سنة ٥٦٩ هـ . انظر : السير (٤٠ / ٢١ - ٤٧) ، طبقات المفسرين (١٣٢ / ١ - ١٣٥) .

^(٤) أخرجه مسلم في (٤٦) كتاب القدر ، (٢) باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ح (٢٦٥٣) وغيره من أصحاب السنن والمسانيد .

ولا يخلوا قوله : " إن أول ما خلق الله القلم ... " الى آخره إما أن يكون جملة أو جملتين :

* فإن كان جملة " وهو الصحيح " كان معناه أن عند أول خلقه قال له : اكتب ، كما في اللفظ " أول ما خلق الله القلم ، قال له : اكتب " بنصب أول ، والقلم .

* وإن كان جملتين وهو مروي برفع أول والقلم ، فيتعين حملة على أنه أول مخلوقات من هذا العالم ، ليتفق الحديثان إذ حديث عبد الله بن عمرو صريح في أن العرش سابق على التقدير ، والتقدير مقارن لخلق القلم ، وفي اللفظ الآخر " لما خلق الله القلم قال له اكتب " فهذا / القلم [١/٧٤] أول الاقلام وافضلها واجلها وقد قال اكثر من واحد من أهل التفسير انه القلم الذي أقسم الله تعالى به ^(١).



^(١) اختلف العلماء رحمهم الله في مسألة : هل القلم أول المخلوقات أم العرش على قولين :

الأول: قالوا أول المخلوقات هو القلم . وذهب إليه ابن جرير رحمه الله (تاريخ الأمم والملوك ١ / ٣٥) ، وابن الجوزي كما في البداية والنهاية (١ / ٨) ومن المعاصرين الشيخ الألباني (السلسلة الصحيحة ح : ١٣٣) . واستدلوا بحديث أبي هريرة : (أول شيء خلق الله القلم) . وحديث ابن عباس ، وعبادة ابن الصامت : (أول ما خلق الله القلم) .

الثاني : قالوا أول المخلوقات هو العرش :

وهو قول جمهور العلماء ، حيث اختاره شيخ الإسلام (مجموع الفتاوى ١٨ / ٢١٣) وابن القيم كما هنا ، وابن كثير كما في البداية والنهاية (١ / ٩) ، وابن أبي العز الحنفى كما في شرح الطحاوية (٢ / ٣٤٥) ، وقال الحافظ ابن حجر : (والأكثر على سبق خلق العرش) الفتح (٦ / ٢٨٩) وحملوا حديث القلم على أنه أول المخلوقات من هذا العالم البداية والنهاية (١ / ٩) .



﴿ فصل ﴾

{ قلم الوحي }

القلم الثاني : قلم الوحي ، وهو الذي يكتب به وحي الله (عزَّوجلَّ) إلى أنبيائه ورسله واصحاب هذا القلم هم الحكام على العالم ، والعالم خدام لهم ، وإليهم الحل والعقد ، والأقلام كلها خدام لأقلامهم ، وقد رفع النبي ﷺ ليلة أسري به إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام^(١)

فهذه الأقلام هي التي تكتب ما يوحيه الله تبارك وتعالى من الأمور التي يدبر بها أمر العالم العلوي والسفلي (٢) .



^(١) أخرج البخاري في (٨) كتاب الصلاة . (١) باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء ح (٣٤٩) ، مسلم في (١) كتاب الإيمان (٧٤) باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات ، وفرض الصلوات ح (١٦٣) . من حديث أبي ذر رضي الله عنه وفيه (ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام) .

^(٢) من قوله (اختلف العلماء . . إلى هنا) موجود في شرح الطحاوية (٣٤٥/٢ - ٣٤٦) .

﴿ فصل ﴾ { قلم الفقهاء والمفتين }

والقلم الثالث : قلم التوقيع عن الله ورسوله وهو قلم الفقهاء والمفتين .
وهذا القلم أيضاً حاكم غير محكوم عليه فإليه التحاكم في الدماء والاموال والفروج
والحقوق ، وأصحابه مخبرون عن الله بحكمه الذي حكم به بين عباده واصحابه حكام وملوك على
أرباب الأقاليم ، وأقلام العالم خدوم لهذا القلم .



﴿ فصل ﴾

{ قلم الطب }

القلم الرابع : قلم طبّ الأبدان التي تحفظ بها صحتها الموجودة وترد إليها به صحتها
المفقودة وتدفع به عنها آفاتا وعوارضها المضادة لصحتها .

وهذا القلم انفع الأقلام بعد قلم طبّ الأديان وحاجة الناس إلى اهله تلتحق بالضرورة .



﴿ فصل ﴾

{ قلم التوقيع عن الملوك }

القلم الخامس : قلم التوقيع عن الملوك ونوابهم ، وبه تناس الممالك .
ولهذا كان أصحابه أعز أصحاب الاقلام المشاركون للملوك في تدبير الدول فإن صلحت
أقلامهم صلحت المملكة ، وإن فسدت أقلامهم فسدت المملكة ، وهم وسائط بين الملوك
ورعاياهم .





﴿ فصل ﴾

{ قلم الحساب }

القلم السادس : قلم الحساب.

وهو القلم الذي تضبط به الأموال مستخرجها ومصروفها ومقاديرها ، وهو قلم الأرزاق

، وهو قلم الكم المتصل والمنفصل الذي تضبط به المقادير . وما بينهما من التفاوت / والتناسب ، [٧٤/ب]

ومبناه على الصدق والعدل ، فإذا كذب هذا القلم وظلم فسد أمر المملكة .





﴿ فصل ﴾

{ قلم الحكم }

القلم السابع : قلم الحكم الذي ثبت به الحقوق ، وتنفذ به القضايا ، وتراق به الدماء ، وتؤخذ به الأموال والحقوق من اليد العادية فترد إلى^(١) اليد المحقة ، وتثبت به الأنساب ، وتنقطع به الخصومات .

وبين هذا القلم وقلم التوقيع عن الله عموم وخصوص ، فهذا له النفود واللزوم وذاك له العموم والشمول ، وهو قلم قائم بالصدق فيما يثبت ، وبالعدل فيما يمضيه وينفذه .



^(١) في (ق) : (فترده) .



فصل

{ قلم الشهادة }

القلم الثامن : قلم الشهادة .

وهو القلم الذي تحفظ به الحقوق ، وتُصان عن الإضاعة وتحول بين الفاجر وإنكاره ، ويصدق الصادق ، ويكذب الكاذب ، ويشهد للمحق بحقه ، وعلى المبطل بباطله ، وهو الأمين على الدماء والفروج والأموال والأنساب والحقوق ، ومتى خان هذا القلم فسد أمر العالم أعظم فساد ، وباستقامته يستقيم أمر العالم . ومبناه على العلم وعدم الكتمان .





﴿ فصل ﴾

{ قلم التعبير }

القلم التاسع : قلم التعبير .

وهو كاتبٌ وحي المنام وتفسيره وتعبيره وما أُريد به^(١)، وهو قلم شريف جليل مترجم للوحي المنامي كاشفٌ له وهو من الأقلام التي تصلح للدنيا والدين ، وهو يعتمد طهارة صاحبه ونزاهته وأمانته وتحرّيه للصدق ، وللطرائق الحميدة والمناهج السديدة ، مع علمٍ راسخٍ وصفاءٍ باطنٍ ، وحسٍّ مؤيّدٍ بالنور الإلهي ، ومعرفة بأحوال الخلق وهيئاتهم وسيرهم .
وهو من أطف الأقلام وأعَمّها جولاناً وأوسعها تصرفاً ، واشدها تشبهاً بسائر الموجودات علويها وسفليها وبالماضي والحال والمستقبل ، فتصّرف هذا القلم في المنام هو محلّ ولايته وكُرسي مملكته وسلطانته .



^(١) في المطبوع : (منه) .



﴿ فصل ﴾ { قلم تواريخ العالم }

القلم العاشر : قلم تواريخ العالم ووقائعه .

وهو القلم الذي تضبط به الحوادث وتنقل من أمة إلى أمة ، ومن قرن إلى قرن فيحصر ما مضى من العالم وحوادثه في الخيال وينقشه في النفس ، حتى كأن السامع يرى ذلك ويشهده ، فهو قلم المعاد الروحاني .

وهذا القلم قلم / العجائب ، فإنه يعيد لك العالم في صورة الخيال فتراه بقلبك وتشاهده [٧٥] ببصيرتك .



﴿ فصل ﴾

{ قلم اللغة }

القلم الحادي عشر : قلم اللغة وتفصيلها من شرح معاني ألفاظها المفردة ونحوها وتصريفها وأسرار تراكيبها ، وما يتبع ذلك من أحوالها ووجوهها وأنواع دلالتها على المعاني وكيفية الدلالة وهو قلم التعبير عن المعاني باختيار^(١) أحسن الألفاظ وأعذبها وأسهلها وأوضحها . وهذا القلم واسع التصرف جداً بحسب سعة الألفاظ وكثرة مجاريها وتنوعها .



^(١) في الأصل والنسخ الأخرى : (بأخبار) ، وما أثبتته من المطبوع .



﴿ فصل ١٠ ﴾

{ قلم الرد على المبطلين }

القلم الثاني عشر : القلم الجامع ، وهو قلم الردّ على المبطلين ورفع سنة المحققين وكشف أباطيل المبطلين على اختلاف أنواعها وأجناسها وبيان تناقضهم وتماقضهم وخروجهم عن الحق ودخولهم في الباطل .

وهذا القلم في الأقلام نظير الملوك في الأنام^(١)، واصحابه أهل الحجّة و النّاصرون لما جاءت به الرسل المحاربون لأعدائهم وهم الدّاعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، المجادلون لمن خرج عن سبيله بأنواع الجدال . وأصحاب هذا القلم حربٌ لكل مبطل عدوٌ لكل مخالف للرسول فهم في شأن وغيرهم من أصحاب الأقلام في شأن .

فهذه الأقلام التي بها انتظام مصالح العالم ويكفي في جلاله القلم أنه لم تكتب كتب الله إلا به ، وإن الله سبحانه أقسم به في كتابه وتعرف إلى غيره بأن علم بالقلم . وإنما وصل إلينا ما بعث به نبينا ﷺ بواسطة القلم .

^(١) في (ب) : (الأيام) .

ولقد أبدع أبو تمام^(١) إذ يقول في وصفه :

يصاب من الأمر الكلى والمفاصل
بأثاره في الغرب والشرق وأبل
وارش الجنا اشتارته أيد عواسل
لما احتفلت للملك تلك المحافل
وأعجم أن خاطبته وهو راجل
عليه شعاب الفكر وهي حوافل
لنجواه تقويض الخيام الجحافل
أعاليه في القرطاس وهي أسافل
ثلاث نواحيه الثلاث الأنامل
ضنا وسمينا خطبه وهو هازل^٢

لك القلم الماضي الذي بثباته
له ريقة طل ولكن وقعها
لعاب الأقاعي القاتلات لعابه
له الخلوات السلاء لولا نحيبها
فصيح إذا استنطقته وهو راكب
إذا ما متطي الخمس اللطاف وافرغت
اطاعته أطراف الفتا وتقوضت
إذا استغزر الذهن الذكي وأقبلت
وقد رفته الخنصران وسددت
رأيت جليلاً شأنه وهو مرهق



^(١) أبو تمام هو : حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، الشاعر الأديب ولد في جاسم من قرى حوران بسورية ثم انتقل إلى مصر ، واستقدمه المعتصم إلى بغداد ، فأجازه وقدمه على شعراء وقته ، ثم ولي بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفي بها من مؤلفاته (فحول الشعراء - ديوان الحماسة - نقائض حرير والأخطل) وغيرها توفي سنة ٣٣٢هـ أنظر الأعلام للزركلي (٢ / ١٦٥) .

^(٢) في المطبوع : (وهو نازل) .

﴿ فصل ﴾

{ بيان المقسم عليه }

والمقسم عليه بالقلم والكتابة في هذه السورة تزيه نبيه ورسوله ﷺ^(١) عما يقول فيه اعداؤه وهو قوله تعالى : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾^(٢) وأنت إذا طابقت بين هذا القسم والمقسم به وجدته دالاً عليه أظهر دلالة وإبينها ، فإن ما سطر الكتاب^(٣) بالقلم من أنواع العلوم التي يتلقاها البشر بعضهم عن بعض لاتصدر من مجنون ، ولا تصدر إلا ممن له عقل^(٤) وأفر فكيف يصدر ما جاء به الرسول من هذا الكتاب الذي هو^(٥) في أعلى درجات العلوم ؟

بل العلوم التي تضمنها ليس في قوى البشر الاتيان بها ، ولا سيما من أُمي لا يقرأ كتاباً ولا يخطه بيمينه مع كونه في أعلا أنواع الفصاحة سليماً من الاختلاف برياً من التناقض يستحيل من العقلاء كلهم لو اجتمعوا في صعيد واحد أن يأتوا بمثله ولو كانوا على^(٦) عقل رجل واحد منهم . فكيف يأتي ذلك من مجنون لا عقل له يميز به ما عسى كثير من الحيوان أن يميزه ؟ وهل هذا إلا من أقبح الهيئات وأظهر الافك .

فتأمل شهادة هذا المقسم به للمقسم به عليه ودلالته عليه أتم دلالة ولو أن رجلاً أنشأ رسالة واحدة بديعة منتظمة الأولوالآخر متساوية الاجزاء يصدق بعضها بعضاً أو قال قصيدة [١/٧٦] كذلك أو صنف كتاباً كذلك لشهد له/ العقلاء بالعقل ولما استجاز أحد رمية بالجنون مع إمكان^(٧) وقوع معارضتها ومشاكلتها والاتيان بمثلها أو احسن منها . فكيف يرمى بالجنون من أتى بما عجزت العقلاء كلهم قاطبة عن معارضته ومماثلته ؟! ، وعرفهم من الحق ما لا تقتدي إليه

^(١) سقط من غير أصل و (ب) .

^(٢) سورة القلم الآية (٢) .

^(٣) في المطبوع : (الكتاب) .

^(٤) في (م) و (ق) والمطبوع : (إلا من عقلٍ وافرٍ) وفي (ب) : (من له عقل) .

^(٥) سقط من (م) و (ق) .

^(٦) في (م) و (ق) والمطبوع : (في) بدل (على) .

^(٧) في غير الأصل : (مع إمكان بل وقوع) .

عقولهم ؟ ، بحيث اذعنت له عقول العقلاء ، وخضعت له ألباب الألباء^(١) ، وتلاشت في جنب ما جاء به بحيث لم يسعها إلا التسليم له والانقياد والاذعان طائفة مختارة وهي ترى عقولها أشد فقراً وحاجة إلى ما جاء به ولا كمال لها إلا بما جاء به .

فهو الذي كمل عقولها كما يكمل الطفل برضاع الثدي ولهذا^(٢) اتباعه أعقل الخلق على الإطلاق وهذه مؤلفاتهم وكتبهم في جميع^(٣) الفنون إذا قارنت^(٤) بينها وبين مؤلفات مخالفينهم ظهر لك التفاوت بينها ويكفي في عقولهم أنهم عمروا الدنيا بالعلم والعدل ، والقلوب بالایمان والتقوى فيكف يكون متبوعهم مجنوناً ؟ وهذا حال كتابه وهديه وسيرته ، وحال اتباعه ، وهذا إنما حصل له ولاتباعه بنعمة الله عليه وعليهم فنفي عنه الجنون بنعمته عليه .

وقد اختلف في تقدير الآية فقالت فرقة : الباء في بنعمة ربك باء القسم ، فهو قسم آخر اعترض بين المحكوم به والمحكوم عليه ، كما تقول : ما أنت بالله بكاذب وهذا التقدير ضعيف جداً ، لأنه قد تقدم القسم الأول فكيف يقع القسم الثاني في جوابه ؟ ولا يحسن أن تقول : والله ما أنت بالله بقائم ، وليس هذا من فصيح الكلام ، ولا عهد به في كلامهم .

وقالت فرقة : العامل في بنعمة ربك أداة معنى النفي أو معنى انفي عنك الجنون بنعمة ربك ورد أبو عمرو بن الحاحب^(٥) وغيره هذا القول بأن الحروف لاتعمل معانيها ، وإنما تعمل

الفاظها . وقال الزمخشري : (يتعلق بنعمة ربك بمجنون منفيًا كما يتعلق / بعاقل مثبتاً في قولك : [ب/٧٦] أنت بنعمة الله عاقل ، يستوي^(٦) في ذلك الإثبات والنفي استوائهما في قولك : ضرب زيد عمراً

^(١) في المطبوع : (الأولياء) .

^(٢) في المطبوع : زيادة (فإن) .

^(٣) سقط من المطبوع .

^(٤) في غير الأصل : (وازنت) بدل : (قارنت) .

^(٥) أبو عمرو بن الحاحب : هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي الدوبيي الأصل ، الأسناني المالكي المعروف بابن الحاحب (أبو عمرو ، جمال الدين) فقيه مقرئ أصولي نحوي صرفي عروضي ، من تصانيفه : (الإيضاح شرح المفصل - الكافية في النحو - جامع الأمهات في فروع الفقه المالكي ، توفي سنة (٦٤٦ هـ) ، انظر : شذرات الذهب (٢٣٤/٥ - ٢٣٥) . معجم المؤلفين (٣٦٦/٢) .

^(٦) في (ب) و (م) و (ق) : (يستوي) وفي المطبوع : (يستويان) .

[وما ضرب زيد عمراً] ^(١) . تعمل الفعل مثبتاً ومنفياً اعمالا واحداً ومحله النصب على الحال ، أي ما أنت بمجنون منعماً عليك بذلك ، ولم يمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لأنها زائدة لتأكيد النفي ^(٢) ، واعترض عليه بأن النفي إذا تسلط على محكوم به وله معمول فإنه يجوز فيه وجهان : أحدهما نفي ذلك المعمول فقط ، نحو قولك : ما زيد بذهاب مسرعاً ، فإنه ينتقي الاسراع دون القيام ولا يمتنع ان تثبت له ذهاب في غير اسراع .

والثاني : نفي المحكوم به فينتفي معموله بانتفائه ، فينتفي الذهاب في هذا الحال فينتفي الاسراع بانتفائه فإذا جعل بنعمة ربك معمولاً لمجنون لزم أحد الأمرين وكلاهما منتفي جزماً ^(٣) ، وهذا الاعتراض هنا فاسد ، لان المعنى إذا جعل ^(٤) ما أنت بمجنون منعماً عليك لزم من صدق هذا الخبر نفيهما قطعاً ، ولا يصح نفي المعمول وثبوت العامل في هذا الكلام ، ولا يفهم منه من له آلة الفهم ، وإنما يفهم الآدمي من هذا الكلام أن المجنون انتفى عنك بنعمة الله عليك وانتفى عنا ما فهمه هذا المعترض بنعمة الله علينا .

ثم اخبر سبحانه عن كمال حالتي نبيه في دنياه واخراه ، فقال (تعالى) : ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ ^(٥) أي غير مقطوع ، بل هو دائم مستمر ، ونكر الاجر تنكير تعظيم ، كما قال (تعالى) : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً ﴾ ﴿ وَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾ و ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا ﴾ ^(٦) و ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ ^(٧) و ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ ^(٨) وهو كثير ، وإنما كان التنكير للتعظيم [لأنه] صور ^(٩) للسامع بممثلة امر عظيم لا يدركه الوصف ولا يناله التعبير . ثم قال (تعالى) : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(١٠) وهذه من أعظم آيات نبوته ورسالته لمن منحه الله

^(١) سقط من الأصل .

^(٢) الكشاف : (٤ / ٥٨٤ - ٥٨٥) .

^(٣) الذي اعترض عليه هو أبو حيان ، أنظر البحر المحيط (٨ / ٣٠٨) .

^(٤) في غير الأصل : (حصل) .

^(٥) سورة القلم الآية (٣) .

^(٦) كما في آيات كثيرة في كتاب الله .

^(٧) سورة النبأ الآية (٣١) .

^(٨) سورة ص الآية (٢٥) وقد سقطت هذه الآية من المطبوع .

^(٩) في الأصل : (لا صور) .

^(١٠) سورة القلم الآية (٤) .

فهمها ، ولقد سئلت أم المؤمنين عن خلقه ﷺ / فأجابت بما شفى وكفى ، فقالت : كان خلقه القرآن . فهم^(١) سائلها أن يقوم ولا يسئله شيئاً بعد ذلك .

وقال^(٢) ابن عباس وغيره : أي على دين عظيم^(٣) ، وسمي الدين خلقاً : لان الخلق هيئة مركبة من علوم صادقة وإرادات زاكية ، وأعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل والحكمة والمصلحة ، وأقوال متطابقة^(٤) للحق تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات فتكتسب النفس بها أخلاقاً هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها ، وهذه كانت أخلاق رسول الله ﷺ المقتبسة من مشكاة القرآن ، فكان كلامه مطابقاً للقرآن تفصيلاً له وتبييناً ، وعلومه علوم القرآن ، وإرادته وأعماله ما أوجه وندب إليه القرآن ، وإعراضه وتركه لما منع منه القرآن ، ورغبته في ما رغب فيه وزهده فيما زهد فيه ، وكراهته لما كرهه ، ومحبه لما أحبه ، وسعيه في تنفيذ أوامره وتبليغه ، والجهد في إقامته ، فترجمت أم المؤمنين لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول^(٥) وحسن تعبيرها عن هذا كله : بقولها : كان خلقه القرآن ، وفهم السائل عنها هذا المعنى ، فاكتفى به واشتفى .

وإذا^(٦) كانت أخلاق العباد وعلومهم وإرادتهم وأعمالهم مستفادة من القلم وما يسطرون وكان في خلق القلم والكتابة إنعاماً عليهم وإحساناً إليهم ، إذ^(٧) وصلوا به إلى ذلك ، فكيف ينكرون إنعامه وإحسانه على عبده ورسوله الذي أعطاه أعلى الأخلاق ، وأفضل العلوم والأعمال والإرادات التي لا تهتدي العقول إلى تفاصيلها من غير قلم ولا كتابة ، فهل هذا إلا من أعظم آيات

^(١) أخرجه مسلم في (٦) كتاب صلاة المسافرين ، (١٨) باب جامع صلاة الليل ، ومن نام عنه أو مرض ح (٧٤٦) من حديث قتادة عن زرارة أن سعد بن هاشم بن عامر أراد أن يغزو ... (إلى أن قالت أم المؤمنين عائشة :) فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن . الحديث .

^(٢) في المطبوع : (ومن هذا قال ..) .

^(٣) قول ابن عباس أخرجه الطبري في تفسيره (١٨ / ٢٩) . وورد ذكره أيضاً في : البسيط (٢ / ٦٦٨) . ت . فاضل الحوي ، معالم التنزيل (٨ / ١٨٧) ، زاد المسير (٨ / ٣٢٨) .

^(٤) في غير الأصل : (مطابقة) .

^(٥) في المطبوع : زيادة (صلى الله عليه وسلم) .

^(٦) في (م) و (ق) والمطبوع : (فإذا)

^(٧) في (ب) : (إذا) .



نبوته وشواهد صدق رسالته ، وسيعلم أعدؤه المكذبون له أيهم المفتون هو أو^(١) هم ، وقد علموا هم والعقلاء ذلك في الدنيا / ويزداد علمهم في البرزخ ، وينكشف ويظهر كل الظهور في [ب/٧٧] الآخرة بحيث تساوى اقدام الخلائق في العلم به .

وقد اختلف في تقدير قوله : { بأيكم المفتون } :

فقال أبو عثمان المازني^(٢) : هو كلام مستأنف . والمفتون عنده مصدر أي بأيكم الفتنة ، والاستفهام عن أمر دائر بين اثنين قد علم انتفاؤه عن أحدهما قطعاً فتعين حصوله للآخر . والجمهور على خلاف هذا التقدير وهو عندهم متصل بما قبله ، ثم لهم فيه أربعة أوجه : أحدها : أن الباء زائدة ، والمعنى أيكم المفتون ، وزيدت في المبدأ كما زيدت في قولك بحسبك أن تفعل ، قاله أبو عبيدة^(٣) .

الثاني : أن المفتون بمعنى الفتنة أي ستبصر ويصرون بأيكم الفتنة ، والباء على هذا ليست بزائدة ، قاله الأخفش^(٤) .

الثالث : أن المفتون مفعول على بابه ، ولكن هنا مضاف محذوف تقديره بأيكم فتون المفتون ، وليست الباء زائدة ، قاله الأخفش أيضاً .

الرابع : إن الباء بمعنى (في) ، والتقدير في أي فريق منكم النوع المفتون ، والباء على هذا ظرفية^(٥) . وهذه الأقوال كلها تكلف ظاهر لا حاجة إلى شيء منه ، و(ستبصر) مضمن^(٦) معنى : تشعر وتعلم ، فعدي بالباء كما تقول : ستشعر بكذا ، وتعلم به ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ وإذا دعاك اللفظ إلى المعنى من مكان قريب فلا تجب من دعاك إليه من مكان بعيد .



(١) في (م) و (ق) والمطبوع : (أم) .

(٢) أبو عثمان المازني : هو بكر بن محمد بن بقية المازني البصري ، أبو عثمان ، نحوي ، أديب ، لغوي ، روى أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري وغيرهم ، وأخذ عنه : المبرد وتوفي بالبصرة : من تصانيفه : علل النحو ، كتاب التصريف كتاب العروض . توفي سنة ٢٤٨ هـ . انظر : تاريخ بغداد (٧ / ٩٣ - ٩٤) ، إنباء الرواة ١ / (٢٤٦ - ٢٥٦) .

(٣) في المطبوع : (أبو عبيد) وهو تحريف ، وانظر : مجاز القرآن (٢ / ٢٦٤) .

(٤) مذهب الأخفش في معانيه : (أمّا زائدة) . انظر : معاني القرآن للأخفش . (٢ / ٥٤٧) .

(٥) وإليه ذهب الفراء . انظر : معاني القرآن (٣ / ١٧٣) .

(٦) في (ب) و (ق) : (مضمر) .

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القيو

تية الشريعة والدراسات الإسلامية

مركز الدراسات الإسلامية



التبيان

في أقسام القرآن للإمام ابن القيم دراسة وتحقيق

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب

حمزة بن محمد علي آل ياسين عسيري

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور

أمين بن محمد باشا

العام الدراسي

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة البقرة

الحمد لله الذي هدانا لهذا

الذي كنا لنهتدي لہ

سورة البقرة

الحمد لله الذي هدانا لهذا

الذي كنا لنهتدي لہ

﴿ فصل ﴾

{ القسم في سورة الواقعة }

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) ﴾^(١) . ذكر سبحانه هذا القسم عقيب ذكر القيامة الكبرى وأقسام الخلق فيها ، ثم ذكر الأدلة القاطعة على قدرته على المعاد بالنشأة الاولى ، واخراج النبات من الأرض ، وانزال الماء من السماء وخلق النار .

ثم ذكر بعد ذلك أحوال الناس في القيامة الصغرى عند مفارقة الروح للبدن ، وأقسم بمواقع النجوم ، على ثبوت القرآن / . وإنه تنزيله وقد اختلف في النجوم التي أقسم بمواقعها فقل : [١/٧٨] هي آيات القرآن ومواقعها نزولها شيئاً بعد شيء ، هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء^(٣) ، وقول سعيد^(٤) بن جبير والكلبي^(٥) ومقاتل^(٦) وقتادة^(٧) . وقيل : النجوم هي الكواكب ومواقعها مساقطها عند غروبها ، هذا قول أبي عبيدة^(٨) وغيره

(١) سورة الواقعة الآيات (٧٥ - ٨٠) .

(٢) في المطبوع : (وعلى) .

(٣) قول ابن عباس أخرجه الطبري من غير رواية عطاء جامع البيان (٢٧ / ٢٠٣) وورد ذكره أيضاً في معالم التنزيل (٨ / ٢٢) ، وفي زاد المسير (٨ / ١٥١) والجامع لأحكام القرآن (١٧ / ١٤٥) ، وعزاه في الدر المنثور (٨ / ٢٥) إلى عبد بن حميد وابن جرير ومحمد نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٤) سعيد بن جبير رواه عن ابن عباس وليس من قوله مستقلاً فيما بين يدي من المراجع أنظر روايته عند الطبري في جامع البيان (٢٧ / ٢٠٣) .

(٥) لم أعثر على قوله .

(٦) أنظر تفسير مقاتل (١٨٢ / ب) .

(٧) المروي عن قتادة أنها مساقط النجوم كما عند الطبري في تفسيره (٢٧ / ٢٠٤) وعبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٢٧٣) . وأنظر أيضاً : الدر المنثور (٨ / ٢٥) ، الجامع لأحكام القرآن (١٧ / ١٤٥) .

(٨) أنظر : مجاز القرآن (٢ / ٢٥٢) .

وقيل : مواقعها أنتشارها^(١) وانكدارها يوم القيامة وهذا قول الحسن^(٢) . ومن حجة هذا القول : أن لفظ مواقع تقتضيه ، فإنه مفاعل من الوقوع وهو السقوط ، فلكل نجم موقع ، وجمعها مواقع .

ومن حجة قول من قال : هي مساقطها عند الغروب ، أن الرب تعالى يقسم بالنجوم وطلوعها وجريانها وغروبها إذ فيها وفي احوالها الثلاث آية وعبرة ودلالة كما تقدم في قوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ (١٥) الْجَوَارِي الْكُنُوسِ (١٦) ﴾^(٣) وقال (تعالى) : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) ﴾^(٤) وقال (تعالى) : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾^(٥) .

ويرجح هذا القول أيضاً أن النجوم حيث وقعت في القرآن فالمراد منها الكواكب ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بَرَأَ النَّجُومَ ﴾^(٦) ، وقوله (تعالى) : ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ ﴾^(٧) وعلى هذا فتكون المناسبة بين ذكر النجوم في القسم ، وبين المقسم عليه وهو القرآن من وجوه : أحدها : أن النجوم جعلها الله يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، وآيات القرآن يهتدى بها في ظلمات الجهل والغي ، فتلك هداية في الظلمات الحسية ، وآيات القرآن هداية^(٨) في الظلمات المعنوية ، فجمع بين الهدايتين مع ما في النجوم (من الزينة الظاهرة للعالم وفي انزال القرآن من الزينة الباطنة ، ومع ما في النجوم)^(٩) من الرجوم للشياطين ، وفي آيات القرآن من رجوم شياطين الأنس والجن .

^(١) في (ق) والمطبوع : (انتشارها) .

^(٢) قول الحسن أخرجه الطبري في تفسيره بإسناده (٢٧ / ٢٠٤) وورد ذكره أيضاً في : البسيط (١ / ٤٠١) ، ومعالم التنزيل (٨ / ٢٢) . وزاد المسير (٨ / ١٥١) والجامع لأحكام القرآن (١٧ / ١٤٥) .

^(٣) سورة التكويد الآيتان (١٥ - ١٦) .

^(٤) سورة النجم الآية (١) .

^(٥) سورة المعارج الآية (٤٠) .

^(٦) سورة الطور الآية (٤٩) .

^(٧) سورة الأعراف الآية (٥٤) .

^(٨) سقط من المطبوع .

^(٩) سقط من المطبوع .

والنجوم آياته المشهودة العيانة^(١) ، والقرآن آياته المتلوة السمعية ، مع ما في مواقعها عند

[٧٨/ب]

الغروب من العبرة والدلالة على آياته/ القرآنية ومواقعها عند التزل .

ومن قرأ (بموقع النجوم)^(٢) على الافراد فدلالة الواحد المضاف إلى الجمع على التعدد ،

والموقع اسم جنس ، والمصادر إذا اختلفت جمعت وإذا كان النوع واحد أفردت . قال (الله)^(٣)

تعالى : ﴿ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩) ﴾^(٤) فجمع الأصوات لتعدد النوع ، وأفرد

صوت الحمير لوحده ، فإفراد موقع النجوم لوحدة المضاف إليه ، وتعدد المواقع لتعددده ، إذ لكل

نجم موقع .



(١) في المطبوع : (المعانية) .

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف أنظر : إرشاد المبتدي ص (٥٨٢) .

(٣) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(٤) سورة لقمان الآية (١٩) .

﴿ فصل ﴾ { بيان المقسم عليه }

والمقسم عليه^(١) قوله (تعالى) : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ ووقع الاعتراض بين القسم وجوابه بقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ ، ووقع الاعتراض بين الصفة والموصوف في جملة هذا الاعتراض بقوله^(٢) : ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ فجاء هذا الاعتراض في ضمن هذا الاعتراض أطف شيء واحسنه موقعاً .

وأحسن ما يقع هذا الاعتراض إذ تضمن تأكيداً أو تنبيهاً أو احترازاً ، كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٤٢) ﴿^(٣) فاعترض بين المبتدأ والخبر بقوله : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ لما تضمنه ذلك من الاحتراز الواقع لتوهم متوهم إن الوعد إنما يستحقه من أتى بجميع الصالحات ، فرفع ذلك بقوله : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ وهذا أحسن من قول من قال : إنه أخير^(٤) عن الذين آمنوا ثم أخبر عنهم بخبر آخر ، فهما خبران عن مخبر واحد ، فإن عدم التكليف فوق الوسع لا يختص^(٥) الذين آمنوا ، بل هو حكم شامل لجميع الخلق ، مع ما في هذا التقدير من إخلاء جملة الخبر عن الرابط ، وتقدير صفة محذوفة ، أي نفساً منهم ، وتعطيل هذه الفائدة الجلية ، ومن الطف الاعتراض وأحسنه قوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ (٥٧) ﴿^(٦) فاعترض بقوله سبحانه بين الجعلين .

^(١) في المطبوع : زيادة (ههنا) بعد (عليه) .

^(٢) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (تعالى) .

^(٣) سورة الأعراف الآية (٤٢) .

^(٤) في (م) و (ق) والمطبوع : (خير) .

^(٥) في المطبوع : (لا يخص) .

^(٦) سورة النحل الآية (٥٧) .

وفوائد الاعتراض تختلف بحسب قصد المتكلم ، وسياق الكلام من قصد الاعتناء والتقرير والتوكيد وتعظيم المقسم به والمخبر عنه ورفع توهم خلاف المراد، والجواب عن سؤال مقدر ، وغير ذلك.

[١/٧٩]

فمن الاعتراض / الذي يقصد به التقرير والتوكيد قول الشاعر :

لو أن الباخلين وأنت منهم

راؤك تعلموا ^(١) منك المطالا ^(٢)

ومما يقصد به الجواب عن سؤال مقدر قول الآخر:

فلا هجرة يبدو وفي اليأس راحة

ولا وصلة تصفو لها فتكارمه ^(٣)

فقوله : وفي اليأس راحة جواب لتقدير سؤال سائل ، وما يغني عنك هجرة ؟ فقال : وفي

اليأس راحة ، أي المطلوب احد أمرين :

إما يأس مريح ، أو وصال صاف .

ومن الاعتراض الاحتراز قول الجعدي ^(٤):

وقد كذبوا كبير السن فاني ^(٥)

ألازعمت بنوجعد يأتي

ومنه قول نصيب ^(٦):

سنا بارق نحو الحجاز أظير

فكدت ولم اخلق من الطير إن بدا

فقوله : ولم أخلق من الطير لرفع استفهام يتوجّه عليه على سبيل الإنكار لو قال : فكدت

أظير ، فيقال له : وهل خلقت من الطير ؟

^(١) في الأصل و (ب) : (وأول تعلم) .

^(٢) لم أهند إلى مصدره .

^(٣) في المطبوع : (ولا وصلة يصفوا لنا فتكارمه) .

^(٤) الجعدي : هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدي العامري أبو ليلى شاعر مغلق صحابي من المعمرين اشتهر في الجاهلية وسمى (النابغة) لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقال ، وكان ممن هجر الأوثان ، ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام . توفي وقد جاوز المائة كف بصره حوالي سنة (٥٠ هـ) انظر : الشعر والشعراء ص (١٨١-١٨٢) ، الأعلام (٢٠٧/٥) .

^(٥) البيت من الوافر وهو للنابغة الجعدي . وانظر : ديوان شعره (ص : ١٦٢) وروايته فيه :

إلازعمت بنو كعب بآني : ألا كذبوا - كبير السن فاني .

^(٦) نصيب : هو نصيب بن رباح ، أبو محجن مولى عبد العزيز بن مروان ، شاعر فحل ، مقدم في النسيب والمدايح ، له شهرة ذائعة وكان يعد مع جرير وكثير عزه ، وسئل عنه جرير فقال : أشعر أهل جلدته ، وتنسك في أواخر عمره توفي سنة (١٠٨ هـ) وقيل : (١١١ هـ) وقيل (١١٣ هـ) . الأعلام (٨ / ٣١-٣٢) .

فاحترز بهذا الاعتراض وعندي ان هذا الاعتراض يفيد غير هذا ، وهو قوة شوقه ونزوعه إلى ارض الحجاز ، فاحير أنه كاد يطير على أنه أبعد شئ من الطيران ، فإنه لم يخلق من الطير ، ولا عجب طيران من خلق من الطير ، وإنما العجب طيران من لم يُخلق من الطير لشدة نزوعه وشوقه إلى جهة محبوه ، فتأملله .

ومن مواقع الاعتراض : الاعتراض بالدعاء كقول الشاعر:

قد كنت ابكي وأنت راضية
إن تم ذا الهجر يا ظلوم ولا
و كقول الآخر :

إن سـليـمـيـ والـله يـكـلـو هـا
ضنت بشئ ما كان يرزوها^(٢)
و كقول اخر :

إن الثـمـانـين وبلغتهـا
قد أحوجت سمعي إلى ترجمان^(٣)
ومنه الاعتراض بالقسم كقوله :

ذاك الذي -وابيك- يعرف ما لكأ
والحق يدفع ثرّهات الباطل^(٤)
ومن الاعتراض الاستعطاف ، كقوله :

فمن لي بالعين التي كنت مرة
إلي بها نفسي فداؤك تنظر^(٥) / [ب/٧٩]

فاعترض بقوله : نفسي فداؤك إستعطافاً ، فتأمل حسن الاعتراض وجزالته

في قول الربّ تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾^(٦) ، فقوله : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ اعترض بين الشرط وجوابه أفاد أموراً :
منها الجواب عن سؤال سائل ما حكمة هذا التبديل ؟ وما فائدته ؟ .
ومنها أن الذي بدل وأتى بغيره منزل محكم نزوله قبل الاخبار بقولهم .

^(١) لم أهتم إلى مصدره .

^(٢) البيت من السريع وهو لإبراهيم بن هرمة كما في تفسير البحر المحيط (٦ / ٢٩٤) . وهو في اللسان بلا نسبة .

^(٣) البيت من السريع ، وهو لعوف بن محلم كما في الدرر (٤ / ٣١) . وطبقات الشعراء لابن المعتز (ص : ١٨٧) .

^(٤) البيت من الكامل ، وهو لجريز في ديوانه (ص : ٥٨٠) وانظر : شرح شواهد المغني (٢ / ٨١٧) . ، وبلا نسبة في الخصائص (١ / ٣٣٦) .

^(٥) لم أهتم إلى مصدره .

^(٦) سورة النحل الآية (١٠١) .

ومنها أن مصدر الأمرين عن علمه تبارك وتعالى ، وأن كلا منهما مترل فيجب التسليم والايان بالأولوالثاني .

ومن الاعتراض الذي هو في أعلى درجات الحسن قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾^(١) فاعترض بذكر شأن حمله ووضع بين الوصية والموصي به تأكيداً لأمر الوصية بالوالدة التي هذا شأنها وتذكيراً^(٢) لولدها بحققها ، وما قاسته من حمله ووضع مما لم يتكلفه الأب .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضَهَا^(٣) فاعترض بقوله : ﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (٧٢) بين الجمل المعطوف بعضها على بعض ، إعلاماً بأن تدارؤهم وتدافعهم في شأن القتل ليس نافعاً لهم في كتمانهم ، فإن الله يظهره ولا بد .

ولا تستغل هذا الفصل وأمثاله ، فإنه يعطيك ميزاناً ، وينهج لك طريقاً يعينك على فهم الكتاب^(٤) ، والله المستعان .



^(١) سورة لقمان الآية (١٤) .

^(٢) في الأصل والنسخ المخطوطة : (وتذكراً) وفي المطبوع : (وتذكيراً) هو الأنسب .

^(٣) سورة البقرة الآيتان (٧٢ - ٧٣) .

^(٤) أنظر في بسط الكلام على الاعتراض : الخصائص لأبن جني (١ / ٣٣٥ - ٣٤١) . الصاحي لأبن فارس ص (٤١٤ - ٤١٥) .

﴿ فصل ﴾

{ وصف القرآن الكريم }

ثم قال (تعالى) : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) ﴾^(١) فوصفه بما يقتضي حسنه ، وكثرة خيره ، ومنافعه وجلالته ، فإن الكريم هو البهي الكثير الخير ، العظيم النفع ، وهو من كل شيء أحسنه وأفضله .

والله سبحانه وصف نفسه بالكرم ، ووصفه به كلامه ، ووصف به عرشه ، ووصف به ما كثر خيره ، وحسن منظره ، من النبات وغيره ، ولذلك فسّر السلف الكريم بالحسن ،

قال الكلبي : (إنه لقرآن كريم) أي : حسن / كريم على الله^(٢) .
وقال مقاتل : كرمه الله وأعزه ، لأنه كلامه^(٣) .

وقال الأزهري^(٤) : الكريم اسم جامع لما يحمد ، والله كريم حميد الفعال .

(وإنه لقرآن كريم) ، يحمد لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة^(٥) .

وبالجملة فالكريم^(٦) من شأنه أن يعطي الخير الكثير بسهولة ويسر ، وضده اللئيم الذي لا يستخرج خيره التمر إلا بعسر وصعوبة . وكذلك الكريم في الناس واللئيم .



^(١) سورة الواقعة الآية (٧٧) .

^(٢) انظر : البسيط (١ / ٤٠١) .

^(٣) انظر : تفسير مقاتل (١٨٢ / ب) ومعالم التنزيل (٨ / ٢٢) ولم ينسبه إلى مقاتل .

^(٤) الأزهري : محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهرى : أبو منصور الهروي اللغوي أخذ عنه أبو عبيد صاحب الغريين قال ابن الأنباري عن كتابه (تهذيب اللغة) : وهو أكبر كتاب صنف في اللغة وأحسنه ، وقال الذهبي : كان رأساً في الفقه واللغة ، ثبناً ديناً مات سنة (٣٧٠ هـ) .

انظر طبقات الأدباء ص (٢٣٧) ، السير (١٦ / ٣١٥) .

^(٥) انظر تهذيب اللغة (١٠ / ١٣٤) مادة (كرم) .

^(٦) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة : (الذي) بعد (الكريم)

﴿ فصل ﴾

ثم قال تعالى : ﴿ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾ (٧٨) ^(١)

اختلف المفسرون في هذا ، فقليل : هو اللوح المحفوظ ^(٢).

والصحيح أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة ^(٣) ، وهو المذكور في قوله تعالى :

﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ (٧٩) ^(٤).

قال مالك ^(٥) : احسن ما سمعت أنها مثل التي في عبس ﴿ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ﴾ (١٣) مَرْفُوعَةٍ

مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) ^(٦) ويدل على أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة قوله : ﴿ لَا

يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ (٧٩) فهذا يدل على أنه بأيديهم يمسونه وهذا هو الصحيح في معنى الآية.

ومن المفسرين من قال : إن المراد به أن المصحف ^(٧) لا يمسه إلا طاهر ^(٨).

والأول أرجح لوجوه :

أحدها : أن الآية سبقت تزيها للقرآن أن تنزل به الشياطين ، وأن محله لا يصل إليه فيمسه

إلا المطهرون ، فيستحيل على أخابث خلق الله وأنجسهم أن يصلوا إليه أو يمسه ، كما قال تعالى

: ﴿ وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴾ (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) ^(٩) فنفي الفعل ،

^(١) سورة الواقعة الآية (٧٨).

^(٢) هو مروي عن ابن عباس كما في جامع البيان (٢٧ / ٢٠٥) ، البسيط (١ / ٤٠٢) معالم التنزيل (٨ / ٢٢) ، زاد المسير (٨ / ١٥١) وغيرها.

^(٣) وهو مروي عن ابن عباس أيضاً من روايه عطاء وباذان ، وسعيد بن جبير ، وأبي العالية والضحاك والكلبي وقتادة ومقاتل . انظر البسيط (١ / ٤٠٢) .

^(٤) سورة الواقعة الآية (٧٩) .

^(٥) مالك : هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي المدني ، أبو عبد الله ، إمام الهجرة قال الشافعي : مالك وابن عيينة القرينان ولولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز وقال عنه الذهبي : ولم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين يشبه مالكا في العلم والفقه والجلالة والحفظ مات سنة (١٧٩ هـ) . انظر الحلية (٦ / ٣١٦) ، السير (٨ / ٤٨) .

^(٦) سورة عبس الآيات (١٣ - ١٦) .

^(٧) في (م) (القرآن) .

^(٨) كما هو اختيار ابن جرير رحمه الله جامع البيان (٢٧ / ٢٠٦) .

^(٩) سورة الشعراء (٢١٠ - ٢١١) .

وتأتيه منهم ، وقدرتهم عليه فما فعلوا ذلك و لا يليق بهم ، ولا يقدرون عليه ، فإن الفعل قد ينتفي عمن يحسن منه ، وقد يليق بمن لا يقدر عليه ، فنفي عنهم الأمور الثلاثة .

وكذلك قوله تعالى في سورة عبس : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ ^(١) مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) ﴾ فوصف محله بهذه الصفات بياناً أن الشيطان لا يمكنه أن يتقرّل به ، وتقرير هذا المعنى أهم وأجل وأنفع من بيان كون المصحف لا يمسه إلا طاهر .

الوجه الثاني : أن السورة مكية ، والاعتناء في / السور المكية إنما هو بأصول الدين ، من [٨٠/ب] تقرير التوحيد والمعاد والنبوة . وأما تقرير الاحكام والشرائع فمظنة السور المدنية .

الثالث : أن القرآن لم يكن في مصحف عند نزول هذه الآية ، ولا في حياة رسول الله ﷺ وإنما جمع في المصحف في خلافة أبي بكر ، وهذا وإن جاز أن يكون باعتبار ما يأتي فالظاهر أنه إخبار بالواقع حال الأخبار . يوضحه :

الوجه الرابع : وهو قوله : ﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴾ والمكنون المصون المستور عن الأعين الذي لا تناله أيدي البشر ، كما قال تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ يَصْنُ مَكْنُونٌ (٤٩) ﴾ ^(٢) ، وهكذا قال السلف . قال الكلبي : مكنون من الشياطين ^(٣) .

وقال مقاتل : مستور ^(٤) .

وقال مجاهد : لا يصيبه تراب ولا غبار ^(٥) .

وقال أبو اسحاق : مصون في السماء . يوضحه ^(٦) :

الوجه الخامس : أن وصفه بكونه مكنوناً نظير وصفه بكونه محفوظاً بقوله (عز وجل) : ﴿ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴾ كقوله : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ يوضحه .

^(١) سقط من الأصل .

^(٢) سورة الصافات الآية (٤٩) .

^(٣) انظر معالم التنزيل (٢٢ / ٨) من غير نسبة إلى الكلبي .

^(٤) انظر : تفسير مقاتل (١٨٢ / ب) ، زاد المسير (١٥١ / ٨) .

^(٥) قول مجاهد أخرجه الطبري في تفسيره (٢٧ / ٢٠٥) . وذكره أيضاً الواحدي في البسيط (١ / ٤٠٢) .

^(٦) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ١١٥) .

الوجه السادس : أن هذا أبلغ في الرد على المكذبين ، وأبلغ في تعظيم القرآن من كون المصحف لا يمسه محدث .

الوجه السابع : قوله : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ بالرفع ، فهذا خبر لفظاً ومعنى ، ولو كان نهياً لكان مفتوحاً . ومن حمل الآية على النهي احتاج إلى صرف الخبر عن ظاهره إلى معنى النهي ، والأصل في الخبر والنهي حمل كل منهما على حقيقته . وليس ههنا موجب يوجب صرف الكلام عن الخبر إلى النهي .

الوجه الثامن : أنه قال : ﴿ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ولم يقل : " إلا المتطهرون " ولو أراد به منع الحدث من مسه لقال : " إلا المتطهرون ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٢٢٢) ^(١) ، وفي الحديث : " اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين " ^(٢) ، فالمتطهر فاعل التطهير ، والمطهر الذي طهره غيره ، فالمتوضئ متطهر ، والملائكة مطهرون .

الوجه التاسع : أنه لو أُريد به المصحف الذي بأيدينا لم يكن في الاخبار عن كونه مكنوناً كبير فائدة / إذ مجرد كون الكلام مكتوباً في كتاب لا يستلزم ثبوته ، فكيف يمدح القرآن بكونه مكنوناً في كتاب ، وهذا أمر مشترك والآية إنما سقت لبيان مدحه وتشريفه ، وما اختص به من الخصائص التي تدل على أنه منزل من عند الله ، وأنه محفوظ مصون لا يصل إليه شيطان بوجه ما ، ولا يمس محله إلا المطهرون وهم السفرة الكرام البررة .

^(١) سورة البقرة الآية (٢٢٢).

^(٢) هذه اللفظة جزء من حديث أخرجه الإمام الترمذي في (١) أبواب الطهارة (٤١) باب فيما يقال بعد الوضوء ح (٥٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقد أعله الترمذي بالاضطراب .

الوجه العاشر : ما رواه سعيد بن منصور^(١) في سننه حدثنا أبو الأحوص^(٢) عن عاصم^(٣) الاحول^(٤) عن أنس بن مالك^(٥) في قوله (تعالى) : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ قال : المطهرون الملائكة^(٦) ، وهذا عند طائفة من أهل الحديث في حكم المرفوع . قال الحاكم^(٧) : تفسير الصحابة عندنا في حكم المرفوع ، ومن لم يجعله مرفوعاً فلا ريب أنه عنده اصح من تفسير من بعد الصحابة ، والصحابة أعلم الأمة بتفسير القرآن ، ويجب الرجوع إلى تفسيرهم^(٨) .
وقال حرب^(٩) في مسائله :

^(١) سعيد بن منصور : هو أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني المروزي إمام حافظ مشهور ، رحل في طلب العلم إلى البلاد روى عن مالك بن أنس ، والليث بن سعد وغيرهما ، حدث عنه : الإمام أحمد وأبو بكر الأثرم وغيرهما . من مؤلفاته : (السنن) توفي سنة (٢٢٧ هـ) . انظر طبقات ابن سعد (٥ / ٥٠٢) ، التاريخ الكبير (٣ / ٥١٦) .
^(٢) أبو الأحوص : هو سلام بن سليم الحنفي الكوفي ، روى عن إبراهيم بن مهاجر وأبي إسحاق السبيعي وعاصم بن سليمان ، وروى عنه يحيى بن آدم ووكيع وأبو نعيم وغيرهم قال عنه ابن حجر : ثقة متقن ، توفي سنة (١٩٩ هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (٤ / ٢٨٢ - ٢٨٣) .

^(٣) في الأصل (أبو الأحوص ابن عاصم الاحول) وهو تصحيف والتصحيح من البقية) .

^(٤) عاصم الاحول : هو أبو عبد الرحمن عاصم بن سليمان الاحول البصري كان من حفاظ الحديث روى عن أبي قلابة و الشعي وابن سيرين وغيرهم ، روى عنه جماعة منهم دواد أبي هند وشعبة وشريك وغيرهم ، واشتهر بالزهد والعبادة قال عنه ابن حجر : ثقة لم يتكلم فيه إلا القطان ، وكأنه بسبب دخوله في الولاية مات سنة (١٤٢ هـ) .
انظر : الجرح والتعديل (٦ / ٣٤٣) ، تهذيب التهذيب (٥ / ٤٣٠٤٢) .

^(٥) أنس بن مالك : هو أنس بن مالك بن النضر ، الإمام المفتي ، المقرئ المحدث أبو حمزة الأنصاري الخزرجي البخاري المدني ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلف في وفاته على عدة أحوال أصحها أنه مات سنة (٥٩٣) . انظر : الطبقات الكبرى (٧ / ١٧ - ٢٦) ، السير (٣ / ٣٩٥ - ٤٠٦) .
^(٦) الأثر أسنده صحيح .

^(٧) الحاكم : هو محمد بن عبد الله الضبي النيسابوري ، أبو عبد الله الحافظ المعروف بالحاكم ، قال عنه الخطيب : كان من أهل الفضل والعلم و المعرفة والحفظ ، وله في علوم الحديث مصنفات عدة ، ومن مصنفاته : علوم الحديث ، المستدرک علی الصحیحین فضائل الشافعي توفي سنة (٤٠٥ هـ) . انظر : تاريخ بغداد (٥ / ٤٧٣) . والسير (١٧ / ١٦٢) .

^(٨) لم أجده في كتابه علوم الحديث ، وقد نسبه إليه ابن الصلاح في علوم الحديث له انظر : علوم الحديث لأبن الصلاح مع التقييد والإيضاح ص (٥٢) .

^(٩) حرب : هو حرب بن إسماعيل الكرماني ، أبو محمد الفقيه تلميذ أحمد ، قال الخلال : رجل جليل له مسائل عن الإمام أحمد وأسحاق بن رهوية ، وقال الذهبي : ((مسائل حرب من أنفس كتب الخائبة وهو كبير في مجلدين)) توفي سنة (٢٨٠ هـ) .

سمعت إسحاق^(١) في قوله : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ قال : النسخة التي في السماء لا يمسه إلا المطهرون . قال : الملا ئكة .

وسمعت شيخ الإسلام يقرّر الاستدلال بالآية على ان المصحف لا يمسه المحدث بوجه آخر . فقال : هذا من باب التنبيه والإشارة ، وإذا^(٢) كانت الصحف التي في السماء لا يمسه إلا المطهرون فكذلك الصحف التي بأيدينا من القرآن لا ينبغي ان يمسه إلا طاهر ، والحديث مشتق من هذه الآية ، وهو قوله^(٣) : " لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر " رواه أهل السنن من حديث الزهري^(٤) عن أبي بكر بن محمد عمرو بن حزم^(٥) عن أبيه عن جده :

ان في الكتاب الذي كتبه النبي ﷺ إلى أهل اليمن في السنن . والفرائض والديات " أن لا يمس القرآن إلا طاهر " ، وقال أحمد^(٦) : أرجو أن يكون صحيحاً وقال أيضاً لا أشك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبه .

^(١) إسحاق : هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد ، أبو يعقوب المروزي ، المعروف بابن راهوية قال أحمد بن حنبل : لا أعلم ولا أعرف لإسحاق بالعراق نظيراً ، وقال النسائي ثقة مأمون وقال الذهبي : هو الإمام الكبير شيخ المشرق سيد الحفاظ . له عدة مصنفات أحدها : (المسند) توفي سنة (٢٣٨ هـ) . انظر تاريخ بغداد (٦ / ٣٤٥) ، السير (١١ / ٣٥٨) .

^(٢) في (م) و (ق) والمطبوع : (إذا)

^(٣) في (م) و (ق) والمطبوع : (وقوله) .

^(٤) الزهري : هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب ، أبو بكر القرشي ، الزهري المدني ، عاصر كبار الصحابة وروى عن بعضهم روى قريباً من ألفي حديث . قال عنه شيخ الإسلام : ((حفظ الزهري الإسلام نحواً من سبعين سنة)) توفي سنة (١٢٤ هـ) انظر : حلية الأولياء (٣ / ٣٦٠) . تذكرة الحفاظ (١ / ١٠٨) .

^(٥) هكذا في الأصل ، وفي (ب) : (أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده) وهو الصحيح وفي (م) و (ق) والمطبوع : (عن بكر بن محمد ..) .

^(٦) وأبو بكر : هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بن زيد لوذان الأنصاري الخزرجي البخاري المدني ، أمير المدينة وقاضيها ، أحد الأئمة الأثبات ، روى عن أبيه وعن عباد بن تميم وغيرهما حدث عنه ابنه محمد وعبد الله ، والأوزاعي وآخرون توفي سنة (١٢٠ هـ) وقيل (١١٧ هـ) . انظر : السير (٥ / ٣١٣ - ٣١٤) ، التهذيب (١٢ / ٣٨) .

^(٧) الإمام أحمد : هو أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيباني ، إمام أهل السنة والجماعة وأحد الأئمة الأربعة أصله من (مرو) وكان أبوه والي (سرخس) . نشأ منكباً على طلب العلم ، وسافر في سبيله كثيراً ، قامت فتنة القول بخلق القرآن في عهد المأمون

وقال أبو عمر^(١): هو كتاب مشهور عند أهل السنن معروف عند أهل العلم معرفة

يستغني بشهرتها عن الإسناد، لأنه أشبه التواتر في مجيئه، لتلقي الناس له/ بالقبول والمعرفة. [٨١/ب]

ثم قال: هو كتاب معروف عند العلماء، وما فيه فمتفق عليه إلا قليلاً^(٢).

وقد رواه ابن حبان^٣ في صحيحه، ومالك في موطئه^(٤)، وفي المسألة آثار أخر مذكورة في غير هذا الموضوع.



فصدي لهذه الفتنة وامتنح بسببها محنة عظيمة ولكنه ثبت ونصر الله به الدين، له مؤلفات عديدة منها: (المسند) والتفسير والناسخ والمنسوخ وغيرها توفي سنة (٢٤١هـ) وكانت جنازته مشهودة.

^(١) أبو عمر ابن عبد البر: هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي القرطبي المالكي حافظ المغرب، كان إماماً عالماً صاحب سنة واتباع قال عنه الذهبي: (كان في أصول الديانة على مذهب السلف لم يدخل في علم الكلام...). من مؤلفاته وهي ضخمة: التمهيد - الاستذكار - الاستيعاب وغيرها توفي سنة (٤٦٣هـ). انظر: وفيات الأعيان (٦٦/٧)، السير (١٨/١٥٣) التمهيد (١٧/٣٣٨-٣٣٩).

^(٢) ابن حبان: هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، أبو حاتم التميمي البستي السجستاني، الإمام العالم الفاضل الحافظ المتقن ونسبته التميمي نسب إلى تميم جد القبيلة المشهورة فهو عربي الأرومة، أفغاني المولد، تأخر في طلبه للعمل حيث لم يبدأ في الطلب إلا بعد أن نيف على العشرين، ولكنه شمر عن ساعد الجد حتى أصبح إماماً وعلماً من العلماء المشهورين من شيوخه: ابن شيرويه وابن قتيبة اللخمي، وأبو محمد الفريابي وغيرهم ومن تلاميذه: أبو عبد الله الحاكم، وابن منجة، والدارقطني وغيرهم، من مصنفاته: كتاب الثقات، ومعرفة المجروحين من المحدثين وغيرهما. توفي سنة (٣٥٤هـ). انظر: الكامل في التاريخ (٨/٥٦٦)، السير (١٦/٩٢-١٠٤).

^(٣) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الصلاة، باب الأمر بالوضوء لمن مس القرآن ح (٤٦٩)، وذكره أبو داود في كتابه المراسيل في (٢٢) باب جامع الصلاة ح (٩٢-٩٣-٩٤)، وأخرجه الدارمي في سننه في (١٢) كتاب الطلاق (٣) باب لا طلاق قبل النكاح ح (٢٢٦٦). وعبد الرزاق في مصنفه في كتاب الحيض باب مس المصحف والدرهم التي فيها القرآن، وابن حبان في صحيحه (٦٠) كتاب التاريخ (٧) باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم ح (٦٥٥٩) وابن أبي داود في المصاحف في باب هل لمس المصحف من ليس على وضوء ح (٧٣٩)، والبيهقي في سننه في كتاب الطهارة، باب نهي المحدث عن مس المصحف (١/٨٧)، الحاكم في المستدرک (٣٤) كتاب معرفة الصحابة، باب يد السائل أسفل الأيدي ح (٦١٠٥)، والبغوي في شرح السنة في كتاب الطهارة، باب المحدث لا لمس المصحف ح (٢٧٥).

﴿ فصل ﴾

{ طهارة القلوب شرط لتدبر القرآن }

ودلت الآية بإشارتها وإيمائها على أنه لا يدرك معانيه ولا يفهمه إلا القلوب الطاهرة ، وحرام على القلب المتلوث بنجاسة البدع والمخالفات أن ينال معانيه ، وإن يفهمه كما ينبغي . قال البخاري^(١) في صحيحه في هذه الآية : لا يجد طعمه إلا من آمن به^(٢).

وهذا أيضاً من إشارة الآية وتبنيها ، وهو أنه لا يلتذ به وبقرآته وفهمه وتدبره إلا من شهد أنه كلام الله ، تكلم به حقاً ، وأنزله على رسوله وحياً ، ولا ينال معانيه إلا من لم يكن في قلبه حرج منه بوجه من الوجوه .

ومن^(٣) لم يؤمن بأنه حق من عند الله ففي قلبه منه أعظم حرج ، ومن لم يؤمن بأن الله سبحانه تكلم به حقاً ، وليس مخلوقاً من جملة مخلوقاته ففي قلبه منه حرج ، . ومن قال : أن^(٤) له باطناً يخالف ظاهره ، وأن له تأويلاً يخالف ما يفهم منه ففي قلبه منه حرج ، [ومن قال : أن له تأويلاً لا نفهمه ولا نعلمه وإنما نتلوه متعبدين بألفاظه ففي قلبه حرج منه]^(٥) .

ومن سلط عليه آراء الآرائين ، وهذيان المتكلمين ، وسفسطة المتسفسطين ، وخيالات المتصوفين ، ففي قلبه منه حرج .

ومن جعله تابعا لحلته ومذهبه وقول من قلده دينه يترله على أقواله ، ويتكلف حملة عليها ففي قلبه منه حرج ، ومن لم يحكمه ظاهراً وباطناً في أصول الدين وفروعه ، ويسلم وينقاد

^(١) البخاري : هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله الحافظ ، رحل في طلب الحديث فزار خراسان والعراق ومصر والشام وسمع من نحو ألف شيخ من مؤلفاته (الجامع الصحيح) ، والتاريخ الكبير وغيرهما ، توفي سنة ٢٥٦ هـ . انظر : تاريخ بغداد (٢ / ٤ - ٣٤) وفيات الأعيان (٤ / ١٨٨ - ١٩١) .

^(٢) صحيح البخاري (٩٧) كتاب التوحيد (٤٧) باب قول الله تعالى : (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها) .

^(٣) في غير الأصل : (فمن) .

^(٤) في المطبوع : (وحياً) .

^(٥) سقط من الأصل .

لحكمه أين كان ففي قلبه منه حرج . ومن لم يَأْتِر بأوامره ، ويتزجر عن زواجره ، ويصدق جميع أخباره ، ويحكم أمره ونهيهِ وخبره ، ويردّ له كل أمر ونهي وخبر خالفه ففي قلبه منه حرج . وكل هؤلاء لا تمس قلوبهم معانيه ، ولا يفهمونه كما ينبغي أن يفهم ، ولا يجدون من لذة حلاوته وطعمه ما وجدته الصحابة من تبعهم .

وأنت إذا تأملت قوله (تعالى) : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ وأعطيت الآية حقها من [١/٨٢] دلالة اللفظ وإيمائه وإشارته وتنبيهه ، وقياس الشئ على نظيره ، واعتباره بمشاكله ، وتأملت المشاهدة التي عقدها الله سبحانه وربطها بين الظاهر والباطن فهمت هذه المعاني كلها من الآية ، وبالله التوفيق .



﴿ فصل ﴾

ثم أكد ذلك وقرره وأطده بقوله (عز وجل) : ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وهذا^(١) كما أنه لازم لكونه قرآنا كريما في كتاب مكنون فهو ملزوم له فهو دليل عليه ومدلول له .
وأفاد كونه تنزيلاً من رب العالمين مطلوبين عظيمين هما أجل^(٢) مطالب الدين :

أحدهما : أنه المتكلم به ، وأنه منه نزل ومنه بدأ ، وهو الذي تكلم به . ومن هنا قال السلف : منه بدأ ونظيره قوله (تعالى) : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾^(٣) وقوله (تعالى) : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾^(٤) .

والثاني : علو الله سبحانه فوق خلقه ، فإن التزول والتزير الذي تعقله العقول، وتعرفه الفطر هو وصول الشيء من أعلى إلى أسفل . والرب تعالى إنما يخاطب عباده بما تعرفه فطرهم وتشهد به عقولهم .

وذكر التزير مضافاً إلى ربوبيته للعالمين المستلزمه للملكه لهم ، وتصرفه فيهم ، وحكمه عليهم وإحسانه وإنعامه عليهم ، وأن من هذا شأنه مع الخلق كيف يليق به مع ربوبيته التامة أن يتركهم سدى ، ويدعهم هملاً ، ويخلقهم عبثاً لا يأمرهم ولا ينهاهم ، ولا يثيبهم ولا يعاقبهم ، فمن أقر بأنه رب العالمين أقر بأن القرآن تنزيله على رسوله ، واستدل بكونه رب العالمين على ثبوت رسالة رسوله^(٥) ﴿ ١٠٢ ﴾ وصحة ما جاء به ، وهذا الاستدلال أقوى وأشرف من الاستدلال بالمعجزات والخوارق ، وإن كانت دلالتها أقرب إلى أذهان عموم الناس ، وتلك إنما تكون / [٨٢/ب] لخواص العقلاء .

^(١) سقط من المطبوع .

^(٢) في المطبوع : (هما من أجل)

^(٣) سورة السجدة الآية (١٣) .

^(٤) سورة النحل الآية (١٠٢) . وكلمة (بالحق) ساقطة من (م) و (ق) والمطبوع .

^(٥) في (ق) : (مرسوله) .

^(٦) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

وقد أشار سبحانه إلى الطريقين في غير موضع من كتابه كقوله (تعالى) : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(١) فهذا استدلال بالآيات المعاينة المخلوقة . ثم قال : ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٥٣) . فهذا استدلال بكمال ربوبيته ، وكما أوصافه على صدق رسوله فيما جاء به ، وهذه الطريق أخص وأقوى وأكمل وأعلى ، والأول أعم وأشمل ، وقد تقدم بيانها عند قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ وأين الاستدلال بأوصاف الرب تعالى وكماله المقدس على ثبوت النبي وبعثه من الاستدلال عليه ببعض مخلوقاته ؟

وتأمل فرق ما بين الاستدلال من^(٣) سيدة نساء العالمين خديجة بصفات الرب تعالى وصفات محمد ﷺ واستنتاجها من بين هذين الأمرين صحة نبوته ، وأنه رسوله^(٤) حقاً ، وأن من كانت هذه صفاته فصفات ربه وخالقه تأبى أن يخزيه ، وأنه لا بد أن يؤيده ويعليه ويتم نعمته عليه^(٥) .

وأنت إذا تأملت هذه الطريقة ، وهذا الاستدلال وجدت بينهما^(٦) وبين طريقة المتكلمين من الفرق ما لا يخفى ، وإذا حصل للعبد الفقه في الأسماء والصفات انتفع به في باب معرفة الحق والباطل من الأقوال والطرائق والمذاهب والعقائد أعظم انتفاع وأتمه . وقد بينا في كتابنا المعالم . بطلان التحليل وغيره من الحيل الربوبية^(٧) بأسماء الرب وصفاته وأنه يستحيل على الحكيم أن يحرم الشيء ويتواعد^(٨) على فعله بأعظم أنواع العقوبات ثم يبيح التوصل إليه بنفسه بأنواع التحيلات ،

(١) سورة فصلت الآية (٥٣) .

(٢) سورة فصلت الآية (٥٣) .

(٣) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(٤) في غير الأصل : (وأنه رسول الله حقاً)

(٥) هذا الكلام لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ، أخرجه البخاري في صحيحه (١) كتاب بدء الوحي (١) باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ح (٣) ، ومسلم في (١) كتاب الإيمان ، (٧٣) باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ح (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٦) في غير الأصل : (بينها) .

(٧) في غير الأصل : (الربوبية) .

(٨) في غير الأصل و (ب) : (ويتواعد) .



فأين ذاك الوعيد الشديد ، وجواز التوصل إليه بالطريق البعيد ، إذ ليست حكمة الرب تعالى
وكمال علمه وأسمائه وصفاته تنتقض بإحالة ذلك وامتناعه عليه .

فهذا استدلال بالفقه الأكبر في الأسماء والصفات على الفقه العملي / في باب الأمر والنهي [١/٨٣]

، وهذا باب حرام على الجهمي المعطل أن يلجّه ، وجَنَّةٌ حرامٌ عليه ريجها ، وإن ريجها ليجد من
مسيرة خمسين ألف سنة ، والله العزيز الوهاب لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ، وبه التوفيق .



﴿فصل﴾

ثم وبخهم سبحانه على وضعهم الإذهان في^(١) غير موضعه ، وأنهم يداهنون بما حقّه أن يُصدع به ويُفرّق به ويُعضّ عليه بالنواجذ ، وتثنى عليه الخناصر ، وتعقد^(٢) عليه القلوب والأفئدة ، ويحارب ويُسلم لأجله ، ولا يلتوي عنه بمنّة ويسرة ، ولا يكون للقلب التفات إلى غيره ولا محاكمة إلا إليه ، ولا محاصمة إلا به ولا اهتداء في طرق المطالب العالية إلا بنوره ، ولا شفاء إلا به ، فهو روح الوجود وحياة العالم ومدار السعادة وقائد الفلاح ، وطريق النجاة وسبيل الرشاد ، ونور البصائر ، فكيف تطلب المداينة بما هذا شأنه ، ولم يتزل للمداينة ، وإنما نزل بالحق وللحق ، والمداينة إنما تكون في باطل قوي لا يمكن إزالته ، أو في حق ضعيف لا يمكن إقامته ، فيحتاج المداين إلى أن يترك بعض الحق ويلتزم بعض الباطل ، فأما الحق الذي قام به كل حق فكيف يداين به ؟ .

ثم قال سبحانه : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾ (٨٢) ﴿٣﴾ لما كان قوام كل واحد من البدن والقلب إنما هو بالرزق ، فرزق البدن الطعام والشراب ، ورزق القلب الإيمان والمعرفة بربه وفطره ومحبه والشوق إليه ، والأنس بقربه والابتهاج بذكره ، وكان لا حياة له إلا بذلك ، كما أن البدن لا حياة له إلا بالطعام والشراب ، أنعم الله سبحانه على عباده بهذين النوعين من الرزق ، وجعل قيام أبدانهم وقلوبهم بهما ، ثم فاوت سبحانه بينهم في قسمة هذين الرزقين بحسب ما اقتضاه علمه وحكمته . فمنهم من وفر حظه/ من الرزقين ، ووسّع عليه فيهما ، ومنهم من قتر [٨٣/ب] عليه من الرزقين ، ومنهم من وسّع عليه رزق البدن وقتر عليه رزق القلب ، وبالعكس .

وهذا الرزق إنما يتمّ ويكمل بالشكر ، والشكر مادة زيادته ، وسبب حفظه وبقائه ، وترك الشكر سبب زواله وانقطاعه عن العبد ، فإن الله تعالى تأذّن أنه لا بد أن يزيد الشكور من نعمه^(٤) ، ولا بد أن يسلبها من لم يشكرها ، فلما وضعوا الكفر والتكذيب موضع الشكر والإيمان جعلوا رزقهم نفسه تكديماً ، فإن التصديق والشكر لما كانا سبب زيادة الرزق ، وهما أي التصديق

^(١) الإذهان في الأصل مثل التدهين لكن جعل عبارة عن المداراة والملاينة ، وترك الجذ ، انظر : مفردات القرآن ص (١٧٣ - ٧٤)

^(٢) في غير المطبوع : (تعتقد) ولعل الصواب ما أثبت .

^(٣) سورة الواقعة الآية (٨٢) .

^(٤) كما قال تعالى : (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) إبراهيم الآية (٧)

والشكر ^(١) رزق القلب حقيقة ، فهؤلاء جعلوا مكان هذا الرزق التكذيب والكفر ، فجعلوا رزقهم التكذيب ، وهذا المعنى هو الذي حام حوله من قال : التقدير وتجعلون شكر رزقكم أنكم تكذبون ^(٢) ، وقال آخرون : التقدير وتجعلون بدل شكر رزقكم أنكم تكذبون ، فحذف مضافين معاً ^(٣) ، وهؤلاء أطالوا اللفظ وقصروا بالمعنى ، ومن بعض معنى الآية قولهم : مطرنا بنوء كذا وكذا ^(٤) ، فهذا يصلح أن تدل عليه الآية ويراد بها ، وإلا فمعناها أوسع منه ، اعم وأعلى ، والله أعلم.



^(١) سقط من غير الأصل .

^(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه (١١٦ / ٥) .

^(٣) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (٨ / ٣٤٠) مادة (رزق) ، والحجة لأبي علي الفارس (٦ / ٢٦٤) ، شرح الكافية الشافية لابن مالك (٩٧١ / ٢) .

^(٤) كما هو مروي عن جماعة من المفسرين منهم ابن عباس رضي الله عنهما انظر : جامع البيان (٢٧ - ٢٠٨) . ، معالم التنزيل (٨ / ٢٤) ، زاد المسير (٨ / ١٤٥) التفسير الكبير (٢٩ / ١٧٢) ، المحرر الوجيز (١٥ / ٣٨٩) الجامع لأحكام القرآن (١٧ / ١٤٨) وغيرها .

﴿ فصل ﴾

ثم ختم السورة بأحوالهم عند القيامة الصغرى ، كما ذكر في أولها أحوالهم في القيامة الكبرى ، وقسمهم إلى ثلاثة أقسام ، كما قسمهم هناك إلى ثلاثة أقسام ، وذكر بين يدي هذا التقسيم الاستدلال على صحته وثبوته بأنهم مربوبون مملوكون فوقهم رب قاهر مالك ، يتصرف فيهم بحسب مشيئته وإرادته . وقهرهم على ذلك بما لاسيل لهم إلى دفعه ولا إنكاره ، فقال (تعالى) : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ (٨٣) ﴾^(١) أي وصلت الروح إلى هذا الموضع بحيث فارقت ولم تفارق فهي في برزخ بين الموت والحياة ، كما أنها إذا فارقت صارت في برزخ بين الدنيا والآخرة . وملائكة الرب (تعالى)^(٢) أقرب إلى المحتضر من حاضريه من الأنس .

[١/٨٤]

ولكنهم لا يصرونهم ، فلولا تردونها إلى مكانها من البدن أيها الحاضرون إن كان الأمر كما تزعمون أنكم غير مجزيين ولا مدينين ولا مبعوثين^(٣) ليوم الحساب .

فإن قيل : أي ارتباط بين هذين الأمرين حتى يلزم بينهما ؟ قيل : هذا من أحسن الاستدلال وأبلغه ، فإنهم إما أن يقرّوا بأنهم مملوكون مربوبون عبيد لمالك قادر متصرف فيهم قاهر أمر لهم ناه ، أو لا يقرّوا^(٤) بذلك فإن أقرّوا به لزمهم القيام بحقه عليهم وشكره وتعظيمه وإجلاله ، وأن لا يجعلوا له نداً ولا شريكاً ، وهذا هو الذي جاءهم به رسله^(٥) ، ونزل عليهم به كتابه ، وأن أنكروا ذلك وقالوا : أنهم ليسوا بعبيد ولا مملوكين ولا مربوبين ، وأن الأمر إليهم فهلا يردّون الأرواح إلى مقارّها إذا بلغت الخلقوم ؟

فإن المتصرّف في نفسه ، الحاكم على روحه لا يمتنع منه ذلك بخلاف المحكوم عليه المتصرّف فيه غيره ، المدبّر له سواه ، الذي هو عبدٌ مملوك من جميع الجهات ، وهذا استدلال لا محيد عنه ، ولا مدفع له ، ومن أعطاه حقه من التقرير والبيان انتفع به غاية النفع ، وانقاد لاجله

^(١) سورة الواقعة الآية (٨٣) .

^(٢) في (م) و (ق) : (تبارك وتعالى) .

^(٣) في غير الأصل : (ولا مستوعبين) وفي (ب) : ذكر (مبعوثين) في الهامش .

^(٤) في غير الأصل : (لا يقرّون) .

^(٥) في غير الأصل والمطبوع : (رسوله) .

للعبودية ، وأذن ولم يسعه غير التسليم للربوبية والإلهية ، والإقرار بالعبودية ، والله ما أحسن جزالة هذه الالفاظ وفصاحتها وبلوغها أقصى مراتب البلاغة والفصاحة مع^(١) الاختصار التام ، وندائها إلى معناها من أقرب مكان ، واشتمالها على التوبيخ والتقدير والإلزام ، ودلائل الربوبية والتوحيد ، والبعث وفصل التزاع في معرفة الروح ، وأنها تصعد وتترل وتنتقل من مكان إلى مكان / ، وما أحسن إعادة لولا ثانياً قبل ذكر الفعل الذي يقتضيه الأول ، وجعل الحرفين يقتضيان اقتضاء واحداً ، وذكر الشرط بين (لولا) الثانية وما تقتضيه من الفعل^(٢) ، ثم الموالاة بين الشرط [ب/٨٤] الأول والثاني مع الفصل بينهما بكلمة واحدة هي الرابطة بين لولا الأولى والثانية ، والشرط الأول والثاني .

وهذا تركيب يشهد^(٣) العقل والسمع لمعناه ولفظه ، فتضمنت الايتان تقريراً وتوبيخاً واستدلالاً على أصول الإيمان من وجود الخالق سبحانه وكمال قدرته ، ونفوذ^(٤) مشيئته ، وربوبيته ، وتصرفه في أرواح عباده ، حيث لا يقدر على التصرف فيها بشئ ، وأن أرواحهم بيده يذهب بها إذا شاء ، ويردها إليهم إذا شاء ، ويخلي أبدانهم منها تارة ويجمع بينها وبينها تارة . وإثبات المعاد وصدق رسوله فيما أخبر به عنه ، وإثبات ملائكته ، وتقدير عبودية الخلق ، وأتى بهذا في صورة تحضيض^(٥) وتوبيخين وتقديرين وجوابين وشرطين وجزائين منتظمة احسن انتظام ، ومتداخلة أحسن التداخل ، متعلقاً بعضها ببعض .

وهذا كلام لا يقدر البشر على مثل نظمه ومعناه .

قال الفراء : وأجبت ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغْتَ ﴾ ، و﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ بجواب واحد وهو (ترجعونها) .

^(١) في المطبوع : (والاختصار) .

^(٢) في المطبوع : (وذكر الشرطين بين لولا الأولى والثانية وما تقتضيه من الفعل) .

^(٣) في غير الأصل : (يستحذ) .

^(٤) في (ب) : (وتفرد) .

^(٥) في (م) و (ت) : تحضيضين .

قال : ومثله قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣٨) ﴿١﴾ أجيباً بجواب واحد وهما شرطان (٢).

وقال الجرجاني : قوله (تعالى) : " ترجعونها " جواب لقوله : " فلولا " المتقدمة والمتأخرة على تأويل فلولا إذا بلغت النفس الحلقوم تردونها إلى موضعها إن كنتم غير محاسبين ولا محزين كما تزعمون . يقول تعالى : إن كان الأمر كما تزعمون أنه لا بعث ولا حساب ولا جزاء ولا إله ولا / يقوم بذلك فهلا تردون نفس من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم ، فإذا (٣) لم يمكنكم في ذلك [١/٨٥] حيلة بوجه من الوجوه فهلاً ذلك أن الأمر إلى ملك قادر قاهر متصرف فيكم ، وهو الله الذي لا إله إلا هو .

وقال أبو اسحاق : معناه فهلاً ترجعون الروح إن كنتم غير مملوكين مدبرين ، فهلا إن كان الأمر كما زعمتم فيما يقول قائلكم : لو أطاعونا ما قتلوا ، ولو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا . أي إن كنتم تقدرون أن تؤخروا أجلاً فهلا ترجعون الروح إذا بلغت الحلقوم ؟ وهل لا تدروون عن أنفسكم الموت ؟ (٤) .

قلت : وكأن هذا يلتفت إلى قوله تعالى : ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ (٥) أي إن كنتم كما تزعمون لا تبعثون بعد الموت خلقاً جديداً ، فكونوا خلقاً لا يفنى ولا يلى ، إما من حجارة أو من حديد ، أو أكبر من ذلك .
ووجه الملازمة كما (٦) تقدم ذكره ، وهو إما أن تقرؤا بأن لكم رباً متصرفاً فيكم مالكا لكم تنفذ فيكم مشيئته وقدرته يميحكم إذا شاء ويحييكم إذا شاء . فكيف تنكرون قدرته على إعادتكم خلقاً جديداً بعد ما أماتكم ؟

(١) سورة البقرة الآية (٣٨) .

(٢) معاني القرآن للفراء (٣ / ١٣٠) وفيه بدل شرطان : (جزاءان) .

(٣) في (م) و (ق) والمطبوع : (فإذا) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١١٧ / ٥)

(٥) سورة الإسراء الآيتان (٥٠ - ٥١) .

(٦) في (م) و (ق) و (ب) والمطبوع : (ما)

وإما أن تنكروا أن يكون لكم رب قادر قاهر مالك نافذ المشيئة والقدرة فيكم ، فكونوا
 خلقاً لا يقبل الفناء والموت فإذا لم تستطيعوا أن تكونوا كذلك فما تنكرون من قدرة من جعلكم
 خلقاً يموت ويحيي أن يحييكم بعد ما أماتكم ، فهذا استدلال يعجزهم عن كونهم خلقاً لا يموت ،
 والذي في الواقعة استدلال يعجزهم عن رد الروح إلى مكانها إذا قاربت الموت ، وليس بعد هذا
 الاستدلال إلا الازدعان والانقياد أو الكفر والعناد .



﴿ فصل ﴾

فلما قام الدليل ووضح السبيل وتم البرهان على أنهم مملوكون مربوبون مجزيون محاسبون
ذكر طبقاتهم / عند الحشر الأولوالقيامة الصغرى ، وهي ثلاثة :
طبقة المقربين ، وطبقة أصحاب اليمين ، وطبقة المكذبين .

فجعل تحية المقربين عند الموافاة الروح والريحان والجنة ، وهذه الكرامات الثلاث^(١) التي
يعطونها بعد الموت نظير الثلاثة^(٢) التي يعطونها يوم القيامة ، فالرُّوحُ : الفرح والسرور والابتهاج
ولذة الروح ، فهي كلمة جامعة لنعيم الروح ولذتها ، وذلك قوتها وغذاؤها ، والريحان الرزق ،
وهو الأكل والشرب ، والجنة المسكن الجامع لذلك كله ، فيعطون هذه الثلاثة^(٣) في البرزخ وفي
المعاد الثاني .

ثم ذكر الطبقة الثانية ، وهي طبقة أصحاب اليمين ، ولما كانوا دون المقربين في المرتبة
جعل تحيتهم عند القدوم عليه السلامة من الآفات والشرور ، التي تحصل للمكذبين الضالين ، فقال
(تعالى) : ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) ﴾^(٤)
والسلام مصدر من سلم أي فلك^(٥) السلامة والخطاب له نفسه ، أي يقال : لك السلامة ، كما
يقال للقادم : لك الهناء ، ولك السلامة ، ولك البشرى ونحو ذلك من الالفاظ ، كما يقولون خير
مقدم ، ونحو ذلك . فهذه تحيته عند اللقاء .

قال مقاتل : يسلم الله لهم أمرهم بتجاوزه عن سيئاتهم ، وتقبله^(٦) حسناتهم^(٧) .

^(١) في (م) و (ق) والمطبوع : (الثلاثة) .

^(٢) في المطبوع : (الثلاث) .

^(٣) في المطبوع : (الثلاث) .

^(٤) سورة الواقعة الآيتان (٩٠ - ٩١) .

^(٥) في (ق) : (تلك) .

^(٦) في المطبوع : (وتقبل) .

^(٧) انظر : تفسير مقاتل (١٨٣ / ١) البسيط (٤١٠ / ١) ، معالم التنزيل (٢٦ / ٨) .

وقال الكلبي : يسلم عليه أهل الجنة ، ويقولون : السلامة لك^(١)] على هذا فقوله ﴿ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ أي : هذه التحية حاصلة لك من إخوانك أصحاب اليمين فإنه إذا قدم عليهم حيوه بهذه التحية وقالوا : السلامة لك^(٢) .

وفي الآية أقوال آخر فيها تكلف وتعسف فلا حاجة إلى ذكرها .
ثم ذكر الطبقة الثالثة ، وهي طبقة الضال في نفسه المكذب لأهل الحق ، وأن له عند الوفاة^(٣) نزل الحميم ، وسكنى الجحيم .

ثم أكد هذا الخبر^(٤) بما جعله كأنه رأي العين لمن أمن بالله ورسوله ، فقال (عز وجل) : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) ﴾^(٥) فرفع شأنه عن درجة الظن إلى العلم ، وعن درجة العلم إلى اليقين ، وعن درجة اليقين إلى / حقه ثم أمره أن يتره أسمه تبارك وتعالى عما لا يليق به ، [١/٨٦] وتتره الاسم متضمن لتتره المسمى عما يقوله الكاذبون والجاحدون .



^(١) انظر : البسيط (١ / ٤١٠) وذكره في معالم التنزيل (٨ / ٢٦) من غير نسبة إليه .

^(٢) سقط من الأصل . وانظر معاني القرآن للفراء (٣ / ١٣١) ، ومعاني الزجاج (٥ / ١١٨) . والبسيط (١ / ٤١٠) .
ت / محوي .

^(٣) في غير الأصل : (الموافاة) .

^(٤) في المطبوع : (الجزء)

^(٥) سورة الواقعة الآية (٩٥) .

﴿ فصل ﴾

{ القسم في سورة النجم }

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) ﴾ ^(١) أقسم سبحانه بالنجم عند هويته على تنزيه رسوله وبراءته مما نسبته إليه اعداؤه من الضلال والغي. واختلف ^(٢) الناس في المراد بالنجم ، فقال الكلبي : عن ابن عباس ، أقسم بالقرآن إذا نزل نجوماً على رسوله أربع آيات وثلاث آيات ^(٣) والسورة ، وكان بين أوله وآخره عشرون سنة ، وكذلك روى عطاء عنه ^(٤) ، وهو قول مقاتل ^(٥) والضحاك ^(٦) ومجاهد ^(٧) ، واختاره الفراء ^(٨) ، وعلى هذا فسمى القرآن نجماً لتفرقه في التزلزل ، والعرب تسمى التفرق تنجماً ، والمفرق منجماً ، ونجوم الكتابة أقساطها ، ويقول : جعلت ما لي (على فلان) ^(٩) نجوماً منجمة كل نجم كذا وكذا ، وأصل هذا أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت لحلول ديونها وآجالها ، فيقولون : إذا طلع النجم يريدون الثريا حل عليك الدين ، ومنه قول زهير ^(١٠) في دية جعلت نجوماً على العاقلة :

ينجمها قوم لقوم غرامة ولم يهرقوا بينهم ملاً محجماً ^(١١)

^(١) سورة النجم الآيات (١-٣) .

^(٢) في (م) و (ق) والمطبوع : (منجماً) .

^(٣) سقط من غير الأصل و (ق) .

^(٤) انظر : البسيط (١ / ١٩٠) ومعالم التنزيل (٧ / ٤٠٠) ، وزاد المسير (٨ / ٦٢) .

^(٥) تفسير مقاتل (١٧٣ / أ) ، والبسيط (١ / ١٩٠) .

^(٦) انظر : البسيط (١ / ١٩٠) .

^(٧) أخرجه الطبري في تفسيره بإسناده (٢٧ / ٤٠) .

وورد ذكره أيضاً في : البسيط (١ / ١٩٠) ، زاد المسير (٨ / ٦٣) .

^(٨) معاني القرآن للفراء (٣ / ٩٤) .

^(٩) سقط من (ق) .

^(١٠) زهير : هو زهير بن أبي سلمى ، ولد في ذبيان ونشأ بينهم وكانت حياته أثناء حرب داحس بين عبس وذبيان ، كان أحد الشعراء الثلاثة المقدمين على سائر شعراء الجاهلية وهم امرؤ القيس . وزهير ، والنابعة ، توفي قبل ظهور الإسلام بعام واحد .

انظر : الأعلام (٣ / ٨٧) ، الشعر والشعراء (٤٤) .

^(١١) البيت من الطويل وهو بيت من معلقته المشهورة والتي مطلعها :

ثم جعل كل تنجم تفریقاً وإن لم يكن مؤقتاً بطلوع نجم^(١).

وقوله (تعالى) : ﴿ هَوَى ﴾ على هذا القول اى نزل من علو إلى سفلى . قال أبو زيد^(٢) : هوت العقاب هوى بفتح الهاء إذا انقضت على صيد أو غيره ، وكذلك قال ابن الأعرابي : وفرق بين الهوى (والهوى بفتح الهاء وضمها . وقال : الفتح في الرفع إلى أسفل ، والضم في الرفع إلى فوق ثم انشد : شاهداً)^(٣) لقوله : والدلو في أصعاده (عجل الهوى^(٤))^(٥).

وقال الليث : العامة تقول الهوى بالضم في مصدر هوى يهوى ، وكذلك قال [ب/٨٦] الأصمعي^(٦) هوى يهوى هويّاً بفتح الهاء إذا سقط إلى أسفل . قال : وكذلك الهوى في السير إذا مضى^(١) .

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم *** بحومانة الدراج فالتمسلم

انظر : ديوان زهير : ص (١٧) .

وورد ذكره في تهذيب اللغة (١٢٩/١١) ، اللسان (٦٠/١٤) مادة (نجم) .

^(١) قال الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان :

" أظهر الأقوال عندي وأقربها للصواب — في نظري — أن المراد بالنجم إذا هوى هنا في هذه السورة وبمواقع النجوم في الواقعة هو نجوم القرآن التي نزل بها المنك نجماً فنحماً وذلك لأمرين :

أحدهما : أن هذا الذي أقسم الله عليه بالنجم إذا هوى أن النبي صلى الله عليه وسلم على حق وأنه ما ضل وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، موافق في المعنى لما أقسم عليه بمواقع النجوم وهو قوله (إن القرآن كريم) .

والثاني : أن كون المقسم به المعبر عنه بالنجوم هو القرآن العظيم أنسب لقوله بعده (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) " .

أضواء البيان (٧٠٠/٧ - ٧٠١) .

^(٢) أبو زيد : هو سعيد بن أوس بن ثابت ، صاحب كتاب النوادر وغيرها . روى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء ، له تصانيف كثيرة في

اللغة ، توفي سنة (٢١٥ هـ) وعمره (٩٤ سنة) . انظر : شذرات الذهب ٣٤/٢ ، إشارة التعيين : (١٢٨) .

^(٣) سقط من المطبوع .

^(٤) سقط من (ب) .

^(٥) لم أجد له نسبة ، وانظر : الأضداد لقطرب من (١٢٠) وفيه (إتراعها) بدل إصعاده ، واللسان (١٦٧/١٥) مادة (هوى)

^(٦) الأصمعي : هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ، أبو سعيد الأصمعي ، صاحب اللغة والنحو والغريب والأخبار والملح ، اتى عليه الإمام أحمد رحمه الله في السنة ، من مصنفاته (غريب القرآن) وغيره . توفي سنة (٢١٥ هـ) وقيل غير ذلك . انظر : تاريخ بغداد (١٠٤١٠ - ٤٢٠) ، السير (١٧٥/١٠ - ١٨١) .

وها هنا أمر يجب التنبيه عليه ، غلط فيه أبو محمد ابن حزم^(٢) أقبح غلط فذكر في أسماء الرب الهوي بفتح الهاء واحتج بما في الصحيح من حديث عائشة ان رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده : " سبحان ربي الأعلى " الهوي^(٣) ، فظن أبو محمد ان الهوى صفة للرب ، وهذا من غلظه رحمه الله وإنما الهوي على وزن فعيل اسم لقطعة من الليل ، يقال : مضى هوي من الليل على وزن فعيل ، ومضى هزيع منه أى طرف وجانب ، فكان^(٤) يقول : (سبحان ربي الأعلى) في قطعة من الليل وجانب منه . وقد صرحت بذلك في اللفظ الآخر ، فقالت : كان يقول (سبحان ربي الأعلى) الهوي من الليل .

عدنا إلى قوله ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾ (١) وقال ابن عباس في رواية علي بن ابي طلحة^(٥) وعطية يعني : الثريا إذا سقطت وغابت^(٦) وهو الراوية الأخرى

(١) انظر : تهذيب اللغة (٤٨٨/٦) مادة (هوى) ، واللسان (١٦٧/١٥) مادة (هوى) والكلام السابق نقله ابن القيم عن الواحدي في البسيط (١٩٠/١ - ١٩١) ت/محوي .

(٢) ابن حزم : هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، أبو محمد الأندلسي القرطبي ، العالم المتبحر ، الفقيه الظاهري حدث عن يحيى بن مسعود صاحب قاسم بن أصبغ ، ويونس ابن عبدالله القاضي ، وعبدالله بن ربيع التميمي وغيرهم ، وأخذ عنه ابنه الفضل ، والحميدي ووالد ابن العربي وغيرهم . من مؤلفاته : المحلى ، والفصل في الملل وغيرها . توفي سنة ٤٥٤ هـ .

انظر : وفيات الأعيان (٣٢٥/٣ - ٣٣٠) ، نفح الطيب (٧٧/٢ - ٨٤) .

(٣) لم أجده في الصحيح كما ذكر ابن القيم رحمه الله ، وقد ذكره غير واحد من حديث ربيعه بن كعب الأسلمي قال : كنت أبيت عند باب النبي صلى الله عليه وسلم فأعطيه وضوءه فأسمعه الهوي من الليل يقول : (سمع الله لمن حمده) ، وأسمعه الهوي من الليل يقول : (الحمد لله رب العالمين) .

أخرجه الترمذي في (٤٩) كتاب الدعوات (٢٧) باب منه ح (٣٤١٦) ، وابن ماجه في (٣٤) كتاب الدعاء ، (١٦) باب ما يدعو به إذا انتبه من الليل ح (٣٨٧٩) ، وأحمد في المسند (٥٧/٤ - ٥٨) وابن حبان في (٩) كتاب الصلاة ، (٢) فصل في قيام الليل ح (٢٥٩٤) ، والبيهقي في كتاب الصلاة ، باب الترغيب في الإكثار من الصلاة (٤٨٦/٢) والطبراني في المعجم الكبير (٥٦/٥) ح (٤٥٦٩) . وقال الترمذي عن الحديث : هذا حديث حسن صحيح .

(٤) في المطبوع : (وكان) .

(٥) علي بن أبي طلحة : هو علي بن أبي طلحة سالم مولى بني العباس ، أبو الحسن الهاشمي ، أرسل عن ابن عباس ولم يره ، روى عن مجاهد والقاسم وراشد بن سعد ، روى عنه : ثور بن يزيد ومعمّر وسفيان مات سنة ١٤٣ هـ . طبقات ابن سعد (٤٥٨/٧) ، الجرح والتعديل (١٩١/٦) .

(٦) ورد ذكره في : البسيط (١٩٢/١) ، ومعالم التنزيل (٣٩٩/٧) ، وزاد المسير (٦٢/٨) والجامع لأحكام القرآن (٥٥/١٧) ، وابن كثير في تفسيره (٢٤٦/٤) وعزاه في الدر المنثور (٦٤٠/٧) إلى ابن المنذر .

عن مجاهد^(١)، والعرب إذا اطلقت النجم تعني به الثريا . قال فباتت تعد النجم .

وقال أبو حمزة اليماني^(٢): يعني النجوم إذا انتشرت يوم القيامة^(٣).

وقال ابن عباس في رواية عكرمة : يعني النجوم التي ترمى بها الشياطين إذا سقطت في

اثارها عند استراق السمع^(٤)، وهذا قول الحسن^(٥) وهو أظهر الأقوال^(٦).

ويكون سبحانه قد أقسم بهذه الآية الظاهرة المشاهدة التي نصبها الله سبحانه أية وحفظاً

للوحي من استراق الشياطين له على ان ما أتى به رسوله حق وصدق ،

لا سبيل للشيطان ولا طريق له إليه ، بل قد حرس بالنجم إذا هوى ، رصداً بين يدي

الوحي وحرساً له .

وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه في غاية الظهور ، وفي المقسم به دليل على

المقسم عليه ، وليس بالبين تسمية القرآن عند نزوله بالنجم إذا هوى ، ولا تسمية / نزوله هويّاً ، [١/٨٧]

ولا عهدنا في القرآن بذلك ، فيحمل هذا اللفظ عليه ، وليس بالبين أيضاً تخصيص هذا القسم

بالثريا وحدها إذا غابت . وليس بالبين أيضاً القسم بالنجم^(٧) عند انتشارها^(٨) يوم القيامة ، بل هذا

(١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢٥٠/٢) ، وابن جرير في تفسيره (٤٠/٢٧) ، وورد ذكره أيضاً في المراجع السابقة وعزاه في

الدر المنثور (٦٤٠/٧) إلى عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) في (ق) : الثمالي . وهو الصحيح كما في التفاسير المذكور فيها قوله .

وأبو حمزة هو : ثابت بن أبي صفية واسم أبيه دينار وقيل : سعيد ، أبو حمزة الثمالي الأزدي الكوفي مولى المهلب ، روى عن أنس بن مالك وسعيد بن جبير والشعبي ، روى عنه الثوري وشريك والنخعي وهو رافضي . مات سنة ١٤٨هـ .

انظر : كتاب المبروحين لابن حبان (١٩٣/١) ، الكاشف للذهبي (١٧١/١) .

(٣) ورد ذكر قوله في البسيط (١٩٣/١) ، ومعالم التنزيل (٤٠٠/٧) .

(٤) ورد ذكره في البسيط (١٩٣/١) ، والوسيط (١٩٢/٤) ، ومعالم التنزيل (٣٩٩/٧) ، وزاد المسير (٦٢/٨) .

(٥) ورد ذكره في البسيط (١٩٣/١) ، والنكت والعيون (٣٨٩/٥) ، والجامع لأحكام القرآن (٥٦/١٧) .

(٦) رجح ابن جرير رحمه الله قول مجاهد حيث قال :

" والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله مجاهد من أنه عني بالنجم في هذا الموضع : الثريا ، وذلك أن العرب تدعوها النجم "

جامع البيان (٤١/٢٧) .

(٧) في غير الأصل و (ب) : (النجوم) .

(٨) في المطبوع : (انتشارها) .

مما يقسم الرب عليه ، ويدل عليه بآياته ، فلا يجعله نفسه دليلاً لعدم ظهوره للمخاطبين ولا سيما منكروا البعث ، فإنه سبحانه إنما يستدل بما لا يمكن جحده ولا المكابرة فيه . فأظهر الأقوال قول الحسن . والله أعلم .

وبين المقسم به والمقسم عليه من التناسب ما لا يخفى ، فإن النجوم التي ترمى بها^(١) الشياطين آيات من آيات الله ، يحفظ بها دينه ووحيه وآياته المترلة على رسوله ، بما ظهر دينه وشرعه واسماؤه وصفاته ، وجعلت هذه النجوم المشاهدة خدماً وحرساً لهذه النجوم الهادية^(٢) . ونفى سبحانه عن رسوله الضلال النفي المنافي للهدى والغبي المنافي للرشاد ، ففي ضمن هذا الشهادة له . بأنه على الهدى والمرشد^(٣) ، فالهدى في علمه ، والرشد^(٤) في علمه وهذا الأصلان هما غاية كمال العبد ، وبهما سعادته وفلاحه ، وبهما وصف النبي ﷺ خلفاءه ، فقال : " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي " ^(٥) . فالراشد ضد الغاوي ، والمهدي ضد الضال ، وهو الذي زكت نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح ، وهو صاحب الهدى ودين الحق . ولا يشتهه الراشد المهدي بالضال الغاوي إلا على أجهل خلق الله وأعماهم قلباً ، وأبعدهم عن حقيقة الإنسانية . والله در القائل :

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عند الانوار والظلم^(٦)

(١) سقط من غير الأصل و (ب) .

(٢) في المطبوع : (الهاوية) .

(٣) في المطبوع : (الرشاد) .

(٤) في المطبوع : (الرشاد) .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٣٥) كتاب السنة ، (٦) باب لزوم السنة ح (٤٥٩٩) ، والترمذي في جامعه في (٤٢) كتاب العلم ، (١٦) باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ح (٢٦٧٦) ، وابن ماجه في المقدمة (٦) باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ح (٤٢) ، وأحمد في المسند (١٢٦/٤) ، والدارمي في سننه في المقدمة (١٦) باب اتباع السنة ح (٩٥) ، وابن حبان في صحيحه في (١) المقدمة (٢) باب الاعتصام بالسنة ح (٥) ، والآجري في الشريعة في (١١) باب الحث على التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة أصحابه رضي الله عنهم ح (٨٦) ، والحاكم في المستدرک في (٢) كتاب العلم (١٤٤) عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ح (٣٣٣) ، والبخاري في شرح السنة في كتاب الإيمان . باب الاعتصام بالكتاب والسنة ح (١٠٢) ، كلهم من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه .

قال الألباني رحمه الله كما في تخريج المشكاة (٥٨/١) : وسنده صحيح ، وقال الترمذي : (حديث حسن صحيح) ، وصححه جماعة منهم الضياء المقدسي في : اتباع السنن واجتناب البدع .

(٦) هذا البيت من البسيط وهو للمتنبي . انظر : ديوان المتنبي بشرح العكبري (٣٦٧/٣) .

فالناس أربعة أقسام : ضال في علمه ، غاؤ في قصده وعمله ، وهؤلاء شرار / الخلق وهم [٨٧/ب] مخالفوا الرسل .

الثاني : مهتد في علمه غاؤ في قصده وعمله ، وهؤلاء هم الأمة الغضبية ، ومن تشبه بهم ، وهو حال كل من عرف الحق ولم يعمل به .

الثالث : ضال في علمه ولكن قصده الخير وهو لا يشعر

الرابع : مهتد في علمه راشد في قصده ، وهم^(١) ورثة الأنبياء وهم وإن كانوا الأقلين عدداً فهم الأكثرون عند الله قدراً وهم صفوة الله من عباده وحزبه من خلقه .

وتأمل كيف قال سبحانه : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾^(٢) ولم يقل : ما ضل محمد تأكيداً لإقامة الحجة عليهم . بأنه صاحبهم ، وهم أعلم الخلق به وبحاله وأقواله وأعماله ، وأنهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال . ولا ينقمون عليه أمراً واحداً قط ، وقد نبه على هذا المعنى بقوله : ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ ﴾^(٣) ، وبقوله : ﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾ .



^(١) في (م) و (ق) والمطبوع : (هؤلاء) .

^(٢) سورة النجم الآية (٢) .

^(٣) سورة المؤمنون الآية (٦٩) .

﴿ فصل ﴾

{ قوله تعالى : " وما ينطق عن الهوى " }

ثم قال (تعالى) ^(١) : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾ ^(٢) يتره تعالى نطق رسوله أن يصدر عن هوى ، وبهذا الكمال هداه ورشده وقال (تعالى) : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ ولم يقل : وما ينطق بالهوى ، لان نفي نطقه عن الهوى أبلغ ، فإنه يتضمن أن نطقه لا يصدر عن هوى ، وإذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به ، فتضمن نفي الأمرين : نفي الهوى عن مصدر النطق ، ونفيه عن النطق نفسه ، فنطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد لا الغي والضلال .

ثم قال : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ فأعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل ، أي ما نطقه إلا وحي يوحى ، وهذا أحسن من قول من جعل الضمير عائداً إلى القرآن . فإنه نعم نطقه بالقرآن والسنة ، وإن كليهما وحي يوحى .

وقد احتج الشافعي لذلك فقال : لعل من حجة من قال بهذا قوله ^(٣) : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ ^(٤) قال : ولعل من حجته أن يقول : " قال رسول الله ﷺ / لأبي الزاني بامرأة الرجل الذي صالحه على الغنم والخادم : " والذي نفسي بيده لا قضين بينكما بكتاب الله " ، الغنم والخادم رد عليك .. الحديث " ^(٥) .

^(١) في (م) ، (ق) والمطبوع : (سبحانه) .

^(٢) سورة النجم الآيتان (٣ - ٤) .

^(٣) في (ب) زيادة : (تعالى) .

^(٤) سورة النساء الآية (١١٣) .

^(٥) انظر : الأم للإمام الشافعي (١١١/٥) .

[١/٨٨] عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ^(٤) قال : ولعل من حجته أن يقول : " قال رسول الله ﷺ / لأبي

وفي الصحيحين أن يعلى بن أمية^(١) كان يقول لعمر : ليتني أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه الوحي .

فلما كان بالجعرانة سأل رجل فقال : كيف ترى في رجل أحرم بعمره في جبة ، بعدما تضحك بالخلق فنظر إليه النبي ﷺ ساعة ثم سكت فجاءه الوحي ، فأشار عمر بيده إلى يعلى ، فجاء فأدخل رأسه فإذا النبي ﷺ محمر يغط ثم سري عنه فقال : " أين السائل آنفاً ؟ " فجئ به ، فقال : " إن انزع عنك الجبة واغسل أثر الطيب ، واصنع في عمرتك ما تصنع في حجك " ^(٢).

وقال الشافعي^(٣) : أخبرنا مسلم^(٤) عن ابن جريج عن ابن طاووس^(٥) عن أبيه^(١) أن عنده كتاباً نزل به الوحي (وما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من صدقة وعقول فإنما نزل به الوحي) ^(٢).

والحديث أخرجه البخاري في (٥٤) كتاب الشروط ، (٩) باب الشروط التي لا تحل في الحدود ح (٢٧٢٤ - ٢٧٢٥) ، ومسلم في (٢٩) كتاب الحدود (٥) باب من اعترف على نفسه بالزنى ح (١٦٩٧ - ١٦٩٨) من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما .

^(١) يعلى بن أمية : هو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة التميمي المكي حليف قريش ، وهو ابن أخت عتبة بن غزوان أسلم يوم فتح مكة ، وشهد الطائف وتبوك ، ولي اليمن لعثمان بن عفان مات سنة (٤٧) هـ وقيل غير ذلك .

انظر : أسد الغابة (٥٢٣/٥) ، الإصابة (٣٥٣/٦) .

^(٢) أخرجه البخاري في (٢٥) كتاب الحج (١٧) باب غسل الخلق ثلاث مرات من الثياب ح (١٥٣٦) ، ومسلم في (١٥) كتاب الحج (١) باب ما يباح المحرم بحج أو عمرة وما لا يباح ، وبيان تحريم الطيب عليه ح (١١٨٠ - ٨) من حديث يعلى بن أمية . ^(٣) الشافعي : هو محمد بن إدريس بن العباس ، أبو عبد الله القرشي المطلي المكي ، أحد الأئمة الأعلام ، وإمام من الأئمة الأربعة ، بارع في الحفظ واللغة الفقه قال عنه أبو ثور : (ما رأيت مثل الشافعي ولا رأى هو مثل نفسه) ، نشأ بمكة وكتب العلم بها ، وبمدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقدم بغداد مرتين ثم خرج إلى مصر فترها وحدث بها حتى توفي من مصنفاته : (الرسالة) و (الأم) و (اختلاف الحديث) وغيرها . توفي سنة (٢٠٤) .

انظر : تاريخ بغداد (٥٦/٢) السير (٩٩ - ١٠) .

^(٤) مسلم : هو مسلم بن خالد بن فروة المخزومي مولا هم أبو خالد الزنجي المكي الفقيه روى عن زيد بن أسلم والزهري وابن جريج وغيرهم ، روى عنه ابن وهب ، والشافعي وابن الماجشون وغيرهم ، (فقيه صدوق كثير الأوهام) توفي سنة (١٧٩ هـ) أو بعدها . انظر : تهذيب التهذيب (١١٥/١٠ - ١١٧) ، تقريب التهذيب ص (٥٢٩) .

^(٥) ابن طاووس : هو عبد الله بن طاووس بن كيسان أبو محمد اليماني ، الإمام المحدث الثقة سمع من أبيه وأكثر عنه ومن عكرمة وعمرو بن شعيب وغيرهم ، حدث عنه ابن جريج ومعمرو والثوري وغيرهم توفي سنة (١٣٢) هـ انظر : الجرح والتعديل (٨٨/٥ - ٨٩) ، السير (١٠٣/٦ - ١٠٤) .

وذكر الأوزاعي^(٣) عن حسان بن عطية^(٤) قال : كان جبريل يترل على رسول الله ﷺ بالسنة كما يترل بالقرآن يعلمه إياها^(٥) وذكر الأوزاعي أيضاً عن أبي عبيد^(٦) صاحب سليمان^(٧) أخبرني القاسم بن (محمد) مخيمرة^(٨) حدثني ابن نضلة^(٩) قال : قيل لرسول الله ﷺ شعر لنا . قال : " لا يستلني الله عن سنة أحدثتها فيكم لم يأمرني بها ولكن سلوا الله (١٠) » (١) .

- (١) طاووس بن كيسان ، أبو عبد الرحمن الفارسي ثم اليميني الجندي الحافظ ، سمع من زيد بن ثابت وعائشة وابن عباس وغيرهم ، روى عنه عطاء ومجاهد وابن شهاب وابنه عبد الله وجماعة قال ابن معين وأبو زرعة : (طاووس ثقة) توفي سنة (١٠٦) هـ .
انظر : السير (٤٩-٣٨/٥) ، شذرات الذهب (١٣٣/١) .
- (٢) الأثر أخرجه الشافعي في مسنده ص (٢٦٤) . وما بين المعقوفين سقط من الأصل .
- (٣) الأوزاعي : هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد ، أبو عمر الأوزاعي الإمام الكبير ولد في حياة الصحابة عام (٨٨) هـ ، امتنع عن القضاء مرات عديدة ، كان كثير الحديث والعلم والفقه بل كان حجة زمانه ، وكان مما نسب إليه أحد المذاهب الفقهية التي اندثرت ، موافقه مع الأمراء مشهورة فكان لا يخشى في الله لومة لائم توفي سنة (١٥٧) هـ .
انظر : الطبقات الكبرى (٤٨٨/٧) ، حلية الأولياء (١٣٥/٦) .
- (٤) هو حسان بن عطية المحاربي مولاهم ، أبو بكر الدمشقي ، تابعي من أفاضل أهل زمانه روى عن أبي أمامة وابن المسيب وغيرهما ، روى عنه الأوزاعي وغيره بقي إلى حدود سنة (١٣٠) هـ .
انفقات لابن حبان (٢٢٣/٦) ، السير (٤٦٦/٥) .
- (٥) هذا الأثر أخرجه الدارمي في سننه في المقدمة ، (٤٩) باب السنة قاضية على كتاب الله رقم (٥٨٨) ، وابن بطنة العكبري في الإبانة الكبرى (٣٤٥/١-٣٤٦) في باب ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة والأخذ بها ، وفضل من لزمها رقم (٢٢٠-٢١٩) ، واللائكاني في السنة (٨٤-٨٣/١) في سياق ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحث على التمسك بالكتاب والسنة . . برقم (٩٩) والأثر صحيح الإسناد .
- (٦) أبو عبيد : هو المذحجي صاحب سليمان بن عبد الملك قيل : اسمه عبد الملك أو حيي أو حوي بن أبي عمرو ، ثقة من الخامسة توفي بعد المائة . التقريب ص (٦٥٦) .
- (٧) سليمان بن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي .
- (٨) القاسم بن مخيمرة هو : القاسم بن مخيمرة أبو عروة الهمداني الكوفي نزيل دمشق حدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص وأبي سعيد الخدري وأبي أمامة الباهلي وغيرهم ، حدث عنه أبو إسحاق السبيعي وسلمة بن كهيل وسماك بن حرب وحسان بن عطية وغيرهم قال ابن سعد وكان ثقة ، وقال أبو حاتم ثقة صدوق كوفي توفي في خلافة عمر بن عبدالعزيز سنة (١٠٠ هـ) أو (١٠١ هـ) .
انظر : الجرح والتعديل (١٢٠/٧) ، السير (٢٠١/٥-٢٠٤) .
- (٩) ابن نضلة : اختلف في اسمه : فقيل : علقمة بن نضلة ، وقيل : طلحة بن نضيلة أو نضلة ، وقد رجح الحافظ ابن حجر رحمه الله أناسمه : طلحة بن نضيلة ، واختلف في صحبته أيضاً ولكن رجح ابن حجر أيضاً أنه له صحبة حيث يقول في إثبات اسمه طلحة ، ومسن رواية المفضل بن يونس أنه له صحبة ، هذا هو المعتمد وما علاه وهم . انظر : الإصابة (٥٣٥/٣) .
- (١٠) في غير الأصل : زيادة (من فضله) .

وابن نضلة^(٢) وهذا يسمى طلحة .

وقد صح عنه أنه قال : " ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه " ^(٣) وهذا هو السنة بلا شك

. وقد قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ ^(٤) وهما القرآن والسنة .

وبالله التوفيق .



^(١) أخرجه ابن قانع في معجم الصحابة في (٨١٩) ترجمه علقمة بن نضلة (٢٨٧/٢) وذكر الحافظ ابن حجر : أن ابن السكن أخرجه أيضاً بسنده من طريق أبيوب بن خالد ، وذكر أيضاً أن الطبراني أخرجه في المعجم الكبير من طريق المفضل بن يونس عن الأوزاعي به ، ولم أجده في الكبير فلعله في الجزء الساقط . الإصابة (٥٣٥/٣) . وقال في الجمع : رواه الطبراني في الكبير وفيه بكر بن سهل لادمياطي ضعفه النسائي ووثقه غيره . وبقي رجاله ثقات . مجمع الزوائد (١٠٠/٤) .

^٢ في المطبوع : (فضيلة) .

^(٣) أخرجه أبو داود في سننه : (٣٥) كتاب السنة ، (٦) باب في لزوم السنة ح (٤٥٩٤) ، وأحمد في مسنده (١٣١/٤) ، والبيهقي في سننه في كتاب الضحايا ، باب ما جاء في أكل لحوم الحمر الأهلية ، وكذا في دلائل النبوة في جماع أبواب أخبار النبي صلى الله عليه وسلم بالكوائن بعده باب ما جاء في إخباره بشبعان على أريكته يحتال في رد سنته بالحوالة على ما في القرآن (٥٤٩/٦) ، والطبراني في المعجم الكبير ح (٦٦٩-٦٧٠) (٢٨٣/٢٠) وابن حبان في صحيحه في (١) المقدمة (٢) باب الاعتصام بالسنة ح

(١٢) من حديث المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه .

وصحح إسناده الألباني كما في تخريج المشكاة (٥٨/١) .

^(٤) سورة النساء الآية (١١٣) .

﴿ فصل ﴾

{ صفات معلم الوحي }

ثم أخبر تعالى عن وصف من علمه الوحي والقرآن بما يعلم أنه مضاد لوصاف الشيطان معلم الضلال والغواية ، فقال : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ (١) وهذا نظير قوله (تعالى) : ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ وذكرنا هناك السر في وصفه بالقوة وقوله (تعالى) (ذو [٨٨/ب] مرة) أي جميل المنظر حسن السورة ذو جلالة . ليس شيطانياً أقبح خلق الله واشوهم صورة بل هو من أجمل الخلق وأقواهم وأعظمهم أمانة ومكانة عند الله (عز وجل) وهذا تعديل لسند الوحي والنبوة وتزكية له ، كما تقدم نظيره في سورة التكويد ، فوصفه بالعلم والقوة وجمال المنظر وجلالته وهذه كانت أوصاف الرسول البشري والملكي ، فكان رسول الله ﷺ أشجع الناس ، وأعلمهم وأجملهم ، وأجلهم (٢).

والشياطين وتلامذتهم بالضد من ذلك كله ، فهم أقبح الخلق صورة ومعنى ، وأجهل الخلق واضعفهم همماً ونفوساً .

ثم ذكر استواء هذا المعلم بالأفق الأعلى ، ودنوه وتدليه وقربه من رسول الله ﷺ وإيحائه إليه ما أوحى . فصور سبحانه لأهل الايمان صورة الحال من نزول جبريل من عنده إلى أن استوى بالأفق ثم دنى فتدلى ، وقرب من رسوله فأوحى إليه ما أمره الله بإيحائه حتى كأنهم يشاهدون صورة الحال ويعاينونه هابطاً من السماء إلى أن صار بالأفق الأعلى مستويا عليه ثم نزل وقرب من محمد ﷺ وخاطبه بما أمره الله به قائلاً : ربك يقول لك كذا وكذا .

(١) سورة النجم الآية (٥) .

(٢) كما في الحديث : (كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس . . .) الحديث أخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه منها : (٥١) كتاب الهبة (٣٣) باب من استعار من الناس الفرس ح (٢٦٢٧) وغيره .

وأخبر سبحانه عن مسافة هذا القرب بأنه قدر قوسين أو أدنى من ذلك ، وليس هذا على وجه الشك بل تحقيق لقدرة المسافة ، وأنها لا تزيد على قوسين البتة . كما قال تعالى ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) ﴾^(١) تحقيقاً لهذا العدد وأنهم لا ينقصون عن مائة ألف رجل واحداً / .

[١/٨٩]

ونظيره قوله (تعالى) : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾^(٢) ، أي لا تنقص قسوتها عن قسوة الحجاره ، بل إن لم تزد على قسوة الحجاره لم تكن دونها .

وهذا المعنى أحسن وألطف وأدق من قول من جعل " أو " في هذه المواضع بمعنى " بل " ، ومن قول من جعلها للشك بالنسبة إلى الرأي ، وقول من جعلها بمعنى الواو فتأمله .



(١) سورة الصافات الآية (١٤٧) .

(٢) سورة البقرة الآية (٧٤) .

﴿ فصل ﴾

{ رؤية الرسول ﷺ لجبريل }

ثم أخبر تعالى عن تصديق فؤاده لما رآته عيناه ، وأن القلب صدق العين ، وليس كمن رأى شيئاً على خلاف ما هو به فكذب فؤاده بصره ، بل ما رآه ببصره صدقه الفؤاد وعلم أنه كذلك . وفيها قراءتان :

أحدهما : بتخفيف كذب والثانية : بتشديدها^(١). يقال : كذبت عينه وكذبه قلبه ، وكذبه جسده ، إذا أخلف ما ظنه وحده . قال الشاعر :

كذبتك عينك أم رأيت بواسطِ غلس الظلام من الرباب خيالاً^(٢)

أي أرتك ما لا حقيقة له ، فنفي هذا عن رسول الله ﷺ وأخبره أن فؤاده لم يكذب ما رآه و(ما) إما أن تكون مصدرية فيكون المعنى : أي ما كذب فؤاده رؤيته ، وإما أن تكون موصولة فيكون المعنى ما كذب الفؤاد الذي رآه بعينه^(٣).

وعلى التقديرين فهو إخبار عن تطابق رؤية القلب لرؤية البصر ، وتوافقهما ، وتصديق كل منهما لصاحبه وهذا ظاهر جداً في قراءة التشديد . وقد استشكلها طائفة منهم المبرد وقال : في هذه القراءة بعد . قال : لأنه رأى^(٤) إذا رأى بقلبه فقد علمه أيضاً بقلبه ، وإذا وقع العلم فلا كذب معه فإنه إذا كان الشئ في القلب معلوماً فكيف يكون معه تكذيب ؟ .

قلت : / وجواب هذا من وجهين .

[٨٩/ب]

(١) وهي قراءة أبي جعفر وهشام . انظر : إرشاد المبتدئ للقلانسي (٥٧٢) ، والتذكرة لأبي الحسن (٥٦٨/٢) ، والإقناع لابن الباذش (٧٧٥/٢) .

(٢) البيت من الكامل وهو للأخطل النصرائي .

انظر : ديوان الأخطل (١٠٥/١) .

وذكره أيضاً في الكتاب (١٧٤/٣) ، الخزانة (٩/٦) ، والمقتضب (٢٩٥/٣) .

(٣) انظر : الدر المصون (٨٨/١٠) .

(٤) سقط من غير الأصل و (ب) .

أحدهما : أن الرجل قد يتخيل الشيء على خلاف ما هو به فيكذبه قلبه إذ يريه صورة المعلوم على خلاف ما هو^(١) عليه ، كما تكذب عينه ، فيقال : كذبه قلبه ، وكذبه ظنه ، وكذبه عينه . فنفي سبحانه ذلك عن رسوله وأخبر إنما رآه الفؤاد فهو كما رآه ، كمن رأى الشيء على حقيقة ما هو به فإنه يصح أن يقال : لم تكذبه عينه .

الثاني : أن يكون الضمير في (رأي) عائد إلى الرأي لا إلى الفؤاد ، ويكون المعنى : ما كذب الفؤاد ما رآه البصر . وهذا بحمد الله لا إشكال فيه . والمعنى : ما كذب الفؤاد^(٢) بل صدقه وعلى القراءتين فالمعنى ما أوهمه الفؤاد أنه رأى ولم ير ولا أتم بصره . ثم أنكر سبحانه عليهم مكابرتهم وجحدهم له على ما رآه . كما ينكر على الجاهل مكابرتة للعالم وممارته له على ما علمه . وفيهما قرأتان : " أفتمارونه " ، " وأفتمرونه " ^(٣) . وهذه المادة أصلها من الجحد والدفع ، تقول : مريت الرجل حقه أي^(٤) : جحدته ، كما قال الشاعر :

لأن هجرت أخا صدق ومكرمة لقد مريت أخاً ما كان يمرىكا^(٥)

ومنه المماراة وهي المجادلة والمكابرة . ولهذه عدي هذا الفعل (بعلى) وهي على باهما ، وليست بمعنى عن كما قاله المبرد ، بل الفعل متضمن معنى المكابرة ، وهذا في قراءة الألف أظهر . ورجح أبو عبيد^(٦) قراءة من قرأ أفتمرونه . قال : وذلك أن المشركين إنما كان^(٧) شأنهم الجحود لما كان يأتيهم من الوحي ، وهذا كان أكثر من المماراة منهم ، يعنى : أن من قرأ أفتمارونه فمعناه أفتجادلونه ؟ ومن قرأ (أفتمرونه) فمعناه أفتجحدونه وجحودهم لما جاء به كان هو شأنهم ، وكان أكثر من مجادلته لهم له ، وخالفه أبو علي وغيره .

(١) في غير الأصل : (هي) .

(٢) في غير الأصل و (ب) : (ما رآه البصر) .

(٣) قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب (أفتمرونه) مفتوحة التاء بغير ألف ، وقرأ الباقون : (أفتمارونه) بألف . انظر : إرشاد المبتدي ص () النشر (٣٧٩/٢) .

(٤) في غير الأصل : (إذا) .

(٥) ورد البيت غير منسوب عند جملة من المفسرين .

انظر الكشف (٤٢٠/٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٦٢/١٧) ، البحر المحيط (١٥٩/٨) الألوحي (٤٩/٢٧) .

(٦) في المطبوع : أبو عبيدة . الصحيح أنه أبو عبيد كما في البسيط (٢٠٨/١) والجامع لأحكام القرآن (٦٢/١٧) .

(٧) سقط من المطبوع .

واختاروا قراءة أفتمارونه . قال أبو علي : من قرأ أفتمارونه فمعناه : أفتجادلونه جدالاً ترومون به دفعه عما علمه وشاهده^(١) . ويقوي هذا الوجه قوله تعالى : ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾^٢ ومن قرأ افتمرونه كان المعنى أفتجحدونه ؟ قال : والمجادلة كأنها أشبه في هذا ، لان الجحود كان منهم في هذا وفي غيره .

وقد جادله المشركون في الإسراء^(٣) قلت : القوم جمعوا بين الجدل والدفع والانكار . فكان جدالهم جدال جحود ودفع لا جدال استرشاد وتبيين للحق ، وإثبات الألف يدل على المجادلة والإتيان بعلى يدل على المكابرة ، فكانت قراءة الألف منتظمة للمعنيين جميعاً ، فهي أولى . وبالله التوفيق .

(١) الحجة للقراء السبعة (٢٣٠/٦) .

(٢) سورة الأنفال الآية (٦) .

(٣) الحجة (٢٣٠/٦) .

﴿ فصل ﴾

ثم أخبر سبحانه عن رؤيته لجبريل مرة أخرى عند سدره المنتهى ، فالمرّة الأولى كانت دون السماء بالأفق الأعلى ، والثانية كانت فوق السماء عند سدره المنتهى . وقد صح عنه ﷺ أنه يعني جبريل عليه الصلاة والسلام رآه على صورته التي خلق عليها مرتين كما في الصحيحين عن زر بن حبیش^(١) أنه سئل عن قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ قال : أخبرني ابن مسعود أن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح^(٢).

وفي الصحيحين أيضاً عن عبد الله ابن مسعود (ما كذب الفؤاد ما رأى)^(٣) قال : رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح^(٤). وقال البخاري عنه : رأى رفرفاً أخضر سد الأفق^(٥). وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ . قال : رأى جبريل عليه السلام^(٦).

(١) زر بن حبیش هو : زر بن حبیش بن حباشة بن أوس ، الكوفي ، أبو مريم الأسدي ، أدرك أيام الجاهلية وحدث عن جمع من كبار الصحابة ، كان من القراء ، وقد قرأ على ابن مسعود وعلي رضي الله عنهما . توفي سنة (٨١) هـ وقد تجاوز عمره المائة . انظر : الطبقات الكبرى (١٠٤/٦) حلية الأولياء (١٨١/٤) .

(٢) أخرجه البخاري في (٥٩) كتاب بدء الخلق ، (٧) باب إذا قال أحدكم " آمين " والملائكة في السماء فوافقت إحداها الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ح (٣٢٣٢) ، ومسلم في (١) كتاب الإيمان ، (٧٦) باب في ذكر سدره المنتهى ح (١٧٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) هنا بياض بالأصل ، والاستدراك من البقية .

(٤) أخرجه البخاري في (٦٥) كتاب التفسير (٥٣) سورى النجم ح (٤٨٥٦) ومسلم في الموضع السابق في الحديث الذي قبله .

(٥) والحديث أخرجه البخاري في (٥٦) كتاب التفسير (٥٣) سورة النجم ح (٤٨٥٨) .

في المطبوع : (يسد الأفق) .

وفي صحيحه أيضاً عن مسروق قال : كنت متكئاً عند عائشة فقالت : ثلاث من تكلم

بواحدة منهن / فقد أعظم على الله الفرية . فقلت : ما هن ؟ قالت : من زعم أن محمداً رأى ربه [ب/٩٠] فقد أعظم على الله الفرية . قال : وكنت متكئاً فجلست فقلت : يا أم المؤمنين ، أنظريني ولا تعجليني ، ألم يقل الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ ؟ فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : إنما هو جبريل ، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض " . فقالت أو لم تسمع أن الله عز وجل يقول : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٠٣) ﴿ ٢ ﴾ : أو لم تسمع أن الله عز وجل يقول : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾ (٥١) ﴿ ٣ ﴾ .

قالت : ومن زعم أن محمداً ﷺ ﴿ ٤ ﴾ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله عز وجل الفرية . والله عز وجل يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ ﴿ ٥ ﴾ . قالت : ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية . والله عز وجل يقول : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ﴿ ٦ ﴾ ولو كان محمداً كاتماً شيئاً مما أنزل عليه لكتّم هذه الآية : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ ﴿ ٧ ﴾ . (١)

(١) أخرجه مسلم في (١) كتاب الإيمان (٧٧) باب معنى قول الله عز وجل : (ولقد رآه نزلة أخرى) ح (١٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) سورة الأنعام الآية (١٠٣) .

(٣) سورة الشورى الآية (٥١) .

(٤) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(٥) سورة المائدة الآية (٦٧)

(٦) سورة النمل الآية (٦٥) .

(٧) سورة الأحزاب الآية (٣٧) ،

وفي الصحيحين عن مسروق أيضاً قال : سألت عائشة رضي الله عنها : هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : سبحان الله . لقد قف شعري مما قلت^(٣) .

وفيهما أيضاً قال : قلت لعائشة : فأين قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ قالت : إنما ذلك جبريل ، كان يأتيه في صورة الرجال وإنه أتاه في هذه المرة في صورته . التي هي صورته فسد الأفق^(٣) .

وفي صحيح مسلم أن أبا ذر^(٤) سأله ﷺ هل رأيت ربك ؟ فقال : " نور أني أراه " ^(٥) .

[١/٩١] وفي صحيحه / من حديث أبي موسى الأشعري^(٦) قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال : " إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه " ^(٧) . وهذا الحديث ساقه مسلم^(٨) بعد حديث أبي ذر المتقدم عقيبته^(٩) وهو كالتفسير له .

(١) أخرجه مسلم في (١) كتاب الإيمان ، (٧٧) باب معنى قول الله (عز وجل) : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء ح (١٧٧) ، وأخرج البخاري بعضه في حديثين أحدهما في (٦٥) كتاب التفسير (٥) سورة المائدة ح (٤٦١٢) ، و (٥٣) سورة النجم ح (٤٨٥٥) .

(٢) انظر الحديث الذي قبله .

(٣) أخرجه البخاري في (٥٩) كتاب بدء الخلق ، (٧) باب إذا قال أحدكم (آمين) والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ح (٣٢٣٥) ، ومسلم في الموضع السابق برقم (١٧٧ - ٢٩٠) .

(٤) أبو ذر : هو جندب بن جنادة الغفاري ، وقيل : جندب بن سكن ، كان من السابقين إلى الإسلام ، وكان أحد الزهاد ، قوالاً بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم . توفي سنة (٣٢ هـ) .

انظر : حلية الأولياء (١٥٦/١ - ١٧٠) ، شذرات الذهب (٣٩/١) .

(٥) أخرجه مسلم في (١) كتاب الإيمان ، (٧٧) باب معنى قول الله عز وجل : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ ... ح (١٧٨) .

(٦) أبو موسى الأشعري هو : عبدالله بن قيس بن سليم : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو موسى الأشعري التميمي ، الفقيه المقرئ ، وكان من أندى الناس صوتاً بقراءة القرآن : اختلف في تحديد وفاته ورجح الذهبي أنها سنة (٤٤ هـ) .

انظر : السير (٣٨٠/٢ - ٤٠٢) الإصابة (٣٥٢ - ٣٥١/٢) .

(٧) أخرجه مسلم بعد الحديث السابق في (٧٩) باب في قوله عليه السلام : (إن الله لا ينام) ... ح (١٧٩) .

(٨) مسلم : هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، أبو الحسين النيسابوري ، من أئمة المحدثين وحفاظهم من تصانيفه : (صحيح مسلم) والذي هو في الرتبة الثانية بعد صحيح البخاري ومن الكتب التي تلقنها الأمة بالقبول ، توفي سنة (٢٦١ هـ) .

ولا ينافي هذا قوله في الحديث الصحيح ، حديث الرؤية يوم القيامة : " فيكشف الحجاب فينظرون إليه " (٢) فإن النور الذي هو حجاب الرب تعالى يراد به الحجاب الأدنى إليه ، وهو لو كشفه لم يبق له شيء . كما قال ابن عباس في قوله (تعالى) (٣) : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ (٤) قال : ذاك نوره الذي هو نوره إذا تجلى به لم يبق له شيء (٥) .

وهذا الذي ذكره ابن عباس يقتضي أن قوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ على عمومته وإطلاقه في الدنيا والآخرة ، ولا يلزم من ذلك أن لا يرى ، بل يرى في الآخرة بالأبصار من غير إدراك ، وإذا كانت أبصارنا لا تقوم لإدراك الشمس على ماهي عليه ، وإن أراقها مع القرب الذي بين المخلوق والمخلوق ، فالتفاوت الذي بين أبصار الخلائق وذات الرب جل جلاله أعظم وأعظم ، ولهذا لما حصل للجبل أدنى شيء من تجلي الرب تساقى الجبل واندك لسبحات ذلك القدر من التحلي .

وفي الحديث الصحيح المرفوع " جنتان من ذهب أنيتهما وحليتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة أنيتهما وحليتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن " (٦) . فهذا يدل على أن رداء الكبرياء على وجهه تبارك وتعالى هو

انظر : تاريخ بغداد (١٣ / ١٠٠ - ١٠٤) ، السير (١٢ / ٥٥٧ - ٥٨٠) .

(١) سقط من المطبوع .

(٢) أخرجه مسلم في (١) كتاب الإيمان (٨٠) باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة وهم سبحانه وتعالى ح (١٨١) من حديث صهيب رضي الله عنه .

(٣) في (م) و (ق) والمطبوع : (عز وجل) .

(٤) سورة الأنعام الآية (١٠٣) .

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه (٤٨) كتاب تفسير القرآن ، (٥٣) باب سورة النجم ح (٣٢٧٩) وفيه : قال : ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره ، وقال : اريه مرتين . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٩٤) باب ما ذكر من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه تعالى ح (٤٣٧) وابن خزيمة في التوحيد في (٤٧) باب ذكر الأخبار المأثورة في إثبات رؤية النبي صلى الله عليه وسلم خالقه العزيز العليم . .

ح (٢٧٤ - ٢٧٣) ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ، في سياق ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم رآه بقلبه ح (٩٢٠) كلهم من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما .

قال الألباني رحمه الله تعالى : إسناده ضعيف ، ورجاله ثقات ، لكن الحكم ابن أبان فيه ضعف من قبل حفظه . السنة لابن أبي عاصم ص (١٩٠) .

(٦) أخرجه البخاري في (٦٥) كتاب التفسير (٥٥) سورة النجم ح (٤٨٧٨) ومسلم في (١) كتاب الإيمان (٨٠) باب إثبات رؤية المؤمنين بهم في الآخرة ح (١٨٠) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

المانع من رؤية الذات ، ولا يمنع من أصل الرؤية ، فإن الكبرياء والعظمة أمر لازم لذاته تعالى فإذا تجلى سبحانه لعباده يوم القيامة كشف^(١) الحجاب بينهم وبينه فهو الحجاب المخلوق / وأما نور الذات الذي يحجب عن إدراكها فذاك صفة للذات لا تفارق ذات الرب جل جلاله ، ولو كشف ذلك الحجاب لأحرقت سبحات وجهه ما أدرك بصره من خلقه وتكفي هذه الإشارة في مثل هذا المقام للمصدق الموقن ، فأما المعطل الجهمي فكل هذا عنده باطل محال .

والمقصود أن المخبر عنه بالرؤية في سورة النجم هو جبريل . وأما قول ابن عباس : " رأى محمد ربه بفؤاده مرتين^(٢) ، فالظاهر أن مستنده هذه الآية ، وقد تبين أن المرئي فيها جبريل ، فلا دلالة فيها على ما قاله ابن عباس .

وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي الإجماع على ما قالته عائشة فقال في نقضه على المريسي^(٣) في الكلام على حديث ثوبان^(٤) ومعاذ^(٥) أن رسول الله ﷺ قال : " رأيت ربي البارحة في أحسن صورة^(٦) " فحكى تأويل المريسي الباطل له ، ثم قال : (ويلك . أن تأويل هذا الحديث

(١) في غير الأصل : (وكشف) .

(٢) قول ابن عباس هذا أخرجه مسلم في (١) كتاب الإيمان (٧٧) باب معنى قول الله عز وجل ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ . ح (١٧٦) .

(٣) المريسي : هو بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي مولا هم البغدادي المريسي أبو عبدالرحمن المستكلم المتباعد ، سمى الذهبي : (بشر الشر) له عدة كتب منها : كتاب الإرجاء ، والرد على الخوارج ، والاستطاعة . هلك سنة (٢١٨) هـ . وقد رد عليه الدارمي في كتابه القيم : " رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد " .

انظر : تاريخ بغداد (٦٧/٥٦-٦٧) ، السير (١٠/١٩٩-٢٠٢) .

(٤) ثوبان : هو ثوبان بن جدد ، ويقال : ابن جحدر أبو عبدالله ، ويقال : أبو عبدالرحمن الهاشمي مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، خيره النبي صلى الله عليه وسلم بين أن يلحق بأهله وبين البقاء عنده ، فاختار البقاء عنده ولم يزل معه حتى مات عليه الصلاة والسلام فخرج إلى الشام ونزل حمص وابتنى بها داراً ومات بها في إمارة عبدالله بن قرط سنة (٥٤ هـ) . انظر : الطبقات الكبرى (١/٤٩٨) ، تهذيب التهذيب (٢/٢٨) .

(٥) معاذ : هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري ، الخزرجي . أبو عبدالرحمن : صاحبي جليل ، كان أحد الذين جمعوا القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم ايضاً : (وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ) بعثه النبي صلى الله عليه وسلم بعد غزوة تبوك قاضياً ومرشداً لأهل اليمن توفي سنة (١٨ هـ) . انظر : طبقات ابن سعد (٣/٥٨٣-٥٩٠) . غاية النهاية (٢/٣٠١) .

(٦) حديث ثوبان : أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ح (٤٧٠) ، وابن خزيمة في التوحيد (٥٠) باب ذكر الأخبار المأثورة في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم خالقه ح (٣٢١) ، والبخاري كما في كشف الاستار ، في كتاب التعبير ، باب ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم ح (٢١٢٨) ، والبغوي في شرح السنة في كتاب الصلاة باب التحريض على قيام الليل ح (٩٢٥) .

على غير ما ذهبت إليه لها^(١) أن رسول الله ﷺ قال في حديث أبي ذر : " إنه لم ير ربه " وقال رسول الله ﷺ : " لن تروا ربكم حتى تموتوا " ^(٢) وقالت عائشة رضي الله عنها : من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية " ، وأجمع المسلمون على ذلك مع قول الله (تعالى) : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ يعنون أبصار الدنيا ، وإنما هذه الرؤية كانت في المنام [وفي المنام] ^(٣) يمكن رؤية الله على كل حال كذلك .

روى^(٤) معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال : " صليت ما شاء الله من الليل ثم وضعت جنبي فأتاني ربي في أحسن صورة " ^٥ فهذا تأويل هذا الحديث عند أهل العلم^(٦) .
وقد ظن القاضي أبو يعلى^(٧) أن الرواية^(٨) اختلفت عن الإمام أحمد ، هل رأى رسول الله ﷺ ربه في ليلة الإسراء أم لا ؟ على ثلاث روايات :

أما حديث معاذ : أخرجه أحمد في مسنده (٢٤٣/٥) ، والترمذي في جامعه في (٤٨) كتاب تفسير القرآن (٣٩) باب (ومن سورة ص) ح (٣٢٣٥) ، وابن خزيمة في التوحيد ح (٣٢١) ، والحاكم في المستدرک (١٨) كتاب الدعاء ، باب أمر الرب تبارك وتعالى نبيه أن يقول : " اللهم إني أسألك الطيبات " . ح (١٩٥٦) .

والحديث أيضاً مروى عن جمع من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمر ، وجابر بن سمرة وغيرهم وقد صحح الحديث الإمام أحمد كما في التهذيب (٥٥/٦) ، والبحاري والترمذي كما في السنن (٣٤٤/٥) ، ومن المعاصرين الشيخ أحمد شاکر كما في تعليقه على المسند (١٦٢/٥) ، والشيخ الألباني في تخريجه للسند لابن أبي عاصم ص (٢٠٤) وما بعدها .

(١) سقط من غير الأصل و (ب ٩ وفي المطبوع : (أما) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٢٤/٥) ، وأبو داود في سننه في (٣٢) كتاب الملاحم ، (١٤) خروج الدجال ح (٤٣٢٠) ولم يذكر هذه اللفظة ، وعبدالله بن أحمد في السنة في ما ورد في ذكر الدجال وصفته ح (١٠٠٧) ، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٩٣) باب : ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : (إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا) ح (٤٢٨) ، والبخاري كما في كشف الأستار في كتاب الفتن ، باب ما جاء في الدجال ح (٣٣٨٩) من حديث عبادة بن الصامت ، وفي إسناده بقية بن الوليد ، صدوق كثير التدليس عن الضعفاء ، ولكنه صرح بالتحديث عند أحمد وابنه عبدالله ، وعند ابن أبي عاصم في السنة فانتفتت شبهة التدليس بذلك ، وقد جود إسناده الألباني رحمه الله كما في تخريجه للسنة لابن أبي عاصم ص (١٨٦) ، وفي تخريجه للمكة (١٥١٤/٣) ح (٥٤٨٥) .

(٣) زيادة من نقض الدارمي (٧٣٨/٢) .

(٤) في (م) و (ق) والمطبوع : (وروى) .

(٥) تقدم تخريجه قريباً .

(٦) نقض الدارمي على المريسي (٧٣٧/٢ - ٧٣٩) .

(٧) القاضي أبو يعلى : هو محمد بن الحسين بن محمد البغدادي الحنبلي المشهور بالقاضي أبي يعلى من أئمة الحنابلة ، تفقه على أبي عبدالله بن حامد من كبار الحنابلة ، وقد تولى القضاء للقائم بأمر الله وبرع في مذهب الإمام أحمد حتى صار إماماً في المذهب من مصنفاته : مسائل الإيمان ، العدة في أصول الفقه ، الأحكام السلطانية وغيرها وتوفي سنة (٤٥٨) هـ .

طبقات الحنابلة (١٩٣/٢) ، السير (٨٩/١٨) .

(٨) تحرفت في الأصل إلى (الرؤية) . وكلام القاضي هذا في الروايتين والوجهين وفي إبطال التأويلات .

إحداها : أنه رأى^(١). قال المروزي^(٢) : قلت لأبي عبد الله : يقولون إن عائشة قالت : من

زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية . فبأي شيء تدفع قول عائشة ؟ / فقال : بقول [١/٩٢] النبي ﷺ : " رأيت ربي " قول النبي ﷺ أكبر من قولها .

قال : وذكر المروزي في موضع آخر أنه قال لأبي عبد الله ههنا رجل يقول : " إن الله يرى في الآخرة ، ولا أقول " إن محمداً رأى ربه في الدنيا . فغضب ، وقال : هذا أهل أن يجفا يسلم الخبر كما جاء . قال : فظاهر هذا أنه أثبت رؤية عين .

ونقل حنبل^(٣) قال : قلت لأبي عبد الله : النبي ﷺ رأى ربه ؟ قال : رؤيا حلم بقلبه . قال : فظاهر هذا نفى الرؤية .

وكذلك نقل الأثرم^(٤) وقد سأله عن حديث عبد الرحمن بن عايش^(٥) عن النبي ﷺ : " رأيت ربي في أحسن صورة " فقال : مضطرب ، إن معمرأ^(٦) رواه عن أيوب^(٧) عن معبد^(٨) عن عبد

(١) في غير الأصل و (ب) : (رآه) .

(٢) المروزي : هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروزي ، صاحب الإمام أحمد وحدث عنه وروى عنه مسائل كثيرة ، والمروزي نسبته إلى مرو الروذ . قال عنه الذهبي : " كان إماماً في السنة شديد الاتباع له جلالة عجيبة في بغداد " توفي سنة (٢٧٥ هـ) . انظر : طبقات الحنابلة (٥٦/١) ، السير (١٧٣/١٣) .

(٣) حنبل : هو أبو علي حنبل بن إسحاق بن حنبل الشيباني ، ابن عم الإمام أحمد وتلميذه ، سمع المسند من الإمام أحمد كاملاً ، وله مسائل كثيرة عنه ، وله عدة مصنفات منها : الفتن ، والمحجة ، وكتاب السنة ، توفي سنة (٢٧٣ هـ) . انظر : طبقات الحنابلة (١٤٣/١) ، شذرات الذهب (١٦٣/٢) .

(٤) الأثرم : هو أحمد بن محمد بن هاني أبو بكر الأثرم الطائي ، تلميذ الإمام أحمد وأحد رواة المذهب الحنبلي له كتاب السنن والسنة وغيرهما . توفي سنة (٢٧٣ هـ) .

انظر : طبقات الحنابلة (٦٦/١) ، شذرات الذهب (١٤١/٢) .

(٥) عبد الرحمن بن عائش الحضرمي ، أو السكسي ، مختلف في صحبته ، قال أبو حاتم : هو تابعي وأخطأ من قال له صحبة وقال الترمذي : لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم . انظر : تهذيب التهذيب . (٢٠٤/٦) ، والإصابة (٤٠٥/٢) .

(٦) معمر : هو معمر بن راشد الأزدي أبو عروة البصري ، سكن اليمن وهو شيخ عبدالرزاق الصنعاني قال أحمد : لا تضم أحداً إلى معمر إلا وجدته يقدمه في الطلب وقال النسائي : الثقة المأمون . مات سنة (١٥٣ هـ) . انظر : السير (٥/٧) .

(٧) أيوب : هو أيوب بن أبي تيمية ، واسمه كيسان السخيتاني ، أبو بكر البصري رأى أنس بن مالك وروى عن ابن أبي مليكة وعطاء وعكرمة ، وروى عنه حماد بن زيد ، ومعمر بن راشد وغيرهما وهو ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء والعباد توفي سنة (١٣١ هـ) . انظر : طبقات ابن سعد (٢٤٦/٧) ، السير (١٥/٦) .

(٨) (أبو معبد) هكذا في الأصل وهو تصحيف صوابه معبد كما في غير الأصل ، وكما في الروايتين والوجهين ص ٦٦ .

الرحمن بن عايش عن النبي ﷺ ^(١) ورواه حماد ^(٢) عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس ^(٣) . ورواه يوسف بن عطية ^(٤) عن قتادة عن أنس ^(٥) . ورواه عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ^(٦) عن خالد بن اللجلاج ^(٧) عن عبد الرحمن بن عايش عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ^(٨) . ورواه يحيى بن أبي كثير ^(٩) فقال : عن ابن عباس ^(١٠) عن معاذ عن النبي ﷺ . وأصل الحديث واحد ^(١١) .
قال الأثرم : فقلت لأبي عبد الله : فإلى أي شيء تذهب ؟ فقال : قال الأعمش ^(١٢) عن زياد بن الحصين ^(١٣) عن أبي العالية عن ابن عباس قال : رأى محمد ربه بقلبه ^(١٤) .

- (١) هكذا جاء السند في التبيان كما نقله عن أبي يعلى في الروايتين ، وعند أبي يعلى في كتابه إبطال التأويلات قال : (لأن معمراً روى عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم) ولعله وهو الصواب والله أعلم .
- (٢) حماد : هو حماد بن مسلمة بن دينار البصري ، أبو سلمة بن أبي صخرة ، وهو ابن اخت حميد الطويل . روى عن ثابت البناني ، وحميد الطويل وغيرهما ، وروى عنه سفيان الثوري ومحمد بن إسحاق وهو ثقة عابد توفي سنة (٢٢٠ هـ) .
- انظر : الطبقات الكبرى (٢٨٥/٧) . السير (٤٤٤/٧) .
- (٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٨٥/١) ، وابن أبي عاصم في السنة (٩٤) باب ما ذكر من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه تعالى ح (٤٤٠) وصححه الألباني .
- (٤) يوسف بن عطية بن ثابت الصفار ، أبو سهل البصري . متروك توفي سنة (١٨٧ هـ) التقريب ص (٣٨٨) .
- (٥) ذكر هذه الرواية في الروايتين والوجهين ص (٦٦) ، وفي إبطال التأويلات (١٤٠/١) .
- (٦) عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي الدمشقي ، قال ابن معين والعجلي وابن سعد : ثقة ، وقال أبو داود من ثقات الناس . مات سنة (٢٥٦ هـ) .
- (٧) خالد بن اللجلاج العامري أبو إبراهيم الحمصي وقيل الدمشقي صدوق فقيه من الثانية التقريب ص (٩٠) .
- (٨) أخرجه الإمام أحمد (٣٧٨/٥) ، وعبد الله بن أحمد في السنة وابن خزيمة في التوحيد ح (٣١٨) .
- (٩) يحيى بن أبي كثير : هو الطائي مولاهم أبو نصر اليمامي ثقة ثبت ، لكنه يدلس ويرسل توفي سنة (١٣٢ هـ) انظر : التقريب ص (٣٧٨) .
- (١٠) هكذا في الأصل ، وفي غيره ابن عائش وهو هكذا في الروايتين والوجهين وابن عائش إنما رواه عن مالك بن يخامر عن معاذ كما خرج ذلك الإمام أحمد في مسنده (٢٤٣/٥) ، والترمذي في سننه في (٤٨) تفسير القرآن (٣٩) باب وقال : هذا حديث حسن صحيح .
- (١١) كما قال ذلك القاضي أبو يعلى كما في الروايتين والوجهين ص (٦٧) ، وفي إبطال التأويلات (١٤٠/١) .
- (١٢) الأعمش : هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي ثقة حافظ ورع ، لم تفته تكبيرة الإحرام سبعين سنة أدرك جماعة من الصحابة وعاصروهم منهم أنس بن مالك رضي الله عنه ، روى عن أبي صالح ذكوان ، وطلحة بن مصرف ، وعامر الشعبي وغيرهم ، روى عنه أبو إسحاق السبيعي وشعبة والسفيانان وغيرهم ، كان يدلس . انظر : تاريخ بغداد (١٣-٣/٩) ، تهذيب التهذيب (٢٢٦-٢٢٢/٤)
- (١٣) زياد بن الحصين : هو زياد بن الحصين بن قيس الحنظلي اليربوعي ، ويقال الرياحي ، أبو جهمة البصري . روى عن أبيه وعن ابن عباس وابن عمر وأبي العالية وعنه الأعمش وعاصم الأحوال وغيرهما (ثقة يرسل) قال أبو حاتم : أبو جهمة عن ابن عباس مرسل . ليس له في مسلم سوى هذا الحديث فقط . انظر : التهذيب (٣١٤/٣) ، التقريب ص (٢١٩) .

ونقل الأثرم أن رجلاً قال لأحمد عن حسين الأشيب^(٢) أنه قال : لم ير النبي ﷺ ربه تعالى فأنكره عليه إنسان وقال : نقول رآه ، ولا نقول بعينه ولا بقلبه كما جاء الحديث ، فاستحسن ذلك الأشيب .

فقال أبو عبد الله : حسن^(٣) قال : وظاهر هذا إثبات رؤية لا يعقل معناها هل كانت بعينه أم بقلبه^(٤) ؟ فهذه نصوص أحمد وقد جعلها القاضي مختلفة وجعل المسألة على ثلاث روايات ، ثم احتج للرواية الأولى بحديث أم / الطفيل^(٥) ، وحديث عبد الرحمن ابن عايش^(٦) الحضرمي ، ولا [٩٢/ب] دلالة فيهما ، لأنها رواية منام قطعاً ، واحتج لها بما لا يرضى أحمد أن يحتج به ، وهو حديث لا يصح عن أبي عبيدة بن الجراح مرفوعاً " لما كانت ليلة اسرى بي رأيت ربي في أحسن صورة ، فقال : فيم يختصم المלא الأعلى ؟ " ^(٧) وذكر الحديث ، وهذا غلط قطعاً ، فإن القصة إنما كانت بالمدينة كما قال معاذ بن جبل : احتبس عنا رسول الله ﷺ في صلاة الصبح حتى كدنا نترأء عين الشمس ثم خرج فصلى بنا ، ثم قال : " رأيت ربي البارحة في أحسن صورة فقال : يا محمد ، فيم

(١) أخرجه مسلم في (١) كتاب الإيمان (٧٧) باب معنى قول الله عز وجل : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ ح (١٧٦) ولفظه : قال : رآه بفؤاده مرتين .

(٢) حسين الأشيب : هكذا في المخطط وصوابه (الحسن) وهو الحسن بن موسى الأشيب أبو علي البغدادي قاضي طبرستان والموصل وخص روى عن الحمادين وشعبة وسفيان وغيرهم روى عن أحمد وأبو خثمة وأبناء أبي شيبة وغيرهم ، انظر : التهذيب (٢٧٩/٢) .

(٣) الروايتين والوجهين ص (٦٨) .

(٤) انظر : الروايتين والوجهين ص (٦٤ - ٦٨) ، إبطال التأويلات (١١٠/١ - ١١١ ، ١٤٠) .

(٥) أم الطفيل : أم الطفيل بنت الطفيل بن عمرو الدوسي ، امرأة أبي بن كعب لها صحبة ورواية كانت تكنى بابنها الطفيل بن أبي بن كعب ، روى عنها عمار بن عمير وابنها محمد بن أبي بن كعب . انظر : الاستيعاب (١٩٤٤/٤) ، والإصابة (٢٤٦/٨) .

وحديث أم الطفيل : أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٩٩) باب ح (٤٧١) ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد في سياق ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم رآه بقلبه ح (٩٠٩) .

(٦) ورد في الأصل والمخطوطات الأخرى والمطبوع : (عبد الرحمن بن عايش) وهو خطأ والتصويب من الروايتين والوجهين ومن ترجمة الرواي .

(٧) الحديث أخرجه أبوبكر الخلال في سنته كما في إبطال التأويلات (١٠٣/١) ، وفي إسناده عبد الرحمن بن سابط وهو ثقة كثير الإرسال وفي سماعه من أبي ثعلبة الحشني نظر فقد قيل : إنه لم يسمع منه (التهذيب ١٨٠/٦) ، وكذلك أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (١٥٢-١٥١/٨) في ترجمة حماد بن دليل المدائني من نفس الطريق السابق والحديث بهذا الإسناد ضعيف ، وقد ضعفه ابن القيم هنا .

يختصم الملاء الأعلى ؟ " وذكر الحديث هذا كان بالمدينة والإسراء كان بمكة ، وليس عن الإمام أحمد ولا عن النبي ﷺ نص أنه رآه بعينه يقظة ، وإنما حمل القاضي كلام أحمد ما لا يحتمله ، واحتج بما^(١) فهم منه بما لا يدل عليه ، وكلام أحمد يصدق بعضه بعضاً ، والمسألة رواية واحدة عنه ، فإنه لم يقل بعينه ، وإنما قال رآه ، واتبع في ذلك قول ابن عباس : رأى محمد ربه . ولفظ الحديث : " رأيت ربي " وهو مطلق قد جاء بيانه في الحديث الآخر ، ولكن^(٢) رد أحمد قول عائشة ومعارضته . بقول النبي ﷺ إشعار بأنه أثبت الرؤية التي أنكرتها عائشة ، وهي لم تنكر رؤية المنام ، ولم تقل : إن من زعم أن محمداً رأى ربه في المنام فقد أعظم على الله الفرية .

وهذا يدل على أحد أمرين : إما أن يكون الإمام أحمد أنكر قول من أطلق نفى الرؤية ، إذ هو مخالفة للحديث ، وإما أن يكون رواية عنه بإثبات الرؤية . وقد صرح بأنه رآه رؤيا حلم بقلبه ، وهذا تقييد منه للرؤية . وأطلق أنه رآه . وأنكر قول من نفى مطلق الرؤية . واستحسن قول من قال : رآه ، ولا يقول : بعينه / ولا بقلبه . وهذه النصوص عنه متفقة لا مختلفة . وكيف يقول [١/٩٣] أحمد : رآه بعيني رأسه يقظة ولم يجئ ذلك في حديث قط . فأحمد إنما اتبع ألفاظ الأحاديث كما جاءت ، وإنكاره قول من قال لم يره أصلاً لا يدل على إثبات رؤية اليقظة بعينه . والله أعلم .



(١) في المطبوع : (لما) .

(٢) في غير الأصل و (ب) : زيادة (في) .

﴿ فصل ﴾

وقوله تعالى : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ (١٧) ^(١) قال ابن عباس : ما زاغ البصر يمينا ولا شمالاً ولا جاوز ما أمر به ^(٢) . وعلى هذا المفسرون
فنفى عن نبيه التعرض ^(٣) للرأي الذي لا أدب له بين يدي [الملوك] ^(٤) والعظماء من التفاته يمينا وشمالاً ، ومجازة بصره لما بين يديه .

وأخير عنه بكمال الأدب في ذلك المقام ، وفي تلك الحضرة ، إذ لم يلتفت جانباً ، ولم يعد بصره إلى غير ما أرى من الآيات ، وما هناك من العجائب بل قام مقام العبد الذي أوجب أدبه إطراره وإقباله على ما أمر به ^(٥) دون التفاته إلى غيره ، ودون تطلعه إلى ما لم يره مع ما في ذلك من ثبات الجأش ، وسكون القلب ، وطمانينته ، وهذا غاية الكمال ، فزيع البصر التفاته جانباً ، وطغيانه مده أمامه إلى حيث ينتهي .

فتره في هذه السورة علمه عن الضلال وقصده وعمله عن الغي ، ونطقه عن الهوى ، وفؤاده عن تكذيب بصره . وبصره عن الزيع ، والطغيان . وهكذا يكون المدح .

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا ^(٦)



(١) سورة النجم الآية (١٧) .

(٢) أخرج قوله الطبري في تفسيره بإسناده (٥٧/٢٧) .

وأورد أيضاً الواحدي في البسيط (٢١٤/١) والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٦٥/١٧) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٥١/٧) إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه .

وقد أخرجه الحاكم في المستدرک في (٢٨) كتاب التفسير ، تفسير سورة النجم ح (٣٨٠١) وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : وهو صحيح على شرط مسلم .

(٣) في غير الأصل و (ب) : (ما يعرض) .

(٤) سقط من الأصل .

(٥) في غير الأصل : (ما أريه) .

(٦) البيت من البسيط وهو للحطية .

وفي المطبوع : تلك المكارم لا قعبان من لبن *** شيبا بماء فعادت بعد أبوالا

﴿ فصل ﴾

[أنواع الاستطراد]

ولما ذكر (سبحانه) رؤيته لجبريل عند سدره المنتهى استطرد منها ، وذكر أن جنة المأوى عندها ، وأنها يغشاها من أمره وخلقه ما يغشى .

وهذا من أحسن الاستطراد ، وهو أسلوب لطيف جداً في القرآن ، وهو نوعان / : [٩٣/ب] أحدهما : أن يستطرد من الشيء إلى لازمه مثل هذا ، .

ومثل قوله (تعالى) : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩) ﴾^(١) . ثم استطرد من جوابهم إلى قوله : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) ﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) ﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمُ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) ﴾ لَتَسْتَبْشِرُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) ﴾^(٢) . وهذا ليس من جوابهم ، ولكن تقريراً له ، وإقامة للحجة عليهم .

ومثله قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠) ﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٥١) ﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٢) ﴾^(٣) فهذا جواب موسى ، ثم استطرد سبحانه منه إلى قوله : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣) ﴾ كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ﴿ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ تَارَةً أُخْرَى (٥٥) ﴾^(٤) .

ثم عاد إلى الكلام الذي استطرد منه .

(١) سورة الزخرف الآية (٩) .

(٢) سورة الزخرف الآيات : (١٠ - ١٣) .

(٣) سورة طه الآيات (٤٩ - ٥٢) .

(٤) سورة طه الآيات (٥٣ - ٥٥) . وفي (م) و (ق) والمطبوع : إكمال الآيات إلى قوله (تارة أخرى) .

والنوع الثاني : أن يستطرد من الشخص إلى النوع ، كقوله (تعالى) : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ﴾^(١) ، إلى آخره فالأول: آدم ، والثاني : بنوه .

ومثله قوله (تعالى) : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠) ﴾^(٢) . إلى آخر الآيات ، فاستطرد من ذكر الأبوين إلى ذكر المشركين من أولادهما . والله أعلم .



(١) سورة المؤمنون الآيتان (١٢ - ١٣) .

(٢) سورة الأعراف الآيتان (١٨٩ - ١٩٠) .

﴿ فصل ﴾

{ القسم في سورة الطور }

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّعْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨) ﴾^(١). تضمن هذا القسم خمسة أشياء : وهي مظاهر آياته وقدرته وحكمته الدالة على ربوبيته / ووحدانيته .

[١/٩٤]

فالطور هو الجبل الذي كلم الله عليه نبيه وكليمه موسى ابن عمران عند جمهور المفسرين من السلف والخلف ، وعرفه ههنا باللام ، وعرفه في موضع آخر بالإضافة فقال (تعالى) : ﴿ وَطُورٍ سَيْنٍ (٢) ﴾^(٢) وهذا الجبل مظهر بركة الدنيا والآخرة ، وهو الجبل الذي اختاره الله لتكليم موسى عليه^(٣).

فقال عبد الله بن أحمد^(٤) في كتاب الزهد لأبيه : حدثني محمد بن عبيد بن حساب^(٥) قال حدثنا جعفر بن سليمان^(٦) ثنا أبو عمران الجوني^(٧) عن نوف البكالي^(٨) قال : أوحى الله إلى الجبال

(١) سورة الطور الآيات من (١ - ٨) .

(٢) سورة النين الآية (٢) .

(٣) في (ق) : زيادة عليه السلام .

(٤) عبد الله بن أحمد : هو عبد الله بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، أبو عبد الرحمن المروزي البغدادي روى عن أبيه شيئا كثيرا قال الإمام أحمد لعباس الدوري : يا عباس إن أبا عبد الرحمن قد وعى علما كثيرا ، وقال الخطيب : وكان ثقة ثبتا فهما من مصنفاته : السنة ، وله زيادات على كتب أبيه . توفي سنة (٢٩٠ هـ) .
انظر : تاريخ بغداد (٣٧٥/٩) السير (٥١٦/١٣) .(٥) محمد بن عبيد بن حساب : هو محمد بن عبيد بن حساب الفجري البصري روى عن حماد بن زيد ، وجعفر بن سليمان الضبعي وإسماعيل بن علية وغيرهم ، روى عنه : أبو حاتم ، وبقي بن مخلد ، وعبد الله بن أحمد وغيرهم ، ثقة من العاشرة مات سنة (٢٣٨ هـ) .
انظر : التهذيب (٢٩٢/٩ - ٢٩٣) ، التقريب ص (٤٩٥) .

(٦) جعفر بن سليمان هو : أبو سليمان جعفر بن سليمان الضبعي قال أحمد : لا بأس به ، وقال ابن معين وابن سعد : ثقة ، وقال ابن حجر : صدوق زاهد ، لكنه يتشيع ، توفي سنة (١٧٨ هـ) .

انظر : تهذيب الكمال (٤٣/٥) ، التقريب ص (١٤٠) .

(٧) أبو عمران الجوني : هو عبد الملك بن حبيب أبو عمران الجوني البصري ، رأى عمران بن حصين وروى عن جندب البجلي وأنس بن مالك وغيرهما ، حدث عنه شعبة وسهيل بن أبي حزم قال ابن حجر : ثقة . توفي سنة (١٢٨ هـ) وقيل غير ذلك .
انظر : حلية الأولياء (٣٠٩/٢ - ٣١٨) ، التقريب ص (٣٦٢) .

(٨) نوف البكالي : هو نوف بن فضالة الحميري البكالي ، الشامي ، من أهل دمشق ، وكان إماما لهم ، وهو قاص مشهور . قال في التقريب : مستور . انظر : التهذيب (٤٩٠/١٠) ، التقريب : ص (٥٦٧) .

أبي نازل على جبل منكم قال : فشمخت الجبال كلها إلا جبل الطور فإنه تواضع وقال : أَرْضِي بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لِي فكَانَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ^(١) وجبل هذا شأنه حقيق أن يقسم الله به ، وإنه لسيد الجبال .
الثاني : الكتاب المسطور ، في الرق المنشور .

واختلف في هذا الكتاب : فقليل : هو اللوح المحفوظ^(٢) وهذا غلط فإنه ليس برق .
وقيل هو الكتاب الذي تضمن أعمال بني آدم قال مقاتل : تخرج إليهم أعمالهم يوم القيامة في رق منشور^(٣) .

وهذا وإن كان أقوى وأصح من القول الأول واختاره جماعة من المفسرين ومنهم من لم يذكر غيره فالظاهر : أن المراد به الكتاب المتزل من عند الله . أقسم الله به لعظمته وجلالته وما تضمنه من آيات ربوبيته وأدلة توحيده ، وهداية خلقه . ثم قيل : هو التوراة التي أنزلها الله على موسى^(٤) . وكأن صاحب هذا القول رأى اقتران هذا الكتاب بالطور فقال : هو التوراة ولكن التوراة إنما انزلت في ألواح لا في رق . إلا أن يقال : هي في رق في السماء وأنزلت في ألواح .

وقيل هو القرآن ولعل هذا أرجح الأقوال^(٥) لأنه سبحانه وصف القرآن بأنه : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) ﴾ فالصحف هي الرق ، وكونه بأيدي السفرة هو كونه منشوراً ، وعلى هذا فيكون قد أقسم بسيد الجبال وسيد الكتب ويكون ذلك متضمناً للنبتين / العظيمتين : نبوة موسى [٩٤/ب] ونبوة محمد ﷺ^(٦) وكثيراً ما يقرن بينهما وبين محلها كما في سورة : " والتين والزيتون " .

ثم أقسم بسيد البيوت وهو البيت المعمور ، وفي وصفه للكتاب بأنه مسطور تحقيق لكونه مكتوباً مفروغاً منه ، وفي وصفه بأنه منشور إيذاناً بالاعتناء به وأنه بأيدي الملائكة منشور غير

(١) هذا الأثر رواه عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد ص (٦٦) ، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٤٩/٦) ، وأخرجه أيضاً أبو الشيخ في العظمة في (٤٩) ذكر ساعات الليل والنهار . . برقم (١١٧٨) . وهذا الأثر من الأخبار الإسرائيلية .

^٢ مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما كما في تفسير البسيط (١٥٥/١) ت/المحوي ، ومعالم التنزيل (٣٨٥/٧) .

(٣) انظر : تفسير مقاتل (١٧١/أ) وهو مروى أيضاً عن مجاهد والكلبي والزجاج ، انظر : جامع البيان (١٠/٢٧) ، معاني القرآن وإعراجه (٦١/٥) ، البسيط (١٥٤/١-١٥٥) .

(٤) نسب هذا القول إلى الكلبي انظر : معالم التنزيل (٣٨٥/٧) ، الجامع لأحكام القرآن (٤٠/١٧) .

(٥) قال الشنقيطي رحمه الله تعالى : (والأظهر أن الكتاب المسطور هو القرآن العظيم . .) . انظر : أضواء البيان (٦٨٣/٧)

(٦) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .



مهجور وأما البيت المعمور فالمشهور أنه الصراح^(١) الذي في السماء الذي رفع للنبي ﷺ ليلة الإسراء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم^(٢) وهو بحيال البيت المعمور في الأرض .

وقيل . هو البيت الحرام^(٣) ، ولا ريب أن كلا منهما بيتاً معموراً . فهذا معمور بالملائكة وعبادهم ، وهذا معمور بالطائفين والقائمين والركع السجود . وعلى كلا القولين فكل منهما سيد البيوت .

ثم أقسم سبحانه بمخلوقين عظيمين من بعض مخلوقاته ، وهما مظهر آياته وعجائب صنعته وهما : السقف المرفوع وهو السماء فإنها من أعظم آياته قدراً وارتفاعاً وسعةً وسكاً ولوناً وإشراقاً^(٤) وهي محل ملائكته وهي سقف العالم وبها انتظامه وهي محل النيرين اللذين بهما قوام الليل والنهار ، والسنين والشهور والأيام ، والصيف والشتاء ، والربيع والخريف ، ومنها تنزل البركات وإليها تصعد الأرواح وأعمالها وكلماها الطيبة .

والثاني : البحر المسحور . وهو آية عظيمة من آياته ، وعجائبه لا يحصيها إلا الله . واختلف في هذا البحر : هل هو البحر الذي فوق السموات ؟ أو البحر الذي نشاهده ؟ على قولين :

فقال طائفة : هو البحر الذي على العرش ، وبين أعلاه وأسفله مسيرة خمسمائة عام ، كما في الحديث الذي رواه أبو داود^(٥) من حديث سماك^(٦) عن عبد الله بن

(١) في المطبوع : (الصراح) .

(٢) كما ورد ذلك في حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم يرويه أنس ، أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١ / ٢٧) ، والحاكم في المستدرک في (٢٨) التفسير ، تفسير سورة الطور ح (٣٧٩٤) وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٣) انظر قول الحسن في : البسيط (١٥٦ / ١) ، الجامع لأحكام القرآن (٤١ / ١٧) ، فتح القدير (١١٢ / ٥) . وغيرها .

(٤) في (م) و (ق) : (وإشراقاً) .

(٥) أبو داود : هو سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ، محدث البصرة رحل وجمع وصنف وبرع في هذا الشأن قال عنه الذهبي : (كان أبو داود مع إمامته في الحديث وفنونه من كبار الفقهاء فكتابه يدل على ذلك وهو من نجباء أصحاب الإمام أحمد) من مصنفاته كتاب السنن توفي سنة (٢٧٥ هـ) . انظر : طبقات الحنابلة (١٥٩ / ١ - ١٦٢) ، السير (٢٠٣ / ١٣ - ٢٢١) .

(٦) سماك : هو سماك بن حرب بن أوس ، أبو المغيرة الكوفي . قال سماك : أدركت ثمانين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال أبو حاتم : صدوق ثقة ، وقال أحمد سماك أصح حديثاً من عبد الملك بن عمير ، وقال ابن معين : ثقة وروايته عن عكرمة كما يقول الحفاظ مضطربة . توفي سنة (١٢٣ هـ)

عميرة^(١) عن الأحنف بن قيس^(٢) أن ابن عباس بن عبد المطلب^(٣) قال : " كنت بالبطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمرت بهم سحابة / فنظر إليها فقال : ما تسمون هذه ؟ قالوا : [١/٩٥] السحاب ، قال : والمزن ، قالوا : والمزن قال : والعنان قالوا : والعنان ، قال : هل تدرون بعد ما بين السماء الأرض ؟ قالوا : لاندري ، قال : بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ، ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ثم فوق السابعة ، بحر بين أعلاه وأسفله مثل ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم على ظهورهم العرش ما بين أسفله وأعلاه ما بين سماء إلى سماء ثم الله (تعالى) فوق ذلك " (٤) .

انظر : تهذيب الكمال (١١٥/١٢) التهذيب (٢٣٣-٢٣٢/٤) .

(١) عبدالله بن عميرة : تحرف في الأصول إلى مخمرة والتصويب من سنن أبي داود وغيره وعبدالله بن عميرة هو : عبدالله بن عميرة وروى عن الأحنف بن قيس عن العباس حديث الأوعال ، وروى عنه : سماك بن حرب قال البخاري : ولا يعلم له سماع من الأحنف ، وقال الذهبي فيه جهالة . وقال ابن حجر في التقریب : مقبول .

انظر : تهذيب الكمال (٣٨٥/١٥) ، التقریب ص (٣١٥) ، ميزان الاعتدال (٤٦٩/٢) .

(٢) الأحنف بن قيس : هو الأحنف بن قيس بن معاوية التميمي ، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عن العباس بن عبدالمطلب قال ابن سعد : كان ثقة مأموناً قليل الحديث توفي سنة (٦٧هـ) .

انظر : تهذيب الكمال (٢٨٢/٢) ، التهذيب (١٩١/١) .

(٣) العباس بن عبدالمطلب : العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف القرشي الهاشمي عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو الفضل ، ولد قبل الرسول عليه الصلاة والسلام بستين ، وكان إليه في الجاهلية السقاية والعمارة ، وحضر بيعة العقبة قبل أن يسلم وشهد بدرًا مع المشركين وأسر فافتدى نفسه ورجع إلى مكة ويقال : إنه أسلم وكنم إسلامه ، ثم هاجر قبل فتح مكة بقليل وشهد الفتح وثبت يوم حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان يجله إجلال الولد لوالده ، وكان إذا مر بعمر في أيام خلافته ترجل عمر إجلالاً له توفي رضي الله عنه بالمدينة في رجب سنة (٣٢هـ) انظر : أسد الغابة (١٠٩/٣) ، الإصابة (٢٧١/٢) .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه في (٣٥) كتاب السنة ، (١٩) باب في الجهمية ح (٤٦٩٠) ، والترمذي في (٤٨) كتاب التفسير ، (٦٨) باب ومن سورة الحاقة ح () ، وابن ماجة في المقدمة (١٣) باب فيما أنكرت الجهمية ح (١٩٣) ، وأحمد في مسنده (٢٠٧/١) ، والدارمي في رده على المريسي (٤٧٣/١) ، وابن أبي عاصم في السنة ح (٥٧٧ - ٥٧٨) ، وابن خزيمة في التوحيد (٢٧) باب ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى ح (١٤٤) ، والأحرى في الشريعة (٥٠) باب ذكر السنن التي دلت العقلاء على أن الله عز وجل على عرشه . . ح (٦٦٣-٦٦٤) ، والحاكم في المستدرک في تفسير سورة طه ح (٣٤٨٠) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، باب ما جاء في العرش والكرسي ح (٨٤٧) ، من حديث العباس بن عبدالمطلب .

والحديث ضعيف للعلل التالية :

وهذا لا يتناقض مع ما في جامع الترمذي^(١): " أن بين كل سمانين مسيرة خمسمائة عام "^(٢)
إذ المسافات تختلف مقاديرها باختلاف المقدر به ، فالخمس مائة مقدرة بسير الإبل ، والسبعون بسير
البريد ، وهو يقطع بقدر ما تقطع به الإبل سبعة أضعاف^(٣) وهذا القول في البحر أنه الذي تحس
العرش محكي عن علي بن أبي طالب^(٤) رضي الله عنه .
والثاني : أنه بحر الأرض^(٥).

واختلف في (المسحور) : فقليل : المملوء هذا قول جميع أهل اللغة
قال الفراء : المسحور في كلام العرب المملوء^(٦) يقال : سحرت الاناء إذا ملأته ، قال لبيد :
فتوسطا عرض السرى وصدعا
مسجورة متجاوزاً قلامها^(٧)

- (١) فيه عبد الله بن عميرة : كوفي مقبول عند المتابعة وقال الذهبي فيه جهالة .
- (٢) فيه انقطاع بين عبد الله والأحنف . قال البخاري : لا نعلم له سماعاً من الأحنف .
- (٣) ففي الوليد بن عبد الله بن أبي ثور الهمداني الكوفي ضعيف .
- (٤) سماك بن حرب صدوق تغير بآخره فكان ربما يلحق .
- (٥) يحيى بن العلاء كما في إسناد أحمد والحاكم : متروك ، متهم .
- قال الذهبي في العلو (٥٠١/١ - ٥٠٢) : (تفرد به سماك بن حرب عن عبد الله ، وعبد الله فيه جهالة ، ويحيى بن العلاء متروك الحديث ،
وقد رواه إبراهيم بن طهمان عن سماك ، وإبراهيم ثقة والحديث له شاهد من حديث أبي هريرة عند الإمام أحمد في مسنده (٣٧٠/٢)
، والترمذي في (٤٨) كتاب التفسير (٥٧) باب ومن سورة الحديد ح (٣٢٩٨) ، وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وابن
أبي عاصم في السنة ح (٥٧٨) ، والبيهقي في الأسماء والصفات ح (٨٤٩) ، وإسناده منقطع فإن الحسن لم يسمع من أبي هريرة ،
فالحديث ضعيف من جميع الوجوه .
- انظر : السلسلة الضعيفة ح (١٢٤٧) ، والسنة لابن أبي عاصم ح (٥٧٧ - ٥٧٨) ، والأسماء والصفات (٢٨٥ - ٢٨٩)
(١) الترمذي : هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي الضرير ، الإمام الحافظ العلم ، ارتحل في سبيل
العلم فسمع بخراسان والعراق والحرمين . من مصنفاته : الجامع ، والعلل وغيرهما . توفي سنة (٢٧٩ هـ) .
- انظر : وفيات الأعيان (٢٧٨/٤) ، السير (٢٧٠/١٣ - ٢٧٧) .
- (٢) كما في حديث أبي هريرة المتقدم ذكره في التعليق على الحديث السابق وفيه : " فإن فوق ذلك سمانين ما بينهما مسيرة خمسمائة
سنة حتى عد سبع سنوات . . " الحديث رقم (٣٢٩٨) عند الترمذي .
- (٣) قال البيهقي : (ويحتمل أن يختلف ذلك باختلاف قوة السير وضعفه ، وخفته وثقله ، فيكون بسير القوي أقل ، وبسير الضعيف
أكثر والله أعلم) الأسماء والصفات (٢٨٨/٢) .
- (٤) ذكره الواحدي في البسيط (١٥٨/١) ، البغوي في معالم التنزيل (٣٨٦/٧) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن
(٤٢/١٧) .
- (٥) كما جاء في الأثر : (إن الله تعالى يجعل البحار كلها ناراً فتجعل نار جهنم) ذكره الواحدي في البسيط (١٥٩/١) ، وابن
الجوزي في زاد المسير (٤٨/٨) .
- (٦) معاني القرآن للفراء (٩١/٣) .
- (٧) البيت من الكامل وهو في ديوان لبيد ص (١٧٠) .

وقال المبرد : المسجور : المملوء عند العرب ، وانشد للنمر ابن تولب^(١) :

إذا شاء طالع مسجورة (٢)

يريد عيناً مملوءة ماءً وكذا قال ابن عباس : المسجور المملئ^(٣).

وقال مجاهد : المسجور : الموقد^(٤)،

وقال الليث : السجر : إيقادك في التنور ، تسجره سجرًا [والسجور]^(٥) اسم الخطب^(٦).

وهذا قول الضحاك وكعب^(٧) وعنهما قال : البحر يسجر فيزداد في جهنم^(٨) وحكى هذا القول / [٩٥/ب]

عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه قال : مسجور بالنار^(٩).

قال الفراء^(١٠) : وهذا يرجع إلى القول الأول لأنك تقول سحرت التنور إذا ملأته حطباً^(١١).

وورد ذكره أيضاً في شرح المعلقات السبع للروزني ص (٨٢) ، جمهرة أشعار العرب ص (٦٨) ، المحتسب (٣٧١/٢) ، وورد

ذكره في تفسير البسيط (١٥٧/١) وعنه نقل ابن القيم .

(١) النمر بن تولب : هو من عكل وكان شاعراً جواداً ، ويسمى الكيس لحسن شعره ، وهو جاهلي وأدرك الغسلام فأسلم ، وعاش إلى

أن حرف واهتر . انظر : الشعر والشعراء ص (١٩٥) .

(٢) البيت من المتقارب وهو في ديوانه ص (١٦٥) ونماه : ترى حولها النبع والساسما .

وورد ذكره أيضاً في : الخزانة (٩٥/١١) ، مجاز القرآن (٢٣٠/٢) ، تفسير غريب القرآن ص (٤٢٤) .

(٣) انظر : البسيط (١٥٨/١) .

(٤) انظر : تفسير مجاهد (٦٢٤/٢) ، البسيط (١٥٨/١) ، النكت والعيون (٣٧٩/٥) ، زاد المسير (٤٨/٨) ، الجامع لأحكام

القرآن (١٧/ ٤٢) ، وعزاه في الدر المنثور (٦٣٠/٧) إلى ابن جرير ، حيث أخرجه في تفسيره بإسناده (١٩/٢٧) .

(٥) سقط من الأصل ، وفي المطبوع : (السجر) .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (٥٧٥/١٠) مادة (سجر) .

(٧) كعب : هو كعب بن ماته الحميري ، يكنى بأبي إسحاق ، مشهور بكعب الأخبار كان على دين اليهود ثم نزل اليمن فأسلم ثم

قدم المدينة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم خرج إلى الشام وسكن حمص حتى توفي بها سنة (٣٢) هـ .

(٨) قول الضحاك ذكره الواحدي في البسيط (١٥٨-١٥٩/١) ، والبغوي في معالم التنزيل (٣٨٦/٧) ، وتفسير الضحاك

(٧٩٧/٢) أما قول كعب فذكره أيضاً الواحدي في البسيط (١٥٩/١) ، وعزاه في الدر المنثور (٦٣٠/٧) إلى أبي الشيخ في العظمة

حيث أخرجه أبو الشيخ في العظمة في باب صفة البحر والحوت وعجائب ما فيهما ح (١٣/٩٢٨) .

(٩) ذكر قوله الواحدي في البسيط (١٥٩/١) ، وكذا الفراء في معاني القرآن (٩١/٣) .

(١٠) هكذا ورد في الأصول أنه (الفراء) وفي البسيط (١٥٩/١) بدل الفراء وهو خطأ كما في التهذيب (٥٧٦-٥٧٥/١٠)

مادة (سجر) .

وروى ذو الرمة الشاعر عن ابن عباس : أن المسجور اليابس الذي قد نضب ماؤه وذهب^(٢). وليس لذي الرمة رواية عن ابن عباس غير هذا الحرف^(٣).

وهذا القول اختيار أبي العالية^(٤). قال أبو زيد : المسجور المملوء ، والمسجور الذي ليس فيه شيء وجعله من الأضداد^(٥).

وقد روي عن ابن عباس : أن المسجور المحبوس ، ومنه ساجور الكلب وهو : القلادة من عود أو حديد تمسكه ، والمعنى على هذا : ليس أنه محبوس بقدره الله أن يفيض على الأرض فيغرقها ، فإن ذلك مقتضى الطبيعة أن يكون الماء غامراً للأرض فوقها كما أن الهواء فوق الماء ، ولكن أمسكه الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا .

وفي هذا المعنى حديث ذكره الإمام أحمد مرفوعاً : " ما من يوم إلا والبحر يستأذن ربه أن يغرق بني آدم " ^(٦)

وهذا الموضع مما هدم أصول الملاحدة والدهرية ، فإنه ليس في الطبيعة ما يقتضي حبس الماء عن بعض جوانب الأرض مع كون كرة الماء عالية على [كرة]^(٧) الأرض بالذات ، ولو فرض أن في الطبيعة ما يقتضي بروز بعض جوانبها لم يكن فيها ما يقتضي تخصيص هذا الجانب بالبروز دون غيره .

وما ذكره الطبائعيون والمتفلسفة أن العناية الإلهية اقتضت ذلك لمصلحة العالم فنعم هو كما ذكروا ، ولكن عناية من يفعل بقدرته ومشئته وهو بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وهو أحكم الحاكمين غير معقولة . فالعناية الإلهية تقتضي حياته وقدرته ومشئته وعلمه وحكمته ورحمته

(١) انظر ما قبله .

(٢) انظر : البسيط (١٥٩/١) .

(٣) هذا القول منسوب إلى ابن أبي داود كما في الجامع لأحكام القرآن (١٧/٤٢) .

(٤) ورد قوله في البسيط (١٥٩/١) ، وزاد المسير (١٨/٨) ، ومعالم التنزيل (٣٨٦/٧) .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (٥٧٧/١٠) ، اللسان (١٧٧/٦) مادة (سجر) .

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٣/١) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولفظه : " ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات على الأرض يستأذن الله في أن يفيض عليهم ، فيكفه الله عز وجل " .

(٧) زيادة من غير الأصل . (كرة) .

واحسانه إلى خلقه ، وقيام الافعال به ، فإثبات العناية الالهية مع نفي هذه الامور ممتنع وبالله التوفيق .

وأقوى الأقوال في المسجور أنه الموقد ، وهذا هو المعروف في اللغة من السجر ويدل / [١/٩٦] عليه قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ (٦) ^(١) قال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وابن عباس : أوقدت فصارت ناراً ^(٢) .

ومن قال : يبست وذهب ماؤها فلا يناقض كونها ناراً موقدة ، وكذا من قال : ملئت فإنها تملأ ناراً .

وإذا اعتبرت اسلوب القرآن ونظمه ومفرداته رأيت اللفظة تدل على ذلك كله ، فإن البحر محبوس بقدرة الله (عز وجل) ومملوء ماءً ، ويذهب ماؤه يوم القيامة ، ويصير ناراً ، وكل من المفسرين أخذ معنى من هذه المعاني . والله أعلم .



(١) سورة التكويد الآية (٦) .

(٢) الدر المنثور (٤٢٩/٨) .

﴿ فصل ﴾

{ المقسم عليه في سورة الطور }

وأقسم سبحانه بهذه الامور على المعاد والجزاء فقال (تعالى) : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ (٧) ^(١) ، ولما كان الذي يقع قد يمكن دفعه أخبر سبحانه أنه لا دافع له وهذا يتناول أمرين : أحدهما : أنه لا دافع لوقوعه .

والثاني : أنه لا دافع له إذا وقع .

ثم ذكر سبحانه وقت وقوعه فقال : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴾ (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا ^(٢) (١٠) ^(٣) والمور قد فسر بالحركة ^(٤) ، وفسر بالدوران ^(٥) ، وفسر بالتموج والاضطراب ^(٦) .

والتحقيق : أنه حركة في تموج وتكفؤ وذهاب ومجيء ، ولهذا فرق بين حركة السماء وحركة الجبال فقال : ﴿ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا ﴾ وقال (تعالى) : ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ ^(٧) فالجبال تسير من مكان إلى مكان ، وأما السماء فإنها تتكفأ وتموج وتذهب وتجيء .

قال الجوهري ^(٨) : مار الشيء يمور مورا أي تحرك وجاء وذهب كما تكفأ النحلة العيدانة أي الطويلة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴾ قال الضحاك : تموج موجاً . وقال أبو عبيدة ^(٩) والأخفش : تكفأ ، وأنشد للأعشى :

كَأَنَّ مَشْيَئَهَا مِنْ بَيْتٍ جَارَتْهَا مَوْرُ السَّحَابَةِ لَا رَيْبَ وَلَا عَجَلَ ^(١٠)

(١) سورة الطور الآية (٧) .

(٢) سورة الطور الآيتان (٩ - ١٠) .

(٣) هذا القول مروى عن ابن عباس وقتادة . انظر : جامع البيان (٢١ / ٢٧) .

(٤) مروى عن مجاهد . انظر : جامع البيان (٢١ / ٢٧) .

(٥) مروى عن الضحاك . انظر : جامع البيان (٢١ / ٢٧) .

(٦) سورة التكويد الآية (٣) .

(٧) الجوهري هو : إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، أبو نصر ، لغوي أديب قرأ العربية على الفارسي وأبي سعيد السيرافي ، سافر إلى الحجاز وطوف بلاد ربيعة مضر ، وأجهد نفسه في الطلب ، ثم عاد إلى نيسابور وظل بها يؤلف ويدرس حتى توفي . من مصنفاته : (تاج اللغة وصحاح العربية) وغيره توفي سنة (٣٩٣ هـ) . انظر : معجم المؤلفين (١ / ٣٦٢) .

(٨) انظر : مجاز القرآن (٢ / ٢٣١) .

(٩) انظر : الصحاح للجوهري (٢ / ٨٢٠) . والبيت من البسيط وهو للأعشى في ديوانه ص (١٠٥) . وورد ذكره أيضاً في لسان العرب (٥ / ١٨٦) ، وتاج العروس (١٤ / ١٥٢) مادة (صور) وغيرها .

ثم ذكر وعيد المكذبين بالمعاد والنبوة وذكر اعمالهم وعلومهم التي كانوا عليها ، وهي الخوض الذي هو كلام باطل ، واللعب الذي هو سعي ضائع فلا علم نافع ولا / عمل صالح ، بل [ب/٩٦] علومهم خوض بالباطل ، واعمالهم لعب ، ولو^(١) كانت هذه العلوم والاعمال مستلزمة لدفع الحق بعنف وقهر أدخلوا جهنم وهم يدعون إليها دعا أي : يدفعون في أفقيتهم وأكتافهم دفعا بعد دفع ، فإذا وقفوا عليها وعابنوها وقفوا وقيل لهم : ﴿ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ (١٤) ﴿^(٢) وتقولون : لاحقيقة لها ولا من أخبر بها صادق ثم يقال لهم : ﴿ أَفَسِحْرٌ هَذَا ﴾^(٣) الآن كما كنتم تقولون للحق الذي جاءكم به الرسل أنه سحر وأنهم سحرة ، فهذا الآن سحر لا حقيقة له كما قلتُم أم على أبصاركم غشاوة فلا تبصرونها كما كان عليها غشاوة في الدنيا فلا تبصر الحق ؟ !

أفعميت أبصاركم اليوم عن رؤية هذا الحق كما عميت في الدنيا ؟

ثم سلب عنهم نفع الصبر^(٤) الذي كانوا في الدنيا إذا دهمتهم الشدائد وأحاطت بهم لجأوا إليه وتعللوا بانقضاء البلية^(٥) بانقضاء أمدها فقليل لهم : يومئذ : اصبروا أو لا تصبروا كلاهما سواء عليكم لا يجدي عليكم الصبر ولا الجزع ، فلا الصبر يخفف عنكم حمل هذا العذاب ، ولا الجزع يعطف عليكم قلوب الحزنة ، ولا يستترل لكم الرحمة .

ثم اعلّموا بأن^(٦) الرب — تعالى — لم يظلمكم^(٧) بذلك ، وإنما^(٨) نفس أعمالكم صارت عذاباً فلم يجدوا من اقترانهم به بدا ، بل صارت عذاباً لازماً لهم كما كانت إرادتهم وعقائدهم الباطلة وأعمالهم القبيحة لازمة لهم ، ولزوم العذاب لاهله في النار بحسب لزوم تلك الإرادات الفاسدة والعقائد الباطلة وما يترتب عليها من الاعمال لهم في الدنيا فإن زال ذلك اللزوم في وقت

(١) هكذا في الأصل و المطبوع ، وفي البقية : (ولما) .

(٢) سورة الطور الآية (١٤) .

(٣) سورة الطور الآية (١٥) .

(٤) تحرفت في الأصل إلى (البصر) .

(٥) في الأصل و (ب) : (بانقضاء الثلاثة) وهو تحريف والتصويب من البقية .

(٦) في (ق) و المطبوع : (أن) .

(٧) في (ق) : (يظلمهم) .

(٨) في غير الأصل : (زيادة) هو .

ما تضده وبالتوبة النصوح زوالاً كلياً لم يعذبوا عليه في الآخرة لان أثره قد زال عن^(١) قلوبهم
والسنتهم وجوارحهم ولم يبق له أثر يترتب عليه ، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له والمادة [١/٩٧]
الفاصلة إذا زالت من البدن بالكلية لم يبق هناك / ألم ينشأ عنها ، وإن لم تنزل تلك الإرادات
والأعمال ولكن عارضها معارض أقوى منها كان التأثير للمعارض وغلب الأقوى الأضعف ، وإن
تساوى الأمران تدافعا وقاوم كل منهما الآخر ، وكان محل صاحبه جبال الاعراف بين الجنة والنار
، فهذا حكمه الله وحكمته في خلقه وأمره ونهيه وعقابه ولا يظلم ربك أحداً .



(١) في غير الأصل : (زال من قلوبهم) .

﴿ فصل ﴾

ثم ذكر سبحانه أرباب العلوم النافعة وأعمال الصالحة ، والاعتقادات الصحيحة وهم المتقون .

فذكر مساكنهم وهي الجنان وحالهم في المساكن وهو النعيم ، وذكر نعيم قلوبهم وراحتهم بكونهم ﴿ فَآكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾^(١) والفاكهة^(٢) : المعجب بالشئ المسرور المغتبط به ، وفعله فكه بالكسر يفكه فهو فكه وفاكه إذا كان طيب النفس [والفاكهة : البالي ، ومنه الفاكهة^(٣) وهي المرح الذي ينشأ عن طيب النفس]^(٤) ، وتفكته بالشئ إذا تنعمت^(٥) به ومنه الفاكهة التي تتمتع بها ومنه قوله تعالى : ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) ﴾^(٦) قيل : معناه يندمون . وهذا تفسير بلازم المعنى ، وإنما الحقيقة تزيلون عنكم التفكه ، وإذا زال التفكه خلفه ضده يقال : تحنث إذا زال الحنث عنه ، تخرج وتحوب وتأثم ومنه تفكه وهذا البناء يقال للداخل في الشئ كتعلم وتحكم^(٧) ، وللخارج كتخرج وتأثم .

والمقصود أنه سبحانه جمع لهم بين النعيمين : نعيم القلب بالتفكه ، ونعيم البدن بالأكل والشرب والنكاح ، ووقاهم عذاب الجحيم فوقاهم مما يكرهون ، واعطاهم ما يحبون ﴿ جَزَاءً وَفَاقًا (٢٦) ﴾^(٨) لانهم توقوا^(٩) ما يكره ، واتوا بما يحب ، فكان جزاءهم مطابقاً لأعمالهم ثم أخبر عن دوام ذلك لهم^(١٠) بما أفهمه قوله : ﴿ هَنِيئًا ﴾^(١١) إذ^(١٢) لو علموا زواله وانقطاعه لنعص عليهم ذلك نعيمهم ولم يكن هنيئاً^(١٣) لهم .

(١) سورة الطور الآية (١٨) .

(٢) في (ق) تحرفت إلى (الفاكهة) .

(٣) هكذا في المخطوطات ولعل الصواب والله أعلم (الفاكهة) .

(٤) سقط من الأصل .

(٥) في غير الأصل : (تمتعت) .

(٦) سورة الواقعة الآية (٦٥) .

(٧) في (م) والمطبوع : (تحلم) .

(٨) سورة النبأ الآية (٢٦) .

(٩) في المطبوع : (تركوا) .

(١٠) سقط من (ب) و (ق) .

(١١) في الأصل : (فقط) .

(١٢) في غير الأصل و (ب) : (هناءاً) .

ثم ذكر مجالسهم وهيئاتهم فيها فقال : ﴿ مُتَكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ ﴾^(١) وفي ذكر

اصطفافها تنبيه على كمال النعمة عليهم بقرب بعضهم من بعض ومقابلة بعضهم بعضاً كما قال / [٩٧/ب]

تعالى : ﴿ مُتَكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴾ (١٦)^(٢) فإن من تمام اللذة والنعيم أن يكون مع الانسان في بستانه ومثله من يحب معاشرته ويؤثر قربه ولا يكون بعيداً منه قد حيل بينه وبينه ، بل سريره إلى جانب سرير من يحبه ومقابله سرير من يحبه ، وذكر أزواجهم وأنهم الحور العين ، وقد تكرر وصفهن في القرآن بهاتين الصفتين .

قال أبو عبيدة^(٣) : جعلناهم أزواجاً كما يزوج البعل بالبعل ، جعلناهم اثنين اثنين^(٤) .

وقال يونس^(٥) : قرناهم بهن^(٦) وليس من عقد التزويج . واحتج على ذلك^(٧) بأن العرب لا تقول : تزوجت بها ، وإنما [تقول] تزوجتها^(٨) .

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾^(٩) وفي الحديث : " زوجتكها بما معك من القرآن " (١٠) .

وقال غيره : العرب تقول : (تزوجت امرأة)^(١١) ، وتزوجت بأمرأة .

(١) سورة الطور الآية (٢٠) .

(٢) سورة الواقعة الآية (١٦) .

(٣) في (ق) : (أبو عبيد) .

(٤) مجاز القرآن (٢ / ٢٣٢) ، بمعناه .

(٥) يونس : هو يونس بن حبيب بن عبدالقاهر الأصبهاني أبو بشر ، قال ابن أبي حاتم : كتبت عنه بأصبهان وهو ثقة كتب إليه المعتز كتاباً بالزور في أمر متظم تظلم إليه ومجمله وإبائه على الحق ، وكان عظيم القدر خطيراً ، معروفاً بالستر والصلاح . توفي سنة (٢٦٧ هـ) انظر : الجرح والتعديل (٩ / ٢٣٧) ، غاية النهاية (٢ / ٤٠٦)

(٦) انظر : الصحاح للجوهري (١ / ٣٢٠) مادة (زوج) .

(٧) في (م) و (ق) والمطبوع : (على هذا) .

(٨) سقط من الأصل و (ب) .

(٩) سورة الأحزاب الآية (٣٧) .

(١٠) أخرجه البخاري في (٣٩) كتاب الكفالة (٩) باب وكالة المرأة الإمام في النكاح ح (٢٣١٠) ، ومسلم في (١٦) كتاب النكاح ، (١٣) باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد وغير ذلك من قليل أو كثير . . . ح (١٤٢٥) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه .

(١١) سقط من (المطبوع) .

وقال الأزهري : العرب تقول زوجته امرأة وتزوجت امرأة ، وليس في كلامهم تزوجت بأمرأة^(١).

وقوله تعالى : ﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ أي : قرناهم ، وعلى هذا فزوجناهم عند هؤلاء من الاقتران والشفع أي : شفعنهم . وقرناهم بهن .

وقالت طائفة : منهم مجاهد : زوجناهم بهن أي : أنكحناهم إياهن^(٢). قلت : وعلى هذا فتلويح فعل التزويج قد دل على النكاح وتعديته بالباء المتضمنة معني الاقتران والضم ، فالقولان واحد والله أعلم .

وأما الحور العين : فقال مجاهد : التي يحار فيها الطرف بادياً مخ سوقهن من وراء ثيابهن ، وتروي^(٣) الناظر وجهه في كبد أحدهن كالمرأة ، من رقة الجلد وشفاء اللون^(٤).

وقال قتادة : بحور : أي بيض^(٥) ، وكذلك قال ابن عباس^(٦). وقال مقاتل : الحور : البيض الوجوه ، العين : الحسان الأعين^(٧) .

وعين حوراء شديدة السواد ، نقية البياض طويلة الاهداب مع سوادها كاملة الحسن ، ولا

تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد^(٨) / فوصفهن بالبياض والحسن [١/٩٨] والملاحه كما قال (تعالى) : ﴿ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ (٧٠) ^(٩) فالبياض في ألوانهن والحسن في وجهوهن والملاحه في عيونهن .

وقد وصف الله سبحانه نساء الجنة بأحسن الصفات ، ودل بما وصف على ما سكت عنه.

فإن شئت التفصيل فالذي يحمد ويستحب من وجه المرأة وبدنها وأخلاقها :

(١) تهذيب اللغة (١٥٢/١) مادة (زواج) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره بإسناده (١٣٦/٢٥) وذكره الواحدي في البسيط (٤٣٠/٢) ت/السحبياني .

(٣) في غير الأصل : (ويرى) .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٦/٢٥) .

(٥) قول قتادة أخرجه الطبري في تفسيره بإسناده (١٣٦/٢٥) ورد ذكره أيضاً في البسيط (٤٣١/٢) ت. السحبياني .

(٦) ذكر هذا القول عنه الواحدي في البسيط (٤٣١/٢) والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١/١٦) ط. دار الكتب العلمية .

(٧) تفسير مقاتل (١٧١/ب) .

(٨) في المطبوع : (بياض لون الجسد) ، وانظر البسيط (٤٣٠/٢ - ٤٣١) .

(٩) سورة الرحمن الآية (٧٠) .

البياض في أربعة أشياء : اللون ، وبياض العين ، والفرق والثغر ، والسواد في أربعة : سواد العين ، وسواد شعر الرأس ، وسواد شعر الجفن ، وسواد الحاجبين ، والحمرة في أربعة : اللسان ، والشفيتين ، والوجنتين ، وحمرة تشوب البياض فتحسنه وتزينه ، ومن التدوير أربعة أشياء : الوجه والرأس والكعب والمقعد ، ومن الطول أربعة : القامة ، والعنق ، والشعر ، والحاجب ، ومن ^(١) السعة في أربعة : الجبهة ، والعين ، والوجه ، والصدر ، ومن الصغر في أربعة : الثدي ، والقم ، والكف ، والقدم ، ومن الطيب في أربعة : الفم ، والانف ، والفرق ، والفرج ، ومن الضيق : في موضع واحد ^(٢) ، ومن الاخلاق كما قال الله تعالى : ﴿عُرْبًا أَثْرَابًا﴾ ^(٣) فالعرب : جمع عروب (وهي المرأة المحبة ^(٤) إلى زوجها بأخلاقها ولطافتها وشمائلها .

قال ابن الأعرابي : العرب من النساء : المطيعة لزوجها ، المتحبة إليه . وقال أبو عبيدة : هي الحسنة التبعل ^(٥) .

قال المبرد : هي العاشقة لزوجها ^(٦) .

وقال البخاري في صحيحه : هي الغنجة ، ويقال الشكلة ^(٧) .

فهذا وصف أخلاقهن ، وذاك وصف خلقهن ، وأنت إذا تأملت الصفات التي وصفهن الله بها رأيتهن مستلزمة لهذه الصفات ولما وراءها ، والله المستعان .



(١) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(٢) انظر : روضة المحبين لابن القيم من (٢٨١-٢٨٢) .

(٣) سورة الواقعة الآية (٣٧) .

(٤) في غير الأصل : (المتحبة) .

(٥) انظر : مجاز القرآن (٢٥١/٢) .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (٣٦٠/٢) مادة (عرب) .

وهذا الكلام نقله ابن القيم عن الواحدي في البسيط (٣٨٣/١) ت.فاضل المحوي .

(٧) صحيح البخاري (٦٥) كتاب التفسير (٥٦) سورة الواقعة (الترجمة) قال البخاري : (عرباً) مثقلة واحدها عروب ، مثل صبور وصبر يسميها أهل مكة (العربة) ، وأهل المدينة : (الغنجة) ، وأهل العراق : (الشكلة) صحيح البخاري (٣٠٣/٣) .

﴿ فصل ﴾

ثم أخبر سبحانه عن تكميل نعيمهم بإلحاق ذرياتهم بهم في الدرجة وإن لم يعملوا أعمالهم لتقر أعينهم بهم ، ويتم سرورهم وفرحهم .

وأخبر سبحانه أنه لم ينقص الآباء من عملهم من شيء بهذا / الإلحاق فيترهم من الدرجة [٩٨/ب] العليا إلى السفلى ، بل ألحق الأبناء بالآباء ، ووفر على الآباء أجورهم ودرجاتهم .
ثم أخبر سبحانه أن هذا إنما هو فعله في أهل الفضل ، وأما أهل العدل فلا يفعل بهم ذلك ، بل كل أمرئ بما كسب رهين .

ففي هذا دفع لتوهم التسوية بين الفريقين في هذا الإلحاق . وكما في قوله (تعالى) : ﴿ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ^(١) رفع لتوهم حط الآباء إلى درجة الأبناء ، وقسمة أجور الآباء بينهم وبين الأبناء فينقص ^(٢) أجر أعمالهم ، فرفع هذا التوهم بقوله ، : ﴿ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ أي : ما نقصناهم .

ثم ذكر إمدادهم باللحم والفاكهة والشراب ، وأنهم يتعاطون كؤوس الشراب بينهم ، يشرب أحدهم ويناوله صاحبه ليتم بذلك فرحهم وسرورهم . ثم نزه ذلك الشراب عن الآفات من اللغو من أهله عليه ، ولحوق الإثم لهم فقال : ﴿ لَا لَعْوُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ ﴾ ^(٣) فنفي باللغو : السباب والتخاصم والمهرج والفحش في المقال والعريضة ونفي بالتأثيم : جميع الصفات المذمومة التي أئمت شارب الخمر ، وقال سبحانه ﴿ وَلَا تَأْتِيهِمْ ﴾ ، ولم يقل : ولا إثم ، أي : ليس فيها ما يحملهم على الإثم ، ولا يؤثم بعضهم بعضاً بشرها ، ولا يؤثمهم الله بذلك ولا الملائكة ، فلا يلغون ولا يأثمون .

قال ابن قتيبة : لا تذهب بعقولهم فيلغوا ، ولم يقع منهم ما يؤثمهم ^(٤) .

(١) سورة الطور الآية (٢١) .

(٢) في غير الأصل والمطبوع : (فينتقص) .

(٣) سورة الطور الآية (٢٣) .

(٤) تفسير غريب القرآن ص (٣٦٦) .

ثم وصف خدمهم الطائفين عليهم بأنهم كاللؤلؤ في بياضهم ، والمكنون : المصون الذي لا تدنسه الأيدي ، فلم تذهب الخدمة تلك المحاسن وذلك اللون والصفاء والبهجة ، بل مع انتصاهم بخدمتهم كأنهم لؤلؤ مكنون .

ووصفهم في موضع آخر بأن : ﴿رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لَوْلَا مَنُورًا (١٩)﴾^(١) ففي ذكره المنور إشارة إلى تفرقهم في حوائج ساداتهم وخدمتهم وذهابهم ومجيئهم وسعة المكان بحيث لا يحتاجون^(٢) أن ينضم بعضهم إلى بعض فيه لضيقه .

ثم ذكر سبحانه ما يتحدثون به هناك / وأنهم يقولون : ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦)﴾^(٣) أي : كنا خائفين في محل الأمن بين الأهل والأقارب والعشائر ، فأوصلنا ذلك الخوف والإشفاق إلى أن من الله علينا فأمننا مما نخاف ﴿وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧)﴾^(٤) وهذا ضد حال الشقي الذي كان في أهله مسرورا ، فهذا كان مسرورا مع إساءته ، وهؤلاء كانوا مشفقين مع إحسانهم ، فبدل الله سبحانه إشفاقهم بأعظم الأمن ، وبدل أمن أولئك بأعظم المخاوف . فبالله المستعان .

ثم أخبر (تعالى) عن حالهم في الدنيا ، وأنهم كانوا يعبدون الله فيها ، فأوصلتهم عبادته وحده إلى قربهِ وجواره ومحل كرامته والذي جمع لهم ذلك كله بره ورحمته فإنه هو البر الرحيم ، فهذا هو المقسم عليه بتلك الأقسام الخمسة في أول السورة والله أعلم .



(١) سورة الإنسان الآية (١٩) .

(٢) في (م) و (ق) زيادة (إلى) .

(٣) سورة الطور الآية (٢٦) .

(٤) سورة الطور الآية (٢٧) .

❦ فصل ❦

{ القسم في سورة الذاريات }

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا (٤) ﴾ (١) .

أقسم (سبحانه) بالذاريات وهي الرياح تذرّوا المطر وتذرّوا التراب ، وتذرّوا النبات إذا تشمّ كما قال تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ﴾ (٢) أي تفرقه وتنشره ، ثم بما فوقها وهي السحاب الحاملات وقرًا أي: ثقلاً من الماء وهي روايا الأرض يسوقها الله سبحانه على متون الرياح . كما في جامع الترمذي من حديث الحسن عن أبي هريرة قال : " بينما نبي الله ﷺ جالس وأصحابه (٣) ، إذ أتى عليهم سحاب . فقال نبي الله ﷺ : هل تدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : (هذا العنان) (٤) ، هذه روايا الأرض يسوقها (٥) تبارك وتعالى إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونهم (٦) " .

ثم أقسم سبحانه بما فوق ذلك وهي " الجاريات يسراً " وهي النجوم التي فوق الغمام ، ويسراً أي : مسخرة مذلة منقادة . وقال جماعة من المفسرين : إنها السفن تجري ميسرة في الماء جرياً سهلاً ، ومنهم من لم يذكر غيره .

واختار شيخنا رحمه الله القول الأول / وقال : هو أحسن في الترتيب ، والانتقال من [٩٩/ب]

السافل إلى العالي ، فإنه بدأ بالرياح وفوقها السحاب وفوقه النجوم وفوقها الملائكة المقسمات أمر الله الذي أمرت به بين خلقه .

(١) سورة الذاريات الآيات (١ - ٤) .

(٢) سورة الكهف الآية (٤٥) .

(٣) في (م) و (ق) والمطبوع : (في أصحابه) .

(٤) يابض هنا في (ق) .

(٥) في (ق) والمطبوع : (يسوقها الله) .

(٦) الحديث أخرجه الترمذي في سننه (٤٨) كتاب التفسير ، باب من سورة الحديد ح (٣٢٩٨) ، وأحمد في مسنده (٢٧٠/٢) ، وابن أبي عاصم في السنة (٢٥٤/١) ح (٥٧٨) ، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة في (٩) ذكر عرش الرب تبارك وتعالى وكرسیه . . ح (٢٠١-٢٠٢) ، والبيهقي في الأسماء والصفات في باب ما جاء في العرش والكرسي ح (٨٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . قال الترمذي هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وقال : ويروى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد قالوا : لم يسمع الحسن من أبي هريرة . وقال البيهقي : وفي رواية الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه انقطاع ، ولا تثبت سماعه من أبي هريرة ، وروي من وجه آخر منقطع عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً .

والصحيح أن المقسمات أمراً لا تختص بأربعة . وقيل : هم جبريل يقسم الوحي ، والعذاب ، وأنواع العقوبة ، على من خالف الرسل ، وميكائيل على القطر . والبرد ، والثلج والنبات يقسمها بأمر الله ، وملك الموت : يقسم المنايا بين الخلق بأمر الله تعالى ، واسرافيل : يقسم الأرواح على أبدانها عند النفخ في الصور ، وهم المدبرات أمراً وليس في اللفظ ما يدل على الاختصاص بهم والله أعلم .

وأقسم سبحانه بهذه^(١) الأربعة لمكان العبرة والاية والدلالة الباهرة على ربوبيته ووجدانيته وعظم قدرته .

ففي الرياح من العبر : هبها وسكونها ، ولينها وشدتها ، واختلاف طبائعها وصفاتها ومهامها وتصريفها ، وتنوع منافعها وشدة الحاجة إليها ، فللمطر : خمس رياح : ريح ينشر سحابه ، وريح يؤلف بينه ، وريح تلقحه ، وريح تسوقه حيث يريد الله ، وريح تذروا ماءه وتفرقه ، ، للنبات ريح ، وللسفن ريح ، وللرحمة ريح ، وللعذاب ريح ، إلى غير ذلك من أنواع الرياح . وذلك يقضي بوجود خالق مصرف لها ، مدبر لها ، ويصرفها كيف يشاء . ويجعلها رخاءاً تارة وعاصفة تارة ، ورحمة تارة ، وعذاباً تارة ، فتارة يحيي به^(٢) الزروع والثمار ، وتارة يقطعها^(٣) بها ، وتارة ينجي بها السفن وتارة يهلكها بها ، وتارة ترطب الابدان ، وتارة تذيبها ، وتارة عقيماً وتارة لاقحة ، وتارة جنوباً ، وتارة دبوراً وتارة صباً وتارة شمالاً وتارة بين ذلك ، وتارة حارة وتارة باردة .

وهي مع غاية قوتها ألطف شئ ، وأقبل المخلوقات لكل كيفية ، سريعة التأثير والتأثير ،

لطيفة المسارق بحر بين^(٤) السماء والأرض ، إذا قطع عن الحيوان الذي على وجه الأرض هلك [١٠٠/١] كبحر الماء الذي إذا فارقه حيوان الماء هلك ، يحبسها الله سبحانه / إذا شاء ويرسلها إذا شاء ، تحمل الأصوات إلى الابدان ، والرائحة إلى الأنف ، والسحاب إلى الأرض الجزر وهي من روح الله تأتي بالرحمة ، ومن عقوبته تأتي بالعذاب .

(١) في غير الأصل : زيادة (الأمور) .

(٢) في غير الأصل و (ب) : (يحييها) .

(٣) في (م) و (ق) : (يقطعها) ، وفي المطبوع : (يغطيها) .

(٤) محتملة في الأصل و (ب) لكلمة (تحرس) ، وفي (م) و (ق) (بحر بين) ، وفي المطبوع : (بين) من غير (بحر) .

وهي أقوى خلق الله ، كما رواه الترمذي في جامعه من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : " لما خلق الله الأرض جعلت قميذ ، فخلق الجبال ، فقال بها عليها فاستقرت فعجبت الملائكة من شدة الجبال وقالوا : يارب هل من خلقك شئ أشد من الجبال ؟ قال : نعم ، الحديد ، قالوا : يارب فهل من خلقك شئ أشد من الحديد ؟ ، قال : نعم ، النار ، قالوا : يارب فهل من خلقك شئ أشد من النار ؟ ، قال : نعم الماء ، قالوا : يارب فهل من خلقك شئ أشد من الماء ؟ ، قال : نعم الريح ، قالوا : يارب فهل من خلقك شئ أشد من الريح ؟ ، قال : نعم : ابن آدم ، تصدق بصدقة يمينه يخفيها من شماله " (١) . ورواه الامام أحمد في مسنده (٢) . وفي الترمذي : في حديث قصة عاد أنه لم يرسل عليهم [من الريح] (٣) إلا قدر حلقة الخاتم ، فلم تذر من شئ أتت عليه : إلا جعلته كالريم (٤) . وقد وصفها الله سبحانه بألها عاتية . قال البخاري في صحيحه : عنت على الخزنة فلم يستطيعوا أن يردوها (٥) . والمقصود أن الرياح من أعظم آيات الرب الدالة على عظمتة وربوبيته وقدرته .



(١) أخرجه الترمذي في سننه في (٤٨) كتاب التفسير . باب ح (٣٣٦٩) وأبو الشيخ في العظمة في (٢٧) ذكر الرياح ح (٨٧٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان في (٢٢) باب في الزكاة ، فصل في الاختيار في صدقة القنطوع ، ح (٣٤٤١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه . قال الألباني معلقاً : يعني ضعيف وعنته أن فيه سليمان بن أبي سليمان قال الهذلي : لا يكاد يعرف . انظر : مشكان المصابيح (٦٠٠/١) .

(٢) مسند الإمام أحمد (١٢٤/٣) .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل .

(٤) سنن الترمذي (٤٨) كتاب التفسير باب ومن سورة الذاريات ، ح (٣٢٧٣-٣٢٧٤) .

(٥) صحيح البخاري (٦٥) كتاب أحاديث الأنبياء ، (٦) باب قول الله تعالى : ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً ﴾ في الترجمة ، وأيضاً في تفسيره سورة الفرقان استطراداً .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : (أما تفسير الصرصر بالشديدة فهو قول أبي عبيدة في الجاز ، وأما تفسير ابن عيينة فرويناه في تفسيره رواية سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عنه عن غير واحد في قوله : (عاتية) قال : (عنت على الخزان ، وما خرج منها إلا مقدار الخاتم) ، وقد وقع متصلاً بحديث ابن عباس الذي في هذا الباب عند الطبراني .. وأخرجه ابن مردويه من وجه آخر . . وجاء نحوها عن علي موقوفاً أخرجه ابن أبي حاتم من طريقه قال : (لم يزل الله شيئاً من الريح إلا يوزن على يدي ملك إلا يوم عاد فإنه أذن لها دون الخزان ، عنت على الخزان) ومن طريق قبضة بن ذؤيب أحد كبار التابعين نحوه بإسناد صحيح (الفتح (٤٣٤/٦)

فصل ٥

ثم أقسم بالسحاب وهو من أعظم آياته ، بخار ينشئه الله في الجو في غاية الخفة ، ثم يحمل الماء والبرد فيصير أثقل شئ فيأمر الرياح فتحمله على متونها ، وتسير به حيث أمرت فهو مسخر بين السماء والأرض حامل لأرزاق العباد والحيوان ، فإذا أفرغه حيث أمر به ، أضمحل وتلاشى بقدرة الله فإنه لو بقي لأضر بالنبات والحيوان فأنشأه سبحانه في زمن يصلح انشاؤه فيه ، وحمله من الماء ما يحمله وساقه إلى بلد / شديد الحاجة إليه فسل السحاب من أنشأه بعد عدمه ؟ ، ومن [١٠٠/ب] حمله الماء والثلج والبرد ؟ ، ومن حمله على ظهور الرياح ؟

ومن أمسكه بين السماء والأرض بغير عماد ؟ ، ومن أغاث بقطره العباد ؟ ، وأحيا به البلاد ، وصرفه بين خلقه كما أراد ؟ ، وأخرج ذلك القطر بقدر معلوم ؟ ، وأنزله منه و أفناه بعد الاستغناء عنه ولو شاء لأدامه عليهم فلم يستطيعوا إلى دفعه سيلاً ولو شاء لأمسكه عنهم فلا يجدون إليه وصولاً ؟

فإن [لم] ^(١) يحبك حواراً ، أجابك اعتباراً ^(٢).

وسئل الرياح : من أنشأها بقدرته ؟ ، وصرفها بحكمته ؟ ، وسخرها بمشئته ؟ وأرسلها بشراً بين يدي رحمة ؟ ، وجعلها سبباً لتمام نعمته ؟ ، وسلطها على من شاء بعقوبته ؟ ، ومن جعلها رخاء وذارية ولا قحة ومثيرة ومؤلفة ومغذية لأبدان الحيوان والشجر والنبات ؟ وجعلها قاصفاً وعاصفاً ومهلكة وعاتية إلى غير ذلك من صفاتها ؟ ، فهل ذلك لها من نفسها وذاتها ؟ أم تدبير مدبر شهدت الموجودات بربوبيته ؟ ، وأقرت المصنوعات بوحدانيته ؟ بيده النفع والضرر ، وله الخلق والأمر . تبارك الله رب العالمين .

وسئل الجاريات يسراً من السفن ، من ^(٣) أمسكها على وجه الماء ، ومن سخر لها البحر ؟ ومن أرسل لها الرياح التي تسوقها في ^(٤) الماء ، سوق السحاب على متون الرياح ؟ ومن حفظها في

(١) سقط من الأصل .

(٢) في المطبوع : (فإن لم يحبك جواباً ، حباك اعتبار مرسل الرياح) قال في الهامش : هكذا في الأصل وهو خطأ شنيع . الخ .

(٣) سقط من (م) .

(٤) في (م) و (ق) : (إل) ، وفي المطبوع : (على) .

مجرها ومرساها من طغيان الماء وطغيان الريح ؟ فمن الذي جعل الريح لها بقدر لو زاد عليها لأغرقها ، ولو نقص عنه لعاقها ؟ ومن الذي أجرى لها ريحاً واحدة تسير بها ، ولم يسلط على تلك الريح ما يصادمها ويقاومها . فتموج (في البحر) ^(١) يمينا وشمالاً تتلاعب بها الرياح ؟

ومن الذي علم الخلق الضعيف صنعة هذا البيت [العظيم الذي ^(٢)] ، يمشي على الماء فيقطع المسافة البعيدة ويعود إلى بلده يشق / الماء ويمخره مقبلاً ومدبراً بريح واحدة تجري في موج كالجبال ؟ : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِنَّ يَشَأْ يُسْكِنَ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ أَنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٤) ﴾ ^(٣) .

ومن الذي حمل في هذا البيت نبيه وأولياءه خاصة ، وأغرق جميع أهل الأرض سواهم ؟ وسئل الجاريات يسرا من الكواكب والشمس والقمر من الذي خلقها ، وأحسن خلقها ، ورفع مكانها ، وزين بها قبة العالم ، وفاوت بين أشكالها ، ومقاديرها ، وألوانها ، وحركاتها ، وأماكنها من السماء ، فمنها الكبير ومنها الصغير والمتوسط والأبيض والأحمر والزجاجي اللون ، والدري اللون والمتوسط في قبة الفلك والمتطرف في جوانبها وبين ذلك ؟ .

ومنها ما يقطع الفلك في شهر ومنها ما يقطعه في عام ومنها ما يقطعه في ثلاثين عاماً ، ومنها ما يقطعه في أضعاف ذلك ، ، ومنها ما لا يزال ظاهراً لا يغيب بحال ، فهو أبدي الظهور ، ومنها أبدي الخفاء ، ومنها ما له حالتان : ظهور واختفاء ، ومنها ماله حركتان : حركة عرضية من المشرق إلى المغرب ، وحركة ذاتية من المغرب إلى المشرق . فحال ما يأخذ الكوكب في الغروب فإذا كوكب آخر في [مقابلته ، وكوكب آخر قد طلع ، وهو آخذ في الارتفاع والتصاعد ، وكوكب آخر في] ^(٤) الربع الشرقي وكوكب آخر في وسط السماء وكوكب آخر قد مال عن الوسط وكوكب آخر قد دنا من الغروب ، وكأن رقيه ينتظر بطلوعه غيبته .

(١) سقط من (ق) .

(٢) سقط من الأصل .

(٣) سورة الشورى الآيات (٣٢-٣٤) .

(٤) سقط من الأصل .

وأنت إذا تأملت أحوال هذه الكواكب وجدتها تدل على المعاد كما تدل على المبدأ ،
وتدل على وجود الخالق وصفات كماله وربوبيته وحكمته ، ووحدانيته أعظم دلالة : وكل ما دل
على صفات جلاله ونعوت كماله دل على صدق رسله ، فكما جعل الله (تعالى) ^(١) النجوم
هداية في طرق البر والبحر فهي هداية في طريق العالم بالخالق سبحانه وقدرته وعلمه وحكمته / [١٠٠/ب]
والمبدأ والمعاد والنبوة ودلالاتها على هذه المطالب لا تقصر عن دلالتها على طرق البر والبحر . بل
دلالتها للعقول على ذلك أظهر من دلالتها على الطرق الحسية فهي هداية في هذا وهذا .



(١) سقط من غير الأصل و (ب) .

﴿ فصل ﴾

وأما دلالة المقسمات أمرا وهم الملائكة ، فلأن ما يشاهد من تدبير العالم العلوي والسفلي ، وما لا يشاهد إنما هو على أيدي الملائكة ، فالرب تعالى يدبر بهم أمر العالم ، وقد وكل بكل عمل من الأعمال طائفة منهم : فوكل بالشمس والقمر والأفلاك والنجوم طائفة منهم ، ووكل بالقطر والسحاب طائفة ، ووكل بالنبات طائفة ، ووكل بالأجنة والحيوان طائفة . ووكل بالموت طائفة ، [ويحفظ بني آدم طائفة ، وبإحصاء أعمالهم وكتابتها طائفة ، وبالوحي طائفة ، وبالجمال طائفة]^(١) وبكل شأن من شئون العالم طائفة ، هذا مع ما في خلق الملائكة من البهاء والحسن ، وما فيه من القوة والشدة ولطافة الجسم وحسن الخلقة وكمال الانقياد لأمره والقيام في خدمته وتنفيذ أوامره في أقطار العالم .

ثم أقسم سبحانه بهذه الأمور على صدق وعده ووقوع جزائه بالثواب والعقاب فقال (تعالى) : ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ (٥) ﴾^(٢) أي : ما توعدون من أمر الساعة والثواب والعقاب لحق كائن وهو وعد صدق لا كذب : ﴿ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦) ﴾^(٣) أي أن الخير الكائن لا محالة .

١- ويجوز أن تكون ما موصولة والعائد محذوف والمعنى : أن الذي يوعدونه لصادق أي كائن وثابت .

٢- وأن تكون مصدرية أي : أن وعدكم لحق وصدق^(٤) .

ووصف الوعد بكونه صادقاً أبلغ من وصفه بكونه صدقاً ولا حاجة إلى متكلف^(٥) جعله بمعنى مصدوقاً فيه بل هو صادق^(٦) ، كما يوصف المتكلم بأنه صادق في كلامه بوصف^(٧) كلامه

(١) سقط من الأصل .

(٢) سورة الذاريات الآية (٥) .

(٣) سورة الذاريات الآية (٦) .

(٤) انظر : البحر المحيط (١٣٤/٨) ، والدر المصون (٤٠/١٠ - ٤١) .

(٥) في غير الأصل و (ب) : (تكلف) .

(٦) في (م) و (ق) و (ط) زيادة : (نفسه) .

(٧) في (م) و (ق) و (ط) : (فوصف) .

بأنه صدق ، وهذا مثل قولهم : سر كاتم ، وليل قاتم ، ونهار صائم ، وماء دافق ، ومنه ﴿ عِشَّةٌ رَاضِيَةٌ ﴾ (٧) ^(١) وليس ذلك بمجاز ولا مخالف لمقتضى التركيب ، وإذا / تأملت هذا التناسب [١/١٠٢] والارتباط بين المقسم به والمقسم عليه وجدته دالاً عليه مرشداً إليه .

ثم أقسم سبحانه بالسماء ذات الحبك .

أصل الحبك في اللغة : إجادة النسج . يقال : حبك الثوب إذا أجاد نسجه ، وحبل محبوك إذا كان شديد الفتل ، وفرس محبوك الكفل أي : مدبجة . وقال شمر ^(٢) : المحبوك في اللغة ما أجيد عمله وذاته محبوكة إذا كانت مدبجة الخلق . وقال أبو عبيدة والمبرد : الحبك : الطرائق ^(٣) ، واحدها : حباك ، وحباك الحمام : طرائق على جناحيه وحبك الماء طرائقه ^(٤) .

وقال الفراء : الحبك : تكسير كل شئ كالرمل إذا مرت به الريح والماء الدائم إذا مرت به الريح وتجعد الشعر حبك أيضاً ، واحدها حبيكة ، مثل : طريقة وطرق ^(٥) ، وحباك مثل : مثال ومثل ^(٦) .

والمقصود بهذا كله ما أفصح به ابن عباس فقال : يريد الخلق الحسن ^(٧) .

وروى سعيد بن جبير عنه قال : الحبك حسننها واستواؤها ^(٨) .

وقال قتادة : ذات الخلق الشديد ^(٩) .

وقال مجاهد : متقنة البنيان ^(١) .

(١) سورة القارعة آية (٧) .

(٢) شمر : هو شمر بن حمدويه الهروي ، أبو عمرو ، لقي ابن الأعرابي وأبا عبيدة والأصمعي والفراء وغيرهم . ألف كتاباً في اللغة كبيراً على حروف المعجم ولكن فقد بحوثه رحمه الله .

انظر : إنباه الرواة (٧٧/٢) . معجم الأدباء (٢٧٤/١١) . وورد في الأصول : (شهر) وهو تحريف ، والتصويب من المطبوع وتغذيب اللغة للأزهري .

(٣) في المطبوع : (الطريق) .

(٤) انظر : مجاز القرآن (٢٢٥/٢) ، تغذيب اللغة (١٠٨/٤) مادة (حبك) .

(٥) في المطبوع : (طرق وطريقة) .

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء (٨٢/٢) بتصرف .

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره من عدة طرق عن ابن عباس (١٨٩/٢٦ - ١٩٠) وإسناده حسن كما قال صاحب تفسير الصحيح (٣٨٧/٤) وورد ذكره أيضاً في البسيط (١١٤/١) .

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره بإسناده (١٨٩/٢٦) وإسناده صحيح كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٦٦/٨) .

(٩) وورد ذكره أيضاً في البسيط (١١٤/١) .

(٩) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٤٢/٢) ، وكذلك الطبري في تفسيره بإسناده (١٩٠/٢٦) وورد ذكره أيضاً في البسيط (١١٤/١)

وقال أيضا: ذات الطرائق ، ولكنها بعيدة من العباد فلا يرونها كحباك الماء إذا ضربته الريح ، وكحباك الرمل ، وحباك^(٢) الشعر^(٣) .

وقال عكرمة : بنياها كالبرد المسلسل^(٤) .

قلت : وفي الحديث في صفة الدجال . (رأسه حباك)^(٥) أي جعد الشعر ومن أحسن ما قيل في تفسير الحباك ما ذكره الترمذي في تفسير الجامع من حديث الحسن عن أبي هريرة^(٦) أن رسول الله ﷺ قال : " هل تدرون ما فوقكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإنها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف "^(٧) وذكر الحديث .



(١) انظر تفسير مجاهد (٦١٦/٢) ، وكذا أخرجه الطبري في تفسيره بإسناده (١٩٠/٢٦) ، ونقله عنه الواحدي في البسيط (١١٥/١) ، والبغوي في معالم التنزيل (٣٧١/٧) .

(٢) في المطبوع : (وكحباك) .

(٣) ذكره الواحدي في البسيط (١١٥/١) ونسبه إلى مجاهد من رواية الكلبي ولم أجده عند غيره منسوبا لمجاهد ، وذكر الواحدي أيضا في تفسيره الوسيط (١٧٤/٤) أنه مروي عن مقاتل والكلبي ، وكذلك البغوي في تفسيره (٣٧١/٧) ، وانظر تفسير مقاتل (١/)

(٤) ذكره الواحدي في البسيط (١١٥/١) .

وهذه الأقوال جميعا نقلها ابن القيم عن الواحدي مع شيء من التصرف .

انظر : تفسير البسيط للواحدي (١١٢-١١٥) ت/فاضل المحوي .

(٥) أخرجه أحمد في مسنده من حديث أبي قلابة عن هشام بن عامر قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن رأس الدجال من ورائه حباك حباك . .) الحديث المسند (٢٠/٤) ، قال في المجمع : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ورواه الطبراني . حيث رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٧٥/٢٢) ح (٤٥٦) .

(٦) أبو هريرة : اختلف في اسمه على أقوال أرجحها كما يقول الذهبي : عبد الرحمن بن صخر ، أبو هريرة الدوسي اليماني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد الحفاظ الأثبات ، حدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين توفي سنة (٥٧ هـ) .

انظر : السير (٦٣٢-٥٧٨/٢) ، شذرات الذهب (٦٣/١-٦٤) .

(٧) الحديث أخرجه الترمذي في سننه في (٤٨) كتاب التفسير (٥٧) باب ومن سورة الحديد ح (٣٢٩٨) ، وأحمد في مسنده (٢٧٠/٢) ، وابن أبي عاصم في السنة (٢٥٤/١) ح (٥٧٨) ، وأبو الشيخ في العظمة (٥٦٠/٢) في (٩) ذكر عرش الربيبارك وتعالى . . ح (٢١٠) ، والبيهقي في الأسماء والصفات في باب ما جاء في العرش والكرسي ح (٨٤٩) . والحديث ضعيف الإسناد للانقطاع بين الحسن وأبي هريرة . انظر السنة (٢٥٥/١) الأسماء والصفات تعليق المحقق (٢٨٨/٢٨٧/٢) .

﴿ فصل ﴾

{ المقسم عليه في سورة الذاريات }

ثم ذكر المقسم عليه فقال : ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٨) يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أَفِّكَ (٩) ﴾ (١).

فالقول المختلف : " أقوالهم في القرآن . وفي النبي ﷺ وهو خرص كله . فإنهم لما كذبوا بالحق اختلفت مذاهبهم وأراؤهم وطرائقهم وأقوالهم . فإن الحق شئ واحد وطريق مستقيم . فمن

خالفه اختلفت به الطرق والمذاهب كما قال (تعالى) : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا / بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ [١٠٢/ب]

فِي أَمْرِ مَرِيجٍ (٥) ﴾ (٢) أي : مختلط . ملتبس . وفي ضمن هذا الجواب : إنكم في أقوال باطلة متناقضة ، يكذب بعضها بعضها بسبب تكذيبهم بالحق .

ثم أخبر سبحانه أنه يصرف بسبب ذلك القول المختلف من صرف (فعن) ههنا فيها

طرف من معنى التسيب كقوله (تعالى) : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ ﴾ (٣) (أي :

بسبب قولك) (٤) : ﴿ مَنَ أَفِّكَ (٩) ﴾ (٥) أي : من سبق في علم الله أن يضل ويؤفك كقوله تعالى

: ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ ﴾ (٦).

وقالت طائفة : الضمير يرجع إلى القرآن ، وقيل : إلى الإيمان ، وقيل : (٧) الرسول والمعنى :

يصرف عنه من صرف حتى يكذب به (٨).

ولما كان هذا القول المختلف خرصاً وباطلاً قال : ﴿ قُلِ الْخَرَّاصُونَ (١٠) ﴾ (٩) ،

أي الكذابون ، ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ﴾ (١٠) وجهالة ثم غمر قلوبهم أي :

(١) سورة الذاريات الآيتان (٨ - ٩) .

(٢) سورة ق الآية (٥) .

(٣) سورة هود الآية (٥٣) .

(٤) سقط من المطبوع .

(٥) سورة الذاريات الآية (٩) .

(٦) سورة الصافات الآيات (١٦١ - ١٦٣) .

(٧) في المطبوع : (إلى الرسول) .

(٨) انظر : البسيط (١١٦ / ١) ت / المحوي .

(٩) سورة الذاريات الآية (١٠) .

(١٠) سورة الذاريات الآية (١١) . وفي المطبوع : إكمال الآية (ساهون) .

غطاها وغشاها^(١) كغمرة الماء ، وغمرة الموت ، فالغمرات ما غطاها من جهل أو هوى . أو سكر أو غفلة ، أو حب أو بعض أو خوف أو هم^(٢) وغم ، ونحو ذلك .

قال تعالى : ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا ﴾^(٣) أي غفلة ، وقيل : جهالة ثم وصفهم بأنهم ساهون في غمرتهم ، والسهو : الغفلة عن الشيء ، وذهاب القلب عنه^(٤) ، والفرق بينه وبين النسيان : أن النسيان الغفلة بعد الذكر والمعرفة ، والسهو لا يستلزم ذلك .

ثم قال : ﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴾ (١٢) ﴿^(٥) استبعاداً لوقوعه وجرماً . فأخبر تعالى أن ذلك ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾^(٦) [المشهور في تفسير هذا الحرف أنه بمعنى : يحرقون ، ولكن لفظه (على) تعطي معنى زائداً على ما ذكره ، ولو كان المراد نفس الحريق ل قيل : يوم هم في النار يفتنون]^(٧) ، ولهذا لما علم هؤلاء ذلك قال كثير منهم (على) بمعنى (في) ، كما يكون (في) بمعنى (على) .

والظاهر : أن فتنتهم على النار قبل فتنتهم فيها ، فلهم عند عرضهم عليها ، ووقوفهم عليها فتنة ، وعند دخولها والتعذيب بها فتنة أشد منها ، ومن جعل الفتنة ههنا من الحريق أخذه من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾ واستشهد على ذلك أيضاً بهذه اللفظة التي في الداريات .

وحقيقة / الأمر أن الفتنة تطلق على العذاب وسببه ، ولهذا سمي الله الكفر فتنة فهم لما اتوا [١٠٣/أ]

بالفتنة التي هي أسباب العذاب في الدنيا سمي جزاءهم فتنة ، ولهذا قال : ﴿ ذُوقُوا فَتَنَتَكُمْ ﴾ وكان وقوفهم على النار وعرضهم عليها من أعظم فتنتهم ، وآخر هذه الفتنة دخول النار والتعذيب بها .

(١) في المطبوع : (أي غطتها وغشتها) .

(٢) هم (سقط من المطبوع .

(٣) سورة المؤمنون الآية (٦٣) .

(٤) انظر تهذيب اللغة (٢٦٦/٦) مادة (سه) ، والبسيط (١١٨/١) ت. المحوي .

(٥) سورة الذاريات الآية (١٢) .

(٦) سورة الذاريات الآية (١٣) .

(٧) سقط من الأصل .

ففتنوا أولا بأسباب الدنيا وزينتها ، ثم فتنوا بإرسال الرسل إليهم ، ثم فتنوا بمخالفتهم
وتكذيبهم ، ثم فتنوا بعذاب الدنيا ، ثم فتنوا بما بعد الموت ، ثم يفتنون في موقف القيامة ، ثم إذا
حشروا إلى النار ووقفوا عليها وعرضوا عليها ، وذلك من أعظم فتنهم ثم الفتنة الكبرى التي
انستهم جميع الفتن قبلها .



﴿ فصل ﴾

ثم ذكر سبحانه جزاء من خلص من هذه الفتن بالتقوى وهو الجنات والعيون ، وأنهم : ﴿ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾^(١) من الخير والكرامة^٢ .

وفي ذلك دليل على أمور: منها قبولهم له ، ومنها رضاهم به ، ومنها وصولهم إليه بلا ممانع ولا معاق^(٣) ، ومنها أن جزاءهم من جنس أعمالهم فكما أخذوا ما أمرهم به في الدنيا وقابلوه بالرضا والتسليم وانشراح الصدر أخذوا ما آتاهم من الجزاء كذلك . ثم ذكر السبب الذي أوصلهم إلى ذلك وهو إحسانهم المتضمن لعبادته وحده لا شريك له ، والقيام بحقوقه ، وحقوق عباده .

ثم ذكر ليلهم وأنهم قليل هجوعهم منه وقد قيل إن (ما) نافية ، والمعنى : ما يهجعون قليلاً من الليل ، فكيف بالكثير ؟ وهذا ضعيف لوجوه :

أحدها : أن هذا ليس بلازم لوصف المتقين الذي يستحقون هذا الجزاء .

الثاني : أن قيام من نام من الليل نصفه أحب إلى الله من قيام من قامه كله .

الثالث : أنه لو كان المراد بذلك أحياء الليل جميعه لكان أولى الناس بهذا رسول الله ﷺ وما قام ليلة حتى الصباح .

الرابع : أن الله سبحانه إنما أمر رسوله أن يتهجّد بالقرآن من الليل لا في الليل كله فقال

[١٠٣/ب]

تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ ﴾^(٤)

الخامس : أنه سبحانه لما أمره بقيام الليل في سورة المزمل إنما أمره بقيام النصف^(٥)

والنقصان منه أو الزيادة عليه ، فذكر له مراتب الثلاثة^(٦) ولم يذكر قيامه كله .

(١) سورة الذاريات الآية (١٦) .

(٢) كما هو قول ابن عباس رضي الل عنهما .

(٣) في المطبوع : (بلا ممانع ولا عائق) .

(٤) سورة الإسراء الآية (٧٩) .

(٥) في غير الأصل و (ب) : (أو) .

(٦) في غير الأصل و (ب) : (هذه المراتب الثلاثة) .

السادس : أنه ﷺ لما بلغه عن عثمان بن مظعون^(١) أنه لا ينام من الليل بعث إليه فجاءه فقال : يا عثمان أرغبت عن سنتي ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، ولكن سنتك أطلب . قال : فإني أنام وأصلي ، وأصوم وأفطر ، وانكح النساء ، فاتق الله يا عثمان فإن لاهلك عليك حقاً ، وإن لضيفك عليك حقاً ، وإن لنفسك عليك حقاً ، فصم وافطر ، وصل ونم^(٢) ، ولما بلغه عن زينب بنت جحش^(٣) أنها تصلي الليل كله حتى جعلت حبلاً بين ساريتين إذا فترت تعلقت به . أنكر ذلك وأمر بحله^(٤) .

السابع : أن الله تعالى أثنى عليهم بأنهم كانت : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾^(٥) وهذه المضاجع إنما هي مضاجع النوم ، فكانت جنوبهم تتجافى وتقلق عنها حتى يقوموا إلى الصلاة ، ولهذا جازاهم عن هذا التجافي الذي سببه قلق القلب واضطرابه حتى يقوموا^(٦) إلى الصلاة بقرة الأعين .

(١) هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب أبو السائب من سادة المهاجرين ومن أولياء الله المتقين ، توفي في السنة الثانية للهجرة . انظر : حلية الأولياء (١٠٢/١ - ١٠٦) ، الإصابة (٤٥٧/٢) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة ، (٣١٦) باب ما يؤمر به من العقص في الصلاة ح (١٣٦٣) ، وأحمد في مسنده (٢٦٨/٦) .

قاله الهيثمي في المجمع : روى أبو داود منه طرفاً رواه أحمد والبخاري وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٥٦/١) .
(٣) زينب بنت جحش هي : أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رباب بن يعمر ، وأمها أميمة بنت عبدالمطلب عمة الرسول صلى الله عليه وسلم تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن تزوجت زيد بن حارثة رضي الله عنه وهي التي نزل فيها قوله تعالى : ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها ﴾ ، وكانت أول نسائه موتاً بعده .

انظر : التهذيب (٤٥٠/١٢) .

(٤) كما روى ذلك البخاري في صحيحه في (١٩) كتاب التهجيد ، (١٨) باب ما يكره من التشديد في العبادة ح (١١٥٠) ، ومسلم في (٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، (٣١) باب أمر من تعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك ح (٧٨٤) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٥) سورة السجدة الآية (١٦) .

(٦) في (ق) والمطوبع : (يقوم) .

الثامن : أن الصحابة الذين هم أول وأولى من دخل في هذه الآية لم يفهموا منها عدم نومهم بالليل أصلاً . فروى بحير بن سعد^(١) عن سعيد^(٢) عن قتادة عن أنس في قوله تعالى : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ قال : كانوا يصلون فيما^(٣) بين المغرب والعشاء^(٤) .
التاسع : أن في هذا التقدير تفكيكاً للكلام ، وتقديماً لمعمول العامل المنفي عليه ، لأنك تجعل (قليلاً) مفعول (يهجعون) وهو منفي ، والبصريون لا يميزون ذلك ، وإن أجازة الكوفيون وفصل بعضهم : فإجازه في الظرف ، ولم يجره في غيره^(٥) .



(١)

(٢) سعيد بن أبي عروبة . أبو النضر البصري ، قال ابن معين وأبو زرعة والنسائي : ثقة ، زاد أبو زرعة : مأمون ، قال ابن معين : أثبت الناس في قتادة سعيد بن عروبة ، مات سنة ١٥٦ هـ .

^٣ في غير الأصل و (ب) : (ما) .

(٤) أخرج هذا الأثر عبدالرزاق في تفسيره (٢٤٣/٢) ، والطبري في تفسيره بإسناده (١٩٦/٢٦) ، وورد ذكره أيضاً في البسيط (١٢١/١) ، ومعالم التنزيل (٣٧٣/٧) والجامع لأحكام القرآن (٢٦/١٧) وغيرها .

(٥) في غير الأصل و (ب) : زيادة : (فصل) .

﴿ فصل ﴾

* وقيل : (ما) زائدة ، وخبر كان (يهجعون) ، و (قليلاً) منصوب إما على المصدرية أي : هجوعاً قليلاً ، وإما على الظرف أي : زمناً قليلاً .

واستشكل هذا بأن نوم نصف الليل وقيام ثلثه ، ثم نوم سدسه ، أحب القيام / إلى الله [١٠٤/أ] (عز وجل) فيكون وقت الهجوع أكثر من وقت القيام . فكيف يثنى عليهم بما الأفضل خلافه ؟ . وأجيب عن ذلك : بأن من قام هذا القيام فزمن هجوعه أقل من زمن يقظته قطعاً فإنه مستيقظ من المغرب إلى العشاء ، ومن الفجر إلى طلوع الشمس ، فيبقى ما بين العشاء إلى طلوع الفجر . فيقومون نصف ذلك الوقت فيكون زمن الهجوع أقل من زمن الاستيقاظ .

* وقيل : (ما) مصدرية ، وهي [في]^(١) موضع رفع بقليل ، أي : : كانوا قليلاً هجوعهم ، وهو قول حسن^(٢) .

* وقيل : إن (ما) موصولة . بمعنى الذي ، والعائد محذوف أي قليل من الليل الوقت الذي يهجعونه وفيه تكلف .

* وقيل : (ما يهجعون) بدل اشتمال من اسم كان ، والتقدير : كان هجوعهم من الليل قليلاً ، ويرد عليه أن (من الليل) متعلق بيهجعون ومعمول المصدر لا يتقدم عليه ، واجيب عنه : أنه منصوب على التفسير ومعناه : أن يقدر له فعل محذوف ينصبه ، يفسره هذا المذكور .

* وقيل : (قليلاً) خبر كان ، وتم الكلام بذلك والمعنى : كانوا صنفاً أو جنساً قليلاً . ثم قال : (من الليل ما يهجعون) ، وأصحاب هذا القول يجعلون (ما) نافية . فيعود الكلام إلى نفي هجوعهم شيئاً من الليل . وقد تقدم ما فيه^(٣) .

(١) سقط من الأصل .

(٢) في غير الأصل و (ب) : (وهو قول الحسن) .

(٣) انظر هذه الأقوال في :

معاني القرآن للفراء (٨٤/٣) ، جامع البيان (١٩٦/٢٦ - ٢٠٠) ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥٣/٥) ، الكشاف (٣٩٨/٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٥/١١٧) ، البحر المحيط (١٣٥/٨) الدر المنثور (٤٥/١٠) .

قال الطبري رحمه الله بعد سياق الأقوال : " وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله تعالى : ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ﴾ قول من قال : كانوا قليلاً من الليل هجوعهم ، لأن الله تبارك وتعالى وصفهم بذلك مدحاً لهم ، وأثنى عليهم به ، فوصفهم بكثرة العمل ، وسهر الليل ، ومكابدته فيما يقرهم منه ، ويرضيه عنهم أولى وأشبه من وصفهم من قلة العمل وكثرة النوم ، مع أن الذي اخترنا في ذلك هو أغلب المعاني على ظاهر التزويل . جامع البيان (٢٠٠/٢٦) .

ثم أخبر عنهم بأنهم مع صلاتهم بالليل كانوا يستغفرون الله عند السحر ، فحتموا صلاتهم بالاستغفار والتوبة فباتوا لرهم سجداً وقياماً؟ ثم تابوا إليه واستغفروه ، عقيب ذلك . وكان النبي ﷺ إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثاً^(١) . وأمره الله سبحانه أن يختم عمره بالاستغفار^٢ ، وأمر عباده أن يختموا إفاضتهم من عرفات بالاستغفار^(٣) ، وشرع ﷻ للمتوضئ أن يختم وضوءه بالتوبة^(٤) ، فأحسن ما ختمت به الأعمال التوبة والاستغفار .

ثم أخبر سبحانه عن إحسانهم إلى الخلق مع إخلاصهم لرهم / ، فجمع لهم بين الإخلاص [١٠٤/ب والإحسان ضد حال ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ ، وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾^(٥) . وأكد إخلاصهم في هذا الإحسان بأن يصرفه إلى السائل والمحروم الذي لا يقصد بعطائه الجزاء منه ، ولا الشكور والمحروم المتعفف الذي لا يسأل .

وتأمل حكمة الرب تعالى في كونه حرمه بقضائه ، وشرع لأصحاب الجدة إعطاءه ، وهو (سبحانه) أغنى الأغنياء ، وأجود الأجودين ، فلم يجمع عليه بين الحرمان بالقدر وبالشرع ، بل شرع عطاءه بأمره ، وحرمة بقدره فلم يجمع عليه حرمانين .



(١) كما أخرج ذلك مسلم في (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٢٦) باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ، ح (٥٩١) من حديث ثوبان رضي الله عنه .

(٢) كما في سورة النصر في قوله تعالى : ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾ .

(٣) كما في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ فإذا أفضتم من عرفات . . . ﴾ الآية .

(٤) كما أخرج ذلك الترمذي في سننه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله " اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين ، فنحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء " .

(٥) سورة الماعون الآيتان (٦-٧) .

سنن الترمذي (١) أبواب الطهارة (٤١) باب فيما يقال بعد الوضوء ح (٥٥) ، وأخرجه كذلك البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الطهارة باب ما يقال بعد الفراغ من الوضوء (٧٨/١) وغيرهما . والحديث قال عنه الترمذي : والحديث في إسناده اضطراب ، ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب كبير شيء . سنن الترمذي (٧٨/١-٨٣) وانظر تعليق الشيخ أحمد شاكر على الحديث . وقد صحح الألباني رحمه الله تعالى هذا الحديث . انظر : صحيح سنن الترمذي (١٨/١)

فصل ٥

{ آيات الله تعالى في الآفاق وفي الأنفس }

ثم ذكرهم سبحانه بآياته الأفقية والنفسية فقال تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) ﴾ (١) .
فآيات الأرض أنواع كثيرة .

منها : خلقها ، وحدوثها بعد عدمها ، وشواهد الحدوث والافتقار إلى الصانع عليها لا تجحد ، فإنها شواهد قائمة بها .

ومنها : بروز هذا الجانب منها عن الماء مع كون مقتضى الطبيعة أن يكون مغموراً به .
ومنها : سعتها وكبر خلقها .

ومنها : تسطيحها كما قال تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ كَيْفَ سُطِّحَتْ (٢٠) ﴾ (٢) ولا ينافي ذلك كونها كرة ، فهي كرة في الحقيقة لها سطح يستقر عليه الحيوان .

ومنها : أنه جعلها فراشاً لتكون مقراً للحيوان ومساكنه ، وجعلها قراراً ، وجعلها مهاداً ، وجعلها ذلولاً توطأ بالأقدام ، وتضرب بالمعاول والفؤوس ، وتحمل على ظهورها الأبنية الثقال فهي ذلول مسخرة لما يريد العبد منها ، وجعلها بساطاً ، وجعلها كفاتاً للأحياء تضمهم على ظهرها ، وللأموات بضمهم في بطنها ، وطحها فمدها وبسطها ووسعها ودحاها فهيها لما يراد منها بأن أخرج منها ماءها ومرعاها ، وشق منها الأنهار ، وجعل فيها السبل والفجاج .

ونبه بجعلها مهاداً وفراشاً على حكمة جعلها ساكنة ، وذلك آية أخرى إذ لا دعامة تحتها تمسكها ، ولا علاقة فوقها ، ولكنها لما كانت على وجه الماء كانت تكفأ^(٣) / السفينة ، [١٠٥] فاقتضت العناية الأزلية والحكمة الإلهية أن وضع عليها رواسي يثبتها بها لئلا تميد ، وليستقر عليها الأنعام ، ودل جعلها ذلولاً على الحكمة في أن لم تكن في غاية الصلابة والشدة كالحديد فيمتنع حفرها وشقها والبناء فيها والغرس والزرع ، ويصعب النوم عليها والمشي فيها .

(١) سورة الذاريات الآيتان (٢٠ - ٢١) .

(٢) سورة الغاشية الآية (٢٠) .

(٣) في غير الأصل و (ب ٩ :) تكفأ .

وبنه بكونها قرا رأ على الحكمة في أنها لم تخلق في غاية اللين والرخاوة والدمائة ، فلا تمسك بناء ولا يستقر عليها الحيوان ، ولا الأجسام الثقيلة بل جعلها بين الصلابة والدمائة .
وأشرف الجواهر عند الإنسان : الذهب والفضة والياقوت والزمرد فلو كانت الأرض من هذه الجواهر لفاتت مصالح العباد والحيوان منها ، وتعطلت المنافع المقصودة^(١) ، وبهذا يعلم أن جوهر التراب أشرف من هذه الجواهر وأنفع وأبرك ، وإن كانت تلك أغلى وأعز ، فعلاها وعزتها لقلتها والا فالتراب أنفع منها وأبرك وأنفس : وكذلك لم يجعلها شفافة ، فإن الجسم الشفاف لا يستقر عليه النور ، وما كان كذلك لم يقبل السخونة ، فيبقى في غاية البرد فلا يستقر عليه الحيوان ولا يتأتى منه^(٢) النبات وكذلك لم يجعلها صقيلة بראה لئلا يحترق ما عليها بسبب انعكاس اشعة الشمس ، كما يشاهد من احتراق القطن ونحوه عند انعكاس شعاع الجسم الصقيل الشفاف ، فاقترضت حكمته سبحانه أن جعلها كثيفة غبراء ، فصلحت أن يكون مستقراً للحيوان والأنام والنبات .

ولما كان الحيوان الهوائي لا يمكنه أن يعيش في الماء كالحيوان المائي أبرز له جانبها كما تقدم ، وجعله على أوفق الهيئات لمصالحه ، وأنشأ منها^(٣) وأنشأ منها طعامه وقوته ، وكذلك خلق منها النوع الإنساني وأعادته إليها ويخرجه منها .



(١) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (منها) .

(٢) في غير الأصل و (ب) : (فيه) .

(٣) سقط من المطبوع .

﴿ فصل ﴾

ومن آياته^(١) أن جعلها مختلفة الأجناس والصفات والمنافع مع أنها قطع متجاورات متلاصقة

، فهذه سهلة وهذه حزنه ، تجاورها وتلاصقها ، وهذه طيبة تنبت ويلاصقها أرض / لا تنبت [١٠٥/ب] وهذه تربة ويلاصقها رمال ، وهذه صلبة ويلاصقها ويليها رخوة ، وهذه سوداء ويليها أرض بيضاء ، وهذه حصاً كلها ويجاورها أرض لا يوجد فيها حجر ، وهذه تصلح لنبات كذا وكذا ، وهذه لا تصلح له بل تصلح لغيره ، وهذه سبخة مالحة ، وهذه بضدها ، وهذه ليس فيها جبل ولا معلم . ، وهذه مسجرة بالجبال ، وهذه لا تصلح إلا على المطر ، وهذه لا ينفعها المطر بل لا تصلح إلا على سقي الأنهار فيمطر الله سبحانه الأرض البعيدة ويسوق الماء إليها على وجه الأرض ، فلو سألتها من نوعها هذا التنوع ؟ ومن فرق بين أجزائها هذا التفريق ؟ ومن خصص كل قطعة منها بما خصها به ؟ ، ومن ألقى عليها رواسيها وفتح فيها السيل وأخرج منها الماء والمرعى ؟ ، ومن أمسكها عن الزوال ؟ ومن بارك فيها ، وقدر فيها أقواتها ، وأنشأ منها حيوانها ونباتها ؟ ، ومن وضع فيها معادنها وجواهرها ومنافعها ؟ ومن هيأها مسكناً ومستقراً للأنام ؟ ، ومن يبدئ فيها الخلق ثم يعيده إليها ثم يخرجها منها ؟

ومن جعلها ذلولاً غير مستعصبة ولا ممتنعة ؟ ، ومن وطأ مناكبها ، وذلل مسالكها ، ووسع فجاجها ، وسوى أنهارها ، وأنبت أشجارها ، وأخرج ثمارها ؟ ومن صدعها^(٢) عن النبات وأودع فيها جميع الأقوات ، ومن بسطها وفرشها ومهدا وذلّلها وطحها ودحاها ، وجعل ما عليها زينة لها ؟

ومن الذي يمسكها أن تتحرك فتتزلزل فيسقط ما عليها من بناء ومعلم أو يخسفها بمن عليها فإذا هي تمور ؟

ومن الذي أنشأ منها النوع الإنساني الذي هو أبداع المخلوقات ، وأحسن المصنوعات ؟ ، بل أنشأ منها آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً ﷺ^(٣) وأنشأ منها أوليائه وأحبابه وعباده الصالحين ؟ ومن جعلها حافظة لما استودع فيها من المياه والأرزاق والمعادن والحيوان ؟

(١) في (م) و (ق) والمطبوع : (ومن آياتها) .

(٢) في الأصل و (ب) : تحرفت إلى (صدعها) .

(٣) في غير الأصل و (ب) : (وعليهم أجمعين) .

ومن جعل بينها وبين الشمس والقمر هذا القدر من المسافة فلو زادت على ذلك لضعف

تأثرها بحرارة الشمس ونور القمر ، فتعطلت المنفعة الواصلة إلى الحيوان والنبات بسبب ذلك ؟ / [١٠٦/أ]
ولو زادت في القرب لا شتدت الحرارة والسخونة كما نشاهده في الصيف فاحترقت أبدان
الحيوان والنبات ؟ وبالجمل فكانت تفوت هذه الحكمة التي بها انتظام العالم ؟ ومن الذي جعل فيها
الجنات والحدائق والعيون ؟ ومن الذي جعل باطنها بيوتاً للاموات وظاهرها بيوتاً للأحياء ؟ ومن
الذي يحييها بعد موتها فيترل عليها الماء من السماء ثم يرسل عليها الرياح وتطلع عليها الشمس ،
فتأخذ في الحبل ، فإذا كان وقت الولادة تمحضت للوضع واهتزت وربت^(١) وأنبتت من كل
زوج بهيج ؟ .

فسبحان من جعل السماء كالاب والأرض كالأم ، والقطر كالماء الذي ينعقد منه الولد
فإذا حصل الحب في الأرض ووقع عليه^(٢) الماء أثرت نداوة الطين فيه وأعانتها السخونة المختفية في
باطن الأرض فوصلت النداة والحرارة إلى باطن الحبة ، فاتسعت الحبة وربت وانتفخت وانفلقت
عن ساقين : (ساق)^(٣) من نوقها وهو الشجرة ، وساق من تحتها وهو العرق ، ثم عظم ذلك
الولد حتى لم يبق لأبيه نسبة إليه ، ثم وضع من الأولاد بعد أبيه آلاف مؤلفة ، كل ذلك صنع الرب
الحكيم في حبة واحدة لعلها تبلغ في الصغر إلى الغاية ، وذلك من البركة التي وضعها الله سبحانه
في هذه الأم فياها من آية تكفي وحدها في الدلالة على وجود الخالق وصفات كماله وأفعاله وعلى
صدق رسله فيما أخبروا به عنه من إخراج من في القبور ليوم البعث والنشور .

فتأمل اجتماع هذه العناصر الأربعة وتجاورها وامتزاجها ، وحاجة بعضها إلى بعض ،
وانفعال بعضها عن بعض وتأثيره فيه ، وتأثره به ، بحيث لا يمكنه الامتناع من التأثير والانفعال ،
ولا يستقل الآخر بالتأثير ولا يستغني عن صاحبه ، وفي ذلك أظهر دلالة على أنها مخلوقة مصنوعة
مربوبة مدبرة حادثة بعد عدمها فقيرة إلى موجد عني عنها ، مؤثر غير متأثر ، قديم غير حادث ،

تنقاد المخلوقات كلها لقدرته / وتجب داعي مشيئته ، وتلي داعي وحدانيته وربوبيته ، وتشهد [١٠٦/ب]

(١) سقط من غير الأصل و (ب) .

(٢) في (ق) والمطبوع : (عليها) .

(٣) سقط من الأصل .

بعلمه وحكمته ، وتدعو عباده إلى ذكره وشكره وطاعته وعبوديته ومحبته ، وتحذره من بأسه ونقمته ، وتحثهم على المبادرة إلى رضوانه وجنته .

فانظر الآن إلى الماء والأرض كيف لما أراد الرب تبارك وتعالى امتزاجهما وازدواجهما أنشأ الرياح فحركت الماء وساقته إلى أن قذفته في عمق الأرض ، ثم أنشأ لها حرارة لطيفة سماوية حصل بها النباتات ، ثم أنشأ لها حرارة أخرى أقوى منها حصل بها الإنضاج ، وكانت حالته الأولى تضعف عن الحرارة الثانية ، فادخرت إلى وقت قوته وصلابته ، فحرارة الربيع للإخراج وحرارة الصيف للإنضاج .

هذا وإن الأم واحدة والأب واحد ، واللقاح واحد ، والأولاد في غاية التباين والتنوع كما قال تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ أَنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤) ﴾ ^(١) . فهذا بعض آيات الأرض .

ومن الآيات التي فيها وقائعه سبحانه التي أوقعها بالأمم المكذبين لرسله المخالفين لأمره ، وأبقى آثارهم دالة عليهم كما قال تعالى : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ ﴾ ^(٢) وقال تعالى في قوم لوط ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفْلًا تَعْقِلُونَ (١٣٨) ﴾ ^(٣) : ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ (٧٦) ﴾ ^(٤) . أي : بطريق ثابت لا يزول عن حاله . ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) ﴾ ^(٥) .

وقال (تعالى) : ﴿ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ (٧٩) ﴾ ^(٦) أي ديار هاتين الأمتين لطريق واضح يمر به السالكون .

(١) سورة الرعد الآية (٤) .

(٢) سورة العنكبوت الآية (٣٨) .

(٣) سورة الصافات الآيتان (١٣٧ - ١٣٨) .

(٤) سورة الحجر الآيات (٧٣ - ٧٦) .

(٥) سورة الحجر الآية (٧٧) .

(٦) سورة الحجر الآيتان (٧٨ - ٧٩) .

وقال تعالى : ﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ (٤٥) ﴾^(١) .

وقال عن قوم عاد : ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ﴾^(٢) .

وقال (تعالى) : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ﴾^(٣) فأَي دلالة أعظم / وأظهر من دلالة رجل يخرج وحده لا عدة له ولا عدد ولا [١/١٠٧] مال فيدعو الأمة العظيمة إلى توحيد الله (تعالى) والإيمان به وطاعته ويحذرهم من بأسه ونقمته ، فتتفق كلمتهم ، وأكثرهم^(٤) على تكذيبه ومعاداته فتدركهم^(٥) أنواع العقوبات الخارجة عن قدرة البشر فيغرق المكذبين كلهم تارة ، ويخسف بغيرهم الأرض كلهم تارة ، ويهلك آخرين بالريح ، وآخرين بالصيحة وآخرين بالمسخ وآخرين بالحجارة ، وآخرين بظلة من النار من فوقهم ، وآخرين بالصواعق ، وآخرين بأنواع أخرى^(٦) من العقوبات ، وينجوا داعيهم ومن معه ، والهاكون أضعافهم^(٧) عدداً وقوة ومنعة وأموالاً

فيا لك من آيات حق لو أهتدى
ولكن على تلك القلوب أكنة
بهن مريد الحق كن هواديا
فليست وإن أصغت تجيب المناديا

فهلا امتنعوا أن كانوا على الحق وهم أكثر عدداً واقوى شوكة بقوتهم وعددهم من بأس

الله^(٨) وسلطانه ، وهلا اعتصموا من عقوبته كما اعتصم من هو أضعف منهم من أتباع الرسل ؟

ومن الآيات التي في الأرض ما يحدثه فيها كل وقت مما يصدق رسله فيما أخبرت^(٩) به ،

فلا تزال آيات الرسل ، وأعلام صدقهم وأدلة نبوتهم يحدثها الله سبحانه وتعالى في الأرض إقامة

(١) سورة إبراهيم الآية (٤٥) . ووقف في المطبوع على قوله : (كيف فعلنا بهم) .

(٢) سورة الأحقاف الآية (٢٥) .

(٣) سورة السجدة الآية (٢٦) .

(٤) في غير الأصل : (أو أكثرهم) .

(٥) في المطبوع : (فيذكرهم) .

(٦) سقط من المطبوع .

(٧) في (ب) و (م) و (ق) : (أضعاف أضعافهم) ، وفي المطبوع : (أضعاف أضعاف أضعافهم) .

(٨) في غير الأصل و (ب) : (من بأسه وسلطانه) .

(٩) في الأصل : (أخبر) وفي غيره : (أخبرت) ولعله الصواب .

للحجة على من لم يشاهد تلك الآيات التي قاربت عصر الرسول حتى كان أهل كل قرن يشاهدون ما يشاهده الأولون أو لنظيره^(١) كما قال : تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾^(٢) وهذه الإرادة لا تختص بقرن دون قرن ، بل لا بد ما يرى الله سبحانه أهل كل قرن من الآيات ما يبين لهم أنه الله الذي لا إله إلا هو ، وأن رسله صادقون ، وآيات الأرض أعظم مما ذكر وأكثر ، فذبه^(٣) باليسير منها على الكثير .



(١) في (ق) والمطبوع : (نظره) .

(٢) سورة فصلت الآية (٥٣) .

(٣) في (ق) والمطبوع : (فتنه) .



﴿ فصل ﴾

[الكلام على قوله تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾]

ثم قال (تعالى) : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (١) لما كان أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه ، دعاه خالقه وبارئهِ ومصوره وفطره من قطرة ماء إلى التبصر والتفكر في نفسه . فإذا تفكر الإنسان / في نفسه استنارت له (٢) آيات الربوبية وسطعت له أنوار اليقين ، واضمحلت [١٠٧/ب] عنه غمرات الشك والريب ، وانقشعت عنه ظلمات الجهل ، فإنه إذا نظر إلى (٣) نفسه وجد آثار التدبير فيه قائمة (٤) ، وأدلة التوحيد على ربه ناطقة (٥) ، شاهدة لمديره ، داله عليه ، مرشدة إليه ، إذ تجده مكوناً من قطرة ماء ، لحوماً منضده ، وعظاماً مركبة ، وأوصالاً متعددة مأسورة مشدودة بحبال العروق والأعصاب قد قمطت وشدت وجمعت بجلد متين مشتمل على ثلاثمائة وستين مفصلاً . ما بين كبير وصغير ، وثخين ودقيق ، ومستطيل ومستدير ومستقيم ومنحن (٦) وشدت هذه الأوصال بثلاثمائة وستين عرقاً للاتصال والانفصال ، والقبض والبسط ، والمد والضم ، والصنائع والكتابة .

وجعل فيه تسعة أبواب : فبابان للسمع ، وبابان للبصر ، وبابان للشم ، وباب للكلام ، وذاك للطعام والشراب والنفس (٧) ، وبابان لخروج الفضلات التي يؤدي احتباسها . وجعل داخل بابي السمع مرأً قاتلاً ، لئلا تلج فيها (٨) دابة تخلص إلى الدماغ فتؤذيه ، وجعل داخل بابي البصر مالحاً ، لئلا تذيب الحرارة الدائمة ما هناك من الشحم وجعل داخل باب الطعام والشراب حلواً ليسيف به ما يأكله ويشربه فلا يتنغص به لو كان مرأً أو مالحاً .

(١) سورة الذاريات الآية (٢١) .

(٢) سقط من (م) والمطبوع .

(٣) في (ق) والمطبوع : (في) .

(٤) في المطبوع : (قائمات) .

(٥) في المطبوع : (ناطقات) .

(٦) إلى هنا تقف النسخة (ب) ولم تذكر الكلام الباقي على الآية بمقدار خمسين لوحة تقريباً .

(٧) في (م) و (ق) : (النفس) .

(٨) في (م) و (ق) : (لئلا يلج فيهما) .

وجعل له مصباحين من نور كالسراجين المضيئين مركبين من أعلى مكان منه ، وفي أشرف عضو من أعضائه طليعة له ، وركب هذا النور في جزء صغير جداً يبصر به السماء والأرض وما بينهما ، وغشاه بسبع طبقات وثلاث رطوبات . بعضها فوق بعض كله حماية له وصيانة وحراسة وجعل على محله غلقاً بمصراعين أعلى وأسفل ، وركب في ذينك المصراعين أهداً من الشعر وقاية للعينين وزينة وجمالاً ، وجعل فوق ذلك كله حاجبين من الشعر يحجبان العين من العرق النازل من فوق ، ويلتقيان عنها ما ينصب من هناك .

وجعل سبحانه لكل طبقة من طبقات العين شغلاً مخصوصاً / ولكل واحد من الرطوبات [١/١٠٨] مقداراً مخصوصاً لو زاد على ذلك أو نقص منه لاختلت المنافع والمصالح المطلوبة .

وجعل هذا النور الباصر في قدر عدسة ، ثم أظهر في تلك العدسة صورة السماء والأرض والشمس والقمر ، والنجوم والجبال ، والعالم العلوي والسفلي مع اتساع أطرافه ، وتباعد أقطاره واقتضت حكمته سبحانه أن جعل فيها بياضاً وسواداً ، وجعل القوة الباصرة في السواد ، وجعل البياض مستقراً لها ومسكناً ، وزين كلا منهما بالآخر ، وجعل الحدقة مصونة بالأجفان والحواجب كما تقدم ، والحواجب بالأهداب ، وجعلها سوداء إذ لو كانت بيضاء لتفرق النور الباصر فضعف الإدراك فإن السواد يجمع البصر ، ويمنع من تفرق النور الباصر ، وخلق سبحانه لتحريك الحدقة وتقليبها أربعاً وعشرين عضلة لو نقصت عضلة واحدة لاختل أمر العين .

ولما كانت العين كالمرآة التي إنما تنطبع فيها الصور إذا كانت في غاية الصقالة والصفاء ، جعل سبحانه هذه الأجفان متحركة جداً بالطبع إلى الانطباق من غير تكلف لتبقى هذه المرآة نقية صافية من جميع الكدورات^(١) ، ولهذا لما لم يخلق لعين الذبابة أجفاناً لاتزال تراها تنظف عنها بيدها . من آثار الغبار والكدورات .



(١) في (م) و (ق) والمطبوع : (الكدورات) .

﴿ فصل ﴾ { العينان }

وكما جعل سبحانه العينين مؤديتين للقلب ما تريانه ، فتوصلانه إليه كما رأناه ، جعلهما مرأتين للقلب ، يظهر فيهما ما هو مودع فيه من الحب والبغض ، والخير والشر ، والبلادة والفطنة ، والزيف والاستقامة ، فيستدل بأحوال العين على أحوال القلب ، وهو أحد أنواع الفراسة الثلاثة وهي : فراسة العين ، وفراسة الأذن ، وفراسة القلب ، فالعين مرآة للقلب وطليلة ورسول .

ومن عجيب أمرها أنها من ألطف الأعضاء وأبعدها تأثيراً بالحر والبرد على أن الذهن على

صلابتها وغلظتها ليتأثر بهما أكثر من تأثر العين على لطافتها ، وليس ذلك بسبب الغطاء الذي / [١٠٨/ب عليها من الأجفان فإنها ولو كانت منفتحة لم تتأثر بذلك تأثر الأعضاء الكثيفة^(١).



(١) في المطبوع : (اللطيفة) .

﴿ فصل ﴾

{ الأذنان }

ومن ذلك الأذنان شقهما تبارك وتعالى في جانبي الوجه وأودعهما من الرطوبة ما يكون معينا على إدراك السمع ، وأودعها القوة السامعة ، (وأحاط على هذه القوة صدفة مستديرة بخوفة تحتوش الصوت وتجمعه . وتؤديه إلى الصماغ ، فتؤديه إلى القوة السامعة)^(١).

وجعل سبحانه في هذه الصدفة انحرافات واعوجاجات لتطول المسافة قليلاً فلا يصل الهواء (إلى داخل الأذن) إلا بعد انكسار حدته فلا يصدمها وهلة واحدة فيؤذيها ، وأيضاً فلئلا يفجأها الداخل إليها من الدبيب والحشرات ، بل إذا دخل إلى عوجة من تلك الانعطافات وقف هناك فسهل إخراجها ، (وأيضاً فيمسك ما يصل إليها من الغبار والوسخ فينحجب هناك عن الوصول فيسهل إخراجها)^(٢).

وكانت العينان في وسط الوجه ، والأذنان في جانبيه ، لأن العينين محل الملاحظة والزينة والجمال ، وهما بمرتلة النور الذي يمشي به بين يدي الإنسان ، وأيضاً^(٣) فكان جعلهما في الجانبين لكون إدراكهما لما خلف الإنسان وأمامه وعن يمينه وعن شماله سواء فتاتي المسموعات إليها نسبة واحدة .

وخلقت العينان بغطاء ، والأذنان بغير غطاء ، وهذا في غاية الحكمة .

(١) ما بين القوسين سقط من المطبوع .

(٢) ما بين القوسين سقط من المطبوع .

(٣) في المطبوع : (وأما الأذنان) بدل (وأيضاً) .



إذ لو كان للأذنين غطاء لمنع الغطاء إدراك الصوت ، فلا يحصل إلا بعد ارتفاع الغطاء ، والصوت عرض لاثبات له ، فكان يزول قبل كشف الغطاء بخلاف ما تراه العين فإنه أجسام واعراض ثابتة فلا^(١) تزول فيما بين كشف الغطاء وفتح العين .

وجعل سبحانه الأذن عضواً غضروفياً ليس بلحم مسترخ ولا عظم صلب بل هي بين الصلابة واللين ، فتقبل بليتها ، وتحفظ بصلابتها ، ولا تنصدع انصداع العظام ، ولا تتأثر بالحر والبرد والشمس والسموم تأثر اللحم ، إذا المصلحة في بروزها دائماً^(٢) لتتلقى ما يرد عليها من الأصوات والأخبار .



(١) في غير الأصل : (لا) .

(٢) سقط من المطبوع .

فصل ١٥

{ الأنف }

ومن ذلك الأنف : نصبه (الله)^(١) سبحانه في وسط الوجه قائماً معتدلاً في أحسن شكل ، وأوقفه للمنفعة ، وأودعه حاسة الشم التي يدرك بها الأرائح^(٢) وأنواعها وكيفياتها ، ومنافعها ومضارها ، ويستدل بها على مضار الاغذية والادوية ومنافعها .

وأيضاً فإنه يستنشق بالمنخرين الهواء البارد الرطب ، فيؤديه إلى القلب ، فيتروح به ، فيستغني بذلك عن فتح الفم أبداً ، وجعل تجويفه بقدر الحاجة فلم يوسعه عن ذلك ، فيدخله هواء كثير ولم يضيقه فلا يدخله من الهواء ما يكفيه^(٣) .

وجعل ذلك التجويف مستطيلاً لينحصر فيه الهواء ، وينكسر فيه برده وحدته قبل أن يصل إلى الدماغ ، فلولاً ذلك لصدمه بحدته وقوته .

والهواء الذي يستنشقه الأنف ينقسم شطرين :

شطر يصعد إلى الدماغ ، وشطر يتزل إلى الرئة ، (وهو أكثر)^(٤) من آلات النطق فإن له اعانة على تقطيع الحروف .

وكما أن تجويفه جعل لاستنشاق الهواء فإنه جعل مصباً لفضلات الدماغ ، ينحدر منه في تلك القصبة فيخرج فيستريح الدماغ ، ولذلك جعل^(٥) سترًا ولم يجعلها بارزة فتستقبحها العيون .

(١) سقط من غير الأصل .

(٢) في المطبوع : (الروائح) .

(٣) في (ق) : (ما لا يكفيه) .

(٤) سقط من المطبوع .

(٥) في غير الأصل : زيادة (عليها) بعد (جعل) .

وجعل فيه تجويفان ، فإنه قد ينسد أحدهما أو تعرض له آفة تمنعه من الإدراك والاستنشاق فيبقى التجويف الثاني نائباً عنه يعمل عمله ، كما اقتضت الحكمة مثل ذلك في العينين والأذنين .

ثم تأمل الهواء الذي يستنشقه الأنف كيف يدخل أولاً من المنخرين ، وينكسر برده هناك ، ثم يصل إلى الحلق ، فيعتدل مزاجه هناك ثم يصل إلى الرئة ألطف ما يكون ، ثم ينفذ من الرئة إلى القلب ، فيروح عن الحرارة الغريزية التي فيه ، ثم ينفذ من القلب إلى العروق المتحركة ، ويبلغ إلى أقاصي أطراف البدن ، ثم إذا سخن في الباطن ، وخرج عند حد الانتفاع به^(١) عاد^(٢) من تلك الأقاصي إلى البدن ، ثم إلى الرئة ، ثم إلى الحلقوم ثم إلى المنخرين خارجاً فيخرج منهما ويعود عوضه / هواءً بارداً نافعاً ، والنفس الواحد من أنفاس الغبد ، إنما يتم بمجموع هذه الأمور والقوى والأفعال ، وهو في اليوم والليلة أربعة وعشرون ألف نفس ، لله في كل نفس عدة نعم قد وقف^(٣) على القليل منها ، فما ظنك بما وراء النفس^(٤) من الأعضاء والقوى ومنافعها وتمام النعمة بها .



(١) به (سقط من المطبوع .

(٢) في المطبوع : (خرج) بدل (عاد) .

(٣) في المطبوع : (وقفت) .

(٤) في غير الأصل : (التنفس) .

﴿ فصل ﴾

{ الفهر }{

وأما الفم فمحل العجائب ، وباب الطعام والشراب والنفس والكلام ، ومسكن اللسان الناطق الذي [هو] ^(١) آلة العلوم ، وترجمان القلب ورسوله المؤدي عنه .

ولما كان القلب ملك البدن ، ومعدناً للحرارة الغريزية ، فإذا دخل الهواء البارد ووصل ^(٢) إليه ، فاعتدلت حرارته ، وبقي هناك ساعة فسخن واحترقت ^(٣) ، فاحتاج القلب إلى دفعه وإخراجه ، فجعل أحكم الحاكمين إخراجه سبباً لحدوث الصوت ، (ثم فعل) ^(٤) في الحنجرة والحنك واللسان ، والشفيتين والأسنان مقاطيع ^(٥) ومخارج مختلفة بسبب اختلافها تميزت الحروف بعضها عن بعض ، ثم ألهم العبد تركيب تلك الحروف ليؤدي بها عن القلب ما يأمر به .

فتأمل (هذه) ^(٦) الحكمة الباهرة . حيث لم يضع سبحانه ذلك النفس المستغنى المحتاج إلى دفعه وإخراجه ، بل جعل فيه إذا استغنى عنه منفعه ومصلحة هي من أكمل المنافع والمصالح ، فإن المقصود الأصلي من النفس هو اتصال النسيم ^(٧) البارد إلى القلب ، فأما إخراج النفس فهو جار مجرى دفع الفضلة ، الفاسدة ، فصرف ذلك سبحانه إلى رعاية تصلح ^(٨) ومنفعة أخرى ، فجعله سبباً للأصوات والحروف والكلام .

(١) سقط من الأصل .

(٢) في غير الأصل : (وصل) .

(٣) هكذا في الأصل وفي غيره (واحترق) .

(٤) سقط من المطبوع .

(٥) في غير الأصل : (مقاطع) .

(٦) سقط من المطبوع .

(٧) في (م) و (ق) : (الشم) ، وفي المطبوع : (الريح) .

(٨) في المطبوع : (مصلحة) .

ثم إنه سبحانه جعل الحناجر مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة ،
لتختلف الأصوات باختلافها فلا يتشابه صوتان كما لا تشابه صورتان ، وهذا من أظهر الأدلة فإن
هذا الاختلاف الذي بين الصور والأصوات على كثرتها وتعددتها فقل^(١) يشتهه صوتان أو صورتان
ليس في الطبيعة (ما)^(٢) يقتضيه وإنما هو صنع الله الذي أتقن كل شيء ، وأحسن كل شيء خلقه
فتبارك الله رب العالمين وأحسن الخالقين / فميز — سبحانه — بين الأشخاص بما يدركه
السمع والبصر .



(١) في (م) والمطبوع : (فقلنا) .

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل

﴿ فصل ﴾ { اللسان }

وأودع اللسان من المنافع منفعة الكلام وهي أعظمها ، ومنفعة الذوق والإدراك ، وجعله دليلاً على اعتدال مزاج القلب وانحرافه كما جعله دليلاً على استقامته واعوجاجه ، فترى الطبيب يستدل بما يبدو للبصر على اللسان من الخشونة والملاسة ، والبياض والحمرة ، والتشقق وغيره على حال القلب والمزاج .

وهو دليل قوي على أحوال المعدة والأمعاء ، كما يستدل السامع بما يبدو عليه من الكلام على ما في القلب فتبدوا عليه صحة [القلب] ^(١) وفساده معنى وصورة .



(١) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل .

﴿ فصل ﴾

{ سر جعل اللسان عضواً لحمياً }

وجعل سبحانه اللسان عضواً لحمياً لا عظم فيه ولا عصب لتسهيل حركته ، ولهذا لا تجد في الأعضاء من لا يكثرث بكثرة الحركة سواه ، فأى^(١) عضو من الأعضاء حركته كما تحرك اللسان لم يطعك لذلك^(٢) . ولم يلبث أن يكل ويخلد إلى السكون إلا اللسان .

وأيضاً : فإنه من أعدل الأعضاء وألطفها ، وهو بمنزلة رسول الملك ونائبه ، فمزاجه من أعدل أمزجة البدن ، ويحتاج إلى قبض وبسط ، وحركته^(٣) في أقاصي الفم وجوانبه فلو كان فيه عظم^(٤) لم يتهياً منه ذلك ، ولم يتهياً منه الكلام التام ولا الذوق التام ، فكونه لحمياً اقتضاه السبب الفاعلي والغائي ، والله أعلم .



(١) في (م) و (ق) : (فإنه أي) ، وفي المطبوع : (فإن أي) .

(٢) في المطبوع : (لم يطع ذلك) .

(٣) في غير الأصل : (وحركته) .

(٤) في غير الأصل : (عظام) .

﴿ فصل ﴾

{ فائدة وضع اللسان بين طبقتين }

وجعل سبحانه على اللسان غلقين :

أحدهما : الأسنان ، والثاني : الفم . وجعل حركته اختيارية وجعل على العين غطاء واحداً

، ولم يجعل على الأذن غطاء ، وذلك لخطر اللسان وشرفه ، وخطر حركاته ، وكونه في الفم بمنزلة القلب في الصدر .

وفي ذلك من اللطائف : أن آفة الكلام أكثر من آفة النظر ، وآفة النظر أكثر من آفة السمع

، فجعل للأكثر آفات طبقتين ، وللمتوسط طبقة ، وجعل الأقل آفة بلا طبق .



﴿ فصل ﴾

{ سر جعل الفم أكثر الأعضاء رطوبة }

وجعل سبحانه الفم أكثر الأعضاء رطوبة ، والريق^(١) يتخلل إليه دائما لا يفارقه / وجعل [١١٠/ب] حلواً لا مالحاً كما العين ولا مرأً كالذي في الأذن ولا عفناً كالذي في الأنف بل هو أعذب مياه البدن وأحلاها .

حكمة بالغة . فإن الطعام والشراب يخالطه . بل هو الذي يحيل الطعام ويمتزج به امتزاج العجين بالماء ، فلولا أنه حلوا لما تذ الإنسان بل ولا الحيوان بطعام ولا شراب ، ولا ساغه إلا على كره وتنغيص .

ولما كان كثير من الطعام لا يمكن جبله^(٢) إلا بعد طحنه^(٣)، جعل الرب تعالى له آلة للتقطيع والتفصيل ، وآلة للطحن ، فجعل آلة القطع وهي الشايا ، وما يليها حادة الرؤوس [يسهل بها القطع ، وجعل النواجد وما يليها من الأضراس مسطحة الرؤوس] ^(٤)عريضة ليتأتى بها الطحن ، ونظمها أحسن نظام^(٥) كاللؤلؤ المنظوم في سلك ، وجعلها من الجانب الأعلى والأسفل ليتأتى بها القطع والطحن .

وجعلها من الجانب الأيمن والأيسر إذ ربما كلت إحدى الآلتين أو تعطلت أو عرض لها عارض فينتقل إلى الآلة الأخرى ، وأيضا لو كان العمل على جانب واحد دائماً لأوشك أن يتعطل أو^(٦) يضعف .

(١) في الأصل : (الرقيق) .

(٢) في المطبوع : (تحوله) .

(٣) في غير الأصل : (طبخه) .

(٤) سقط من الأصل .

(٥) في (م) و (ق) : (نظامه) .

(٦) في غير الأصل : (ويضعف) .

وتأمل كيف أنبتها سبحانه من نفس اللحم ، وتخرج من خلاله نابتة كما ينبت الزرع في الأرض ، ولم يكسها سبحانه لحما (كما كسى)^(١) سائر العظام سواها إذ لو كساها اللحم لتعطلت المنفعة المقصودة بها ، ولما كانت العظام محتاجة إلى لحم يكسوها ويحفظها ، ويلتقي^(٢) عنها الحر والبرد ويحفظ عليها رطوبتها ، ولم^(٣) تكمل مصلحة الحيوان إلا بهذه الكسوة ، ولما كانت عظام الأسنان^(٤) محتاجة^(٥) إلى ذلك من وجه مستغنية عنه من وجه جعل^(٦) كسوتها منفصلة عنها ، وجعلت هي المكتسبة والعارية لتمام المنفعة بذلك .

ولما كانت آلة القطع والكسر والطحن [لم]^(٧) تنشأ مع الطفل من أول نشأة^(٨) كسائر عظامه لعدم حاجته^(٩) إليها فهو معطل^(١٠) عنها وقت استغنائه عنها بالرضاع ، وأعطى وقت الحاجة^(١١) إليها ، وفيه حكمة أخرى وهي أنه لو نشأت معه من حين يولد لأضر ذلك^(١٢) بحلمة الثدي ، إذ لا عقل له يحجره^(١٣) عن عضها ، فكانت الأم تمتنع من رضاعه / .

[١/١١١]

ومن عجيب أمرها الاتفاق والموالة التي بينها وبين المعدة ، فإنه يسلم لها الشيء اليابس والصلب فتطحنه ثم تسلمه إلى اللسان فيعجنه ، ثم يسلمه^(١٤) إلى الحلق فيوصله إلى المعدة فتنضجه

(١) سقط من المطبوع .

(٢) في المطبوع : (ويتلقى) .

(٣) في غير الأصل : (لم) .

(٤) في المطبوع : (الإنسان) .

(٥) سقط من (م) و (ق) .

(٦) في غير الأصل : (جعلت) .

(٧) سقط من الأصل .

(٨) في المطبوع : (نشأته) .

(٩) في المطبوع : (الحاجة) .

(١٠) في (م) و (ق) : (فعطل ، وفي المطبوع : (عطل) .

(١١) في (ق) و (ط) : (حاجته) .

(١٢) في غير الأصل : (لأضرت بحلمة) .

(١٣) في غير الأصل : (يخرزه) .

(١٤) في المطبوع : زيادة (اللسان) .



وتطبخه ثم يرسل إليها منه معلومها المقدر لها فإذا عجزت عن قطع شيء ، وطحنه عجزت المعدة عن إنضاجه وطبخه وإذا كلت^(١) كلت المعدة ، وإذا ضعفت ضعفت .

وهي تصحب الإنسان وتخدمه ما لم يرها ، فإذا وقعت عينه عليها فارقت فرقة الأبد ، وهي سلاح ومنشار وسكين ورحى^(٢) وزينة وفيها منافع ومصالح غير هذه .



(١) في المطبوع : زيادة (الأسنان) .

(٢) رسمت في الأصل (رجا) وفي (م) (وروحاً) وبياض في (ق) وفي المطبوع : (وروح) .

﴿ فصل ﴾

{ أسرار خلق الشعر }

ثم تأمل حال الشعر ومنبته وسببه وغايته .

فإن البدن لما كان حاراً رطباً ، والحرارة إذا عملت في الرطوبة فلا بد أن تثير بخاراً ، وتلك الأبخرة تتصاعد من عمق البدن إلى سطحه . فتزيد^(١) الانفصال من هناك ، فلا بد أن تحدث مساماً ومنافذ في ظاهر الجلد .

وتلك الأبخرة إما أن تكون رطبة لطيفة فحينئذ تنفصل في المسام ، ولا تحدث شيئاً ، وإما أن تكون دخانية يابسة غليظة والجلد^(٢) حينئذ إما أن يكون في نهاية النعومة والنضارة كجلد الصبيان ، أو في غاية اليبس والقشف أو يكون معتدلاً ، فإذا ذاك لا يتولد فيه الشعر ، لأن البخار إذا شق سطح الجلد وانفصل ، عاد الجلد في الحال إلى اتصاله الأول بسبب كثرة رطوبته ونعومته . مثاله : السمك إذا رفع رأسه من الماء انشقق له الماء ، فإذا عاد إلى الماء عاد الماء إلى اتصاله الأول وكذلك نشاهد الأشياء الرطبة كالنشاء مثلاً إذا أغلي فخرج البخار من موضع الغليان عادت الرطوبة إلى الموضع الذي خرج منه ذلك البخار فسدته ، فإن كان الجلد في غاية اليبس لم يتولد الشعر (منه)^(٣) لأن الجلد اليابس إذا تثقّب^(٤) بقيت تلك الثقوب مفتوحة ليبس الجلد فتفرق أجزاء البخار ولا يجتمع بعضه إلى بعض ، وإن كان الجلد متوسطاً بين النعومة والكثافة ، فإنه تنفتح فيه المسام بسبب تلك الأبخرة ولا تعود تنسد بعد خروج البخار ولكن لا تبقى المسام شديدة الانفتاح فحينئذ يبقى ذلك البخار الدخاني في تلك الثقوب^(٥) ثم لا يزال مدة (إلى أن ينشأ)

(١) في المطبوع : (وتريد) ، وفي (م) و (ق) (ويزيد) .

(٢) في غير الأصل : (فالجلد) .

(٣) سقط من غير الأصل .

(٤) في غير الأصل : (انتقبت) .

(٥) في غير الأصل : (النقبة) .

(١) بخار آخر يدفعه أولاً فأولاً إلى خارج ، من غير أن يتقلع (٢) أصله فيبقى بعضه مركزاً في الجلد منزلة منزلة أصل النبات .

وبعضه يظهر إلى خارج منزلة منزلة ساق النبات ، وذلك هو الشعر .

فمادة الشعر هو البخار الدخاني الحار (٣) اليابس وسببه هو الحرارة الطبيعية المحرقة لذلك البخار ، والآلة التي تم بها يتم أمره هي المسام التي ارتكبت (٤) فيها البخار فتلبد هناك فصار شعراً بإذن الله تعالى والغاية التي لأجلها (٥) وجد لها (٦) شيئان :

أحدهما : عام وهو تنقية البدن من الفضول الدخانية الغليظة

والآخر : خاص وهو : إما للزينة وإما للوقاية ، وإذا بان أن الشعر إنما يتولد مع الحرارة واليبس المعتدل بقيت ثلاثة أقسام :

أحدها : حرارة عالية على اليبس كالصبيان .

والثاني : عكسه ، وهو ييبس غلب على الحرارة كالمشائخ

الثالث : حرارة ضعيفة ويبس ضعيف كأبدان النساء

ففي هذه الأقسام يقل الشعر .

وأما الشباب فإن حرارة أبدانهم ويبسها معتدل فيقوى تولد الشعر فيها .

وفي شعر الرأس منافع ومصالح منها :

وقيته عن الحر والبرد والمرض

ومنها الزينة والحسن

(١) سقط من غير الأصل .

(٢) في غير الأصل : (ينقطع) .

(٣) سقط من المطبوع .

(٤) في المطبوع : (ارتكبت) .

(٥) في المطبوع : (من أجلها) .

(٦) لها (سقطت من غير الأصل .

والسبب الذي صار به شعر الرأس أكثر من شعر البدن^(١) أن البخار شأنه أن يصعد من جميع البدن إلى الدماغ ، ومن الدماغ إلى فوق ، فلذلك^(٢) كان هذا الشعر نامياً كثيراً^(٣) على الدوام لأن البخار يتصاعد إلى الرأس أبداً وهو مادة للشعر فبنماء الشعر ينمو البخار وكان فيه تخلص للبدن من تلك المواد وتكثر لوقايته وغطائه .



(١) في المطبوع : زيادة (هو) بعد (البدن) .

(٢) في غير الأصل : (فكان) .

(٣) سقط من غير الأصل .

﴿ فصل ﴾

{ شعر الحاجبين }

وأما شعر الحاجبين ففيه مع الحسن والزينة والجمال وقاية العينين^(١)، فما ينحدر من الرأس وجعل على هذا المقدار فلو نقص^(٢) تقص عنه لزالَت منفعة الجمال والوقاية ولو زاد عليه لغطى العين وأضر بها ، وحال بينها وبين ما تدركه .

وقد ذكرنا منفعة شعر البدن^(٣) / ولما كان الأصلح والأُنفع^(٤) أن يكون شعر الهدب قائماً^[١١٢] منتصباً وان يكون باقياً على حال واحد في مقدار واحد جعل^(٥) منبت هذا الشعر في جرم صلب شبيه بالغضروف يمتد في طول الجفن لئلا يطول وينمو ، وهذا كما يشاهد النبات الذي ينبت في الأرض الرخوة اللينة كيف يطول^(٦) ويزداد ، والذي ينبت في الأرض الصخرية الصلبة لا ينمو إلا نمواً يسيراً ، وكذلك^(٧) الشعر النابت في الأعضاء اللينة الرطبة فإنه سريع النمو كشعر الرأس والعانة .



(١) في غير الأصل : (العين) .

(٢) في المطبوع : (لأنه لو نقص) .

(٣) في غير الأصل : (الهدب) ولعله هو الصحيح .

(٤) في غير الأصل : (ولما كان الأنفع والأصلح) .

(٥) في (ق) : (جعلت) .

(٦) في المطبوع : (فإنه يطول . .) .

(٧) في غير الأصل : (فكذلك) .

﴿ فصل ﴾ { شعر اللحية }

وأما شعر اللحية ففيه منافع منها : الزينة والجمال^(١) والوقار والهيبة ، ولهذا لا يرى على الصبيان والنساء (والسناط)^(٢) من الهيبة والوقار ما يرى على ذوي اللحي ، ومنها : التمييز بين الرجال والنساء فإن قيل : لو كان شعر اللحية زينة لكان النساء أولى به من الرجال لحاجتهن إلى الزينة ، وكان التمييز يحصل بخلو الرجال منه ، ولكان أهل الجنة أولى به وقد ثبت أنهم جرد مرد . قيل : الجواب أن النساء لما كن محل الاستمتاع والتقبيل كان الأحسن والاولى خلوهن عن اللحي ، فإن محل الاستمتاع إذا خلّي عن الشعر كان أتم ، ولهذا المعنى والله أعلم كان أهل الجنة مردا ، ليكمل استمتاعهن^(٣) بهم ، كما يكمل استمتاعهم بهن .

وأیضا فإنه أكشف لمحاسن الوجوه ، فإن الشعر يستر ما تحته (من المحاسن ، فصان الله محاسن وجوههم عما يسترها .

وأیضا ليكمل استمتاعهم بنسائهم فإن الشعر يمنع ما تحته من)^(٤) البشرة أن يمس بشرة المرأة والله أعلم بحكمته في خلقه .



(١) سقط من غير الأصل .

(٢) هكذا في الأصل و (ق) ، وفي (م) (السناط) وليس في المطبوع .

(٣) في (م) : . استمتاعهم بنسائهم بهم ، وفي (ق) والمطبوع : (استمتاع نسائهم بهم) .

(٤) سقط من المطبوع .



﴿ فصل ﴾

{ الحكمة من خلق شعر العانة والإبط والأنف }

وأما شعر العانة والإبط والأنف فممنفعته تنقية البدن عن^(١) الفضلة ، ولهذا إذا أزيل من هذه المواضع وجد البدن خفة ونشاطاً وإذا وفر وترك وجد البدن ثقلًا وكسلًا وغماً ولهذا جاءت الشريعة بحلق العانة ونتف الإبط ، وكان حلق العانة أولى من نتفها لصلابة الشعر وتأذي صاحبه بنتفه ، وكان نتف الإبط أولى من حلقة لضعف الشعر هناك ، وشدته وتفحله^(٢) بالحلق / فجاءت [١١٢] ب الشريعة بالأنفع في هذا وهذا .



(١) في المطبوع : (من) .

(٢) في غير الأصل : (وتعجله) .

﴿ فصل ﴾

{ حكمة الله تعالى في إخلاء الكفين والجبهة من الشعر }

وتأمل حكمة الرب تعالى في كونه أخلى الكفين والجبهة والأخصين من الشعر .

فإن الكفين خلقا حاكمين على الملموسات ، فلو جعل^(١) الشعر فيهما لأخل ذلك (بالحكمة التي خلق لها)^(٢) وخلق للقبض والصاق اللحم على المقبوض أعون على جودته من التصاق الشعر به وأيضا فإنهما آلة الأخذ والعطاء والأكل ، فوجود الشعر فيهما يخل بتمام هذه المنفعة .

وأما الأخصان فلو نبت فيهما الشعر لأضر ذلك^(٣) بالماشي ولأعاقه في المشي كثيراً مما كان يعلق بشعره^(٤) مما على الأرض ، ويتعلق شعره بما عليها أيضا هذا مع أن كثرة^(٥) الأوتار والأغشية في الكفين مانع من نفوذ الأبخرة فيها وأما الأخصين فإن الأبخرة (تتصاعد إلى علو وكل تصاعدت الشعر) فيه أكثر^(٦) ، وأيضا فإن^(٧) في كثرة وطئ الأرض بالأخصين تصلبيهما ، ويجعل سطحهما أملس لا تنبت شيئا ، كما أن الأرض التي توطأ كثيراً لا تنبت شيئا .

وأما الجبهة فلو نبت الشعر عليها لستر محاسنها ، واطلم الوجه وتدل إلى العينين فكان يحتاج إلى حلقه دائما ، ومنع العينين من كمال الإدراك والسبب المؤدي لذلك أن الذي تحت عظم الجبهة هو مقدم الدماغ وهو بارد رطب والبخار لا يتحرك منحرفاً إلى الجبهة بل صاعداً إلى فوق .

(١) في غير الأصل : (حصل) .

(٢) سقط من غير الأصل .

(٣) سقط من غير الأصل .

(٤) قوله (ذلك) سقط من غير الأصل .

(٥) في المطبوع : (أكثر) .

(٦) هكذا في الأصل ، وفي (م) ، (وكل ما يتصاعد كان الشعر أكثر) ، وفي المطبوع : . وكلما تصاعد كان الشعر أكثر) ، وما بين

القوسين سقط من (ق) .

(٧) سقط من (م) و (ق) .

فإن قيل : فلم^(١) ينبت شعر الصبي على رأسه وحاجبيه وأجفانه معه في الصغر دون سائر الشعور ؟ قيل : لشدة الحاجة إلى هذه الشعور الثلاثة ، أوجدها الله سبحانه معه وهو جنين في بطن أمه فإن شعر الرأس كالغطاء الواقى له من الآفات ، والأهداب والأجفان وقاية للعين .

فإن قيل : فلم لم تنبت له اللحية إلا بعد بلوغه ؟

قيل : لأنه عند البلوغ تجتمع الحرارة في بدنه ، ويكون أقوى ما هي ولهذا يعرض له في هذا^(٢) الطور البثرات والدمامل^(٣) / وكثرة الاحتلام وإذا قويت الحرارة كثرت الأبخرة بسبب التحلل وزادت على القدر المحتاج إليه في شعر الرأس فصرفها أحكم الحاكمين إلى نبات اللحية والعانة . وأيضاً : فإن بين أوعية المني وبين اللحية ارتباطاً إذ العروق والمجاري متصلة بينهما فإذا تعطلت أوعية المني ويست تعطلت^(٤) شعر اللحية وإذا قلت الرطوبة والحرارة هناك قل شعر اللحية ، ولهذا الخصيان لا تنبت لها^(٥) اللحية .

فإن قيل فما العلة في الكوسج ؟ قيل برد مزاجه ، ونقصان حرارته

فإن قيل : فما السبب في الصلع ؟ قيل : عدم احتباس الأبخرة في موضع الصلع ، فإن قيل فلم كان في مقدم الرأس . دون جوانبه ومؤخره ؟ .

قيل : لأن الجزء المقدم من الرأس بسبب رطوبة الدماغ يكون أكثر لنا وتحللاً فتحلل الفضلات التي تكون منها الشعور^(٦) فلا يبقى للشعر مادة هناك . فإن قيل : فلم لم يحدث في الأصداغ ؟ قيل لأن^(٧) الرطوبة في الأسافل أكثر منها في الأعالي وشاهده في الأرض العالية والمنخفضة ، فإن قيل : فلم لم تصلع المرأة إلا نادراً ، وكان الصلع في الرجال أكثر ، قيل : لأن الأصل يحدث^(٨) من ييس في الجلد بمثله احتراقه ، وذلك لقوة الحرارة ، والنساء فالرطوبة والبرودة

(١) في المطبوع : (لم نبت) وفي (م) و (ق) : (فلم نبت) .

(٢) في المطبوع : زيادة (مثل) .

(٣) في (م) و (ق) : (الدم) ، وفي المطبوع : (الدامل) .

(٤) في غير الأصل : (تعطل) .

(٥) في (م) و (ق) والمطبوع : (لا ينبت لهم لحي) .

(٦) في (م) و (ق) والمطبوع : (يكون منها الشعر) .

(٧) في غير الأصل : (أن) .

(٨) هكذا في المخطوطات ، وفي المطبوع : (لأن الأصل أنه يحدث) والذي يظهر أن الصواب : (لأن الصلع يحدث) فتحرفت إلى (الأصل) والله أعلم .

أغلب عليهن ولهذا جلودهن أرطب من جلود الرجال ، فلا تحف جلود رؤسهن فلا يعرض لهن الصلح ، ولهذا لا يعرض للصبيان (ولا الخصيان) ^(١) ، وإن عرض للمرأة صلح فذلك في سن ييسها وبلوغها من الكبر عتياً .

فإن قيل : فما السبب في شدة سواد الشعر ؟ قيل : شدة البخارات الخارجة من البدن واعتدالها وصحة مادتها كخضرة الزرع [فإن قيل : فما سبب الصهوبة ؟ قيل : برد المزاج ، فتضعف الحرارة عن صبغ الشعر وتسويده] ^(٢) .

فإن قيل : فما سبب الشقرة والحمرة ؟ قيل : زيادة الحرارة فتصبغ الشعر ولهذا تجد الاشقر أشد حرارة وأكثر حركة وهمة ، فإن قيل : فما سبب البياض (في الشعر) ^(٣) ؟ قيل : البياض نوعان :

أحدهما : طبيعي وهو الشيب / .

والثاني : خارج عن الطبيعة وهو ما يوجد في أواخر الأمراض المجففة بسبب تحليل ^(٤) الرطوبات كما يعرض للنبات عند الجفاف .

فإن قيل : فما سبب الطبيعي ، قيل أختلف في ذلك .

فقال طائفة : سببه الاستحالة إلى لون البلغم بسبب ضعف الحرارة في أبدان الشيوخ .

وقالت طائفة : سببه أن الغذاء الصائر إلى الشعر يصير بارداً بسبب نقصان الحرارة ويكون

بطئ الحركة مدة نفوذه في ^(٥) المسام ، وأصلحت ^(٦) طائفة بين القولين وقالوا : العلة في الأمرين واحد وسببها نقصان الحرارة .

فإن قيل : فلم اختص السبب بالإنسان من بين سائر الحيوان ؟

(١) سقط من غير الأصل .

(٢) سقط من الأصل .

(٣) سقط من غير الأصل .

(٤) في غير الأصل : (تحلل) .

(٥) في غير الأصل : (إلى) .

(٦) في المطبوع : (وجمعت) .

قيل لحم^(١) الإنسان وجلده رخو لين^(٢)، وجلود الحيوانات ولحومها أقوى وأصلب، فلما غلظت مادة الشعر فيها لم يعرض لها ما يعرض لشعر الإنسان ولهذا يكون شعرها كلها معها من حين ولادتها بخلاف الإنسان .

وأيضاً فإن الإنسان يستعمل المطاعم المركبة المتنوعة، وكذا المشارب، ويتناول أكثر من حاجته فيجتمع فيه فضلات كثيرة فتدفعها الطبيعة إلى ظاهر البدن فما دامت الحرارة قوية فإنها تقوى على إحراق تلك الفضلات فيتولد من إحراقها الشعر الأسود، فإذا بلغ الشيخوخة ضعفت الحرارة وعجزت عن إحراق تلك الفضلات فتعمل فيها عملاً ضعيفاً، وأما سائر الحيوانات [فلا]^(٣) تتناول الاغذية المركبة وتتناول منها على قدر الحاجة فلا يشيب شعرها كما يشيب شعر الإنسان، وأيضاً فإن في زمن الشيخوخة يكون الإنسان^(٤) أقل حرارة وأكثر رطوبة فيتولد الخلط^(٥)، والحيوانات فالييس غالب عليها .

فإن قيل : فلم كان شيب الأصداغ في الأكثر متقدماً على غيره ؟

قيل : لقرب هذا الموضع من مقدم الدماغ، والرطوبة في مقدم الدماغ كثيرة لأن الموضع مفصل يجتمع فيه الفضلة الكبيرة فيكثر البرد هناك فيسرع الشيب / .

[١١٤ / ١]

فإن قيل : فلم أسرع الشيب في شعور الخصيان والنساء ؟

قيل : أما النساء فلبرد مزاجهن في الأصل واجتماع الفضلات الكبيرة فيهن، وأما الخصيان فلتوفر المني على أبدانهم يصبح معهم غليظاً بلغمياً، ولهذا لا يحدث لهم الصلع .

فإن قيل : فلم كان شعر الإبط لا يبيض ؟

قيل : لقوة حرارة هذا الموضع بسبب قربه من القلب، ومسامه كثيرة (فلا يبقى فيه كثرة)^(٦) بلغمية لأنها لا تتحلل بالعرق الدائم .

(١) في المطبوع : زيادة (لأن) قبل (لحم) .

(٢) تحرفت في (م) و (ق) إلى (رخص) وفي المطبوع : (رخوين) .

(٣) سقط من الأصل .

(٤) سقط من غير الأصل .

(٥) في المطبوع (البلغم) .

(٦) سقط من المطبوع .

فإن قيل : فلم أبطأ بياض شعر العانة ؟ .

قيل : لأن حركة الجماع تحلل البلغم الذي في مسامه .

فإن قيل : فلم كانت الحيوانات تتبدل شعورها كل سنة بخلاف الإنسان ؟ قيل لضعف

شعرها عن الدوام والبقاء بخلاف شعر الآدمي ، فإن قيل : فما سبب الجعودة والسبوبة ؟

قيل أما الجعودة فمن شدة الحرارة أو من التواء المسام ، فالذي من شدة الحرارة فإنه تعرض

منه الجعودة كما تعرض للشعر عند عرضه على النار ، وأما الذي لالتواء المسام ، فلأن البخار

لضعفه لا يقدر أن ينفذ على الاستقامة فيلتوي في المنافذ فتحدث الجعودة .

فإن قيل : فما السبب في طول شعر الميت وأظفاره بعد موته إذا بقي مدة ؟

قيل : عنه جوابان :

أحدهما : أنها لا تطول ، ولكن لما قبض^(١) ما حولها يظن أنها (طالت) وزادت .

الثاني : وهو أصوب أن ذلك الطول من الفضلات البخارية التي يتحلل وهلة من

جسد^(٣) الميت فيمتد معها الشعر والظفر .

فإن قيل : فلم كان المريض وخاصة المحموم ينقص لحمه ، ويزيد شعره وظفره ؟ .

قيل : إن^(٤) المرض تكثر الفضلات ، فتتكون^(٥) الشعور والأظفار فيها ويقل^(٦) الغذاء فيذوب

اللحم ، وأما في الصحة فتقل الفضلات فلا يحتاج الطبيعة إلى الغذاء وهضمها له ، وإذا قلت

الفضلة نفذت مادة الشعر فتبطئ عن السرعة في النبات

فإن قيل : / فما العلة في انتصاب شعر الخائف والمقروور حتى يبقى كشعر القنفذ ؟ ! قيل [١١٤ / ب

العلة فيه أن الجلد ينقبض وتجتمع المسام على الشعر وتتضايق عليه فينتصب ، فإن قيل : فلم

انتصب شعر البدن واللحية (دون شعر الرأس ؟ قيل : لأن جلدة الرأس كثيفة أكثف من جلدة

(١) في غير الأصل : (ينقص) .

(٢) سقط من غير الأصل .

(٣) (من جنس) في (م) و (ق) ، وفي المطبوع (من الميت) .

(٤) في غير الأصل : زيادة (في) .

(٥) في المطبوع : (فتطول) .

(٦) في غير الأصل : (فيثقل) .

البدن فلا تنقبض انقباض جلدة البدن ، على أن شعر الرأس أيضا ينتصب كذلك ، وإن كان دون انتصاب شعر البدن واللحية (١).

فإن قيل : فلم كان كثرة الجماع يزيد في شعر اللحية والجسد وينقص من شعر الرأس والأجفان ؟ .

قيل : لأن الشعر فيه ما يكون طبيعيا من أول الخلقة كاللحية وسائر شعر البدن ، والأول يكون من قوة الحرارة الأصلية والثاني من قوة الحرارة الخارجية فلا جرم نقصت بسببه الشعور الأصلية وقويت الشعور (٢) العرضية .

فإن قيل : فلم كان الشعر في الإنسان في الجزء المقدم أكثر منه في الجزء (٣) المؤخر وباقي الحيوانات بالعكس ؟

قيل لأن الشعر إنما يكون حيث تكون الحرارة قوية ، ويكون تحلل (٤) الجلد أكثر ، وهذا في الإنسان في ناحية الصدر والبطن ، وأما جلدة الظهر فمتكاثفة وأما [ذوات] (٥) الأربع ففي الخلف شعورها أكثر لأن البخار فيها يرمي (٦) إلى الخلف ، وأن تلك المواضع هي التي تلقي الحر والبرد فتحتاج إلى وقاء أكثر .

فإن قيل : فلم كان الرأس بالشعر أحق الأعضاء ، ونباته عليه (٧) أكثر ؟

قيل : لأن البخار يتصاعد ويطلب جهة الفوق وهو الرأس ولا تستطل هذا الفصل فإن أمر الشعر من السميات (٨) والفضلات وهذا شأنه ، فما الظن بغيره من الأجزاء الأصلية ؟ فإذا كانت هذه قليلاً من كثير من حكمة الرب تعالى في الشعور ومواضعها ومنافعها ، فكيف بحكمته في الرأس والقلب والكبد والصدر وغيرها ؟

(١) سقط من : المطبوع .

(٢) في المطبوع : (وتوفرت العرضية) .

(٣) سقط من غير الأصل .

(٤) في المطبوع : (تحلل) .

(٥) سقط من الأصل .

(٦) في غير الأصل : (يرقى) .

(٧) في (م) و (ق) : (عليها) ، وسقط من المطبوع .

(٨) في غير الأصل : (السمات) .

ولا تضجر من ذلك فإن الخلق فيه من الصفه والحكم نظير ما في الأمر ، فالرب تعالى حكيم في خلقه وأمره، ويجب من يفقه عند ذلك^(١) ويستدل به عليه وعلى كمال حكمته وعلمه ولطفه وتدبيره فإذا كان (الرب / تعالى)^(٢) لم يضع هذه الفضلات^(٣) سدى ، فما الظن بغيرها^(٤)؟ ونحن نذكر فصلاً مختصراً في حال الإنسان من مبدئه إلى نهايته لنجعله مرآة له ينظر فيها قول خالقه وبارئه ومصوره : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٢١) .



(١) في المطبوع : (من يفقه عنه ذلك) .

(٢) سقط من غير الأصل ، وفي المطبوع : (فإذا كان الله) .

(٣) في المطبوع : زيادة (في الإنسان) .

(٤) في غير الأصل : (فصل) ، وفي الأصل جاءت كلمة (فصل) بعد ذكر الآية .

﴿ فصل ﴾

{ حال الإنسان من مبدئه حتى منتهاه }

لما اقتضى كمال الرب جل جلاله^(١) وقدرته التامة وعلمه المحيط ومشيتته النافذة وحكمته البالغة بتنوع^(٢) خلقه من المواد المتباينة وانشأهم^(٣) في الصور المختلفة ، والتباين العظيم بينهم في المواد والصور والصفات والهيئات والأشكال والطبائع والقوى اقتضت حكمته أن أخذ من الأرض قبضة من تراب ثم ألقى عليها الماء فصارت [مثل]^(٤) الحمأ المسنون ، ثم أرسل عليها الريح فجففها حتى صارت صلصالاً كالفخار ، ثم قدر لها الأعضاء والمنافذ والأوصال فالرباطات^(٥) وصورها فأبدع في تصويرها وأظهرها في أحسن الأشكال ، وفصلها أحسن تفصيل مع اتصال أجزائها وهياً كل جزء منها لما يراد منه ، وقدره لما خلق له على أبلغ الوجوه فصلها في توصيلها^(٦) ، وأبدع في تصويرها وتشكيلها ، والملائكة تراها ولا تعرف ما يراد منها ، وإبليس يطيف بها ويقول : لأمر ما خلقت فلما تكامل تصويرها وتشكيلها وتقدير أعضائها وأوصالها ، وصار جسداً مصوراً مشكلاً كأنه ينطق إلا أنه لا روح فيه ولا حياة .

فأرسل^(٧) إليه روحه فنفخ فيه نفخة فانقلب^(٨) ذلك الطين اليابس^(٩) لحمًا ودمًا وعظاماً وعروقاً ، وسمعاً وبصراً وشمًا ولمساً وحركة وكلاماً فأول شيء بدأ به أن قال : الحمد لله رب العالمين ، فقال له خالقه وبارئهِ ومصوره : يرحمك ربك^(١٠) يا آدم ، فاستوى جالساً أجمل شيء

(١) في المطبوع : (تعالى) .

(٢) في غير الأصل : (بتنوع) .

(٣) في غير الأصل : (من) بدل (في) .

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل .

(٥) في غير الأصل : (والرطوبات) .

(٦) في المطبوع : (توصيلها) .

(٧) في غير الأصل : (وأرسل) .

(٨) في غير الأصل : (وانقلب) .

(٩) سقط من غير الأصل .

(١٠) في (ق) ، والمطبوع : (الله) .

وأحسنه منظراً وأتمه خلقاً وأبدعه صورة ، فقال الرب تعالى لجميع ملائكته اسجدوا له فبادروا بالسجود طاعة لأمر الواحد المعبود وتعظيماً له^(١) ، ثم قيل لهم : لنا في هذه القبضة من التراب سر أبداع^(٢) ، مما ترون وجمال باطن أحسن مما تبصرون / فلتزين^(٣) باطنه بأحسن من زينة ظاهرة ، [١١٥/ب ولنجعل^(٤) من أعظم آياتنا نعلمه أسماء كل شئ ما لم تحسنه الملائكة ، فكان التعلم زينة الباطن وجماله ، وذلك التصوير زينة الظاهر في أكمل شئ وأجمله صورة ومعنى ، وذلك كله صنعه^(٥) تبارك وتعالى ، في قبضة من تراب .

ثم اشتق منه صورة هي مثله في الحسن والجمال والكمال ليسكن إليها وتقر نفسه بها ، وليخرج من بينهما من لا يحصى عدده من الرجال والنساء سواه .



(١) في غير الأصل : (تعظيماً للواحد المعبود ، وطاعة لأمره) .

(٢) في المطبوع : (شرع أبداع مما ترون) .

(٣) في (م) و (ق) : (فلتزين) .

(٤) في (م) و (ق) : (فلنجعل) .

(٥) في غير الأصل : (وكل ذلك صنعه) .

﴿ فصل ﴾

{ حرارة الجسد ، والسر في ذلك }

لما^(١) أراد الله سبحانه أن يذر نسلهما^(٢) في الأرض ويكثره وضع فيهما حرارة الشهوة ونار الشوق والطلب ، وألهم كلا منهما اجتماعه بصاحبه ، فاجتمعا على أمر قد قدر ، فاسمع الآن عجائب ما هنالك ...

لما شاء الرب تعالى أن يخرج نسخة هذا الإنسان منه أودع جسده حرارة وسلط عليه هيجانها فصارت شهوة غالية ، فإذا هاجت حرارة الجسد تحللت الرطوبات من جميع أجزاء الجسد . وابتدأت نازلة من خلف الدماغ في عروق خلف الأذنين إلى فقار الظهر ثم تخرج إلى الكليتين ثم تجمع في أوعية المني بعد أن طبختها نار الشهوة وعقدتها حتى صار لها قوام وغلظ وقصر بها حتى ابيضت ، وقدر لها مجاري وطرقاً تنفذ فيها .

ثم اقتضت حكمته سبحانه أن قدر بخروجها أقوى الأسباب المستفرغة لها من خارج ومن داخل فقيض لها صورة حسنها في عين الناظر وشوقه إليها وساق أحدهما إلى الآخر بسلسلة الشهوة والمحبة ، فحن كل منهما إلى امتزاجه بصاحبه واختلاطه به ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وجعل هذا محل الحرث ، وهذا محل البذر ، (وقال القضاء^(٣) والقدر ، ليشمل كل منكما على صاحبه)^(٤) يلتقي الماء على أمر قد قدر ، وقدر بينهما تلك الحركات لتعمل الحرارة في تلك الرطوبة والفضلة عملها واستخراجها^(٥) من تحت الشعر والبشر والظفر لتوافق النسخة^(٦) الأصلية ويكون الداعي إلى التناسل / في غاية القوة فلا ينقطع النسل .

[١١٦]

ولهذا لا تجد في مني الاحتلام من القوة ما في مني الجماع ، وإنما هو من فضلة حرارة تذيب الرطوبة ، فنفذت فيها^(٧) الطبيعة إلى خارج وذلك نوع من تصور خيال بواسطة الشيطان كما

(١) في غير الأصل : (ثم لما) بداية الفصل .

(٢) في الأصل : (نسلها) .

(٣) في (م) و (ق) : (أيضاً) .

(٤) سقط من المطبوع .

(٥) في المطبوع : (واستخرجها) .

(٦) في المطبوع : (نسخة) .

(٧) في (م) و (ق) : (فتقذفها) .

ثبت^(١) في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : " الرؤيا^(٢) من الله والحلم من الشيطان " ^(٣) . فإن قيل : فهذا اختيار منكم لقول من قال : أن المني يخرج من جميع أجزاء البدن ، هذا^(٤) وإن كان قد قاله كثير من الناس ، فقد خالفهم آخرون وزعموا أنه فضلة يتولد من الطعام والشراب^(٥) ، وهي من أعدل الفضلات ولهذا صلحت أن تكون مبدأ الإنسان وهو جسم متشابه الأجزاء في نفسه . قيل : القول الأول هو الصواب ، ويدل عليه وجوه منها : عموم اللذة بجميع أجزاء البدن . ومنها : مشاكلة أعضاء المولود لأعضاء الوالدين . ومنها : المشابهة الكلية^(٦) .

فدل على أن البدن كله أرسل المني ولولا ذلك لكانت المشابهة بحسب محل واحد ، فدل على أن كل عضو قد أرسل قسطه ونصيبه ، فلما انعقد وصلب ظهرت محاكاته ومشابهته له . ومنها : أن الأمر لو كان كما زعمه أصحاب المقالة الثانية من أن المني جسم واحد متشابه في نفسه لم يتولد منه الأعضاء المختلفة المتشكلة بالأشكال المختلفة لأن القوة الواحدة لا تفعل في المادة الواحدة إلا فعلاً واحداً فدل على أن المادة في نفسها ليست متشابهة الأجزاء . ومنها أن المني فضل الهضم الآخر وذلك إنما يكون عند نضج الدم في العروق وصيرورته مستعداً استعداداً تاماً لأن يصير من جوهر الأعضاء ولذلك يحصل عقيب استفراغه من الضعف أكثر مما يحصل من استفراغ أمثاله من الدم ولذلك يورث الضعف / في جوهر الأعضاء الأصلية ، [١١٦/ب فدل على أنه مركب من أجزاء كل منها قريب الاستعداد لأن يصير جزءاً من عضو مخصوص ، ولذلك سماه الله (تعالى) : ﴿ سَلَالَةٌ مِنْ مَاءٍ ﴾^(٧) والسلالة فعالة من السل وهو ما يسيل من البدن كالنخالة ، والبخارة^(٨) ، كما سمي أصله سلالة من طين لأنه استلها من جميع الأرض ، كما

(١) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(٢) في غير الأصل : زيادة (الصالحة) .

(٣) أخرجه البخاري في (٥٩) كتاب بدء الخلق (١١) باب صفة إبليس وجنوده ح (٣٢٩٢) ، ومسلم في (٤٢) كتاب الرؤيا ح

(٢٢٦١) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه .

(٤) في غير الأصل : (وهذا) .

(٥) سقط من غير الأصل .

(٦) في المطبوع : (أن المشابهة الكلية تدل . .) .

(٧) في غير الأصل : (سلالة والسلالة) .

(٨) في (م) و (ق) : (كالبخار والنخارة) ، وفي المطبوع : (كالبخار) .

جاء في جامع الترمذي عن النبي ﷺ : " أن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض " (١).

قال أصحاب القول الآخر وهم جمهور الأطباء وغيرهم :

لو كان الأمر كما زعم وان المني يسيل من جميع الأعضاء لكان إذا حصل مني الذكر ومني الأنثى في الرحم تشكل المولود بشكلهما معاً ولكان الرجل لا يلد إلا ذكوراً دائماً لأن المني قد استل عندكم من جميع أجزائه فإذا انعقد وجب أن يكون مثله ، وأيضاً فإن المرأة تضع من وطئ الرجل في البطن الواحد ذكراً وأنثى ، ولا يمكن أن يقال ذلك بسبب اختلاف (٢) أجزاء المني .

قالوا : ولا يسلم عموم اللذة لأنها إنما حصلت حال الاندفاع بسبب سيلان تلك المادة الحارة (٣) على تلك المجاري اللحمية التي لحمتها رخوة شبيهة باللحم القريب العهد بالاندمال إذا سال عليه وهو معتدل السخونة ، وكانت (٤) اللذة إنما حصلت بسبب سيلان تلك المادة لحصلت قبل الاندمال (٥).

قالوا : وأما احتجاجكم بالتشابه المذكور بين الوالد والمولود فالمشابهة قد تقع في (٦) الظفر والشعر وليس يخرج منها (٧) شئ وأيضاً فالمولود قد يشبه جداً بعيداً من أجداده كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ : أن رجلاً سأله فقال : أن امرأتى ولدت غلاماً أسود قال : فهل لك

[١/١١٧]

(١) الحديث أخرجه الترمذي في سننه في (٤٨) كتاب التفسير ، (٣) باب ومن سورة البقرة ح (٢٩٥٥) ، وأبو داود في سننه في (٣٥) كتاب السنة ، (١٧) باب القدر ، ح (٤٦٦٠) ، وأحمد في مسنده (٤٠٠/٤) ، وابن حبان في صحيحه — كما في الإحسان — في (٦٠) كتاب التاريخ (١) باب بدء الخلق ، ح (٦١٦٠) ، وابن خزيمة في التوحيد في (١٦) باب ذكر صفة خلق الله آدم عليه السلام ح (٨٣) ، وأبو الشيخ في العظمة في (٤٥) خلق آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام ح (١٠٠٢) وغيرهم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه . قال الترمذي : حسن صحيح . وأورده الألباني في الصحيحة (١٧٢/٤) برقم (١٦٣٠) وقال إسناده صحيح .

(٢) في الأصل زيادة : (المني) قبل أجزاء .

(٣) في المطبوع زيادة : (جارية) .

(٤) في المطبوع : (ولو كانت) .

(٥) في الأصل : (الاندمال) وفي غير الأصل : (الاندفاع) وهو أصح والله أعلم .

(٦) سقط من غير الأصل والمطبوع .

(٧) في غير الأصل : (منهما) .

من إبل ؟ قال : نعم ، قال : فما ألوانها ؟ قال : سود ، قال : هل فيها من أورك ؟ ، قال : نعم ، قال : فأني له ذلك ؟ قال : عسى أن يكون نرعة عرق ، قال : وهذا عسى أن يكون / نرعة عرق ^(١) .

قالوا : ولو كان في المني من كل عضو جزءاً فلا تخلو تلك الأجزاء إما أن تكون موضوعة في المني وضعها الواجب ، أو لا تكون كذلك ، فإن كانت موضوعة وضعها الواجب كان المني حيواناً صغيراً ، وإن لم يكن كذلك استحالت المشابهة .

قالوا : وأيضاً فالمني إما أن يكون مركباً على تركيب هذا الأعضاء وترتيبها ، أو لا يكون كذلك ، فالأول باطل قطعاً لأن المني رطوبة سيالة فلا تخفض الوضع والترتيب وإن كان ^(٢) ثقيلة فتعين الثاني فلا بد قطعاً أن يحال ذلك الترتيب والتصوير والتشكيل على سبب آخر سوى القوة التي في المادة فإنها قوة بسيطة ، لا شعور لها ولا إدراك ولا يهتدي لهذه التفاصيل التي في الصورة الإنسانية بل هذا التصوير والتشكيل مرجعه ^(٣) إلى خالق عظيم عليم حكيم قد بهرت حكمته العقول ودلت آثار صنعته على كمال أسمائه وصفاته وتوحيده .

وقد اعترف ^(٤) بذلك فاضلاً الأطباء وهما بقراط وأفلاطون فأقرا بأن ذلك مستنده أما حكمه الصانع وعنايته وأنه لم يصدر إلا عن خالق حكيم عليم قدير ، ذكره جالينوس ^(٥) عنهما في كتاب رأى بقراط وأفلاطون ^(٦) فأبى جهلة الأطباء ، وزنادقة المتفلسفة والطبائعين إلا كفوراً وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ من حديث حذيفة بن أسيد أن الله وكل بالرحم ملكاً يقول : يارب

^(١) أخرجه البخاري في (٦٨) كتاب الطلاق ، (٢٦) باب إذا عرض بنفي الولد ح (٥٣٠٥) ، ومسلم في (٩١٩) كتاب اللعان

ح (١٥٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

^(٢) في غير الأصل : (كانت) .

^(٣) سقط من غير الأصل ، وفي المطبوع : (مستند إلى . .) .

^(٤) (اعترف) : في غير الأصل والمطبوع .

^(٥) (جالينوس) : في غير الأصل .

^(٦) أفلاطون : فيلسوف يوناني تعلم على سقراط ، انفرد في فلسفته بنظرية المثل التي تفيد : أن المعاني الكلية ذات وجود في الخارج مستقل عن وجود الجزئيات ، التي تتمثل فيها تلك المعاني ، فلكل نوع من الجزئيات فكرة ، أو مثال جاءت الأفراد الجزئية على غراره " له مؤلفات كثيرة في السياسة والفلسفة وغيرها . مات سنة (٣٤٧) قبل الميلاد . انظر : الموسوعة العربية الميسرة (١٨١/١) .

نطفة ، يارب علقه ، يارب مضغة ، فما الرزق ، فما الأجل ، فما العمل ؟ فيقضي الله ما شاء ويكتب الملك ، وفي لفظ : يقول الملك الذي يخلقها أي يصورها بإذن الله أي يصور خلقه في الأرحام كيف شاء الله لا إله إلا هو العزيز الحكيم .

قال أصحاب القول الأول : نحن أحق بهذا التزيه والتوحيد ومعرفة حكمة الخلاق العظيم^(١) وقدرته وعلمه ، وأسعد / به منكم .

[١١٧/ب]

ومن أحوال من سفهائنا وزنادقتنا هذا التخليق على القوة المصورة والأسباب الطبيعية ولم يسندها إلى فاعل مختار عالم بكل شيء ، قاد رعلى كل شيء ، لا يكون شيء إلا بإذنه ومشئته ، والقوة^(٢) الطبيعة خلق مسخر من خلقه وعبد من جملة عبيده وليس لها تصرف ولا حركة ولا فعل إلا بإذن بارئها وخالقها ، فذلك الذي جهل نفسه وربّه ، وعادى الطبيعة والشريعة .

والرب تعالى يخلق ما يشاء ويختار ويصور خلقه في الأرحام كيف يشاء بأسباب قدرها وحكم دبرها وإذا شاء أن تسلب تلك الأسباب قواها سلبها وإذا شاء أن تقطع أسبابها^(٣) قطعها وإذا شاء أن يهيأ لها أسبابا آخر^(٤) تقاومها وتعارضها فعل فإنه الفعال لما يريد ، وليس في كون المني مستلا من جميع أجزاء البدن ما يخرجها عن الحوالة^(٥) على قدرته ومشئته وحكمته بل ذلك أبلغ في الحكمة والقدرة .

وأما قولكم : لو كان المني مستلاً من جميع الأعضاء لكان الولد يتشكل بشكلهما معاً . فقد أجاب النبي ﷺ عن سألته عن ذلك بما شفى وكفى ففي صحيح البخاري من حديث أنس [رضي الله عنه] ^(٦) قال : " بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وهو في أرض مخترف^(٧) فأتاه وقال : " إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي : ما أول أشراط الساعة

(١) في غير الأصل : (العليم) .

(٢) سقطت الواو من (ق) .

(٣) في (م) و (ق) : (سبها) ، وفي المطبوع : (مسبها) عنها .

(٤) في المطبوع : (أخرى) .

(٥) في الأصل : (ما يخرج الحوالة) .

(٦) سقط من الأصل .

(٧) في غير الأصل : (مخترف) .

؟ ، وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومن أي شئ يترع الولد إلى أبيه ؟ ومن أي شئ يترع إلى أخواله ؟ فقال رسول الله ﷺ : " أخبرني بمن آنفاً جبريل " قال عبد الله : ذاك عدو يهود^(١) من الملائكة ، أما أشراط الساعة فنار يحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماءه . كان الشبه (له ، وإذا سبقت كان الشبه)^(٢) لها " فقال : أشهد أنك رسول الله^(٣) . فهذا جواب جبريل أمين رب العالمين لا جبريل الطبيب .

وفي صحيح مسلم / من حديث ثوبان عن النبي ﷺ : " إذا علا ماء الرجل ماء المرأة [١/١١٨] ذكراً يأذن الله وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثى يأذن الله "^(٤) .

وقد يتفق (استواء)^(٥) المائتين في الانزال والقدر ، وذلك من أندر الأشياء فيخلق للولد ذكر كذكر الرجل ، وفرج كفرج المرأة هذا^(٦) وإن شاء الله أن تغلب سلالة ماء الرجل على ماء المرأة . أو سلالته على أو سلالته^(٧) أمر ملك [الأرحام]^(٨) بتصويره كذلك فإن ذلك لا يخل بحكمة ولا يخرق عادة ، ولو خرقتها لم يخل بحكمة أحكم الحاكمين .

وأما منعكم عموم اللذة للبدن^(٩) فتشبيهه بالمكابرة ، والجامع يجد عند الإنزال شيئاً قد استل من جميع بدنه وسمعه وبصره وقواه وأفرغ في قالب الرحم فيحس كأنه قد خلع قميصاً كان مشتملاً به ، ولهذا اقتضت حكمة رب العالمين في شرعه وقدره أن أمره بالاعتسال عقيب ذلك ليخلف عليه الماء ما تحلل من بدنه المخلوق^(١٠) من ماء ، وإذا اغتسل وجده^(١١) نشاطاً وقوة وكأنه لم

(١) في غير الأصل : اليهود .

(٢) سقط من المطبوع .

(٣) أخرجه البخاري في (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء ، (١) باب خلق آدم وذريته ح (٣٣٢٩) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في (٣) كتاب الحيض ، (٨) باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما ح (٣١٥) .

(٥) سقط من غير الأصل .

(٦) سقط من غير الأصل .

(٧) في غير الأصل : (أو سلالته على سلالته) .

(٨) سقط من الأصل .

(٩) سقط من المطبوع .

(١٠) سقط من المطبوع .

ينقص منه شيء ، فإن رطوبة الماء تخلف على البدن ما حللته تلك الحركة من رطوباته ، وتعمل فيها الحرارة الأصلية عملها فتتمد بها القوى التي ضعفت بالإنزال .

وأما التشابه الواقع بين الظفر والشعر في الوالد والمولود ولم ينفصل بينهما شيء فما أبردها من شبهة ، فإن الظفر والشعر تابعين^(٢) للأعضاء والمزاج الذي وقع فيه التشابه فاستتابع تشابه الأصل تشابه النبع ، وأما شبه المولود بالجد البعيد من أجداده فهو من أقوى الأدلة لنا في المسألة لأن ذلك الشبه البعيد لم يزل ينقل في الأصلاب حتى استقر في صورة الولد وبها حصل الشبه .

وأما قولكم : أن تلك الأجزاء لا تخلو إما أن تكون موضوعة في المني وضعها الواجب أولاً

، إلى آخره .. فجوابه أنكم أن عنيتم أنها موضوعة بالفعل / فليس كذلك وإن أردتم أنها موضوعة [١١٨/ب بالقوة فنعم وما المانع منه ، ويكون المني حيواناً صغيراً بل كبيراً بالقوة ، وبهذا ظهر الجواب عن قولكم أن المني رطوبة سيالة ، لا تخفض^(٣) الوضع^(٤) والترتيب ، فغاية ما يقدر أن ذلك جزء من أجزاء السبب الذي يخلق الله به الولد وجزء السبب لا يستقل بالحكم ، فالمستقل بالإيجاد مشيئة الله وحده ، والأسباب محال لظهور^(٥) (أثر المشيئة)^(٦) .



(١) في غير الأصل : (وجد) .

(٢) في المطبوع : (تابعان) .

(٣) في المطبوع : (لا تخفض) .

(٤) في (م) و (ق) : (الوضع) .

(٥) في (م) و (ق) : (والأسباب فحال لظهور أثر الشبه) . والمطبوع : (والأسباب محال لظهور) .

(٦) سقط من المطبوع .

﴿ فصل ﴾

{ صفة ماء المرأة }

فإن قيل: هذا^(١) تصريح منكم بأن المرأة لها مني وأن منها أحد الجزئين اللذين يخلق الله منهما الولد . وقد ظن طائفة من الأطباء أن المرأة لا مني لها .

قيل : هذا هو السؤال الذي أوردته أم المؤمنين عائشة وأم سلمة^(٢) . على النبي ﷺ وأجابهما عنه بإثبات مني المرأة ففي الصحيح أن أم سليم^(٣) قالت : يا رسول الله . أن الله لا يستحي من الحق ، هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت ؟ قال : نعم . إذا رأت الماء . فقالت أم سليم : أو تحتلم المرأة ؟ قال : تربت يداك فبم يشبهها ولدها ؟^(٤) " .

وفيهما عن عائشة أن أم سليم سألت رسول الله ﷺ عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل هل عليها من غسل ؟ قال : نعم إذا رأت الماء ، قالت : فقلت لها : أفترى المرأة ذلك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وهل يكون الشبه إلا من ذلك إذا علا ماؤها ماء الرجل أشبه الولد أخواله ، وإذا علا ماء الرجل ماؤها أشبه أعمامه " لفظ مسلم^(٥) .

وقد أكثر جالينوس^(٦) التشنيع على أرسطا طاليس حيث قال : أن المرأة لا مني لها فلتحرر المسألة^(٧) طبعاً كما حررت شرعاً فنقول : مني الذكر من جملة (الطباعات)^(٨) الرطوبات والفضلات التي في البدن ، وهذا أمر مشترك بين الذكر والأنثى ، وبواسطته يخلق الولد ، وبواسطته

(١) في غير الأصل : (فهذا) .

(٢) في غير الأصل : زيادة (رضي الله عنها) ، وأم سلمة هي :

(٣) في غير الأصل تحرفت إلى أم سلمة ، وأم سليم هي :

(٤) أخرجه البخاري في (٣) كتاب العلم ، (٥٠) باب الحياء في العلم ح (١٣٠) ، ومسلم في (٣) كتاب الحيض ، (٧) باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها (٣١٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

(٥) أخرجه مسلم في الموضع السابق ح (٣١٤) .

(٦) جالينوس : طبيب وكاتب يوناني ، ينسب له خمسمائة مؤلف أغلبها في الطب والفلسفة ، وكان له تأثير كبير على من جاء بعده ، وبخاصة ف الطب مات سنة (٢٠٠ أو ٢٠١) قبل الميلاد .

انظر : الموسوعة العربية الميسرة (٥٩٧/١) .

(٧) في غير الأصل : (فلنحرر هذه المسألة) .

(٨) هذه الكلمة في الأصل فقط .

يكون الشبه ، ولو لم يكن للمرأة مني لما اشبهها ولدها . ولا يقال : أن / الشبه بسبب^(١) دم الطمث ، فإنه لا ينعقد مع مني الرجل ولا يتحد به ، وقد أجرى الله (سبحانه) العادة بأن (التولد و)^(٢) التوالد لا يكون إلا بين أصلين يتولد من بينهما ثالث .

ومني الرجل وحده لا يتولد منه الولد ما لم يمازجه مادة أخرى من الأنثى ، وقد اعترف أرباب القول الآخر بذلك وقالوا : لا بد من وجود مادة بيضاء لزجة للمرأة تصير مادة لبدن الجنين ، ولكن نازعوا : هل فيها قوة عاقدة كما في مني الرجل^(٣) ؟ .

وقد فصل^(٤) النبي ﷺ هذه المسألة فيما رواه مسلم^(٥) في صحيحه من حديث ثوبان موله ، حيث سأله اليهودي^(٦) عن الولد فقال : " ماء الرجل ابيض ، وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا يأذن الله ، وإذا علا مني المرأة مني الرجل آثا يأذن الله " .

نعم لمني الرجل خاصة الغلظ والبياض ، والخروج بدفق ودفع ، فإن أراد من نفى مني المرأة انتفاء ذلك عنها أصاب ، ولمني المرأة خاصة الرقة والصفرة والسيلان بغير دفع ، فإن نفى ذلك عنها خطأ ، وفي كل من المائتين قوة ، فإذا انضم أحدهما إلى الآخر اكتسبا قوة ثالثة هي من أسباب تكون الجنين .

واقتضت حكمة الخلاق العظيم^(٧) سبحانه أن جعل داخل الرحم خشناً كالسفننج ، وجعل فيه طلباً للمني وقبولاً له كطلب الأرض الشديدة العطش للماء وقبولها له تجعله طالباً حافظاً مشتاقاً إليه بالطبع^(٨) ، فلذلك إذا ظفر به أمسكه ولم يضيعه^(٩) يشتمل عليه أتم اشتمال ، ويضم عليه أعظم انضمام لئلا يفسد الهواء فتتولى القوة والحرارة التي هناك ، ويأذن الله لملك الرحم (عقده وطبخه

(١) في المطبوع : (سبه) .

(٢) ما بين القوسين سقط من المطبوع .

(٣) في المطبوع : زيادة (أم لا ؟) .

(٤) في غير الأصل : (أدخل) .

(٥) في (م) و (ق) : (في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم) ، وفي المطبوع : (في الحديث الذي رواه) .

(٦) في غير الأصل : (اليهود) .

(٧) في غير الأصل : (العليم) .

(٨) في المطبوع : (بالعطش) .

(٩) في الأصل كلمة صورتها (ومرلفة) وفي غير الأصل زيادة (بل) .

أربعين يوماً كما يشاء ، وفي تلك الأربعين يجمع خلقه فإن الرحم ^(١) إذا اشتمل على المني ولم يقذفه ^(٢) إلى خارج استدار المني على نفسه وصار كالكرة ، وأخذ في الشدة إلى تمام ستة أيام فإذا اشتد / نقط فيه نقطة في الوسط وهو موضع القلب ، ونقطة في أعلاه وهي نقطة الدماغ ، [١١٩/ب ونقطة ^(٣) عن اليمين وهي نقطة الكبد ، ثم تتباعد تلك النقط ، ويظهر فيما بينهما ^(٤) خطوط خمسة ^(٥) إلى تمام ثلاثة أيام آخر ، ثم تنفذ الدموية في الجميع بعد ستة أيام آخر ، فيصير ذلك خمسة عشر يوماً (فتميز الأعضاء الثلاثة وهي القلب والدماغ والكبد وتمتد رطوبة النخاع وذلك يتم باثني عشر يوماً) ^(٦) ، ويصير المجموع سبعة وعشرين يوماً .

ثم يفصل الرأس عن المنكبين ، والأطراف عن الضلوع ، والبطن عن الجنين ، وذلك في تسعة أيام آخر ^(٧) فتصير ستة وثلاثين يوماً .

ثم يتم هذا التميز بحيث يظهر للحس ظهوراً بينا في تمام أربعة أيام ، فيصير المجموع أربعين يوماً فيها يجمع خلقه وهذا مطابق لقول النبي ﷺ في الحديث المتفق على صحته : " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً " ^(٨) ولقد كفى ﷺ بهذا الإجمال عن التفصيل وهذا يقتضي أن اجتماع خلقه وقع في الأربعين الأولى ، ولا ينافي هذا قوله . (ثم يكون علقه مثل ذلك) ، فإنه يكون علقه وهي القطعة من الدم قد جمع فيها خلقها جمعاً خفيفاً ^(٩) وذلك الخلق في ظهور خفي على التدريج .

(١) سقط من غير الأصل .

(٢) زيادة (به) بعد (يقذفه في المطبوع .

(٣) سقط من المطبوع .

(٤) في غير الأصل : (بينها) .

(٥) في غير الأصل : (خمس) .

(٦) سقط من المطبوع .

(٧) سقط من المطبوع .

(٨) أخرجه البخاري في (٥٩) كتاب بدء الخلق (٦) باب ذكر الملائكة ح (٣٢٠٨) ، ومسلم في (٤٦) كتاب القدر ،

(١) باب كيفية الخلق آدمي . . . ح (٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٩) في (م) و (ق) والمطبوع : (خفياً) .

ثم يكون مضغة أربعين يوماً أخرى ، وذلك التخليق يتزايد شيئاً فشيئاً إلى أن يظهر للحس ظهوراً لا خفاء به كله . والروح لم تتعلق به بعد ، فإنها^(١) تتعلق به في الأربعين الرابعة بعد مائة وعشرين يوماً ، كما أخبر به الصادق (المصدوق)^(٢) ، وذلك مما لا سبيل إلى معرفته إلا بالوحي إذ ليس في الطبيعة ما يقتضيه فلذلك حار فضلاء الأطباء ، وأذكاء الفلاسفة ، في ذلك وقالوا : أن هذا مما لا سبيل إلى معرفته ، إلا بحسب الظن البعيد .

قال : من وقف على نهايات كلامهم في ذلك ، ودأب فيه حتى (ملّ)^(٣) وكلّ وهو

صاحب الطب الكبير فذكر مناسبات خيالية ثم قال : وحقيقة العلم منه عند الله / تعالى ولا مطمع [١٢٠/أ] لأحد من الخلق في الوقوف عليه .

قلت : قد أوقفنا عليه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى مما ثبت في الصحيحين :

" إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً (نطفة) ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر^(٤) بكتابة رزقه ، واجله ، وعمله ، وشقي أم سعيد " .



(١) في غير الأصل : زيادة : (إنما) .

(٢) سقط من غير الأصل .

(٣) سقط من غير الأصل .

(٤) في (م) و (ق) والمطبوع : (ويؤمر بأربع : بكتب . . .) .

﴿ فصل ﴾

{ سبب تفاوت مدة الحمل }

ورأيت لبعض الأطباء كلاماً ذكر فيه سبب تفاوت زمن الولادة فأذكره وأذكر ما فيه .
قال : إذا تم خلق الجنين مدة معينة فإنها إذا زادت^(١) عليها مثلها تحرك الجنين ، فإذا انضاف إلى المجموع مثله انفصل الجنين .

قال : فإذا تم خلقه في ثلاثين يوماً فإنه إذا صار له ستون يوماً تحرك فإذا انضاف إلى الستين مثلاً صارت مائة وثمانين^(٢) وهي ستة أشهر وهي (أقل) مدة ينفصل لها حملها^(٣) وإذا تم خلقه في خمسة وثلاثين يوماً تحرك لسبعين ، وانفصل لسبعة أشهر ، وإذا تم خلقه لأربعين يوماً تحرك لثمانين يوماً وانفصل لثمانية أشهر وإذا تم لخمسة وأربعين تحرك لتسعين وانفصل لتسعة أشهر ، وعلى هذا الحساب أبداً .

وهذا [الذي ذكره هذا القائل يقتضي حركة الجنين قبل الأربعين وهذا]^(٤) خطأ [قطعاً]
فإن الروح إنما تتعلق به بعد الأربعين الثالثة ، وحينئذ يتحرك فلا تثبت له حركة قبل مائة وعشرين يوماً ، وما يقدر من حركة له^(٥) قبل ذلك فليست حركة ذاتية اختيارية بل لعلها حركة عارضية^(٦) بسبب الأغشية والرطوبات ، وما ذكره من الحساب لا يقوم عليه دليل ولا تجربة مطردة ، فرمما زاد على ذلك أو نقص منه ولكن الذي نقطع به أن الروح لا تتعلق به إلا بعد الأربعين الثالثة ، وما يقدر من حركة قبل ذلك أن صحت لم يكن بسبب الروح ، والله أعلم .



(١) في (م) و (ق) والمطبوع : (زاد) .

(٢) في غير الأصل زيادة (يوماً) .

(٣) في غير الأصل : (الحمل) .

(٤) سقط من الأصل .

(٥) سقط من المطبوع .

(٦) في غير الأصل : (عارضة) .

﴿ فصل ﴾

{ أقل مدة للحمل }

وأما أقل مدة الحمل فقد تظاهرت الشريعة والطبيعة على أنها ستة أشهر / ، قال تعالى : [١٢٠/ب وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا] ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِئَ الرِّضَاعَةَ ﴾ ^(٢) .

قال جالينوس : كنت شديد الفحص عن مقادير أزمان الحمل ، فرأيت امرأة واحدة ولدت في مائة وأربعة [و] ^(٣) ثمانين ليلة .

وزعم صاحب الشفاء أنه شاهد ذلك ، ، وأما أكثره فقال في الشفاء : بلغني من حيث وثقت (كل الثقة) ^(٤) أن امرأة وضعت بعد الرابع من سن الحمل ولداً قد نبتت أسنانه وعاش .



(١) الأحقاف : (١٥) .

(٢) البقرة : (٢٣٣) .

(٣) ما بين المعقوفين سقط من الأصل ، وفي المطبوع : (وأربع وثمانين) .

(٤) سقط من المطبوع .

﴿ فصل ﴾

{ سبب الإذكار والإيناث }

فإن قيل : فما سبب الإذكار والإيناث ؟

قيل : الذي نختاره أنه إنما سببه مشيئة الرب الفاعل باختياره وليس له سبب^(١) طبيعي ، وكل ما ذكره أصحاب الطبائع من الأسباب فمنقضى مثل حرارة الرجل ورطوبته .

قالوا : وفساد المزاج أيضا يوجب إيلاد الإناث ، واستقامته توجب الإذكار وكل هذا تخليط وهذيان ، فليس للإذكار والإيناث إلا قول الله لملك الأرحام وقد استأذنه : يارب ذكر يارب أثني ، يارب شقي أم سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ ، فالإذكار^(٢) والإيناث قرائن^(٣) السعادة والشقاوة والرزق والأجل .

فإن قيل فتلك أيضا بأسباب ، قلنا : نعم ، ولكن بأسباب بعد الولادة ، ولا سبب للإذكار والإيناث قبل الولادة .

فإن قيل : فما تصنعون بحديث ثوبان الذي رواه مسلم في صحيحه : أن يهودياً سأل النبي ﷺ عن الولد ؟ فقال : " ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله ، وإذا علا مني المرأة مني الرجل آثا بإذن الله " فقال اليهودي : صدقت وإنك لنبي ؟

قيل : هذا الحديث تفرد به مسلم في صحيحه وقد تكلم فيه بعضهم وقال : الظاهر أن الحديث وهم فيه بعض الرواة ، وإنما كان السؤال عن الشبه / وهو الذي سأله^(٤) عبد الله بن سلام^(٥) في الحديث المتفق على صحته فأجابه بسبق الماء ، وإن الشبه يكون للسابق ، فلعل بعض الرواة

(١) في المطبوع : وليس (بسبب) .

(٢) في غير الأصل : (والإذكار) .

(٣) في (م) و (ق) والمطبوع : (قرين) .

(٤) في المطبوع : (سأل عنه) .

(٥) عبد الله بن سلام : هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي أبو يوسف حليف بني عوف بن الخزرج ، أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة . قيل : كان اسمه الحصين فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ، وشهد له بالجنة .

مات بالمدينة سنة (٤٣ هـ) . انظر التهذيب (٢١٩/٥ - ٢٢٠) .

انقلب عليه شبه الولد بالمرأة بكونه أنثى وشبهه [بالولد]^(١) لكونه ذكراً لا سيما والشبه التام إنما هو بذلك .

وقالت طائفة : بل^(٢) الحديث صحيح لا مطعن في سنده ولا منافاة بينه وبين حديث عبد الله بن سلام وليست الواقعة واحدة بل هما قصتان^(٣) ورواية كل منهما غير رواية الأخرى .
وفي حديث ثوبان قصة^(٤) ضبطت وحفظت :

قال ثوبان : كنت قائماً عند النبي ﷺ فجاء خبر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد ، فدفعته دفعة كاد يصرع منها ، فقال لي : لم تدفعني ؟ ! فقلت : ألا تقول يا رسول الله ؟ !! : فقال اليهودي : إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله ، فقال رسول الله ﷺ : إن اسمي محمداً الذي سماني به أهلي ، فقال اليهودي : جئت أسألك . فقال رسول الله ﷺ : أينفعك شيء أن حدثتك ؟ قال : أسمع يا ذني ، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه (قال : سل)^(٥) ، فقال اليهودي : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال رسول الله ﷺ :^(٦) في الظلمة دون الجسر ، فقال : فمن أول الناس إجازة ؟ قال : فقراء المهاجرين ، قال اليهودي : فما تحفتهم حين^(٧) يدخلون الجنة ؟ قال : زيادة كبد النون^(٨) ، قال : فما غداؤهم على أثره ؟ قال : ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يرعى^(٩) من أطرافها ، قال : فما شراهم عليه ؟ قال : من عين منها تسمى سلسبيلا ، قال : صدقت ، قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد إلا نبي أو رجل أو رجلان ، قال : ينفعك أن حدثتك ؟ ، قال : أسمع يا ذني ، قال : جئت أسألك عن الولد ، قال : ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا

(١) بياض في الأصل هنا ، وفي (م) و (ق) : (بالولد) ، وفي المطبوع : (بالوالد) .

(٢) سقط من المطبوع .

(٣) في غير الأصل : (قضيتان) .

(٤) في المطبوع : (قضية) .

(٥) في المطبوع : (رسول الله) .

(٦) سقط من المطبوع .

(٧) في غير الأصل : زيادة (هم) .

(٨) في المطبوع : (حتى) .

(٩) في المطبوع : (الحوت) .

(١٠) في (م) و (ق) والمطبوع : (يأكل) .

مَنِ الرَّجُلُ مَنِ الْمَرْأَةُ أَذْكَرَا يَا ذَنَ اللَّهِ ، وَإِذَا عَلَا مَنِ الْمَرْأَةُ مَنِ الرَّجُلُ آتَا بِإِذْنِ اللَّهِ / قَالَ [١/٢١] الْيَهُودِي : لَقَدْ صَدَقْتَ وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَقَدْ سَأَلَنِي عَنْ هَذَا الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ وَمَالِي عِلْمٌ بِهِ حَتَّى أَنْبَأَنِي اللَّهُ بِهِ .

وَأَمَّا حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ^(١) فَقِي صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسٍ ^(٢) : قَالَ : بَلَغَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ مُقَدِّمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ فَقَالَ : إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ : مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ؟ ، وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَرَعُّ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ ، وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَرَعُّ إِلَى أَحْوَالِهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " خَبَرَنِي بِهِنَّ أَنْفَا جِبْرِيلُ " فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ (بْنُ سَلَامٍ) ^(٣) : ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ . فَقَالَ : أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارُ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ ^(٤) أَهْلُ الْجَنَّةِ فزِيَادَةُ كَبِدِ حَوْتٍ ^(٥) ، وَأَمَّا الشَّيْبَةُ فِي الْوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّيْبَةُ لَهُ وَإِذَا سَبَقَتْ كَانَ الشَّيْبَةُ لَهَا قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

فَتَضْمَنَ الْحَدِيثَانِ أَمْرَيْنِ تَرْتَبُ عَلَيْهِمَا (أَثَرَانِ : سَبَقَ الْمَاءُ ، وَعَلَوَهُ فَتَأْثِيرُ السَّبَقِ فِي الشَّيْبَةِ ، وَتَأْثِيرُ الْعُلُوِّ فِي الْإِذْكَارِ وَالْإِيْنَاثِ ، فَإِنْ اجْتَمَعَ الْأَمْرَانِ تَرْتَبُ عَلَيْهِمَا) ^(٦) الْأَثَرَانِ مَعًا ، وَأَيُّهُمَا انْفَرَدَ تَرْتَبُ عَلَيْهِ أَثَرُهُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ وَعَلَا أَذْكَرَ وَكَانَ الشَّيْبَةُ لَهُ ، وَإِنْ سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ وَعَلَا أَنْثَى وَكَانَ الشَّيْبَةُ لَهَا ، وَإِنْ سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ وَعَلَا مَاءُ الرَّجُلِ أَذْكَرَ وَكَانَ الشَّيْبَةُ لَهَا (وَإِنْ سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ وَعَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ أَنْثَى وَكَانَ الشَّيْبَةُ لَهُ) ^(٧) وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ فَهَذَا جُزْءٌ سَبَبٌ لَيْسَ بِمَوْجِبٍ وَالسَّبَبُ الْمَوْجِبُ مَشِئَةُ اللَّهِ قَالَ : فَقَدْ يَسَبِّبُ سَبَبُهُ السَّبَبَ ، وَقَدْ يَتَرْتَبُ عَلَى ضِدِّ مَقْتَضَاهُ وَلَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ مَخَالَفَةٌ لِحُكْمَتِهِ ، كَمَا لَا تَكُونُ تَعَجِيزًا لِقُدْرَتِهِ ، وَقَدْ أَشَارَ فِي الْحَدِيثِ إِلَى هَذَا بِقَوْلِهِ : " أَذْكَرَا وَأَنْثَى بِإِذْنِ اللَّهِ " .

(١) فِي غَيْرِ الْأَصْلِ : زِيَادَةُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) .

(٢) فِي غَيْرِ الْأَصْلِ : زِيَادَةُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) .

(٣) سَقَطَ مِنْ غَيْرِ الْأَصْلِ .

(٤) فِي (م) وَ (ق) وَالْمَطْبُوعُ : زِيَادَةُ : (يَأْكُلُهُ) .

(٥) فِي الْمَطْبُوعِ : (الْحَوْتِ) .

(٦) سَقَطَ مِنْ غَيْرِ الْأَصْلِ .

(٧) اسْتَدْرَاكٌ فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، وَسَاقَطٌ مِنْ غَيْرِهِ .

وقد قال تعالى : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)﴾^(١). فأخبر سبحانه أن ذلك عائد إلى مشيئته وأنه قد يهب الذكور فقط وقد يهب الإناث فقط وقد يجمع للوالدين بين النوعين معاً ، وقد يخليهما عنهما معاً ، وأن ذلك كما أنه^(٢) راجع إلى مشيئته فهو متعلق بعلمه وقدرته / .

[١/٢٢]

وقد وهب الله آدم الذكور والإناث ، واسرائيل الذكور دون الإناث ، ومحمداً الإناث دون الذكور سوى ولده إبراهيم ، وقال سليمان [عليه السلام]^(٣) : " لأطوفن^(٤) على سبعين امرأة ، تأتي كل امرأة منهن بغلام يقاتل في سبيل الله ، (فقال له صاحبه : قل أن شاء الله ، فلم يقل) فطاف عليهن فلم تلد منهن امرأة واحدة ، إلا امرأة جاءت بشق ولد " .

قال النبي ﷺ : " والذي نفسي بيده لو قال أن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعين^{(٥) (٦) (٧)} .

فدل على أن مجرد الوطاء ليس بسبب تام ، وإن كان له مدخل في السببية ، وإنما السبب التام مشيئة الله وحده فهو رب الأسباب المتصرف فيها كيف شاء بإعطائها السببية إذا شاء ومنعها إياها إذا شاء وترتيب ضد مقتضياتها إذا شاء ، والأسباب هي مجاري الشرع والقدر فعليها يجري أمر الله الكوني والديني .

فإن قيل : فقد ظهر أن الولد مخلوق من المائتين جميعاً ، فهل يخلق منهما على حد سواء أم يكون بعض الولد من ماء الأب وبعضه من ماء الأم ؟

(١) سورة الشورى الآيتان (٤٩ - ٥٠) .

(٢) في غير الأصل : (كما هو) .

(٣) سقط من الأصل .

(٤) في غير الأصل : زيادة (الليلة) .

(٥) سقط من غير الأصل .

(٦) في غير الأصل : (أجمعون) وهو أيضاً في الصحيحين هكذا .

(٧) أخرجه البخاري في (٥٦) كتاب الجهاد والسير ، (٢٣) باب من طلب الولد للجهاد ح (٢٨١٩) ، ومسلم في (٢٧) كتاب الإيمان ، (٥) باب الاستثناء ح (١٦٥٤ - ٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قيل : قد بين النبي ﷺ هذه المسألة بأوضح البيان ، فقال الامام أحمد في مسنده : ثنا حسين بن الحسين^(١) ثنا أبو كريب^(٢) عن عطاء بن السائب^(٣) عن القاسم بن عبد الرحمن^(٤) عن أبيه^(٥) عن عبد الله قال : مر يهودي برسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه ، فقالت قريش : يا يهودي أن هذا يزعم أنه نبي فقال : لأسأله عن شيء لا يعلمه إلا نبي فجاء حتى جلس ثم قال : يا محمد مم يخلق الإنسان ؟ فقال : من كل يخلق ، من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة ، فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب ، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم . فقام اليهودي : فقال : هكذا كان^(٦) يقول من قبلك^(٧) .



(١) حسين بن الحسين :

(٢) أبو كريب: هو رشدين بن كريب بن أبي مسلم الهاشمي مولا هم أبو كريب المدني رأى ابن عمر وروى عن أبيه وعلي بن عبد الله بن عباس وعنه عيسى بن يونس والماربوي إبراهيم بن أبي يحيى وغيرهم ضعيف من السادسة التهذيب (٢٤١/٣ - ٢٤٢) التقريب ص (٢٠٩)
(٣) عطاء بن السائب : هو عطاء بن السائب بن مالك ويقال : زيد ، ويقال : يزيد الثقفي أبو السائب وقيل : أبو محمد الكوفي ، روى عن أبيه وأنس وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وغيرهم ، روى عنه إسماعيل بن أبي خالد والتميمي والأعمش وغيرهم صدوق اختلط من الخامسة مات سنة (١٣٦ هـ) .

التهذيب (١٨٣/٧ - ١٨٦) ، التقريب ص (٣٩١) .

(٤) القاسم بن عبد الرحمن : هو القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود المسعودي : أبو عبد الرحمن الكوفي القاضي ، روى عن أبيه وعن جده مرسلاً ، وعن ابن عمر وجابر ، ومسروق وغيرهم ، روى عنه أخوه معن ، وأبو إسحاق السبيعي وعطاء بن السائب وغيرهم ، وهو ثقة . مات سنة (١٢٠ هـ) في ولاية خالد على العراق .

انظر التهذيب (٢٨٨/٨ - ٢٨٩) .

(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهذلي الكوفي .

(٦) سقط من غير الأصل .

(٧) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٦٥/١) وأبو الشيخ في العظمة في (٤٦) ذكر لطيف صنع الله وحكمته سبحانه وتعالى . . . ح (١٠٧٢) .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤١/٨) وقال : " رواه أحمد والطبراني والبخاري بإسنادين ، وفي أحد إسناديه : عامر بن مسدرك . وثقة ابن حبان وضعفه غيره ، وبقي رجاله ثقات . وفي إسناد الجماعة عطاء بن السائب وقد اختلط " .
وضعف الشيخ أحمد شاكر إسناد هذا الحديث في تعليقه على المسند (١٩٩/٦) لضعف شيخ الإمام أحمد : حسين بن الحسن الأشقر .

﴿ فصل ﴾

{ نفخ الروح في الجنين }

فإن قيل قد ذكرتم أن تعلق الروح بالجنين ، إنما يكون بعد الأربعين الثالثة ، وأن خلق الجنين يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك / [١٢٢] ب وبينتم أن كلام الأطباء لا يناقض ما صرح به الوحي من ذلك ، فما تصنعون بحديث حذيفة بن أسيد^(١) الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قال : " يدخل الملك على^(٢) النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة فيقول : أي رب أشقي أم سعيد ؟ فيكتبان ، فيقول : أي رب أذكر أو أنثى ؟ فيكتبان ، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحيفة فلا يزداد فيها ولا ينقص "^(٣) .

قيل : نتلقاه بالقبول والتصديق ، وترك التحريف ، ولا (ينافي)^(٤) شيئاً مما ذكرناه . إذا غاية ما فيه أن (هذا) التقدير وقع بعد الأربعين الأولى وحديث ابن مسعود يدل على أنه وقع بعد الأربعين الثالثة ، وكلاهما حق فإن هذا تقدير بعد تقدير^(٥) الأول عند انتقال النطفة إلى أول أطوار التخليق [التي هي أول مراتب الإنسان وما قبل ذلك مل يتعلق بها التخليق]^(٦) ، والتقدير الثاني تقدير عند كمال خلقه ونفخ الروح ، فذاك تقدير عند أول خلقه وتصويره وهذا تقدير عند تمام خلقه وتصوره .

وهذا أحسن من جواب من قال أن المراد بهذه الأربعين التي في حديث حذيفة الأربعين الثالثة وهذا بعيد جداً من لفظ الحديث ولفظه يأباه كل الإباء فتأمله .

(١) حذيفة بن أسيد هو :

(٢) في غير الأصل : (في) .

(٣) أخرجه مسلم في (٤٦) كتاب القدر ، (١) باب كيفية الخلق الآدمي . . ح (٢٦٤٤) من حديث حذيفة رضي الله عنه .

(٤) سقط من المطبوع .

(٥) في (م) و (ق) : (وكلاهما حق قالت هذا تقدير بعد تقدير) ، وفي المطبوع : (وكلاهما حق قاله الصادق صلى الله عليه وسلم ، وهذا تقدير بعد تقدير) .

(٦) ما بين المعقوفين سقط من الأصل .

فإن قيل : فما تصنعون بالحديث^(١) الآخر الذي في صحيح مسلم أيضا عن عامر بن وائلة^(٢) ، أنه سمع عبد الله بن مسعود^(٣) يقول : الشقي من شقي في بطن أمه ، والسعيد من وعظ بغيره ، فأتى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ^(٤) يقال له حذيفة بن أسيد الغفاري فحدثه بذلك من قول ابن مسعود فقال : وكيف يشقى^(٥) رجل بغير عمل ؟ ! فقال له الرجل : أتعجب من ذلك ؟ ! فإني سمعت رسول الله ﷺ صل الله عليه وسلم يقول : " إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم قال : يارب أذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك ، ثم يخرج الملك بالصحيفة / في يده فلا يزيد على ما أمر^(٦) ولا ينقص^(٧) .

وفي لفظ آخر في في الصحيح أيضا : سمعت رسول الله ﷺ بإذني هاتين يقول : إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ، ثم يتصور عليها الملك الذي يخلقها فيقول : يارب أذكر أم أنثى ؟ ثم يقول : يارب أسوي أم غير سوي ؟ فيجعله الله سوياً أو غير سوي ، (ثم يقول : يارب)^(٨) ما رزقه وما أجله وما خلقه ؟ ثم يجعله الله عز وجل شقياً أو سعيداً^(٩) .

وفي لفظ آخر في الصحيح أيضا أن ملكاً موثقاً بالرحم إذا أراد الله أن يخلق شيئاً يأذن الله لبضع وأربعين ليلة " ثم ذكر نحوه^(١٠) .

قيل : نتلقاه^(١١) أيضا بالتصديق والقبول وترك التحريف وهذا يوافق ما أجمع عليه الأطباء أن مبدأ التخليق والتصوير ، بعد الأربعين .

فإن قيل : فكيف التوفيق بين هذا وبين حديث ابن مسعود وهو صريح في أن النطفة أربعين يوماً نطفة ثم أربعين (يوماً)^(١٢) علقه ثم أربعين (يوماً) مضغة ، ومعلوم أن العلقه والمضغة

(١) في غير الأصل : (بحديثه) .

(٢) عامر بن وائلة : هو عامر بن وائلة بن عبد الله بن عمرو الليثي الكناني القرشي أبو الطفيل : شاعر كنانة وأحد فرسانها ، ولد يوم وقعة أحد ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم تسعة أحاديث توفي بمكة في عهد عمر بن عبدالعزيز ، وهو آخر الصحابة موتاً .

انظر : الطبقات الكبرى (٣٣٨/٥) .

(٣) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (رضي الله عنه) .

(٤) في المطبوع : (النبي) .

(٥) في (م) و (ق) : (فكيف شقي) .

(٦) في المطبوع : (على أمره) .

(٧) أخرجه مسلم كما تقدم قبله ورقمه (٢٦٤٥) .

(٨) سقط من المطبوع .

(٩) أخرجه مسلم برقم (٢٦٤٥-٤) .

(١٠) أخرجه مسلم بعده مباشرة .

(١١) في المطبوع : (نتلقاه) .

(١٢) سقط من المطبوع .

لنا صورة فيها ولا جلد ولا لحم ولا عظم ، وليس بنا حاجة إلى التوفيق بين حديثه هذا ، وبين قول الأطباء ، فإن قول الرسول^(١) معصوم ، وقولهم عرضة الخطأ ، ولكن الحاجة إلى التوفيق بين حديثه وحديث حذيفة المتقدم .

قيل : لا تنافي بين الحديثين بحمد الله وكلاهما خارج من مشكاة صادقة معصومة ، وقد ظن طائفة أن التصوير في حديث حذيفة . إنما هو بعد الأربعين الثالثة . قالوا : وأكثر ما فيه التعقيب بالفاء ، وتعقيب كل شيء وبحسبه وقد قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾^(٢) بل قد قال تعالى : ﴿ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ﴾^(٣) .

وهذا تعقيب بحسب ما يصلح له المحل ، ولا يلزم أن يكون الثاني عقب^(٤) الأول تعقيب

اتصال .

وظنت طائفة أخرى : أن التصوير / والتخليق الذي في حديث حذيفة هو في التقدير [١٢٣/ب

والعلم ، والذي في حديث ابن مسعود في الوجود الخارجي ، والصواب ما دل عليه الحديث من أن ذلك في أول الأربعين الثانية ، ولكن ههنا^(٥) تصويران أحدهما : تصوير خفي لا يظهر للبشر ، وهو تصوير تقديري كما يصور من يفصل الثوب ، أو ينجر الباب مواضع القطع والتفصيل ، فيعلم عليها ويضع مواضع الفصل والوصل ، ولذلك كل من يضع صورة في مادة لا سيما مثل هذه الصورة التي ينشأ فيها التصوير والتخليق على التدريج شيئاً بعد شيء لا وهلة واحدة كما يشاهد بالعيان في تخليق الطائر في البيضة .

فهنا أربع مراتب :

أحدها : تصوير وتخليق علمي لم يخرج إلى الخارج .

الثانية : مبدأ تصوير خفي يعجز الحس عن إدراكه .

الثالثة : تصوير يناله الحس ولكنه لم يتم بعد .

(١) في (م) و (ق) والمطبوع : (النبي صلى الله عليه وسلم) .

(٢) سورة الحج الآية (٦٣) .

(٣) سورة المؤمنون الآية (١٤) . وفي غير الأصل زيادة : (فكسونا العظام لحماً) .

(٤) في غير الأصل : (عقب) .

(٥) في (م) والمطبوع : (هنا) .

الرابعة : تمام التصوير الذي ليس بعده إلا نفخ الروح .

فالمرتبة الأولى : علمية والثلاث الأخرى خارجية عينية وهذا التصوير بعد التصوير نظير التقدير بعد التقدير ، فإن الرب تعالى قدر مقادير الخلائق تقديراً عاماً قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وهناك كتب السعادة أو الشقاوة والأعمال والأرزاق والآجال .

الثاني : تقدير بعد هذا وهو أخص منه وهو التقدير الواقع عند القبضتين حين قبض تبارك وتعالى أهل السعادة بيمينه وقال : هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون ، وقبض أهل الشقاوة باليد الأخرى وقال : هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون .

الثالث : تقدير بعد هذا وهو أخص منه عندما يمضي به ما في حديث حذيفة بن أسيد المذكور .

الرابع : تقدير آخر بعد هذا وهو عندما يتم خلقه وينفخ فيه الروح كما صرح به الذي قبله .

وهذا يدل على سعة علم الرب تعالى ، واحاطته بالكيلات والجزئيات / وكذلك [١/١٢٤] التصوير الثاني مطابق للتصوير العلمي ، والثالث مطابق للثاني ، والرابع مطابق للثالث ، وهذا مما يدل على كمال قدرة الرب (سبحانه)^(١) ومطابقة مقدوره لمعلومه ، فتبارك الله رب العالمين ، وأحسن الخالقين . ونظير هذا التقدير الكتابة العامة قبل المخلوقات ، ثم كتابة ما يكون من العام إلى العام في ليلة القدر ، وكل مرتبة من هذه المراتب تفصيل لما قبلها وتنويع ، وكلام رسول الله ﷺ يصدق بعضه بعضاً ، ويفسر بعضه بعضاً ، ويطابق الواقع في الوجود لا^(٢) يخالفه وإنما يخبر بما لا يستقل الحس ولا الفعل بإدراكه ولا بما يخالف الحس والعقل ، وأما ما يعرفه الناس ويستقلون بإدراكه على أمر عيني يتعلق به الإيمان ، أو على حكم شرعي يتعلق به التكليف والله أعلم .



(١) في غير الأصل : (تعالى) .

(٢) في غير الأصل : (ولا) .

﴿ فصل ﴾ { أول الأعضاء تخلقا }

فإن قيل : أي عضو يتخلق أولاً . قبل سائر الأعضاء ؟

قيل : قد اختلف في ذلك على أربعة أقوال :

أحدها : أنه القلب وهذا قول الأكثرين .

والثاني : أنه الدماغ والعينان . وهو قول ابقرط^(١) .

والثالث : أنه^(٢) الكبد . وهو قول محمد بن زكريا^(٣) .

والرابع : أنه السرة . وهو قول جماعة من الأطباء .

قال أصحاب القلب : لا نشك^(٤) أن في المني قوة روحية ، وبسبب تلك القوة يستعد^(٥) أن

يكون إنساناً ، وحاجته إلى الروح الذي هو مادة القوى أشد ، فلا بد أن يكون لذلك الروح

مجمع خاص ، منه تنبعث إلى سائر الأعضاء ، فالجوهر الروحي أول شئ ينهر^(٦) من المني ويجتمع في

موضع واحد ، ويحيط به ما يتصل إليه ذلك الجوهر الروحي من جميع الجوانب ، فيجب أن يكون

مجمعها هو الوسط ، وسائر الأجزاء يحيط به ، وذلك الكبد^(٧) هو القلب .

(١) بقراط : هو بقراط بن إيرقليس ، طبيب ماهر ، من تلاميذ أسقليبيوس الثاني ، كان في أيام بهمن بن أردشير . قال يحيى النحوي : بقراط وحيد دهره ، الذي يضرب به المثل ، الطبيب الفيلسوف ، وبلغ به الأمر إلى أن عبده الناس . توفي سنة (٣٥٧) ق.م ، وعمره ٩٥ سنة انظر : الفهرست لابن النديم ص : (٤٠٠) .

(٢) أنه) : ساقطة من الأصل .

(٣) محمد بن زكريا : هو محمد بن زكريا الرازي أبو بكر ، فيلسوف ، من الأئمة في صناعة الطب ، من أهل الري ، ولد تعلم بها ، وسافر إلى بغداد وبعد سن الثلاثين ، عكف على الطب والفلسفة في كبره ، فنبغ واشتهر ، وتولى تدبير مارستان الري ، ثم رئاسة أطباء البيمارستان المقتدر في بغداد . عمي في آخر عمره ومات ببغداد واختلف في سنه وفاته بين ٢٩٠ و ٣٢٠ هـ .

انظر : الأعلام (١٣٠ / ٦) .

(٤) في المطبوع : (لا شك) .

(٥) في (م) و (ق) والمطبوع : (سعد) .

(٦) في غير الأصل : (ينبعث) .

(٧) في المطبوع : (الوسط) فلعله تحريف في المخطوطات والله أعلم .

قالوا : ولأن تمام البدن موقوف على الحرارة الغريزية ، (والعضو الذي هو منبع / الحرارة [١٢٤] بـ الغريزية) ^(١) الذي بها البدن لا بد أن يكون متقدما على العضو ^(٢) الذي هو منبع القوة الغادية التي بها ينمو وهو الكبد ^(٣) .

قالوا : ولأن أفعال القوى إنما تتم بالروح وهي لا بد لها من متعلق تتعلق به ولا بد أن يتقدم متعلقها عليها وهو القلب .

قالوا : وهذا هو الأنسب والأليق بحكمة الرب تعالى فإن القلب ملك سائر الأعضاء وهي جنود ^(٤) له وخدم ، فإذا صلح القلب صلحت جنوده ، وإذا فسد فسدت ، وقد أشار النبي ﷺ في الحديث الصحيح إلى ما يرشد إلى ذلك فقال : " إن في الجسد مضغة إذا (صلحت) ^(٥) صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ^(٦) . ألا وهي القلب . ألا وهي القلب ^(٧) " فما أولى هذه المضغة أن تكون متقدمة في وجودها على سائر الأعضاء ، وسائرها تبع لها في الوجود كما هي تبع لها في الصلاح والفساد .

قالوا : وقد شاهد أصحاب التشريح في المني عند انعقاده نقطة سوداء في وسطه . قال أصحاب الدماغ : شاهدنا الفراخ في البيض أول ما يتكون منها رؤسها ، وسنة الله في (تكون الأجنة في الأرحام كذلك .

قالوا : ولأن الدماغ مجمع الحواس ، ورئيس البدن واشرفه : قالوا : وهذه سنة الله في (بروز الجنين أول ما يبدو منه إلى الوجود رأسه . ^(٨)

قال أصحاب الكبد : لما كان المني محتاجاً إلى قوة غاذية ^(٩) تزيد في جوهره حتى يصير بحيث يمكن أن تكون الأعضاء فيه ، كان أول الأعضاء وأسبقها إليه هو محل القوة الغاذية وهو الكبد .

(١) سقط من المطبوع .

(٢) في (م) و (ق) و (ط) : (لا بد أن يتقدم على العضو) .

(٣) في المطبوع : (الذي منه القوة الغريزية التي بها ينمو وهو القلب) .

(٤) في (م) و (ق) : (ملك وسائر الأعضاء جنود له) ، وفي المطبوع : (ملك والأعضاء جنود له) .

(٥) سقط من الأصل .

(٦) في المطبوع : (فسد لها سائر الجسد) .

(٧) في المطبوع : (ألا وهي القلب) : ذكرت مرة واحدة فقط .

(٨) سقط من المطبوع .

قال أصحاب السرة : حاجة الجنين إلى جذب الغذاء أشد من حاجته إلى آلات قواه ، وإدراكه ومن السرة يتج^(٢) الغذاء .

وأولى هذه الأقوال : القول الأول ومرتبته القلب^(٣) وشرفه ومثله ومحله الذي وضعه الله به يقتضي أن المبدؤ به قبل سائر الأعضاء المتقدم عليها بالوجود والله أعلم .



(١) في المطبوع : (مغذية) .

(٢) هكذا في الأصل ، وفي غيره : (يجذب) .

(٣) في (م) و (ق) : (وهو بيت القلب) ، وفي المطبوع : (القول الأول فإن القلب ومثله) .

﴿ فصل ٥٤ ﴾

{ حال الجنين قبل نفخ الروح }

فإن قيل : الجنين قبل نفخ الروح فيه هل كان فيه حركة وإحساس أم لا ؟
 قيل : كان فيه حركة النمو والاعتذاء كالنبات ، ولم يكن له حركة^(١) الحس والإرادة ،
 فلما نفخت فيه الروح انضمت حركة حسه^(٢) وأرادته إلى حركة نموه واعتذائه .
 فإن قيل : قد ثبت أن الولد يتخلق من ماء الأبوين ، فهل يتمازجا ويختلط^(٣) حتى يصيرا ماء
 واحداً ، أو يكون أحدهما هو المادة والآخر بمزلة الأنفحة التي تعقده ؟
 قيل : هو موضع اختلاف فيه أرباب الطبيعة :
 فقالت طائفة منهم : مني الأب لا يكون جزءاً من الجنين وإنما هو مادة الروح الساري في
 الأعضاء ، وأجزاء البدن كلها من مني الأم .
 ومنهم من قال : بل هو ينعقد من مني الأم^(٤) ثم يتحلل ويفسد قالوا : ولهذا كان الولد
 جزءاً من أمه ، ولهذا جاءت الشريعة بتبعيته لها في الحرية والرق .
 قالوا : ولهذا كان^(٥) لو نرى فحل رجل على حجرة^(٦) آخر فأولدها فالولد للمالك الأم دون
 مالك الفحل لانه تكون من أجزائها واحشائها ولحمها ودمها ، وماء الأب بمزلة الماء الذي يسقي
 الأرض .
 قالوا : والحس يشهد أن الأجزاء الذي في المولود من أمه أضعاف أضعاف الأجزاء الذي
 فيه من أبيه فثبت أن تكوينه من مني الأم ودم الطمث ، ومني الأب عاقد له كالأنفحة .
 ونازعهم الجمهور وقالوا : إنه يتكون من مني الذكر^(٧) والأنثى .

(١) في (م) و (ق) : (حركة نحوه) بياض (وإرادة) .

(٢) في المطبوع : (حسيته) .

(٣) في المطبوع : (يتمازجان ويختلطان) .

(٤) في غير الأصل : (الأنثى) .

(٥) سقط من غير الأصل .

(٦) هكذا في المخطوطات ، وفي المطبوع : (على جارية آخر) .

(٧) في غير الأصل : (الرجل) .

ثم لهم قولان : أحدهما : أن يتكون عن^(١) منى الذكر أعضاؤه واجزاؤه وعن منى الأنثى صورته .

والثاني : الأعضاء والأجزاء والصورة تكون من مجموع المائتين وأتتجا واختلطتا وصارا ماءً واحداً وهذا هو الصواب ، لأننا نجد الصورة والتشكيل تارة إلى الأب وتارة إلى الأم . والله أعلم .

وقد دل على هذا قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾^(٢) والأصل هو الذكر ، فمنه البذر ومنه السقي ، والأنثى وعاء ومستودع لوالده^(٣) تربيته في بطنها كما تربيته في حجرها ولهذا كان الولد للأب حكماً ونسباً / وأما تبعيته للأم في الحرية والرق ، فلأنه [١٢٥/ب] إنما تكون وصار ولداً في بطنها وغذته لبنها مع الجزء الذي فيه منها ، وكان الأب أحق بنسبه وتعصيه لانه أصله ومادته ونسخته ، وكان أشرفهما ديناً أولى به تغليبا لدين الله وشرعه .

فإن قيل : فهلا طردتم هذا وقتلتم لو سقط بذر رجل في أرض رجل^(٤) آخر يكون الزرع لصاحب الأرض دون مالك البذر ؟

قيل : الفرق بينهما أن البذر مال متقوم نبت^(٥) في أرض آخر فهو لمالكه وعليه أجره الأرض أو هو بينهما بخلاف المني فإنه ليس بمال ، ولهذا نهى الشارع عن المعاوضة عليه^(٦) ، واتفق الفقهاء على أن الفحل لو نزا على رمكة لكان الولد لصاحب الرمكة .



(١) في غير الأصل : (يكون من — من) .

(٢) سورة الحجرات آية (١٣) .

(٣) في غير الأصل : (لولده) وهو الصواب .

(٤) سقط من غير الأصل .

(٥) سقط من غير الأصل .

(٦) سقط من غير الأصل .

﴿ فصل ﴾

{ هل يتكون الجنين من مائتين وواطئين }

فإن قيل : فهل يتكون الجنين من مائتين وواطئين ؟

قيل : هذه المسألة شرعية كونية ، والشرع فيها تابع للتكوين وقد اختلف فيها شرعاً وقدرأ .

فمنعت طائفة ذلك وأبته كل الإباء وقالت : الماء إذا استقر في الرحم اشتمل عليه وانضم غاية الانضمام بحيث لا يبقى فيه مقدار رسم رأس إبرة وإلا فسد فلا يمكن انفتاحه بعد ذلك لماء ثان لا من الواطئ ولا من غيره .

قالوا : وبهذا أجرى الله العادة أن الولد لا يكون إلا لأب واحد ، كما لا يكون إلا لأم واحدة وهذا هو مذهب الشافعي .

وقالت طائفة : بل يتخلق من مائتين فأكثر .

قالوا : وانضمام الرحم واشتماله على الماء لا يمنع قبوله الماء الثاني فإن الرحم انشق^(١) شيئاً وأقبله للمني .

قالوا : ومثال ذلك مثال^(٢) المعدة فإن الطعام إذا استقر بها انضمت عليه غاية الانضمام فإذا ورد عليها طعام فوّه انفتحت له لشوقها إليه .

قالوا : وقد شهد بهذا القائف بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب^(٣) في ولد ادعاه اثنان فنظر إليهما وإليه وقال : ما أراهما إلا اشتراكا فيه ، فوافقه عمر^(٤) والحقه بهما . ووافقه على ذلك أحمد ومالك^(٥) .

(١) في (م) و (ق) : (أشفق) ، وفي المطبوع : (أشوق) .

(٢) في غير الأصل : (كمثال) .

(٣) عمر بن الخطاب : هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي ، أبو حفص ، أمير المؤمنين الفاروق ، ثاني الخلفاء الراشدين ، من أيد الله به الإسلام وفتح على يده الأمصار ، الصادق الملهم المحدث ، أحد العشرة المبشرين بالجنة . استشهد رضي الله عنه بيد أبي لؤلؤة المحوسبي في صلاة الصبح سنة (٢٣ هـ) .

(٤) في (م) و (ق) : زيادة (رضي الله عنه) .

(٥) في (م) و (ق) والمطبوع : (رضي الله عنهما) .

قالوا : والحس يشهد بذلك كما ترى في جري الكلبة والسنور تأتي بها مختلفة الألوان / [١٢٦/أ]

لتعدد آبائها ، وقد قال النبي ﷺ : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسقي ماءه زرع غيره " ^(١) يريد وطئ الحامل من غير الموطئ . قال الإمام أحمد : الوطاء يزيد في سمع الولد وبصره هذا بعد انعقاده .

وعلى هذا مسألة فقهية وهي : لو أحبل أمة ^(٢) غيره بنكاح أو زنا ، ثم ملكها هل تصير أم ولد له ؟ فيها أربعة أقوال للفقهاء ^(٣) . وهي روايات عن أحمد ^(٤) . أحدها : لا تصير أم ولد لأنها لم تعلق بالولد في ملكه . والثاني : تصير أم ولد لأنها وضعت في ملكه . الثالث : أن وضعت في ملكه صارت أم ولد ، وإلا فلا لأن الوضع والاحبال كان في غير ملكه .

الرابع : أنه أن وطئها بعد أن ملكها صارت أم ولد وإلا فلا لأن الوطاء ، يزيد في خلقه الولد كما قال الإمام أحمد ، الوطاء يزيد في سمع الولد وبصره . وهذا أرجح الأقوال . وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه مرّ بأمرأة مجح . على باب فسطاط فقال : لعل سيدها يريد أن يلتم بها ، لقد هممت أن ألعنه لعناً يدخل معه ^(٥) قبره ، كيف يورثه وهو لا يحل له ، (كيف يستعبده وهو لا يحل له ؟) ^(٦) (^(٧)) .

(١) أخرجه أبو داود في سننه في (٦) كتاب النكاح ، (٤٥) باب في وطء السبايا ح (٢١٥١) ، والترمذي في (٩) كتاب النكاح ، (٣٤) باب ما جاء في الرجل يشتري الجارية وهي حامل ح (١١٣١) والبيهقي في السنن الكبرى في كتاب السير ، باب المرأة تسمى مع زوجها (١٢٤/٩) ، وأحمد في مسنده (١٠٩/٤) ، والطبراني في المعجم الكبير (٢٨/٥) رقم (٤٤٨٨-٤٤٨٩) ، من حديث روفيع بن ثابت رضي الله عنه . وقال الترمذي عن الحديث : هذا حديث حسن .

(٢) في المطبوع : (لو أحبل جارية) .

(٣) سقط من غير الأصل .

(٤) في غير الأصل : (عن الإمام أحمد) .

(٥) في المطبوع : (معه في قبره) .

(٦) سقط من غير الأصل .

(٧) أخرجه مسلم في (١٦) كتاب النكاح ، (٢٣) باب تحريم وطء الحامل المسبية ح (١٤٤١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه .

والجح : الحامل المقرب وقوله : " كيف يورثه " أي يجعل الولد تركة موروثه عنه ، لأنه عبده ولا يحل له ذلك ، لانه قد صار فيه جزء من أجزائه بوطنه ، وكيف يجعله عبده ، وهو لا يحل له ذلك ؟ .

فهذا دليل على أن وطء الحامل يزيد في الأجزاء ، وقد دلت المشاهدة على أن الحامل إذا وطئت كثيراً جاء الولد عبلاً ممتلئاً ، وإذا هجر وطؤها جاء الولد ضئيلاً ضعيفاً ، فهذه أسرار شرعته موافقة للأسرار الطبيعية مبنية عليها . والله أعلم .

فإن قيل : فهل يمكن أن يخلق من الماء الواحد ولدان في بطن واحد ؟
قيل هذه مسألة التوأم . وهو ممكن بل قد وقع . وله أسباب :

أحدها : كثرة المني ، فيفيض إلى بطن الرحم دفعات والرحم يعرض له عند الحركة

الحادثة^(١) للمني حركات / مختلفة فربما اتفق أن كان الحادث^(٢) للدفع الأولى من المني أحد جانبيه ، [١٢٦/ب وللثانية الجانب الآخر .

ومنها : أن بيت الأولاد في الرحم فيه تجاوير فيكون المني كثيراً فيفضل عن أحدها فضلة يشتمل عليها التحويف الثاني وهكذا الثالث .

قال أرسطو^(٣) : وقد يعيش للمرأة خمسة أولاد في بطن واحد ، وحكى عن امرأة أنها وضعت في أربع بطون عشرين ولداً .

وقال صاحب القانون^(٤) : سمعت بجرجان أن امرأة اسقطت كيساً فيه سبعون صورة (كل صورة)^(١) صغيرة جداً .

(١) في (م) و (ق) : (الجاذبة) ، وفي المطبوع : (الجارية) .

(٢) في غير الأصل : (الجاذب) .

(٣) أرسطو : فيلسوف يوناني ، تتلمذ على أفلاطون ، وعلم الإسكندر الأكبر ، كان أول من أرسى قواعد المنطق ، والذي كتب فيه طائفة من المؤلفات عرفت فيما بعد بالأرغانون ، وسماه المسلمون ، والعرب ، المعلم الأول وله مؤلفات كثيرة في طائفة من العلوم تسوفي سنة (٣٢٢ قبل الميلاد) .

انظر الموسوعة العربية الميسرة (١١٧/١) .

(٤) ابن سينا : هو الحسين بن عبدالله بن سينا ، أبو علي ، الملقب بالرئيس ، الحكيم . قال عنه ابن حجر : " ما أعلمه روى شيئاً من العلم ، ولو روى لما حلت الرواية عنه ، لأنه فلسفي النحلة ، ضال ، لا رضي الله عنه " .

كان يقول بقدوم العالم ، ونفي المعاد الجسماني ، ونقل عنه أنه قال : " إن الله لا يعلم الجزئيات بعلم جزئي ، بل بعلم كلي " . من مصنفاته : الشفا ، والإشارات والتنبيهات ، والقانون في الطب . مات سنة (٤٢٨ هـ) .

انظر لسان الميزان لابن حجر (٢٩١/٢) ، الأعلام للزركلي (٢٤١/٢) .



قال أرسطو : وإذا أتأت بذكر وأنثى فقل ما تسلّم الوالدة والمولود ، و إذا أتأت^(٢) بذكرين أو أنثيين فتسلم كثيراً .

قال : والمرأة قد تحبل على الحبل ، ولكن يهلك الأول في الأكثر ، فقد أسطقت امرأة واحدة اثنا عشر جنيناً حملاً على حمل وأما إذا كان الحمل واحداً أو بعد وضع الأول فقد يعيشان . والله أعلم .



(١) هكذا في الأصل فقط .

(٢) في المطبوع : (توأت) .

﴿ فصل ١٠ ﴾^(١)

{ انقطاع الحيض أثناء الحمل وسببه }

فإن قيل : فما السبب المانع للحامل من الحيض غالباً ؟.

قال الإمام أحمد وأبو حنيفة : إنما نراه من الدم يكون دم فساد لا حيض .
والشافعي وإن قال : إنه دم حيض ، وهو إحدى الروايتين عن عائشة فلا ريب أنه نادر
بالإضافة إلى الأغلب .

قيل : دم الطمث ينقسم إلى ثلاثة أقسام .

قسم ينصرف إلى غذاء الجنين

وقسم يصعد إلى البدن .

وقسم يحتبس^(٢) إلى وقت الوضع فيخرج مع الولد وهو دم النفاس ، وربما كانت مادة الدم
قوية وهو كثير فيخرج بعضه لقوته وكثرته .

والراجح من الدليل : أنه حيض حكمه حكمه ، إذ ليس هناك دليل عقلي ولا شرعي يمنع
من كونه حيضاً ، واستيفاء الأدلة من الجانبين فقد ذكرنا ها في موضع آخر . والله أعلم .

فإن قيل : فما السبب في أن النساء الحبالى لا يشتقن في الشهر الثاني والثالث إلى تناول
الأشياء / الغريبة التي لم تعتد بها طباعهن ؟ .

[١/٢٧]

قيل : لأن دم الطمث لما احتبس فيهن بحكمة قدرها الله سبحانه وهو صرفه غذاء للولد
ومقدار ما يحتاج إليه يسير فتدفعه الطبيعة الصحيحة إلى فم المعدة فيحدث لهن شهوة تلك الأشياء
الغريبة .

فإن قيل : فكيف وضع الجنين في بطن أمه ، أقائماً أم قاعداً أم مضطجعاً ؟

(١) سقط من المطبوع .

(٢) في (م) و (ق) والمطبوع : (يحبس) .

قيل : هو معتمد بوجه على رجليه وبراحتيه على ركبتيه ورجلاه مضموتان إلى قدماه ووجهه إلى ظهر أمه .

وهذا من العناية الإلهية أن أجلسه هذه الجلسة في هذا المكان الضيق فهو في الرحم على الشكل الطبيعي وأيضا : فلو كان رأسه إلى أسفل لوقع ثقل الأعضاء الخسيسة على الأعضاء الشريفة وأدى ذلك إلى تلفه ، ولأنه عند محاولة الخروج إذا انقلب أعانه ثقله على الخروج .

فإنه إذا خرج أول ما يخرج منه رأسه لأن الرأس إذا خرج^(١) أولا كان خروج سائر الأعضاء بعده سهلاً وإن خرج على غير هذا الوجه لكان فيه تعويق وعسر ، فإن الرجلين لو خرج أولا انعاق خروج الباقي فإنه أن خرجت الرجل الواحدة أولا انعاق عند الثانية وإن خرجا^(٢) معاً انعاق عند اليدين وإن خرجت اليدين والرجلان انعاق عند الرأس فكأنه يلتوي إلى الخلف أو يلتوي السرة إلى العنق . فيألم الرحم ويصعب الخروج ويؤدي إلى مرضه أو تلفه .

فإن قيل : فما سبب الإجهاض الذي يسمونه الطرح قبل كمال الولد ؟

قيل : الجنين في البطن بمنزلة الثمرة في الشجرة وكل منهما له اتصال قوي بالأم وهذا يصعب^(٣) قطع الثمرة قبل كمالها من الشجرة ويحتاج إلى قوة فإذا بلغت الثمرة نهايتها سهل قطعها وربما سقطت بنفسها وذلك لأن تلك الرباطات^(٤) والعروق التي كانت^(٥) تمدها من الشجرة كانت في غاية القوة (فتوفر)^(٦) لغذاء آخر رجع ذلك / الغذاء إلى الشجرة فضعفت تلك الرطوبات [١٢٧/ب] والمجاري وساعدها ثقل الثمرة فسهل اخذها . وكذا الأمر في الجنين ، فإنه ما دام في البطن قبل كماله واستحكامه فإن رطوباته وأغشيته ورباطاته^(٧) تكون [مانعة]^(٨) له من السقوط فإذا تم وكمل ضعفت تلك الرباطات وأهكَّت الأغشية واجتمعت تلك الرطوبات المزلقة فسقط الجنين .

(١) في (م) و (ق) ك (لو خرجت) ، وفي المطبوع : (لو خرجتا) .

(٢) في (م) و (ق) : (خرجتا) .

(٣) في (م) و (ق) : (يضعف) .

(٤) في (ق) : (الرطوبات) .

(٥) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(٦) في (م) و (ق) : كلمة غير واضحة . وفي المطبوع : (والغذاء فلما رجع) .

(٧) سقط من غير الأصل .

(٨) سقط من الأصل .

هذا الأمر الطبيعي الجاري على استقامة الطبيعة وسلامتها وأما السقوط قبل ذلك فلفساد في الجنين أو لفساد في طبيعة الأم أو لضعف^(١) في الطبيعة كما تسقط الثمرة قبل ادراكها لفساد يعرض لها أو تضعف الأصل أو لفساد يعرض من خارج فإسقاط^(٢) الجنين لسبب من هذه الأسباب الثلاثة فالآفات التي تصيب الأجنة بمرتلة الآفات التي تصيب الثمار .

فإن قيل : فكيف فم الرحم^(٣) مع ضيقه (يتسع بخروج)^(٤) ما هو أكبر منه بأضعاف مضاعفة ؟

قيل : هذا من أعظم الأدلة على عناية الرب تعالى وقدرته ومشيتته فإن الرحم لا بد أن ينفتح الانفتاح العظيم جداً .

قال غير واحد من العقلاء : ولا بد من انفصال يعرض للمفاصل العظيمة ثم تلتئم مسرعة^(٥) أسرع من لمح البصر وقد اعترف فضلاء الأطباء وحذاقهم بذلك وقالوا : لا يكون ذلك إلا بعناية إلهية وتدبير تعجز العقول عن ادراكه وتقر للخلاق العليم^(٦) بكمال الربوبية والقدرة .

فإن قيل : فما السبب في بكاء الصبي حال^(٧) خروجه إلى هذه الدار ؟

قيل : ها هنا سببان : سبب باطن أخبر به الصادق المصدوق لا يعرفه الأطباء ، وسبب ظاهر .

فأما السبب الباطن : فإن الله سبحانه اقتضت حكمته أن وكل بكل واحد من أولاد آدم

شيطاناً . فشيطان هذا المولود قد حبس^(٨) ينتظر خروجه ليقارنه / ويتوكل به ، فإذا انفصل [١٢٨/]

استقبله الشيطان وطعنه في خاصرته تحرقاً عليه وتغيظاً واستقبالا له بالعداوة التي كانت بين الأبوين قديماً فيبكي المولود من تلك الطعنة ، ولو آمن زنادقة الأطباء والطبائعين بالله ورسوله لم يجدوا عندهم ما يبطل ذلك ولا يرده .

(١) (ضعف) في غير الأصل .

(٢) في (م) و (ق) : (فأسقط) .

(٣) في (م) و (ق) : (فكيف الرحم) ، وفي المطبوع : (فكيف يخرج من الرحم) .

(٤) في (م) و (ق) : (يخرج) وسقط من المطبوع .

(٥) في المطبوع (بسرعة) .

(٦) في غير الأصل : (العظيم) .

(٧) في غير الأصل : (حالة) .

(٨) في (م) و (ق) والمطبوع : (حنس) .

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة^(١) قال : قال رسول الله ﷺ : " صياح المولود حين يقع نزعاً من الشيطان " ^(٢) .

وفي الصحيحين من حديثه أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ " ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه " ^(٣) وفي لفظ آخر : " يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه " ^(٤) وفي لفظ آخر : " كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها " ^(٥) وفي لفظ للبخاري : " كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ثم ذهب يطعن فطعن في الحجاب " ^(٦) .

والسبب الظاهر : الذي لا تخبر الرسل بأمثاله برخصه^(٨) عن الناس ومعرفتهم له من غيرهم ، هو مفارقتة للمألف^(٩) والعادة التي كان فيها إلى أمر غريب فإنه ينتقل من جسم حار إلى هواء بارد ومكان لم يألفه فيستوحش من مفارقتة وطنه ومألفه ، وعند أرباب الإشارات أن بكاءه ارهاصاً بين يدي ما يلاقيه من الشدائد والآلام والمخاوف .

وأنشدوا^(١٠) في ذلك :

بكل الذي يلقاه فيها يهدد
لأوسع مما كان فيه وأرغد

ويبكي بها المولود حتى كأنه
وإلا فما يبكيه فيها وإنها

(١) في غير الأصل : زيادة (رضي الله عنه) .

(٢) أخرجه مسلم في (٤٣) كتاب الفضائل (٤٠) باب فضائل عيسى عليه السلام ح (٢٣٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري في (٦٠) كتاب الأنبياء (٤٤) باب قوله تعالى : (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً) ح (٣٤٣١) ، ومسلم في (٤٣) كتاب الفضائل (٤٠) باب فضائل عيسى عليه السلام ح (٢٣٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وهذا لفظ مسلم .

(٤) أخرجه مسلم في نفس الكتاب السابق عقب الرواية السابقة .

(٥) أخرجه مسلم عقب الحديث السابق .

(٦) سقط من غير الأصل .

(٧) أخرجه البخاري في (٥٩) كتاب بدء الخلق ، (١١) باب صفة إبليس وجنوده ح (٣٢٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٨) في المطبوع : (لرخصه) .

(٩) في غير الأصل : (للمألف) .

(١٠) في (م) والمطبوع : (وأنشد) .



ولهم نظير هذه الإشارة في قبض كفه عند خروجه إلى الدنيا ، وفي فتحها عند خروجه منها . وهو الإشارة إلى أنه خرج إليها^(١) مركباً على الحرص والجمع وفارقها صفر اليدين منها وأنشدوا في ذلك :

وفي قبض كف الطفل^(٢) عند ولاده دليل على الحرص الذي هو مالكة
وفي فتحها عند الممات إشارة إلى فرقة المال الذي هو تاركة

ولهم نظير هذه الإشارة في بكاء الطفل (عند خروجه)^(٣) وضحك من حوله وأن الأمر سيتبدل^(٤) ويصير إلى ما يبكي من حوله عند موته كما ضحكوا عند ولادته وأنشدوا^(٥) في ذلك :

أنسيت^(٦) إذ ولدتك أمك باكياً والناس حولك يضحكون سرورا
واعمل^(٧) لعلك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً مسرورا

ونظير هذه الإشارة أيضاً قولهم أن المولود حين ينفصل يمد يده إلى فيه إشارة إلى تعجيل نزله عن القдом بأنه ضعيف^(٨) ومن تمام إكرامه تعجيل قراه ، فأشار بلسان الحال إلى ترك التأخير وربما مص إصبعه إشارة إلى نهاية فقره ، وأنه بلغ منه إلى مص الأصابع . ومنه قول الناس لمن بلغ به الفقر غايته هو^(٩) ومص أصابعه :

ويهوي إلى فيه يمص بنانه يطالب بالتعجيل خوف التشاغل
ويعلمهم أني فقير وليس لي من القوت شئ غير مص أناملي

(١) سقط من (م) و (ق) .

(٢) في المطبوع : (المرء) .

(٣) سقط من غير الأصل .

(٤) في غير الأصل : (سيبدل) .

(٥) في المطبوع : (وأنشد) .

(٦) في غير الأصل : (ولدتك إذ ولدتك) .

(٧) في غير الأصل : (فاعمل) .

(٨) في غير الأصل و (ق) : (ضيف) .

(٩) في غير الأصل : (فهو) .

ونظير هذه الإشارة أنه يحدث (حال ولادته يقول بلسان الحال : لا تنكروا أحداث من استفتح بالحدث في دار الحدث ، كذلك كنتم من قبل ، وليس العجب ممن أحدث ، بل)^(١) العجب ممن يظهر من الحدث .

ويحدث بين الحاضرين إشارة
يقول وعندي بعد (ذي)^(٢) أخواتها
إلى أنه من حادث ليس يعصم
وما منكم إلا وذنو العرش أرحم

ونظير هذه الإشارة أنه^(٣) يضحك بعد الأربعين ، وذلك عندما يتعقل نفسه الناطقة ويدركها . وفي ذلك قصاص من البكاء الذي أصابه عند ولادته وتأخر بعده ، لئلا^(٤) يتأسى العبد إذا أصابته شدة ، فالفرج كامن بطنها في آثارها :

ويضحك بعد الأربعين إشارة
يقول هي الدنيا فتبكيك مرة
إلى فرج وافاه بعد الشدائد
وتضحك أخرى فاصطبر للعوائد

قالوا : ويرى المنامات^(٥) بعد ستين يوماً من ولادته ، ولكن ينساها / لضعف القوة الحافظة [١/١٢٩]

وكثرة الرطوبات ، وفي ذلك لطف به أيضا لضعف^(٦) قلبه عن التفكير فيما يراه .

ويرى بعين القلب إذ تأتي له
لكنه ينساه بعد لضعفه
ستون يوماً رؤية الأحلام
عن ضبطه في يقظة ومنام



(١) سقط من المطبوع .

(٢) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(٣) (أن) في (م) و (ق) .

(٤) (لكني) في غير الأصل .

(٥) هكذا في الأصل وفي غيره (كأم يطلبها في آثارها) .

(٦) في المطبوع : (الأمان) .

(٧) سقط من الأصل .

﴿ فصل ﴾

ولما تكامل للنطفة أربعون يوماً فاستحكم نضجها ، وعقدتها حرارة الرحم استعدت لحالة هي أكمل من الأولى وهي الدم الجامد الذي يشبه العلقه ويقبل الصورة ويحفظها بانعقاده^(١) وتماسك أجزائها ، فإذا تم لها أربعون استعدت لحالة هي أكمل من الحالتين قبلها وهي صيرورتها لحماً أصلب من العلقه وأقوى وأحفظ والمخ المودع فيها واللحم الذي هو كسوتها والرطوبات^(٢) التي تمسك أجزائه وتشد بعضها إلى بعض ، والكبد الذي يأخذ صفو الغذاء ويرسله إلى سائر الأعضاء ، وإلى الشعر والظفر والأمعاء التي^(٣) هي مجاري وصول الطعام والشراب إلى المعدة ، والعروق التي هي مجاري تنفيذه وإيصاله إلى سائر أجزاء البدن ، والمعدة التي هي خزانة الطعام والشراب وحافظته لمستحقه ، والقلب الذي هو منبع الحرارة ومعدن الحياة والمستولي على مملكة البدن ، والرئة التي هي تروح عند^(٤) البدن وتفيده الهواء البارد الذي به حياته ، واللسان الذي هو بريد القلب وترجمانه ورسوله والسمع الذي^(٥) صاحب أخباره ، والبصر الذي هو طليعته ورائده والكاشف له عما يريد كشفه والأعضاء التي هي خدمه وخوله ، والرجلان تسعى في مصالحه ، واليدان^(٦) تبطش في حوائجه ، والأسنان تفصل قوته وتقطعه والأضراس تطحنه والريق يعجنه ، والحرارة تنضجه والمعدة تجزئه ، والكبد يخدمه ، والعروق توصله إلى أربابه ، والذكر آلة نسله ، والأنثيان خزانة مادة النسل ، فالكبد للغذاء / وقسمته [١٢٩] ب وهي في الحيوان بمنزلة شرش الشجر والنبات تجذب الغذاء وترسله إلى جميع الأجزاء وآلات الغذاء خدوم لها والقلب للأرواح التي بها حياة الحيوان وآلات التنفس^(٧) خدوم له^(٨) والدماغ معدن الحس والتصور والحواس خدوم [له]^(٩) والأنثيان معدن التناسل والذكر خادوم لهما وهذه الأعضاء هي رأس أعضاء البدن .



(١) في غير الأصل : (بانعقادها) .

(٢) في غير الأصل : (والرباطات) .

(٣) في (م) و (ق) : (الذي) .

(٤) في غير الأصل : (عن) .

(٥) زيادة (هو) في غير الأصل .

(٦) في غير الأصل (واليد) .

(٧) في المطبوع : (النفس) .

(٨) في (م) و (ق) : (لها) .

(٩) سقط من الأصل .

﴿ فصل ﴾ { آلات الغذاء }

وأما الآلات الغذاء فثلاثة أقسام وآلة تقبل الغذاء وتصلحه وتفرقه وترسله إلى جميع البدان وآلة تقبل فضلاته وآلة تعين في إخراج ثقله وما لا منفعة في بقاءه فأما الآلات القابلة فهي الفم والمرئ والبطن والكبد والعروق الموصلة إلى الكبد والعروق الموصلة منها^(١) إلى البدن .

وأما آلات القابلة للفضلات فالمرارة تقبل ما لطف منه والطحال يقبل كثيفه والكلبي والمثانة يقبلان المتوسط والكبد موضوعه في الجانب الأيمن وتأخذ يسيراً إلى الجانب الأيسر وهذه الحكمة بديعة هي أن القلب إلى^(٢) الجانب الأيسر أقرب وهو معدن الحار الغريزي فنحيت^(٣) عنه الكبد قليلاً لئلا يتأذى بحرارتها وجعل في أوعية الغذاء قوى خادمة له فالفم مع كونه يقطع الغذاء ويطحنه يحيله ويغيره والمرئ مع كونه منفذاً إلى المعدة يغيره تغييراً ثانياً والمعدة مع كونها خزانة حافظة له تنضجه وتطبخه فتغيره تغييراً ثالثاً وتمضممه وتنفي^(٤) منه مالا يصلح منه^(٥) فتخرجه وتدفعه إلى مخرج الثفل فإن الطعام إذا استقر في المعدة اشتملت عليه وانضمت غاية الانضمام ثم انضجته بحرارتها ، ثم تتولاه الكبد وتشتمل عليه تقلبه دماً خالصاً ثم تقسمه على جميع الأعضاء قسمة عدل لا جور فيها ولا حيف .

ولما كانت المعدة حوض البدن الذي يرده أجزاء البدن من كل ناحية اقتضت الحكمة الإلهية جعلها / في وسطه وخالص الغذاء يتأدى إلى الكبد من شعب كثيرة وتجتمع في موضع [١٣٠/]

واحد واسع يسمى باب الكبد وجميع العروق التي تتصل بالمعدة والأمعاء والطحال فتجتمع^(٦) وترقى إلى باب الكبد وفي المعدة (قوة بخار)^(٧) تجذب الموافق ويبقى المخالف المنافي

(١) سقط من (ق) .

(٢) في غير الأصل : (في) .

(٣) في غير الأصل : (فتجنب) .

(٤) في (م) و (ق) : (وتبقى) .

(٥) سقط من (م) و (ق) .

(٦) في (م) و (ق) : (تستجمع وترتقي) .

(٧) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

الذي عجزت قوة المعدة^(١) عنه ثم إن الكبد تصفيه وتنقيه بعد اجتذابه مرة أخرى وتنقي عنه غير الموافق . وقد أعد الصانع الحكيم سبحانه لتنقية الدم من الكبد ثلاثة خدام فارهين قائمين بالمرصاد بلا كسل ولا فتور وقد وضع كل واحد منها في المكان الأليق^(٢) به ونصبه [نصبه]^(٣) بها يكون أمكن من عمله . ولما أستقر الغذاء في المعدة وطبخته وأنضجته صارت فضلاته ثلاثة : فضلة كالدردي الراسب ، وفضلة كالرغوة والزبد الطافي ، وفضلة مائية ، فجعل كل خادم من هذه الخدم^(٤) الثلاثة على فضلة لا يتعداها إلى الأخرى ليجذبها من مجرى خادم الفضلة الخفيفة^(٥) الطافية وهي الصفرة والمرارة^(٦) ، ونصبها الرب تعالى فوق الكبد ، لأن المجذب هو الفضلة الطافية ومكانها فوق مكان الدردي الراسب . وخادم الفضلة التي هي كالدردي الراسب الطحال ، ونصبه الخلاق العليم أسفل من باب الكبد حيث كان ما يجتذبه من أسفل^(٧) ولم يكن في الجانب الأيمن لأن المعدة قد شغلت ذلك الجانب . وكان الجانب الأيسر خالياً فلم تعده .

فإذا نقي الدم من هاتين الفضلتين خدمه الخادم الثالث وهو الكبد وقد بقي أحمر نقي اللون مشرقاً نورانياً ، ويصل إليها من عرق عظيم يسمى الأجوف ثم يوزع من هناك على جهتي البدن العليا والسفلى في رواضع كثيرة العدد ما بين كبير وصغير ومتوسط كلها تتصل بالعرق الأجوف وتمتاز منه وما دام الدم في هذا العرق ففيه مائية غير محتاج إليها لأنها كانت مركب^(٨) الغذاء فلما أوصلته إلى مستقره^(٩) / استغنى عنها فاحتاج ولا بد إلى إخراجها ودفعها ، ولو لم يبادر إلى ذلك [ب/١٣٠] أضرت به فخلق الله سبحانه الكليتين يمتصان هذه الفضلة بعنقين طويلين^(١٠) كالأنبوبين^(١١) ، ويفرغانها^(١٢) في المثانة بعرقين آخرين ووضعهما سبحانه أسفل من الكبد قليلاً حيث يكون أمكن

(١) (وقتها) في غير الأصل .

(٢) في غير الأصل : (اللائق) .

(٣) سقط من الأصل .

(٤) في المطبوع : (الخادم) .

(٥) في (ق) : (الخفيفة) .

(٦) في (م) و (ق) : (الصفرة المرارة) ، وفي المطبوع : (للصفرة المرارة) .

(٧) (من سفلى) في (م) و (ق) .

(٨) في غير الأصل : (متركب) .

(٩) في (م) و (ق) : (مستقرها) .

(١٠) في (م) و (ق) : (طويل) .

(١١) في المطبوع : (كالأنبوبين) .

(١٢) (ويفرغانها) : في غير الأصل .

لتخليص المائبة كما ترون العصارات وأما المرارة فوضعها الله سبحانه فوق الكبد لأنها بمنزلة السفنجة . أو القطننة التي يقطف بها الدهن عن وجه الرطوبات .
وأما الطحال فوضعها^(١) أميل إلى أسفل لأنه بمنزلة ما يجتذب الأشياء المصونة إذا رسبت .



(١) في المطبوع : (فوضعه) .

﴿ فصل ﴾

إذا انتفى الدم من هذه الفضول^(١) كلها وعملت فيه هذه الخدم بقواها التي أودعها فيها هذا العمل وأصلحته هذا الإصلاح عمل ملك الأعضاء والجوارح وهو القلب فيه عملاً آخر فقصره^(٢) بجمرة أخرى هي أقوى من حرارة الكبد .



(١) في المطبوع : (الفضلات) .

(٢) فقصره (: في غير الأصل .

﴿ فصل ﴾

{ المعدة ومتعلقاتها }

وجعل سبحانه في المعدة أربع قوى :

قوة جاذبة للملائم ، وقوة منضجة له ، وقوة ممسكة له ، وقوة دافعة للفضلة المستغنى عنها منه . ورئيس هذه القوى هي القوة المنضجة وسائرها خدم لها .

وخصت المعدة عن سائر الأعضاء بأن أودع فيها قوة تحس بالعوز والنقصان ، وخاصة^(١) فمها ، يتنبه الحيوان على تناول الغذاء عند الحاجة . وأما سائر الأعضاء فإنها تتغذى بالنبات باجتناب الملائم إليها .

ولما احتاجت المعدة إلى قوة حس^(٢) بالعوز ، ولم يكن ذلك إلا من معدن الحواس وهو الدماغ أتاها روح العصب وهو عظيم^(٣) فأثبت أكثره^(٤) في فمها وما يليه ومن^(٥) باقيه مستقيماً حتى بلغ قعرها .

فإن قيل : فما الحكمة في أن باعد سبحانه بين العدة وبين^(٦) الفم ، وجعل بينهما مجرى طويلاً وهو المرئ ، وهلا اتصلت المعدة بالفم واستغنت عن المرئ ؟ .

قيل : هذا من تمام حكمة الخالق ، وفيه منافع كثيرة :

مها : أن يحصل للغذاء تغير ما في طول^(٧) المجرى ، فيلطف قبل وصوله إليه .

ومنها : بعده عن آلة التنفس لئلا تعوقه / وتعوق الصوت والكلام .

[١/١٣١]

(١) في (م) و (ق) : (خاصة فمها) ، وفي المطبوع : (خاصتها) .

(٢) في المطبوع : (وحس) .

(٣) في (م) و (ق) : (روح العصب عظيم) ، وفي المطبوع : (روح لعصب عظيم) .

(٤) في غير الأصل : (أكثرها) .

(٥) سقط من المطبوع .

(٦) سقط من المطبوع .

(٧) في غير الأصل : (طريق) .

ومنها^(١): أن لا تتقلب المعدة إلى خارج عند شدة الجوع كما يعرض ذلك للحيوان الشره إذا كان قصير العنق .

فإن قيل : فلم كانت إلى الجانب الأيسر أميل منها إلى الجانب الأيمن ؟ .

قيل : ليتسع المكان على الكبد ولا ينحصر .

فإن قيل : فهلا كانت مستقيمة في وضعها^(٢)، بل مال أسفلها إلى الجانب الأيمن ؟

قيل : ليتسع المكان على الطحال حيث كان أحفظ موضعاً من الكبد .

فإن قيل : فلم جعلت مستطيلة مدورة ، وجعلت مما يلي الصلب مسطحة ؟

قيل : لما وضعها الله سبحانه^(٣) بين الكبد والطحال جعلها مستطيلة وكانت مستديرة ليتسع

الموضع للطعام والشراب وكان أسفلها أوسع من أعلاها لذلك ، وجعل لها مدخلاً وهو المرئ ومخرجاً يسمى البواب .

وجعل البواب أضيق من المرئ لأن ما تبتلعه يكون أصلب وأخشن مما تخرجه ، فجعل

مدخل الداخل أوسع من مخرج الخارج لانطبأخه^(٤) في المعدة ولينه ولحكم أخرى :

منها : أن لا يزل الطعام والشراب منه قبل نضجه . وانطبأخه^(٥)، ولتقوي المعدة على

حبسه وليخرج أولاً فأولاً لا دفعة واحدة والمرئ يتسع بالتدريج حتى يبلغ المعدة ولذلك يظن أنه جزء منها .

وأما البواب فإن الجزء الضيق منه يتصل بأسفلها الذي هو أوسعها ثم تتسع على التدريج

ليتسهل^(٦) خروج الفضلة .



(١) سقط من غير الأصل .

(٢) في (م) و (ق) : (وصفها) .

(٣) في (م) و (ق) : (تعالى) ، وسقط من المطبوع .

(٤) في المطبوع : (لانضاجه) .

(٥) في (م) و (ق) : (وإنه) وسقط من المطبوع .

(٦) في غير الأصل : (ليسهل) .

فصل ٥٤

{ الكبد ووظائفه }

والكبد منطبقة على المعدة مكبوبة^(١) عليها بزوائدها لتسخنها والطحال يسخنها من الجانب الأيسر والصلب يسخنها من الخلف والترائب من قدامها .

والترائب مؤلفة من طبقتين رقيقتين تنطبق إحداها على الأخرى بشحم كثير وهو غشاء الأمعاء كلها ولباسها ، ثم غشي البطن كله بغشاء واحد يقي الأحشاء ويمنع من انفتاح المعدة والأمعاء بالرياح . ويربط جملة آلات الغذاء ولم يجعل في الكبد تجويف كتجويفي القلب لتحتوي على الدم احتواءً ممكنًا وتحيله إحالةً بليغة / .

[١٣١/ب]

وللكبد ثلاث شبكات^(٢) من العروق : شبكة بينها وبين المعدة والأمعاء ، وشبكة في مفرعها ، وشبكة في مجدها ،

فالشبكة الأولى : تجذب^(٣) الغذاء وتحيله^(٤) بعد الإحالة^(٥) .

وفي الشبكة الثانية : يصير دماً ، وفي الشبكة الثالثة : يزداد صفاء وترويقاً ، وللکبد بالقلب

والدماغ اتصال بشطبة^(٦) من العصب خفية كنسج العنكبوت .

ولما كانت النفس المغذية بمنزلة حيوان غاز^(٧) وحشي ، وكل جسم يموت فلا بد أن يتصل

به هذه النفس وتغزوه بخلاف النفس المفكرة التي محلها الدماغ وبخلاف النفس الغضبية التي محلها

القلب ، فالنفس المفكرة تستيعن بالنفس الغضبية على تلك النفس الحيوانية العاصة^(٨) الوحشية ،

(١) في غير الأصل : (محتوية) .

(٢) في غير الأصل : (شباك) .

(٣) في (م) و (ق) : (تجذب) .

(٤) في (م) و (ق) : (وتحليه) .

(٥) (بعد أن أحاله) في المطبوع .

(٦) هكذا في الأصل ، وفي (م) و (ق) : (بشطنه) ، وفي المطبوع : (بشطة) .

(٧) في المطبوع : (عاد) .

(٨) هكذا رسمت في الأصل ، وفي (م) و (ق) : (الغاية) ، وفي المطبوع : (العادية) .

اقتضت حكمة الخالق تعالى ^(١) أن وصل بين محال ^(٢) هذه الأنفس الثلاثة وسعها ^(٣) ليدعن بعضها لبعض .

ولا تنكر تسمية هذه القوى نفوساً ، فليس الشأن في التسمية فأنت تجد فيك نفساً حيوانية تطلب الطعام والشراب ونفساً مفكرة سلطانها على التصور والعلم والشعور ، ونفساً غضبية سلطانها على الغضب والإرادة ، وتصرف كل واحد ^(٤) منها فيما جعل إليه ، وبعضها عوناً لبعض فمحل النفس الحيوانية الكبد ، ومحل النفس المفكرة الدماغ ، ومحل الغضبية القلب .



(١) في غير الأصل : (سبحانه) .

(٢) (محل) في غير الأصل .

(٣) سقط من المطبوع .

(٤) في غير الأصل : (وتغرب كل واحدة منها) .

﴿ فصل ﴾

وتأمل الحكمة في أن جعلت صفاقات عروق الكبد أرق من صفاقات سائر عروق البدن لينفذ إلى الكبد (فيروق) ^(١) جوهر الدم بسرعة .

وهي مع ذلك غير محتاجة إلى الوقاية لأن الكبد تحوزها بلحمها ، وإنما وضعت مجاري المرة الصفراء بعد العروق التي تصعد الغذاء من المعدة وقبل العروق التي تأخذ الدم لأن هذا الموضع هو بين موضع كمال الطبخ وبين انتقاله إلى العرق الأجوف .

وحيث يمكن انفصال المرارة عن الدم وجمعت العروق كلها إلى ^(٢) عرق واحد هو الباب ،

ثم عادت فتقسمت في مقعر الكبد ، ثم / عادت فجمعت في مجدها ^(٣) إلى عرق واحد . وهو [١٣٢] /
الأجوف لتجيد بقسمتها انضاج ما يحتوي عليه ، ولئلا ينفذ بسرعة . وكذلك كل موضع احتيج فيه إلى طول مكث المادة حين ^(٤) بقاءها فيه بطول مسلكها وكثرة تعاويجه كما فعل في مجاري المني وشبكة الدماغ وهذا شأن العروق الجواذب .

وأما شأن العروق الضوارب : فبالعكس من ذلك فإنها جمعت في مقعر الكبد دون

مجدها ^(٥) لأنه موضع الدم ، وحاجته إلى التغذية بالحرارة ماسة .

قال جالينوس ^(٦) : ولا تقسم ^(٧) العروق الضوارب في مجذب يعلم الخالق سبحانه أن جذبه

الكبد تتحرك دائماً بمجاورة [الحجاب] ^(٨) فيقوم لها مكان حركة العروق الضوارب وجعلت هذه العروق الضوارب دقاقاً لأنها إنما وضعت لترويح الكبد لا لتغذيتها ولا لإيصال روح إليها ، إذ ليس بالكبد حاجة إلى قبول روح حيواني كثير ولا يحتاج لحمها إلى غذاء لطيف بخاري .



(١) في (م) و (ق) : (فوق) ، وسقط من المطبوع .

(٢) في (ق) : (إلا) .

(٣) في (م) و (ق) : (مجدها) .

(٤) هكذا في الأصل ، وفي (م) و (ق) والمطبوع : (هيء) .

(٥) في غير الأصل : (دون مجدها) .

(٦) جالينوس : (سبق ترجمته) .

(٧) في المطبوع : (ولا تقع) .

(٨) بياض بالأصل والاستدراك من البقية .

❦ فصل ❦

وأحرز الصانع سبحانه موضع الكبد ووضعها بأن ربطها بالمعدة والأمعاء كلها بالعروق ، وبالغشاء الممدود على البطن الذي يشد جميعها ، ووصل بها رباطات من جميع النواحي وغشاؤها الرابط لها يتصل بالحجاب برباط قوي ، ورباط الكبد بالحجاب حين^(١) صلب وثيق لأن الكبد معلقة به ، وهو أصلب من غشاء الكبد لشدة الحاجة إلى صلابته ، لأنه يحرز الكبد والعرق الأجو ف الذي^(٢) متى نالته آفة مات الحيوان .

كما تَهْلِكُ أغصان الشجرة إذا أصاب ساقها آفة .

وجعل أرق هذا الرباط^(٣) من خلف لشده بالعظام وأغلظه من قدام حيث لا عظام هناك تقيه . وهذا من شدة الأسر الذي قال الله تعالى فيها : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴾^(٤) أي^(٥) : شد أوصالهم بالرباطات المحكمة ، وجمع خلقهم بعضه إلى / بعض ولما كان الحجاب آلة [١٣٢] ب شريفة للنفس بوعد عنه العضوان المجاوران^(٦) له وهما : المعدة والكبد بمقدار حاجته لئلا يزحماه ويعوقانه^(٧) عن فعله .

فبوعدت المعدة عنه بطول مزاجها^(٨) .



(١) سقط من المطبوع .

(٢) سقط من المطبوع .

(٣) في غير الأصل : (هذه الرباطات) .

(٤) سورة الإنسان الآية (٢٨) .

(٥) سقط من غير الأصل .

(٦) في (م) و (ق) : (بوعد من العضوان المجاوران) وفي المطبوع : (بوعد من العضوين المجاورين) .

(٧) في غير الأصل : (يعوقاه) .

(٨) في غير الأصل : (مجراها) .

﴿ فصل ﴾

{ الطحال }

وأما الطحال : فبعضهم يقول : ^(١) لا نفع فيه وإنما شغل المكان به لئلا يبقى فارغاً فيميل أحد شقي البدن بثقل الكبد فجعل موازناً للكبد .

قلت : وهذا غلط من وجه ، وصواب من وجه .

فأما ^٢ الصواب : فمن الحكم العجيبة جعل الطحال في الجانب الأيسر على موازنة الكبد لئلا يميل الشق الأيمن بها . ولا يمكن أن تقوم المعدة بموازنة الكبد لئلا تميل ^(٣) وتخلو فتارة تكون أخف من الكبد وتارة أرجح منها ، فيصير البدن مترجحا أو يميل إلى شق الكبد وقتاً ، وإلى شق المعدة وقتاً آخر .

فجعل الخالق سبحانه الطحال يوازن الكبد وجعل المعدة بينهما في الوسط لئلا يميل ^(٤) جانب ويشف ^(٥) آخر عند امتلائها وخلوها . فلما جعلت وسطاً لم يختلف وضع البدن باختلافها .

وأما الغلط : فهو قوله : لا منفعة ، فيه ، وإنما يشغل المكان لئلا يبقى فارغاً فإنه لو لم يعلم فيه منفعة لم يكن له أن ينفيها فإن عدم العلم بالمنفعة لا يكون علماً بعدمها . كيف ^(٦) ولا شيء في البدن خالٍ عن المنفعة البتة .

وفي الطحال من المنافع أنه يجذب الفضلة الغليظة الكريهة ^(٧) السوداء من الكبد نوعاً من جنس العروق كالعنق له فإذا حصل تلك الفضلة عنده أنضجها وأحالها .

(١) في المطبوع زيادة : (أنه) بعد : (يقول) .

(٢) في غير الأصل : (أما) .

(٣) في غير الأصل : (لأنها دائماً تمتلئ وتخلو) .

(٤) هكذا أمكن قراءتها من الأصل وفي (م) و (ق) والمطبوع : (ليثقل) .

(٥) في الأصل و (م) و (ق) : (يشف) ، وفي المطبوع : (يخف) .

(٦) سقط من غير الأصل .

(٧) في (م) و (ق) : (العكرية) ، وفي المطبوع : (العكرة) .

وهو ينضح غليظ الدم وعكره كما ينضح قولون غليظ الغذاء ويابسه ويستعمل في فعله العروق الضوارب الكثيرة الكبيرة المبتوثة فيه كله^(١) فما نضج واستحال إلى طبيعته صار غذاء له وما لم يمكن أن ينقلب إلى الدم الموافق له قذفه إلى المعدة بعنق آخر من جنس العروق .

وإنما أمكنه جذب الفضل الأسود بقوة لحمه لأنه رخو متحلل نحيف^(٢) كالإسفنج وإنما / [١/١٣٣] اتصلت به العروق الضوارب الكثيرة ليستعين بها على^(٣) انضاج الفضول السود ، وليبقى لحمه خفيفاً ، متحللاً لأن دم الشرايين رقيق لطيف قريب طبيعته البخار فما اغتذى به كان نحيفاً كالرئة ولكن الرئة تغتذي بما صفا ورق وأشرق وكان أحمر نارياً ولذلك كانت الرئة أخف وزناً منه وأخف جرماً وممالة إلى البياض .

وأما الطحال فيغتذى بما لطف من الخلط الأسود وأنضج من الشرايين فيستريح منه البدن ويغتذى به الطحال ، فالطحال يتغذى بغذاء ألطف^(٤) من غذاء الكبد لأنه يرشح إليه من الشرايين التي صفا فإيها يجبه^(٥) جداً ولأجل سواد تلك الفضلة وكونها عكرة في الأصل لم يكن لون الطحال أحمر ولا مشرقاً .

فأما الكبد فيغتذى بدم غليظ فاضل يرشح إليها من العروق غير الضوارب فلجودة غذائها كان لونها أحمر ولغلظه كانت كثيفة فالكبد يتغذى بدم أحمر غليظ والطحال بدم أسود لطيف والرئة بدم صاف مشرق في غاية النضج قريب من طبيعة الروح فجوهر كل عضو على ما هو عليه صير غذاؤه ملائماً له فالغاذي شبيه بالمغتذي في طبعه وفعله .

وهذا كما أنه حكمة الله سبحانه في خلقه فيه جرت حكمته في شرعه وأمره حيث حرم الأغذية الخبيثة على عباده لأنهم إذا اغتذوا بها صارت جزءاً منهم فصارت أجزاءهم مشاهمه لأغذيتهم إذ الغاذي شبيه بالمغتذي^(٦) بل يستحيل إلى جوهره . ولهذا كان نوع الإنسان أعدل

(١) في غير الأصل : (كلها) .

(٢) في المطبوع : (خفيف) .

(٣) في غير الأصل : (استغنى بها عن انضاج) .

(٤) في غير الأصل : (لطيف) .

(٥) هكذا أمكن قراءتها ، وفي المطبوع : (يجبه) .

(٦) في غير الأصل : (بالمغتذي) .

أنواع الحيوان مزاجاً لاعتدال غذائه وكان الاغتذاء بالدم ولحوم السباع يورث المغذي بها قوة شيطانية سبعية عادية على الناس فمن محاسن الشريعة تحريم هذه الأغذية وأشباهاها إلا إذا عارضها مصلحة أرجح منها كحال / الضرورة ولهذا أكلت النصارى لحوم الخنازير فأورثها نوعاً من [١٣٣] ب الغلظة والقسوة .

وكذلك من أكل لحوم السباع والكلاب صار فيهم منها^(١) ولما كانت القوة الشيطانية السبعية^(٢) ثابتة لازمة لذوات الأنياب من السباع حرمتها الشارع ولما كانت القوة الشيطانية عارضة في الإبل أمر بكسرها بالوضوء لمن أكل منها^(٣) ولما كانت الطبيعة الحمارية لازمة للحمار حرم رسول الله ﷺ لحوم الحمر الأهلية^(٤) . ولما كان الدم مركب الشيطان ومجره حرمه الله تعالى تحريماً لازماً .

فمن تأمل حكمة الله سبحانه في خلقه وأمره وطابق^(٥) بين هذا وهذا فتحاً له باباً عظيماً في معرفة الرب سبحانه^(٦) وأسماءه وصفاته ، وهذا هو الذي حركنا لبسط النفس^(٧) في هذا المقام الذي لا يكاد أن ترى فيه إلا أحد طريقين :

طريقة طيب^(١) معرض عن الوحي^(٢) مقلد لبقرات وطائفة قد عبرت (وتحورت وعميت عمشت)^(٣) عيناه عن الرسل وما جاءوا به وهو ممن قال تعالى فيه : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣) ﴾^(٤) .

(١) في غير الأصل : (صار فيه قوتها) .

(٢) سقط من غير الأصل ، وهناك كلمة بدلها وهي : (عارضة) .

(٣) ورد النهي عن الوضوء من لحوم الإبل عند أكلها في أحاديث كثيرة .

منها ما أخرجه الترمذي في (أبواب الطهارة ،) (باب ما جاء في الوضوء من لحوم الإبل ح (٨١) من حديث البراء بن عازب قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوضوء من لحوم الإبل فقال : " توضؤوا منها . . . " الحديث ، وفي الباب عن جابر بن سمرة وأسيد بن حضير وغيرهما .

(٤) ورد النهي عن أكل لحوم الحمر الأهلية في أحاديث عدة أحدها : ما أخرجه البخاري في (المغازي .) (باب غزوة خيبر ح (٤٢١٦) ، ومسلم في (النكاح .) (باب نكاح المتعة ح (٩٢٩-١٤٠٧) من حديث علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نهي عن متعة النساء يوم خيبر ، وعن أكل لحوم الحمر الإنسية " .

(٥) في غير الأصل : (وطبق) .

(٦) في غير الأصل : (تعالى) .

(٧) في المطبوع : (القول) .

وطريقة^(٥) من يجحد ذلك كله ويكذب قائله ويظن منافاته للشرعية ، فيجحد حكمة الله في خلقه وإبداعه في صنعه جهلاً منه .

وكلا الطريقتين مذموم ، وسالكه من الوصول إلى الغاية محروم فلا نكذب بشرع الله ولا نجحد حكمة الله .

وأكثر ما أفسد الناس أنهم لم يروا إلا طبائعيًا زنديقاً منحلاً عن الشرائع أو متسنناً^(٦) قادحاً فيما جرت به حكمة الله تعالى ومشيتته في خلقه منكرًا للقوى والطبائع والأسباب والحكم والتعليل ، فإذا أراد الأول أن يدخل في الإسلام (جبذه إلى زندقته)^(٧) جهل هؤلاء ومكابرتهم للمعقول والحس ، وإذا أراد هذا^(٨) أن يدخل في معرفة الحكم / والغايات وما أودع الله في مخلوقاته من [١/١٣٤] المنافع والحكم^(٩) والقوى والأسباب ، (جبذه إلى جهله)^(١٠) زندقة هؤلاء وكفرهم وإعراضهم عما جاءت به الرسل وفرحهم^(١١) بما عندهم من العلم فيختار دينه على عقله ويختار ذلك عقله وما استقر عنده مما لا يكابر فيه حسه ولا عقله على الدين .

وهذا قد بلي به أكثر الخلق فما قرره أئمة الأطباء والطبائعين^(١٢) أحد أنواع أدلة التوحيد والمعاد ، وصفات الخالق وما أخبرت به الرسل بل^(١٣) هو من أظهر ادلته فلا يزداد الباطن فيه إلا إيماناً .

(١) في المطبوع : (طريق) .

(٢) في غير الأصل : (معترض للوحي) .

(٣) سقط من غير الأصل .

(٤) سورة غافر الآية : (٨٣) .

(٥) في المطبوع : (طريق) .

(٦) في غير الأصل : (ضده) .

(٧) سقط من غير الأصل .

(٨) سقط من غير الأصل .

(٩) سقط من المطبوع .

(١٠) في غير الأصل : (ضده) .

(١١) في غير الأصل : (وقدحهم) .

(١٢) في غير الأصل : (وهذا قد بلى خلق الأطباء والطبائعين فهو عنده أحد أنواع . . .) .

(١٣) سقط من غير الأصل .

وما أخبرت به الرسل لا يناقض ما جرت به عادة الله تعالى وحكمته في خلقه من نصب الأسباب وترتيب مسبباتها عليها بعلمه وحكمه^(١) فمصدر خلقه وأمره علمه تعالى وحكمته وأدلة^(٢) الرب تعالى وآياته لا تتعارض ولا تتناقض ولا يطل بعضها بعضاً . والله أعلم .



(١) في المطبوع : (وحكمته) .

(٢) في غير الأصل : (والآء) .

﴿ فصل ﴾

والكبد والطحال متقابلان والمعدة بينهما والعروق الضواري تتصل بهما^(١) المعدة ، والقلب بمزلة التنور أو بمزلة اتون الحمام يسخن ماؤه وله إلى كل بيت منفذ ينفذ فيه^(٢) وهج النار إليه وكذلك الحار الغريزي الذي منبعه من القلب ينفذ في مسالك ومنافذ إلى جميع الأعضاء فيسخنها.



(١) في غير الأصل : (بها) .

(٢) في المطبوع : (منه) .

﴿ فصل ﴾

{ الأمعاء }

وجعلت الأمعاء مسلکا مؤديا والمعدة هي الآلة لهضم^(١) الغذاء واستمراثة والأمعاء تؤدي ذلك إلى الكبد .

ولما كانت الأمعاء آلة الاداء والإيصال كثرت لفائفها وطولها وكانت العروق التي تأتيها من الكبد لا تحصى كثرة لينفذ فيها الغذاء أول فأول ويستقضي^(٢) يسيراً يسيراً .

فلولا تطويل لفائف الأمعاء لكان الغذاء يخرج قبل أخذها خاصيته وكانت تعرض لهم شهوة^(٣) الأكل دائماً . وكان الإنسان يعدم التفرغ لمصالحه وسائر اعماله وكان دائماً مكباً على الغذاء ولهذا صار الحيوان الذي ليس^(٤) للأمعائه استدارات بل له معاء واحد مستقيم مكباً على الغذاء عديم الصبر عنه / كالمسكر^(٥).

[١٣٤/ب]

وأما ما للأمعائه استدارات فإنه إذا فاته الغذاء أو بعضه في الاستدارة الأولى صادفه في الثانية . فإن^(٦) فاته في الثانية ، صادفه في الثالثة والرابعة والخامسة كذلك . فيمكن صبره على الغذاء حكمة بالغة .

وينفذ^(٧) إلى الأمعاء شعب^(٨) من العروق الضاربة تأخذ^(٩) من الغذاء جزءاً يسيراً لطيفاً وأما العروق غير الضاربة هي^(١٠) مجاري الغذاء بالحقيقة فأخذت أكثره .

(١) في غير الأصل : (تخضم) .

(٢) في المطبوع : (وتفيضه) .

(٣) في غير الأصل : (وكان يعرض إليهم بشهوة) .

(٤) سقط من (م) و (ق) .

(٥) هكذا في الأصل ، وفي غيره : (كالليل) .

(٦) زيادة : (هو) في غير الأصل .

(٧) في المطبوع : (وما ينفذ) .

(٨) في غير الأصل : (يبعث) .

(٩) في المطبوع : (ويأخذ) .

(١٠) في المطبوع : (فهي) .

وأما العروق الضاربة فجعلت مسلكاً للأرواح المنبعثة من القلب فاستغنت بقليل الغذاء وجعل للقلب وصلة بالأمعاء ليسخنها^(١) أولاً ويمدها بقوة الحياة^(٢) بإذن خالقه ثم يأخذ منها الجزء الملائم من الغذاء المستغني عن فعل الكبد للطافة جوهره فإن هذا الجزء لو حصل في الكبد لم يؤمن إصرافه^(٣) وفساده فلا ينتفع به القلب ثم يأخذ منها عند شدة الحاجة وصدق المجاعة فيتعجل ذلك من أدنى المواضع .

ولذلك نشاهد من أكل من^(٤) مسغبة^(٥) شديدة يحس بزيادة ونماء في كل أعضائه حتى ما^(٦) يمر الطعام بالمعدة (إلا وقد اخذت الأعضاء حاجتها منه)^(٧) قبل استقراره فيها ، فسبحان من اتقن ما صنع .

ولما كانت المعدة آلة هضم الغذاء والأمعاء آلة دفعه جعل للأمعاء طبقتان ليقوى دفعها بهما جميعاً وليكون ذلك^(٨) حرزاً لها وحفظاً ولذلك من تعرض له قرحة في^(٩) الأمعاء بانحدار في أحد الصفاقين يبقى الآخر سليماً وجعلت الأمعاء الغلاظ لقذف الثقل والدقاق^(١٠) لتأدية الغذاء والسبب في أن صار الإنسان لا يحتاج إلى تناول الغذاء دائماً كثرة لفائف أمعائه والسبب المانع من قذف الفضول دائماً سعة الأمعاء الغلاظ التي تقوم له مقام وعاء آخر شبيه بالمعدة في السعة كما أن / [١٣٥]

المثانة وعاء للبول كذلك .



(١) في (م) و (ق) والمطبوع : (ليحسنها) .

(٢) في غير الأصل : (الحار) .

(٣) في المطبوع : (إحراقه) .

(٤) سقط من غير الأصل .

(٥) في المطبوع : (مسنية) .

(٦) سقط من المطبوع .

(٧) سقط من غير الأصل .

(٨) سقط من غير الأصل .

(٩) سقط من غير الأصل .

(١٠) في المطبوع : (الرقاق) .

﴿ فصل ﴾

ونحن نذكر فصلاً مختصراً في هذا الباب يجمع لك شتاته^(١) بأيضاح وإيجاز أن شاء الله تعالى وبه الحول والقوة فنقول :

المرئ موضوع خلف الحلقوم مما^(٢) يلي فقار الظهر ، وينتهي في ذهابه إلى الحجاب ، وهو مشدود برباطات فإذا بعد الحجاب^(٣) مال إلى الجانب الأيسر واتسع ، وذلك المتسع هو المعدة ، وأسفلها يعود مائلاً إلى اليمين ، والمعدة مفرطحة^(٤) ، وفمها هو المستدق^(٥) منها ويسمونه الفؤاد وهذا من غلطهم إلا أن يكون ذلك اصطلاحاً خاصاً منهم فإن الفؤاد عند أهل اللغة هو القلب . قال الجوهري : الفؤاد القلب^(٦) ، وقال الأصمعي : وفي الجوف الفؤاد هو القلب^(٧) .

وقد فرق بعض أهل اللغة بين القلب والفؤاد ، فقال الليث : القلب مضغة من الفؤاد معلقة بالنياط^(٨) ، وقالت طائفة : مستدق^(٩) القلب ، وقال النبي ﷺ : " أتاكم أهل اليمن أرق قلوباً ، وألين أفئدة " ^(١٠) ففرق بينهما ووصف القلب بالركة ، والأفئدة باللين ، وأما كون فم المعدة هو القلب فهذا لا نعلم أحداً من أهل اللغة قاله .

وتأمل وصف النبي ﷺ القلب بالركة ، التي هي ضد القساوة والغلظة ، والفؤاد باللين الذي هو ضد اليبس والقسوة فإذا اجتمع لين الفؤاد إلى رقة القلب حصل من ذلك الرحمة والشفقة

(١) في المطبوع : (شتات ذلك) .

(٢) في غير الأصل : (ومما) .

(٣) في المطبوع : (فإذا أبعد مال . .) .

(٤) في غير الأصل : (مقر طبعه) .

(٥) في غير الأصل : (المسدق) .

(٦) انظر : الصحاح : (٥١٧/٢) .

(٧) انظر : اللسان (/) .

(٨) انظر : تذيب اللغة للأزهري (: /) .

(٩) في غير الأصل : (مسدق) .

(١٠) أخرجه البخاري في (٤٦) كتاب المغازي ، (٧٤) باب قدوم الأشعرين وأهل اليمن ح (٤٣٨٨) ، ومسلم في (١)

كتب الإيمان ، (٢١) باب تفاضل أهل الإيمان فيه . ورجحان أهل اليمن فيه ح (٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

والإحسان ومعرفة الحق وقبوله ، فإن اللين أقبل^(١) للقبول والفهم^(٢) والركة تقتضي [الرحمة]^(٣) والشفقة ، وهذا هو حال كمال العلم والرحمة ، وبهما كمال الإنسان ، وربنا وسع كل شيء رحمة وعلماً .

فلنرجع إلى ما نحن بصدد فنقول :

المعدة مع المرئ ذات طبقتين لطيفتين ، واللحم في الطبقة الداخلة أقل ، ولهذا يغلب عليها البياض وهي عصبية حساسة ، وهو^(٤) في الطبقة الخارجة أكثر ولهذا تغلب عليها الحمرة وهي مربوطة على^(٥) الفقار / برباطات وثيقة ، وتنتهي من جهة مقرها إلى منفذ هو باب المعدة ، [١٣٥/ب وبها^(٦) يغلق عند اشتماله على الغذاء مدة هضمه ، ويقال لباطن رحم المعدة حمل المعدة^(٧) .

والأمعاء المصارين وهو جمع مصران بضم الميم ، وهو جمع مصير وسمي مصيراً لمصير الغذاء إليه ، والسفلى يقال لها : الأقتاب ، ومنه قوله ﷺ : " فتندلق اقتاب بطنه "^(٨) ، والعليا أدق^(٩) من السفلى لما تقدم من الحكمة ، فأعلى الدقاق يسمى الأثنى عشر لأن مساحته اثني عشر إصبعاً .

وبليه المسمى بالصائم لقلة لبث الغذاء فيه ، لا أنه^(١٠) يوجد أبداً خالياً كما ظنه بعضهم فإن هذا باطل حساً وشرعاً كما سنذكره والثالث المسمى بالدقيق^(١١) واللفائف وهو أطول الأمعاء

(١) في غير الأصل : (موجب) .

(٢) بياض بالأصل بين : (الفهم — الرقة) .

(٣) بياض بالأصل وفي غيره : (الرحمة) .

(٤) (وهي) : في غير الأصل .

(٥) في غير الأصل : (مع) .

(٦) في غير الأصل : (وبها) .

(٧) في غير الأصل : (ويقال لباطن جرم المعدة ، حمل المعدة) .

(٨) أخرجه البخاري في (٥٩) كتاب بدء الخلق ، (١٠) باب صفة النار وأما مخلوقة ، ح (٣٢٦٧) ، ومسلم في (٥٣) كتاب

الزهد والرقائق (٧) باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله ، وينهى عن المنكر ويفعله ح (٢٩٨٩) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما .

(٩) في غير الأصل : (أرق) .

(١٠) في غير الأصل : (لا لأنه) .

(١١) في المطبوع : (بالرقيق) .

وأكثرها تلافيف ، ولبث الغذاء فيه أطول ، والعروق التي تأتيه من الكبد أقل وأما اللذان قبله فمنتصبان في طول البدن قصيران^(١) ، ويقل لبث الغذاء فيهما ، وهو في الصائم أقل لبثاً ، وهذه الثلاثة تسمى الأمعاء العليا ، والأمعاء^(٢) الدقاق وهي كلها في سعة البواب .

وأما الرابع^(٣) : وهو الأول من الثلاثة السفلى الغلاظ فيسمى الأعور لأنه لا منفذ له ، بل هو كالكيس يخرج منه ما دخل من حيث دخل ، وحكمته أن^(٤) يتم فيه ما يعسر هضمه من الأشياء الصلبة ، كما يتم ذلك في قوائص الطيور ، ووضعه في الجانب الأيمن .

والخامس : المسمى بقولون^(٥) : يتدنى من الجانب الأيمن .

ويأخذ عرضاً إلى الأيسر ، ويحتبس فيه الثقل ريثما^(٦) يستقضي ما فيه .

والسادس : هو الآخر وهو المعى المستقيم لأنه مستقيم الوضع في طول البدن وهو واسع جداً يجتمع فيه الثقل كما يجتمع البول في المثانة ، وعليه الفضلة المانعة لخروج الثقل بدون الإرادة وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : " المؤمن يأكل في معي واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء "^(٧) فأطلق على المعدة اسم المعى تغليياً ولمشابهتها بالأمعاء لكون كل واحد من الأمعاء والمعدة محلاً للغذاء ، وهذا لغة العرب كما يقولون : القمران والعمران والركنان اليمانيين والشامييين والعراقيين^(٨) / ونظائر ذلك ولا سيما^(٩) فإن تركيب الأمعاء كتركيب المعدة إذ هي مركبة من [١٢٠/]

(١) في (م) و (ق) : (بصيران) .

(٢) (الرقاق) : في المطبوع .

(٣) (الدامع) : في غير الأصل .

(٤) (أنه) : في غير الأصل ، وفي المطبوع : (وحكمته سبحانه) .

(٥) في (ق) : (والخامس يقولون) .

(٦) في غير الأصل : (ربما) .

(٧) أخرجه البخاري في (٧٠) كتاب الأطعمة (١٢) باب المؤمن يأكل في معي واحد ح (٥٣٩٣) ، ومسلم في (٣٦) كتاب الأشربة ، (٣٤) باب المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء ح (٢٠١٦) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، وفي الباب عن أبي هريرة وأبي موسى .

(٨) في غير الأصل : (اليمانيان والشاميان والعراقيان) . وهو الأصح .

(٩) في الأصل هنا بياض وفي غير الأصل الكلام متصل .

طبقتين لحمية خارجية ، وعصبية داخلية ، والطبقة الداخلية منها لزوجات متصلة بها لتقيها من حلام البراز ، ولرداءته تخفيه ، ولزيفه فلا تمسكه^(١) ولا يتعلق بها شيء منه .

ولما كان الكافر ليس في قلبه شيء من الإيمان والخير يغتذي به ، انصرفت قواه ونهمته كلها إلى الغذاء الحيواني البهيمي لما فقد الغذاء الروحي القلبي . ما ستفرغت فتوفرت أمعاؤه وقواه على هذا الغذاء أمعاؤه على^(٢) هذا الغذاء وامتألت به بحسب استعدادها منها وقبولها كما امتألت به العروق والمعدة .

وأما المؤمن فإنه إنما يأكل العلقه^(٣) ليتقوى بها على ما أمر به فهمته وقواه مصروفة إلى أمر^(٤) وراء الأكل فإذا أكل^(٥) ما يغذيه ويقيم صلبه استغنى قلبه ونفسه وروحه بالغذاء الإيماني عن الاستكثار من الغذاء الحيواني فاستغل معاءها الواحد وهو قولون^(٦) : بالغذاء فأمسكه حتى أخذت منه الأعضاء والقوى مقدار الحاجة فلم يحتج إلى امتلاء^(٧) أمعاؤه كلها من الطعام وهذا أمر معلوم بالتجربة وإذا قويت مواد الإيمان ومعرفة الله وأسماءه وصفاته ومحبه ورجائه والشوق إلى لقاءه في القلب استغنى بها العبد عن كثير من الغذاء ووجد لها قوة تزيد على قوة الغذاء الحيواني فإن كثفت طباعك عن هذا وكنت عنه بمعزل لانشغالك بالغذاء الحيواني وامتلائك به^(٨) .

فتأمل حال الفرح المسرور^(٩) بتجدد نعمة عظيمة واستغناؤه مدة عن الطعام والشراب مع وفور قوته وظهور الدموية على بشرته وتغذيته بالسرور والفرح ولا نسبة لذلك إلى فرح القلب ونعيمه وابتهاج الروح بقرب الرب تعالى ومحبه ومعرفته كما قيل :

لها أحاديث عن^(١) أذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد / [١٣٦]ـ

(١) هكذا في الأصل و (م) ، وفي (ق) : (حاكم البزار ، ورداة كثيفة ولزيفه فلا تمسكه) وفي المطبوع : . من حر ألم البراز ، ورداءته ، كثيفه فلا تمسكه .

(٢) سقط من غير الأصل ولعله أصح

(٣) في المطبوع : (العلقه) .

(٤) في غير الأصل : (أمور) .

(٥) هكذا في المطبوع ، وفي الأصل : (أحل) وفي (م) و (ق) : (حل) .

(٦) في المطبوع : (قولان) .

(٧) في غير الأصل : (أن يملأ) .

(٨) سقط من غير الأصل .

(٩) في المطبوع : (والسرور) .

وقد قال ﷺ في الحديث المتفق على صحته : " إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني " (٢) وصدق الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه فإن المقصود من الطعام والشراب التغذية المسكنة فإذا حصل له أعلا الغذائين وأشرفهما وأنفعهما فيكف لا يغنيه ذلك عن الغذاء المشترك وإذا كنا نشاهد أن الغذاء الحيواني يغلب على الغذاء القلبي والروحي حتى يصير الحكم له ويضمحل غذاء القلب (٣) والروح بالكلية فكيف لا يضمحل غذاء البدن عن استيلاء غذاء القلب والروح ويصير الحكم له . وقد كان ﷺ يمكث الأيام لا يطعم شيئاً وله قوة ثلاثين رجلاً ويطوف مع ذلك على نسائه كلهن في ليلة واحدة وهن تسع نسوة وهذا المسيح بن مريم متى لم يمكث وغداؤه من جنس غذاء الملائكة وأنت تشاهد المريض يمكث الأيام العديدة لا يأكل ولا يشرب لاشتغال نفسه بمحاربة المرض ومدافعتة واكتفاء الطبيعة ببقية الغذاء الذي في الأمعاء والمعدة مع شدة (٤) الحرب فإذا وضعت الحرب أوزارها رأيت شدة طلبه للغذاء فالخائف والمحب والفرح والحزين والمستولي عليه الفكر لا تطالبه نفسه من الغذاء (كما يطالب) (٥) به الخالي من ذلك .



(١) في غير الأصل : (من) .

(٢) أخرجه البخاري في (٣٠) كتاب الصوم ، (٤٩) باب التنكيل لمن أكثر الوصال ح (١٩٦٥) ومسلم في (١٣) كتاب الصيام ، (١١) باب النهي عن الوصال في الصوم ح (١١٠٣) من حديث أبي هريرة وفيه : (إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني) ، وعند مسلم أيضاً من حديث أنس : (إني أظل) وفي الباب عن عائشة وعبد الله بن عمر وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أجمعين .

(٣) في غير الأصل : (هذا الغذاء) .

(٤) (مدة) : في غير الأصل .

(٥) سقط من غير الأصل .

﴿ فصل ﴾

والكبد عضو لحمي تتخلله عروق رقاق وغلاظ وعلى الكبد غشاء عصبي حساس يحيط بها ينتهي إلى غلافه والكبد هي الأصل في الغذاء وآلات الغذاء خدم لها ومعينات فإن الإنسان لما كان كالشجرة المتقلبة^(١) جعل له ما يقوم مقام النهر الجاري في أصول الشجر يسقيها وهو الأمعاء والمعدة يمتزلة العين وتجري منها السواقي وعروق الكبد المتصلة بالأمعاء يمتزلة عروق الشجرة^(٢) المتصلة بأرض الساقية تمتص الماء^(٣) وتؤديه إلى الشجرة وأغصانها / وورقها وثمارها .

[١/١٣٧]

وهذه العروق تمتص الماء من الطين والثرى .

وكذلك عروق الكبد تمتص صفو الماء وخالصه من [كلوته] ^(٤) وتحيله إلى طبيعة الأعضاء

كما تفعل عروق الشجرة .

وشكل الكبد شكل هلالى محدب من ظاهره مقعر من باطنه وهي تحت الأضلاع الخمس ولها خمس شعب يقال لها الزوائد تحتوي على المعدة كما تحتوي الكف بأصابعها على الشئ المقبوض ويقال للشعبة الصغيرة منها خاصة زائدة الكبد وفي الصحيح عن النبي ﷺ " أن سبعين ألفاً من أهل الجنة يأكلون من زيادة كبد الحوت الذي هو أول طعامهم " وهذا يدل على عظم قدر هذه الزيادة فما الظن بالكبد التي هي زيادته^(٥) فكيف الحوت الذي حواها ؟ ومقرها يسمى المورد لأنه يورد الغذاء من المعدة والأمعاء ويسمى باب الكبد ثم تتشعب هذه العروق من جانبيه فشعب تتصل بالأمعاء وتسمى الجداول لشبهها بالسواقي الصغار تؤدي إلى مقره^(٦) عظيمة ولهذه الجداول أغشية من فوقها ومن تحتها فتستدير مع الأمعاء ومع^(٧) العروق المتصلة بها وتسمى هذه الأغشية وما تحتويه المرباط .



(١) في غير الأصل : (المستقلة) .

(٢) في (م) و (ق) : (الشجر) .

(٣) (منها) : في غير الأصل .

(٤) كلمة غير واضحة في الأصل ، وفي (م) و (ق) : (كلوته) ، وفي المطبوع : (كلولته) .

(٥) في (م) و المطبوع : (زائدته) .

(٦) في المطبوع : (نقره) .

(٧) في (ق) و المطبوع : (مع الأمعاء العروق) .

﴿ فصل ﴾

والعرق الثاني ينقسم في مجاذها^(١) إلى عروق صغار وأصغر منها حتى تبلغ غاية الدقة ثم تعود تجمع أولاً فأولاً^(٢) على قياس ما تفرقت^(٣) فتأخذ^(٤) من كثرة إلى وحدة ومن رقة إلى غلظ حتى يجتمع منها العرق الخارج من الكبد المسمى بالأجوف ومنه يتأدى الدم إلى البدن كله وحين يخرج ينقسم قسمين فيأخذ أحدهما نافذاً في الحجاب نحو القلب ويسمى الوتين . قال أهل اللغة الوتين عرق يسقي القلب .

قال في الصحاح : الوتين عرق في القلب إذا انقطع / مات صاحبه ووتينه أصيبتينه فهو موتون^(٥) .

وقال الواحدي : الوتين نياط القلب وهو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب إذا انقطع بطلت القوى ومات إذا صاحبه وهو قول جميع أهل اللغة وأنشدوا للشماخ^(٦) :

إذا بلغتني وحملت رجلي **عراية فاشرقي بدم الوتين^(٧)**

وقال ابن عباس ، وجهور المفسرين : هو حبل القلب ونياطه . وأما الأبر الذي قال فيه النبي ﷺ " هذا أوان انقطاع ابهرى " فقال الجوهري : الأبر عرق إذا انقطع مات صاحبه وهما أبران يخرجان من القلب ثم تتشعب منهما سائر الشرايين وأنشدوا للأصمعي :

وللفؤاد وجيب تحت^(٨) ابهره **لدم الغلام وراء الغيب بالحجر^(٩)**

(١) في (م) و (ق) : (مجاذها) وفي المطبوع : (مجذها) .

(٢) في (م) و (ق) : (ثم تعود وتجمع) ، وفي المطبوع : (ثم تعود تجتمع) .

(٣) في غير الأصل : (ما تفرق) .

(٤) في غير الأصل : (وأخذ) .

(٥) انظر الصحاح : (٢٢١١/٦) .

(٦) الشماخ : هو الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني ، شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والغسلام . قيل : اسمه :

معقل بن خراز والشماخ لقبه ، وقد كان أوجز الناس على البديهة ، توفي في غزوة موتان . انظر : الأعلام (١٧٥/٣) .

(٧) البيت من الوافر ، وهو للشماخ في ديوانه ص (٣٢٣) وقد ورد ذكره أيضاً في مقاييس اللغة (٢٣٦/٢) وغيره . وانظر : البسيط

(١١٣-١١٤) ت. الورثان

(٨) الصحاح للجوهري (٥٩٨/٢) .

(٩) في المطبوع : (عند) .



﴿ فصل ﴾ { المرارة }

والمرارة موضوعة على الكبد ولها مجريان أحدهما متصل بتقعر الكبد يجتذب المرة الصفراء
والآخر متصل بالأمعاء العليا يصب المرة ليغسلها ويجلوها ويتصل منه السير^(١) بأسفل المعدة ليمتزج
بالغذاء فيكون فيه معونة على هضمه .



^(١) في غير الأصل : (السر) .

﴿ فصل ﴾

{ قوة البدن }

والقوة التي وكلها الله سبحانه بتدبير البدن من أعظم آياته الدالة عليه فإنها تفعل في الطعام والشراب الواردين عليه أفعالاً متنوعة من تقطيع وتفصيل وتمريخ وتحليل وتركيب فمبدأ ذاك في الفم وهو تقطيعه بالأسنان ومضغه واختلاطه بالطوبقات التي فيه وانضمامه فيه انضماماً تاماً ثم بعد ذلك عند وروده إلى المعدة (فإن المعدة)^(١) تهضمه هضمًا آخر ويسمى الهضم الأول ويعينها على هضمه ما يجاورها من الأعضاء فالكبد عن يمينها والطحال عن يسارها والقلب من فوقها والشرى^(٢) أمامها والأمعاء السبل الموصلة إليها والعروق الطرق المؤدية منها والحرارة والنار الطابخة للطعام فيها والقوى الهاضمة والجاذبة والغاذية والدافعة / خدماً لها فإذا انضم الطعام فيها صار كيلوساً شبيهاً بماء الكشك الثخين .

ثم تنهر صفوه^(٣) ولطيفه فتقذف^(٤) في العروق الرقاق الشعرية التي هي برقة الشعر وينجذب إلى الكبد فإذا ورد هذا اللطيف إلى الكبد اشتملت عليه بجملته فطبخته وهضمته وأحالاته إلى جوهرها وصيرته دماً ويسمى هذا الهضم الثاني ولما كان هذا الإنضاج والطبخ يشبه طبخ القدر علاه شئ كالرغوة والزبد وهو الصفراء ورسب منه شئ مثل العكر وهو السوداء و يتخلف على تمام النضج شئ بقي على مجوخته وهو البلغم والشئ الذي يصفى ويبقى من ذلك كله هو الدم فاندفع من الكبد في العرق الأعظم المعروف بالأجوف بعد أن تصفت عند المائية إلى آلة البول

(١) سقط من غير الأصل .

(٢) هكذا في الأصل : وفي البقية : (المرئ) .

(٣) في غير الأصل : (صوبه) .

(٤) في غير الأصل : (فتقذفه العروق) .

فيسلك هذا الدم في الأوردة المتشعبة من الأجوف ثم في جداول منسقية^(١) من الأوردة ثم في سواقي متشعبة في الجداول ثم في رواضع مشتقة من السواقي ثم في عروق رقاق شعرية ثم يرشح من أفواهها في الأعضاء لتغذي به فتحيله^(٢) الأعضاء وتسير به لجواهرها فيصير في اللحم لحماً وفي العظم عظماً وفي العصب عصباً وفي الظفر ظفراً وفي الشعر شعراً وفي السمع والبصر وآلة الحس كذلك فتبارك من هذا صنعه في قطرة من ماء مهين .



(١) في غير الأصل : (منسقية) .

(٢) في (م) و (ق) : (فتحله) وفي المطبوع : (فتحله) .

﴿ فصل ﴾

والدم هو الخلط الأصلي والغذاء الحقيقي للبدن والمخلف عليه بدل ما ينقص ويتحلل منه
والأخلاق الأخر كالأبازير والتوابل وهو صنفان لطيف وهو دم القلب وجليظ وهو دم الكبد
ومثله مثل السلطان إذا كان وقوراً حليماً ساكناً عاشت به رعيته وإذا غضب واحتد قتل .



﴿ فصل ﴾

{ البلغم }

وأما البلغم فخلط فج مستعد لين يستكمل نضجه عند عوازل الغذاء إذا ما تولته الحرارة الغريزية فهضمته وصيرته دماً / فيكون في المعدة والأمعاء وفي الكبد عند قصور الهضم وفيه من [١٣٨/ب] المنفعة أنه يرطب البدن ويبل المفاصل ليسلس^(١) حركاتها ويخالط الدم في تغذية الأعضاء البلغمية المزاج كالدماء .

(فإن قيل : ما الحكمة أنه لم يجعل للبلغم عضواً مخصوصاً ينصب إليه كالمريء ؟)^(٢)
 قيل : لما كانت الأعضاء محتاجة أن يكون قريباً لترطيبها لم يجعل له عضواً^(٣) يختص به لا سيما والأعضاء تتغذى به إذا أعوزها الغذاء .



(١) في غير الأصل : (لسلس) .

(٢) سقط من غير الأصل .

(٣) في (م) و (ق) : (عوضاً) .

﴿ فصل ﴾ { الصفراء }

وأما الصفراء فخلط^(١) لطيف حار وحاجة البدن إليها في أن تخالط الدم وترقه بلطفها وتنفذه في المسالك الضيقة ولتعيه في تغذية الأعضاء الحارة اليابسة وما ينفصل عنها مما يستغنى عنه يتصفى إلى المرارة لتأخذ نصيبها منه وما تستغنى عنه المرارة تصبه إلى الأمعاء لتغسلها عن لطخة الأثقال^(٢) ولزوجتها ولتدع عضل المقعدة فيحس بالحاجة إلى التبرز .



(١) في المطبوع : (فحليط) .

(٢) في (م) و (ق) : (أثقال) ، وفي المطبوع (الأثقال) .



﴿ فصل ﴾ { المرارة السوداء }

وأما المرة^(١) السوداء فخلط^(٢) بارد يابس وفيه من المنافع أنه ينفذ مع الدم في العروق ليشده ويقويه ويكفيه ويمسكه ويمنعه من سهولة الحرمة عند الحاجة إلى ذلك ويعينه في^(٣) تغذية الأعضاء المحتاجة أن يكون في غذائها شئ من السواد كالعظام ، وما انفصل منه واستغني عنه يصفى إلى الطحال فيصفيه الطحال جداً ويتغذى به ثم يجلب ما يستغني عنه الطحال إلى فم المعدة فيدغده بالحموضة التي فيه فتتحرك الشهوة ويحس بالجوع فتطلب الأعضاء القصوى معلومها وراتبها من الأعضاء التي تليها وتطلبه الأعضاء التي تليها من التي تجاورها وهكذا حتى ينتهي الطلب إلى المعدة فالجوع طلب الأعضاء القصوى معلومها من الأعمال^(٤) الدنيا .



(١) في غير الأصل : (المرارة) .

(٢) في المطبوع : (فخليط) .

(٣) في غير الأصل : (على) .

(٤) في المطبوع : (الأعضاء) .

﴿ فصل ﴾

{ الأعضاء الرئيسية }

ولما اقتضت حكمة الرب جل جلاله وتقدست اسمائه ولا إله غيره حيث كان بدن

الإنسان مشبها / في أحواله بالمدينة أن يوجد فيها أعضاء رئيسية تقوم بمصالحه^(١) كما يقوم رؤساء [١/١٣٩] المدينة بمصالحها يكون لها بمرتبة الولاية والأمراء وأعضاء تكون خادمة لهذه الأعضاء الرئيسية فإن الرئيس لا يكون رئيساً إلا بمرؤس وهي بمرتبة^(٢) الشرط والجلالوزة والنقباء وإن يوجد فيه^(٣) أعضاء كالرعية وهي قسمان : ماله اتصال بالرؤساء وإن لم يكن أيضاً^(٤) له اتصال خدمة وما لا اتصال له بهم بل هو مستقل بنفسه فالأعضاء إذا بهذا التقسيم أربعة :

أحدها : الأعضاء الرئيسية المخدومة .

الثاني : الأعضاء المرؤسة الخادمة .

الثالث : الأعضاء المرؤسة بلا خدمة .

الرابع : الأعضاء التي ليست رئيسة ولا مرؤسة .



(١) في المطبوع : (بمصالحها) .

(٢) في (م) و (ق) : (منزلة) .

(٣) في المطبوع : (فيها) .

(٤) سقط من غير الأصل .

فصل

والأعضاء الرئسية إنما استحققت الرئاسة لشرفها إذا كانت هي الأصول والمعادن والمبادئ للقبوى الأولىة فف البدن المضطر إليها فف بقاء الشخص والنوع وهي بحسب بقاء الشخص ثلاثة : القلب ، والكبد ، والدماغ . وبحسب بقاء النوع أربعة الثلاثة المذكورة والأنثيان .

فأما^(١) القلب فهو العضو الذي جعله الخلاق العليم قائماً بأمر البدن كقيام الملك أمر الرعية^(٢) وهو أول عضو يتحرك فف البدن وآخر عضو يسكن منه وهو مبدأ جميع القبوى^(٣) وما يلحقه من صلاح أو فساد يتأدى منه إلى غيره من الأعضاء وأما الكبد فهو العضو الذي يقوم بحفظ^(٤) الحياة إذا كانت هي التي تملأ الأعضاء بالغذاء ليبقى البدن محفوظاً ما أمكن بقاءه ، وأما الدماغ فهو العضو القائم بأمر الحس والإدراك وتكميل الحياة إذ فيه آلات الإحساس التي بها يعرف النافع من الضار والملائم من المنافر وبواسطته^(٥) صارت الحياة نافعة صالحة متجاوزة لزينة حياة النبات وأما الأنثيان فهما اللذان يقومان بحفظ / بقاء النوع .

[١٣٩/١]



(١) (وأما) : فف غير الأصل .

(٢) (بالرعية) : فف المطبوع .

(٣) فف غير الأصل : (الخلق) .

(٤) فف غير الأصل : (لحفظ) .

(٥) فف غير الأصل : (وبه) .

﴿ فصل ﴾ { الأعضاء الخادمة }

وأما الأعضاء الخادمة فالرئة والشرابين الحاملة المؤدية من القلب الحرارة الغريزية والقوى والأرواح الحيوانية التي بها قوام البدن فهذان خادمان للقلب والمعدة ، والأوردة خادمان للكبد والأوردة تنفذ الدم الغاذي والأرواح والقوى الذي^(١) جميع البدن والكبد خادمة للدماغ وكذلك الأعصاب التي بها يحصل الحس والحركة ، والأنثيان يخدمهما الأعضاء المولدة^(٢) للمني والمجاري المؤدية عنهما إلى موضع التوالد .



(١) في غير الأصل : (إلى) وهو الأصح .

(٢) في المطبوع : (المؤدية) .

﴿ فصل ﴾ { الأعضاء المروسة }

وأما الأعضاء المروسة بلا خدمة فهي أعضاء مختصة [بقوى لها طبيعة بهائم تدبيرها وليستقيم أمرها ولا يدفع ذلك من أن] ^(١) يقبض ^(٢) عليها من الأعضاء الرئيسية قوى تمددها بإذن الله كالأذن والعين والأنف فإن كل واحد منها يقوم بأمر نفسه بما فيها من القوى الطبيعية التي اعطاها إياها الخالق سبحانه ولا يتم ذلك لها إلا بأن تأتيها قوة حساسة تنزل عليها من الدماغ بإذن الرب ^(٣) تعالى .



(١) زيادة من غير الأصل .

(٢) في (ق) : (ينقبض) .

(٣) في المطبوع : (الله) .

﴿ فصل ٥ ﴾

{ أعضاء ليست برئيسة ولا مرؤوسة }

وأما الأعضاء التي ليست برئيسة ولا مرؤوسة فهي التي اختصت بقوى غريزية فيها من أصل الخلقة في أول التكوين ليتم بها قوام أمرها وتديرها في اجتلاب^(١) المنافع ودفع المضار كالعظام والغضاريف وسائر الأعضاء المتشابهة الأجزاء مثل الرباطات والأعصاب والأوتار والشرابين والأوردة والأغشية واللحم والعظام كالأساس والأسطوانات لبناء كل^(٢) البدن فإن قيل هل في العظام قوة الإحساس وحياته أم [لا ؟] ^(٣) قيل هذا موضع اختلف فيه أرباب الشريعة فيما بينهم وأرباب الطبيعة فيما بينهم .

فقال طائفة : لاهياة في العظام وإن كان فيها قوة النمو والاهتداء قالوا : أن الهياة إنما هي الروح الهواني ولا حظ للعظام فيه .

قالوا : ولأن مركب الهياة فيه^(٤) إنما هو الدم المنبث في العروق والأعصاب واللحم ولهذا لم يكن للشعر ولا للظفر نصيب من ذلك ولهذا لم يألم الهوان بأخذه قالوا : فحياة العظام والشعر / [١٤٠ /] حياة نمو واهتداء وحياة أعضاء البدن حياة نمو واحساس .

قالوا : ولهذا قلنا أن العظام لا تنحس بالموت لأنها لم تكن فيها حياة تزول بالموت .

قالوا : وزوال النمو لا يوجب نجاسة ما فارقه بدليل يبس الزرع والشجر .

قال آخرون : الدليل على أن العظام تحل فيها الهياة قوله تعالى : ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿٥﴾ والحس يدل على ذلك أيضا فإن العظم يألم ويضرب ويسكن وذلك نفس إحساسه .

قالوا : ولا يمكن إنكار كون العظام فيها قوة حساسة تحس بالبارد والبار .

قال آخرون^(١) : الإحساس والألم ليس للعظم في نفسه وإنما هو لما جاوره من اللحم .

(١) في (م) و (ق) : (إجلاب) ، وفي المطبوع : (حلب) .

(٢) في غير الأصل : (هيكل) .

(٣) سقط من الأصل .

(٤) سقط من غير الأصل .

(٥) سورة يس الآيتان : (٧٨ - ٧٩) .

قال المنازعون لهم : هذا مكابرة ظاهرة فإن العظم نفسه يألم ولا سيما إذا تصدع ثم أن الأسنان والأضراس تحس بالألم والحر والبارد بأنفسها لا لمجاورها من اللحم .
ولهذا توسطت طائفة ثالثة وقالت عظام الأسنان خاصة لها الإحساس بخلاف سائر العظام .
وهؤلاء قد سلموا المسألة من مكان قريب فإن الذي دل على إحساس الأسنان وحياتها هو الدال على حياة سائر العظام والشبهة التي ذكروها لو صحت لمنعت من إحساس الأسنان .
وأما حديث الطهارة والنجاسة فذاك لأمر آخر وراء الحياة ومن نجسها بالموت سوى بينها وبين اللحم ومن لم ينجسها وهو الراجح في الدليل فذاك لعدم علة التنجيس فيها فإن الموت ليس بعلة النجاسة وإنما هو دليل العلة وسببها والعلة هي احتقان الفضلات في اللحم والعظم برئ من ذلك والدليل على هذا أن الشارع لم يحكم بنجاسة الحيوان التام الذي لا نفس له سائلة لعدم احتقان الفضلات فيه فلئلا يحكم بنجاسة العظم أولى وأخرى فإن الرطوبات التي في الذباب والعقرب / والخفاء أكثر من الرطوبات (التي في العظام^(٢)) فهي أولى بعدم التنجيس من تلك [١٤٠/ب الحيوان . والله أعلم (٣) .



(١) في غير الأصل : (الآخرون) .

(٢) في المطبوع : (العظم) ثم سقط منه ما بعده .

(٣) سقط من (م) و (ق) .

﴿ فصل ﴾ { العظام والمفاصل }

والذي أحصاه المشرحون من العظام في البدن مائتان وثمانية وأربعون عظماً سوى الصغار السمسميات التي أحكم بها مفاصل الأصابع والتي في الحنجرة وقد أخبر النبي ﷺ أن الإنسان خلق من ثلاثمائة وستين مفصلاً^(١) فإن كانت المفاصل هي العظام فقد اعترف جالينوس وغيره بأن في البدن عظماً صغيراً لم تدخل تحت ضبطهم واحصائهم وإن كان المراد بالمفاصل المواضع التي تنفصل بها الأعضاء بعضها من بعض كما قال الجوهري وغيره المفصل واحد مفاصل الأعضاء فتلك أعم من العظام فتأمله وإن السلاميات المذكورة في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر : " يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة " ^(٢) . الحديث

فالسلامي^(٣) العضو وجمعه سلاميات فهنا ثلاثة أمور أعضاء وعظام ومفاصل وجعل الله سبحانه العظام أصلب شئ في البدن لتكون أساساً وعمدة في البدن إذا كانت الأعضاء كلها موضوعة على العظام حتى القلب .

كما سيأتي في بيانه إن شاء الله تعالى ، وهي حاملة للأعضاء والحامل أقوى من المحمول وليكون وقاية وجنة أيضاً كالقحف فإنه وقاية الدماغ ، وعظام الصدر وقاية له وجعل^(٤) العظام كثيرة الفوائد ومنافع عديدة .

(١) كما أخرج ذلك مسلم في صحيحه في () كتاب الزكاة ، () باب بين أن الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ،

ح (٥٤) من حديث عائشة رضي الله عنها وفيه (خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل . .) الحديث .

(٢) أخرجه مسلم في (٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، (١٣) باب استحباب صلاة الضحى . . والحث على المحافظة عليها

ح (٧٢٠) من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه .

(٣) السلامي : قال النووي : أصله عظام الأصابع وسائر الكف ، ثم استعمل في جميع عظام البدن ومفاصله .

(٤) في غير الأصل : (وجعلت) .

منها : الحركة فإن الإنسان قد يحتاج إلى حركة بعض أجزائه دون بعض وقد يحتاج إلى حركة جزء من عضو .

ومنها : أنه لو كان على عظم واحد لكان إذا أراد أن يتحرك تحرك بجملة .

ومنها أنه كان يتعذر عليه الصنایع والحل والربط .

ومنها : أنه كان^(١) إذا أصابته آفة عمت جميع البدن / فجعلت العظام كثيرة ليكون متى [أ/١٤١]

نال^(٣) بعضها آفة لم تسر إلى غيره وقام غيره من العظام مقامه في تحصيل تلك المنفعة .

ومنها : تعذر المنافع ، التي تحصل بسبب تعدد العظام ولولا كثرتها وتعددتها لفاتت تلك

المنافع .

ومنها : أن من العظام ما^(٤) يحتاج البدن إلى كبيره ومنها ما يحتاج إلى صغيره ومنها ما

يحتاج إلى مستطيله ومنها ما يحتاج إلى (مستديرة ومنها ما يحتاج إلى عريضة ومنها ما يحتاج إلى)

^(٥) مصمته ومنها ما يحتاج إلى مجوفه ومنها ما يحتاج إلى منحنية ومنها ما يحتاج إلى مستقيمة ولا

يحصل ذلك إلا بتعدد العظام .

ومنها بديع الصنعة^(٦) وحسن التأليف والتركيب وغير ذلك من الفوائد .

ثم شد الخالق سبحانه بعضها إلى بعض بالرباطات والأسر المحكم ثم كساها لحماً حفظاً لها

ووقاية ثم كسى اللحم جلدًا صونا^(٧) له ولما كانت الفضلات تنقسم إلى لطيفة وغلظة جعل

سبحانه^(٨) للغلظة منها مجاري تنجذب فيها إلى أسفل ويخرج منها خروجاً ظاهراً للحس وأما

اللطيفة فهي الفضلات البخارية فإن من شأنها أن تصعد إلى فوق وتخرج من^(٩) البدن بالتحليل

(١) سقط من غير الأصل .

(٢) في غير الأصل : (أصابه) .

(٣) في (م) و (ق) : (نالت) .

(٤) في (م) و (ق) : (من) .

(٥) سقط من غير الأصل .

(٦) في المطبوع : (الصنع) .

(٧) في الأصل : (صواناً) .

(٨) في غير الأصل : (جعل الله سبحانه) .

(٩) في غير الأصل : (عن) .

بأن^(١) جعل في العظام العليا مافذ يتحلل منها البخار المتصاعد ولم^(٢) تكن تلك المنافذ محسوسة لئلا يضعف صوان الدماغ ، وهو القحف بوصول الأجسام المؤذية إليه فجعل الدماغ مركباً^(٣) عن عظام كثيرة ووصل بعضها ببعض بوصل يقال لها الشؤون ومنه قولهم : فلان لم تجمع شؤون رأسه ويشتمل الرأس بجملة اجزائه على تسعة وخمسين عظماً وجعل القحف مستديراً تاماً^(٤) في مقدمه ومؤخره وجانبيه بمترلة غطاء القدر وعظامه ستة وهي عظم النافوخ وعظم الجبهة وعظم / مؤخر الرأس والعظامان اللذان فيهما ثقباً^(٥) السمع وفي كل واحد من الصدغين عظامان مصمتان وعظام اللحي الأعلى أربعة عشر عظماً ستة منها في محاجر العينين واثنان للأنف واثنان تحت الأنف وهما المثقوبان إلى الفم واثنان في الوجنتين واثنان تحت الشفة العليا وأما العظم الشبيهة بالوتد فهو واحد وهو كالقاعدة للرأس وعظام اللحي الأسفل اثنان وهما متصلان في وسط الذقن ويليهما الأضراس : خمسة من ههنا^(٦) وخمسة من ههنا والنواجذ أول الأضراس [وبينهما بنيان ، ويتصلان من فوق باللحي الأعلى اتصالاً مفصلياً^(٧) . والأسنان اثنان وثلاثون ، في كل لحي ستة عشر : (أربع)^(٨) ثنيات وتليها الرباعيات ، ويليلها النابان^(٩)]^(١٠) وهما ناجذان في كل ناحية ناجذ وربما نقصت النواجذ في بعض الافراد وكان في كل جانب أربعة اضراس وقد سلم الله (سبحانه) غذاء الإنسان إلى يده فتأخذه فيسلمه إلى شفتيه فتسلمه الشفتان^(١١) إلى الأنياب والثنايا فتفصله ثم تسلمه إلى الأضراس فتطحنه^(١٢) ثم تسلمه إلى اللسان والفم فيعجنه ثم يسلمه إلى الحلقوم والمرئ

(١) سقط من غير الأصل .

(٢) في غير الأصل : (فلم) .

(٣) مركبة : في المطبوع .

(٤) في الأصل : (نابناً) هكذا رسمت .

(٥) في (م) و (ق) : (ثقباً) ، وفي المطبوع : (ثقباً) .

(٦) في المطبوع : (هنا) .

(٧) في (ق) : (منفصلاً) .

(٨) (أربع) : سقط من (م) و (ق) .

(٩) في (ق) : (النابات) .

(١٠) سقط من الأصل .

(١١) في (م) و (ق) : (منها متسلمة إلى أنياب) .

(١٢) في (م) و (ق) والمطبع : (فتسلمه وتطحنه) .



فيتسلمه^(١) ويوصله إلى المعدة فتطبخه وتنضجه وتصلحه كما ينبغي ثم تسلمه إلى الكبد فيتسلمه منها ثم يرسل به^(٢) منه إلى كل^(٣) عضو راتبه ومعلومه ثم يصب قربه الصفراء في المرارة والسوداء في الطحال والثفل^(٤) يخرجها عنها كما تقدم بيانه .



(١) في المطبوع : (فيسلمه) .

(٢) في المطبوع : (منه) .

(٣) سقط من (م) و (ق) .

(٤) في المطبوع : (الثفل) بدون واو .

﴿ فصل ﴾ { الرأس وأجزاؤه }

والرأس يقال بالعموم على ما يقله العنق بجملته ويقال بالخصوص على الفروة وهي جلدة الرأس حيث منبت الشعر ، والجمجمة : العظم الذي يحوي الدماغ وهي مؤلفة من سبع قطع متقابلة تسمى القبائل وتسمى مواضع التآليف شؤونا ووسط الجمجمة يسمى الهامة وحد الهامة من الجانبين قرني^(١) الرأس وحدا الهامة من المقدم اليافوخ ومن المؤخر (القمحدودة)^(٢) وهي ما تصيب الأرض من رأس المستلقي على ظهره ولها ثلاث حدود نقرة (القفا) والقذالان فنقرة / [١٤٢] (القفا)^(٣) حدها من آخر الوسط والقذالان جانبا النقرة وقد تقدم تفصيل القبائل السبع ويستظهر^(٤) الجمجمة (غشاء)^(٥) يحيط بها (تسمى)^(٦) السمحاق (ويستسطها)^(٧) غشاوة^(٨) أحدهما تلي الجمجمة وهو أثخنهما وأصلبهما والآخر يكتنف^(٩) الدماغ ويحيط به ويخالطه ويقال لكل منهما أم الدماغ ويسميان الأمان ومنه الأمة والمأمومة التي فيها ثلث الدية وهي الجراحة التي تبلغ أم الدماغ ويقال لها تجويف في^(١٠) الدماغ بطن وهي ثلاث بطون وبين بطني الدماغ اللذين في مؤخره ووسطه مجرى وفيه قطعة (قطعة)^(١١) من الدماغ مستطيلة شبيهة بالدودة (ينسد)^(١٢) ذلك المجرى وينفتح بها وتحت الدماغ شبلة^(١٣) مبسوطة مؤلفة من عروق

(١) في المطبوع : (قرن) .

(٢) في الأصل : (القمحدودة) .

(٣) في (م) و (ق) : (القفار) .

(٤) في (م) و (ق) : (وستظهر) .

(٥) في غير الأصل (عما) .

(٦) سقط من المطبوع .

(٧) هكذا رسمت في الأصل و (م) ، وفي (ق) : (وسطها) وفي المطبوع : (وسطها) ولعلها — والله أعلم — (ويسوسطها)

(٨) في المطبوع : (غشاوتان) ولعله هو الصحيح .

(٩) في غير الأصل والمطبوع : (يكشف) .

(١٠) سقط من المطبوع .

(١١) تكررت لفظة (قطعة) في الأصل فقط .

(١٢) في الأصل : (ينسل) .

(١٣) في غير الأصل : (سبلة) .

ضوارب يتولد فيها ^(١) روح نفساني ومنها ^(٢) ينفذ إلى البطنين اللذين في مقدم الدماغ وفي الدماغ البركة والحوص والقمع والدودة والبطون والأغشية ومبادئ الأعصاب .

ويحتوي الدماغ على ثلاث خزائن نافذة بعضها إلى بعض وتسمى بطونا فالأولى : في مقدمه وينقسم إلى بطين والثانية في [وسطه ، والثالثة في] ^(٣) مؤخره وجوهر الدماغ في متزرد الشكل كأنه زرد مجموع والروح النفساني مثبت في خلل الزرد والدماغ مقسوم في طوله بنصفين ^(٤) متضامين والتنصيف في مقدمة ^(٥) أظهر والغشاءان يدخلان في فصول الدماغ وتزريده والصلب منهما يدخل بطونا بين جزئي البطن المقدم فيحجز بينهما وتحتة عصا كالبركة تسمى العصرة تصب في العروق من الدم المنطبخ وتنبعث في جداول تسقي البطن المقدم وتجتمع إلى

عرقين كبيرين يحملان الدم إلى البطن الأوسط والمؤخر والبطن الأوسط / كدهليز [١٤٢/أ] ومنفذين ^(٦) المقدم والمؤخر وسقفه معقود كالأزج والدماغ موضوع طولاً على زائد بين الفخذين متقاربين ^(٧) فيها فيمتازان ويتباعدان ^(٨) إلى الانفراج فيفتح ^(٩) الدهليز ويتراءى البطنان ^(١٠) المقدم والمؤخر والجزء المؤخر أخفى تدويراً ^(١١) من المقدم وأصغر زرداً وهو كروي إلى ^(١٢) الاستطالة ويستدق على التدرج حتى يسيل منه النخاع كالجدول ^(١٣) من العين وفي الدماغ جدولان ^(١٤) مجريان أحدهما في آخر المقدم والآخر ^(١٥) في الأوسط لدفع فضوله ويجتمعان عند منفذ واحد عميق

(١) في المطبوع : (منها) .

(٢) سقط من المطبوع .

(٣) سقط من الأصل .

(٤) في غير الأصل : (لنصفين) .

(٥) في غير الأصل : (مقدم) وفي المطبوع : زيادة (الدماغ) .

(٦) في غير الأصل : (ومنفذ بين) .

(٧) في المطبوع : (على زائدين متقاربين فيتماسان) .

(٨) هكذا أمكن قراءتها في الأصل ، وفي غيره : (فيتماسان ويتباعدان) .

(٩) في المطبوع : (فيفتح) .

(١٠) في الأصل : (البطن) .

(١١) في غير المطبوع : (تزويداً) .

(١٢) سقط من غير الأصل .

(١٣) في (م) و (ق) : (كالجدول) .

(١٤) سقط من غير الأصل .

(١٥) في غير الأصل : (والمؤخر) .

أوله^(١) في الغشاء الرقيق والآخر في الغشاء الصلب ويأخذ إلى مضيق^(٢) كالقمع ولما كان الدماغ مبدأ حركات البدن إلى ارادته لم^(٣) يكن به حاجة إلى الحركة القوية فحوط^(٤) عليه بسور من عظام بخلاف المعدة والكبد والرحم وسائر آلات الغذاء فإنها لما احتاجت أن تتسع وتمتلىء بالغذاء والحمل^(٥) مرة بعد أخرى وأن تعصر^(٦) الفضول فتخرجها والعظم يمنع من ذلك ويكفي فيه الفصل^(٧) وحده فأحيط عليه بسور من عضل^(٨) وأما الصدر فإنه لما احتاج إلى الوقاية^(٩) بالعظام وإلى الحركة بالعضل^(١٠) ألف الصدر منهما وكان البطن أوسع من الصدر لما يحويه^(١١) من آلات الغذاء والتنفس والطحال والمرىء وغيرها .



-
- (١) في المطبوع : (أولهما) .
 (٢) في (م) و (ق) والمطبوع : (ضيق) .
 (٣) في المطبوع : (ولم) .
 (٤) في (م) و (ق) : (محوط) .
 (٥) في المطبوع : (فتحمل) .
 (٦) في (م) و (ق) : (تقصر) .
 (٧) في (م) و (ق) : (العضل) .
 (٨) في (م) و (ق) : (عقل) ، وفي المطبوع : (عظم) .
 (٩) في (م) و (ق) والمطبوع : (الوثاقة) .
 (١٠) في (م) و (ق) والمطبوع : (بالفصل) .
 (١١) في (م) و (ق) : (يحق به) وفي المطبوع (يحل بها) .

﴿ فصل ﴾

[]

فاستقبل الآن النظر في نفسك (من رأس)^(١) وانظر إلى المبدأ الأول وهو النطفة التي هي قطرة مهينة ضعيفة لو تركت ساعة لبطلت وفسدت كيف أخرجها رب الأرباب من بين الصلب والترائب وكيف اوقع المحبة والألف بين الذكر والأنثى^(٢) ثم قادهما بسلسلة المحبة والشهوة إلى الاجتماع ثم استخرج^(٣) النطفة من الذكر بحركة الوقاع من أعماق العروق وجمعها في الرحم في قرار / مكين لا تناله يد ولا تطلع عليه شمس ولا يصيبه [هواء]^(٤) ثم صرف تلك النطفة طوراً [١٤٣/١] بعد طور ، طبقاً^(٥) بعد طبق وغذاها بماء الحيض وكيف جعل سبحانه النطفة وهي بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم جعلها مضغة ثم قسم أجزاء المضغة إلى العظام والأعصاب والعروق والأوتار واللحم في داخل الرحم في الظلمات الثلاث ولو كشف الغطاء^(٦) لرأيت التخطيط والتصوير يظهر في^(٧) النطفة شيئاً بعد شيء من غير أن ترى المصور ولا آله ولا قلمه فهل رأيت مصوراً لا تمس^(٨) آله (الصورة)^(٩) ولا يلاقيها ثم تأمل هذه القبة العظيمة التي قد ركبت على المنكبين وما أودع فيها من العجائب وما ركب فيها من الخزائن وما أودع في تلك الخزائن من المنافع وما اشتملت عليه هذه القبة من العظام المختلفة الأشكال والصفات والمنافع ومن^(١٠) الرطوبات والأعصاب والطرق والمجاري والدماغ والمنافذ والقوى الباطنة من الذكر والفكر والتخيل وقوة

(١) سقط من المطبوع .

(٢) في المطبوع : (والألفة بين الذكور والإناث) .

(٣) في (ق) : (أخرج) .

(٤) في الأصل : (هولا) .

(٥) في المطبوع : (وطبقاً) .

(٦) في (م) والمطبوع : (ولو كشف لك الغطاء) ، وفي (ق) (ذلك الغطاء) .

(٧) في المطبوع : زيادة (تلك) .

(٨) في المطبوع : (لائحس) .

(٩) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(١٠) في (ق) : (من) .



الحفظ ففيه القوة المفكرة^(١) والمذكرة^(٢) والمخيلة والمحافظة^(٣) وهذه القوى مودعة في خزائن هذه القبة^(٤) مسخرة لمصالحها^(٥) يستعملها ويستخدمها كيف أراد .

فتأمل كيف دور سبحانه الرأس وشق سمعه وبصره وأنفه وفمه وكيف ركب كرية^(٦) في بطن الأم من ثلاثة وعشرين عظماً وخلق تلك العظام على كيفيات مختلفة وتأمل كيف انقلبت تلك النطفة اللينة الضعيفة إلى العظام الصلبة الشديدة ثم تأمل كيف قدر سبحانه كل واحد من تلك العظام بشكل مخصوص لو وضع بخلاف ذلك لبطلت المنفعة وفات الغرض^(٧) ثم ركب بعضها من بعض بحيث حصل من مجموعها كرة الرأس على هذه الحلقة المخصوصة ولما كان الرأس

أشرف الأعضاء / الإنسانية وأجمعها للقوى والمنافع والآلات والخزائن أقتضت العناية الإلهية [١٤٣/ب] أن^(٨) صين بأنواع من الصيانات^(٩) وكذلك أن الدماغ يحيط به غشاء رقيق وفوق ذلك الغشاء غشاء آخر يقال له السمحاق ثم فوق ذلك الغشاء طبقة لحمية وفوق تلك الطبقة اللحمية الجلد- ثم فوق الجلد الشعر فخلق سبحانه فوق دماغك سبع طبقات كما خلق فوق الأرض سبع سماوات طباقاً والمقصود من تخليقها الإحفاض^(١٠) في صون الدماغ من الآفات والدماغ من الرأس بمثلة القلب من البدن وهو سبحانه قسمه في طوله ثلاثة أقسام وجعل القسم المقدم محل الحفظ والتخيل والبطن الأوسط محل التأمل والتفكير والبطن الأخير محل التذكر والاسترجاع لما كان قد نسيه ولكل واحد من هذه الأمور الثلاثة أمر مهم للإنسان لا بد له منه وأنه محتاج إلى التفهم والتفهيم ولو لم يكن حافظاً المعاني المتصورات^(١١) وصورها بعد غيبتها لكان إذا سمع كلمة وفهمها شدت عنه عند مجيء

(١) في (ق) : (والمفكرة) .

(٢) في (م) و (ق) : (المطبوع : (والمحافظة) .

(٣) في (م) و (ق) : (المطبوع : (والذاكرة) .

(٤) في (م) و (ق) : (المطبوع : (في خزائنها مسخرة) .

(٥) في (م) و (ق) : (: (لمصالحه) .

(٦) في المطبوع : (كرتة) .

(٧) في (م) و (ق) : (بشكل مخصوص بحيث حصل من مجموعها لبطلت المنفعة) وفي المطبوع : (بحيث حصل من مجموعها ما لو كان خلافه لبطلت) .

(٨) في المطبوع : (بأن) .

(٩) في (م) و (ق) : (: (المصنات) .

(١٠) في (م) و (ق) : (: (الإحافظ) ، وفي المطبوع : (الاحتياط) .

(١١) في (م) و (ق) : (المطبوع : (حافظاً لمعاني التصورات) .

الأخرى فلم يحصل المقصود من التفهم^(١) والإفهام وجعل له ربه سبحانه^(٢) خزانة تحفظ له صور المعلومات حتى يجتمع له وتسمى القوة التي فيها القوة الحافظة ولا تتم مصلحة الإنسان إلا بهما^(٣) فإنه إذا رأى شيئاً ثم غاب عنه ثم رآه مرة أخرى عرف أن هذا الذي رآه الآن هو الذي رآه قبل ذلك لأنه في المرة الأولى ثبتت صورته في الحفظ ثم توارى عنه بالحجاب فلما رآه مرة ثانية صارت هذه الصورة المحسوسة ثانياً مطابقة للصورة المعنوية التي في الذهن فحصل الجزم بأن هذا ذاك ولولا القوة الحافظة لما حصل ذلك ولما عرف أحد أحداً بعد غيبته عنه ولذلك إذا طالت الغيبة جداً وانمحت تلك الصورة الأولى من الذهن بالكلية لم يحصل / له العلم بأن هذا هو الذي رآه أولاً إلا بعد تفكر وتأمل وقد قال قوم أن محل هذه الصور النفس وقال قوم محلها القلب وقال قوم محلها العقل ولكل فريق منهم حجج وأدلة وكل منهم أدرك شيئاً وغابت عنه أشياء^(٤) إذ الإدراك المذكور مفتقر إلى مجموع ذلك لا يتم إلا به والتحقيق أن منشأ ذلك ومبدأه من القلب ونهايته ومستقره في الرأس وهي المسألة التي اختلف فيها الفقهاء هل العقل في القلب أو الدماغ على قولين حكياً روايتين عن الإمام أحمد والتحقيق أن أصله ومادته من القلب وينتهي إلى الدماغ قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾^(٥) فجعل العقل بالقلب^(٦) كما جعل السمع بالأذن والبصر بالعين وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)^(٧) قال غير واحد من السلف : لمن كان له عقل ، واحتج الآخرون^(٨) بأن الرجل يضرب في رأسه فيزول عقله ولولا أن العقل في الرأس لما زال فإن السمع والبصر لا يزولان بضرب اليد ولا الرجل^(٩) ولا غيرهما من الأعضاء لعدم تعلقهما

(١) في (م) و (ق) والمطبوع : (من الفهم) .

(٢) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (وفاطره) .

(٣) في (م) و (ق) : (بهما) .

(٤) في (م) و (ق) والمطبوع : (وغاب عنه شيء) .

(٥) سورة الحج الآية (٤٦) .

(٦) في (م) و (ق) والمطبوع : (في القلب) .

(٧) ما بين القوسين سقط من غير الأصل . سورة ق الآية (٣٧) .

(٨) في المطبوع : آخرون .

(٩) في المطبوع : (أو الرجل) .

بها^(١) وأجاب أرباب القلب عن هذا [بأنه]^(٢) لا يمتنع زواله بفساد الدماغ وإن كان في القلب لما بين القلب والرأس من الارتباط وهذا كما يمتنع شعر اللحية بقطع الأنثيين ففساد القوة بفساد العضو قد يكون لأنه محلها وارتباطه بها^(٣) والله أعلم .

وعلى كل تقدير فذلك من أعظم آيات الله وأدلتها وقدرته وحكمته كيف قد رسم^(٤) صورة [١٤٤/ب السماوات والأرض والبحار والشمس والقمر والأقاليم والممالك والأمم في هذا المحل الصغير والإنسان / يحفظ كتباً كثيرة جداً وعلوماً شتى متعددة وصناعات مختلفة فترسم كلها في هذا الجزء الصغير من غير أن تختلط بعض هذه الصورة^(٥) ببعض بل كل صورة منهن بنفسها محصلة في هذا المحل وأنت لو ذهبت تنقش صوراً وأشكالاً كثيرة في محل صغير لاختلط^(٦) ببعض وطمس بعضها بعضاً وهذا الجزء الصغير تنتقش فيه الصور الكثيرة المختلفة والمتطابقة^(٧) ولا تبطل منها صورة (صورة)^(٨) ومن أعجب الأشياء أن هذه القوة العاقلة تقبل ما تؤديه إليها الحواس فتجتمع فيها ثم تفيد^(٩) كل حاسة فيها فائدة الحاسة الأخرى مثاله أنك ترى الشخص فتعلم أنه فلان وتسمع صوته فتعلم أنه هو وتلمس الشيء فتعرفه وتشمه فتعرف أنه هو ثم تستدل بما تسمعه من صوته على أنه هو الذي رأيته فيغنيك سماع صوته على رؤيته ويقوم لك كل مقام مشاهدته ولهذا جوز أكثر الفقهاء شهادة الأعمى وبيعه وشرائه وأجمعوا على جواز وطئه امرأته وهو لما يراها قط اعتماداً منه على الصوت بل لو كانت خرساء أيضاً وهو أطرش جاز له الوطء وقد جعل الله سبحانه بين السمع والبصر والفؤاد علاقة وارتباطاً ونفوذاً يقوم به بعضها مقام بعض ولهذا يقرن سبحانه بينهما

(١) في المطبوع : (بها) .

(٢) زيادة من غير الأصل .

(٣) في (م) و (ق) : (به) .

(٤) في (م) و (ق) والمطبوع : (ترسم) .

(٥) في (م) و (ق) والمطبوع : (الصور) .

(٦) في (م) و (ق) والمطبوع : (لاختلط بعضها ببعض) .

(٧) في (م) و (ق) : (المضادة) ، وفي المطبوع : (المتضادة) .

(٨) سقط من (م) و (ق) .

(٩) هكذا في الأصل و (ق) وفي (م) والمطبوع : (تعيد) .

كثيراً في كتابه كقوله : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٣٦) (١) وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً ﴾ (٢) وقوله : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ (٣) وهذا من عناية الخالق سبحانه بكمال هذه الصورة البشرية ليقوم كل حاسة منها مقام الحاسة الأخرى وتفيد فائدتها في الجملة لا في كل شئ ثم أودع سبحانه قوة التفكير (فيه) (٤) وأمره باستعمالها / فيما يجدي عليه النفع في الدنيا والآخرة فركب القوة المفكرة (٥) شيئين من الأشياء الحاضرة عند القوة الحافظة تركيباً خاصاً فيتولد من بين ذينك (٦) الشيئين شئ ثالث جديد لم يكن للعقل شعور به وكانت مواده عنده لكن بسبب التركيب حصل له الأمر الثالث ومن ههنا حصل استخراج الصنائع والحرف والعلوم وبناء المدن والمساكن وأمور الزراعة (٧) والفلاحة وغير ذلك فلما استخرجت القوة المفكرة ذلك واستحسنته سلمته إلى القوة الإرادية العلمية فنقلته من ديوان الأذهان إلى ديوان الأعيان فكان أمراً ذهنياً فصار وجوداً (٨) خارجياً .

ولولا الفكر (٩) لما اهتدى الإنسان إلى تحصيل المصالح ودفع المفاسد وذلك من أعظم النعم ، وتام العناية الإلهية ولهذا لما فقد البهائم والمجانين ونحوهم هذه القوة لم يتمكنوا مما تمكن منه أرباب الفكر ولما كان استخراج المطلوب بهذه الطريق يتضمن تفكيراً وتقديراً (١٠) فيفكر في استخراج المادة أولاً ثم يقدرها ويفصلها ثانياً كما يصنع الخياط يحصل على الثوب ثم يقدره ويفصله ثانياً : قال تعالى عن الوحيد : ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ﴾ (١١) فكرر سبحانه التقدير [١/١٤٥]

(١) سورة الإسراء الآية (٣٦) .

(٢) سورة الأحقاف الآية (٢٦) .

(٣) سورة الأعراف الآية (١٧٩) .

(٤) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(٥) في المطبوع : زيادة (من) قبل (شيئين) .

(٦) في المطبوع : (هذين) .

(٧) في (م) و (ق) : (المزارعة) .

(٨) في (م) و (ق) والمطبوع : (وجودياً) .

(٩) في (م) و (ق) والمطبوع : (الفكرة) .

(١٠) في المطبوع : (فكراً وتقديراً) .

(١١) بياض بالأصل وفي (م) و (ق) : (إنه فكر) مباشرة ، وفي المطبوع ذكر الآيات من قوله : (ذري ومن خلقت وحيداً) .

دون التفكير وذمه عليه دونه وهذا مزل على مقتضى الحال^(١) سواء فإنه بالفكر طالب لاستخراج المجهول وذلك غير مذموم فلما استخرجه قدر له تقديرين تقديراً كلياً (وتقديراً)^(٢) جزئياً فالتقدير الكلي أن الساحر هو الذي يفرق بين المرء وزوجه والتقدير الجزئي (أن هذا الساحر هو)^(٣) الذي يفرق بين المرء وزوجه^(٤) فهنا تقدير بعد تقدير فلهذا كرره سبحانه وذمه عليه بخلاف التفكير^(٥) فإن الفكر طالب لمعرفة الشيء فلا يذم بخلاف من قدر بعد تفكيره ما يوصله إلى تحقيق الباطل وإبطال الحق فتأمل .



(١) سورة المدثر الآيتان (١٨-١٩) .

(٢) في المطبوع : (حال) .

(٣) سقط من (م) و (ق) .

(٤) سقط من غير الأصل .

(٥) في المطبوع : زيادة (مذموم) .

(٦) في (م) و (ق) والمطبوع : (وأما التفكير فإن الفكر) .

﴿ فصل ﴾

ثم انزل إلى / العينين ^(١) وتأمل عجائبها وشكلها وخلقها وإبداع النور الباصر فيها [١٤٥/ب
وتركيبتها من عشر طبقات وثلاث رطوبات ولكل واحد من هذه الطبقات والرطوبات شكل
مخصوص ومقدار ^(٢) مخصوص لولم يكن عليه لا اختلت المصلحة المقصودة ^(٣) وجعل سبحانه موضع
الإبصار في قدر العدسة ثم أظهر في تلك العدسة قدر السماء والأرض والجبال والبحار والشمس
والقمر فكيف ^(٤) اتسعت .

تلك العدسة أن يرسم ^(٥) فيها ما لا نسبة لها إليه البتة وجعل تلك القوة الباصرة في جزء
أسود فتأمل كيف قام هذا النور الباهر بهذا الجزء الأسود وجعل سبحانه الحدقة مصونة بالأجفان
لتسترها وتحفظها وتصلقها وتدفع الأقدار عنها وجعل شعر الأجفان أسود . ليكون سواده سبباً
لاجتماع النور الذي به الإبصار ويكون مانعاً من تفرقه ويكون أبلغ في الحسن والجمال وخلق
سبحانه لتحريك ^(٦) الحدقة أربعة وعشرين عضلة لو نقصت واحدة منهن لأخل ^(٧) أمر العين ولما
كانت العين شبهة ^(٨) بالمرآة التي إنما ينتفع بها إذا كانت في غاية الصقالة والصفاء وجعل سبحانه
الأجفان متحركة إلى الانطباق والانفتاح ^(٩) أبداً باختيار الإنسان وغير اختيار ^(١٠) لتبقى الحدقة نقية

(١) في غير الأصل : (العين) .

(٢) في الأصل : (ومقدر) .

(٣) في الأصل : (لأخل المصلح المقصود) ، وفي (م) (لأخل المصلحة المقصودة) .

(٤) في المطبوع : (فانظر كيف) .

(٥) في المطبوع : (يرتسم) .

(٦) في (م) و (ق) والمطبوع : (لتحرك) .

(٧) في المطبوع : (لاختل) .

(٨) في (م) و (ق) : (شبيهة) وفي المطبوع : (شبيهه) .

(٩) في (م) و (ق) : (متحركة إلى الأطباق أبداً) وفي المطبوع : (متحركة إلى الانتفاخ والانطباق) .

(١٠) في غير الأصل : (اختياره) .

صافية عن جميع الكدورات وجعل العينين بمنزلة المرأتين الصقيلتين اللتين تنطبع فيها^(١) صور الأشياء الخارجية فيتأثر القلب بذلك .

ثم يظهر ما فيه عليهما فيتأثران به فهما مرآة لما في القلب يظهر فيهما ومرآة لما في الخارج تنطبع صورته فيهما فالعينان على القلب كالزجاجتين الموضوعتين في المرآة ولذلك يستدل بأحوال العين على أحوال القلب من رضاه وغضبه وحبه وبغضه ونفرته وقرته^(٢) ومن أعجب الأشياء أن ماء^(٣) العين من ألطف أعضاء البدن وهي لا تتأثر بالحر والبرد كتأثر غيرها من الأعضاء الكثيفة ولو كان الأمر عائداً إلى مجرد الطبيعة لكان ينبغي أن يكون الأمر بالعكس لأن الألفظ أسرع تأثيراً فعلم أن حصول هذه المصالح ليس هو بمجرد الطبع .



(١) في غير الأصل : (فيهما) .

(٢) سقط من غير الأصل .

(٣) سقط من المطبوع .

﴿ فصل ﴾

ثم اعدل إلى الأذنين وتأمل شقهما وخلقهما وإبداع الرطوبة فيها ليكون ذلك عوناً على إدراك السمع وجعل ماءهما مرا^(١) لئلا تمتنع الهوام عن الدخول في الأذن وحفظهما سبحانه بصدفين يجمعان الصوت ويؤديانه إلى الصماخ وجعل في الصدفتين تعوجات لتطول المسافة فتتكسر حدة الصوت ولا تلج الهوام دفعة بل تكثر حركاتها فينتبه لها فيخرجها وجعل العينين مقدمتين والأذنين مؤخرتين لأن العينين بمنزلة الطليعة والكاشف والرائد الذي يتقدم القوم يكشف لهم بمنزلة السراج الذي يتقدم القوم يكشف لهم بمنزلة السراج الذي يضئ للسائق ما أمامه وأما الأذنان فيدركان المعاني الغائبة التي ترد على العبد من أمامه وخلفه وعن جانبه فكان جعلهما في الجانبين أعدل الأمور فسبحان من بهرت بحكمته العقول وجعل للعينين غطاءً (ولم يجعل للأذنين غطاءً)^(٢) لأن مدرك الأذن الأصوات ولا بقاء لها فلو جعل عليها غطاءً لزال الصوت فزالت المنفعة المقصودة وأمامدرك العين فأمر ثابت والعين محتاجة إلى غطاء يقيها وحصول الغطاء لا يؤثر في بعض^(٣) الإدراك وقال بعض أهل العلم : عينا الإنسان هاديان وأذناه رسولان إلى قلبه ولسانه ترجمان ويده جناحان ورجلاه بريدان فالقلب ملك فإذا طاب الملك طابت جنوده وإذا خبث خبثت جنوده .



(١) في (م) و (ق) والمطبوع : (وجعلها مرة) .

(٢) سقط من غير الأصل .

(٣) سقط من المطبوع .

﴿ فصل ﴾

ثم انزل إلى الأنف وتأمل شكله وخلقه^(١) وكيف وضعه^(٢) سبحانه في وسط الوجه^(٣) بأحسن شكل وفتح فيه بايين وأودع فيهما حاسة الشم وجعله آلة لاستنشاق / الهواء وإدراك الروائح على [١/١٤٦] اختلافها ، فيستنشق بهما الهواء البارد الطيب . يستغنى بالمنخرين عن فتح الفم أبداً ولولاهما لاحتاج إلى فتح فمه دائماً ، وجعل سبحانه تجويفه واسعاً لينحصر فيه الهواء وينكسر برده قبل الوصول إلى الدماغ فإن الهواء المستنشق ينقسم قسمين :

شطراً منه وهو أكثره ينفذ إلى الرئة .

وشطراً ينفذ إلى الدماغ ولذلك يضر المزكوم استنشاق الهواء البارد .

وجعل في الأنف أيضاً إعانه على تقطيع الحروف وجعل بين المنخرين حاجزاً وذلك أبلغ لحصول المنفعة المقصودة حتى كأنهما اثنا^(٤) بممثلة العينين والأذنين واليدين والرجلين .

وقد يصيب أحد المنخرين آفة فيبقى الآخر سالماً وجعل تجويفه نازلاً إلى أسفل ليكون مصباً للفضلات النازلة من الدماغ وستره بسا^(٥) لئلا تبدو تلك الفضلات في عين الرائي .

وتأمل منفعة النفس الذي لو قطع عن الإنسان لهلك وهو أربعة وعشرون ألف نفس في اليوم واللييلة ، قسط كل ساعة ألف نفس وتأمل كيف يدخل الهواء في المنخرين فيكسر برده هناك . ثم يصل إلى الحلقوم فيعتدل مزاجه (هناك)^(٦) ثم يصل إلى الرئة فيتصفي فيهما^(٧) من الغلظ والكدره ثم يصل إلى القلب أصفى ما كان وأعدل^(٨) فيروح عنه ثم ينفذ منه إلى العروق المتحركة

(١) في (م) و (ق) والمطبوع : (وخلقه) .

(٢) في (م) و (ق) والمطبوع : (رفعه) .

(٣) في (م) و (ق) والمطبوع : (الوجنة) .

(٤) في غير الأصل (أنفان) .

(٥) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (أبدي) .

(٦) سقط من غير الأصل .

(٧) في غير الأصل : (فيها) .

(٨) في المطبوع : (وأعدله) .

ويتقدم إلى أقاصي أطراف البدن ثم إذا سخن جداً وخرج عن حد الانتفاع^(١) عاد عن تلك الأفاصي إلى البدن ثم إلى الرئة ثم إلى الحلقوم ثم إلى المنخرين ثم يخرج ويعود مثله هكذا^(٢) أبداً .
فمجموع ذلك هو النفس الواحد وقد أحصى الرب عدد هذه الأنفاس وجعل مقابل كل نفس منها ما شاء الله من الأحقاب في الجحيم أو النعيم فما أسفه من أضاع ما هذا قيمته في غير شيء .



(١) في المطبوع : زيادة (به) .

(٢) في المطبوع : (وهكذا) .

﴿ فصل ﴾

وهو سبحانه جعل القلب أمير البدن ومعدنا للحرارة الغريزية فإذا استنشق الهواء البارد وصل إلى القلب واعتدلت حرارته فيبقى هناك مدة فسخن واحتد^(١)، واحتاج إلى إخراجهِ ودفعه معه^(٢). فلم يضيع أحكم الحاكمين ذلك النفس ويخرجه بغير فائدة بل جعل إخراجهِ سبباً لحدوث الصوت .

ثم جعل سبحانه^(٣) الحنجرة واللسان والحنك (آلات وأسباباً مختلفة الأشكال)^(٤) باختلافهما يكون الصوت^(٥) فيحدث الحرف ثم ألهم الإنسان أن ركب^(٦) ذلك الحرف إلى مثله ونظيره فتحدث الكلمة ثم ألهمه تركيب تلك الكلمة إلى مثلها فيحدث الكلام . فتأمل هذه الحكمة^(٧) الباهرة في إيصال النفس إلى القلب لحفظ حياته ثم عند الحاجة إلى إخراجهِ والاستغناء عنه جعله سبباً لهذه المنفعة العظيمة فتبارك الله أحسن الخالقين .

وخلق سبحانه هذه المقاطع والحناجر مختلفة الأشكال ، (والضيق^(٨) والسعة والخشونة والملاسة لتختلف الأصوات باختلافها)^(٩) فكما لا تتشابه صورتان من كل وجه فلا يتشابه صوتان بل كما يحصل الامتياز بين الأشخاص بالقوة الباصرة فكذلك يحصل بالقوة السامعة فيحصل الامتياز للأعمى والبصير .



(١) في (م) و (ق) : (فسخن وأحرق) ، وفي المطبوع : (فلما سخن واحترق) .

(٢) في المطبوع : (ودفعه منه) .

(٣) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (في) .

(٤) سقط من غير الأصل .

(٥) في (م) و (ق) : (باختلافها الصوت) وفي المطبوع : (باختلافها الصوت) .

(٦) في المطبوع : (يركب) .

(٧) في غير الأصل : (الحكم) .

(٨) في (م) و (ق) : (في) .

(٩) سقط من المطبوع .

﴿ فصل ﴾ { الصدر وما يحويه }

ثم انزل إلى الصدر : ترى معدن العلم والحلم والوقار والسكينة والبر وأضدادها فتجد صدور العلماء^(١) تغلي^(٢) بالبر والخير والعلم والإحسان وصدور السفلة تغلي بالفجور والشر^(٣) والاساءة والحسد والمكر .

ثم انفذ من ساحة الصدر إلى مشاهدة القلب : تجد ملكاً عظيماً جالساً على سرير مملكته يأمر وينهى ويولي ويعزل وقد حف بالأمرء والوزراء والجند وكلهم^(٤) في خدمته أن استقام استقاموا وإن زاغ زاغوا فإن صح صحوا وإن فسد فسدوا فعليه المعول وهو محل نظر الرب تعالى ومحل معرفته ومحبه وخشيته والتوكل عليه والانابة إليه والرضا به . وعنه والعبودية عليه أولاً وعلى رعيته وجنده تبعاً .

فأشرف ما في الإنسان قلبه فهو العالم بالله العامل له الساعي إليه المحب له فهو محل الايمان والعرفان وهو المخاطب المبعوث إليه المرسل المخصوص بأشرف العطايا وهو الإيمان والعقل . وإنما الجوارح أتباع وتبع للقلب يستخدمها استخدام الملوك للعبيد والراعي للرعية والذي يسري إلى الجوارح من الطاعات والمعاصي إنما هي آثاره فإن أظلم أظلمت وإن استنار استنارت ومع هذا فهو بين اصبعين من أصابع الرحمن عز وجل .

فسبحان مقلب القلوب ومودعها ما يشاء من أسرار الغيوب الذي يحول بين المرء وقلبه ويعلم ما ينطوي عليه من طاعته وذنبه^(٥) مصرف القلوب كيف أراد وحيث أراد أوحى إلى قلوب

(١) في غير الأصل : (العلية) .

(٢) في المطبوع : (تغلو) .

(٣) في المطبوع : (والشرور والإساءة) .

(٤) في (م) و (ق) والمطبوع : (كلهم) .

(٥) في (م) والمطبوع (ودينه) .

أولياءه أن أقبلني إلي فبادرت وباتت^(١) وقالت^(٢) بين يدي رب العالمين . وكره انبعاث آخرين فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين .

كانت أكثر يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا ومقلب القلوب " ^(٣) وكان من دعائه : " اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك " ^(٤) قال بعض السلف : (للقلب أشد تقلباً من القدر إذا استجمعت غلباتها وقال آخر) ^(٥) للقلب أشد تقلباً من الريشة بأرض فلاة في يوم ريح عاصف .

ويطلق القلب على معنيين أحدهما أمر حسي وهو العضو اللحمي الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر وفي باطنه تجويف وفي التجويف دم أسود وهو منبع الروح والثاني أمر معنوي وهو لطيفة ربانية رحمانية روحانية لها بهذا العضو تعلق اختصاص وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسانية .

وللقلب جندان ، جند يرى بالأبصار وجند يرى بالبصائر فأما جنده المشاهدة فالأعضاء الظاهرة والباطنة خلقت خامة له لا تستطيع له خلافا فإذا أمر العين بالانفتاح انفتحت وإذا أمر اللسان بالكلام تكلم وإذا أمر اليد بالبطش^(٦) بطشت وإذا أمر الرجل بالسعي سعت وكذا جميع الأعضاء ذلت له تذليلاً .

ولما خلق القلب للسفر إلى الله والدار الآخرة وجعل في هذا العالم ليتزود منه افتقر إلى المركب والزاد لسفره الذي خلق لأجله فأعين بالأعضاء والقوى وسخرت له وأقيمت في خدمته ليحلب له ما يوافقه من الغذاء والمنافع ويدفع عنه ما يضره ويهلكه فافتقر إلى جندين :

(١) في (م .) و (ق) : (إلى قلوب الأولياء بأن أقبلني) .

(٢) في المطبوع : (وقامت) .

(٣) تقدم تخريجه

(٤) ثبت عنه صلى الله عليه وسلم : " يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك " . كما أخرج ذلك أحمد في مسنده (١٨٢/٤) ، والأجري في الشريعة . وابن ماجه في (١) المقدمة ، () باب فيما أنكرت الجهمية ح (١٩٩) ، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (٩) باب الأدعية ح (٩٤٣) ، وابن أبي عاصم في السنة ح (٢١٩) وغيرهم .

(٥) سقط من الأصل .

(٦) سقط من (م) و (ق) .

باطل : وهو الإرادة للشهوة^(١)، والقوى وظاهر وهو الأعضاء فخلق في القلب من الإرادات والشهوات ما احتاج إليه وخلقت له الأعضاء التي هي آلة الإرادة واحتاج لدفع المضار إلى جند باطن وهو الغضب الذي يدفع المهلكات وينتقم^(٢) من الأعداء وظاهر وهو الأعضاء التي ينفذ بها غضبه كالأسلحة للمقاتل^(٣) ولا يتم له^(٤) ذلك إلا بمعرفة ما يجلب وما يدفع فأعين بجند من العلم^(٥) يكشف له حقائق ما ينفعه وما يضره . ولما سلطت عليه الشهوة والغضب والشيطان أعين بجند من الملائكة وجعل له محلاً من الحلال ينفذ فيه شهواته وجعلت بإزائه أعداء له ينفذ فيهن غضبه . فما ابتلي بصفة من الصفات إلا وجعل له نصر ومحل ينفذها فيه فجعل لقوة الحسد فيه مصرف المنافسة في فعل الخير والغبطة عليه والمسابقة إليه ولقوة الكبر التكبر على أعداء الله تعالى وإهانتهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن رآه يختال بين الصفيين في الحرب : " إنها مشية يبغضها الله إلا في هذا الوطن " ^(٦) .

وقد أمر الله بالغلظة على أعدائه .

وجعل لقوة الحرص مصرفاً وهو الحرص على ما ينفع كما قال رسول الله^(٧) صلى الله عليه وسلم : " احرص على ما ينفعك " ^(٨) ولقوة الشهوة مصرفاً وهو الزواج بأربع والتسري بما شاء .

(١) في غير الأصل : (والشهوة) .

(٢) في المطبوع : (وينتقم به) .

(٣) يف (م) و (ق) والمطبوع : (للقتال) .

(٤) سقط من المطبوع .

(٥) في المطبوع : (من العلم بما يكشف) .

(٦) أخرجه ابن هشام في السيرة بسنده عن ابن إسحاق (١٣/٤) ، وفيه راو لم يسم ، وكذا الطبراني في المعجم الكبير (١٢٣/٧) ح

(٦٥٠٨) ، وقال الهيثمي في الجمع (٨١٠٩/٦) : وفيه من لم أعرفهم ، وأصل القصة أخرجه أحمد في مسنده (١٢٣/٣) ، ومسلم

في صحيحه في (فضائل الصحابة ، (باب من فضائل أبي دجاجة ح (٢٤٧٠) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس : "

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخذ سيفاً يوم أحد فقال : من يأخذ مني هذا ؟ ، فبسطوا أيديهم . كل إنسان منهم يقول : أنا ،

أنا . قال : فمن يأخذه بحقه ؟ قال : فأحجم القوم : فقال سماك بن خرشة ، أبو دجاجة : أنا أخذه بحقه . قال : فأخذه ففلق به هام

المشركين

(٧) في (م) و (ق) والمطبوع : (النبي) .

(٨) أخرجه مسلم في (٤٦) كتاب القدر ، (٨) باب ف الأمر بالقوة وترك العجز ، والاستعانة بالله ، وتفويض المقادير لله ،

ح (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ولقوة حب المال مصرفاً وهو إنفاقه في مرضاته والتزود منه لمعاده فمحنة المال . على هذا الوجه لا تدم ولحبة الجاه مصرفاً وهو استعماله في تنفيذ أوامره وإقامة دينه ونصر المظلوم وإغاثة الملهوف وإعانة الضعيف وقمع أعداء الله . فمحنة الرئاسة والجاه على هذا الوجه عبادة . وجعل لقوة اللعب واللهو مصرفاً وهو لهوه مع امرأته أو بقوسه وسهمه ، أو تاديه فرسه وكل ما أعان على الحق فهو من الحق ، وكل ما أعان على الباطل فهو من الباطل والضلال . وجعل لقوة التحيل والمكر فيه مصرفاً ، وهو لهوه مع امرأته أو بقوسه وسهمه ، أو تاديه فرسه وكل ما أعان على الحق (فهو من الحق ، وكل ما أعان على الباطل فهو من الباطل والضلال)^(١).

وجعل لقوة التحيل والمكر فيه مصرفاً ، وهو التحيل على عدوه وعدو الله بأنواع التحيل حتى يراغمه ويده خاسئاً ، ويستعمل معه من أنواع المكر ما يستعمله عدوه معه . وهكذا جميع القوى التي ركبت فيه (فإنها لا تزول ولا يطلب)^(٢) إعدامها وقد ركبها الله فيه لمصالح اقتضتها حكمته ، فلا يطلب تعطيلها ، وإنما تصرف مجاريها من محل إلى محل ، ومن موضع إلى موضع ، ومن تأمل هذا الموضع وتفقه فيه علم شدة الحاجة إليه وعظم الانتفاع به .



(١) سقط من غير الأصل .

(٢) سقط من غير الأصل .

﴿ فصل ﴾ { جنود القلب وأبوابه }

وجماع الطرق والأبواب التي يصاب^(١) منها القلب وجنوده أربعة فمن ضبطها وعدلها وأصلح مجاريها ، وصرفها في محالها اللائقة بها ضبطت وحفظت جوارحه^(٢) ولم يشمت به عدوه وهي : الحرص والشهوة والغضب والحسد .

فهذه الأربعة هي أصول مجامع طرق الشر والخير ، وكما هي طرق إلى العذاب السرمدى فهي طرق إلى النعيم الأبدي .

فآدم أبو البشر^(٣) أخرج من الجنة بالحرص ، ثم أدخل إليها بالحرص ولكن فرق بين حرصه الأول وحرصه الثاني .

وأبو الجن أخرج منها بالحسد ثم لم يوفق لمنافسة وحسد يعيده إليها . وقد قال النبي ﷺ :
" لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار " ^(٤) .

وأما الغضب فهو غول العقل يغتاله كما يغتال الذئب الشاة وأعظم ما يفترسه الشيطان عند غضبه وشهوته .

فإذا^(٥) كان حرصه على ما ينفعه ، وحسده منافسة في الخير ، وغضبه له وعلى أعدائه ، وشهوته مستعملة فيما أبيض له ، كان ذلك عوناً له على ما أمر به ، ولم تضره هذه الأربعة بل ينتفع بها أعظم الانتفاع .



(١) في غير الأصل : (يصاب) .

(٢) في غير الأصل : (استفاد منها قلبه وجوارحه) .

(٣) في غير الأصل : زيادة (صلى الله عليه وسلم) .

(٤) أخرجه البخاري في (٦٦) كتاب فضائل القرآن ، (٢٠) باب اغتباط صاحب القرآن ح (٥٠٢٥) من حديث سالم بن عبد الله عن أبيه ولفظه : (لا حسد إلا على اثنتين : رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الله ، ورجل أعطاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار) ، ويمثله أخرجه مسلم في (٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٤٧) باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه . . ح (٨١٥) .

(٥) في غير الأصل (وإذا) .

﴿ فصل ﴾

{ حال القلب مع الملك والشیطان }

وإذا تأملت حال القلب مع الملك والشیطان . رأيت أعجب العجائب ، فهذا یلم به مرة ، وهذا یلم به مرة فإذا ألم به الملك حدث من لمتة الانفصاح والانشراح والنور والرحمة والإخلاص والإنابة ومحبة الله وإيثاره على ما سواه وقصر الأمل والتجافي عن دار البلاء والامتحان والغرور . فلو دامت له تلك الحالة لكان أ عیش وألذه وأطیه . ولكن تأتيه لمة الشیطان فتحدث له من الضيق والظلمة والهم والغم والخوف والسخط على المقدور والشك في الحق والحرص على الدنيا وعأجلها والغفلة عن الله ما هو من اعظم عذاب القلب

ثم للناس في هذه المحنة مراتب لا یحصیها إلا الله (عز وجل) :

فمنهم من تكون لمة الملك اغلب عليه من لمة الشیطان واقوى فإذا ألم به الشیطان وجد من الألم والضيق والحصر وسوء الحال بحسب ما عنده من حياة القلب ، فيبادر إلى (محو)^(١) تلك اللمة ولا یدعها تستحكم فیصعب تداركها فهو دائم بین اللمتين یدال له مرة ، ویدال علیه مرة والعاقبة للتقوى .

ومنهم من تكون لمة الشیطان اغلب علیه (من لمة الملك)^(٢) واقوى فلا تزال تغلب لمة الملك حتى تستحكم ویصیر الحكم لها فیموت القلب فلا یحس بما ناله الشیطان مع أنه في غاية العذاب والألم والضيق والحصر ، ولكن سكر الشهوة والغفلة حجب عنه الإحساس بذلك المؤلم ، فإذا كشف عنه بعض غطاءه أدرك سوء حاله ، وعلم ما هو فيه ، فإن استمر له كشف الغطاء^(٣)

(١) سقط من غیر الأصل .

(٢) سقط من غیر الأصل .

(٣) في (م) و (ق) : (فإذا كشف أمكنه) ، وفي المطبوع : (فإذا كشف أمكنه تداركه بالدواء) .

أمكنه تدارك هذا الداء وحسمه ، وإن عاد الغطاء عاد الأمر كما كان حتى يكشف^(١) عنه وقت
المفارقة فتظهر حينئذ تلك الآلام والهموم والعموم والأحزان ، وهي لم تتجدد له وإنما كانت كامنة
(فيه)^(٢) توارى بها الشواغل فلما زالت الشواغل ظهر ما كان كامنا وتحدد له أضعافه .



(١) في المطبوع : (ينكشف) .

(٢) سقط من غير الأصل .

﴿ فصل ﴾

{ لمة الشيطان }

والشيطان يلم بالقلب لما له هناك من جواذب تجذبه وهي نوعان : صفات وإرادات ، فإذا كانت الجواذب صفات قوى سلطانه هناك واستفحل أمره ووجد موطناً ومقرّاً فتبقى^(١) الأذكار والدعوات والتعوذات (التي يأتي بها الإنسان)^(٢) حديث نفس فلا^(٣) تدفع سلطان الشيطان لأن مركبه صفة لازمة فإذا قلع العبد تلك الصفات (من قلبه)^(٤) وعمل على التطهير منها والاعتسال بقي للشيطان بالقلب خطرات ووساوس ولمات من غير استقرار وذلك يضعفه ويقوي لمة الملك فتأتي الأذكار والدعوات والتعوذات فتدفعه بأسهل شيء .

وإذا أردت لذلك مثلاً مطابقاً : فمثله مثل كلب جائع شديد الجوع وبينك وبينه لحم أو خبز وهو يتأملك فيراك لا تقاومه وهو قد اقترب^(٥) منك ، فأنت تزجره وتصيح عليه وهو يأبى إلا الهجوم عليك ، والغارة على ما بين يديك . فالأذكار بمنزلة الصياح عليه والزجر له ، ولكن معلومه ومراده عندك وقد قوته^(٦) عليك فإذا لم يكن بين يديك شيء يصلح له وقد تأملك فراك أقوى منه ، فإنك تزجره فيترجر وتصيح عليه فيذهب وكذلك القلب الخالي عن قرة الشيطان يترجر بمجرد الذكر .

(١) في الأصل : (فتأتي) .

(٢) ما بين القوسين سقط من غير الأصل .

(٣) في غير الأصل : (لا تدفع) .

(٤) ما بين القوسين سقط من غير الأصل .

(٥) في (م) و (ق) والمطبوع : (وهو أقرب منك) .

(٦) في غير الأصل : (وقد قربته عليك) .

وأما القلب التي^(١) فيه تلك الصفات التي هي مركبه وموطنه فيقع الذكر في حواشيها وجوانبها^(٢) ولا يقوى على إخراج العدو ، ومصدق ذلك تجده في الصلاة فتأمل الحال وانظر هل تخرج الصلاة وأذكارها وقرأتها الشيطان من قلبك ، وتفرغه كله لله وتقيمه بين يديه مقبلاً بكلية / عليه . يصلي لله^(٣) كأنه يراه . قد اجتمع همه كله على الله وصار ذكره ومراقبته ومحبته والأنس [١٤٦/ب] به في محل الخواطر والوسوس^(٤) أم لا ؟ فالله المستعان .

وها هنا نكتة ينبغي التفطن لها وهي أن القلوب ممتلئة^(٥) بالأخلاق الرديئة ، والعبادات والأذكار والتعوذات ادوية لتلك الأخلاق كما يثير الدواء أخلاق البدن ، فإن كان قبل الدواء وبعده حمية نفع ذلك الدواء وبلغ الداء أو أكثر ، وإن لم يكن قبله ولا بعده حمية لم يزد الدواء على إثارته وإن أزال منه شيئاً ما فدار الأمر على شيعين الحمية واستعمال الأدوية .



(١) في غير الأصل : (الذي) .

(٢) في (م) و (ق) : (حراسها وجوانبها) ، وفي المطبوع : (حواشيه وجوانبه) .

(٣) في غير الأصل : زيادة (تعالى) .

(٤) في غير الأصل : (والوسواس) .

(٥) في (م) و (ق) والمطبوع : (الممتلئة) .

﴿ فصل ﴾

{ الخطرات ودفعها }

وأول ما يطرق القلب الخطرة ، فإن دفعها استراح مما بعدها ، وإن لم يدفعها قويت فصارت وسوسة ، فكان دفعها أصعب ، فإن بادر ودفعها وإلا قويت فصارت شهوة فإن عاجلها وإلا صارت إرادة ، فإن عاجلها وإلا صارت عزيمة ، ومتى وصلت إلى هذا^(١) الحال لم يمكنه^(٢) دفعها واقترون بها الفعل ولا بد وما يقدر عليه من مقدماته وحينئذ ينتقل العلاج من مقدماته إلى أقوى الأدوية . وهو الاستفراغ التام بالتوبة النصوح ، ولا ريب أن دفع مبادئ هذا الداء أولاً أسهل بكثير من طلب الدواء وإذا وزن العبد بين دفع هذا الداء من أوله وبين استفراغه بعد حصوله وساعد القدر وأعان التوفيق رأى أن الدفع أولى به .

وإن تأملت النفس بمفارقة المحبوب فليوازن بين فوات هذا المحبوب الأخس المنقطع النكد المنشوب بالآلام والهموم وبين فوات المحبوب الأعظم الدائم الذي لا نسبة لهذا المحبوب إليه البتة لا في قدره ولا في دوامه وبقائه ، وليوازن بين ألم فوته ، وبين ألم فوت المحبوب الأخس / وليوازن بين لذة الإنابة والإقبال على الله^(٣) والتنعيم بحبه وذكره وطاعته ولذة الإقبال على الرذائل والأنثان والقبائح ، وليوازن بين لذة الظفر بالذنب ولذة الظفر بالعدو وبين لذة الذنب ولذة العفة ، ولذة الذنب ولذة القوة وقهر الهوى ، وبين لذة الذنب ولذة إرغام عدوه وردده خاسئاً ذليلاً ، وبين لذة الذنب ولذة الطاعة التي تحول بينه (وبين مراده وبين فوته مراده وفوت ثناء الله وملائكته عليه)^(٤) ، وفوت حسن جزاية وجزيل ثوابه ، وبين فرحة إدراكه وفرحة تركه لله^(٥) عاجلاً ، وفرحة ما يثيبه عليه في دنياه وأخرته . والله المستعان .

(١) في غير الأصل : (هذه) .

(٢) في المطبوع : (يمكن) .

(٣) في غير الأصل : زيادة (تعالى) .

(٤) اضطراب هنا في النص في النسخ المخطوطة ، ولذلك أثبت ما في المطبوع .

(٥) في غير الأصل : زيادة (تعالى) .

وهذا فصل جره الكلام في قوله تعالى ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٢١) ^(١) أشرنا إليه ^(٢) لو استقصيناه لاستدعى عدة أسفار ، ولكن فيما ذكرناه تنبيه على ما تركناه وبالله التوفيق .



^(١) سورة الذاريات الآية (٢١) .

^(٢) في غير الأصل : (أشرنا إليه إشارة ، ولو استقصيناه . .) .

فصل

ولنرجع إلى المقصود ، ثم قال تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾^(١) .
أما الرزق ففسر بالمطر وفسر بالجنة ، ففسر برزق الدنيا والآخرة^(٢) ولا ريب أن المطر من
الرحمة ، وأن الجنة ، مستقر الرحمة ، فرزق الدارين في السماء التي هي العلو .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ :

قال عطاء^(٣) : من الثواب والعقاب^(٤) .

قال الكلبي : من الخير والشر^(٥) ،

وقال مجاهد : الجنة والنار^(٦) ،

وقال ابن سيرين : من أمر الساعة^(٧) .

قلت : كون الجنة والخير في السماء فلا أشكال فيه ، وكون النار في السماء وما يوعدون
به أهلها يحتاج (إلى)^(٨) تبين ، فإذا نظرت إلى أسباب الخير والشر وأسباب دخول الجنة والنار ،
وافتراق^(٩) الناس وانقسامهم إلى شقي وسعيد ، وجدت ذلك كله بقضاء الله وقدره النازل من
السماء ، وذلك كله مثبت في السماء في صحف / الملائكة ، وفي اللوح المحفوظ قبل العمل وبعده
فالأمر كله من السماء ، وقول من قال : أمر الساعة يكشف عن هذا المعنى فإن أمر الساعة يأتي
من السماء . وهو الموعود بها ، والجنة والنار الغاية التي لأجلها قامت الساعة فصح كل ما قال
السلف في ذلك والله أعلم .



(١) سورة الذاريات الآية (٢٢) .

(٢) انظر هذه الأقوال في : جامع البيان (٢٠٥/٢٦) ، معاني الزجاج (٥٤/٥) ، البسيط (١٢٨/١) ت/محوي ، معالم التنزيل

(٣٧٥/٧) ، زاد المسير (٣٤/٨) .

(٣) في غير الأصل : زيادة (رضي الله عنه) .

(٤) انظر : البسيط (١٢٨/١) ، معالم التنزيل (٣٧٥ / ٧) .

(٥) انظر البسيط (١٢٨/١) .

(٦) في المطبوع : (من الجنة والنار) .

(٧) انظر : تفسير مجاهد (٦١٨/٢) ، وقد أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠٦/٢٦) وإسناده صحيح كما قال صاحب التفسير

الصحيح (٣٨٩/٤) ، وذكره البغوي في تفسيره (٣٧٥/٧) .

(٨) انظر : البسيط (١٢٨/١) ت/محوي ، فتح القدير (٩٩/٥) .

(٩) سقط من الأصل .

(١٠) في الأصل : (واقترا) .

﴿ فصل ﴾

{ أعظم قسم في القرآن }

ثم أقسم سبحانه أعظم قسم بأعظم مقسم به على أجل مقسم عليه وأكد الأخبار به بهذا القسم ثم أكده سبحانه بشبهه^(١) بالأمر المحقق الذي لا يشك فيه ذو حاسة سليمة، قال (تعالى) : ﴿ فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ (٢٣) .^(٢)

قال ابن عباس^(٣) : يريد أنه لحق واقع كما أنكم تنطقون^(٤) .

قال الفراء : إنه لحق كما أن الآدمي ناطق^(٥) .

قال الزجاج : هذا كما تقول في الكلام أن هذا لحق كما أنك ههنا^(٦) .

قلت : وفي الحديث : ﴿ إنه لحق كما أنك ههنا ﴾^(٧) .

فشبهه^(٨) سبحانه تحقيق ما أخبر به بتحقيق نطق الآدمي ووجوده ، والواحد منا يعرف أنه ناطق ضرورة ولا يحتاج نطقه إلى استدلال على وجوده ولا يحتاجه شك في أنه ناطق فكذلك ما أخبر الله سبحانه عنه من أمر التوحيد والنبوة والمعاد وأسمائه وصفاته حق ثابت في نفس الأمر يشبه ثبوت^(٩) نطقكم ووجوده . وهذا باب يعرفه الناس في كلامهم يقول أحدهم : هذا حق مثل الشمس ، وأفصح الشاعر عن هذا بقوله :

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

(١) في (م) و (ق) : (بشبهه) ، وفي المطبوع : (تشبيهه) .

(٢) سورة الذاريات الآية (٢٣) .

(٣) في غير الأصل و (ب) : زيادة : (رضي الله عنه) .

(٤) انظر : البسيط (١٣٣/١) ت/ المحوي .

(٥) معاني القرآن للفراء (٨٥/٣) .

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٥٤/٥) وفيه : (كما أنك متكلم) بدل (ههنا) .

(٧) تقدم تخريجه .

(٨) في المطبوع : (فتشبهه) .

(٩) في غير الأصل و (ب) : (يشبه ثبوت) .

وها هنا أمر ينبغي التفطن له وهو : أن الرب تعالى شهد بصحة ما أخبر به وهو اصدق الصادقين ، وأقسم عليه وهو أبر المقسمين . وأكدته بتشبيهه بالواقع الذي لا يقبل الشك بوجه ، وأقام عليه من الأدلة العيانة والبرهانية ما جعله معانياً مشاهداً بالبصائر وإن لم يعاين بالأبصار . ومع ذلك فإن أكثر النفوس في غفلة عنه لا تستعد له ولا تأخذ له أهبتة والمستعد له الأخذ له أهبتة لا يعطيه حقه منهم إلا الفرد بعد الفرد .

فأكثر هذا الخلق لا ينظرون في المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار ولا يتفكرون في قلة مقامهم في دار الغرور، ولا في رحيلهم وانتقالهم عنها ولا إلى أين يرحلون وأين يستقرون ، قد ملكهم الحس ، وقل نصيبهم من العقل ، وشلتهم الغفلة ، وغرقهم الأمانى التي هي كالسراب وخدعهم طول الأمل . فكأن المقيم لا يرحل ، وكأن أحدهم لا يبعث ولا يسأل . وكأن مع كل مقيم توقيع من الله لفلان بن فلان بالأمان من عذابه والفوز بجزيل ثوابه .

فأما همهم^(١) ففي اللذات الحسية والشهوات النفسية كيفما حصلت حصلوها ، ومن أي وجه لاحت أخذوها ، غافلين عن المطالبة آمنين من العاقبة ، يسعون لما لا يدركون ويتركون ما هم به يطالبون ، ويعمرون ما هم عنه منتقلون ، ويخربون ما هم إليه صائرون ، : ﴿ يَظُنُّونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾^(٢) وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ^(٣) ﴿ أَلَسْتُمْ ﴾^(٤) (لا تنطق إلا) بشهوات نفوسهم فلا ينظرون في مصالحها ولا يأخذون في جمع زادها في سفرها : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنفُسُهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾^(٥) (١٩) ﴿

والعجب كل العجب من غفلة من تعد^(٦) لحظاته وتحصى عليه أنفاسه ومطايا الليل والنهار تسرع به ولا يتفكر إلى أين يحمل ولا إلى أي منزل ينقل ؟
وكيف تنام العين وهي قريرة ولم تدر في أي المحليين تنزل

(١) سقط من غير الأصل و (ب) .

(٢) ما بين القوسين سقط من الأصل و (ب) .

(٣) سورة الروم الآية (٧) .

(٤) في (م) و (ق) والمطبوع : (ألهتهم) .

(٥) سقط من غير الأصل .

(٦) سورة الحشر الآية (١٩) .

(٧) في المطبوع : (تعد عليه) .

فإذا نزل بأحدهم الموت قلق لخراب ذاته ، وذهاب لذاته . لالما سبق من جنائياته ، ولا لسوء منقلبه بعد مماته ، فإن خطرت على قلب أحدهم خطرة من ذلك اعتمد على العفو والرحمة كأنه يتيقن أن ذلك نصيبه ولا بد .

فلو أن العاقل أحضر ذهنه ، وأستحضر عقله وسار بفكره وأمعن^(١) النظر وتأمل الآيات [١٤٦/ب] لفهم المراد من إيجاده ولنظرت عين الراحل إلى الطريق ، ولأخذ المسافر في التزود والمريض في التداوي . والحازم يعد ما يجوز أن يأتي ، فما الظن بأمر متيقن ، كما أنه لصدق إيمانهم ، وقوة إيقانهم ، وكأنهم معاينون الأمر ، فأضحت ربوع الإيمان من أهلها خالية ، ومعالمه على عروشها خاوية .

قال ابن وهب : أخبرني مسلم ابن علي عن الأوزاعي قال : كان السلف إذا صدع الفجر أو قبله كأنما على رؤوسهم الطير ، مقبلين على أنفسهم حتى لو أن حبيباً لأحدهم غاب عنه حيناً ثم قدم لما ألتفت إليه ، فلا يزالون كذلك إلى طلوع الشمس . ثم يقوم بعضهم إلى بعض فيتخلفون فأول ما يفيضون^(٢) فيه أمر معادهم وما هم صائرون إليه ، ثم يأخذون^(٣) في الفقه .



(١) في غير الأصل : (وأنعم) .

(٢) هذه الكلمة تحتمل (يقتضون — يفتضون) .

(٣) في غير الأصل : (ثم يأخذونه) .

﴿ فصل ﴾

{ القسم في سورة ق }

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (٢) ﴿ (١)

الصحيح أن "ق" ، ، ص "بمثلة" حم ، الم ، طس " تلك حروف مفردة وهذه متعددة . وقد تقدمت الإشارة إلى بعض ما قيل فيها . وههنا قد اتحد المقسم به والمقسم عليه ، وهو القرآن فأقسم بالقرآن على ثبوته وصدقه ، وأنه حق من عنده وكذلك حذف الجواب ولم يصرح به لما في القسم من الدلالة عليه ، ولأن المقصود نفس المقسم به كما تقدم بيانه .

ثم أخذ سبحانه في بيان عجب الكفار من غير عجب (٢) ، بل بما لا ينبغي أن يقع سواه . كما قال سبحانه : ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (٣) فأي عجب من هذا حتى يقول الكافرون أن هذا لسحر مبین ، وكيف تتعجب من رحمة الخالق عباده وهدايته وإنعامه عليهم بتعريفهم على لسان رسوله بطريق الخير والشر وما هم صائرون إليه بعد الموت ، وأمرهم ونهيهم ؟ حتى يقابل ذلك بالتعجب ونسبه ما (٤) جاء به إلى السحر ، ولولا غاية الجهل والظلم ، بل العجب كل العجب قولهم وتكذيبهم كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ (٥) .



(١) سورة ق الآيتان (٢-١) .

(٢) في غير الأصل و (ب) : (عجب) .

(٣) سورة يونس الآيتان (٢-١) .

(٤) في (م) : (من) بدل : (ما) .

(٥) سورة الرعد الآية (٥) .

﴿ فصل ﴾

{ القسم بالقرآن العظيم }

ومن ذلك (قوله تعالى) : ﴿ حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) ﴾ ^(١) وقوله : ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) ﴾ ^(٢) وقوله : ﴿ يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) ﴾ ^(٣) .
والصحيح أن يس بمثناة "حم ، ألم " ليست من أسماء النبي ﷺ .

وأقسم سبحانه بكتابة على صدق رسوله وصحة نبوته ورسالته ، فتأمل قدر (المقسم)
^(٤) والمقسم به والمقسم عليه .

وقوله ^(٥) : ﴿ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) ﴾ ^(٦) جوز فيه ثلاثة أوجه :
أن يكون خبراً بعد خبر ، فأخبر عنه بأنه رسول الله ، وأنه على صراط مستقيم .
وأن يكون متعلقاً بالخبر نفسه ، تعلق المعمول به بعامله . أي : أرسلت على صراط وهذا
يحتاج إلى بيان وتقديره : المجعولين على صراط مستقيم ، وكونه من المرسلين مستلزم لذلك
فاستغنى عن ذكره .



(١) سورة الزحرف الآيتان (٢-١) .

(٢) سورة (ص) الآية (١) .

(٣) سورة يس الآيات (٣-١) .

(٤) سقط من غير الأصل و (ب) .

(٥) في غير الأصل و (ب) : زيادة (تعالى) .

(٦) سورة يس الآية (٤) .

﴿ فصل ﴾

{ القسم في سورة الصافات }

ومن ذلك قوله (عز وجل) ^(١) : ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) ﴾ ^(٢) .

أقسم سبحانه بملائكته الصافات للعبودية بين يديه ، كما قال النبي ﷺ لأصحابه : " ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟ يتمون الأول فالأول ، ويتراصون في الصف " ^(٣) .
وكما قالوا عن نفوسهم : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) ﴾ ^(٤) والملائكة الصافات اجنحتها في الهواء .

والزاجرات : الملائكة الذي ^(٥) تزجر السحاب وغيره بأمر الله ،
فالتاليات : الذي ^(٦) تتلوا كلام الله .

وقيل : الصافات : الطير كما قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾ ^(٧) وقال تعالى : ﴿ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ﴾ ^(٨) .
والزاجرات : الآيات والكلمات الزاجرات عن معاصي الله ، والتاليات / الجامعات كتاب ^(٩) الله .

وقيل : الصافات للقتال في سبيل الله ، فالزاجرات الخيل للحمل على أعدائه ، فالتاليات
الذاكرين له عند ملاقاته عدوهم

(١) في غير الأصل و (ب) : (تعالى) .

(٢) سورة الصافات الآية (١) . وفي (م) : (والصافات) فقط .

(٣) أخرجه مسلم في (٤) كتاب الصلاة (٢٧) باب الأمر بالسكوت في الصلاة ، والنهي عن الإشارة باليد ورفعها عند السلام ، وإتمام الصفوف الأول ، والترصص فيها والأمر بالاجتماع ح (٤٣٠) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه .

(٤) سورة الصافات الآية (١٦٥) .

(٥) في غير الأصل و (ب) : (التي) .

(٦) في غير الأصل و (ب) : (التي) .

(٧) سورة الملك الآية (١٩) .

(٨) سورة النور الآية (٤١) .

(٩) في (ب) : (الجامعات التاليات كتاب الله) وفي (م) و (ق) والمطبوع : (الجامعات لكتب الله تعالى) .

وقيل: الجامعات الصفات أبدانها في الصلاة، الزاجرات أنفسها عن معاصي الله، فالتاليات أيات الله.

واللفظ يحتمل ذلك كله، وإن كان أحق من دخل فيه، وأولى الملائكة، فإن الإقسام كالدليل، والآية على صحة ما أقسم عليه من التوحيد وما ذكر غير الملائكة فهو من آثار الملائكة وبواستطها كان.

وأقسم سبحانه بذلك علي توحيد ربو بيته وإلهيته وقرر بتوحيد إلهيته بتوحيد ربوبيته فقال: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ (٤) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (٥) ﴿١﴾ من أعظم الأدلة على أنه إله واحد ولو كان معه آله آخر لكان ذلك الإله مشاركاً له في ربوبيته كما شاركه في إلهيته، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وهذه قاعدة القرآن: يقرر توحيد إلهيته بتوحيد الربوبية فتقرر كونه معبوداً وحده بكونه خالقاً رازقاً وحده.

وخص المشارق ههنا بالذكر إما لدلالاتها على المغارب إذ الأمران المتضايقان كل منهما يستلزم الآخر، إما لكون المشارق مطالع الكواكب، ومظاهر الأنوار. وإما توطئه لما ذكره^(٢) بعدها من تزيين السماء بزينة الكواكب، وجعلها حفظاً من كل شيطان (مارد)^(٣) فذكر المشارق أنسب في هذا المعنى وأليق. والله أعلم.

(١) سورة الصفات الآيتان (٤-٥).

(٢) في (ب) والمطبوع: (لما ذكر).

(٣) سقط من غير الأصل و(ب).

﴿ فصل ﴾

{ القسم بحياة النبي ﷺ }

ومن ذلك قوله تعالى في قصة لوط^(١) ومراجعة^(٢) قومه له : ﴿ قَالُوا أَوَلَمْ نُنْهَكْ عَنْ
الْعَالَمِينَ (٧٠) قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾^٣
أكثر المفسرين من السلف والخلف بل لا يعرف في السلف فيه نزاع أن هذا قسم من الله
بحياة رسوله ﷺ . وهذا من أعظم فضائله أن يقسم الرب بحياته . وهذه مزية لا تعرف لغيره .
ولم يوفق الزمخشري / لذلك . فصرف القسم إلى أنه بحياة لوط عليه السلام ، وأنه من قول
الملائكة له فقال : هو على (إرادة)^(٤) القول . أي : قالت الملائكة للوط : لعمرك إنهم لفِي
سكرتهم ، وليس في اللفظ ما يدل على واحد من الأمرين ، بل ظاهر اللفظ وسياقه ، إنما يدل على
ما فهمه السلف الطيب لا أهل التعطيل والإعتزال^(٥) .

قال ابن عباس^(٦) : لعمرك . أي وحياتك . قال : وما أقسم الله بحياة نبي غيره ، والعمر
والعمر واحد إلا أنهم خصوا القسم بالفتوح لإثبات الأخف لكثرة الدور^(٧) الحلف على سنتهم
وأیضا فإن العمر حياته خصوصه^(٨) فهو عمر شريف عظيم أهل أن يقسم به لمزيتة على كل عمر
من أعمار بني آدم . ولا ريب أن عمره ﷺ له مزية على عمر كل من سواه ، والآيات التي كانت

(١) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (عليه السلام) .

(٢) في المطبوع : (ومراجعته) .

(٣) سورة الحجر الآيات (٧٠-٧٢) .

(٤) سقط من (ب) .

(٥) كلام الزمخشري في الكشف (٣١٧/٢) .

(٦) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (رضي الله عنهما) .

(٧) في (م) و (ق) : (دور الحلف) وفي المطبوع : (دوران الحلف) .

(٨) في (م) و (ق) والمطبوع : (حياة مخصوصة) .

فِي عَمْرِهِ وَحَيَاتِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْآيَاتِ ، بَلْ عَمْرِهِ وَحَيَاتِهِ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ وَالْآيَاتِ فَهُوَ أَهْلٌ أَنْ يَقْسَمَ بِهِ وَالْقَسَمُ بِهِ أَوَّلَى مِنَ الْقَسَمِ بِغَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ .

وَقَوْلُهُ : " يَعْمَهُونَ " أَي : يَتَحَيَّرُونَ^(١) . وَإِنَّمَا وَصَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ اللَّوْطِيَّةَ بِالسُّكْرَةِ لِأَنَّ الْعَشْقَ لَهُ سُكْرَةٌ مِثْلَ سُكْرَةِ الْخَمْرِ وَأَشَدَّ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

سُكْرَانُ : سُكْرٌ هَوًى ، وَسُكْرٌ مَدَامَةٌ وَمَتَى إِفَاقَةٌ مِنْ بِهِ سُكْرَانُ ؟



(١) فِي (م) وَ (ق) : (يَحْيِرُونَ) .

﴿ فصل ٥٤ ﴾

{ إقسام الرب سبحانه بنفسه }

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥) ^(١) .

أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسماً مؤكداً بالنفي قبله على عدم إيمان الخلق حتى يحكموك فيما شجر ^(٢) بينهم من الأصول والفروع وأحكام الشرع وأحكام المعاد ومسائل الصفات وغيرها . ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج وهو ضيق الصدر ، فتشرح صدورهم بحكمه كل الانشراح ، وتنفسح له كل الانفساح ، وتقبله كل القبول . ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضاً حتى ينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضا والتسليم وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض .

فهاهنا ثلاثة أمور : التحكيم ، وانتفاء الحرج ، والتسليم ، فلا يلزم من التحكيم انتفاء الحرج إذ قد يحكم الرجل غيره ، وعنده حرج من حكمه ولا يلزم من انتفاء الحرج الرضا والتسليم والإنقياد إذ قد يحكمه وينتفي الحرج عنه في تحكيمه ولكن لا ينقاد لقلبه ولا يرضى كل الرضى بحكمه فالتسليم ^(٣) أخص من انتفاء الحرج فالخرج مانع ، والتسليم أمر وجودي لا يلزم ^(٤) من انتفاء الحرج حصوله بمجرد انتفائه ، إذ قد ينتفي الحرج ، ويبقى القلب فارغاً منه ، ومن الرضا ^(٥) والتسليم . فتأمل .

(١) سورة النساء الآية (٦٥) .

(٢) في (م) و (ق) والمطبوع : (حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر) .

(٣) في غير الأصل و (ب) : (والتسليم) .

(٤) في (م) و (ق) و (ط) : (ولا يلزم) .

(٥) في المطبوع : (الرضا به) .

وعند هذا تعلم أن الرب تبارك وتعالى أقسم على انتفاء إيمان أكثر الخلق ، وعند الامتحان

يعلم مثل هذه الأمور الثلاثة هل هي موجودة في قلب أكثر من يدعي الإسلام أم لا ؟

والله (سبحانه) ^(١) المستعان وعليه التكلان . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

آخره والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تسليماً دائماً إلى يوم الدين * .



ثم نحمد الله ، والله أسأله كما أنعم أن يزيد

وله الشكر والحمد تبارك وتقدس

(١) سقط من غير الأصل و (ب) .

* علقه لنفسه الفقير المسكين المعترف بالتقصير أحمد بن عيسى القاسمي المقدسي الحبل الشهير بالدمشقي غفر الله ذنوبه وستر عيوبه
ونفع بالعلم ووفق للعمل إنه سميع قريب .

الفهارس

- فهرس الآيات .
- فهرس أطراف الحديث .
- فهرس الآثار .
- فهرس الأعلام .
- فهرس القوافي والشعر .
- فهرس الفرق والأمم والكتب والأماكن .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

فَهْرَسُوحُ الْآيَاتِ

سورة البقرة

الآية	رقم الآية	الصفحة
الم(١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ(٢)	٢-١	٢٩١
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ(٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	٥-٤-٣	١٠١
خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ	٧	١٨٤
اسْجُدُوا لِلَّهِ	٣٤	٣٢٤
فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ يَدَيَّ هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ	٣٨	٣٣١
خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(٦٣)	٦٣	٢٢١
وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ(٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهَا بِغَضَبِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(٧٣)	٧٣-٧٢	٣١٧
ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً	٧٤	٣٤٣
وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا	١٦٥	٨٢

وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥)

٢٥٧	١٨٩	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ
٢٨٩-٢٤٨	١٩٧	وَتَرُدُّوهُ فَإِنْ خَيْرُ الرَّادِّ اتَّقُوا وَاتَّقُوا يَأْتِي الْأَلْبَابَ (١٩٧)
٢٢	٢٠٥	وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا
الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٢١	٢٢٢	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)
٤٣٥	٢٣٣	وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ
٢٤٦	٢٤٥	مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
٢٤٦	٢٥٥	مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ
٢٣٦	٢٥٢	وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢)
١٧٤	٣	الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ
٢٢٣	٢٥٣	وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلُوا

سورة آل عمران

٢٩١	٣-١	الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
١٨٠	١٢٠	وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا
١٨٠	١٢٥	بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا
١٤٩	١٣٠	وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠)
٢٩٠	١٠٦-١٠٧	فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧)
١٣٩	١٦٤	لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ

٢٣٧	١٥٦	لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا
٢٣٧	١٦٨	لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا
٦١	١٨٤	فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (١٨٤)
٩٩	١٩٠	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠)
الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٥٦	١٩١	رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ

سورة النساء

١٠١	٢٩	وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ
١٧٤	٣٦	وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
٨٨	٣٦-٣٧	إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦) الَّذِينَ يَخْلُونِ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
١٧٤	٣٨	وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ
١٧٤	٣٩	وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ
٢٢٥	٩٧	إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
٢٤٥	١١٣	وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
٣٤٢-٣٤٠	١١٣	وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
١٨٦	١٣٣	إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ
٢٨٥-٢٨٣	١٣٣	إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا (١٣٣)

٢٧٧	١٣٣	إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ
٥٢٩	٦٥	فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ

سورة المائدة

٨٨	٣٣	إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا
٩٧	٥٤	يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ

الصفحة	رقم الآية	الآية
١٨٣	٥٩	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩)
٣٤٨	٦٧	يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ
٢٦٩	١١٧	مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ

سورة الانعام

٢٧٨	٣٣	قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُّكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
١٢٩	٦٥	قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ
٢٥٠	٦٥	قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ
١٤٣	٣٣	قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُّكَ الَّذِي يَقُولُونَ
٢٥٥	١٠٣	لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ
٣٤٨	١٠٣	لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ
٨٢	٣٠	وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ

٢٦٢	٩٦	فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا
١٥٧	١٤٨	سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا
٢٢٣	١١٢	وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ
١١٣	١٦٢	إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)
٢٢٥	٦١	تَوَفَّيْتُهُ رُسُلَنَا

سورة الاعراف

الصفحة	رقم الآية	الآية
١٥٦	٢٦	يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا
الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٨٩-٢٤٨	٢٦	يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ
٢٥٩	٥٤	أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)
٣١٤	٥٤	وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ
٣١٥	٤٢	وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢)
٢٣٧	٥٧	وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ
٥٠٣	١٧٩	لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا
٢٠٠	١٨٣	وَأْمُرِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (١٨٣)
١٨٤	٨٢	أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرَّتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ (٨٢)

١٠١	١٨٩	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
٢٩١	٢-١	المص . كِتَابُ أَنْزَلَ إِلَيْكَ
٣٥٨	١٨٩-١٩٠	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠)
٢٦٣	١٩٠	فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا

سورة الانفال

٣٤٦	٦	يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ
١٤٩	٢٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

الآية	رقم الآية	الصفحة
وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١)	١١	٢٧٨
لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ	٤٢	٢٥٩
وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ	٥٠	٨٢
الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣)	٣	٢٦٤

سورة التوبة

٢٦٩	٦	حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ
٨٧	١٧	مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ

وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ (٥٤)

وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ

سورة يونس

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥)

وَتَرَاهُمْ ذِلَّةً مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ غَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا

فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَازَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّا تُصْرِفُونَ (٣٢)

الآية رقم الآية الصفحة

قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ

ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ (٤٦)

وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ

وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ

٤٢٥	٧٦	إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (٧٦)
٢٥١	٩٦	وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ

سورة هود

١٨٠	١١	إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ
١١٠	٥٣	مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ
٣٨٥	٥٣	وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ
١٨٦	٧٣	رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (٧٣)
١٨٥	٩٠	إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠)
١٨٢	١٠٣	ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (١٠٣)
١٩٣	١١١	وَأَنَّ كُلًّا لَمَّا لُيُوفِّيَهُمْ رَبُّكَ أََعْمَالُهُمْ
٢٤٩	٥٢	وَيَأْقُومُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ

سورة يوسف

٢٤٨	٣٢-٣١	اُخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ الآيَةِ
الصفحة	رقم الآية	
٢٩٠-٢٤٨	٣٢	قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ

سورة الرعد

٢٩١	١	المر تلك آيات الكتاب
-----	---	----------------------

وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٍ وَجَنَاتٍ مِنْ أَعْتَابٍ
وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ

أَفَلَمْ يَتَنَسَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا

سورة ابراهيم

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَسَكَنُوا فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ
فَعَلْنَا بِهِمْ

سورة الحجر

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)

قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠) قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ
فَاعِلِينَ (٧١) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢)

فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا غَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ سَجِيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لَبَسِيلٌ مَقِيمٌ (٧٦)

وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا
لِيَمَامٍ مُبِينٍ (٧٩)

فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢)

فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣)

هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١)

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٧)

الصفحة رقم الآية

سورة النحل

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ

١٠١	١٧	أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧)
٢٣١	١٢	وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ
٢٢٥	١٨	وَأَنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا
١٥٧	٣٥	وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٣٥)
٣١٥	٥٧	وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٧)
٢٣٦	٦٣	ثَالِثَةً لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ
٧٦	٨١	سَرَائِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ
٣١٧	١٠١	وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزَلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)
٣٢٦-٢٦٨	١٠٢	قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ
٢٣٠	١٠٢	قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ

الإِسْرَاءُ

٢٥٣	١١	وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا
٨٨	١٩	وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا
٥٠٣	٣٦	إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦)
٣٣٢	٥١-٥٠	قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ
١٠٩	٥٩	وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً
٢٥٧	١٢	وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً
٢٦٩	٥٣	وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
١٨٣	٧٨	وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨)
٣٨٧	٧٩	وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ



الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٧٧	٨٦	وَلَنِّ شِنَا لَنَذْهِنَ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا

سورة الكهف

٢٧٥	١٤	وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ
٣٧٦	٤٥	

سورة طه

١٣٩	٣٧	وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧)
٣٥٧	٥٢-٤٩	فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٢)
٢٥٢	١١٤-١١٣	وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (١١٣) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا
٢٨٨	١٠٨	يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ
١٩٧	١٠٨	لَا عِوَجَ لَهُ
٣٥٧	٥٥-٥٣	الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣) كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٥٤) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (٥٥)
٢٨٩-٢٤٨	١١٨	إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨)
٢٤٨	١١٩	وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى (١١٩)

سورة الانبياء

١٩	٥٧	وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ
----	----	--

الآية	رقم الآية	الصفحة
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِي (٣٧)	٣٧	٢٥٣
لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ (٤٣)	٤٣	١٩٩
سورة الحج		
وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ	٥	١٣٦
أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا	٤٦	٥٠٢
أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً	٦٣	٤٤٣
سورة المؤمنون		
قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)	١ - ٢	١٠١
وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ	١٢ - ١٣	٣٥٧
ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا	١٤	٤٤٣
وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ	١٨	٢٥٠
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا	٦٣	٣٨٦
أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ	٦٩	٣٣٩
أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥)	١١٥	٢٥٤
فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ	١١٦	٢٧٠ - ٢٥٤



سورة النور

٢٦٩	٣٠	قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ
٥٢٦	٤١	وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ
١٠١	٥١	إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١)
الصفحة	رقم الآية	الآية
١٠١	٦١	فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ
١٠١	١٢	ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا

سورة الفرقان

٢٦٣	٣	وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (٣)
-----	---	---

سورة النمل

٣٤٨	٦٥	قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ
-----	----	---

سورة الشعراء

٣١٩-٢١٩	٢١١-٢١٠	وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ
٢٨٣	٢٣	وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣)
٢٨٣	٢٨	رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨)



سورة القصص

١٣٩	٥	وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ
٢٧٥	١٠	وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمِّ مُوسَى فَارِعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا
٢٢٠	٥٠	فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ

سورة العنكبوت

٢٠٤	١٩	أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ
٣٩٦	٣٨	وَعَادًا وَنُمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ

الآية رقم الآية الصفحة

سورة الروم

٥٢٢	٧	يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
١٨٠	٦٠	فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠)

سورة لقمان

٣١٧	١٤	وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ
٣١٤	١٩	إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)

سورة السجدة

٢٢٥	١١	قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ
٢٥١-٢٢٣	١٣	وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي

٣٢٦-٢٦٨	١٣	وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي
٣٨٨-٢٦٤	١٦	تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦)
٣٩٦	٢٦	أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ
١٧٩	٢٤	وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ

سورة الاحزاب

٢٥٣	٣٧	وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ
٢٧٤	٣٧	فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا

سورة سبا

الآية	رقم الآية	الصفحة
إِنْ تَشَاءُ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ	٩	٢٧٨
وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا	٥١	١٨
وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا	٥١	٨٢
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ	٣	٩٥-٨٦

سورة يس

84-525	٣-١	يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣)
٥٢٥	٤	عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤)
٢٢٩	٤٠	وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)
٢٠	٤-١	يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤)

١٥٧	٤٧	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٧)
٢٤٧	٧٨	قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨)
٤٩٢	٧٨-٧٩	قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ

سورة الصافات

٨٤	٤-١	وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ (٤)
٢٤٨	٦	إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِرَبِّنَا الْكَوَاكِبِ (٦)
٢٤٨	٧	وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٧)
٥٢٧	٤-٥	إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (٥)
٥٢٦	١	وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١)
	٣	فَالَّتَالِيَاتِ ذِكْرًا (٣)
٢٨٩	٦-٧	إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِرَبِّنَا الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٧)
٣٢٠	٤٩	كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (٤٩)
١٣٩	١١٤-١١٥	وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١١٤) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ
٣٩٦	١٣٧-١٣٨	وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلًا تَعْقِلُونَ (١٣٨)
٣٤٣	١٤٧	وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧)
٥٢٦	١٦٥	وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥)
٣٨٥	١٦١-١٦٣	فَأَنكُم مَّا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ

سورة ص

٨٤	١	ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١)
----	---	----------------------------------



الآية	رقم الآية	الصفحة
بَلِّ الَّذِينَ كَفَرُوا	٢	٢٧
بَلِّ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢)	٢	٩٢
ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١)	١	٩٠
ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١)	١	٢٥
بَلِّ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢)	٢	٩١
كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ	٣	٩١
إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ	١٤	٢٥
إِنْ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ (٥٤)	٥٤	٩١
إِنْ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (٦٤)	٦٤	٩١
فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي	٧٢	١٠١
إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ	١٤	٩١
وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥)	٢٥	٣١٠

سورة الزمر

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١)	١	٢٦٨
---	---	-----

سورة غافر

وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ	٦٤	٢٨٩
فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣)	٨٣	٤٧٠

سورة فصلت

فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ (١٦) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى	١٥-١٧	١٠٨-١٠٩
---	-------	---------

الآية	رقم الآية	الصفحة
وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ كُفْرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحَفِظْنَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) سُورِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)	١٧ ١٢-٩ ١٢ ١٢ ٥٣ ٥٣	١٠٨-١٠٩ ٢٦٢ ١٧٦ 326-397 ٣٢٧

سورة الشورى

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْنَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقْهُمْ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٤) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠) وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١) وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢)	٢٤ ٢٤ ٣٢ ٣٣ -٣٢ ٣٤ -٤٩ ٥٠ ٥١ ٣٢	٢٧٧ ٢٧٤ ٢٢٩ ٢٧٧ ٣٨٠ ٤٣٨ ٣٤٨ ١٢٢
--	--	--

سورة الزخرف

الآية	رقم الآية	الصفحة
حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)	٢-١	٥٢٥
حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا	٢-١	٨٤
	٣	
وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ	٢٠	١٥٧
وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩)	٩	٣٥٧
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا	١٠	٣٥٧
كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمُ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ	١٣	
أَمْ يَحْسُبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ	٨٠	١٢٩

سورة الدخان

حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ	٣-١	٢٠
--	-----	----

سورة الجاثية

فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦)	٦	٢٢٠
أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً	٢٣	٢٧٥

سورة الاحقاف

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا	٨	٢٧٦
فَأَصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ	٢٥	٣٧٦

الآية	رقم الآية	الصفحة
وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً	٢٦	٥٠٣
وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا	١٥	٤٣٥

سورة محمد

فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢)	٢٢	٢٢٠
وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ	٣٨	٢٨٥-٢٨٤
وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨)	٣٨	١٩٣

سورة الحجرات

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى	١٣	٤٤٨
يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَامُكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧)	١٧	١٣٩

سورة ق

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢)	٢-١	٥٢٤
ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣)	٣	٢٤٢
ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ	٢-١	٩٢
ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا	١	٢٧
أَنذَا مِتْنَا	٣	
قَدْ عَلِمْنَا	٤	٩٤
بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ	٥	٣٨٥-٢٢٠
بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ	٥	١٤٣
بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥)	١٥	٢٨٥

الآية	رقم الآية	الصفحة
أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥)	١٥	٢٨٦
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى	٣٧	٥٠٢
سورة الذاريات		
وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا (٤)	٤-١	٢٨٠-٨٥ ٣٧٦
وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦)	٦-١	٢٠
إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ (٥)	٥	٣٨٢
وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦)	٦	٣٨٢
إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٨) يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ (٩)	٨-٩	٣٨٥
مَنْ أَفَكَ (٩)	٩	٨٣٥
قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠)	١٠	٣٨٥
الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١)	١١	
يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ (١٢)	١٢	٣٨٦
يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣)	١٣	
ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ	١٤	٢٩٠
مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ	١٦	٣٨٧
كَأَنَّهُمْ قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧)	١٧	٣٨٩
مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧)	١٧	٢٩٤
فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (٢٣)	٢٣	٢٦٦-٨٥
وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢)	٢٢	٥٢٠
وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)	٢١	٣٩٨-٤٢٠
	٢١	٥١٩
فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (٢٣)	٢٣	٥٢١



الآية	رقم الآية	الصفحة
وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)	٢١	٣٢٣
فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ	٢١	٨١
أَلَّا تَأْكُلُونَ (٢٧)	٢٧	٢٣٣
ذُو الْعَرْشِ	٥٨	١٨٦
وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)	٢١ -	٣٩٢
	٢٢	

سورة الطور

وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨)	٨-١	٣٥٩-٨٥
إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨)	٨-٧	٢٧٠
يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠)	٩-١٠	٣٦٧
وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨)	٨-١	٢٠
هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤)	١٤	٣٦٨
أَفَسِحْرٌ هَذَا	١٥	٣٦٨
أَوْ لَا تَصْبِرُوا	١٦	
فَاكْهِنَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ	١٨	٣٧٠
هَنِيئًا	١٩	٢٧٣
مُتَكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ	٢٠	٣٧١
كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١)	٢١	٢٧٧
وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ	٢١	٣٧٤
وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠)	٢٠	٣٧١
لَا لَعْنٍ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ (٢٣)	٢٣	٣٧٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦)	٢٦	٣٧٥
وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧)	٢٧	٣٧٥
فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧)	٢٧	١٣٩
وَإِذْ بَارَ التَّجُومِ (٤٩)	٤٩	٣١٤

سورة النجم

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣)	٣-١	٨٥
وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١)	١	٣٣٧-٣١٤
وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣)	٣-١	٣٣٥
مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ	٢	٣٣٦
وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤)	٤-٣	٣٤٠
عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥)	٥	٢١٥
ذُو مِرَّةٍ	٦	
عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥)	٥	٣٤٣
ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩)	٩-٨	٣٤٨
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩)	٩	٣٤٧
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١)	١١	
وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣)	١٣	٣٤٧
مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧)	١٣	٢٦١
وَأَنَّهُ خَلَقَ الزُّوجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى (٤٧)	١٧	٢٨٧-٢٨٦

سورة الرحمن

الآية	رقم الآية	الصفحة
الرَّحْمَانُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)	٤-١	٢٩٢
ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)	٢٧	١٨٦
خَيْرَاتٍ حَسَنًا (٧٠)	٧٠	٣٧٢
رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (١٧)	١٧	٣٥٦-٢٨٢
يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ	٤١	١٧٥

سورة الواقعة

مُتَكِّينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦)	١٦	٣٧١
عُرْيَا أَتْرَابًا (٣٧)	٣٧	٣٧٣
وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَالُكُمْ	٦٠-	١٩٢
نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَالُكُمْ وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١)	٦٠-٦١	٢٨٤
أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ	٥٨-٦٠	٢٨٦
الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَالُكُمْ وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١)	٦٠-٦١	٢٨٣
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢)	٦٢	٢٨٥
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَا أَفْسِسُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠)	٧٥-٨٠	٣١٣
إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧)	٧٧	٣١٨-٣١٥



الآية	رقم الآية	الصفحة
وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦)	٧٦	٣١٥
إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧)	٧٧	
فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨)	٧٨	
		٣٢٢-٣٢٥
لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)	٧٩	٣١٩-٣٢٠
		٣٢١
فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨)	٧٨	٣١٩-٣٢٠
إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨)	٧٧-٧٨	
لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)	٧٩	٢٢٦
لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)	٧٩	٢٢٩
تَرْجِلُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠)	٨٠	٢٦٨
وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢)	٨٢	٣٢٨
فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣)	٨٣	٣٣٠
فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ	٨٣	٢٣٦
فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦)	٨٦	٣٣١
تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧)	٨٧	
وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ	٩٠-	٣٣٣
الْيَمِينِ (٩١)	٩١	
إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥)	٩٥	٣٣٤
مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠)	٨٠	١٧٦
فَظَلَلْتُمْ تَتَفَكَّهُونَ (٦٥)	٦٥	٣٧٠
أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١)	٧١	١٧٠

الصفحة

رقم
الآية

الآية

٨٤ - ٧٥ - ٧٧ فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ

سورة الحديد

١٤٩ ٢٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنَ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَخْلَوْنَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

سورة الحشر

٥٢٢ ١٩ نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

سورة الجمعة

٨٧ ٩ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ

سورة التغابن

٩٥-٨٦ ٧ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُغْنُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُغْنُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧)

سورة الطلاق

١٤٨ ٣-٢ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤)

الآية	رقم الآية	الصفحة
وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (٥)	٥	
سورة التحريم		
وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤)	٤	٢١٥
وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ	١٢	١٣٥
سورة الملك		
أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ وَيَقْبِضْنَ	١٩	٥٢٦
سورة القيامة		
لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢)	٢-١	٩٥
لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢)	٤-٣	٢٤٠
الْإِنْسَانَ أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤)	٤-٣	١٩٦-٢٤٣
يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦)	٦	٢٥٠
يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦)	٦	٢٤٢
فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ (١٠)	١٠-٧	٢٤٤
مَنْ رَاقٍ (٢٧)	٢٧	٢٤٥
أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧)	٣٧	١٦٢
الذِّكْرَ وَالْأُنْثَى (٣٩)	٣٩	١٢٢
وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)	-٢٤	١٩٧
	٢٥	
سورة القلم		
وَمَا يَسْطُرُونَ (١)	١	
سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ	١٦	١٧٥

الآية	رقم الآية	الصفحة
مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢)	٢	٣٠٨
وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣)	٣	٣١٠
وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)	٤	٣١٠
بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ (٦)	٦	
ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢)	٢-١	٢٩١-٨٤
فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَاوُمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ	٣١	
سورة الحاقة		
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣)	٣	١٣٠
حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١)	١١	٢٢٩
وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧)	٤٤-٤٧	٢٧٣
فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصَرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١)	٣٨-٤١	٨٥
فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصَرُونَ (٣٩)	٣٨-٣٩	
فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصَرُونَ (٣٩)	٣٨-٣٩	٢١١
وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢)	٤١-٤٢	٢١٤
فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصَرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠)	٣٨-٤٠	٢٦٦
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠)	٤٠	٢٦٧
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)	٥٢	٢٨١
وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥)	٤٤-٤٥	٢٧٧

الآية	رقم	الصفحة
٤٦	٤٦	
٤٧	٤٧	٢٧٤
٤٩	٤٩	٢٧٩
٥١	٥١	٢٨٠
٢١	٢١	
٤٤	٤٤	٣٢٧

سورة المعارج

٤٠-	٤٠	٢٨٢	فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١)
٤١	٤١		إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١)
٤١	٤١		وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١)
٤٢	٤٢	٢٨٨	فَذَرْنَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ (٤٢)
٤٣	٤٣	٢٨٨	يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفِضُونَ (٤٣)
٤٤	٤٤	٢٨٩	خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُفُهُمْ ذَلَّةٌ
٤٠	٤٠	٣١٤	فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ

سورة المدثر

٥٤-	٥٤	١٠٧	إِنَّهُ تَذَكُّرٌ (٥٤) فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرَهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
٥٦	٥٦		وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤)
٣٣-	٣٣	١٤٦	وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ (٣٣)
٣٤	٣٤		كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا
٣٣-	٣٣	٢٥٦	لِلْأَحْدَى الْكُبْرِ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)

الآية	رقم الآية	الصفحة
وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاللَّيْلُ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحُ إِذَا أَصْفَرَ (٣٤)	٥٦	٢٢٤
	-٣٣	٢٠٤
	٣٤	
إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥)	٢٥	٢٦٨
إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩)	-٢٨	٥٠٤
	١٩	

سورة الانسان

وَلَقَاهُمْ نَصْرُهُ وَرُورًا (١١)	١١	٢٨٩-٢٤٨
إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنُورًا (١٩)	١٩	٣٧٥
وَلَقَاهُمْ نَصْرُهُ وَرُورًا (١١)	١١	
وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨)	٢٨	
وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨)	٢٨	
نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨)	٢٨	٤٦٧-١٢٣
نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨)	٢٨	٢٨٦-٢٨٤
عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١)	٢١	٢٨٩

سورة المرسلات

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنْ مَّا تُوْعِدُونَ لَوْ أَقَعَ (٧)	٧-١	٢٣٥-٨٥
وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنْ مَّا تُوْعِدُونَ لَوْ أَقَعَ (٧)	٧-١	
	٧-٤	
أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ	٢٠	٢٣٩



الآية رقم
الصفحة

٢٢٠

٥٠

فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠)

جزء عم

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨)	النبا	٨	١١٦
فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي	عبس	١٣-١٦	٣١٩
سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦)	النازعات	٢٦	
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً			
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً			
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى			
إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا	النبا	٣١	٣١٠
وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالتَّائِثَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ	النازعات	١-٥	٢٢٥
سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥)			
هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى	النازعات	١٨-٢٣	٨٨
(١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ			
أَدْبَرَ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣)			
إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ	النازعات	١٦	٢٣٣
هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى	النازعات	١٨-١٩	٢٣٣
إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨)	النازعات	١٨	
فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤)	النازعات	٤	
فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ (١٥) الْجَوَارِي الْكُنُوسِ (١٦) وَاللَّيْلِ	التكوير	١٥-٢٠	٨٥
إِذَا عَسْكَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ			
رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠)			
لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ	التكوير	٢٨-٢٩	٢٢٢-١٠٧

اسم السورة رقم الآية رقم الصفحة

الآية

يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)

التكوير ١٦ ٢٢٩

الْجَوَارِي الْكُنُوسِ (١٦)

النازعات ٢٢ ٢٣٤

ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى (٢٢)

عبس ١٧-١٣ ٣٦٠

فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي
سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧)

النبا ٢٦ ٣٧٠

جَزَاءً وَفَاقًا (٢٦)

التكوير ٢٩ ٢٢٤

رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)

التكوير ٢٦ ٢١٩

فَأَنزِلْ تَذَهُبُونَ (٢٦)

التكوير ٢٤

عَلَى الْغَيْبِ

التكوير ٢٤ ٢١٦

وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ

رَجِيمٍ (٢٥)

التكوير ٢٢ ٢١٦

وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢)

التكوير ٢١ ٢١٦

مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ (٢١)

التكوير ٢٠ ٢١٦

ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠)

التكوير ١٨ ٢١٢

وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨)

التكوير ١٨-١٥ ٢٠٨-٨٥

فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ (١٥) الْجَوَارِي الْكُنُوسِ (١٦) وَاللَّيْلِ

إِذَا عَسَفَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨)

التكوير ١٨-١٧ ٢١٢

وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَفَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨)

التكوير ١٨-١٧ ٢٠٤

وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَفَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨)

التكوير ١٦-١٥ ٣١٤

فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ (١٥) الْجَوَارِي الْكُنُوسِ (١٦)

التكوير ٢٢ ٣٣٩

وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢)

التكوير ٢٠ ٣٤٣

ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠)

التكوير ٢٣

وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣)

التكوير ٣ ٣٦٧

وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣)

التكوير ٦ ٣٦٥

وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦)

الانفطار ٧-٦ ١٠١

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧)	الانفطار	١٧	١٣٠
بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨)	الانشقاق	١٦-١٨	٢٠٢
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠)	الانشقاق	١٩	٢٠٥
فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)	الانشقاق	٢٠	٢٠٧-٢٠٦
فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠)	الانشقاق	٢٤-٢٥	١٣٨
بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ (٢٢)	الانشقاق	٢	
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣)	الانشقاق	٢٢	
وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢)	البروج	٢٣	
وَشَاهِدْ وَمَسْهُودٍ (٣)	البروج	١	١٨١
قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤)	البروج	٣	١٨١-١١٧
إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥)	البروج	٤	١٨٣
فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ (١٦)	البروج	١٠	٣٨٦
بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠)	البروج	١٥	١٨٨
فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)	البروج	١٦	١٩٠
بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)	البروج	١٩-٢٠	١٩١
وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١)	الطارق	٢٢-٢١	٣٢٠
التَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣)	الطارق	١	
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥)	الطارق	٣	
إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤)	الطارق	٥	١٩٤
إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨)	الطارق	٤	١٩٧
	الطارق	٨	١٩٧-١٩٥

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩)	الطارق	٩	١٩٧-١٩٦
فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠)	الطارق	١٠	٢٤٩-١٩٦
وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢)	الطارق	١١-١٢	١٩٩
إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤)	الطارق	١٣-١٤	١٩٩
فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُويْدًا (١٧)	الطارق	١٧	٢٠٠
سَتَقَرُّنَّكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ	الأعلى	٦-٧	٢٥٢
قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤)	الأعلى	١٤	١٠١
وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)	الغاشية	٢٠	٣٩٢
وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ (٥)	الفجر	١-٥	١١١
وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤)	الفجر	٤	١١٧-١١٢
هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ (٥)	الفجر	٥	١١٨
لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١)	البلد	١	١٢٠
أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥)	البلد	٥	١٢٦
أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧)	البلد	٧	١٢٧-١٢٦
يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (٦)	البلد	٦	
أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧)	البلد	٧	١٢٧-٣٢٦
أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (٦)	البلد	٦	
وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢)	البلد	٢	١٢٤
أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُوصَدَّةٌ (٢٠)	البلد	١٩-٢٠	١٢٨
فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢)	البلد	١١-١٢	١٣٠-١٢٩
فَلَكُ رَقَبَةٌ (١٣)	البلد	١٣	١٣٠
فَلَكُ رَقَبَةٌ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا	البلد	١٣-٣٧	١٣٠

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤)	البلد	٤	١٢٠
فَكُ رَقَبَةً (١٣)	البلد	١٣	
فَكُ رَقَبَةً (١٣)	البلد	١٣	
فَكُ رَقَبَةً (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ	البلد	١٣-١٤	
اَفْتَحَمَ	البلد	١١	
الْعَقَبَةَ	البلد	١١	
ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا	البلد	١١	
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢)	الليل	١٧	١١٧-١٤٦
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣)	الليل	٣-١	
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤)	الليل	٤-١	١١٧-٨٦
إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤)	الليل	٤	
إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤)	الليل	٤	
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤)	الليل	٤-١	
فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥)	الليل	٥	١٥٦
فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥)	الليل	٥	٢٢٥
فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى (٧)	الليل	٥-٦	١٥٣-٨٨
فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى (٧)	الليل	٧	١٥٢
فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠)	الليل	١٠-٥	١٥٤
وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨)	الليل	٨	

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩)	الليل	٩	
فَسُيِّرَهُ لِلْعُسْرَى (١٠)	الليل	١٠	
إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (١٣)	الليل	١٢-١٣	١٥٩
وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨)	الليل	١٧-١٨	١٦١
ثُجْرَى (١٩)	الليل	١٩	١٦١
إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠)	الليل	٢٠	١٦١
وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا (٢) وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩)	الشمس	١-٩	٩٦-٩٩
وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا (٤)	الشمس	٣-٤	١٤٦
وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى (٢)	الضحى	١-٢	١٦٣
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)	الضحى	١-٢	١٦٣
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠)	الضحى	١٠	١٦٥
وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥)	التين	١-٥	٨٩
وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ	التين	١-٣	١٣٣
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)	التين	٤	١٣٤
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧)	التين	٧	١٤١
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧)	التين	٧	١٤٣
فَمَا يُكَذِّبُكَ	التين	٧	

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨)	التين	٨	١٤٥
ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦)	التين	٦-٥	١٧٨-٨٩
أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤)	العلق	١٤-٩	٢٠٧-١٧٩
أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤)	العلق	١٤	١٢٩
وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوْسَطْنَهُ جَمْعًا (٥) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦)	العاديات	٦-١	٣١٢-١٢٩
فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢)	العاديات	٢	١٦٧-٨٩
وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣)	العاديات	٣-١	١٧١-١٦٨
وَطُورِ سِينِينَ (٢)	التين	٢	٣٥٩
إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦)	العاديات	٦	٩٧
وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧)	العاديات	٧	
وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧)	العاديات	٧	١٧٣
وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧)	العاديات	٧	١٧٣
وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨)	العاديات	٨	
كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥)	التكاثر	٥	٨٢
كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧)	التكاثر	٧-٥	٢٧٩-٨٩
ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧)	التكاثر	٧	٢٨٠
وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)	العصر	٣-١	

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)	العصر	٣	١٧٨-١٧٩
إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)	العصر	٢	١٧٨
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)	العصر	٣	
وَيُلْ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢)	الهمزة	١-٢	
الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)	الماعون	٦-٧	٢٦٤
فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)	الماعون	٤-٧	١٧٤
فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢)	الكوثر	٢	١١٣
عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧)	القارعة	٧	٣٨٢
الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)	الماعون	٦-٧	٣٩١

فهرست أطراف الحديث

رقم الصفحة

طرف الحديث

الألف

٩٧	أتلومني على أمرٍ قدَّره الله عليّ
٥١٣	أحرص على ما ينفعك
٤٣٨-٤٢٧	أخبرني بمن أنفا جبريل
٨٧	إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون
١١٤	إذا خشيت الصبح فأوتر بواحدة
٤٢٧	إذا علا ماء الرجل ما المرأة
٤٣٠	إذا علا ماؤها ماء الرجل أشبه أخواله
٤٤٢	إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة
٣٢٩	أربع في أمتي من أمر الجاهلية .. مطرنا
١٥٦-١٥٤	أعملوا فكل ميسر لما خلق له
٢٥٠	أعوذ بوجهك
١١٣	أفضل الأيام عند الله يوم النحر
١٥٤	أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب؟
٢٩٥	أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة
٨٩	ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا
٣٤٢	ألا إني أوتيت الكتاب ومثله
٥٢٦	ألا تصفون كما تصف الملائكة
١٠٥	اللهم آت نفسي تقواها

رقم الصفحة

طرف الحديث

١٩٨	اللهم اجعل سريري خيراً من علاني
٣٢١	اللهم اجعلني من التوابين
٢٠٣	اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك
٥١٢	اللهم يا مقلب القلوب
٤٧٠	ألم أجدكم ضلالاً فهذاكم بي؟
١٣٩	أمر من أكل من لحم الإبل بالوضوء
٤٢٧	أما أول أشراط الساعة فنار
٣٤٠	إن أبني هذا كان عسيفاً.. فزني بامرأته
٤٣٧	إن أسمى محمداً الذي سماني به أهلي
٣٤١	أنزع عنك الجبة وأغسل أثر الطيب
١١٣	أن لا يحج بعد العام مشرك
١١٣	أن لا يطوف بالبيت عريان
٤٣٣-٤٣٢	إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً
١٩٥	إن أول ما خلق الله القلم
٣٨٤	إن بعد ما بينهما.. — حديث الأوعال
١٣٢	إن بين أيديكم عقبة كؤودا
	إن بين كل سمائين مسيرة خمس مئة عام
١٠٥	أنت وليها ومولاها
432-433	إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه
٤٢٥	إن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن امرأتى
٤٨٠	إن سبعين ألفاً من أهل الجنة يأكلون زيادة كبد الخوت
٣٤١	إن عنده كتاباً نزل به الوحي وما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٤٦	إن في الجسد مضغة إذا صلحت
١١٣	إن الله بريء من المشركين ورسوله
٤٢٤	إن الله خلق آدم من قبضة
٣٤٩	إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام

رقم الصفحة

طرف الحديث

٢٣٢

أن لا يمس القرآن إلا طاهر

٤٤٢

إن ملكا موكلا بالرحم

٤٥٠

إن النبي صلى الله عليه وسلم مر على امرأة مجح

٣٤٨

إنما ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجال

٤٤٢

إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة

٣٤٧

إنما هو جبريل لم أره على صورته غير

٢٥٠

إنه لا بد أن يقع في أمته خسف

٣٥١

إنه لم ير ربه

٥١٣

إنها لمشية ييغضها الله

٤٧٨

إن أبيت يطعمني ربي ويسقين

٤٧٨

إني أظل عند ربي يطعمني

427

إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي

٣٥٩

أوحى الله عز وجل إلى الجبال ..

٣٤١

أين السائل آنفاً؟

٤٣٧

أينفعك شيء إن حدثتك؟ قال: أسمع بأذني

٤٣٧

أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض

الباء

٤٣٦-٤٣٧

بلغ عبدالله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة

٣٨٨

بلغه عن زينب

٣٧٦

بينما نبي الله جالس في أصحابه أتى سحاب

٤٣٠

تربت يداك فبم يشبهها ولدها

٣٧٨

تصدق بصدقة يمينه يخفيها عن شماله

الثاء

٣٤٧

ثلاث من تكلم بواحدة منهم فقد أعظم على الله الفرية

الجيم



رقم الصفحة

طرف الحديث

٤٧٥

جاءكم أهل اليمن هم أرق قلوبا

٣٥٠

جنتان من ذهب

الحاء

٣٨٤-٣٦٢

حديث الأوعال

٣٨٤

حديث في صفة الدجال

٤٧٠

حرم الله لحوم الحمر الأهلية

١٤١

حق الله على عباده إذا وحدوه أن لا يعذبهم

٢٦٠

الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا

الخاء

٤٣٨

خبرني أنفا جبريل

٢٠١

خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى البقيع

الراء

٣٤٧

رأى جبريل عليه السلام

٣٤٧

رأى جبريل في صورته

٣٤٧

رأى رفرقا أخضر يسد الأفق

٣٥٠

رأس محمد ربه بفؤاده مرتين

٣٥٠

رأيت ربي

١٥٣-٣٥٢-٣٥١

رأيت ربي البارحة في أحسن صورة

105

رب أعط نفسي تقواها

١٨٥

ربنا ولك الحمد أهل الثناء والمجد

٢٩٧

رفع صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء إلى مستوى يسمع فيه صريف

الأقلام

٤٢٣

الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان

رقم الصفحة

طرف الحديث

الزاي

٣٧١

زوجتكها بما معك من القرآن

السين

٤٣

سألت أم سليم رسول الله عن المرأة ترى في منامها

٤٣٨

سبحان الله لقد قف شعري / عائشة

٣٣٧

سبحان ربي الأعلى

٣٤٢

سعر لنا قال : لا تسألني عن سنة أحدثها فيكم

٢٩٧

سماع النبي صلى الله عليه وسلم صريف الأقلام ليلة الإسراء

٢٥٠

سيكون في أمي خسف

الصاد

١١٤

صلاة الليل مثنى مثنى

٣٥١

صليت ما شاء الله من الليل

٤٥٤

صياح المولود حين يقع نزغه من الشيطان

العين

عجبت لها فتحت لها أبواب السماء

عرشه على الماء

٣٣٩

عليكم بسنتي وسنة الخلفاء

الفاء

٣٨٨

فأتق الله يا عثمان فإن لأهلك عليك حقا

٤٤٠

فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة

٢٠٧

فأخنست / أبو هريرة

٤٣٨

فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها مأوه

رقم الصفحة

طرف الحديث

٣٣٨	فإن لأهلك عليك حقاً وإن لضيئك
٣٨٧	فإنها الرقيع سقف محفوظ
٤٢٥	فإن له ذلك ؟ قال: عسى أن يكون نزع عرق
٣٨٨	فإن أنام وأصلي وأصوم وأفطر
٤٧٦	فتدلق أفتاب بطنه
٩٧	فحج آدم موسى
٢٠١	فخرج رويدا وأجاف الباب رويدا
٣٥٩	فشمخت الجبال كلها إلا جبل الطور
٣٨٨	فصم وأفطر وصل ونم
٤٣٩	فطاف عليهن فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة
٤٩٤	فكل تسبيحة صدقة ولك تحميدة صدقة
٨٧	فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا
425	فما ألوانها ؟ قال: سود
٤٣٧	فما تحفتهم حتى يدخلوا الجنة قال: زيادة كبد الحوت
٤٢٦	فما الرزق؟ فما الأجل؟ فما العمل؟
٤٢٥	فمن أجرب الأول؟
	فمن أول الناس إجازة؟ قال: فقراء المهاجرين
٤٣٩	فو الذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا
٤٢٦	فيقضي الله ما يشاء ويكتب الملك
٣٤٩	فيكشف الحجاب فينظرون إليه
	القاف
٤٣٩	قال سليمان عليه السلام لأطوفن
١٨٨	قد أردت منك أهون من هذا
٢٩٥	قدر الله مقادير الخلائق
٩٧	قصة احتجاج آدم وموسى

رقم الصفحة

طرف الحديث

الكاف

- ٢٥٠ كائن في أمته قذف
٤٧٧ الكافر يأكل في سبعة أمعاء
٣١٠ كان خلقه القرآن
٩٠ كانت أكثر عيون رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ومقلب القلوب
٣٤٣ كان رسول الله ﷺ أشجع الناس
٤٥٥ كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه حين يولد
٤٥٠ كيف يورثه وهو لا يحل له

اللام

- ٤٣٩ لأطوفن الليلة على سبعين امرأة
٣٤٢ لا تسألني عن سنة أحدثها فيكم
٣٢٢ لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر
٥١٥ لا حسد إلا في اثنتين
٥١٢-٦٠ لا ومقلب القلوب
١١٣ لا يحج بعد العام مشرك
١١٣ لا يطوف بالبيت عريان
٤٥٠ لعل سيدها يريد أن يلم بها
٤٣٧ لقد سألتني هذا الذي سألتني عنه
٤٥٠ لقد هممت أن ألعنه لعنة تدخل معه في قبره
٣٧٧ لما خلق الله الأرض جعلت تميد
٣٥٤ لما كانت ليلة أسري بي رأيت ري
لم يرسل عليهم من الريح إلا قدر حلقة
٣٥١ لن تروا ربكم حتى تموتوا
١٤٠ لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله

رقم الصفحة

طرف الحديث

الميم

427

ما أول أشرار الساعة

٤٣١-٤٣٦-٤٣٧

ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر

٣٨٤

ما تسمون هذه ؟ قالوا: السحاب

١١٢

ما رويء الشيطان في ليلة أدرح ولا أحقر

٢٧٤

ما زالت أكلة خبير تعاودني فهذا

١١٢

ما من أيام.. أحب إلى الله من هذه الأيام العشر

١١٢

ما من أيام العمل الصالح أحب

١٥٤

ما منكم من أحد إلا وقد علم مقعده

٤٥٤

ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان

٣٦٥

ما من يوم إلا والبحر يستأذن

١٧٩

مرها فلتصبر ولتحتسب

١١٤

المغرب وتر النهار

٣٢٩

مطرنا بنوء كذا

١٧٥

ملا الله أجوافهم وقبورهم نارا

٤٢٧

من أي شئ يترع الولد إلى أبيه... وأحواله

٣٤٧

من زعم أن محمداً رأى ربه

٢٤٦

من القائل كلمة كذا

٨٩

من كان حالفاً فليحلف بالله

٤٤٩

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسقي

٤٤٠

من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة

477

المؤمن يأكل في معي واحد

النون

٢٨٠

نحن أحق بالشك من إبراهيم

رقم الصفحة

طرف الحديث

٤٣٠

نعم، إذا رأيت الماء

فهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال

٣٤٩

نور أنى أراه

الهاء

هذا أهون أو هذا أيسر

٤٨١-٢٧٤

هذا أو انقطاع البهري

٣٨٦-٣٨٤

هذا العنان، هذه روايا الأرض

٣٨٤

هذه روايا الأرض

٣٨٤

هل تدرون ما بين السماء والأرض

٣٨٤

هل تدرون ما فوقكم فإنها الرقيع

٣٤٨

هل رأى محمد ربه

هل على المرأة من غسل إذا احتلمت

٤٢٥

هل فيها من أورق

٤٢٥

هل لك من إبل

378

هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال: الحديد

٤٣٧

هم في الظلمة دون الجسر

هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون

هؤلاء للنار ويعمل أهل الناس يعملون

الواو

٤٢٨

وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل آنت

٤٢٧

وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الخوت

٤٢٧

وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة

٣٤٠

والذي نفسي بيده لأقضين بينكما

٣٨٤

ورأسه حيك

١٠٥

وزكها أنت خير من زكاها

رقم الصفحة

طرف الحديث

- ١٤٠ ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته
- ١١٢ ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله
- ٤٢٥ وهذا عسى أن يكون نزعة عرق
- ٤٣٠ وهل يكون الشبه إلا من ذلك
- الياء**
- يا رب أذكر أم أنثى فيقضي الله
- ٣٨٧ يا رب فهل من خلقك أشد من الريح
- ٣٨٧ يا رب فهل من خلقك أشد من النار؟
- يا رب ما رزقه، وما أجله
- يا رب نطفة ، يا رب علقه
- 388 يا عثمان أرغبت عن سنتي؟
- ٤٤١ يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم
- ٤٩٤ يصبح على كل سلامي من أحدكم
- ٤٥٥ يمسه حين يولد فيستهل صارخا
- ٤٣٧ ينحر لهم ثور الجنة لاذي يأكل من أطرافها

فهرس الآثار

الصفحة	قائله	الأثر
		أ
١٣٢	بعض الصحابة	ألا أبكي وبين يدي عتبة
١٦٥	يحيى بن آدم	إذا جاء طالب العلم فلاتنهره
١٢٩	ابن عباس	أرشد أوليائي إلى العمل بطاعتي
١٢٤	الليث	الأسر : قوة المفاصل
١٦٦	مقاتل	اشكر هذه النعمة
١٦٥	الكلبي	أظهرها ، والقرآن أعظم نعمة
١٧٠	مجاهد	أفكار الرجال تورينار المكر
٢١٢	مجاهد والحسن	اقبل بظلامه
٢٦٦	قتادة	أقسم بالأشياء كلها
٣٣٥	الكلبي	أقسم بالقرآن إذ نزل منجماً على رسول الله
		أما إنه ليس بالسائل الذي يأتيك
١٦٥	الحسن	ولكن طالب العلم
١٩٥	مقاتل	إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب
٢٧٤	مجاهد	إن يشأ الله يربط على قلبك
٢٧٤	قتادة	إن يشأ ينسيك القرآن
١٨٥	الحسن	انظروا إلى هذا الكرم والجود
	ابن عباس	إنه أرذل العمر
١٣١	مقاتل	إنها عقبة جهنم
١٢٣	ابن عباس	أي : خلقهم
٣١٣	مقاتل و قتادة	آيات القرآن ومواقع نزولها

الصفحة

قائله

الأثر

ب - ن

٣٧٢	قتادة	بحور : أي بيض
٣٨٤	عكرمة	بنيانها كالبرد المسلسل
٢٦٦	مقاتل	بما تبصرون من الخلق وما لا تبصرون منه
١٩٩	ابن عباس	تبدي بالمطر ثم ترجع به في كل عام
٢٦٦	الكلبي	تبصرون من شيء وما لا تبصرون من شيء
١٩٧	مقاتل	تظهر وتبدد

ج - ح - خ

٢٣٠	عبدالرحمن بن سابط	جبريل موكل بالرياح والجنود
٣٨٣	سعيد بن جبير	الحبك : حسننها واستواؤها
٣٧٢	مقاتل	الخور : البيض الوجوه
١١٥	ابن زيد	الخلق كله من شفع ووتر
١١٦	أبو صالح	خلق الله من كل شيء زوجين اثنين

ذ -

٣٨٣	قتادة	ذات الخلق الشديد
١٩٩	أبو إسحاق	الرجع : المطر

ل - لل - لله

٣٤٧	مسروق	سألت عائشة : هل رأى محمد ربه ؟
٣٦٥	الليث	السجر : إيقادك في التنور
١٠٤	سعيد بن جبير ومقاتل	سعدت نفس وأفلحت
٢٠٥	مروق والشعبي	السماء طبق
١٨٧	ابن عباس	السموات السبع في العرش كسبعة دراهم
١٥٣	عطاء	سوف أحول بين قلبه وبين الإيمان بي
٢٠٧	عطاء	شدة بعد شدة
١٢٤	الحسن	شددنا أوصالهم
١١٧	مقاتل	الشفع الأيام والليالي
١١٥	عطية العوفي	الشفع الخلق والوتر هو الله
٢٠٣	الكلبي	الشفق الحمرة التيتكون في المغرب

الصفحة

قائله

الأثر

ع

٢١٢	علي بن أبي طالب	عسعر : ولي وذهب وأدبر
٣٧٣	ابن الأعرابي	العروب من النساء : المطيعة لزوجها
١٣١	الحسن	عقبة والله شديدة
١٣١	الحسن	العقبة مثل ضربه الله لمجاهدة النفس
١٩٥	مجاهد	على رد الماء في الإحليل لقادر
١٩٥	عكرمة والضحاك	على رد الماء في الصلب
١٥٩	قتادة	على الله البيان

فـ ق

٢١٩	أبو إسحاق	فأي طريق تسلكون أبين منهذه الطريقة
٢٢٩	مسروق ومقاتل والكلبي	(فالسابقات سبقاً) هي الملائكة
٢٣٥	الحسن	فسرت بالسحاب
١٣١	قتادة	فإنها عقبة شديدة
١٠٢	الحسن	قد أفلح من زكى نفسه
١٠٤	ابن عباس	قد أفلحت نفس من زكاها الله وأصلحها
	الليث	القب مضغة من الفؤاد
١٩٠	ابن عباس	(قرآن مجيد) أي : كريم
٣٧١	يونس	قرناهم بهم

ك

٥٢٣	الأوزاعي	كان السلف إذا طلع الفجر
١٢١	أبو طالب	الكبد : الاستواء والقامة
١١٦	الحكم	كل شيء شفع والله وتر
٩٥	ابن عباس	كل نفس تلوم نفسها
٢٠٨	مقاتل	الكواكب تخنس بالنهار

ل

١٦٤	مجاهد	لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيماً
٣٢٤	البخاري	لا يجد طعمه إلا من آمن به
٣٢٠	مجاهد	لا يصيبه تراب ولا غبار
٢١٧	مجاهد	لا يضمن عليهم بما يعلم

الصفحة	قائله	الأثر
٢٠٦	ابن عباس	لتصيرن الأمور حالاً بعد حال
٢٠٥	ابن عباس	لتركبن سماء بعد سماء
٢٠٧	سعيد بن جبير وابن زيد	لتكونن في الآخرة بعد الأولى
٥٢٨	ابن عباس	لعمرك أي : وحياتك
٥١٢	بعض السلف	للقلب أشد تقلباً من القدر
٢١٧	ابن عباس	ليس بخيلاً بما أنزل الله
٣		
٣٥٦	ابن عباس	ما زاغ البصر يميناً ولا شمالاً
٣٨٣	مجاهد	متقنة البيان
٣٦٤	علي بن أبي طالب	مسجور : موقد
٣٦٥	ابن عباس	المسجور : المحبوس
٣٦٥	أبو زيد	المسجور : المملوء
٣٢٠	أبو إسحاق	مصون في السماء
٣٢٠	الكلبي	مكون من الشياطين
١٤٣	قتادة	من يكذبك أيها الرسول بعد هذا بالدين
١٢٠	أبو صالح والضحاك وإبراهيم	منتصباً على قدميه
٣١٣	الحسن	مواقعها انتشارها وانكدارها
١٧٠	قتادة	الموريات هي الخيل
ن		
٢٢٨	ابن عباس	النازعات الملائكة تترع الكفار بشدة
٢٢٧	الحسن	النازعات هي النجوم
٣٣٧	أبو حمزة اليماني	النجوم إذا انتشرت يوم القيامة
٢٠٨	علي بن أبي طالب	النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل
٣٣٧	الحسن وعكرمة	النجوم التي ترمى بها الشياطين
١٥٣	عكرمة	نيسره للشر
هـ		
١٣١	مقاتل	هذا مثل ضربه الله يريد أن المعتق رقة . . .
١٦٩	محمد بن كعب القرطبي	هم الحاج إذا أوقدوا نيرانهم
١٧٠	سعيد بن جبير	هم الذين يغيرون فيورون نيرانهم

الصفحة	قائله	الأثر
١٧٢	ابن عباس وأصحابه	هو البخيل الذي يمنع رفته
٢٠٣	عكرمة	هو بقية النهار
	ابن عباس	هو جبل القلب ونياطه
١٧٢	ابن عباس	هو الكفور
١٦٥	أكثر المفسرين	هو سائل المعروف والصدقة
١٧٢	الحسن	هو اللوام لربه يعد المصائب وينسى النعم
٢٣١	ابن عباس	هم الملائكة وكلهم الله بأمر عرفهم العمل بها
٢٠٣	مقاتل	هو الذي يكون بعد غروب الشمس
١٧٠	عكرمة	هي الألسنة توري نار العداوة
٢٣٨	أبو صالح	هي الأمطار تنشر الأرض أي تحييها
٢٢٦	السدي وعطاء	هي أنفس الكفار
١٦٧	ابن عباس والحسن	هي خيل الغزاة
٢٣٧	ابن مسعود والحسن ومجاهد	هي الرياح تأتي بالمطر
٢٢٧	مجاهد	هي شدائد الموت وأهواله
١٣١	عطاء	هي عقبة جهنم
٣٧٣	البخاري	هي الخنجة ، ويقال : الشكلة
٢٢٧	عطاء	هي القيس
٢٣٧	مقاتل	هي الملائكة تنشر كتب بني آدم
١٣٥	مجاهد	هي النار بعضها أسفل من بعض
٩٦	الحسن	هي النفس المؤمنة
ي		
١٩٧	عبدالله بن عمر	ييدي الله يوم القيامة كل سد
٢٥٠	ابن عباس	يريد أن يستغيض فيذهب
٥٢١	ابن عباس	يريد إنه لحق واقع كما تنطقون
٢٨٤	مجاهد	يستبدل بهم من شاء من عباده
	مقاتل	يعسر عليه أن يعطي خيراً
٣٣٧	ابن عباس ومجاهد	يعني : الثريا إذا سقطت وغابت
١٢٢	ابن عباس	يعني حمله وولادته ورضاعه . . .

فَهْرَسَاتُ الْأَعْلَامِ

الألف

١٣٦-١٢٠	إبراهيم بن زيد
	أبو بكر الصديق
٣٣٧-٣٣٦-٣٢٣	أبو بكر بن محمد بن حزم
٣٥٤-٣٥٣-٣٥٢	الأثرم
٥٠٢-٤٥٢-٣٥٢-٣٢٣	الإمام أحمد بن حنبل
٣٦٢	الأحنف بن قيس
٣٢١	أبو الأحوص
٣٦٧-٣١٢-٢٢٣-٩٣-٩٢	الأخفش
٥١٥	آدم (أبو البشر)
٤٥١	أرسطو
٣١٨	الأزهري
٣٢٢	إسحاق
٣٣٢-٢٤٢-٢١٩-١٩٩-١٥٩	أبو إسحاق
٨٦	الأشعري
٤٨١-٤٧٥	الأصمعي
٣٣٧-١٠٣	ابن الأعرابي
٣٦٧-٢٣٦	الأعشى
٣٥٣	الأعمش

أفلاطون	٤١٦
أنس بن مالك	٤٣٨-٣٧٧-٣٥٣-٣٢١
الأوزاعي	٥٢٣-٣٤١

الباء

البخاري	٣٧٨-٣٧٣-٣٤٧-٣٢٤-١٨٥
أبو بشر	١٦٦
بقراط	٤٧٠-٤٤٥-٤٢٦

التاء والثاء

الترمذي	٣٥٣
أبو تمام	٣٠٧
ابن تولب	٣٦٤
ابن تيمية	١٠٨-٩٦
ثوبان	٤٣٦-٤٣١-٤٢٧-٣٥٠

الجيم

جالينوس	٤٣٥-٤٣٠-٤٢٦
الجرجاني (الحسن بن يحيى)	٣٣١-٢٣١-٩٤
جرير	١٩٢
ابن جرير	٩٣
ابن جريج	٣٤١-١٧١-١٢٢
الجعدي	٣١٦
جعفر بن سليمان	٣٥٩
جميل بن معمر	٢١٧
جهم بن صفوان	٨٦
ابن الجوزي	٢٨٤
الجوهري	٤٨١-٤٧٥

الحاء والحاء

٣٢٢	الحاكم
٩٢	أبو حاتم
٤٤٤-٤٤٢-٤٤١-٤٢٦	حذيفة بن أسيد
٣٢٢	حرب الكرماني
٣٤١	حساب بن عطية
٩٦-١٠٢-١١٦-١٢١-١٢٤-١٣١	الحسن البصري
١٣٤-٢٣٥-٢٣٧-١٦٥-١٦٧-١٧٢	
٢١٢-٢٢٧-٣١٣-٣٣٨	
٣٥٤	حسين الأشيب
٤٣٩	حسين بن الحسين
٣٥٣	حماد
٣٣٧	أبو حمزة اليماني
٤٥٢	أبو حنيفة
١١٣-١٩٣	الخليل

الذال والذال

٣٦١	أبوداود السجستاني
٤٩٤-٣٤٩	أبو ذر
٣٦٤-١٩٢	ذو الرمة

الراء والزاء

٢٢٩	أبو روق
١١٥	ابن الزبير
٩٩-١٦٦-١٦٧-١٩٢-٢٠٢-٢٠٩	الزجاج
٢٣٠-٢٨٨-٥٢١	
٣٤٧	زر بن حبش
٢٨٥-٣٠٩-٥٢٧	الزحشري

٣٣٥	زهير بن أبي سلمى
٣٥٤	زياد بن الحصيني
٣٦٥-٣٣٦	أبو زيد
٢٤٢-٢٠٧-١١٦	ابن زيد

السين

-٣٨٣-٣١٣-٢٠٧-١٧٠-١٢١-١٠٤	سعيد بن جبر
١٢١	سعيد بن أبي الحسن
٣٢١	سعيد بن منصور
٣٤٠	أم سلمة
٤٣٠	أم سليم
٣٣٢	سليمان بن عبد الملك
٣٦١	سماك
١٩٣	سيويه
٥٢٠	ابن سيرين

الشين

٣٤١-٣٤٠-٤٥٢-١٧٧	الشافعي
١٢٥	شرحبيل بن سعد
٢٠٥	الشعبي
١٨٥	شعيب بن الربيع
٤٨١	الشمخ
٣٨٣	شمر بن حمدويه

الصاد والضاد

٢٢٦-١٦٧-١٢٠-١١٦	أبو صالح
٣٦٧-٣٦٤-٣٣٥-١٩٥-١٣١-١٢٠	الضحاك

الطاء

٣٥٤	الطفيل
-----	--------

٣٤١

طاووس بن كيسان

١٢١

أبو طالب

٣٣٧

أبو طلحة

العين

٤٣٠-٣٥٥-٣٥٢-٣٥١-٣٤٨

عائشة (أم المؤمنين)

٣٢١

عاصم الأحول

٣٦٥-٣٥٤-١٣٤

أبو العالية

٤٤١

عامر بن وائلة

٢٩٥

عبادة بن الصامت

٣٦٢

العباس بن عبدالمطلب

١٠٣

أبو العباس

٢٣٠

عبدالرحمن بن سابط

٤٤٠

عبدالرحمن بن عبدالله

٣٥٥-٣٥٤-٣٥٣

عبدالرحمن بن عايش

٣٥٣

عبدالرحمن بن يزيد

٣٥٩

عبدالله بن أحمد

٤٣٠

عبدالله بن سلام

١٢٠

عبدالله بن شداد

-١٢١-١٢٠-١١٤-١١٢-١٠٣-٩٥

عبدالله بن عباس

-٢٠٥-١٩٤-١٨٧-١٧٣-١٧٢-١٧٠

-٢٣١-٢٢٨-٢٢٦-٢١٧-٢١٢-٢٠٨

-٣٥٣-٢٥٠-٢٤٩-٢٤٢-٢٣٧-٢٣٥

-٤٨١-٣٧٢-٣٦٥-٣٦٤-٣٥٦-٣٥٤

٥٢١

٢٠٢-١٩٨-١٩٧-١٧٨

عبدالله بن عمر

٢٩٧-٢٩٦

عبدالله بن عمر

٣٦٢

عبدالله بن عميرة

١٦٧-٢٠٥-٢٢٦-٢٣٥-٢٣٧-٣٤٧-

عبدالله بن مسعود

٤٤١-٤٤٢

٢٠٦-٣٤٢-٣٤٦

أبو عبيد (القاسم بن سلام)

١٢٣-١٣١-١٦٨-٢٠٧-٢١٨-٢٢٧-

أبو عبيدة (معمر بن المثنى)

٣٦٧-٣٧١-٣٧٣

٢١٦-٣٥٠

عثمان بن سعيد الدارمي

١٠٣-١٢٢-١٣١-١٣٦-١٥٣-١٥٩-

عطاء بن أبي رباح

٢٠٧-٢٠٨-٢٢٧-٢٣٥-٢٣٧-٣١٣-

٣٣٥-٥٢٠

٤٣٩

عطاء بن السائب

١١٥-٢٢٦-٣٣٧

عطية العوفي

١١٥

عمران بن الحصين

٣٥٩

أبو عمران الجوني

٣٢٣

أبو عمر بن عبد أكبر

٣٠٩

أبو عمرو بن الحاجب

٤٤٩

عمر بن الخطاب

١٠٤-١٢٠-١٣٦-١٣٨-١٥٣-١٧٠-

عكرمة (مولى ابن عباس)

١٩٥-٢٠٣-٢٣٧-٢٤٢-٢٦٦-٢٧٧-

٣١٣-٣١٨-٣٢٠-٣٢٣-٣٣٥-٣٥٣-

٣٨٤-٥٢٠

٢٥٩

أبو العلاء الهمداني

١٩٨

علي بن الحسين (زين العابدين)

١٣٤-١٦٧-٢٠٨-٢١٢-٢٢٦-٣٦٣-

علي بن أبي طالب

٣٦٤-٣٦٥

علي بن أبي طلحة

٢١٨-٣٤٦

أبو علي الفارسي

الفاء والقاف

٩٤-٩٦-١٤٢-١٤٣-١٤٤-١٥٢-١٥٣-

الفراء

١٥٩-١٦٥-١٦٧-١٩٢-١٩٩-٢٠٢-

٢٠٣-٢١٧-٢٣٠-٢٧٣-٢٨٨-٣٣١-

٣٣٥-٣٦٣-٣٦٤-٣٨٣-٥٢١-

٤٤٠

القاسم بن عبدالرحمن

٣٤٢

القاسم بن مخيمرة

٩٢

أبو القاسم الزجاجي

٩١-٩٣-٩٦-١٠٢-١١٥-١٢٢-١٣١-

قتادة بن دعامة السدوسي

١٣٦-١٤٢-١٤٣-١٤٤-١٥٩-١٧٠-

٢٠٨-٢٣٥-٢٣٧-٢٤٢-٢٦٦-٢٧٤-

٢٧٨-٣١٣-٣٥٣-٣٧٢-٣٨٣-٣٨٨-

١٠٢-١٧٣-٢٤٢-٢٧٣-٣٧٤-

ابن قتيبة

الكاف

٤٣٩

أبو كريب

٣٦٤

كعب الحميري

١٠٤-١٣١-١٣٦-١٥٢-١٦٥-٢٠٣-

الكلبي

٢٢٩

اللام

١٢٣-٣٦٣-٣٦٤-

ليد

١٢٤-٢٠٢-٣٣٦-٣٦٤-

الليث

الميم

١٢٤-١٩٢-٣٤٥-٣٤٦-٣٧٣-

المبرد

١٠٤-١١٤-١١٦-١٢١-١٢٢-١٢٤-

مجاهد

١٣١-١٣٤-١٤٢-١٥٩-١٦٤-١٦٥-

-٢١٢-٢٠٥-٢٠٣-١٩٥-١٧٠-١٦٦

-٣٩٣-٣٧٢-٣٦٤-٢٢٩-٢٢٧-٢١٧

٥٢٠

٤٤٥

٣٥٩

١٦٩-١٦٧

٣٢٢

١٧٢

٣٥٢

٣٥١-٣٥٠

-٣٤٧-٢٣٧-٢٢٩-٢٢٦-٢٠٥-١١٦

٣٤٨

٣٤٧-٣٤٣-٣٤١

٣٥٥-٣٥٣-٣٥١

٣٥٣

٣٥٢

-١٥٢-١٣٨-١٣١-١١٦-١٠٤-٩٦

-١٩٧-١٩٥-١٦٦-١٦٤-١٥٩-١٥٣

-٣١٣-٢٣٥-٢٣٠-٢٢٩-٢٢٦-٢٠٨

٣٧٢-٣٣٥-٣٣٣-٣٢٠-٣١٨

١٢٠

١٠٥

١٢١

١٤٢

٢٨٤

٣٤٩

محمد بن زكريا

محمد بن عبيد

محمد بن كعب القرظي

محمد بن مسلم الزهري

محمود الوراق

المروذي

المريس

مسروق

مسلم

معاذ بن جبل

معبد

معمر بن شداد

مقاتل

مقسم

ابن أبي مليكة

المنذري

منصور السلمي

المهدوي

أبو موسى الأشعري

النون

١٠٤	نافع بن عمر
٩٣	النحاس
٣١٦	نصيب
٣٤٢	ابن نضلة
٣٥٩	نوف البكالي

الهاء

٤٥٤-٣٨٤-٣٤٧	أبو هريرة
-------------	-----------

الواو

٩٣-١٥٣-١٥٩-٢٠٦-٢١٠-٢٣٢	الواصي
------------------------	--------

٤٨١-٣٨٤

٥٢٣

ابن وهب

الياء

٣٥٣

يحيى بن كثير

١٦٥

يحيى بن آدم

٣٧١-٣٥٣

يونس

٣٥٥-٣٥٢

أبو يعلى (القاضي)

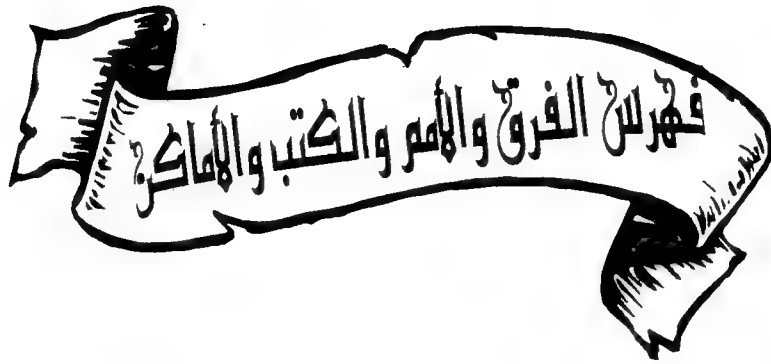
٣٤١-٣٤٠

يعلى بن أبي أمية

فهرس القوافي والشعر

الصفحة	القائل	القافية
٣٤٦	—	يمربكا
٣٣٦	—	الهوى
٣٦٣	ليد	قلامها
٣١٦	إبراهيم بن هرمة	يرزوها
١٩٢	ذو الرمة	بالمغارب
٢٩٢	—	ولا عصب
٣١٦	—	والغضب
١٩٢	—	مطلب
٣٦٤	النمر بن تولب	مسجورة
١٦٨	—	الضح
١٠٣	—	والمسرح
٤٥٦	—	الشدائد
٤٧٨	—	الزاد
١٢٣	ليد بن ربيعة	في كبد
٤٥٥	—	يهدد
١٩٨	الأحوص بن محمد الأنصاري	السرائر
٤٨١	ابن مقبل	بالحجر
٢٣٧	الأعشى	والحاسد
٣١٧	—	تنظر
٤٥٦	—	سروراً
٣١٦	نصيب	أطير

١٤١	—	ضائع
٢٥٩	—	رسائل
٣١٥	—	المطالا
٣٥٦	الحطية	أبو الـ
٣٤٥	الأخطل النصراني	خيالا
٣٦٧	الأعشى	ولا عجل
٥٢٢	—	تزل
٣٠٧	أبو تمام	والمفاصل
٣١٧	ابن بر	الباطل
٤٥٦	—	التشاغل
٥٢١	المتبي	إلى دليل
٣٣٥	زهير بن أبي سلمى	محجم
٤٥٦	—	يعصم
٣٣٩	المتبي	والظلم
١٧٣	محمود الوراق	منظلم
٤٥٧	—	الأحلام
١٩٢	جرير	بسلام
١٧٧	حميد بن ثور الهلالي	ماتيمما
٥٢٨	—	سكران
٣١٧	عوف بن ملحمة الخزاعي	إلى ترجمان
٤٨١	الشماع بن ضرار الذبياني	الوتين
١٥٣	—	وللدين
٢١٨	عبدالرحمن بن حسان	ظنين
٤٥٥	—	مالكه
٣١٦	—	فتكارمه
٣١٦	النابعة الذبياني	فاني
٣٩٧	—	هواديا



٣٢٤	الأرائين
٥٢٧	الاعتزال
١٨٤	أهل الغشراك
١٨٤	أهل البدع
١٨٤	أهل الرأي المحدث
١٠٨	أهل مدين
٣٦١	البيت الحرام
٣٦٠	البيت المعمور
١٣٣	بيت المقدس
٢٢٢-١٥٥-١٠٧	الجبرية
٣٦٥-٢٥٨	الدهرية
١٨٤	الرافضة
١٩٢	زحل
٤٧١-٤٥٤-٤٢٦-٢٥٨	الزنادقة
١٤٤	الصفاء والمروة
٤٧١-٤٥٤-٤٢٦-٣٦٥-١٨١	الطبايعية
١٣٤	طور سينين
١٦٨-١٦٧-١١٢	عرفة
٤٢٦-٣٦٥-٢٥٨-٢١٦-١٨١	الفلاسفة
٢٢٢-١٥٥-١٣٨-١٠٧	القدرية

١١٩-١١٨-١١١-١١٠-١٠٩-١٠٨

قوم ثمود

١٠٩

قوم شعيب

١١٩-١١٨-١١١-١١٠-١٠٨

قوم عاد

١١٩-١١٨-١١١-١٠٨

قوم فرعون

١٠٨

قوم لوط

٤٢٦

كتاب رأي بقراط وأفلاطون

٣٥٩

كتاب الزهد

٤٣٥

كتاب الشفاء

٤٨١

كتاب الصحاح

٤٥١

كتاب القانون

١٨٤

اللوطية

٣٢٤

المتسفسطين

٣٢٤

المتصوفين

٣٢٤

المتكلمين

١٦٩-١٦٨-١٦٧-١١٤

مزدلفة

٣٢٢

مسائل حرب

-٥٢٧-٣٥٠-١٨٤

المعطلة

١٦٩-١٣٤-١٢٤

مكة

٣٦٥-٢٥٨-١٨١

الملاحدة

١٦٧

منى

١٩٢

نجم الثريا

٣٥٠

نقض الدارمي على المريسي

المصادر والمراجع

- ١ - إرواء الغليل، محمد ناصر الدين الألباني. ط ٢. بيروت: المكتب الإسلامي. ١٤٠٥هـ — — ١٩٨٥م.
- ٢ - الإصابة في تميز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). بيروت: دار الكتب العملية. (مصورة عن النسخة الهندسية سنة ١٨٥٣م)
- ٣ - إعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ). تعليق: طه عبدالرؤوف. بيروت: دار الجيل.
- ٤ - أنباه الرواة على أنباه النحاة، للوزير أبي الحسن علي بن يوسف القفطي.
- ٥ - الأم، لأبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) بيروت دار الفكر، ١٤١٠هـ — — ١٩٩٠م.
- ٦ - الأعلام، لخير الدين الزركلي. ط ٦. بيروت: درا العلم للملايين، ١٩٨٤م.
- ٧ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ل محمد الأمين بن محمد الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) الرياض : المطابع الأهلية، ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣.
- ٨ - الاستيعاب في أسماء الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر القرطبي (ت ٤٦٣هـ). بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٥٩هـ (مطبوع مع الإصابة).
- ٩ - إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، لبعدا الباقي بن عبد المجيد اليماني (ت ٧٤٣هـ — — تحقيق : د. عبد المجيد دياب . ط، الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث الإسلامية، ١٤٠٦هـ.
- ١٠ - الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني (علي بن الحسين). نشر : مؤسسة جمال، دار الكتاب.

- إرشاد الميزي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر، لأبي العز محمد بن الحسين الواسطي القلاني تحقيق عمر حمدان الكتيبي. ط ١. جامعة أم القرى.
- إبطال التأويلات لأخبار الصفات، لأبي يعلى محمد بن الحسين ابن محمد بن الفراء (ت ٤٥٨هـ). تحقيق : أبي عبدالله محمد بن حمد الحمود النجدي. الكويت: دار إيلاف الدولية.
- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، للإمام أبو عبدالله عبد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي (ت ٣٨٧هـ). تحقيق : د. يوسف بن عبدالله الوابل. دار الراية. وأيضا الكتاب الثاني بتحقيق: د. عثمان عبدالله آدم الأثيوبي.
- كتاب الإقناع في القراءات السبع، لأبي عفر أحمد بن علي الأنصاري ابن الباذش (ت ٥٤٠هـ). تحقيق : د. عبد المجيد قطامش. ط ١ - ١٤٠٣هـ.

ب

- البحر المحيط (التفسير الكبير)، لأبي عبدالله محمد بن حيان الأندلسي (ت ٧٥٤هـ) الرياض: مكتبة النصر الحديثة (تاريخ النشر : بدون) طبعة أخرى: ط ١. مصر مطبعة السعادة ، ١٣٢٨هـ - ١٩٨٥م.
- البداية والنهاية، لأبي الفداء ابن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ). تحقيق : د. أحمد أبو ملحوم وغيره. ط ١. بيروت: درا الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- وطبعة أخرى: ط ٢. بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٧٧م.
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، لجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أياي (ت ٨١٧هـ) تحقيق : محمد المصري. ط ١. الكويت: جمعية إحياء التراث، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- بدائع الفوائد، لابن القيم. تحقيق : محمد بن إبراهيم الزغلي. ط ١ دار المعاني.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية - بيروت.

ت

- تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفيض محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ). ط ١. بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٣٠٦هـ.
- تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ). بيروت: دار الكتب العلمية.
- تفسير عبدالرزاق، للإمام عبدالرزاق بن همام الصفاني (١٢٦ — ٢١١هـ) تحقيق الدكتور. مصطفى مسلم محمد. ط ١. الرياض: مكتبة الرشد.
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ) ط ٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، لأبن كثير (ت ٧٧٤هـ) بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٥هـ — ١٩٨٤م.
- تفسير مجاهد، لمجاهد بن جبر المخومي (ت ١٠٤هـ) تحقيق: عبدالرحمن الطاهر السوري. ط ١. قطر: مطابع الدوحة الحديثة، ١٣٩٦هـ — ١٩٧٦م.
- تقريب التهذيب ن لأبن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق محمد عوامة. ط ١ بيروت وحلب: دار البشائر الإسلامية ودار الرشيد، ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م.
- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٥٣٧٠هـ). تحقيق: أحمد عبدالعليم البردوني. مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لجمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (ت ٧٤٢هـ). تحقيق ك د. بشار عواد معروف. ط ٢. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للإمام الحافظ ابن عبدالبر النمري القرطبي. تحقيق سعيد أحمد أعراب. مكتبة المؤيد.
- تأويل مشكل القرآن، لأبن تيمية ط. دار التراث.

- تفسير غريب القرآن، للإمام أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة. ط ١. بيروت: دار مكتبة الهلال.
- تفسير الحسن البصري، لمحمد عبدالرحيم. مصر: دار الحديث.
- تفسير الحسن البصري، لمحمد عبدالرحيم. مصر: دار الحديث.
- التفسير الكبير، للغمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٤هـ) ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية.
- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ). تحقيق: د. عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان. ط ١ الرياض: دار الرشد.
- تفسير الضحاك (ت ١٠٥هـ). تحقيق: د. محمد شكري احمد الزاوي. ط ١. القاهرة: دار السلام.
- تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة. تأليف: د. عبدالعزيز الحميدي. جامعة أم القرى: (مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي).
- تغليف التعليق على صحيح البخاري، للحافظ بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) تحقيق: سعيد عبدالرحمن القرني. ط ١. دار عمار.
- تفسير مقاتل. مخطوط. مكتبة أحمد باشا. تركيا.
- التذكرة في القراءات الثمان، للإمام أبي الحسن طاهر بن عبدالمنعم المقرئ الحلبي (ت ٣٩٩هـ) ز تحقيق: أرمن رشدي سويد.
- تفسير بحر العلوم: لأبي الليث السمرقندي.
- تفسير البسيط، لأبي الحسن الواحدي.
- أ. من سورة: المائدة إلى سورة: الأعراف. تحقيق محمد عبدالله الطيار.
- ب. من سورة: الأنفال إلى سورة: يونس. تحقيق: إبراهيم صالح الحسن.

ج. من سورة : ق إلى سورة : القلم

تحقيق : فاضل الخوي.

د. من سورة : الحاقة على نهاية القرآن.

تحقيق : نورة ورثان.

رسائل دكتوراه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

- تذكرة الحافظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. نشر: دار إحياء التراث العربي.
- التفسير الصحيح موسوعة الصحيح الميسور من التفسير بالمأثور ، د. خالد بن بشير بن ياسين. المدينة المنورة : دار المآثر.

(ث + ج)

- الثقات ، محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ). بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. ط ٢. نشر : دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- جامع التفسير من كتب الأحاديث، خالد بن عبد القادر آل عقدة. ط ١. دار الطيبة.
- جامعة البيان عن تأويل أي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ). ٣. مصر: مطبعة: مصطفى البابي.
- الجرح والتعديل، لأبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ). بيروت: دار الكتب العلمية.

(د)

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلا الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ).
- ط ١. بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق: محمد سيد جاد الحق. مصر ك دار الكتب الحديثة.

- الدر المصون في علوم الكتاب الكمون لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي. تحقيق: د. أحمد بن محمد الخراط. ط ١ (١٤٠٦هـ). دمشق: دار القلم.
- دلائل النبوة، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان. ط ١. المدينة المنورة: المكتبة السلفية.
- ديوان زهير بن أبي سلمى. بيروت: دار بيروت ١٤٠٢هـ.

(ذ)

- الذيل على طبقات الحنابلة، لأبي الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي. بيروت: دار المعرفة.

(ر)

- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت ٧٥١هـ).
- تحقيق: محي الدين ديب مستو. ط ١. دار ابن كثير.
- الرسالة، لمحمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ). تحقيق أحمد محمد شاكر. دار الفكر. بيروت.

(ز)

- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن حمد الجوزي. ط ٤. بيروت: المكتب الإسلامي.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن قيم الجوزية. تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبدالقادر الارنؤوط. ط. بيروت: مؤسسة الرسالة - الكويت: مكتبة المنار الإسلامية.

(س)

- سنن النسائي، للحافظ جلال الدين السيوطي. القاهرة: دار الريان للتراث.
- السنن الكبرى، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسن بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ). دار المعرفة، بيروت. لبنان.

- سنن ابن ماجه، للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. القاهرة: دار الحديث.
- سنن الترمزي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة تحقيق كمال يوسف الحوت. ط ١. دار الكتب العلمية.
- سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان أبى الأشعث الأزدي السجستاني (٢٧٥هـ). تحقيق محمد عوامة. دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة.
- سنن الدرامي، للإمام الحافظ عبدالله بن عبدالرحمن الدرامي السمرقندي (ت ٧٩٧هـ). تحقيق فواز أحمد وآخرون. ط ١. القاهرة: دار الريان للتراث.
- كتاب السنة، للحافظ أبي بكر عمر بن أبي عاصم الشيباني (ت ٢٨٧هـ). تخريج محمد ناصر الألباني. بيروت المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- كتاب السنة، لعبدالله بن أحمد بن حنبل (ت ٢٩٠هـ). تحقيق: د. محمد سعيد القحطاني. ط ١. الدمام: دار بن القيم ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- سنن الدار قطني، لعلي بن عمر الدار قطني (ت ٣٨٥هـ). ط ٤. بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٦هـ - ١٩٦٨م.
- السنن الكبرى، لأحمد بن الحسن البيهقي (ت ٤٥٨هـ). بيروت: دار المعرفة.
- سير أعلام النبلاء ن للذهبي (ت ٧٤٨هـ). تحقيق: مجموعة من الباحثين. ط ١. بيروت: دار الملايين، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني ط ٢. الرياض: مكتبة المعارف.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة لمحمد ناصر الدين الألباني. ط ٤. الرياض: مكتبة المعارف.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبدالحى بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ). بيروت: المكتب التجاري.

- شرح السنة، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت ٥١٦هـ). ط. بيروت: المكتب الإسلامي ن ١٣٩٠هـ - ت ١٩٧١م.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم هبة الله بن الحسن الكسائي (ت ٤١٨هـ). تحقيق د. أحمد سعد حمدان. الرياض: دار طيبة.
- شرح العقيدة الطحاوية، للقاضي در الدين بن أبي العز الحنفي. تخريج: محمد ناصر الألباني. لاهور: المكتبة السلفية ن ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- كتاب الشريعة للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الاجري (ت ٣٦٠هـ). تحقيق: د. عبدالله بن عمر الدميحي. ط ٢ ز دار الوطن.
- شفاء العليل للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ). تحقيق: عمر بن سليمان الحفيان. ط ١. مكتبة العبيكان.
- الشعر والشعراء ن لأبي محمد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة. ط ٤. بيروت: دار إحياء العلوم.

(ص)

- صحيح مسلم بشرح النووي. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب. ط ١. المطبعة السلفية.
- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري تحقيقك محمد فؤاد عبد الباقي. ط ١. القاهرة: دار الحديث.
- صحيح ابن حبان مع نقدية الإحسان، للأمير علاء الدين الفارسي (ت ٧٣٩هـ). تحقيق: شعيب الارنؤوط ط ١. مؤسسة الرسالة.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، للشيخ الإمام شمس الدين الشهير بابن قيم الجوزية. تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله. ط ١. الرياض: دار العاصمة.

- الصحاح، لإسماعيل بن بن حماد الجوهري. تحقيق ك احمد عبدالغفور عطار. ط ٢. بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م.

(ط)

- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي (ت ١٠١٤هـ). تحقيق، عادل نويهض. بيروت. دار الآفاق الجديدة.
- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد البصري. نشر: دار صادر — بيروت.
- طبقات المفسرين لمحمد بن علي الداودي. (ت ٩٤٥هـ). ط. ز. دار الكتب العلمية.
- طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح. ط ١. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.
- طبقات الحنابلة ن للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء. نشر: دار المعرفة: بيروت

(ع)

- كتاب العظمة، لأبي الشيخ عبدالله بن محمد بن جعفر الأصبهاني، دراسة وتحقيق: رضاء الله بن محمد المباركفوري نشر: دار العاصمة ت الرياض، ط ١ ت ١٤٠٨هـ.
- كتاب العلو للعلي العظيم وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها، لمحمد بن احمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ). تحقيق: عبدالله صالح البراك. ط ١ دار الوطن.
- العرش وماروي فيه، لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة. تحقيق: محمد بن حمد الحمود. مكتبة المعلا: الكويت.
- العبر في خبر من غبرن لابي عبدالله الذهبي وتحقيق ز صلاح الدين المنجد، وفؤاد السيد. نشرها بسيوي زغلول. طبع دار الكتب العملية.

- غاية النهاية في تراجم القراء، لأبي الخير محمد الجزري. تحقيق ك ج. براجشقرار. طبع دار الكتب العلمية، بيروت. ط ٢. ١٤٠٠هـ.

(ف)

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق: الشيخ عبدالعزيز بن باز. ط ٣. المكتبة السلفية. دار الريان للتراث.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم الفقه لحمد بن علي الشوكاني. ط ١. (١٤٢١هـ - ١٩٩١م). دار الخير.
- الفرق بين الفرق لعبدالقاهر بن طاهر البغدادي نشر: دار الكتب العلمية. بيروت.

(ق)

- القول المفيد على كتاب الوحيد، لحمد بن صالح العثيمين اعتنى به : د. سليمان أبا الخيل ود. خالد المشيقح. ط ١. (١٤١٥هـ). الرياض : دار العاصمة.
- كتاب القدر، للإمام الحافظ أبي بكر جعفر بن محمد الغرياني (ت ٣٠١هـ). تحقيق : عبدالله بن حمد المنصور، ط ١ (١٤٢٨هـ). أصول السلف.
- القطع والائتلاف، للإمام أبوجعفر أحمد بن محمد النحاس . تحقيق: د. عبدالرحمن المطرودي.

(ك)

- الكشف عن حقائق التزويل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٢٨هـ) ط ٣ - ١٤٠٧هـ . دار الريان للتراث.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع، لمكي بن أبي طالب القيس. تحقيق: محي الدين رمضان. نشر ك مؤسسة الرسالة - بيروت ن ط ٣ ت ١٤٠٤هـ.

- كشف الأستار عن زوائد البزار، لحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ). تحقيق: العلامة : حبيب الرحمن ألا عظمي. ط. ١ (١٤٠٤هـ). مؤسسة الرسالة).

- الكامل في التاريخ ، لعلي بن محمد عبدالكريم الشيباني (ابن الاثير). غني بمراجعة أصوله نخبة من العلماء. نشر: دار الكتاب العربي - بيروت ، ط ٤. ١٤٠٣هـ.

(ل)

- لسان العرب، لأبن منظور. اعتنى بها. أمين عبدالوهاب ومحمد العبيدي. دار احياء التراث العربي. بيروت، لبنان - ط ٢ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(م)

- مجاز القرآن : لابي عبيدة محمد بن الثني ت/د. محمد فؤاد سزكين مكتبة الخانجي بمصر.

- مجمع الزوائد وضع الفوائد: لنور الدين الهيثمي. دار الريان للتراث القاهرة ١٤٠٧هـ.

- المجموع شرح المذهب: للإمام النووي.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية الأندلسي ، ت/ المجلس العلمي تبار وادنت. المغرب

- المستدرك على الصحيحين: لابي عبدالله الحاكم ومعه تلخيص المستدرك أعتني به عبدالسلام محمد علوش. دار المعرفة للطباعة والنشر ط. ١ / ١٤١٨هـ

- المسند للإمام أحمد بن حنبل .

- مسند أبي يعلي الموصلي للإمام أبي يعلي الموصلي تحقيق و إرشاد الحق الأثري . دار القبلة بجدة ومؤسسة علوم القرآن سوريا دمشق . ط. ١٤٠٨هـ

- المسائل العقدية من كتاب الروايتين والوجهين: للقاضي ابي يعلي البغداددي ت/ سعود بن عبدالرحمن الخلف. أضواء السلف الرياض ط ١ / ١٤١٩هـ.

- مشكاة المصابيح : الخطيب التبريزي. تحقيق / الألباني المكتب الإسلامي بيروت لبنان ط ٣/١٤٠٥هـ.
- المراسيل: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني.
- معالم التتريل : للحسين بن سعود البغوي، ت/ محمد النمر — عثمان جمعة — سليمان الحرش، دار طيبة الرياض ط ١/١٤١١هـ.
- معاني القرآن : للقراء تحقيق/ د. عبدالفتاح إسماعيل شلبي مراجعة الأستاذ علي النجدي ناصف ، دار السرور.
- معاني القرآن : للأخفش (سعيد بن سعد) تحقيق/ د. هدى محمود قراعة. مكتبة الخانجي بالقاهرة ط ١/ ١٤١١هـ.
- معاني القرآن وإعرابه: لأبي اسحاق الزجاج ، تحقيق/ د. عبدالجليل عبده شلبي. عالم الكتب. بيروت لبنان. ط ١/ ١٤٠٨هـ.
- معاني القرآن الكريم: لأبي جعفر النحاس، تحقيق/ الشيخ محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى ط ١/ ١٤٠٨هـ.
- معجم البلدان: لياقوت الحموي ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط ١٣٩٩هـ.
- معجم الأدباء : لياقوت الحموي. مكتبة دار الفكر بيروت لبنان. ط ٣.
- معجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة ، أعتنى به : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة . بيروت لبنان ط ١/ ١٤١٤هـ.
- المعجم الكبير: للطبراني ، تحقيق / حمدي عبدالمجيد السلفي.
- المفردات في غريب القرآن: لراغب الأصفهاني تحقيق/ محمد سيد كيلاني دار المعرفة بيروت لبنان.
- الملل والنحل : لمحمد بن عبدالكريم الشهرستاني مطبوع بهامش الفصل لابن حزم، نشر مكتبة الخانجي القاهرة.

- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي : ليوسف بن تغري بردي . تحقيق / د. محمد محمد أمين ، و د. سعيد عاشور. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- موطا مالك بن أنس برواية يحيى بن يحيى الليثي تحقيق / د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ط ٢ / ١٤١٧ هـ.
- الموضح في وجوه القراءات وعللها: للإمام ابن أبي مريم. تحقيق ودراسة / د. عمران حمدان الكيسي. جمعية تحفيظ القرآن الكريم مجدة ط ١ / ١٤١٤ هـ.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: للإمام الذهبي ، تحقيق / علي البجاوي ، وفتحية البجاوي، نشر دار الفكر العربي.

(ن)

- النكت والعيون (تفسير الماوردي): لابي الحسن الماوردي، راجعه وعلق عليه / السيد بن عبدالمقصود، دار الكتب العملية بيروت لبنان ط ١ / ١٤١٢ هـ.
- نفح الطيب
- نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سيعد علي المريسي الجهمي العنيد: للإمام عثمان بن سعيد الدرامي تحقيق / د. رشيد الألمعي. مكتبة الرشد، شركة الرياض للنشر، ط ١ / ١٤١٨ هـ.
- نونية ابن القيم. مع شرحها للعلام ابن عيسى

(هـ)

- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق ودراسة / د. محمد أحمد الحاج. دار القلم دمشق.
- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، طبع درا العلوم ط ١ / ١٤١٦ هـ.

(و)

- الوسيط في تفسير القرآن المجيد: لأبي الحسن الواحدي، تحقيق د. أحمد محمد صبرة وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١/١٤١٥هـ.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، حققه احسان عباس، دار صادر بيروت لبنان ط / ١٣٩٧هـ.

فهرس الموضوعمات

رقم الصفحة	الموضوعمات
٧-١	المقدمة
٢	أسباب اختيار الموضوع
٣	خطة البحث
٦	شكر وتقدير
٨	القسم الأول : الدراسة
٨	المقدمة
٩	الناحية السياسية
٩	(١) الحروب الصليبية
١٢	(٢) هجمات التار المغولية
١٥	الناحية الاجتماعية
١٥	(١) ولادة الأمر
١٦	(٢) التجار
١٦	(٣) العامة
١٧	الناحية العلمية
١٧	(١) المساجد والمدارس
١٨	(٢) الشخصيات العلمية
٤٨-٢٠	الباب الأول : ترجمة المؤلف
٢٠	الفصل الأول : سيرته الشخصية

الموضوع	رقم الصفحة
المبحث الأول : اسمه ونسبه	٢٠
المبحث الثاني : ولادته	٢٢
المبحث الثالث : أسرته	٢٣
المبحث الرابع : نشأته	٢٤
المبحث الخامس : أوصافه الخلقية والخلقية	٢٦
المبحث السادس : أبنائه	٢٩
المبحث السابع : وفاته	٣٠
الفصل الثاني : في سرته العلمية	٣٠
المبحث الأول : دراسته وطلبه للعلم	٣٠
المبحث الثاني : رحلاته في طلب العلم	٣٢
المبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه	٣٧
المبحث الرابع : ثقافته وعلمه	٣٩
المبحث الخامس : عقيدته ومذهبه	٤١
المبحث السادس : مكانته وثناء العلماء عليه	٤٢
المبحث السابع : مصنفاته	٤٩
الباب الثالث : دراسة الكتاب	٤٩
الفصل الأول : التعريف بالكتاب	٤٩
المبحث الأول : التعريف بالكتاب	٤٩
المبحث الثاني : توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف	٥٢
المبحث الثالث : منهج المؤلف في كتابه	٥٣
المبحث الرابع : أهمية الكتاب	٥٥
المبحث الخامس : مصادر المؤلف في كتابه	٥٧
الفصل الثاني : دراسة النسخ الخطية	٦٠-٦٣
نماذج من النسخ المعتمدة في التحقيق	٦٤-٧٨
مقدمة المؤلف	٨٠

الموضوع	رقم الصفحة
فصل : في أقسام القرآن	٨١
فصل : ما يقسم الله عليه	٨٤
فصل : إقسامه تعالى على صفة الإنسان وعلى الجزاء	٨٩
فصل : القسم في سورة القيامة	٩٥
فصل : القسم في سورة الشمس	٩٩
فصل : سر ذكره تعالى قصة ثمود	١٠٨
فصل : القسم في سورة الفجر	١١١
فصل : القسم في سورة البلد	١٢٠
فصل : القسم في سورة التين	١٣٣
فصل : القسم في سورة الليل	١٤٦
فصل : معنى قوله تعالى (إن علينا للهدى)	١٥٩
فصل : القسم في سورة الضحى	١٦٣
فصل : القسم في سورة العاديات	١٦٧
فصل : بيان المقسم عليه في سورة العاديات	١٧٢
فصل : مفعول العلم في قوله تعالى : (أفلا يعلم إذا بعثر)	١٧٦
فصل : القسم في سورة العصر	١٧٧
فصل : القسم في سورة البروج	١٨١
فصل : القسم في سورة الطارق	١٩٢
فصل : المقسم عليه في سورة (والسماء والطارق)	١٩٣
فصل : القسم في سورة الانشقاق	٢٠٢
فصل : جواب القسم في هذه الآية	٢٠٥
فصل : القسم في سورة الانشقاق	٢٠٨
فصل : معنى عسعسه الليل وأقوال العلماء فيه	٢١٢
فصل : المقسم عليه في قوله : (فلا أقسم الخنس)	٢١٤
فصل : الكلام على قوله تعالى : (إن هو إلا ذكر للعالمين)	٢٢١

رقم
الصفحة

الموضوع

- ٢٢٥ فصل : القسم في سورة النازعات
- ٢٣٥ فصل : القسم في سورة المرسلات
- ٢٤٠ فصل : قوله تعالى : (لا أقسم بيوم القيامة)
- ٢٤٨ فصل : جمع الله لأوليائه بين جمال الظاهر والباطن
- ٢٥٠ فصل : تضمن سورة القيامة إثبات قدرة الرب تعالى على ما علم أنه لا يكون ولا يفعله
- ٢٥٢ فصل : تضمنها التأني والتثبت في طلب العلم
- ٢٥٤ فصل : إثبات النبوة والمعاد بالعقل
- ٢٥٦ فصل : القسم في سورة المدثر
- ٢٦٠ فصل : قوله تعالى : (والليل إذا أدبر)
- ٢٦٣ فصل : في الإقسام بالقمر والليل والصبح دلالة على المعاد
- ٢٦٦ فصل : القسم في سورة الحاقة
- ٢٧٠ فصل : ما تضمنه قوله تعالى : (تنزيل من رب العالمين)
- ٢٨٢ فصل : القسم في سورة المعارج
- ٢٨٤ فصل : قدرته تعالى على تبديل الخلق بخير منهم وتبديل أمثالهم واستبداله قوماً
غيرهم ، ووجه الجمع بين هذه الأنواع
- ٢٨٨ فصل : تهديده تعالى للمشركين بعد إقامة الحجة عليهم بقوله تعالى : (فذرهم
يخوضوا ويلعبوا)
- ٢٩١ فصل : القسم في سورة القلم
- ٢٩٤ فصل : السر في الإقسام بالقلم
- ٢٩٥ فصل : مراتب الأقلام ، وقلم القدر
- ٢٩٧ فصل : قلم الوحي
- ٢٩٨ فصل : قلم التوقيع عن الله عز وجل ورسوله
- ٢٩٩ فصل : قلم طب الأبدان
- ٣٠٠ فصل : قلم التوقيع عن الملوك ونوابهم
- ٣٠١ فصل : قلم الحساب

الموضوع	رقم الصفحة
فصل : تثبيت الحقوق والأنساب	٣٠٢
فصل : قلم الشهادة	٣٠٣
فصل : قلم التعبير	٣٠٤
فصل : قلم تواريخ العالم ووقائعه	٣٠٥
فصل : قلم اللغة	٣٠٦
فصل : قلم الرد على المبطلين ، وهو القلم الجامع	٣٠٧
فصل : المقسم عليه في سورة القلم	٣٠٨
فصل : القسم في سورة الواقعة	٣١٣
فصل : المقسم عليه في هذه الآية وهو القرآن	٣١٥
فصل : وصف القرآن بأنه كريم	٣١٨
فصل : أقوال العلماء في الكتاب المكنون	٣١٩
فصل : لا يدرك القرآن إلا القلوب الطاهرة	٣٢٤
فصل : ما يفيد قوله تعالى : (تنزيل من رب العالمين)	٣٢٦
فصل : توبيخه تعالى المشركين لوضعهم الأدهان في غير موضعه	٣٢٨
فصل : ختام سورة الواقعة بأحوال العباد عند القيامة الصغرى	٣٣٠
فصل : طبقات الناس عند الحشر	٣٣٣
فصل : القسم في سورة النجم	٣٣٥
فصل : قوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)	٣٤٠
فصل : صفات معلم الوحي	٣٤٣
فصل : تصديق الفؤاد لما رأت العينان	٣٤٥
فصل : رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل مرة ثانية عند سدره المنتهى	٣٤٧
فصل : معنى قوله تعالى : (ما زاغ البصر وما طغى)	٣٥٦
فصل : أنواع الاستطراد وأمثله من الكتاب العزيز	٣٥٧
فصل : القسم في سورة الطور	٣٥٩
فصل : المقسم عليه في هذه الآية	٣٦٧

رقم
الصفحة

الموضوع

- فصل : نعيم أرباب العلوم النافعة ٣٧٠
- فصل : من كمال أرباب العلوم النافعة إلحاق ذرياتهم بهم ٣٧٤
- فصل : القسم في سورة الذاريات ٣٧٦
- فصل : الكلام على السحاب وجهة دلالة على قدرة الله ٣٧٩
- فصل : قوله تعالى : (فالمقسمات أمراً) وبيان من هم ٣٨٢
- فصل : بيان المقسم عليه وأن الحق واحد ، فمن خالفه اختلفت به الطرق والمذاهب ٣٨٥
- فصل : جزاء من خلص من الفتن بالتقوى ٣٨٧
- فصل : أحب القيام إلى الله ٣٩٠
- فصل : آيات الله تعالى المثبوتة في الآفاق وفي الأنفس ٣٩٢
- فصل : اختلاف الآيات وأجناسها وصفاتها ومنافعها ٣٩٤
- فصل : السر في تبصير الله تعالى العباد بأنفسهم ٣٩٨
- فصل : العينان ووظيفتهما ٤٠٠
- فصل : الأذنان وسر شقهما في جانبي الوجه ٤٠١
- فصل : الأنف وسر نصبه في وسط الوجه قائماً معتدلاً ٤٠٢
- فصل : الفم محل العجائب ٤٠٤
- فصل : اللسان والصلة بينه وبين القلب ٤٠٥
- فصل : سر خلقه تعالى اللسان عضواً لا عصب فيه ولا عظم ٤٠٦
- فصل : الأسنان والشفطان ووظيفتهما ٤٠٧
- فصل : سر جعل الفم أكثر الأعضاء رطوبة ، وفائدة اللعاب ٤٠٨
- فصل : العبرة من حال الشعر ومنايته ٤١٠
- فصل : الحاجبان ووقايتهما للعين مع الحسن والزينة ٤١٢
- فصل : شعر اللحية وأنه زينة ووقار ٤١٣
- فصل : شعر العانة والأنف والإبط ٤١٤
- فصل : حكمة الله تعالى من إخلاء الكفين والجبهة من الشعر ٤١٥
- فصل : حال الإنسان من مبدئه إلى نهايته ٤٢١

رقم
الصفحة

الموضوع

- ٤٢٣ فصل : حرارة الجسد وإلهابها الشهوة والسر العجيب في ذلك
- ٤٣٠ فصل : الكلام في ماء المرأة وصفته ، ووظيفته في تكوين الجنين
- ٤٣٤ فصل : سبب تفاوت مدة الحمل
- ٤٣٥ فصل : أقل مدة الحمل
- ٤٣٦ فصل : سبب الإذكار والإينات
- ٤٤١ فصل : متى ينفخ الروح في الجنين ؟
- ٤٤٥ فصل : أي عضو يتخلق من الجنين قبل الآخر
- ٤٤٧ فصل : هل للجنين حركة وإحساس قبل نفخ الروح فيه ؟
- ٤٤٩ فصل : هل يتكون الجنين من مائتين وواطنتين ؟
- ٤٥٢ فصل : سبب بكاء الصبي حالة خروجه إلى هذه الدار
- ٤٥٨ فصل : أدوار انتقال النطفة وأطوارها
- ٤٥٩ فصل : آلات الغذاء
- ٤٥٩ الأعضاء القابلة للفضلات : المرارة ، الطحال ، الكبد
- ٤٦١ فصل : وظيفة القلب
- ٤٦٢ فصل : للمعدة أربع قواى : جاذبة ، ومنضجة ، وممسكة ، ودافعة
- ٤٦٤ فصل : موضع الكبد من المعدة
- ٤٦٦ فصل : الحكمة في جعل صفاقات الكبد أرق من غيرها
- ٤٦٧ فصل : إحراز الصانع سبحانه موضع الكبد ووضعها
- ٤٦٨ فصل : الطحال وما فيه من الفوائد
- ٤٧٢ فصل : الكبد والطحال متقابلان والمعدة بينهما
- ٤٧٣ فصل : المعدة هي الآلة لهضم الغذاء واستمرائه ، والأمعاء تؤديه إلى الكبد
- ٤٧٥ فصل : مختصر يجمع شتات ما سبق بإيضاح وإيجاز
- ٤٨٠ فصل : الكبد عضو لحمي تتخلله عروق غلاظ ورقاق
- ٤٨١ فصل : العروق الموصلة إلى القلب : الوتين ، والأهر
- ٤٨٢ فصل : المرارة ووضعها على الكبد ، ولها مجريان

رقم
الصفحة

الموضوع

- ٤٨٣ فصل : القوى العامة التي جعلها الله في البدن لتنظيمه
- ٤٨٤ فصل : الدم وهو الغذاء الحقيقي للبدن
- ٤٨٥ فصل : البلغم ووظيفته
- ٤٨٦ فصل : الصفراء وحاجة البدن إليها
- ٤٨٧ فصل : المرارة السوداء وما فيها من المنافع
- ٤٨٨ فصل : حكمة الله في أن جعل في البدن أعضاء رئيسية
- ٤٨٩ فصل : السر في استحقاق الأعضاء الرئيسية للرياسة
- ٤٩٠ فصل : الأعضاء الخادمة : الرئة والشرابين والمعدة والأوردة
- ٤٩١ فصل : الأعضاء المرؤوسة بلا خدمة
- ٤٩٢ فصل : أعضاء ليست رئيسة ولا مرؤوسة
- ٤٩٤ فصل : عدد العظام وما أحصاه المشرحون
- ٤٩٧ فصل : الرأس وما يحويه
- ٥٠٠ فصل : أنظر في نفسك تعرف خالقك فتوحده وتعبده
- ٥٠٥ فصل : عجائب العين
- ٥٠٧ فصل : عجائب الأذنين
- ٥٠٨ فصل : عجائب الأنف
- ٥١٠ فصل : القلب أمير البدن ومعدن الحرارة الغريزية
- ٥١١ فصل : الصدر معدن العلم والحلم
- ٥١٥ فصل : جنود القلب وأبوابه وطرقه
- ٥١٦ فصل : حال القلب مع الملك والشیطان
- ٥١٧ فصل : إلام الشیطان بالقلب
- ٥١٩ فصل : كيف يتطرق الشیطان قلبك
- ٥٢٠ فصل : قوله تعالى : (وفي السماء رزقكم وما توعدون)
- ٥٢١ فصل : قوله تعالى : (فو رب السماء والأرض إنه لحق)
- ٥٢٤ فصل : القسم في سورة (ق)

الموضوع	رقم الصفحة
فصل : القسم في سورة الزخرف	٥٢٥
فصل : القسم في سورة الصافات	٥٢٦
فصل : قصة لوط عليه السلام مع قومه	٥٢٨
فصل : قوله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ... الآية	٥٢٩
الفهارس	531
فهرس : الآيات	٥٣٢
فهرس : أطراف الحديث	٥٦٦
فهرس : الآثار	٥٧٥
فهرس : الأعلام	٥٨٠
فهرس : القوافي والشعر	٥٨٨
فهرس : الفرق والأمم والكتب والأماكن	٥٩٠
فهرس : المصادر والمراجع	٥٩٢
فهرس : الموضوعات	٦٠٣